دير القديس أنبا مقار

القديس بولس الرسول

حياته • لاهوته • أعماله

الأب متى المسكين

كتاب: القديس بولس الرسول : حياته . لاهوته . أعماله
المؤلف: الأب متى المسكين
الطبعة الأولى: ١٩٩٢
مطبعة دير القديس أنبا مقار — وادي النطرون.
ص. ب. ٢٧٨٠ القاهرة.
رقم الإيداع بدار الكتب المصرية: ٨٠٤٩/١٩٩١
رقم الإيداع الدولي: ISBN 977 - 240 - 014 - 6

اعتراف بالفضل لذويه

لقد طُبع هذا الكتاب في مطبعة دير القديس أنبا مقار بوادي النطرون، وقام بالإشراف على مراحل طبع الكتاب بداية من النسخة الخطّية وإعادة تنقيحها وإصلاح الأخطاء فيها، ومراجعة القواعد العربية ونحو الكلام، ومراجعة الآيات بالعربية، ثم اليونانية، وإعادة تبويب الكتاب وتنسيق فصوله؛ ثم إخراجه على آلة الجمع التصويري ودخوله تحت المونتاج (عملية القص واللصق وضبط مقاسات الصفحات وترقيمها)، بالإضافة إلى عمليات التصوير للوحات الواردة بالكتاب من تصوير وتحميض وتكبير وتصغير، ثم الحفر على اللوحات المحسَّسة للطباعة، ثم دخوله للطبع على آلة الطباعة الأُوفست، ثم تطبيق أفرخ الورق المطبوعة كملازم، ثم تخييط الملازم معاً والتجليد؛ كل هذا قام به الآباء الرهبان الأعزاء الأجلاء، بما استلزم من جهد وصبر ودقة وفن بلغ على أيديهم أقصى إتقانه.

ونحن إذ نذكر أسماءهم وهم في غِنًى عن الذكر والذكرى، فسيرتهم مكتوبة في السموات؛ ولكن يطيب لقلب الكاتب أن ينسب الفضل لأصحابه، فلولاهم ما خرج هذا الكتاب، وما استمتع القارئ بهذا الإخراج البديع. كان هذا في فاتحة كتاب: «شرح إنجيل القديس يوحنا»، وقد تابعوا إخراج هذا الكتاب لحياة القديس بولس الرسول بنفس الروح وبدافع شركة المحبة التي تجمعنا.

(الآباء بحسب ترتيب أقدميتهم الرهبانية، ودور كل راهب في إخراج الكتاب)

الأب إرميا	مراجعة البروفات والقواعد العربية ونحو الكلام.
الأب يوحنا	نسخ النسخة الخطية ومراجعة البروفات.
الأب وديد	تنقيح النسخة الخطية ومراجعة الآيات باليونانية وإعادة تبويب الكتاب وتنسيق فصوله.
الأب باسيليوس	المراجعات الفنية في مراحل جمع وطبع الكتاب.
الأب ديمتري	نسخ النسخة الأُولى عن المسودّة التي بخط المؤلف.
الأب و يصا	تصوير الأفلام الشفافة عن الورق الحسَّاس للصفحات المجموعة للنص.
الأب برثي	جمع النص على آلة الجمع التصويري، وتقديم البروفة الأُولى.
الأب لونجينوس	آلة الطباعة الأُوفست ــ آلة تطبيق الملازم ــ آلة خياطة الملازم ــ آلة القص ــ التجليد.
الأب أخنوخ	جمع النص على آلة الجمع التصويري.
الأب سوريال	المونتاج وتصوير الأفلام، وتجهيز لوحات الطباعة.
الأب يسطس	جمع النص على آلة الجمع التصويري.
الأب دوماديوس	مضاهاة بروفات الجمع التصويري على الأصول المنسوخة للكتاب.
الأب زكريا	تجهيز لوحات الطباعة.
الأب إبيفانيوس	مونتاج الورق الحساس للصفحات المجموعة للنص وعمل فهرس الآيات وفهرس أقوال الآباء.

وأخيراً ــ نستودع هذا الكتاب بالمجهود المبذول فيه ليد القارئ، داعين له بالبركة، راجين الله أن يستخدمه لزيادة المعرفة والتقوى وتمجيد اسم الله القدوس.

دير القديس أنبا مقار **الثلاثاء ٢٤ مارس سنة ١٩٩٢**

الأسبوع الرابع من الصوم الأربعيني المقدس

محتويات الكتاب

(ما بين قوسين ( ) هو أرقام صفحات العناوين الجانبية)

الجزء الثاني: لاهوت بولس الرسول ١٦٣

الباب الثالث : الإيمان والتبرير والتقديس
في لاهوت بولس الرسول

(*) ورود الرسائل هنا هو بحسب ترتيبها الزمني التاريخي.

بولس الرسول في كورنثوس ٦٧٢
[سحابة قاتمة آتية من الشرق وصلت إلى كورنثوس قبل أن يصلها بولس الرسول (٦٧٣)]

+ بولس الرسول يكتب في بدء إقامته في كورنثوس لثالث مرة

خطابه الأول للغلاطيين ٦٧٣

[أعمال بولس الرسول الأخيرة في كورنثوس (٦٧٤)]

+ بولس الرسول يكتب من كورنثوس

رسالته الكبرى إلى روما و يرسلها على يد فيبي ٦٧٦

[المكيدة من اليهود والعودة السريعة من كورنثوس (٦٧٨) ترواس والعلية وأفتيخوس (٦٨٠) ترتيب السفر من ترواس حتى أورشليم (٦٨١) في ميليتس: الوداع الأخير «لن تروا وجهي» (٦٨٢) إلى كوس ثم رودس ثم باترا (٦٨٢) سبعة أيام في صور وإنذارات نبوية بالمخاطر المحدقة (٦٨٢) إلى بتولمايس عكا ثم قيصرية (٦٨٣) بولس الرسول في قيصرية عند فيلبس الرسول المبشر (٦٨٣) بولس الرسول يواجه النبوات عن مستقبله في القبض والقيود والسجن ومحكمة الأمم بكل ثقة (٦٨٤)]

الفصل الرابع : بولس الرسول في أورشليم للمرة الأخيرة ٦٨٥

[بولس الرسول ينزل في أورشليم عند رجل قبرسي اسمه مناسون Mnason (٦٨٥) بولس الرسول في حضرة تلاميذ الرب والرسل القديسين (٦٨٥)]

تمثيلية خاسرة، وخطة مبيَّتة، وفريسية حاقدة متنمرة

والذين صلبوا المسيح قتلوا بولس ٦٨٦

[رعبة التعصب وقسوة الفريسيين المتنصرين ملكت على كنيسة أورشليم (٦٨٦) القديس يعقوب وتبرئة ذمته أمام الله وبولس الرسول (٦٨٦) حل وسط لينجو بولس بجلده وما نجى (٦٨٨) عيد الخمسين: دخول بولس الرسول الهيكل مع النذراء (٦٨٨) القبض على بولس داخل الهيكل «هذا هو الرجل» (٦٨٩) بولس الرسول خارج الهيكل بين أيدي غرمائه: فكانت ساعتهم وسلطان الظلمة، ونجدة أمير الكتيبة (٦٩٠) تأثير بولس الرسول العجيب بشخصيته وحكمته على ليسياس (٦٩١) بولس الرسول يحتج من فوق أعلى سلم القلعة لدى الشعب المتجمهر خارج القلعة أسفل (٦٩١) «أنا يسوع الناصري الذي أنت تضطهده ... لماذا تضطهدني؟» (٦٩١) «خذ مثل هذا من الأرض لأنه كان لا يجوز أن يعيش» (٦٩٢) «وإذ كانوا يصيحون ويطرحون ثيابهم ويرمون غباراً إلى الجو» (٦٩٣) بولس الرسول في غرفة المحاكمات بالهيكل (الجازيت) للاستجواب أمام المدَّعين عليه (٦٩٤) «ينبغي أن تشهد في روما» (٦٩٦) مؤامرة جديدة لاغتيال بولس الرسول (٦٩٦) مغامرة ابن أخت بولس الصبي الشجاع النبيل (٦٩٧) بولس الرسول يعظ فيلكس الوالي وامرأته اليهودية الفاجرة (٦٩٧) سنتان في سجن قيصرية (٦٩٨) فستوس الوالي الجديد على اليهودية يتسلم من فيلكس (٦٩٨) بولس الرسول يشهد للمسيح أمام أغريباس الملك

ooo

مراجع الكتاب

I ــ المراجع الآبائية

II ــ المراجع الأجنبية الحديثة

Bibliography I

Ancient Literary Sources   أ ـ المراجع الآبائية :

AUGUSTIN, St., *On the Trinity,* NPNF, 1st Ser., Vol. III, Eerdmans, Grand Rapids, 1956.

CHRYSOSTOM, J., *Commentary on Romans,* NPNF, 1st Ser., Vol. XIII, Eerdmans, Grand Rapids, 1956.

CYRIL of Jerusalem, *Catecheses Mystagogicae,* PG XXXIV & NPNF, 2nd Ser., Vol. VII, Eerdmans, Grand Rapids, 1956.

CLEMENT of Rome, *First Epistle Ad Corinth,* in *The Apostolic Fathers,* by J.B.Lightfoot, Part One, Vol. II, Baker Book House, Grand Rapids, 1981.

Doctrina Apostolorum, ANF, Vol. VII, 1956.

EPIPHANIUS, *Ancoratus,* PG XLIII.

EUSEBIUS, *Historia Ecclesiastica* (= Hist. Eccl.), or *Church History,* NPNF, 2nd Ser., Vol. I, Eerdmans, Grand Rapids, 1971.

HILARIUS, St., *De Trinitate,* NPNF, 2nd. Ser., Vol. IX, 1956.

ISIDORE of Pelusium, *Epistle IV,* P.G. LXXVIII.

JEROME, *Commentary on Galatians,* PL II.

JOSEPHUS, *The Antiquities of the Jews* (Abbr. *Ant.*).

JUSTIN, *Apology,* ANF, vol. I, Eerdmans, Grand Rapids, 1956.

PLINY, *Epistle to Trajan.*

TACITUS, *The Annals.*

TERTULLIAN, *De praescriptione,* ANF, Vol. III, pp. 243ff.

Bibliography II

Modern Works : ب ـ المراجع الأجنبية الحديثة

BARCLAY, WILLIAM, *The Mind of St. Paul*, London, 1958.

BARRETT, C.K., *First Epistle to the Corinthians*, the *Black* Series, 1968.

BORNKAMM, G., *Paul*, 1969 (German, Stuttgart), translated by D.M.G. Stalker, London, 1971.

BRUCE, F.F., *New Testament History*, Oliphantes, 1970.

BRUCE, F.F., *Paul: Apostle of the Heart Set Free*, The Paternoster Press, London, 1985.

CONYBEARE, W., *Life and Epistles of Paul*, reprinted edition, Grand Rapids, Michigan, 1987.

CULLMANN, O., *The Christology of the New Testament*, E.T. 2, 1963.

DAVIES, W.D., *Paul and Rabbinic Judaism*, London, 1948.

DEISSMANN, Adolf, *Paul, A Study in Social and Religious History*, translated by W.E.Wilson, 1957, reprinted 1972.

DIBELIUS, M., *From Tradition to Gospel*, London, 1934.

KITTEL, G., *Theological Dictionary of the New Testament*, Eerdmans, Grand Rapids, 1964.

LIDDELL, H.G. and Scott, R. *An Intermediate Greek-English Lexicon*, Oxford, 1986.

LIGHTFOOT, J.B., *St. Paul's Epistles to the Colossians and to Philemon*, Zondervan, 1965.

LIGHTFOOT, J.B., *St. Paul's Epistle to the Philippians*, Classic Commentary Library, 1965.

MILMAN, H., *History of the Jews*, London, 1909.

NEANDER, AUGUST, *General History of the Christian Religion and Church,* Edinburgh, vol. I, 1847.

Oxford Dictionary of the Christian Church, ed., F.L. Cross and E.A.Livingstone (2nd ed., 1974).

PAX, Wolfgang E., *In the Footsteps of St. Paul,* Nateev Publishing, 1977.

PFLEIDERER, O., *The Influence of the Apostle Paul on the Development of Christianity,* London, 1885 (*Hibbert Lectures*).

PRAT, F., *The Theology of St. Paul,* 2vols., translated from the 11th French edition by John L. Stoddard, The Newman Bookshop, Westminster, 1958.

The Pulpit Commentary, edited by H.D.M. Spence and Joseph S. Exell, WM. B. Eerdmans Publishing Company, Grand Rapids, Michigan, 1981.

RIDDERBOS, Herman, *Paul, An Outline of His Theology,* Grand Rapids, 1975.

WESTCOTT, Brooke Foss, *The Epistle to the Hebrews,* The Greek Text with notes and essays, WM.B.Eerdmans Publishing Company, Grand Rapids, 1980.

تمهيد

نظرة عامة على حياة القديس بولس الرسول

القديس بولس الرسول هو الرسول الثالث عشر بحسب الإنجيل، وهو الرسول الذي حمل نور المسيح للأمم تتميماً لنبوة سمعان الشيخ وهو حامل الطفل يسوع على ذراعيه: «الآن تطلق عبدك يا سيد حسب قولك بسلام، لأن عينيَّ قد أبصرتا خلاصك الذي **أعددته قدام وجه جميع الشعوب، نورَ إعلانٍ للأمم...**» (لو٢: ٢٩—٣٢).

والقديس بولس هو ألمع شخصية بعد المسيح في الأناجيل، وفي بقية الأسفار في العهد الجديد.

وحياة القديس بولس مستمدة من حياة المسيح، بحسب تعبيره هو: «... فأحيا لا أنا بل المسيح يحيا فيَّ» (غل٢: ٢٠)، هذا بالنسبة لنفسه؛ أما بالنسبة لنا فيقول: «كونوا متمثلين بي، كما أنا أيضاً بالمسيح» (١كو١١: ١). بهذا يكون القديس بولس ليس هو بولس على قاعدة مؤهلاته، بل على قاعدة المسيح ومعطياته. هذا التقييم كان يحسُّه بولس الرسول في نفسه، ومن هذه القاعدة انطلق يكرز ويعلّم ويشرح ويقطع بكلمة الحق، بيقينٍ وثباتٍ واعتدادٍ، بالروح الذي كان يتحرك فيه ويتحرك هو على هُداه.

لهذا كان القديس بولس هو القوة الفعَّالة المحرِّكة للكنيسة في العصر الرسولي، وهذا أيضاً بحد تعبيره: «ولكن بنعمة الله أنا ما أنا، ونعمته المعطاة لي لم تكن باطلة، بل أنا تعبت أكثر منهم جميعهم (الرسل). ولكن لا أنا بل نعمة الله التي معي.» (١كو١٥: ١٠)

هو أكثر الرسل قاطبة مَنْ تكشَّفت لنا صفاته الشخصية وأموره الخاصة بحياته، سواء تلك التي ذكرها هو عن نفسه مباشرة، أو التي يَسْهُل استخلاصها من كتاباته وأعماله. ويكفي لكي نبرز شخصية القديس بولس في ذهن القارىء — كما هي في التاريخ الكنسي — أن يعرف أنه من بين السبعة والعشرين سفراً التي يضمها العهد الجديد والتي احتفظت بها الكنيسة في قانونها، له منها

أربع عشرة رسالة: ثلاث عشرة تحمل اسمه وإمضاءه، والأخيرة وإن لم تحمل اسمه فهي تحمل روحه وفكره، وهي منسوبة له كنسيًا. وهذه الرسائل في مجموعها تزيد عن رُبع مدوَّنات العهد الجديد برُمّته.

هذه الأسفار المدموغة باسمه وبروحه، هي كلها على مستوى الرسائل تضعنا في مواجهة مكشوفة وقريبة للغاية مع شخصية القديس بولس الرسول، سواء من جهة حياته أو جهاده العنيف الذي فُرض عليه، بكل نجاحاته المذهلة وإخفاقاته المريرة، ومن هذه وتلك تتضح لنا علاقته الصميمة والحميمة بالمسيح، وإيمانه الذي كانت تحركه قوة داخلية لا يُشقُّ لها غبار.

وحياة بولس الرسول بكل الزَخْم الروحي الذي يفيض منها، مع عراكه ضد العالم الذي لم يهدأ لحظة، إنما تصوِّر لنا صفحة من صفحات تاريخ المسيحية المشرق في عصرها المبكر جداً.

وهذه الرسائل التي كتبها في أوائل الخمسينات من القرن الأول المسيحي والتي تركها وراءه ذخراً وكنزاً لا يفنى للكنيسة، هي بآن واحد وثائق تاريخية بالدرجة الأُولى، على أعلى ما يمكن من الأصالة، والتي تفوق في أصالتها التاريخية كل ما عداها من الأسفار.

ولينتبه القارىء، فإن رسائل بولس الرسول كُتبت وقرئت في الكنيسة، وتسجَّلت في فكر المؤمنين، قبل كتابة الأناجيل الثلاثة الأُولى وبعشرات السنين(١).

وإذ نحن بصدد سرد حياة بولس الرسول التي نستخلصها من رسائله التي كتبها في زحمة الحوادث، وسط مشقَّة الأسفار والأسهار، وتحت وطأة السلاسل والقيود، وفي عتمة السجون، ينبغي أن نلتفت إلى أنها تقدم لنا صفحة واحدة ولكنها من أمجد صفحات حياته، حيث كانت حوادثها إنما تجري نحو خاتمتها باستشهاده.

ومع رسائل القديس بولس الرسول، وجنباً إلى جنب ــ من جهة ترجمة حياته ــ يقف سفر أعمال الرسل ليحتل المكانة الثانية بعد رسائله، سواء في الأصالة التاريخية أو الأهمية الكنسية، باعتباره التقليد الرسولي الأول الذي يحوي نشأة وحركة الكنيسة الأُولى، مع صور ومضابط جلسات أول مجمع للكنيسة بواسطة الرسل أنفسهم وبحضور القديس بولس وبدعوة من الله.

وهذا السفر، وإن كان قد قدَّم أعظم حوادث الكنيسة على مدى تاريخها كله، فهو يقدم وصفاً

1. G. BORNKAMM, *Paul,* p. XIV.

لحلول الروح القدس على التلاميذ وبدء ظهور كنيسة المسيح متتبعاً أولى حركاتها. إلا أنه عندما بلغ إلى تسجيل حوادث دخول بولس (شاول) إلى الإيمان المسيحي، بدأ ينشغل كليةً بتحركات بولس الرسول، وكفَّ عن ذكر أي شيء آخر عدا ذلك، وحتى خاتمة السفر! فهو يقدم شخصية بولس الرسول بتركيز شديد، كنجم تألَّق في سماء المسيحية فجأة، ولكن ملتحماً مع قيام الكنيسة ككلٍّ. الذي جعل سفر الأعمال في التقليد الكنسي ذا وزن عال لا يقل عن الرسائل من جهة التأريخ لشخصية بولس الرسول، هو أنه كُتِبَ بيد القديس لوقا الإنجيلي كمُلْحق لإنجيله الذي كتبه بين السبعينات والثمانينات من القرن الأول[٢]. وقد صاغه على خلفية تاريخية مدعَّمة بالتاريخ المدني الروماني والتاريخ الديني العبري معاً.

والقديس لوقا لأنه كان رفيق القديس بولس في الأسفار، وشريكه في الخدمة، وصديقه المحبوب «لوقا الطبيب الحبيب» (أنظر كو٤ : ١٤ و٢تي٤ : ١١ وفل٢٤)، استطاع أن يُسهِب في تسجيل أحوال بولس الرسول وتحركاته وكيفية دخوله إلى المسيحية.

ولكن على ضوء الأبحاث الحديثة التي يقدمها علماء التاريخ الكنسي، يعود سفر الأعمال ليحتل المكانة الأقل والأضعف بالنسبة للرسائل على أساس أن القديس لوقا تأخر في تدوين إنجيله وسفر الأعمال. ولكن من وجهة نظرنا نسأل ما قيمة بضع سنين بالنسبة لشاهد عيان وزميل خدمة وأسفار، ذي وعي وإلهام، كان يتتبَّع الأخبار أولاً بأول ويسجلها في ذاكرته ومذكراته؟ علماً بأنه كان يستقي أخباره دائماً من الذين عاينوها وخدموها، ويوقِّعها على أزمنة الملوك والحكام وسجلات الشخصيات المعاصرة، بمعنى أنه كان يوثِّق التاريخ بشهادات ثابتة فوق شهادته هو، رغبة منه لبلوغ اليقين لدى القارىء كغاية يهتم بها أيّما اهتمام: «إذ كان كثيرون قد أخذوا بتأليف قصة في الأمور المتيقنة عندنا، كما سلَّمها إلينا الذين كانوا منذ البدء معاينين وخُدَّاماً للكلمة؛ رأيت أنا أيضاً، إذ قد تتبَّعت كل شيء من الأول بتدقيق، أن أكتب على التوالي...» (لو١ : ١—٣)

ومن حياة بولس الرسول التي نستقيها من رسائله، ندرك أنه قد أوقف هو الآخر كل مواهبه وملكاته على إرساليته التي استغرق في خدمتها استغراقاً، ابتلع كل ما بقي له من عمر بعد أن تعرَّف على المسيح وآمن به. فهو لم ينشغل بتأليف إنجيل كبقية التلاميذ، كما لم يحاول ولا مجرد

---

2. *Oxford Dictionary of Christian Church,* p. 13.

يقول العلامة كنيبير Conybeare أن القديس لوقا كتب إنجيله سنة ٦٠م أثناء ما كان بولس الرسول في سجن قيصرية مدة سنتين، بمساعدة بولس. فكما أن القديس مرقس كتب إنجيله بمساعدة بطرس، هكذا القديس لوقا كتب إنجيله بمساعدة بولس الرسول.

محاولة أن يصيغ مؤلَّفاً يستودع فيه معرفته الجديدة مُنسَّقة ومبوَّبة على مستوى الشرح العقائدي أو اللاهوتي كما فعل الإنجيليون والكتّاب المسيحيون الأوائل، وهو أقدر من يكون على ذلك؛ ولكن على العكس من ذلك، إذ نحن لا نعثر له على شرح معيَّن لسفر من الأسفار. وحتى من جهة تصنيف الشخصيات من الوجهة الكنسية، فإننا لا نعثر له على ما يصوِّره بأنه اللاهوتي المختص بقضايا اللاهوت، لكننا نراه يقتحم كل قضايا اللاهوت في كل رسائله بكل اقتدار. فكل ما كان يعلِّم به، بل كل ما كان يفكر فيه ويردُّ عليه، كان يقيسه على إيمانه بالله والمسيح، بل إن حياته وعمله وتنقلاته كان قد سلَّمها لتدبير النعمة لتكون كلها مثالاً لرجل الإيمان الصحيح، أو حتى لتحاكي المسيح: «كونوا متمثِّلين بي كما أنا أيضاً بالمسيح.» (١كو١١:١)

وقد كانت قناعته أنه مختار ومُفْرَزٌ من البطن (غل١:١٥) للشهادة للمسيح حافزاً له لأن يعتبر المسيح حياته، وأن الموت من أجله ربحٌ (في١:٢١). كما أن ظهور المسيح له من السماء، جعل وجه المسيح ينطبع في قلبه بإشراق نورٍ دائم وهيبٍ لا ينطفىء (٢كو٤:٦)، وقد صاغته النعمة ليكون ما كان (١كو١٥:١٠)، لذلك كان يشعر أنه رسول لا يقل عن فائقي الرسل (٢كو١١:٥)، فقد دعاه الرب من السماء بالاسم لحمل الاسم (غل١:١و١٥).

هذا كله أعلنه بولس الرسول عن نفسه، ليدرك القارىء أنه إن تكلَّم عن المسيح والله، فالمسيح والله هو المتكلِّم فيه: «نسعى كسفراء عن المسيح، كأن الله يعظ بنا» (٢كو٥:٢٠)، «برهان **المسيح المتكلِّم فيَّ.**» (٢كو١٣:٣)

لقد كان بولس الرسول شاهداً ومبشراً، كما تلقَّاها من الله على فم حنانيا: «لأنك ستكون له شاهداً لجميع الناس بما رأيتَ وسمعت.» (أع٢٢:١٥)

«لأن المسيح لم يرسلني لأُعمِّد بل لأُبَشِّر.» (١كو١:١٧)

«لي أنا أصغر جميع القديسين أُعْطِيَتْ هذه النعمة أن أُبشِّر بين الأمم بغنى المسيح الذي لا يُستَقصى.» (أف٣:٨)

وقد التزم **بخطَّة** التبشير هذه واحترمها وقدَّسها تقديساً، فقد سُلِّمت إليه من فم الرب ليملأها في أقل حيِّز ممكن من الاختيار: «فويلٌ لي إنْ كنتُ لا أُبشِّر.» (١كو٩:١٦)

ولكن تبشير بولس الرسول اقتصر على الأمم، وكأنما الله وهب لليهود الأحد عشر رسولاً، وخصَّص للأمم أو بالحري للعالم كله، بولس وحده. وبقدر ما تعثَّر الرسل في خدمتهم لليهود بسبب قساوتهم، انطلق القديس بولس يقدم ذبائح الأمم (رو١٥:١٦) بلا عدد ولا حصر أمام

عرش نعمة المسيح، حتى امتلأ كل البيت حسب إرادة صاحب الوليمة (لو١٤: ٢٣). وفي خمسٍ وعشرين سنة غزا بولس الرسول أعتى إمبراطورية وثنية في العالم وأخضعها لفكر المسيح. وكما كان سيده يجول في مدن اليهودية والجليل يصنع خيراً ويجمع خراف إسرائيل الضالة، أتقن القديس بولس فن الارتحال حول العالم الوثني بأممه وشعوبه، يهدم أنصابَه، ويجمع للمسيح الخراف الأُخَر (يو١٠: ١٦) ليضمَّها للحظيرة تحت لواء الراعي الصالح والوحيد.

ثلاثون عاماً قضاها بولس الرسول في الترحال، يضرب بعصاته فوق الطرق الوعرة، تحت رحمة اللصوص والسيول، ويمخر البحار بسفن الشراع التي طالما تكسَّرت به ليقضي لياليه في العمق. لم يلتقط فيها أنفاسه إلا في السجون تحت المقطرة والقيود.

وهكذا نرى كم كانت إرسالية القديس بولس موسومة بأتعاب تفوق الحصر وتفوق التصوُّر أيضاً، ومنذ أول لحظة حمل فيها نير المسيح! فقد استلم بولس الرسول إرساليته من فم المسيح مختومة بالألم والمعاناة، ليس في تعدُّد أنواعه وحسب، بل وعلى مستوى «الكم»: «سأريه **كم** ينبغي أن يتألم من أجل اسمي.» (أع٩: ١٦)

أما هو فكان يستمرىء هذا العناء المأساوي، بل وتمادى في التغني بشدائده الخاصة حتى إلى الافتخار، بل وكان يطلب منها المزيد. كل ذلك عن ضمير مجروح من جراء ما عذَّب به المسيحيين الذين وقعوا تحت سطوة فرِّيسيته قبل أن يُداهمه الرب في مشواره الأخير إلى دمشق!

أما سِرُّ اعتزازه بآلامه، واحتساب آثار الجروح في جسده ـــ من ضَرْب السياط والعصيِّ، كأنها سمات أو أوسمة للفخر ـــ فهو الصليب. فصليب المسيح كان يسطع في قمة إدراكاته ووعيه (١كو٢: ٢)، حتى قلَبَ له معنى الألم والمعاناة والاضطهادات والمؤذيات، حتى الموت نفسه بكل تهديداته صار عنده مسرَّة وشهوة يشتهيها.

+ «أفرح في آلامي...» (كو١: ٢٤)
+ «لي اشتهاء أن أنطلق، وأكون مع المسيح ذاك أفضل جداً.» (في١: ٢٣)
+ «لي الحياة هي المسيح، **والموت هو ربح**.» (في١: ٢١)
+ «وأما من جهتي، فحاشا لي أن **أفتخر إلا بصليب ربنا يسوع المسيح**، الذي به قد **صُلِبَ العالم لي وأنا للعالم**.» (غل٦: ١٤)
+ «لأعرفه وقوة قيامته **وشركة آلامه، متشبِّهاً بموته**.» (في٣: ١٠)
+ «إني بافتخاركم الذي لي في يسوع المسيح ربنا، **أموت كل يوم**.» (١كو١٥: ٣١)

وهكذا، مع تزاحم الآلام وعناء السفر، والسفر في تلك الأيام كان عناءً في عناء، لم يَبْقَ للقديس بولس فسحة يمارس فيها موهبة التأمل في الإلهيات التي كانت تتأجج فيه كشعلة متّقدة تداعبها الرياح فلا تتركها تهدأ لحظة!

فكان القديس بولس يُطوِّع لَهَب اللاهوت المتأجج في روحه لخدمة الخلاص وإنارة طريق الحياة أمام المؤمنين. فنراه ــ في لاهوته ــ يتألق بالروح إلى آية أو آيتين، يعود بعدها ليستغرق في التطبيق الأخلاقي، فيتحول اللاهوت إلى فضائل، يحثُّ ويعنِّف، يُرغِّب ويحذِّر، لأن عينه كانت مسلَّطة دائماً على تهذيب النفوس التي اؤتمن على خلاصها. فكلما دخل إلى العمق اللاهوتي من أوسع أبوابه، تحسبه قادماً لا محالة إلى بحث خطير، فإذ به يعود ويجرفه الحماس نحو تصحيح الأفكار وتعديل المبادىء عند الكنائس التي كادت ترتد عن الإيمان المستقيم. وهذا بحد ذاته يكشف عن الخط الفكري والروحي الأكثر تملُّكاً على نفسية هذا القديس، فهو معلِّم أخذ فيه روح التهذيب كل مأخذ، واستحوذ عليه روح الخلاص وتحرير عقول وقلوب وأرواح الناس. وإن لَزِمَ اللاهوت، فهو لحساب النفوس المتعبة والثقيلة الأحمال، ليعيد إليها أصالتها وحريتها في الله تحت نير المسيح الهيِّن وحِمْلِه الخفيف.

ولكننا حينما نجمع شوارد لاهوتياته في رسائله معاً، فإننا نكون أمام أضخم مُعْجَم لاهوتي ظهر في حياة الكنيسة كلها. ويكفي أن يعترف أعاظم اللاهوتيين، حتى والنقاد، أن لاهوت القديس بولس قدَّم إيماناً مسيحياً نقيًّا من الخرافات والشوائب، بعيداً عن التأملات المستغرقة فيما وراء الطبيعة، وتركَّز في فتح وعي الإنسان المسيحي لمعرفة ذاته، وكشف حقيقة العالم الذي تحكمه حكمة الله المخفية منذ الدهور، وأعطى أعظم وأجَلَّ صورة عن الله التي استُعلِنَت بكاملها في المسيح: «نتكلم بحكمة الله في سِرٍّ، الحكمة المكتومة التي سبق الله فعيَّنها قبل الدهور لمجدنا، التي لم يعلمها أحد من عظماء هذا الدهر (يقصد الفلاسفة والشعراء وحكماء إسرائيل)... فأعلنه الله لنا نحن بروحه، لأن الروح يفحص كل شيء حتى أعماق الله» (١كو٢: ٧ــ١٠)؛ بل وأرجع معرفتنا لذواتنا لمصدرها الحقيقي، وهي معرفة الله حتى أعماق الله بالروح، لأننا معروفون لله. وقد اعتبر بولس الرسول هذه المعرفة أنها نعمة موهوبة: «لأن مَنْ مِنَ الناس يعرف أمور الإنسان إلا روح الإنسان الذي فيه، هكذا أيضاً أمور الله لا يعرفها أحد إلا روح الله، ونحن لم نأخذ روح العالم (فلسفة اليونان)، بل الروح الذي من الله لنعرف الأشياء الموهوبة لنا من الله.» (١كو٢: ١١و١٢)

ثم استطاع الرسول بولس أن يربط بين معرفة الإنسان لذاته وانفتاحها على معرفة الله مصدرها،

ثم يربطهما بالخضوع والطاعة لله للبلوغ بالإيمان والمحبة إلى واقع وجوديٍّ حيٍّ فعَّال. وهكذا تبقى معرفة الإنسان لذاته مؤمَّنة ــ بالتصاقها بالله، والثقة بالواقع الحي الناجح المسنود بالنعمة ــ ضد زلل الإنسان وراء أوهام العالم وخرافات التعاليم غير المؤسَّسة على الحق الإلهي.

هذا من جهة الفرد، أما من جهة الجماعة فقد شدَّت الكنيسة من أزرهم وربطت أرواحهم، وصهرت أفكارهم وعقائدهم وآمالهم ورجاءهم في الحياة والموت وما بعد الموت؛ فقد استلهم بولس الرسول من المسيح حقيقة الكنيسة كروح يجمع شمل كل روح وكجسد المسيح الذي يجمع المسيحيين ويغرسهم فيه أعضاءً. فانبثقت الكنيسة كذات تحيا وتشعر وتفرح وتتألم ككيان من العالم، وكأمٍّ تجمع أولادها في حضنها، لها فكر المسيح وقوته، ولها صليب المسيح ونعمته، حاضرُها مستقبلٌ دائمٌ، ومستقبلُها حاضرٌ قائمٌ. تعيش الحياة الأبدية كل يوم، وتمارس القيامة في آلامها وموتها، كمن تحيا فوق الموت.

وإنَّ أجلَّ خدمة صنعها القديس بولس لكنيسة المسيح، والتي تذكُرها له بالدموع، أنه عتقها من الناموس. ولكن لا يزال يؤلمنا حقيقة أن لاهوت بولس الرسول لا يزال يحتاج لمن يفهمه ويشرحه!! وبولس الرسول لاهوتي على مستوى رسائل. ورسائل بولس الرسول هي بشارة حارَّة تستمد حرارتها من إيمانِ ويقين كاتبها، يدعِّمها اللاهوت بين السطور كجواهر مرصَّعة.

بولس الرسول كان يكتب رسائله عن اضطرار ــ وفي السجون ــ حينما كانت تجحف به الظروف، ويضنُّ عليه الزمان، فلا يستطيع الحضور بنفسه ليتكلم ويعلِّم. ولكن يا لحُسْنِ هذه الظروف! وجزى الله هاذي الشدائد كل خير! فقد أتحفَتنا برسائل لم تمنَّ علينا السماء بمثلها.

وإن كان قد ذمَّه أهل كورنثوس، بسبب شدة أسلوب رسائله بالنسبة لضعف حضوره: «في الحضرة ذليل بينكم، وأما في الغيبة فمتجاسر عليكم» (٢كو١٠:١)، وعلى حد ترديد قولهم: «الرسائل ثقيلة وقوية؛ وأما حضور الجسد فضعيف، والكلام حقير» (٢كو١٠:١٠)؛ كل هذا يوضح أنه حينما كان يَخْلد بعد عناء السفر إلى رقوقه ليكتب، كان يأتيه الفكر محمولاً على الروح، صافياً كالسماء، عميقاً عُمْق المسيح والله!

ورسائله تحكي لنا وتصوِّر العلائق الحميمة التي كانت تربط هذا المبشِّر بكنائسه، فهي حيَّة تنبض بالحب والحياة، وبالغضب أيضاً والوعيد والتهديد: «مَنْ يضعفُ وأنا لا أضعف؟ مَنْ يعثر وأنا لا ألتهب؟» (٢كو١١:٢٩). وإذ نقرأ نحن هذا أيضاً في رسائله، ندخل خلسة من خلال تدليله لقديسيه ولمحبيه أو تعنيفه للذين صدَّهم العدو عنه بغروره، فنعيش رسائله، بل ونعيش

كنائسه، بل ونعيش أنفاسه ونتحسس دقات قلبه وبديع مشاعره.

والآن وبعد ألفي سنة، وعندما تُقرأ رسائله في الكنيسة، يصمت السامعون لأن بولس يتكلم!! تـأتينا كلماته حيَّة مدوية بنفس بريقها الأول يوم نُطقها، فندخل معه طرفاً في الحوار، نفس الحوار الذي انشغلت به كنائسه في القرن الأول، فالنفس هي النفس وعطشها الآن هو هو كما كان عطشها في ذلك الزمان، والحاجة إلى الروح هي الحاجة دائماً.

رسائل بولس الرسول تُجسِّد الكنيسة الأُولى، وتُحضرها حضوراً أمامنا عَبْرَ هذه الألفي سنة، كواقع حيٍّ ملموس، نُعاشره معاشرة الحيِّ للحي. فعندما يذكر القارىء اسم الكنيسة التي لها الرسالة يحسُّ بحضورها على التو، ماثلة في الذهن بالروح. وإذ نتفحص الحوار، فإذا هو حوارنا، فهو حوار أمْسِنا ويومنا. هكذا تجمع رسائل بولس بين الأجيال وتُجسِّد الكنيسة الأُولى عَبْرَ الزمان، لتعيش الكنيسة الآن عصر بشارتها الأُولى كل يوم.

ورسائل بولس الرسول هي أقدم وثائق مكتوبة بَلَغَتْنا عن مسيحيتنا. فيد بولس أول يد كتبت عن المسيح وللمسيح!!

إمضاء بولس في الرسالة ليس هو الدليل الوحيد على صحة الرسالة، فرسائله تحمل روحه وأنفاسه ولغته، بل وقسمات وجهه مع أنينه ومرضه، وما أقل ابتساماته.

رسائل بولس الرسول فريدة بين الرسائل والأسفار قديمها وحديثها، فهي تحدد معالم إيمان الكنيسة الأُولى، ليس بالكلمات وحسب؛ بل إنها بالحرارة والغيرة والرهبة، مع جسامة الخدمة ومسئولية الكرازة، تكشف لنا إلى أي مدى بلغ المسيحيون الأوائل من فهم دقائق الإيمان، ومواضيع الخلاص. ويكفي إلقاء نظرة على الرسالة إلى أهل رومية أو إلى كورنثوس أو أفسس أو كولوسي، لندرك ما بَلَغَتْه هذه الكنائس من إدراك لسر الإيمان والخلاص والتبرير والفداء، كل ذلك لمدح مجد المسيح والله، وكيف قبلوا، بل وفرحوا في آلامهم، لتحلَّ عليهم قوة المسيح، وكيف استساغوا أن يكونوا شركاءَ لآلام المسيح ليكونوا شركاء مجده.

ثم تكشف لنا رسائله مدى عُتُوِّ عناصر المقاومة، اليهودية تارة، والوثنية تارة أخرى، وأصحاب العلم الكاذب (الغنوسيين) تارة أخرى، وكيف اجتثَّ بولس هذه الحركات العاتية شرقاً وغرباً. والتاريخ يشهد له كيف أخذ أصواتها جميعاً، وليس عن قدرة علمية أو فلسفية حارب بولس الرسول هذه الحركات والفلسفات والبِدَع فأسكتها، فعلامات الروح والنعمة والإلهام قائمة في رسائله ناطقة

تشهد لكاتبها ولموضعه الأثيل (*) عند المسيح.

وأنت لا تعثر في رسائل بولس الرسول على فلسفات فارغة، أو تأملات ناعسة، تفحص فيما وراء الطبيعة، أو نظريات يعوزها الواقع العملي؛ بل إن كلمات بولس الرسول تتخذ من أذن السامع نصيراً لصدق دعواها، ومن ضميره شهادة على إصابة مرماها، وإن خضوع الملايين التائبين على هداها هو بحد ذاته شهادة للروح القدس الذي أمْسَكَ بروح بولس وفكره وأملاها!!

لقد افتتح بولس الرسول برسائله منبراً جديداً وسط الأسفار، فهو الذي رفع الرسالة إلى مستوى السِّفْر، قداسة وهيبة وتعليماً ونوراً وخلاصاً. فكل رسالة هي بحد ذاتها سِفْرٌ، ورسائله حتى اليوم تتداولها كافة كنائس العالم، وكأنها نبيٌّ متجول أو مُبشِّر لا يَسَعْه مكان، فالرسول بولس معشوقٌ عند الذين يقرأونه وعند الذين يسمعونه، سواءً بسواء. وما ذلك إلا لأن الرسول بولس أرادها، وأرادها له الله أن تعوِّض عن حضوره، فصارت رسائله حضرة له دائمة، تخطَّت حدود زمانه، وتحدَّت انقطاع صوته ومماته. فبولس الرسول حاضِرٌ برسائله أينما قُرِئَتْ، حيٌّ يُطاع، فصارت وسيلة فعَّالة للكرازة لم يستطع أن يحاكيها على مدى الدهر مُحاكٍ!

والرسالة عند بولس تحمل كل سمات الرسالة العادية، من بادئة يُذْكر فيها اسمه، ثم يُقرىء فيها السلام ويُهْديه من لَدُن الله والمسيح والروح لأحبائه والمؤمنين، ويختمها بالدعاء، ثم يستودعهم دائماً أبداً نعمة المسيح.

ولكن الذي يرفع رسائل بولس الرسول فوق كل رسالة وسِفْر كُتِبَ في القديم أو في الحديث، هو أنها تحمل أعمال المبشِّر بكل أسرارها ومقوِّماتها: فسَدَاةُ الرسالة نصائح ووصايا ولاهوت، ولُحْمَتُها عَرَقُ الخدمة ودموعها مع مسرَّات وأفراح، يتخللها ضرب العِصيِّ وجَلْد السياط، مع أهوال في البحر ومخاطر، والزجُّ في غياهب السجون في قيود ومقاطر، ثم تنقشع الغيوم عن نجاة وشكر، ثم مرة أخرى مزيد من الأسفار، وهكذا من مدينة إلى أخرى ومن رسالة إلى رسالة، إلى أن أكمَلَ السعي تحت سيف نيرون.

فلغة بولس في الرسالة روح وعمل معاً، ليس من السهل العبور عليها من آية إلى آية دون أن تصيب ضمير القارىء في موضع موجع، فهو مبشِّر يستصرخ الضمير، و يستنفر الإرادة ليوقع فريسته في دائرة التوبة. والتوبة عند بولس الرسول تغييرٌ من الأساس، يحفر ويعمِّق ليُرْسِي الحياة الأبدية

(*) الأثيل يعني الممتاز والأقرب.

على تَبْيعٍ كاملٍ للدنيا، على صَلْبِ العالم للنفس، فلا يعود شيء منه يستهويها، وعلى صَلْبِ النفس للعالم فلا تعود النفس تصلح لِلَهْو العالم أو لمجده الكاذب.

والكلمات أحياناً كالحراب المصوَّبة، من الصعب جداً تحاشي مرماها، لأن الروح هو الذي يصوِّبها ويدفعها. فالكلمة عند بولس الرسول مسنونة بروح الله، تنفذ إلى مفارق النفس والروح حتى إلى مخاخ العظام، تكشف وتُعرِّي وتبكِّت ثم تضمِّد.

وبولس الرسول لا يكتب الرسالة بفكرٍ يستعيره من خارج نفسه، بل يكتب فيصف نفسه وما يدور في قلبه وروحه دون أن يدري، فتسمع منه صوت ضميره؛ وتحس بخلجاتِ نفسه، فتستشعر حزنه وفرحه ويأسه وأمله وغضبه ورضاه. ولكن من العسير كل العسر أن تقع العين أو الأذن على كلمة لا تسندها النعمة.

والرسول بولس يكتب وعينه على القارىء والسامع، يصوِّب نحوه الكلمات ويحدد المعاني والآيات. فهو لا يستغرق في الكتابة عندما يستهويه الحديث عن اللاهوت، أو يأخذه الحماس للوعظ أو ينزلق وراء التفسير أو التأويل بل يختار ويختار، ويمزج هذا بذاك، وهو يحاصر القارىء والسامع من كل الجهات ليبلغ به إلى الغاية التي بلغها هو، ويستعلن بالروح ما استعلنه!

وبولس الرسول يحذِّر من الرَّجْعَة إلى القديم الذي عَتَقَ وشاخ، والذي كاد يودي بحياته هو، ويستجلي الجديد في نور المسيح الذي بهر ناظرَيْه حتى أعماها من فرط لمعانه. فهو يقدم خبرات إيمانه الثمين كميراث لحكيم يود أن يورِّث بنيه أعزَّ ما يملك، فيحكي كيف باع وفرَّط في كل ما كان له، وحَسِبَ أن كل ما باعه كان تلفاً وخسارة، ذلك ليشتري فضل معرفة المسيح الذي حَسِبَه الربح كل الربح، وكان غاية مُناه أن يوجد فيه!

بولس الرسول جذوة من نار اختطفها المسيح من فوق طريق دمشق ليشعل بها قلوب العالمين: «إله آبائنا انتخبك لتَعْلَم مشيئته، وتُبصر البار، وتسمع صوتاً من فمه، لأنك ستكون له شاهداً لجميع الناس بما رأيت وسمعت» (أع٢٢: ١٤و١٥). «لأن هذا لي إناء مختار ليحمل اسمي أمام أمم وملوك وبني إسرائيل.» (أع٩: ١٥)

لقد اختصَّه المسيح بمسحة النعمة أكثر من رفقائه، فظلَّ يكرز بها طول حياته، كرسول تخصص لنعمة المسيح المجانية، حتى دمغ العهد الجديد كله بختم النعمة، وجمع كل الخلاص بين دفَّتيها: «لأنكم بالنعمة مخلَّصون» (أف٢: ٨). فبولس الرسول أول من جَمَع البر كله في الله بالمسيح، **فالله وحده** هو البارُّ الذي يعطي برَّه فيبرِّر من يشاء، جمع كل أعمال الله وعطاياه تحت النعمة،

فبالنعمة وحدها ــ في المسيح ــ تُنال كل عطايا الله. فليس من قال قط إن « الله يبرِّر الفاجر » إلا بولس الرسول (رو٤: ٥)، برغم ما قاله الله نفسه في سفر الخروج: «لأني لا أُبرِّر المذنب.» (خر٢٣: ٧)

المسيح ارتضى بالمحبة أن تكون هي الوصية الأُولى والعظمى في الناموس؛ فجاء بولس الرسول ليجعل المحبة هي تكميل الناموس (رو١٣: ١٠)!

المسيح جاء ليلقي ناراً على أرض الإنسان، وبولس الرسول حملها بين ضلوعه: «مَنْ يضعُف وأنا لا أضعف. من يعثر وأنا لا **ألتهب**.» (٢كو١١: ٢٩)

المسيح تخلَّى عن مجده الإلهي ليظهر في صورة إنسان بلا جمال نشتهيه، وبولس الرسول تخلَّى عن مجد فرِّيسيته ليظهر في الصورة كأممي بلا ناموس.

المسيح حمل خطايا العالم، وبولس الرسول حمل همَّ أمم العالم الوثنية. ولسان حال بولس تجاه الأمم كان على مستوى ما قاله المسيح بالنسبة لزكا العشار الخاطىء: «اليوم حصل خلاصٌ لهذا البيت، إذ هو أيضاً ابن إبراهيم» (لو١٩: ٩)؛ وبولس وقف على مشارف الأمم وقال اليوم حصل خلاص لكل الأمم إذ بالإيمان هم أولاد إبراهيم حسب الوعد أيضاً.

المسيح بحسب نبوة سمعان الشيخ: «ها إن هذا قد وُضع لسقوط وقيام كثيرين في إسرائيل ولعلامةٍ تُقاوَم» (لو٢: ٣٤)؛ وبولس الرسول ليس من بين جميع الرسل وخدَّام المسيح قاطبة من صار مثله سبباً في سقوط إسرائيل وناموسها وقيام الكثيرين في إسرائيل الجديدة ونورها، وكان أكثر من تقبَّل أعنف مقاومة من بني جنسه ومن الأمم ومن الشيطان نفسه.

المسيح تألم بالجسد؛ وبولس الرسول كمَّل نقائص شدائد المسيح في جسده.

المسيح مات مرة فأمات الموت؛ وبولس الرسول بميتات كثيرة أكمل حياته في المسيح.

المسيح بالنهاية رُفع في مجد؛ وبولس الرسول أخيراً وُضع له إكليل البر.

ولا يُغالي بولس الرسول حينما يرى أن إرساليته للأمم هي على التوازي ــ وإن لم تكن على التساوي ــ مع إرسالية موسى بالنسبة لشعب إسرائيل، فإن كان موسى قد استقبل الناموس القديم من فم الله مباشرة دون وسيط مسجَّلاً على لوحي حجر؛ فالرسول بولس بالمقابل استقبل الإنجيل من فم المسيح مباشرة ودون وسيط مسجلاً على صفحات قلبه ومنقوشاً في وعيه المسيحي. اسمعه وهو يقرر ذلك: «أفنبتدىء نمدحُ أنفسنا؟ ... أنتم رسالتنا مكتوبة في قلوبنا، معروفة ومقروءة من

جميع الناس، ظاهرين أنكم رسالة المسيح مخدومة منا، مكتوبة لا بحبر بل بروح الله الحي، **لا في ألواح حجرية**، بل في ألواح قلب لحمية» (٢كو٣: ١-٣). وإن كان نور وجه الله قد انطبع على وجه موسى الزائل فالتجأ إلى البُرقع ليستر نوره عن أعين الشعب، فبولس انطبع نور وجه المسيح في قلبه لإنارة معرفة مجد الله، فانكشف له سر الله المكنون منذ الأزل.

وإنه وإن لم يصرِّح بولس أنه قام بالفعل بعملية خروج عظمى للأمم من عبودية الخطية وسُخْرة الشيطان على مستوى خروج إسرائيل بيد موسى من عبودية فرعون، إلا أنه سجَّل كل مفرداتها. وقد ألمح المسيح نفسه إلى هذا الخروج عينه كمهمة عظمى ألقاها على كتفيه حينما قال: «قد أقمتُكَ نوراً للأمم **لتكون أنت خلاصاً إلى أقصى الأرض**» (أع١٣: ٤٧). «قم وقِفْ على رجليك (اصعد إلى الجبل)، لأني لهذا ظهرت لك لأنتخبك خادماً وشاهداً بما رأيت، وبما سأظهر لك به مُنقذاً إياك من الشعب (فرعون) ومن الأمم الذين أنا الآن أُرسلك إليهم لتفتح عيونهم، كي يرجعوا من ظلماتٍ إلى نور، ومن سلطان الشيطان (سُخرة فرعون مصر) إلى الله، حتى ينالوا بالإيمان بي غفران الخطايا ونصيباً (في كنعان) مع المقدَّسين» (أع٢٦: ١٦-١٨). والفصح هو الفصح، هناك خروف وهنا ابن الله: «لأن فصحنا أيضاً المسيح قد ذُبح لأجلنا.» (١كو٥: ٧)

وإن كان موسى قد تهذَّب بكل حكمة المصريين، فبولس الرسول تربَّى عند رجلي غمَالائيل أعظم حكماء إسرائيل. وكما ابتدأت قصة موسى بقتل المصري؛ ابتدأت قصة بولس بقتل إستفانوس. وكما تغرَّب موسى أربعين سنة في سيناء العربية قبل أن يبدأ خدمته؛ تغرَّب بولس الرسول ثلاث سنوات وفي العربية أيضاً قبل أن يبدأ مناداته بالإنجيل. وكما أنه بموسى ابتدأ ناموس العهد القديم؛ كذلك يرى بولس في نفسه كفاية لخدمة ناموس المسيح وللعهد الجديد: «الذي جعلنا **كُفاة** لأن نكون **خُدَّام عهد جديد**» (٢كو٣: ٦). «نسعى **كسفراء عن المسيح** كأن الله يعظ بنا. نطلب عن المسيح تصالحوا مع الله!» (٢كو٥: ٢٠)

وليس ذلك فقط بل بشيء من العمق والمتابعة نرى كل مصطلحات القديس بولس اللاهوتية موقَّعة على خلفية الخروج؛ فنسمع عن الفداء والحرية والتبني والميراث والراحة. فخروف «**الفصح**» الأول كان الذبيحة التي افتُدي بها شعب إسرائيل من حكم الهلاك الصادر على أبكار مصر، وكان «**دم**» الفصح وسيلة العبور التي يراها ملاك الهلاك فيجتاز، وبالفصح صار «**الفداء**» وصار شعب إسرائيل الشعب «**المُفْتَدى**»، وبالفداء ثم الخروج تَمَّ «**التحرُّر**» من «**العبودية**» والسُّخرة المُرَّة، ونال الشعب لأول مرة «**حريته**»، ونال شرف «**تبنِّي**» الله له، وأخذ «**الوعد بالراحة**» في «**ميراث**» أرض كنعان. وباختصار، كانت عملية الخروج تملأ

وجدان القديس بولس وروحه وكل تأملاته وحتى لغته، وعلى هذا الأساس وقَّع كل دائرة لاهوته على هذه الخلفية الحية في قلبه فكشف جوهر الرمز. فلولا بولس ولاهوته وسفر العبرانيين المنسوب إليه فكراً وروحاً، لظلَّ العهد القديم قصة تُحكى ورمزاً يحتاج إلى مفسِّر، ولكن بسبب صدق رؤية بولس المسنودة بالروح، وقوة وحرارة النعمة المتدفقة في قلبه وتجلِّي المسيح أمام عينيه على الصليب كذبيحة الفصح الحقيقي، جاءت تعابيره اللاهوتية عن الخروج المسيحي بقوة وأصالة وعمق روحي أزاح صورة الخروج العبراني الأول من ذهننا وأرغم الفصح الأول على الدخول إلى الظل محبوساً في دائرة التاريخ القديم وحسب، فاستظهر المسيح على يدي بولس على كل أسفار العهد القديم، كنور بعد ظلال، واستُعلن كحقيقة، وكسماء، بعد أشباهٍ وأشباح.

على أن مجمل نظرتنا للقديس بولس في استخداماته العديدة للعهد القديم بكل صوره، نستطيع أن نركِّزها فيما قاله: «فأحيا لا أنا بل المسيح يحيا فيَّ» (غل ٢: ٢٠). فالقديس بولس هنا يفنى في المسيح، على أنه كان بذلك يعبِّر في حقيقة الأمر عن بلوغ اليهودية فيه إلى نقصانها بل اضمحلالها، بنفس ما بلغته اليهودية في المعمدان عندما قال: «ينبغي أن ذلك يزيد وأني أنا أنقص» (يو ٣: ٣٠). لقد توَّج القديس بولس كل إلهامات العهد القديم وكل ما تحصَّل عليه ــ كفرِّيسي ــ من علوم التوراة وإلهاماتها، عندما وضعها جميعاً تحت رِجلَيْ المسيح المصلوب لتأخذ معناها النهائي.

لقد أخرج القديس بولس إلى النور أعظم أسرار الله، التي كانت مخفية منذ الدهور في ضباب رؤى الأنبياء وما هو شبه السماويات وفي ظلِّها كأشباح، التي كانت في أعظم وأجمل أشكالها ألغازاً، ابتداءً من خروف الفصح، وخروج شعب من عبودية، وعبوره بحر الموت على القدمين، ومسيرة تيه تحت السحابتين الواحدة للظل بالنهار والأخرى للنور بالليل، وصخرة تتابعهم تسقيهم من بطنها، وخيمة من جلود وذبائح وبخور! فمرَّة واحدة يرفع الرسول بولس الستار لنرى في هذه الرواية المحبوكة: المسيح فصحنا مذبوحاً، وخروجنا العتيد من عبودية الشيطان وسُخرة الخطية، وانقضاء ليل الخطية وظلامها، والعماد لموت المسيح، والدخول في نور قيامته الحقيقي والارتحال تحت قيادة الروح في الكنيسة سفينة النجاة لنوح الجديد عبر بيداء العالم في نور المسيح وظل نعمته نحو الوطن الدائم والأبدي والميراث المعد. وانكشف سر الله على يدي بولس أن عبور اليهود لم يكن سوى إرهاصة في لغز لسر المسيح على مستوى التاريخ، تمهِّد لعبور أمم العالم أجمع للدخول إلى الراحة العليا ومجد السماوات العلا، واستعلان المسيح فصحاً مذبوحاً وقائماً حياً للعالم كله خلاصاً علنياً إلى أقصى الأرض. ولبولس الرسول أُعلنت أعماق السر المخفى منذ الدهور أن مسيَّا أمل اليهود لم يكن إلا المسيح رجاء الأمم، وأن الأمم شركاء بامتياز الإيمان الذي طهَّر قلوبهم، شركاء في العهد

والوعد والميراث والجسد!!

وإن كان القديس بولس يؤكد أنه لم يستلم إنجيله من إنسان ولا عُلِّمه من أحد وإنما كان ذلك بإعلان؛ لكنه يؤكد أيضاً أنه عرضه على الرسل القديسين أعمدة الكنيسة الذين كانوا قبله في الإيمان، فاستحسنوه وأعطوه يمين الشركة، وهكذا يؤكد الرسول بولس أنه خدم وبشَّر بالإنجيل الواحد، إنجيل الرسل. والرسولية عنده هي أساس الكنيسة، المسيح فيها حجر الزاوية! كما أنه استلم من الرسل مجموعة أقوال المسيح وتعاليمه التي وضعها عنده كالأساس، يُخرجُها من كنز قلبه جُدداً وعتقاء: «فإنني سلَّمتُ إليكم في الأول ما قَبِلتُه أنا أيضاً، أن المسيح مات من أجل خطايانا حسب الكتب...» (١كو١٥: ٣)، والمفسِّر المدقق ينتهي إلى أن بولس الرسول فسَّر وشرح الإنجيل بنفس منهج الرسل، والكل كان بالروح الواحد، والمشورة كلها هي مشورة الله: «لأني لم أؤخِّر أن أخبركم بكل مشورة الله.» (أع ٢٠: ٢٧)

وهكذا سلَّم بولس الرسول كنيسة الأمم سِرَّ الإنجيل كما استلم، واستودعها كل كنوز الروح لتكرز بالمسيح جهاراً ولكل العالم، ليس في الأرض وحدها بل وفي السموات العُلا: «لي أنا أصغر جميع القديسين أُعطِيَتْ هذه النعمة، أن **أُبشِّر بين الأمم بغنى المسيح الذي لا يُستقصى، وأُنير الجميع في ما هو شركة السرِّ المكتوم** منذ الدهور في الله، خالق الجميع بيسوع المسيح، **لكي يُعرَّف الآن عند الرؤساء والسلاطين في السماويات بواسطة الكنيسة** بحكمة الله المتنوعة حسب قصد الدهور الذي صنعه في المسيح يسوع ربنا.» (أف٣: ٨-١١)

والكنيسة حتى اليوم لم تستوعب بعد كل هذه المرتفعات التي حلَّق فيها بولس الرسول وصوَّرها واستودعها رسائله، ليس لضعف الفكر فيها بل بسبب العمق الذي فيه. ونحن قعدنا عن الغَوْص وراء لآلئه، وطال قعودنا، واكتفينا بما تلقيه أمواج بحره الذاخر على شواطىء أفكارنا الضحلة. فأعماق بولس الرسول تحتاج إلى سبَّاح أعماق، والمتعرِّض لحياته يحتاج لحياة كحياته التي مزج فيها **النسك التَّقوي**: «أقمعُ جسدي وأستعبده» (١كو٩: ٢٧)، **بالروح النبويّ**: «لأن الروح يفحص كل شيء حتى أعماق الله» (١كو٢: ١٠). فطار وحلَّق في الإعلانات والرؤى، وكأن مراعي بولس كانت على قمم جبال الله، هناك فوق الآكام الدهرية التي دَعَى بها يعقوب ليوسف نذير إخوته (تك٤٩: ٢٦)، فأصبح الذي يريد أن يتعلَّم على رسائل بولس، عليه أن يتدرَّب كيف يتسلق جبال إنجيل الله ومرتفعات مواعيده، ولا يكتفي بالانبطاح على سهول الأسفار: «كلِّمونا بالناعمات» (إش٣٠: ١٠). فالذين تسلقوا مرتفعات بولس الرسول امتلأوا بملء الله، فاستوْمنوا على منابر القيادة، وهزُّوا قلوباً، وأناروا شعوباً، وغزوا مدناً، وأيقظوا العالم من رقاد.

وإن كان القديس أغسطينوس[3] قد قاد الكنيسة إلى نهضة لاهوتية، مع معرفة وتصوُّف وعشْق إلهي بقيت كلها تجلجل في عالم الغرب حتى بكور العصر الحديث، فإن القديس بولس الرسول هو الذي ولد أغسطينوس برسائله، وصاغ بحكمته روحه ليكون فيلسوف المسيحية من بعده. ثم إن القديس أغسطينوس هو الذي فتح باب الغرب المسيحي بالتالي على بولس الرسول، فتوالت من بعده النهضات ولم تَكُفّ.

أما الشرق الذي لم يحظَ بخدمة بولس الرسول، إذ للأسف لم تمتد أسفار بولس وخدمته نحو الجنوب قط، فكان أن تأخر الشرق كله عن الانفتاح على رسائله، وظلَّ الأخذ منها وشرحها في الشرق بتقتير، وربما ذلك أيضاً بسبب العراك اللاهوتي مع الهراطقة الذي استبدَّ بكنيسة الشرق، فأشغلها عن بولس الرسول، عندما كرَّست كل مواهبها للدفاع عن لاهوت ابن الله وذلك على مدى خمسة قرون طوال، وإن كانت قد خرجت منها منتصرة ولكن منهوكة القوى.

لذلك لم تشرق علينا نحن بني المشرق رسائل بولس الرسول ذات البريق الرسولي المنبعث من المسيح إلا بعد أن وضعت الكنيسة أقدامها في ميدان الخدمة والوعظ؛ فانفتحت على رسائله أيَّما انفتاح، وفاقت الغرب في تقييمها لبولس وحبِّها له. فاكتشفت أسرارها في رسائله ككنوز مكنونة: فليس مثل بولس تحسُّه في معموديتها، كما انطبعت إفخارستيته على روح الكنيسة وفمها، والزواج ارتفع سرُّه فيها على مستوى سِرِّ بولس من جهة المسيح والكنيسة، واقتفت الكنيسة خطوات بولس في الرسامات والدرجات.

وإن كان ليس مثل القديس بولس مَنْ ارتفع وحلَّق بالرؤى والإعلانات، فليس مثله مَنْ ربط بطنه بالجوع والعطش وقمع الشهوات، وهكذا مزج مجد الروح العالي بمجد النسك المتفاني، كما

---

(٣) كان ذلك في صيف سنة ٣٨٦، وأغسطينوس ابن الاثنين والثلاثين سنة جالساً يبكي في حديقة صديقه أليبيوس **Alypius** في مدينة ميلان بإيطاليا. كان أغسطينوس يعمل آنئذ أستاذ البلاغة في تلك المدينة، وكانت له كل أسباب القناعة والرضى بأستاذيته الجليلة الشأن. ولكن ما كان أبعد القناعة والرضى عن قلبه وضميره، كان يجاهد في داخله محاولاً أن يبدأ حياة جديدة يرضى عنها ضميره، ولكن كان يعوزه العزيمة وقد خانته قدرته أن يكسر قيود الخطية ليتخلص من ماضيه. وبينما هو جالس هكذا يبكي، سمع ولداً صغيراً يصيح مغنياً ولعلَّه كان يردد وصية أمه **Tolle lege Tolle lege** (أي: خُذْ واقرأ، خذ واقرأ). فأخذ يتحسس حوله، فوجد نسخة من مقتنيات صديقه ملفوفة كدَرْج، أخذها وفردها، وإذا هي رسائل بولس الرسول، وفي الحال وقعت عيناه على ختام الأصحاح الثالث عشر من الرسالة إلى رومية والعدد الثالث عشر أيضاً: «لنسلك بلياقة كما في النهار لا بالبَطَرِ (عربدة) **κώμοις** والسُّكر، لا بالمضاجع (الدعارة) **κοίταις** والعهر، لا بالخصام والحسد؛ بل البسوا الرب يسوع المسيح ولا تصنعوا تدبيراً للجسد لأجل الشهوات» وقال أغسطينوس: [فلم أستزِدْ على هذه الكلمات كلمة ولا احتجت أيضاً إلى المزيد؛ بل في الحال وبنهاية الآية هذه، غمر قلبي نور وضَّاء، فانقشعت عني ظلمة الشكوك.] (اعترافات أغسطينوس ٨: ٢٩).

استقت كنيسة الشرق من منابع تأمله الكثير وتفنَّنت في أساليب نسكه بغير حدود.

وأنت إن رأيت كنيسة مصر والتقليد فيها يزاحم الإنجيل سواء في المجال الليتورجي أو التدبير النسكي أو الدستور الأخلاقي أو تعاليم المبتدئين، فهذا كله هو بعينه تعاليم الرسل مضافاً إليها إنجيل بولس غير المكتوب الذي استلمته الكنيسة بالتعاليم السرية(٤): «وأما الأمور الباقية فعندما أجيء أرتبها» (١كو١١: ٣٤)(٥)، هذه التعاليم التي انتقلت من فم لفم ومن يد ليد عَبْر الدهور.

فإن كانت كنيسة الغرب قد عاش فيها بولس الرسول على منابر الوعظ مسموعاً يهز العقول والعروش، فهو يعيش عندنا بروحه في الليتورجيا والنسك واللاهوت يهزُّ بكلماته القلوب والأرواح.

4. Disciplina arcani.

(٥) أنظر كتاب: «التقليد وأهميته في الإيمان المسيحي»، للأب متى المسكين، طبعة ١٩٧٨، وعلى الخصوص ص ٢٢ وما يليها.

الجزء الأول : القديس بولس
حياته وصفاته ومنهجه العام

الباب الأَول

حياة القديس بولس الأُولى ودخوله الإيمان

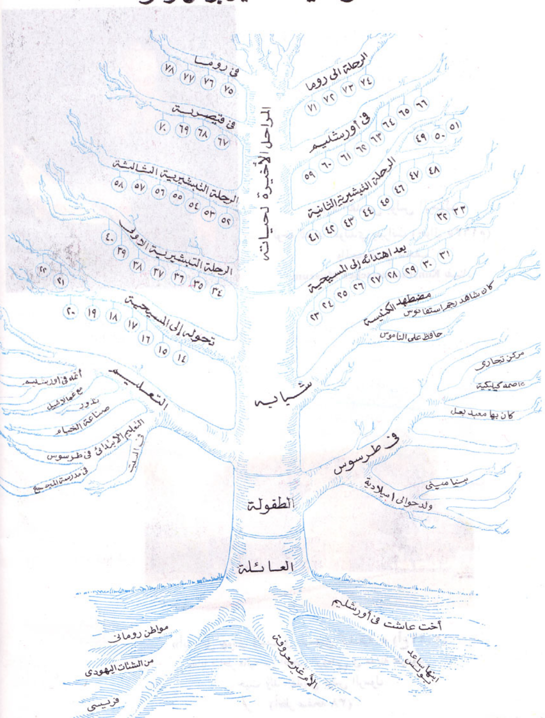


صورة القديس بولس الرسول
لوحة للفنان الهولندي رمبرانت (حوالي ١٦٣٥م)
والمحفوظة في متحف
Kunsthistorisches Museum بفيينا.



«أنا رجل يهودي وُلدت في طرسوس كيليكية.» (أع٢٢: ٣)
بقايا قناطر مائية من العصر الروماني في مدينة طرسوس
حيث وُلد القديس بولس الرسول
(أنظر صفحة ٣٨)

شجرة حياة القديس بولس الرسول



توضيح لشجرة حياة القديس بولس

الشجرة توضح للناظر إليها الخط العام لحياة القديس بولس. وتوضح صِلاته العائلية، ومراحل تطور حياته. وبتتبُّع الأرقام، مبتدءاً من جذر الشجرة ثم الفروع ثم الدوائر (التي تمثل الثمار)، يحصل القارىء على سجل مرتب لحياة القديس بولس. الأرقام الموجودة في الشجرة متطابقة مع الموجودة في الجدول المقابل لها.

جدول (مفتاح) لشجرة حياة بولس الرسول

النصوص معظمها من سفر الأعمال

I. العائلة:

١ ـ الأب ـ فريسي.

٢ ـ فريسي ـ أع ٢٣: ٦.

٣ ـ مواطن روماني ـ أع ٢٢: ٢٥ ـ ٢٨.

٤ ـ الأم ـ غير معروفة.

٥ ـ أخت تعيش في أورشليم ـ أع ٢٣: ١٦.

٦ ـ ابنها ساعد بولس الرسول ـ أع ٢٣: ١٦.

II. الطفولة:

٧ ـ بنياميني.

٨ ـ ولد في طرسوس ـ أع ٢٢: ٣.

III. التعليم:

٩ ـ تعلَّم عمل الخيام ـ أع ١٨: ٣.

١٠ ـ درس على يد غمالائيل ـ أع ٢٢: ٣.

IV. شبابه:

١١ ـ مضطهد الكنيسة ـ أع ٩: ١ ـ ٣؛ ٢٢: ٤.

١٢ ـ كان شاهداً رجم إستفانوس ـ أع ٧: ٥٨.

١٣ ـ حافظ على الناموس ـ أع ٢٦: ٥.

V. تحوُّله إلى المسيحية:

١٤ ـ على طريق دمشق ـ أع ٩: ٣.

١٥ ـ رأى نوراً عظيماً ـ أع ٢٢: ٦.

١٦ ـ أصيب بالعمى ـ أع ٩: ٨.

١٧ ـ توبيخ المسيح له ـ أع ٢٢: ٧و٨.

١٨ ـ رد شاول ـ أع ٩: ٦.

١٩ ـ اقتيد إلى دمشق ـ أع ٢٢: ١١.

٢٠ ـ صام وصلى ـ أع ٩: ٩ ـ ١١.

٢١ ـ أرسل أنانياس إليه ـ أع ٩: ١١و١٢.

٢٢ ـ تعمَّد ـ أع ٩: ١٨.

VI. بعد اهتدائه إلى المسيحية:

٢٣ ـ بشَّر في دمشق ـ أع ٩: ٢٠.

٢٤ ـ ذهب إلى العربية ـ غل ١: ١٧.

٢٥ ـ عاد إلى دمشق ـ غل ١: ١٨.

٢٦ ـ زار أورشليم ـ غل ١: ١٨.

٢٧ ـ مشكوك فيه من الكنيسة ـ أع ٩: ٢١.

٢٨ ـ صديق لبرنابا ـ أع ٩: ٢٧.

٢٩ ـ اليهود يضطهدونه ـ أع ٩: ٢٩.

٣٠ ـ يغادرها بناء على رؤيا ـ أع ٢٢: ١٧و١٨.

٣١ ـ يذهب إلى طرسوس ـ أع ٩: ٣٠.

٣٢ ـ يحضره برنابا إلى أنطاكية ـ أع ١١: ٢٥و٢٦.

٣٣ ـ يعمل في أنطاكية ـ أع ١١: ٢٦.

VII. الرحلة التبشيرية الأولى:

٣٤ ـ العمل في قبرص:

سلاميس أع ١٣: ٥

بافوس أع ١٣: ٨ ـ ١١

إيمان الوالي أع ١٣: ١٢

تغيير الاسم أع ١٣: ٩و١٣

٣٥ ـ في بَرْجَة بمفيلية ـ يوحنا مرقس يعود إلى أورشليم ـ أع ١٣: ١٣.

٣٦ ـ يعظ في أنطاكية ـ أع ١٣: ١٤ ـ ٤١.

٣٧ ـ في إيقونية ـ أع ١٣: ٥١.

٣٨ ـ في لسترة ـ رَجْم ق. بولس ـ أع ١٤: ١٨ ـ ١٩.

٣٩ ـ في دَرْبَة ـ آخر مدينة يزورها ـ أع ١٤: ٢٠.

٤٠ ـ رحلة العودة ـ أع ١٤: ٢١ ـ ٢٦.

VIII. الرحلة التبشيرية الثانية:

٤١ ـ في سورية كيليكية ـ أع ١٥: ٤١.

٤٢ ـ لسترة ـ تيموثاوس ينضم إلى الرفقة ـ أع ١٦: ١ ـ ٣.

٤٣ ــ في فريجية وغلاطية ــ أع ١٦ : ٦.
٤٤ ــ الرؤيا في ترواس ــ أع ١٦ : ٩.
٤٥ ــ في فيلبي ــ اهتداء ليديا وحافظ السجن إلى الإيمان ــ أع ١٦ : ١٣ ــ ٣٤.
٤٦ ــ تأسيس كنيسة تسالونيكي ــ أع ١٧ : ٤.
٤٧ ــ تلاميذ مدرسة بيرية يتعلمون الإنجيل ــ أع ١٧ : ١١ و١٢.
٤٨ ــ أثينا ــ العظة على أريوس باغوس ــ أع ١٧ : ١٦ ــ ٣٣.
٤٩ ــ الرؤيا في كورنثوس وتأسيس الكنيسة هناك ــ أع ١٨ : ١ ــ ١٨.
٥٠ ــ زيارة قصيرة إلى أفسس ــ أع ١٨ : ١٩ و٢٠.
٥١ ــ العودة إلى أنطاكية ــ أع ١٨ : ٢٢.

IX. الرحلة التبشيرية الثالثة:
٥٢ ــ يزور غلاطية وفريجية ــ أع ١٨ : ٢٣.
٥٣ ــ مكث في أفسس سنتين ونصف. ثورة الصناع وحرق الكتب ــ أع ١٩.
٥٤ ــ في مكدونية وهلاَّس (اليونان) ــ أع ٢٠ : ١ و٢.
٥٥ ــ العظة في ترواس ــ أع ٢٠ : ٦ ــ ١٢.
٥٦ ــ وداع قسوس كنيسة أفسس ــ أع ٢٠ : ١٧ ــ ٣٥.
٥٧ ــ في صور ــ أع ٢١ : ١ ــ ٤.
٥٨ ــ في قيصرية ــ أع ٢١ : ٨.

X. في أورشليم:
٥٩ ــ استقباله بواسطة الكنيسة ــ أع ٢١ : ١٧.
٦٠ ــ اليهود يقبضون عليه ــ أع ٢١ : ٢٧.
٦١ ــ دفاعه الأول ــ ٢٢ : ١ ــ ٢١.
٦٢ ــ الرومان يقبضون عليه ــ أع ٢٢ : ٢٤ ــ ٢٩.
٦٣ ــ دفاعه أمام المجمع اليهودي ــ أع ٢٣ : ١ ــ ١٠.
٦٤ ــ رؤيا الليل ــ أع ٢٣ : ١١.
٦٥ ــ مؤامرة اليهود ــ أع ٢٣ : ١٢.
٦٦ ــ إرساله إلى قيصرية ــ أع ٢٣ : ٢٣ ــ ٣٣.

XI. في قيصرية:
٦٧ ــ الدفاع أمام فيلكس ــ أع ٢٤ : ١٠ ــ ٢١.
٦٨ ــ سنتين في السجن ــ أع ٢٤ : ٢٧.
٦٩ ــ رفع دعواه إلى قيصر ــ أع ٢٥ : ١٠ و١١.
٧٠ ــ الدفاع أمام الملك أغريباس ــ أع ٢٦ : ١ ــ ٢٩.

XII. السفر إلى روما:
٧١ ــ العاصفة ــ أع ٢٧ : ١٤ ــ ٢١.
٧٢ ــ الرؤيا ــ أع ٢٧ : ٢٣ و٢٤.
٧٣ ــ انكسار السفينة ــ أع ٢٧ : ٢٦ ــ ٤٤.
٧٤ ــ على جزيرة مليطة ــ أع ٢٨ : ١ ــ ١٠.

XIII. في روما:
٧٥ ــ الوصول إلى روما ــ أع ٢٨ : ١٦.
٧٦ ــ البشارة في روما ــ أع ٢٨ : ٣٠ و٣١.
٧٧ ــ كتب ست رسائل.
٧٨ ــ كلماته الأخيرة ــ ٢ تي ٤ : ٦ ــ ٨.

الفصل الأول

طفولة بولس

شاول المدعو بولس:

اسم «شاول» שָׁאוּל يعني بالعبرية «المشتهى — شوقي» أو «المطلوب في الصلاة» The desired Prayed for، مما يفيد أن والديه كانا يشتهيان أن يُرزَقا ولداً وكانا يصليان من أجل ذلك، مما يوحي بأنه كان الابن البكر، وعلى هذا فيكون أبواه قد نذراه لخدمة الله، خصوصاً وأن أباه كان فريسياً، ولهذا أرسلاه مبكراً وهو في سن الثالثة عشرة لدراسة الناموس والتوراة في أورشليم على يدي رابونيها(١).

ومعروف عند اليهود في الشتات أن كل ولد يولد يُعطى اسمين: الأول عبراني مثل شاول، والثاني يتناسب مع لغة أهل البلاد، واسم «بولس» Paulus هو روماني(٢).

ولكن بلغة الروح يقول بولس إنه أُفرِزَ لخدمة الله وإعلان المسيح وهو في بطن أمه: «ولكن لما سَرَّ الله الذي أفرزني من بطن أمي ودعاني بنعمته أن يعلن ابنه فيَّ لأُبشِّر به بين الأمم...» (غل ١: ١٥—١٦)، بل و يقول الروح على فم بولس الرسول نفسه إنه كان ضمن الذين

1. Neander, Aug., *General History of the Christian Religion and Church*, Edinburgh, 1847, vol. I, p. 80.

(٢) اختلفت آراء الآباء والشراح في ازدواج الاسم «بولس» و«شاول»، فالعلاَّمة أوريجانوس يقول إن الاسمين أعطيا لبولس منذ الولادة، واحد ليكون بين اليهود والآخر بين الأمم.

والقديس أغسطين يقول إن شاول أخذ اسم «بولس» في بداية عمله كمبشِّر، والقديس يوحنا ذهبي الفم يقول إن بولس استلم اسمه الجديد «بولس» في أنطاكية كما استلم بطرس اسمه بدل «كيفا» أي «الصفا»، وذلك عند تكريسه وقت العماد في أنطاكية.

وغيرهم يقول إنه هو الذي أعطاه لنفسه بعد أن عمَّد سرجيوس بولس. وجيروم يقول إنه تسمَّى بهذا الاسم لهذا الغرض أيضاً.

ولكن يتفق العلماء المحدثون على صحة رأي أوريجانوس، وذلك من واقع رسائل القديس بولس نفسه، إذ لا يُذكر فيه اسمه القديم الأول، لأن كرازته كانت بين الأمم.

W. Conybeare, **Life and Epistles of Paul,** p. 39 n. 1.

اختيارهم المسيح قبل خلقة العالم: «... كما اختارنا فيه (في المسيح) قبل تأسيس العالم» (أف ١: ٤)، بل ويزيد على فم بولس أيضاً أن اختيار بولس ليس فقط قبل تأسيس العالم، بل وأعماله أيضاً بكل ظروفها وملابساتها: «لأننا نحن عمله مخلوقين في المسيح يسوع لأعمال صالحة قد سبق الله فأعدَّها لكي نسلك فيها.» (أف ٢: ١٠)

ولا ننسى أن المسيحية أخذت طابعها العالمي بكل معنى ومبنى يوم أمر بيلاطس أن يوضع فوق رأس المسيح المصلوب عنوانٌ مكتوبٌ بثلاث لغات العالم: الرومانية واليونانية والعبرية، ومن تحت هذا العنوان وُلدت المسيحية، ووُلد المدعوُّ بالرومانية «بولس» الذي هو بالعبرية «شاول»، وبالمولد مواطن طرسوسي من المدينة اليونانية اللغة والتراث التي أهَّلته أن يكون قارئاً في السبعينية!!

«أنا رجل يهودي طرسوسي من أهل مدينة غير دنية من كيليكية» (أع ٢١: ٣٩):

طرسوس:

وُلد بولس في مدينة طرسوس[٣] وهي عاصمة إقليم كيليكية جنوب آسيا الصغرى، وهي تقع في السهل الشرقي من جبال كيليكية وعلى نهر سيدنوس Cydnus الذي يخترقها مندفعاً إلى البحر حيث كانت ترسو سفن التجارة من كل بقاع العالم (أنظر الخريطة). وكانت المدينة أيام القديس بولس تحت الحكم الروماني، ولكنها فازت بالحكم الذاتي كمدينة حرَّة سنة ٦٧ ق.م. ويقول القديس يوحنا ذهبي الفم ربما عن وثائق كانت تحت يده، إن بولس وُلِدَ سنة ٢ ميلادية[٤].

---

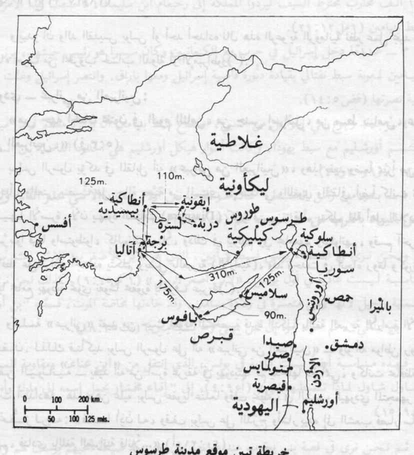
(٣) هذه المدينة كانت ذات شأن عظيم في أيام بولس الرسول، فهي أولاً تُعتبر من أقدم المدن، فتاريخ تأسيسها يرقى إلى سنة ٢٠٠٠ ق.م.، وقد استعمرها الإغريق. وأنقذها الإمبراطور الإسكندر الأكبر من حريق مدمِّر أشعله فيها الجيش الفارسي المتقهقر أمامه سنة ٣٣٣ ق.م. وقد صُكَّت نقود باسمها في زمن حكم أنطيوخس الرابع سنة ١٧١ ق.م. كما صارت عاصمة كيليكية وحازت على الحكم الذاتي أيام بومبي سنة ٦٧ ق.م. وقد اتخذها شيشرون الخطيب اللاتيني الذائع الصيت مقراً له أثناء حكمه كوالٍ على مقاطعة كيليكية سنة ٥١ــ٥٠ ق.م. وقد زارها يوليوس قيصر سنة ٤٧ ق.م. فأخذت لقب «يوليو بوليس» على شرفه.

وعندما حصل أنطونيوس قيصر على القسم الشرقي للإمبراطورية الرومانية نالت رضاه، وهناك في طرسوس تقابل أنطونيوس مع كليوباترة (والية مصر). وعندما اعتلى أغسطس قيصر على كل الإمبراطورية الرومانية نالت طرسوس مزيداً من الامتيازات، منها إعفاؤها من الجزية. وقد وهب أغسطس قيصر هذه المدينة «طرسوس» إلى أحد أبنائها الوطنيين المخلصين وهو أثينودوروس Athenodorus وهو الفيلسوف الرواقي الشهير، وقد كان معلماً للقيصر. وفي هذه الأيام اندفعت المدينة في نهضة ثقافية عالية، فاحترفت التعليم الأكاديمي والفلسفة ودراسة الإنسيكلوبيديات، حتى فاقت طرسوس كلاً من أثينا والإسكندرية، حسب قول المؤرخين. وقد بلغ عدد الزوار والرواد لهذه المدينة طلباً للفلسفة أكثر من تعداد أهلها، وصارت طرسوس في عُرْف علماء هذا الزمان جامعة أكاديمية بحد ذاتها.

لذلك، فحينما قال بولس: «أنا رجل يهودي طرسوسي من أهل مدينةٍ غيرِ دنيَّةٍ من كيليكية» (أع ٢١: ٣٩) كان على حق!!
وكانت طرسوس مشهورة بنسج الصوف من شعر الماعز وكان يصنع منه الخيام و يسمى كيليكيوم Cilicium.

F.F.Bruce, **Paul: Apostle of the Heart Set Free**, p. 32-36

4. Conybeare, *op. cit.*, p. 37.



خريطة تبين موقع مدينة طرسوس
حيث وُلد القديس بولس الرسول

وبولس الرسول بمولده، حصل على الجنسية الرومانية. وهذا كان يُحسب في ذلك الزمان امتيازاً كبير الشأن، كان الكثيرون يحاولون نواله إنما مقابل ثمن باهظ: «قُل لي، أنت روماني؟ فقال: نعم. فأجاب الأمير: أما أنا فبمبلغ كبير اقتنيتُ هذه الرعوية، فقال بولس: أما أنا فقد وُلِدْتُ فيها.» (أع ٢٢: ٢٧و٢٨)

ويبدو أن والد القديس بولس أو أحد أجداده نال هذه الرعوية الرومانية نظير عمل مجيد قام به أثناء حرب من الحروب لحساب الدولة أو الإمبراطور(٥).

يهودي ـــ عبراني من العبرانيين:

«من جهة الختان مختون في اليوم الثامن، من جنس إسرائيل، من سبط بنيامين، عبراني من العبرانيين.» (في ٣: ٥)

بولس الرسول يؤكد في المقابل أنه **«عبراني من العبرانيين»**، وهذا يفيد وضعاً مميّزاً عن كونه يهودياً، والمعنى ينصبُّ على حالة معيّنة من المستوى الإجتماعي واللغوي والثقافي أيضاً كانت تعيش عليها الأسرة، لأن يهود الشتات (Diaspora) كانوا قسمين: قسم يتكلم لغة أهل البلاد التي تغرَّبوا فيها واستوطنوا، كاليونانية مثلاً، وذلك في بيوتهم وفي مجامعهم وصلواتهم، وقسم آخر كان محافظاً على تراث أجداده يتكلم ويصلي بالعبرية (الأرامية)، وقد وُجدت في أنحاء روما وكورنثوس بقايا مجامع يهودية تحوي نقوشاً محفورة بأحرف عبرية(٦).

وكلمة «عبراني» تفيد من حيث الهوية الشخصية قدرة التكلم باللغة العبرية الأرامية الأصيلة بإتقان. لذلك فتأكيد بولس الرسول على أنه «عبراني من العبرانيين» ـــ ولو أنه مواطن روماني يتقن اليونانية ـــ يفيد أنه من أسرة عريقة في يهوديتها لم يدخلها دمٌ أُممي، وكانت محافظة على تراث أجدادها. هذا برهن عليه بولس عفوياً عندما وقف يخطب في الشعب اليهودي المتجمهر ضده في تحفُّز لرجمه: «فلما أذِنَ له، وقف بولس على الدَّرَج وأشار بيده إلى الشعب فصار سكوت عظيم، فنادى باللغة العبرانية قائلاً...» (أع ٢١: ٤٠)

من سبط بنيامين:

حينما يشدد بولس الرسول على أنه من سبط بنيامين، يكون ذلك ذا اعتبار خاص عنده وبالتالي عندنا.

---

5. Ibid., p. 38.

6. B. Powell, cited by F.F. Bruce, *op. cit.*, , p. 42.

١ ــ فمن سبط بنيامين قام أول ملك على إسرائيل وهو المدعو «شاول» وعلى اسمه سُمِّي بولس.

٢ ــ لقد ظاهر سبط بنيامين رَحَبْعَام ملك اليهودية وانضم إلى سبط يهوذا ليكوِّن جيشاً من ١٨٠ ألف محارب مخترط السيف ليردُّوا المملكة إلى رحبعام ابن سليمان، فاحتُسِبَ هذا الأمر شرفاً لسبط بنيامين (١مل١٢: ٢١).

٣ ــ عندما دخل إسرائيل في حرب مع الكنعانيين وكان سيسرا هو رئيس جيشهم، برز سبط بنيامين لمعونة سبط نفتالي بقيادة دُبُورة قاضية إسرائيل ومعها باراق. وانتصر إسرائيل وغنَّت دُبُورة أغنية نصرتها (قض٥: ١٤).

٤ ــ بعد رجوع بني إسرائيل من السبي، استطاع سبط بنيامين أن يسترد معظم أرض ميراثه، واقتسم أورشليم مع سبط يهوذا، وكانت أسوار هيكل أورشليم هي الحدود الفاصلة بين السبطين (إر١١: ٧و٩و٣٠و٣٦).

٥ ــ بنيامين رأس السبط، كان هو الوحيد من أولاد يعقوب **الاثني عشر الذي وُلِدَ في أرض الميعاد بالقرب من أفراتة بيت لحم** (تك٣٥: ١٦و١٨).

ونحن نرى في انتماء بولس لسبط بنيامين، الذي هو الابن الأصغر بين الاثني عشر سبطاً، مناسبة ليست عادية في قول بولس: «لأني أصغر الرسل» (١كو١٥: ٩). كذلك نحن نرى في تسمية راحيل لأنها وهي متعسِّرة في ولادة بنيامين، وقد جاءتها مخاضة الموت، فسمَّته "بن أوني" أي "ابن عنائي"، ثم حوَّله أبوه إلى ابن يميني (= بنْيَامِين) (تك٣٥: ١٨).

فهذه مناسبة أيضاً ليست عادية في بولس، الذي انتقل من **«ابن عناء»** ومقاومة للمسيح، «شاول شاول لماذا تضطهدني» (أع٩: ٤)، إلى "**إناء مختار** يحمل اسمه إلى ملوك وأمم." (أع٩: ١٥)

ثم نحن نرى في قصة بني يعقوب عند عودتهم من مصر بعد ضيافة أخيهم يوسف لهم **ووَضْع كأس يوسف الفضي الحامل لاسم فرعون** في زكيبة القمح الخاصة ببنيامين مع ثمن القمح مردوداً، مناسبة ليست عادية أيضاً في بولس الذي اختاره الرب **إناءً خاصاً له يحمل اسمه إلى ملوك وأمم!**

أما بركة موسى الأخيرة التي بارك بها الأسباط، فتحمل لبنيامين هذا الدعاء المبارك: «ولبنيامين قال: حبيب الرب، يسكن لديه آمناً يستره طول النهار وبين مَنْكبيه يسكن» (تث٣٣: ١٢). وفي هذا نرى مناسبة ليست عادية في قول بولس الرسول عن المسيح: «الذي

أحبني وأسلم نفسه لأجلي.» (غل٢: ٢٠)

ولقد قرأ بولس الرسول كل هذه القصص الممتعة الخاصة بسبطه ورجال سبطه من عظماء إسرائيل، كشاول ومردخاي البنياميني الذي أنقذ بواسطة أستير بني إسرائيل من الهلاك، وقصص جبابرة الماضي هذه ملآنة بالآمال العراض في مستقبل حياته، لأنه لا يخفى أن بولس بعد أن أخذ التكليف الإلهي من فم الرب: «ليحمل اسمي أمام أمم وملوك» (أع٩: ١٥)، ملأ الحماس قلبه وآلَ على نفسه أن لا يهدأ حتى تصل الرسالة إلى روما وإلى قيصر، وقد كان، وإن كان في قيود وسلاسل: «يسلّم عليكم جميع القديسين ولا سيما الذين من بيت قيصر.» (في٤: ٢٢)

«إن أموري قد آلت أكثر إلى تقدم الإنجيل (بولس يكتب هذا وهو في روما محبوس) حتى إن وُثُقي صارت ظاهرة في المسيح في كل دار الولاية (قيصر)...» (في١: ١٢و١٣). لقد كانت الآمال تجيش في صدر بولس الرسول أن يفوز ليس بأقل من روما كلها للمسيح، وقد كان، ولكن ليس في حياته!! لقد دشَّنها بدمائه فكان الأساس، وجاء الزمان فبَنَى!!

التعليم والصنعة(٧):

+ كانت عادة اليهود أن يبدأوا التعليم للطفل وهو ابن الخامسة حيث يتمرن على قراءة الأسفار.

+ وفي سن العاشرة يبدأ التعليم على كتب شرح الناموس مثل الذي عُرف فيما بعد باسم المِشْنا. و«المِشْنا» بالعبرية(٨) تعني «التعليم»، وهو كتاب شرح الناموس بالوصايا التي أُضيفت شِفاهاً، وهي أساس التلمود = (التلمذة). والمِشْنا جَمَعَها وألَّفها رابي يوداهاناسا، وذلك في حياته ١٣٥ـــ ٢٢٠م، وقد جمع فيها كل ما سبق من اجتهادات، وهي مكتوبة بالعبرية؛ و يعتبر التلمود هو الكتاب الذي له التأثير الأول على حياة اليهودي.

+ وفي سن الثالثة عشرة من عمره يتعاطى الناموس، وحينما ينتهي منه يُعمل له احتفال تدشيني ويُعطى لقب «ابن الناموس»، ويقول أبوه معلناً أن ابنه أصبح كامل السن في معرفته للناموس وبالتالي يصير هو المسئول عن خطاياه(٩).

وعندما نقرأ لبولس الرسول وهو يكتب لتيموثاوس، نستطيع أن نكوِّن صورة حية صادقة لطفولة بولس وهو منكبٌّ على المِشْنا والأسفار يحفظ ويردد ويُسأل ويجيب: «وإنك منذ الطفولة تعرف

---

7. Conybeare, *op. cit.*, p. 42.
8. *Oxford Dictionary of Christian Church*, p. 906.
9. Conybeare, *op. cit.*, p. 42 (n. 5).

الكتب المقدسة القادرة أن تُحكِّمك للخلاص بالإيمان الذي في المسيح يسوع» (٢تي٣: ١٥)، كما نستطيع أن نكوِّن صورة حيَّة لأم بولس وهي تدرِّب ابنها على التقوى والتمسك بالإيمان الصادق من قول بولس الرسول لتيموثاوس: «إذ أتذكر الإيمان العديم الرياء الذي فيك، الذي سكن أولاً في جدتك لوئيس وأمك أفنيكي، ولكني موقن أنه فيك أيضاً» (٢تي١: ٥). وبولس الرسول لم يذكر لنا شيئاً عن أمه إلا حينما ذكر دعوة الله له وهو في بطنها: «الله الذي أفرزني من بطن أمي...» (غل١: ١٥)

والمعتقد أن بولس، وبعد اكتمال تعليمه في الثالثة عشرة، أرسله أبوه إلى أورشليم ربما مع أحد أقاربه أو أحد الحجاج ليدرس الناموس بدقائقه والتوراة ككلّ على يد رابوني ذلك الزمان، وهو أشهر معلمي إسرائيل قاطبة: «غمالائيل» الكبير. ونحن نستنتج ذلك من قول بولس الرسول: «ولكن رَبَيْتُ في هذه المدينة (أورشليم) مؤدَّباً عند رِجْلي غمالائيل على تحقيق الناموس الأبوي» (أع٢٢: ٣)، حيث لا يجوز أن يقول إني «**تَرَبَّيتُ** في هذه المدينة عند رجلي غمالائيل» إذا كان في سنّ يتجاوز الثالثة عشرة، وذلك بحصر معنى الكلمة «**تَرَبَّيتُ**»[10].

وكانت عادة الأب أن يعلِّم ابنه صنعة[11] تقوم بأَوَد حياته، إن هو اعتاز إلى المعيشة عن فقر أو كارثة، أو في غربة. ويقول التلمود في ذلك: ماذا يُطلَب من الأب نحو ابنه؟ ويجيب التلمود: أن يختنه في اليوم الثامن، ويعلِّمه الناموس حتى الثالثة عشرة، ثم يسقيه صنعة تقوم بأَوَدِ حياته.
ورابي يودا يقول: الذي لا يعلِّم ولده صنعة يعلِّمه السرقة!

وغمالائيل الكبير يقول: بماذا نشبِّه الذي في يده صنعة؟ نشبِّهه بكرمة ذات سياج!

وقد تهيأ لبولس أن يتعلم صنعة الخيام في طرسوس، لأن اشتهار المدينة وكل كيليكية كان بنسيج شعر الماعز الذي يُصنع منه الخيام، وكان يُسمى Cilicium "كيليكيوم"، ولا يزال هذا الاسم لهذا القماش متداولاً ليس في آسيا وحدها بل وفرنسا وأسبانيا وإيطاليا أيضاً، ربما من بقايا اسم الصنعة التي احترفها بولس وأذاعها وأذيعت عنه.

ونحن نعلم من سرد قصة القبض على بولس ومكيدة اليهود التي دبَّرها جماعة حرَّموا على أنفسهم الأكل حتى يقتلوا بولس، وكيف أن **ابن أخت بولس** علم بالمكيدة فأخبر الأمير وبها نجا بولس (أع٢٢: ١٢-١٦)، ومنها نعلم أنه كان لبولس أخت متزوجة ولها أولاد كبار في أورشليم، من هذا نستنتج أن بولس كان يقيم عند أخته في أورشليم، ولعلَّ أمه كانت قد ماتت وهو طفل

---

10. Conybeare, *op. cit.*, p. 39.
11. Ibid., p. 43.

فأحسَّ بعَوَزِ الأمومة، لذلك نسمعه بعد ذلك يقول: «سلِّموا على رُوفُس المختار في الرب وعلى أمه أمِّي.» (رو١٦:١٣)

أما غير أخته من بقية عائلته فلا نسمع إلا عن نسيبيه اللذين سبقاه في الإيمان: «سلِّموا على أندرونيكوس ويونياس نسيبيَّ المأسورين معي، اللذين هما مشهوران بين الرسل، وقد كانا في المسيح قبلي» (رو١٦:٧)، وإن كان أغلب الظن أنهما أنسباء بالروح لا بالجسد.

أما صمته الحزين عن ذكر أيٍّ من عائلته، سواء أبيه أو أمه أو إخوته وباقي أهله، فكان هذا جزءاً من الخسارة الفادحة التي خسرها عن طيب خاطر، وحَسِبَها بالنهاية نفاية ليربح المسيح ويوجد فيه. فقد هجر الجميع، والجميع هجروه، من أجل المسيح!!

الناموس يبدأ يخُطّ خطوطه في نفسية بولس الصبي:

يقول اليهود الربيون أن الطفل يبقى بريئاً حتى سن التاسعة، وبمجرد أن تستيقظ فيه غرائز الجسد (وفي الشرق تبدأ مبكرة جداً عن الغرب) بميولها الجانحة نحو الخطية، تبدأ الانفعالات النفسية تتضارب داخله مؤثرة في الفكر والشعور والضمير، وفي هذا السن يلزم أن يبدأ الطفل يتلقن تعليمه عن الخطية في الناموس، إما عن طريق والديه أو معلم المجمع أو في مدارس الشتات التي يُحذَّر فيها من قراءة كتب الوثنيين(١٢).

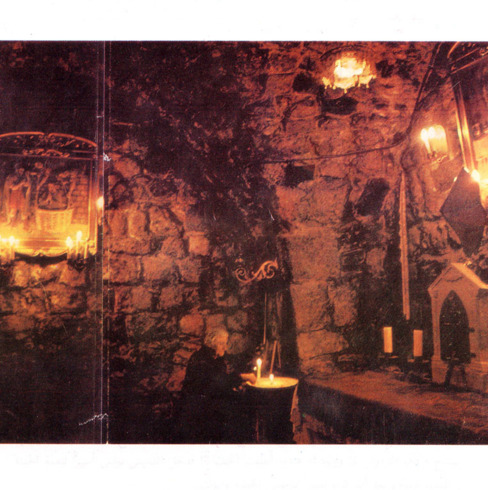
وقد أمدَّنا بولس الرسول بصورتين صادقتين معبِّرتين عن ذلك أعظم تعبير، ففي الطفولة البريئة يقول: «لما كنت طفلاً كطفل كنت أتكلم، وكطفل كنت أفطن، وكطفل كنت أفتكر، ولكن لما صرت رجلاً أبطلت ما للطفل» (١كو١٣:١١). هنا يقصد القديس بولس بساطة الطفولة وبراءتها وسعادتها، وعند ذلك يتذكر القديس بولس تلك اللحظة التي فيها فَقَدَ مرحه وفرحه وسعادته، التي انتقل فيها من مرح الطفولة ولهوها السعيد البريء، إلى الوقوف أمام الناموس لأول مرة موقف المذنب، وكلماته تنسحب على لهوه البريء السعيد فتلقي عليه غمامة سوداء من الإثم والخطية والتعدي، فتمسح عن ماضيه السعيد سعادته وتضع عوضه الهمَّ والندم!

ويعود بولس الرسول إلى ذكر هذه اللحظات وهو في حرية المسيح وجوُّها المحايد الصريح ليعترف بما فعله الناموس فيه: «فإنني لم أعرف الشهوة لو لم يقل الناموس لا تشتهِ» (رو٧:٧). كانت لحظة جدَّ حاسمة في حياة بولس الصبي وصفها بعد ذلك وصفاً عملياً مكلَّلاً بالأسى:

12. The "Tanchuma" - a Comment on Pentateuch on Gen. III, Cited by A. Deissmann, in *Paul, a Study in Social and Religious History*, p. 32 (n. 3).



بقايا بوابات مدينة طرسوس موطن القديس بولس
(أنظر صفحة ٣٨)



«وكان في دمشق تلميذ اسمه حنانيا. فقال له الرب في رؤيا ... قم واذهب إلى الزقاق الذي يُقال له المستقيم واطلب في بيت يهوذا رجلاً طرسوسياً اسمه شاول.» (أع ٩: ١٠-١٢)

كنيسة صغيرة تحت الأرض في مكان منزل حنانيا. وفي يسار الصورة أيقونة هروب بولس الرسول مدلىً في سلٍّ.

(أنظر صفحة ٧٢)

«فكنت بدون الناموس عائشاً قبلاً (حيًّا سعيداً)، ولكن لما جاءت الوصية عاشت الخطية فمتُّ أنا.» (رو٧: ٩)

لقد أدرك القديس بولس بعد ذلك، وفي نور المسيح، كيف أن هذا كله كان حتمياً لكي تأتي النعمة ومعها السعادة الكاملة الدائمة وبدون الخطية!!! لقد ألقى بولس نظرة من نحو صُبُوَّته الأُولى قبل المسيح بسنيها المشرقة على خلفية الناموس، فإذا هي تعدٍّ وعقوق مستوجب في غالبيته الموت في نظر الناموس!! فدخلت نفسه في صراع بين صدق سعادته البريئة الأُولى وبين صدق الناموس الذي ينعتها بالتعدي ويحكم عليها بالموت!! فلأيِّهما ينحاز؟ وأيُّهما يصدق؟ وكان عليه، مُرغَماً، أن يلعن سعادته البريئة وينطوي تحت الناموس القاتل.

ثم كان عليه أن يتطلع ــ بواقعية الناموس ــ نحو حاضره ومستقبله لدى نفسه، وقد وقع أسيراً في يد ثلاثة أعداء: الخطية والناموس والموت: «ويحي أنا الإنسان الشقي مَنْ ينقذني مِنْ جسد هذا الموت» (رو٧: ٢٤). لقد غربت في ذلك اليوم شمس حريته، ورضي أن يعيش أسيراً للخوف، كما عبَّر هو تماماً عن ذلك وهو في حرية أولاد الله: «إذ لم تأخذوا روح **العبودية** (للناموس) أيضاً **للخوف** (كما أخذ هو سابقاً)، بل أخذتم روح التبني الذي به نصرخ يا أبَا الآب.» (رو٨: ١٥)

ولكن ــ وبعد ذلك ــ وهو قائم في إشراقة نور حرية المسيح، وحينما ألقى بولس الرسول بنظرته على ما صنعه الناموس فيه منذ تفتحت عينه على المعرفة واستيقظت فيه مشاعر الإنسان وغرائزه، رأى الناموس على حقيقته كمؤدِّب ومعلم قاسٍ ألقاه، إلى حين، تحت العبودية والخوف والرعبة من الخطية ليعدَّه للنعمة في المسيح، المسيح الذي قتل له الخطية ورفع عنه لعنة الناموس، إذ أصبح وكأن الناموس لا وجود له عندما أبطلت الخطية!! فدخل القديس بولس أسيراً لنعمة الحياة في المسيح يسوع، بعد أن كان أسيراً لناموس الخطية والموت.

بولس في أورشليم عند رجلي غمالائيل:

كان والد بولس فريسيًّا، ونشأ الابن معتزاً بفرِّيسيَّة أبيه شاخصاً إلى نفس المهنة: «فريسي ابن فريسي.» (أع٢٣: ٦)

كان من أثر الاضطهاد السياسي الضاغط الذي مارسه الولاة والحكام الرومان وخاصة أثناء حكم فاسبسيان Vespasian وهادريان Hadrian، أن ازداد اليهود تمركزاً حول الناموس والتصاقاً به كعنصر يجمعهم ويوحِّدهم ويكتِّلهم معاً ضد خطر انحلال الأمة وسقوطها. وكان ذلك بتدبير

نعمة الله وعنايته، ليعدّه كخميرة محافظة على عهدها الأول مع الله. كذلك في أيام هيرودس الكبير الذي مارس سلطانه لتفتيت وحدة الأمة بأن تسلّط على نظام رئاسة الكهنوت، وعزل وأقام ورفع وأسقط، حتى لم يعد أحد يعرف مَنْ هو رئيس الكهنة على التحقيق، فكان يُكَنّى عن رئيس الكهنة برؤساء الكهنة (بالجمع) لغياب شخصية رئيس الكهنة الحقيقي: «فقال الواقفون أتشتم رئيس كهنة الله؟ فقال بولس لم أكن أعرف أيها الإخوة أنه رئيس كهنة.» (أع٢٣: ٤و٥)

وبسبب ذلك أيضاً، ازداد اليهود أكثر فأكثر في التمسك بالتوراة التي بقيت لهم، يفتشون فيها باجتهاد جنوني عن سبب ما هم فيه وعن متى يحقق لهم الله الخلاص. كذلك ازدادوا انكباباً على العبادة وطقوس الهيكل وازدادوا تدقيقاً على تنفيذ الوصايا (شكلياً). وهكذا ازداد شأن الكتبة والفريسيين وعلماء الناموس (الناموسيون هم بمثابة دكاترة في القانون). وابتدأ ظهور وظيفة الربيين الذين بلغوا أعلى مراكز الأمة بعد خراب أورشليم والهيكل وكانوا العنصر الوحيد الذي يضم الأمة ويعمل بأقصى طاقته لتوحيدهم وجمع شملهم. وفي العصر الحديث الآن هم أصحاب الصوت المعبِّر عن اليهودية والمنشغل بحالها ومستقبلها[١٣].

وفي أيام بولس الرسول تبلور عنصر الربيين في مدرستين متنافستين يرأسهما هيلليل Hillel، وشمّاي Schammai، وهم من حكماء الناموس (حاخامات). وقد انتشرت تعاليمهم وفتاويهم في الشعب، فدخلت تعاليمهم كعنصر أساسي في تكوين التلمود. والربيون هم أصلاً فريسيون، ومدرسة كلٍّ من هيلليل وشمّاي تُخرِّج فريسيين، ولكن مدرسة هيلليل كانت صاحبة صيت أنها على أعلى مستوى من **التقليد** وصاحبة ولاية على الناموس؛ أما مدرسة شمّاي فكانت تقاوم التقاليد، خاصة إذا تعارضت مع ناموس موسى الحرفي. وقد ازداد التنافس والنفوذ بين المدرستين، إلى أن قيل: «حتى ولو جاء إيليا التشبي فلن يستطيع أن يصالح بين تلاميذ هيلليل وتلاميذ شمّاي».

ولكن كان لهيلليل وتلاميذه التأثير الأكبر على فكر الشعب، وكان لفتاويهم سلطان أُخذ به لدى كل الربيين بعد ذلك، وهيلليل يُسمع صوته في التلمود بقوة. وقد أنجب هيلليل ابناً احتل مركزه، وهو سمعان Semeon؛ وسمعان هذا هو الذي أنجب غمالائيل. ويُقال أن سمعان هذا هو سمعان الشيخ الرجل البار الذي أخذ الطفل يسوع على ذراعيه: «أخذه على ذراعيه وبارك الله، وقال: الآن تطلق عبدك يا سيد حسب قولك بسلام لأن عينيَّ قد أبصرتا خلاصك الذي أعددته قدام وجه جميع الشعوب، نور إعلان للأمم ومجداً لشعبك إسرائيل» (لو٢: ٢٨—٣٢). فلا عجب

13. Milman, *History of the Jews*, vol. III, p. 100.

أن يكون ابنه غمالائيل هو الذي دافع عن الرسل وأفْتى بإطلاقهم من السجن واستُجيب لصوته (أع ٥: ٣٤-٤٠).

وكانت كلمة غمالائيل مسموعةً وموقَّرةً لدى كل الهيئات، إذ هو واحد من حكماء إسرائيل السبعة المشهورين الذين لهم لقب «رابان»، وهو اللقب «رابوني» Rabboni الذي خاطبت به المجدلية الرب يسوع بعد القيامة. وقد أُطلق على غمالائيل ـ وهو جمالائيل ـ لقب «جمال الناموس»، كما نقول نحن جمال الدين! ويقول عنه التلمود: [منذ أن رقد الرابان غمالائيل انطفأ مجد الناموس]. كما يقال عنه أيضاً أنه دخل مرَّة حمَّاماً عاماً في عكَّا به تمثال لإلهة من الآلهة الرومانية، فسُئل كيف توفق بين هذا (أي استحمامه في حمَّام وثني)، وبين الناموس اليهودي؟، فردَّ أن الحمَّام بُني قبل التمثال، فالحمَّام لم يُبنَ من أجل التمثال ولكن التمثال صُنع من أجل الحمَّام(١٤). وهذا يوضِّح سعة عقلية هذا الحاخام الأكبر، فهو في نظر العلماء الدارسين يوضع في مصاف الفريسيين المستنيرين مثل نيقوديموس ويوسف الرامي. ويُقال في التقليد إنه تنصَّر وصار مسيحياً(١٥). ويُلاحظ أن تعليق سفر الأعمال عليه جاء هكذا: «رجل فريسي اسمه غمالائيل معلِّم للناموس **مكرَّم عند جميع الشعب**» (أع ٥: ٣٤). وقد مات قبل خراب أورشليم بثماني عشر سنة.

ومعروف أن بولس الرسول استقى من هذا المعلم ثلاث خصال:

(١) الصراحة مع الصدق، مع أمانة الحكم على الأمور.

(٢) الاستعداد للدراسة باللغة اليونانية والاستشهاد بالكُتَّاب اليونانيين.

(٣) اليقظة والغيرة على الناموس اليهودي(١٦).

ويقول يوسيفوس المؤرخ اليهودي عن غمالائيل: «إن الشعب كان يشهد لهذا الحكيم، الذي كان يُعتبر أنه متمكِّنٌ تماماً من وصايا ناموسنا، وكان قادراً أن يشرح كل معانيها»(١٧).

وعلينا أن نتصوَّر بولس وهو جالس عند أقدام غمالائيل مع أقرانه المخلصين، يسمع ويسأل، ويجاوب ويتعلم يوماً بعد يوم مطبِّقاً قول سفر حكمة يشوع (والترجمة من عندنا): «الذي يُسلِّم عقله للناموس العليِّ، مُنْكبّاً على التأمل فيه، يفتش عن كل حكمة القدماء وينشغل بالنبوات، يحفظ

---

14. Tholuck (E.T.), p. 17.
15. *Oxford Dictionary of Christian Church,* citing Clementine Recog. 1.65.
16. Conybeare, *op. cit.,* p. 48.
17. Jos., *Ant.* XX,11.2.

أقوال مشاهير الرجال، ويبحث عن أماكن الأمثال العميقة، ويضع قلبه هناك يبحث عن أسرار المسائل العويصة، ويتكلم بخفيات الأمثال. فإنه بذلك سيخدم بين عظماء الرجال، ويظهر بين الأمراء، ويرحل مسافراً بين البلاد الغريبة، لأنه اختبر ما هو الصالح والرديء بين الناس.» (حكمة يشوع ٣٩: ١-٤)

والآن نحن نعرف ماذا كان يقصده بولس الرسول حينما قال: «وكنت أتقدم في الديانة اليهودية على كثيرين من أترابي في جنسي، إذ كنت أوفر غيرة في تقليدات آبائي» (غل ١: ١٤). وهو لا يقول هذا عن نفسه إلاَّ بعد أن أخذه كتقرير من معلمه الربان المشهور، وأيضاً عن مديح زملائه وهو يتألق بينهم كنجم يشرق مرتفعاً في ظلام ليلٍ طال على اليهود، وكان كمن يقول لنفسه بلسان كاتب سفر الحكمة: «فعزمتُ أن آخذها معي (الحكمة) لأعيش معها، لأنني عارف أنها تكون لي ناصحة في الصالحات، وتكون حديث فكري في ضَجَري، ويكون لي منها بهاء في المجامع، وكرامة قدام الشيوخ في شبابي، وأُوجدُ متمكّناً من القضاء، وأُوجَدُ مكرّماً عند عظماء الرجال، حينما أمسك لساني وأصمت، يترقبون حديثي، وإذا تحدثت يصغون لي بانتباه.» (الحكمة ٨: ٩-١٢)

وبينما بولس منغمر في الدراسة والتحصيل، يسعى باجتهاد يفتش الكتب، ويستذكر، ويضيف الليل على النهار؛ كانت القامات الكبرى الإنجيلية من حوله تأخذ طريقها نحو النور: المعمدان في البراري، والتلاميذ في صيد السمك. كل ذلك على خلفية المسيح في نجارته في حانوت الناصرة يصنع الأنيار (جمع نير) الخفيفة. وكان الهيكل يجمعهم جميعاً من سنة إلى سنة، تتقابل العيون ولا تتقابل العقول، فكلٌّ في طريقه يسير بانتظار ساعة الصفر.

وفي الجانب الآخر، كان طيباريوس قيصر يتمرغ على سرير الشهوات والفجور في جزيرة كابري، وبيلاطس البنطي يمزج ذبائح الجليليين بدمائهم (لو ١٣: ١). وحين بدأ الرب خدمته العلنية ونادى باقتراب ملكوت الله، كان شاول بولس قد بلغ الخامسة والعشرين أو الثلاثين على أقصى تقدير.

الفصل الثاني

شاول الفريسي مضطهد الكنيسة

١ ــ فريسي ابن فريسي (أع٢٣: ٦)(١)

إن أفضل شرح هذه الوظيفة يقدمه بولس نفسه:

«فسيرتي منذ حداثتي التي من البداءة كانت بين أُمّتي في أورشليم، يعرفها جميع اليهود، عالمين بي من الأول، إن أرادوا أن يشهدوا، **أني حسب مذهب عبادتنا الأضيق عشت فريسياً**» (أع٢٦: ٤و٥)؛ «من جهة **الناموس فريسي**، من جهة **الغيرة مضطهد الكنيسة**، من جهة البر الذي في الناموس بلا لوم.» (في٣: ٥و٦)

«فإنكم سمعتم بسيرتي قبلاً في الديانة اليهودية أني كنت أضطهد كنيسة الله بإفراط وأُتلفها، وكنتُ أتقدم في الديانة اليهودية على كثيرين من أترابي في جنسي، إذ كنت أوفر غيرة في تقليدات آبائي.» (غل١: ١٣و١٤)

---

(١) الفريسيون، ظهر اسمهم أول ما ظهر في منتصف القرن الثاني قبل الميلاد في أيام حكم يوناثان (١٦٠ــ١٤٣ ق.م.) الذي كان أخاً ليهوذا المكابي والذي حلَّ محله. والمؤرخ اليهودي يوسيفوس يقول إنه في هذا الوقت ظهرت ثلاث مدارس: الفرِّيسيَّة، والصدُّوقية، والأسينية. وكان الأسينيون قدريين، متشددين، أي يؤمنون بالقضاء والقدر، بمعنى أن كل تدبير الله معيَّن سابقاً، ومُقدَّر وقوعه جَبْراً (وهم عُبَّاد وادي القُمران المشهور ببردياته).

والصدُّوقيون، على النقيض، يؤمنون أن كل الأشياء إنما تحدث بمقتضى حرية إرادة الإنسان.

والفريسيون، يقفون الموقف الوسيط حيث توفِّق مبادؤهم بين كلا الوضعين: سبق التدبير الإلهي، مع حرية اختيار الإنسان، هذا بحسب تحليل العلامة والمؤرخ اليهودي يوسيفوس (Jos., Ant. XIII.171f.)، الذي يقول إن عددهم في أيامه كان حوالي ستة آلاف. ولكن العلاَّمة بروس يعتقد أن التاريخ الروحي للفريسيين يرقى، على غالبية الاحتمال، إلى جماعة الحاسيديم **hasidim** أي جماعة «الأتقياء» المذكورين في المزامير بكثرة. وهم مذكورون في سفر ملاخي بـ«متقو الرب» (ملاخي ٣: ١٦)، وهم المذكورون في مز١١٩ أنهم ذوو تقوى وغيرة على وصايا الله.

وكلمة «فريسي» التي تُكتَبُ **φαρισαῖος** باليونانية، هي مأخوذة من الآرامية **perîs'ayyâ** وهي من أصل قريب من كلمة «يفرز» و«فرِّيز»، وهي تعني تماماً **جماعة المعتزلة**، بمعنى اعتزالهم كل ما هو غير طاهر، سواء كان أخلاقياً أو في العبادة، وهذا

ويلاحظ أنه يحاول أن يوضِّح أن الفرِّيسيَّة هي التي دفعته لكل هذه الأعمال الجنونية:

«فأنا ارتأيت في نفسي أنه ينبغي أن أصنع أموراً كثيرة مضادة لاسم يسوع الناصري، وفعلت ذلك أيضاً في أورشليم، **فحبستُ في سجونٍ** كثيرين من القديسين، آخذاً السلطان من قِبَل رؤساء الكهنة. **ولما كانوا يُقْتَلون، ألقيت قرعة بذلك** (ليعيِّن مَنْ الذي يبدأ بالرجم). وفي كل المجامع **كنت أعاقبهم مراراً كثيرة وأضطرهم إلى التجديف، وإذ أفرط حنقي عليهم، كنت أطردهم إلى المدن التي في الخارج.**» (أع٢٦: ٩—١١)

وإليك أيها القارىء العزيز كيف يصير اليهودي فريسياً (٢):

+ عليه أن يحفظ عن ظهر قلب، ستمائة وثلاثة عشر قانوناً، أو حكماً بمقتضى الناموس الذي وضعه موسى، أي مُطَبَّقاً عليه أو مستخرجاً منه، ثم يلتزم بها في حياته الخاصة والعامة.

+ ثم تعود هذه الأحكام بعددها الهائل لتأخذ صيغاً ذات أحكام إضافية مسلَّمة بالتقليد من كبار معلِّمي الناموس السابقين على مدى العصور.

+ أما التطهيرات (هالاكاه)، فإن عددها يملأ فصولاً بأكملها في التلمود، ويتبعها تفسيرات في آخر كتاب المِشْنَا من اثني عشر فصلاً.

+ وهكذا يصبح عقل الفريسي وتصبح حياته مزدحمة إلى أقصى حد بالناموس وأحكامه، وكأنها شبكة ضيقة الفتحات، دخلها فالتفَّت عليه حتى لم يَعُدْ يرى ضوء الله.

يُعتَبر الجانب السلبي للقداسة التي اعتبروا أنفسهم أنهم إليها مدعوون. وفي عُرْفِهم أن الله قدوس، بمعنى معتزل أو مفروز parus، وهم أشد ما يكون حرصاً على حفظ السبت وتجنُّب الأطعمة المحرَّمة بكل تدقيق. وهم الذين أضافوا على الناموس تعاليم ووصايا، وجعلوها في مقام الناموس، والرب وبَّخهم على ذلك (مت٢٣)، إذ حمَّلوا الناس أحمالاً عسرة، وألزموهم بوصايا هي تعاليم الناس، وأسْمَوها كما هي في الإنجيل: «وصايا الشيوخ» (مر٧: ٥). والفريسيون هم الذين احتضنوا العبادة في المجامع. وقد جذبوا جموع الشعب وتلمذوهم ليكونوا لهم أتباعاً، خاصة أولئك الذين أُعجِبُوا بتدقيقاتهم ونهيهم عن مخالطة الأمم وكَرَههم لطبقة الكهنة!! ومعاداتهم للحكام الأمميين، ولفرض العشور حتى على الأعشاب التي تظهر في الحقل.

وقد أخذت هذه الشيعة على نفسها معاداة المسيح ومقاومته، وصادروه في موضوع مغفرة الخطايا، وفي كسر السبت، ومعاشرته للخطاة. وكانوا ممثَّلين في السنهدريم كأقلية، ولكن مسموعة الصوت. والرب أنكر عليهم عبادتهم الشكلية وتمسكهم بمظاهر الناموس (مت٢٣: ١٣—٣٦)، وأخذ عليهم الاعتداد ببرِّ أنفسهم (لو١٨: ٩—١٤). ولكن عند بدء وقوع الآلام على المسيح انسحبوا، ولم يكونوا مقتنعين بالإجراءات، وتركوا الميدان للصَدُّوقيين، أي رؤساء الكهنة. أما بعد القيامة، فكانوا أقل عداوة من رؤساء الكهنة للكنيسة المولودة (جديداً)، وذلك بسبب تبنِّيهم معظم مبادىء الكنيسة المسيحية، لأنهم كانوا يؤمنون بالقيامة من الأموات والمجازاة في العالم الآخر، كما كانوا يؤمنون بوجود الملائكة وحرية اختيار الإنسان وبالعناية الإلهية؛ بل وقد دافع غمالائيل عن الرسل بعد القيامة أمام السنهدريم (أع٥: ٣٤—٤٠).

ولقد اختفت شيعة الفريسيين تماماً بعد خراب أورشليم سنة ٧٠م وانمحت أمجادهم، وبدأ الربيون يأخذون مكانتهم التعليمية.

2. Ferdinand Prat, *The Theology of St. Paul*, Vol. I, p. 24,25.

فالفريسي لا يكاد يتحرك من بيته إلى الخارج ويتقرب من الطعام ويعود إلا ويتعرض لمحاذير ووصايا تُعَدُّ بالآلاف.

ومجرد الخوف من أن يسقط الفريسي في واحدة من هذه المحاذير، تجعله في حالة استنفار ويقظة بل وربكة ذهنية، كفيلة أن تشلّ عقله، وهكذا تتلف حواسه الأخلاقية الطبيعية.

فالديانة عند الفريسي مصبوبة في قوالب شكلية عديدة، تحتاج إلى مهارة لكي يستطيع أن يستوفيها ويخرج منها سالماً.

وهكذا تضمحل روح العبادة في خِضَمّ الشكليات، وتذوب حاسة التقوى الروحية الصحيحة.

والفريسي يُجرِّبُ، أشد ما يُجرَّبُ، باعتداده بنفسه وبرِّه الشخصي، فلا يعود قادراً أن يحس بالاتضاع أو بفهمه، كيف ذلك وقد صار هو القوَّام على أمور الله؟ ولماذا تكون التوبة وهو بارٌّ في عين نفسه، وكيف تأتيه روح الصلاة الخاشعة وهو يصوم لله الاثنين والخميس ويعشِّر كل شيء حتى النعناع والكمون والشبث، وهو الذي يحفظ كل الفرائض ويؤديها؟

لذلك فالفرِّيسيَّة تغذي النفس بروح الذاتية والغطرسة، بخداع الذات والرياء!

+ وعندما يُخفق الفرِّيسي في تأدية كل واجباته، هنا يشعر بالفراغ ولا يعوِّضه إلا التظاهر وإتيان الأعمال العنيفة والغيرة الزائدة لإرضاء ضميره، كالاضطهاد والتعنيف وملاحقة الخطاة في نظره (الذي نسميه في علم النفس مُركَّب النقص).

ونحن نرى حال شاول بالنسبة للاعتراف الذي قدَّمه في رسالته إلى أهل رومية الأصحاح السابع، كيف أنه أخفق أن يكون على مستوى الناموس أو برِّ الناموس: «ويحي أنا الإنسان الشقي! مَنْ ينقذني من جسد هذا الموت؟» (رو٧: ٢٤)

«فإني أُسَرُّ بناموس الله بحسب الإنسان الباطن، ولكني أرى ناموساً آخر في أعضائي يحارب ناموس ذهني، ويسبيني إلى ناموس الخطية الكائن في أعضائي.» (رو٧: ٢٢و٢٣)

فأين هذا التقرير الحزين الأليم، بل هذا الصراخ من عمق نفس ممزَّقة من جراء العجز عن تأدية الصلاح بروح الناموس، أين هذا من عجرفة الفرِّيسي التي نادى بها بولس عن نفسه أنه «من جهة البر الذي في الناموس بلا لوم» (في٣: ٦)!! كيف نصالح هذا بذاك؟؟

لذلك لما صار بولس مسيحياً أصبحت فريسيته التي كانت في عينه أعظم ربح، صارت في نور الحق الإلهي أعظم خسارة وأعظم ثقل يجرُّه وراءه، لأنه كان قد انصبغ بها. ولكن، وبانتقام من

غش الناموس وخداعه، أخذ يتعقب فريسيته بلا رحمة في نفسه وفي الآخرين. اسمعه يوبِّخ الفريسيين ــ الذين انشغلوا بتعليم الدخلاء ــ بعد أن صار في نور إيمان الحق والحياة:

«**هوذا أنت تُسمَّى يهودياً، وتتكل على الناموس وتفتخر بالله، وتعرف مشيئته، وتميز الأمور المتخالفة، متعلماً من الناموس** (هذه كلها أوصاف الفريسي من واقع دراسته ومهنته)، وتثق **أنك قائد للعميان، ونور للذين في الظلمة، ومُهذِّب للأغبياء، ومعلِّم للأطفال، ولك صورة العلم والحق في الناموس.** (إلى هنا يكون قد استوفى بولس كل مؤهلات الفريسي. والآن يبدأ ليكشف ويفضح جميع هذه المؤهلات مُثْبتاً من تجربته في نفسه أن مؤهلات الفريسي هي في الظاهر فقط لخداع الآخرين)، ... الذي تكرز أن لا يُسرَق **أتَسْرِقُ؟** الذي تقول أن لا يُزْنَى **أتزني؟** الذي تَسْتَكْرِه الأوثان، **أتسرق الهياكل؟** الذي تفتخر بالناموس، **أبتعدِّي الناموس تهين الله؟ لأن اسم الله يُجدَّف عليه بسببكم بين الأمم.**» (رو٢: ١٧ــ٢٤)

ومن هذا التقرير المرير للفريسيين والفريسية على وجه العموم، ولنفسه أيضاً في السر، نفهم تماماً لماذا ساق الله هذا الشاب الغيور المتَّقد غيرة في الناموس، لكي يبلغ من التعليم على مستوى الفريسية أقصاه، وعلى يد غمالائيل أشهر معلمي الناموس ربما في كل العصور، وذلك بقصد من الله وتدبير، لكي يكون بولس على دراية، أكمل دراية، بمدى تغرُّب الفكر اليهودي عن الحق وخروج عبادتهم عن التقوى الصادقة، ويكون على بيِّنة من أسباب عدم إيمان أقربائه وأنسبائه حسب الجسد، بل وبالأكثر لكي يكشف كيف ولماذا صلبوا المسيح، ثم بعد ذلك يستطيع أن يقيِّم ناموس روح الحياة في المسيح يسوع وينادي بحرية أولاد الله، ويكرز بالمسيح الذي: «صار لنا حكمة من الله وبرًّا وقداسة وفداء» (١كو١: ٣٠)، ويصرخ: «لأنكم بالنعمة مُخلَّصون بالإيمان، وذلك ليس منكم، هو عطية الله.» (أف٢: ٨)

٢ ـ حال الكنيسة قبل دخول بولس الإيمان

يلزمنا قبل أن نسرد قصة دخول بولس الكنيسة مُعتَمَداً من المسيح كرسول للأمم، أن نوضح أمام القارىء حال الكنيسة بعد القيامة وبعد حلول الروح القدس وانسكاب النعمة والمواهب والنشاط الرسولي وحالة المؤمنين الجدد من اليهود المتنصِّرين، وخاصة يهود الشتات المعتبرين أنهم يهود يونانيون، وكيف كانت تنمو وتتقوى وتتشدد بالروح وينضم إليها كل يوم الذين يخلصون مئاتٍ وألوفاً. وقصدنا من ذلك أن يكون القارىء على وعي أن بولس الرسول انضم إلى الكنيسة وهي في أوج إيمانها وقوتها وروحانيتها.

ماذا حدث بعد موت الرب:

حينما أنزل يوسف ونيقوديموس الجسد المقدس من فوق الصليب، واستودعاه القبر، تنفَّس رؤساء الكهنة مع أتباعهم الصعداء. لقد ارتاحت نفوسهم، التي ظلت وعلى مدى ثلاث سنوات ويزيد معلَّقة بين المهادنة والقتل؛ وهذه هي إحدى الصور التي كانت تمثل حالهم:

«فاحتاط به اليهود وقالوا له: إلى متى تُعلِّق أنفسنا؟ إن كنت أنت المسيح فقُلْ لنا جهراً؟ أجابهم يسوع: إني قلتُ لكم ولستم تؤمنون... أنا والآب واحد. فتناول اليهود أيضاً حجارة ليرجموه.» (يو١٠: ٢٤ـ٣١)

وأخيراً أضمروا على فعل ما كانوا أضمروه منذ البدء. وتحت إدعاءات كاذبة لإراحة الضمير، تهيأ لهم أنهم عملوا عملاً حسناً إزاء الذي كان ينكِّد عليهم حالهم ويهدد كيانهم ويستخف بناموسهم وسبتهم.

لقد مات الناصري مُدَّعي المسيَّانية. وهذا وحده كان كفيلاً لانتهاء كابوس الشك والحيرة، لأن الناموس عند اليهود يقول إن المسيا لا يموت: «نحن سمعنا من الناموس أن المسيح يبقى إلى الأبد» (يو١٢: ٣٤)، وعلى هذا الأساس تحدَّى رؤساء الكهنة المسيح وهو على الصليب: «والرؤساء أيضاً معهم يسخرون به قائلين: خلَّص آخرين، فليخلِّص نفسه إن كان هو المسيح مختار الله» (لو٢٣: ٣٥)، «لينزل الآن المسيح ملك إسرائيل عن الصليب **لنرى ونؤمن**» (مر١٥: ٣٢)، «إن كنتَ ابن الله، فانزل عن الصليب.» (مت٢٧: ٤٠)

وهكذا لما مات ودُفن، انتهت مشكلة المسيح من أذهان اليهود ورؤساء الكهنة أو هكذا ظنُّوا!!

ولما التفتوا نحو تلاميذه فوجدوهم قد انكمشوا مختبئين وراء أبوابهم المغلقة، تركوهم وحالهم إذ لم يَعُدْ لهم وجود. أما خاصَّته من الذين أحبوه وآمنوا به وتبعوه من الشعب رجالاً ونساءً، فيكفيهم أنهم رأوا معلمهم معلقاً على خشبة العار محكوماً عليه باللعنة من الناموس: «لأن المُعلَّق ملعون من الله» (تث ٢١: ٢٣). وهذه إحدى الصور البائسة التي كانت تبدو على الجميع:

«كان إنساناً نبياً مقتدراً في الفعل والقول أمام الله وجميع الشعب، كيف أسلمه رؤساء الكهنة وحكامنا لقضاء الموت وصلبوه!! ونحن كنا نرجو أنه هو المزمع أن يفدي إسرائيل. ولكن مع هذا كله اليوم له ثلاثة أيام منذ حدث ذلك» (لو٢٤: ١٩—٢١)، إذاً قد سارت الأمور بالنسبة لرؤساء الكهنة — ومن معهم — إلى أفضل مما كانوا يتمنون!!

ولكن في صبيحة الأحد الخالد، اليوم الثالث من موت الرب ضجَّت أوساط التلاميذ والمقرَّبين بخبر قيامة الرب من بين الأموات:

«فجاءت مريم المجدلية وأخبرت التلاميذ أنها رأت الرب.» (يو٢٠: ١٨)

«ولما كانت عشية ذلك اليوم، وهو أول الأسبوع، **وكانت الأبواب مغلقة** حيث كان التلاميذ مجتمعين لسبب الخوف من اليهود، **جاء يسوع ووقف في الوسط.** وقال لهم: سلام لكم!! ولما قال هذا أراهم يديه وجنبه، ففرح التلاميذ إذ رأوا الرب.» (يو٢٠: ١٩—٢٠)

«ثم قال لتوما هات إصبعك إلى هنا وأبصر يديَّ، وهات يدك وضعْها في جنبي، ولا تكن غيرَ مؤمنٍ بل مؤمناً، أجاب توما وقال له: ربي وإلهي.» (يو٢٠: ٢٧—٢٨)

«فلما اتكأ (المسيح) معهما أخذ خبزاً وبارك وكسر وناولهما، فانفتحت أعينهما وعرفاه، ثم اختفى عنهما... فقاما في تلك الساعة ورجعا إلى أورشليم، ووجدا الأحد عشر مجتمعين هم والذين معهم، وهم يقولون إن الرب قام بالحقيقة، **"وظهر لسمعان"** وأما هما فكانا يخبران بما حدث في الطريق وكيف عرفاه عند كسر الخبز.» (لو٢٤: ٣٠—٣٥)

ويوجد تسجيل عن حوادث القيامة استلمه القديس بولس من الرسل عندما تقابل معهم: «بطرس ويعقوب ويوحنا» وذلك في أورشليم بعد أن ظهر له الرب، ويعتبر أقدم وثيقة كُتِبَتْ في الكنيسة عن حوادث القيامة:

«فإنني سلَّمت إليكم في الأول ما قَبِلتُه أنا أيضاً، أن المسيح مات من أجل خطايانا حسب الكتب، وأنه دُفن، وأنه قام في اليوم الثالث حسب الكتب، وأنه ظهر لصَفَا (بطرس)، ثم للاثني عشر، وبعد ذلك ظهر دفعة واحدة لأكثر من خمسمئة أخ أكثرهم باقٍ إلى الآن، ولكن بعضهم قد رقدوا، وبعد ذلك ظهر ليعقوب ثم للرسل أجمعين، وآخر الكل — كأنه للسِقْطِ — ظهر لي أنا، لأني

أصغر الرسل.» (١كو١٥: ٣-٩)

وظلَّ يتراءى لتلاميذه والمقرَّبين أربعين يوماً: «الذين أراهم أيضاً نفسه حيًّا ببراهين كثيرة بعد ما تألم، وهو يظهر لهم أربعين يوماً، ويتكلم عن الأمور المختصة بملكوت الله.» (أع١: ٣)

الإيمان المسيحي حصيلة استعلانات وتجليات:

لينتبه القارىء، فالإيمان المسيحي لم يبدأ بـ«القيامة» كبرهان أن يسوع هو المسيح ابن الله، لكن القيامة كانت خاتمة أو حصيلة تجلِّيات سابقة واستعلانات متوالية، أعلن فيها المسيح نفسه لتلاميذه منذ أول يوم تعرَّفوا عليه: فاسمع نثنائيل أحد التلاميذ الأولين، وفي أول مقابلة للمسيح، وفي أول يوم الخدمة المسيح يقول: «أجاب نثنائيل وقال له: يا معلم أنت ابن الله، أنت ملك إسرائيل» (يو١: ٤٩)؛ ذلك لأن المسيح بادره بكشف حقيقة كانت في قلب نثنائيل لم يكن يعلم بها أحد، أرفقها المسيح في نفس اللحظة بالكشف عن نفسه، فجاء رد المسيح عن اعترافه ليفيد أنه ليس من فراغ يشهد نثنائيل، بل عن مشاهدة سرِّية انفتحت عيناه من قِبَل الله ليرى حقيقة المسيح: «سوف ترى أعظم من هذا، وقال له الحق الحق أقول لكم: **من الآن ترون السماء مفتوحة** (كناية عن انفتاح البصيرة ورؤية الأُخرويات)، وملائكة الله يصعدون وينزلون على ابن الإنسان.» (يو١: ٥٠و٥١)

ومعروف أن المسيح بهذه الكلمات يُحيل السامع إلى حلم يعقوب إسرائيل: «ورأى حلماً وإذا سُلَّم منصوبة على الأرض، ورأسها يمس السماء، وهوذا ملائكة الله صاعدة ونازلة عليها، وهوذا الرب واقف عليها فقال: أنا الرب إله إبراهيم أبيك وإله إسحق...» (تك٢٨: ١٢و١٣). وهكذا كان قصد المسيح بقوله هذا لنثنائيل لكي يلفت نظره إلى عمق الاستعلان الذي رآه في المسيح، وكأنه يقول له سوف تنفتح عيونكم وترون الله فيَّ!

كذلك اعتراف بطرس في أوائل أيام اتِّباعه للمسيح: «فأجاب سمعان بطرس وقال: **أنت هو المسيح ابن الله الحي**» (مت١٦: ١٦)، وكان ردُّ المسيح عليه أيضاً وعلى نفس مستوى نثنائيل هكذا: «طوبى لك يا سمعان بن يونا، إن لحماً ودماً لم **يعلن لك، لكن أبي الذي في السموات**، وأنا أقول لك أيضاً: أنت بطرس وعلى هذه الصخرة أبني كنيستي، وأبواب الجحيم لن تقوى عليها» (مت١٦: ١٧و١٨). ومعنى قول المسيح هو أن اعتراف بطرس بأن يسوع هو المسيح ابن الله إنما جاء بإعلان مباشر من الله! ثم تأكيد المسيح أنه سيبني كنيسته على هذه الصخرة أي على صخرة الإيمان القائم على الاستعلان السماوي!

كذلك ومن أول آية صنعها المسيح في إنجيل يوحنا، وكأول عمل في خدمته بتحويل الماء إلى خمر سرِّي، يشير إلى ذبيحته المستقبلة، يقول القديس يوحنا هكذا: «هذه بداية الآيات التي فعلها يسوع في قانا الجليل وأظهر (استعلن) مجده.» (يو٢: ١١)

وعلى مدى جميع الآيات أي المعجزات التي صنع ــ وآخرها إقامته لعازر من الموت بعد أربعة أيام في القبر ــ التي في مجملها كانت تشير بقوة إلى الاستعلان الذي تحمله نحو لاهوته: «أنا هو القيامة والحياة... أتؤمنين بهذا؟ قالت له: نعم يا سيد أنا قد آمنت أنك أنت المسيح ابن الله الآتي إلى العالم.» (يو١١: ٢٥ــ٢٧)

بهذا نفهم أن التلاميذ وخواص المسيح تربَّت عندهم حاسة الاستعلان بحقيقة المسيح منذ أول يوم عرفوه وتبعوه، وتربى فيهم الإيمان على مستوى هذه الاستعلانات المتوالية، حتى صارت ذخيرة ملأت الوعي الروحي فيهم. صحيح أن عقبة الصليب جاءت كصدمة عنيفة أوقفت كل امتداد لهذا الوعي، فانشلَّ وتوقف وأنذر بالخطر، إلى أن جاءت القيامة، لا كخبر؛ بل استعلاناً منظوراً وملموساً تقبَّله وعي التلاميذ عن الرب، وكان من قوته أن ألغى عقبة الصليب؛ بل تجلَّى بها وتجلَّت كل الإعلانات السابقة معاً منذ أن بدأ المسيح كرازته لتبلغ به، وهو قائم أمامهم حياً، نصَّ الإيمان الكامل به الذي سبق وأن نطقه بطرس حرفاً بحرف: **«أنت هو المسيح ابن الله الحي»** والذي صرخ به توما **«ربي وإلهي»**.

كذلك فالإيمان بالمسيح الذي بلغ أَوَجَ نضجه في قلوب التلاميذ بالقيامة، نجده يأخذ نوعاً جديداً من الحركة والاندفاع في التعبير والشهادة، بسبب القوة التي حلَّت عليهم من السماء عياناً بياناً، بصورة حية وملموسة ومنظورة، لأن المسيح بعد القيامة كلَّمهم بوضوح أن ينتظروا معونة أخرى تصبغ إيمانهم صياغة روحية تفوق الفكر والنطق العادي.

+ «حينئذ **فتح ذهنهم** (قوة الاستعلان لمعرفة الحقائق الإلهية والأُخروية) ليفهموا الكتب... وها أنا أُرسل إليكم موعد أبي (الروح القدس)، فأقيموا في مدينة أورشليم إلى أن **تُلْبَسُوا قوة من الأعالي**.» (لو٢٤: ٤٥ــ٤٩)

واضح هنا أن إيمان الرسل كان يحتاج إلى قوة سمائية أعطاها لهم الله بواسطة الروح القدس الذي حلَّ عليهم يوم الخمسين.

بهذا نفهم أن الإيمان المسيحي، الذي هو حصيلة استعلانات متواترة قدَّمها المسيح لهم عن نفسه على مدى ثلاث سنوات ويزيد، اختتمت بعد موته باستعلان قيامته وظهوره حيًّا؛ هذا الإيمان

المسيحي كمَّله الله لهم بقوة خاصة من عنده هي قوة الروح القدس، فأصبح عمل الروح القدس في الإيمان عنصراً أساسياً. فهو كما عرفناه الآن أنه:

+ «قوة من السماء لبسها التلاميذ» بمعنى أنهم يعملون ويتحركون بها.

+ وأنه كما سبق المسيح وعرَّفهم أنه «**روح الحق فهو يرشدكم إلى جميع الحق.**» (يو١٦: ١٣)

+ «وأما المعزِّي الروح القدس الذي سيرسله الآب باسمي، فهو **يعلِّمكم كل شيء، ويُذكِّركم بكل ما قلته لكم.**» (يو١٤: ٢٦)

+ «ذاك يمجدني، لأنه يأخذ مما لي ويخبركم.» (يو١٦: ١٤)

+ «روح الحق الذي من عند الآب ينبثق، فهو يشهد لي، وتشهدون أنتم أيضاً.» (يو١٥: ٢٦و٢٧)

+ «ويخبركم بأمور آتية.» (يو١٦: ١٣)

هكذا دخل عمل الروح القدس ليرفع الإيمان المسيحي إلى مستوى **الحق كل الحق**، وليستمر الإنسان تحت قيادة الروح للامتداد **والنمو في التعليم بكل شيء** يلزم الإيمان، ولكي يظل الإنسان **يستمد بواسطة الروح القدس كل ما للمسيح، حيث الروح يلقِّنه للتلاميذ**؛ بل يسبق ويسابق الزمن ويُعرِّفهم بأمور قادمة يحسبون حسابها ويتلافون صِدامها.

كذلك فإن حلول الروح القدس بعلامات واضحة من السماء وبتأثيرات فعَّالة، كان إثباتاً ضمنياً أن المسيح أكمل بالفعل رحلته صعوداً إلى الآب كما قال واعداً: «ولكن إن ذهبتُ (إلى الآب) أُرسِلُه إليكم» (يو١٦: ٧). هذا معناه أن المسيح ارتفع إلى الآب، وأخذ كامل مجده الذي له: «والآن مجِّدني أنت أيها الآب عند ذاتك بالمجد الذي كان لي عندك قبل كوْن العالم.» (يو١٧: ٥)

أما عن الإيمان بجلوس المسيح عن يمين الله بعد قيامته وصعوده، ففوق أنه تحقق عياناً بياناً بالرؤية المنظورة التي رآها إستفانوس وهو تحت الرجم: «وأما هو فَشَخَصَ إلى السماء وهو ممتلىء من الروح القدس، فرأى مجد الله ويسوع قائماً عن يمين الله» (أع٧: ٥٥)، فإن المسيح نفسه سبق وألمح عن هذه المكانة التي له بقوله لتلاميذه:

+ «سألهم يسوع قائلاً: ماذا تظنون في المسيح ابن مَنْ هو؟ قالوا له: ابن داود. قال لهم: فكيف يدعوه داود بالروح ربًّا؟ قائلاً قال الرب لربي **اجلس عن يميني** حتى أضع أعداءك موطئاً لقدميك.» (مت٢٢: ٤١-٤٤)

فانظر معي، أيها القارىء، هذه الدرجات العجيبة في بناء الإيمان المسيحي:

الدرجة الأُولى بالنبوة في المزمور التي قالها داود بالروح قبل المسيح بألف سنة، وقالها وهو لا يدري ما يقول، وذلك كتسجيل إلهي، حسب قول الرب: «قبل أن يكون، حتى متى كان تؤمنون.» (يو١٤: ٢٩)

ثم **الدرجة الثانية** تفسير المسيح نفسه لمزمور داود الذي تنبأ به عن المسيح، وهنا رفع المسيح النبوة إلى نور الاستعلان مشيراً إلى نفسه.

أما **الدرجة الثالثة** فتتميم النبوَّة وتتميم الاستعلان بالجلوس الفعلي.

أما **الدرجة الرابعة** ففتح عين إستفانوس الشهيد ليرى الواقع الإلهي منظوراً بالرؤيا. وهكذا تمَّت العوامل الأساسية في تكوين الإيمان بجلوس المسيح عن يمين الله.

ولكن لا يزال حلول الروح القدس بالقوة العلنية من السماء كتتميم لوعد الله والمسيح يحمل استعلاناً آخر ذا شأن بالغ الأهمية.

فأصل النبوة عن حلول الروح القدس تحمل إشارة إلى نوع الزمن الذي سيحل فيه الروح القدس: «يقول الله (في نبوة يوئيل النبي كما ذكرها بطرس الرسول): ويكون في **الأيام الأخيرة** أني أسكب من روحي على كل بَشرٍ فيتنبأ بنوكم وبناتكم...» (أع٢: ١٧). أي أن حلول الروح القدس تصاحبه **«الأيام الأخيرة»**. هنا الأيام الأخيرة كما نحياها الآن تعني «الزمن الروحي». فبحلول الروح القدس على الكنيسة يوم الخمسين، انفتح **سفر الحياة الأخرى**، أو انفتح **«الزمن السماوي»**، أو **«زمن الخلاص»**، حيث نعيش **الآن** سيرتنا الروحية المسجَّلة في السماء: «فإن سيرتنا نحن هي في السموات» (في٣: ٢٠)، وهي التي عبَّر عنها القديس يوحنا في رسالته الأُولى «**نحن نعلم أننا قد انتقلنا من الموت إلى الحياة**، لأننا نحب الإخوة» (١يو٣: ١٤). وهذا الإيمان هو طبق الأصل وموقَّع على قول الرب: «إن مَنْ يسمع كلامي ويؤمن بالذي أرسلني، فله حياة أبدية، ولا يأتي إلى دينونة بل قد انتقل من الموت إلى الحياة.» (يو٥: ٢٤)

هذه «الأيام الأخيرة» أو الزمن الأُخروي، يسميها أيضاً القديس بولس في سفر العبرانيين: «ذاقوا كلمة الله الصالحة **وقوات الدهر الآتي**» (عب٦: ٥). هنا «ذاقوا قوات الدهر الآتي» تعني استعلاناته، أي أعمال ومواهب وطبائع الحياة الأبدية، ليس مجرد معرفة بل ذَوْق، أي إدراك فعلي لحياة آتية لم تُستعلن كاملاً بعد، هذه هي عطية الله بالإيمان(٣).

3. Westcott, *The Epistle to the Hebrews, p. 149-150.*

أي أنه بحلول الروح القدس يوم الخمسين، ابتدأ الإيمان يمتد ليحتوي قوة وبركات الحياة الآتية. فالإيمان المسيحي بحلول الروح القدس ونوال مواهبه دخل دخولاً عملياً في عمق الحياة الأبدية.

هذا المفهوم تؤيده أشد التأييد، نظرة القديس بولس إلى الروح القدس بالنسبة للإيمان المسيحي أنه بمثابة **«عربون»** أخذناه أخذاً فعلياً ملموساً بقوة حياة جديدة، وبمفاعيل واضحة جديدة «عربون حياة الحياة»، أي هو «عربون» على مستوى حياة نعيشها الآن جزئياً وبصورة مصغرة (كما في مرآة) لحياة كلّية آتية في ملء الحضور الإلهي. هنا كلمة «عربون» تعني «مقدّم» الدفع كضمان، أو صك لدفع بقية المتفق عليه أي نصيب الميراث الكامل كبنين مع المسيح في الله. فالروح القدس هو عربون ميراثنا «إذ آمنتم، خُتمتُم بروح الموعد القدوس الذي هو عربون ميراثنا.» (أف ١: ١٣و١٤)

ونودُّ لو نوضّح للقارىء القيمة الفعلية الثمينة لمعنى أخذنا الروح القدس هنا أخذاً فعلياً، بمفهوم «عربون خلاصنا»، الذي نعيشه الآن جزئياً لنحياه هناك كلياً.

فالكنيسة لما أخذت الروح القدس يوم الخمسين، دخلت فعلاً بالإيمان المسيحي الكامل في «الأيام الأخيرة»، و«ذاقت قوات الدهر الآتي»، وعاشت **«باكورة أزمنة الخلاص»**، وكانت كل العلامات تنطق بذلك الإيمان، فالإيمان كان حيًّا فعّالاً ناطقاً وشاهداً بمفاعيل أذهلت العالم.

+ «كانوا يتناولون الطعام **بابتهاج وبساطة قلب**، مُسبِّحين الله، **ولهم نعمة لدى جميع الشعب.**» (أع ٢: ٤٦و٤٧)

+ «فلما رأوا **مجاهرة بطرس ويوحنا**، ووجدوا أنهما إنسانان عديما العلم وعامّيان، **تعجبوا فعرفوهما أنهما كانا مع يسوع.**» (أع ٤: ١٣)

+ «**وبقوة عظيمة** كان الرسل يؤدُّون الشهادة بقيامة الرب يسوع، **ونعمة عظيمة كانت على جميعهم.**» (أع ٤: ٣٣)

+ «وأما هم **فذهبوا فرحين من أمام المجمع**، لأنهم **حُسبوا مستأهلين أن يُهانوا من أجل اسمه.**» (أع ٥: ٤١)

+ «وأما إستفانوس، فإذ كان **مملوءاً إيماناً وقوة**، كان **يصنع عجائب وآياتٍ عظيمة** في الشعب.» (أع ٦: ٨)

+ «ولم يقدروا أن يقاوموا الحكمة والروح الذي كان يتكلم به.» (أع ٦: ١٠)

هذه الأمثلة توضح نوع الحياة الفائقة على الطبيعة التي عاشتها الكنيسة بإيمانها الفائق على الطبيعة أيضاً، وكان فِعْل الروح القدس «**كقوة من الأعالي**» عنصراً يغذي الإيمان والسلوك والشهادة بمميزاتها الفائقة. هذا غير ما نقابله في الرسائل كلها على مستويات غير عادية، تشهد بنوع الحياة الفائقة التي كانت تحياها الكنيسة بإيمانها الحي بالمسيح، سواء في سجل المحبة الفائقة في (١ كو١٣)، أو احتمال الأحزان والضيقات والآلام بتهليل، أو احتمال سَلْب الأموال بفرح، أو مواقف الصلاة التي فتحت أبواب السجن وأسقطت السلاسل من أيدي المقيَّدين بها، وأقامت المرضى أصحَّاءَ؛ بل الموتى أحياءً. لقد عاشت الكنيسة في ملء قوات الدهر الآتي وبشَّرت بنموذج سلوكها وحبها وبذلها.

كان إيمان الكنيسة حارًّا، يتأجج كالنار في قلوب المؤمنين، إذ تم وعد الرب «جئت لأُلقي ناراً على الأرض، فماذا أريد لو اضطرمت؟» (لو١٢: ٤٩). وصحَّتها: «ولا أريد إلاَّ اضطرامها». هذه هي النار التي هبطت من عند الله على الأرض بالروح القدس فأشعلت القلوب وأنارت العالم.

أصبح الآن واضحاً، أن الإيمان المسيحي، الذي بدأ كحصيلة استعلانات للمسيح متوالية تكلَّلت وتأكدت بالقيامة من الأموات، أخذ حركة وحياة وقوة هي من صميم الدهر الآتي، انفتحت بها الكنيسة بالفعل على حياة الدهر الآتي، تعيش عربونه بالإيمان والروح، وتشهد له بقوة ليست من هذا العالم.

علاقة الكنيسة الأُولى باليهود والهيكل:

لم يكن في حياة الكنيسة الأُولى من حيث مظاهر العبادة والصلاة أو من حيث السلوك العام، ما يُقلق اليهود في شيء. فكان التلاميذ والمؤمنون المسيحيون يؤدون الصلوات الطقسية اليهودية مع اليهود، دون أن يكون لهم أي مظهر منفرد أو مميَّز، الصلوات في ميعادها، والمناسبات والأعياد أيضاً:

«وكانوا **كل حين في الهيكل** يُسبِّحون ويباركون الله.» (لو٢٤: ٥٣)

«وصعد بطرس ويوحنا معاً **إلى الهيكل** في ساعة الصلاة التاسعة.» (أع٣: ١)

«وبينما كان الرجل الأعرج الذي شُفي متمسكاً ببطرس ويوحنا، تراكض إليهم جميع الشعب **إلى الرواق الذي يُقالُ له رواق سليمان**، وهم مندهشون...» (أع٣: ١١)

«وكانوا يواظبون على تعليم الرسل والشركة وكسر الخبز والصلوات ... مُسبِّحين الله (في الهيكل)، ولهم نعمة لدى جميع الشعب (اليهودي).» (أع٢: ٤٢و٤٧)

«وجرت على أيدي الرسل آيات وعجائب كثيرة في الشعب، **وكان الجميع بنفس واحدة (الاجتماعات المسيحية) في رواق سليمان**، وأما الآخرون (اليهود المتعصبون) فلم يكن أحد منهم يجسر أن يلتصق بهم، لكن كان الشعب يعظِّمهم، وكان مؤمنون ينضمون للرب أكثر، جماهير من رجال ونساء حتى إنهم كانوا يحملون المرضى خارجاً (خارج الهيكل) في الشوارع ويضعونهم على فُرُش وأسرَّة؛ حتى إذا جاء بطرس، يخيم ولو ظلُّه على أحد منهم. واجتمع جمهور المدن المحيطة إلى أورشليم حاملين مرضى ومعذَّبين من أرواح نجسة، وكانوا يبرأون جميعهم.» (أع ٥: ١٢—١٦)

وإلى هنا لا نحس بأية حركة مضادة من اليهود عامة تجاه الكنيسة الجديدة، ولا حتى من الفريسيين، لأن تعاليم الرسل لم يكن فيها ما يتعارض مع تعاليم الفريسيين في شيء. حتى القيامة من الأموات، فهذه كان يؤمن بها الفريسيون كعقيدة ولكن دون تحديد.

أما الصدُّوقيون ومنهم رؤساء الكهنة، فلم يكونوا يؤمنون بالقيامة، فلما ابتدأ الرسل يكرزون بقيامة الرب من بين الأموات، ثم ركزوا على عملية المحاكمة والصلب متَّهمين رؤساء الكهنة علناً بسفك دم بريء، ابتدأوا يتحركون. وأخيراً، ألقوا القبض عليهم: «فقام رئيس الكهنة وجميع الذين معه، الذين هم **شيعة الصدُّوقيين**، وامتلأوا **غيرة**، فألقوا أيديهم على الرسل، ووضعوهم في حبس العامة» (أع ٥: ١٧و١٨)، وكانوا يظنُّون أنهم بهذا قادرون على إخماد صوتهم. ولكن لم يكن الرسل بلا مُعين، فالرب كان ناظراً إليهم من السماء يتابع خدمتهم وشهادتهم حسب وعده: «ولكن ملاك الرب في الليل فتح أبواب السجن وأخرجهم، وقال اذهبوا، قِفُوا، وكلموا الشعب **في الهيكل** بجميع كلام هذه الحياة.» (أع ٥: ١٩و٢٠)

وفعلاً ذهبوا. وفي الصباح، دخلوا الهيكل وابتدأوا يعلِّمون، مما حيَّر رؤساء الكهنة وكل المجمع. وهنا بدا واضحاً من كلام رئيس الكهنة أنهم بدأوا يدركون جريمة سفك الدم البريء الذي اقترفوه: «حينئذ مضى قائد الجند مع الخدام، فأحضرهم لا بعنف لأنهم كانوا يخافون الشعب لئلا يُرجَموا!! فلما أحضروهم، أوقفوهم في المجمع. فسألهم رئيس الكهنة قائلاً: أمَا أوصيناكم وصية أن لا تعلِّموا بهذا الاسم؟ وها أنتم قد ملأتم أورشليم بتعليمكم وتريدون **أن تجلبوا علينا دم هذا الإنسان ...**» (أع ٥: ٢٦—٢٨)

وفي هذه المحاكمة تدخَّل غمالائيل معلم الناموس المشهور بكل ثقله للدفاع عن الرسل بحماسة حكيمة مع رجاحة عقل ومنطق: «والآن أقول لكم تنحُّوا عن هؤلاء الناس واتركوهم، لأنه إن كان هذا الرأي أو هذا العمل من الناس فسوف يَنتقض، وإن كان من الله فلا تقدرون أن تنقضوه لئلا توجدوا محاربين لله أيضاً. فانقادوا إليه، ودعوا الرسل وجلدوهم وأوصوهم أن لا يتكلموا باسم

يسوع ثم أطلقوهم.» (أع٥: ٣٨ـ٤٠)

«وأما هم فذهبوا فرحين من أمام المجمع، لأنهم حُسبوا مستأهلين أن يُهانوا من أجل اسمه، **وكانوا لا يزالون كل يوم في الهيكل** وفي البيوت معلّمين ومبشّرين بيسوع المسيح.» (أع٥: ٤١و٤٢)

وبعدها بدأ يخمد صوت رؤساء الكهنة بسبب التيار الشديد الذي بدأ يجرف الشعب بالآلاف: «فقَبِلوا كلامه بفرح، واعتمدوا وانضم في ذلك اليوم نحو ثلاثة آلاف نفس.» (أع٢: ٤١)

وابتدأت الكنيسة تنمو وتمتد بسرعة هائلة: «وكانت كلمة الله تنمو، وعدد التلاميذ يتكاثر جداً في أورشليم، **وجمهور كثير من الكهنة يطيعون الإيمان.**» (أع٦: ٧)

قتل إستفانوس أول شهيد في المسيحية وبداية ظهور كنيسة الأمم:

كان النظام المالي والاجتماعي في الكنيسة الأولى على مستوى الشركة، فالأموال تركزت في أيدي الرسل، أو على الأصح حسب التعبير الروحي **«تحت أرجل الرسل»**. وكان التوزيع يتم بحسب احتياج كل واحد:

«وكان لجمهور الذين آمنوا قلب واحد ونفس واحدة. ولم يكن أحد يقول إن شيئاً من أمواله له، بل كان عندهم كل شيء مشتركاً ... إذ لم يكن فيهم أحدٌ محتاجاً، لأن كل الذين كانوا أصحاب حقول أو بيوت كانوا يبيعونها ويأتون بأثمان المبيعات و يضعونها عند أرجل الرسل، فكان يوزَّع على كل أحد كما يكون له احتياج.» (أع٤: ٣٢ـ٣٥)

هنا يلزمنا أن نقف وقفة قصيرة لنوضح الآتي:

فإنه بكرازة الرسل بالإيمان بيسوع المسيح، دخل الإيمانَ المسيحي اليهودُ الذين من الشتات، أي من غير المستوطنين في أورشليم (وكانوا يسمونهم بالرجال الأتقياء أو بالأتقياء فقط). وهؤلاء كانوا من جنسيات كثيرة وبأعداد كبيرة، ونسمع عنهم بوضوح في سرد قصة حلول الروح القدس يوم الخمسين عندما بدأ الرسل يتكلمون بألسنة أي بلغات الأمم:

«وكان يهود **رجال أتقياء** من كل أمة تحت السماء، ساكنين في أورشليم. فلما صار هذا الصوت (حلول الروح القدس) اجتمع الجمهور (جمهور اليهود) وتحيَّروا، لأن كل واحد كان يسمعهم يتكلمون بلغته. فبُهِتَ الجميع، وتعجبوا قائلين بعضهم لبعض: أترى ليس جميع هؤلاء المتكلمين جليليين. فكيف نسمع نحن كلُّ واحدٍ منا لغته التي وُلد فيها. فَرْتِيُّون وماديون وعيلاميون والساكنون ما بين النهرين واليهودية، وكَبَّدُوكِيَّة، وبُنْتُس، وآسيا، وفَرِيجية، وبَمْفيلية،

ومصر ونواحي ليبية التي نحو القيروان، والرومانيون المستوطنون، يهودٌ ودخلاءُ، كريتيون، وعُرْبٌ، نسمعهم يتكلمون بألسنتنا بعظائم الله.» (أع٢: ٥ــ١١)

وكان لكل جماعة منهم **مجمعٌ** (سيناجوج) للعبادة والصلاة التي كانت تُقام بلغة كل جنس. فالذين آمنوا بالمسيح منهم، ظلت كل جماعة محتفظة بشكلها ولغتها.

ولما بدأ الرسل عملية تنظيم التوزيع اليومي للأكل والاحتياجات الأخرى، حدث بعض التمييز بين المسيحيين اليهود من أصل وطني وكانوا يسمون بالعبرانيين و بين المسيحيين اليهود من الأمم، مما نتج عنه إدخال تنظيم جديد في الكنيسة: «وفي تلك الأيام إذ تكاثر التلاميذ حدث تذمُّر من اليونانيين على العبرانيين، أن أراملهم كُنَّ يُغْفَلُ عنهن في الخدمة اليومية. فدعا الاثنا عشر جمهورَ التلاميذ، وقالوا: لا يرضى أن نترك نحن كلمة الله ونخدم موائد. فانتخبوا أيها الإخوة سبعة رجال منكم مشهوداً لهم ومملوئين من الروح القدس وحكمة، فنقيمهم على هذه الحاجة، وأما نحن فنواظب على الصلاة وخدمة الكلمة» (أع٦: ١ــ٤). وفعلاً، اختاروا السبعة من يهود الأمم الرجال الأتقياء المتنصرين، وكان أبرزهم شخصان كان لهما دورٌ كبيرٌ في حياة الكنيسة الأولى، الأول إستفانوس والثاني فيلبُّس.

وكان إستفانوس حكيماً وممتلئاً بالروح القدس، قوي الحجة، خطيباً ومجادلاً لاهوتياً مقتدراً. هذا بالرغم من أنه أُقيم على ذمة خدمة الموائد، إلاَّ أنه انطلق في البشارة يشهد للمسيح بقوة حيَّرت اليهود، ولأول مرة في الكنيسة بدأ يعلِّم جهاراً **ببطلان الناموس وعوائد اليهود في ظل نعمة المسيح وعدم التقيُّد بالعبادة في الهيكل**، بعد أن نادى المسيح بالعبادة بالروح والحق، **مشيراً بذلك إلى مستقبل زوال الهيكل**. فكانت هذه الأمور بمثابة أول هجوم سافر على اليهودية شكلاً وموضوعاً، مما أثار حفيظة اليهود، وليس اليهود فقط بل أثارت حتى المسيحيين من اليهود المتنصِّرين، سواء العبرانيين أصلاً أو أهل الشتات، الكلُّ قام قَوْمَةً واحدة ضد إستفانوس، ودخلوا معه في نقاش وحوار ازداد عنفاً حتى بلغ نقطة الاشتعال:

«فنهض قوم ــ يهود ــ من المجمع الذي يُقال له مجمع اللِّيبَرْتينيين (من روما) والقيروانيين والإسكندريين، ومن الذين من كيليكيَّا (موطن بولس) وأسيا، يحاورون إستفانوس. ولم يقدروا أن يقاوموا الحكمة والروح الذي كان يتكلم به. حينئذ دسُّوا لرجال يقولون إننا سمعناه يتكلم بكلام تجديف على **موسى** وعلى **الله**. وهيَّجوا الشعب والشيوخ والكتبة، فقاموا وخطفوه، وأتوا به إلى المجمع (بقرب الهيكل ومتصل به). وأقاموا شهوداً كذبة يقولون: هذا الرجل لا يفتر عن أن يتكلم **كلاماً تجديفاً ضد هذا الموضع (الهيكل) المقدس والناموس**. لأننا سمعناه يقول إن **يسوع**

الناصري هذا سينقض هذا الموضع، ويغيِّر العوائد التي سلَّمنا إياها موسى.» (أع٦: ٩ــ١٤)

وواضح من هذه الاتهامات أن المسيحية ــ على أيدي يهود الأمم المتنصِّرين ــ بدأت تزعزع الأسس الثابتة عند اليهود: موسى، والناموس، والهيكل، والعوائد.

ومن دفاع إستفانوس، نفهم أنه أخذ خط المسيح، فلم يهاجم موسى أو الناموس، بل على النقيض مدح موسى وكرَّمه للغاية، وإنما هاجم آباء اليهود الذين عَصوا موسى وتمرَّدوا عليه. كما أنه لم يهاجم الناموس، بل هاجم اليهود الذين يحاكمونه، لأنهم لم يعملوا بالناموس أو يحفظوه، فهم الذين أثبتوا عدم نفْعه بإهمالهم له. وهو لم يهاجم الهيكل، بل هاجم فكرة أن يكون لله بيتٌ على الأرض أو مكانٌ يستريح فيه. كما هاجم العوائد ضمناً التي أهَّلتهم أن يقتلوا الأنبياء السابقين ويقتلوا المسيح نفسه، والمسيح هو روح النبوة!

وفي الحقيقة يُعتبر دفاع إستفانوس من أقوى الدفاعات التي قُدِّمت في هذا الشأن، وهو يستمد روحه من تعليم المسيح بمهارة تفوق قدرة شماس حديث التنصُّر (أع٧: ٢ــ٥٣)!

وفجأة، تخطى القديس إستفانوس خط الدفاع وانقضَّ على رؤساء الكهنة وأعضاء المجمع بهجوم عنيف على سلوكهم، واصفاً إياهم بأقذع الصفات، وألقى في وجههم بكلمات الله التي نطقها الروح على فم الأنبياء السابقين، إنما بسلطان يفوق سلطان الأنبياء: «يا قساة الرِّقاب وغير المختونين بالقلوب والآذان، أنتم دائماً تقاومون الروح القدس ــ كما كان آباؤكم ــ كذلك أنتم، أيُّ الأنبياء لم يضطهده آباؤكم؟ وقد قتلوا الذين سبقوا فأنبأوا بمجيء البار، **الذي أنتم الآن صرتم مسلِّميه وقاتليه،** الذين أخذتم الناموس بترتيب ملائكة ولم تحفظوه.» (أع٧: ٥١ــ٥٣)

ولم يكمِّل القديس الشهيد كلامه، ولا هم ساروا خطوة واحدة في المحاكمة، إذ كان كل شيء مدبَّراً.

قتلوه وهو رافعٌ رأسه نحو السماء يرى مجد الله والمسيح قائماً عن يمين الله: «فقال ها أنا أنظر السموات مفتوحة ــ (كوعد المسيح تماماً) ــ وابن الإنسان قائماً عن يمين الله.» (أع٧: ٥٦)

ويلذُّ لك، أيها القارىء، أن تعلم أن كلمة «شهيد» بمعنى شَهَد للمسيح تحت الموت وشاهده قد نُحِتَتْ أول ما نُحِتت، وأُطلقت أول ما أُطلقت في المسيحية على القديس إستفانوس (أنظر أع٢٢: ٢٠: «إستفانوس شهيدك»)(٤).

---

4. Conybeare, *op. cit.*, p. 61.



بوابة القديس إسطفانوس

حيث يعتبر ــ تقليدياً ــ أنه الموضع الذي تم فيه استشهاد القديس إسطفانوس

وقبل أن يستودع روحه في يد المسيح نطق بالغفران لقاتليه: «وصرخ بصوت عظيم يا رب لا تُقِمْ لهم هذه الخطية، وإذ قال هذا رَقَد» (أع٧: ٦٠). وعجيب حقاً هذا الشهيد، أيها الإخوة، أنه بغيرة نارية أخذ يعدِّد خطايا الذين جلسوا يحاكمونه، وبنفس الغيرة صفح عن خطيتهم لما قتلوه!!

وفي هذه المقارنة الصارخة التي بغير قياس، يتأمل القديس أغسطينوس فيها ويقول(٥): [إن الكنيسة في رِبْحِها لبولس، مَدِينَةٌ لصلاة إستفانوس].

SI STEPHANUS NON ORASSET ECCLESIA PAULUM NON HABERET(٦).

ولقد ظلَّت صورة هذا الشهيد وهو يموت، وصلاة مغفرة قاتليه التي هي آخر كلمات على شفتيه، أقدس صورة في المسيحية بعد صورة المسيح على الصليب.

وهكذا تحمَّل القديس إستفانوس أول شهداء المسيحية عبء أوَّل وأقسى عملية جراحية مؤلمة لإخراج كنيسة المسيح حرَّة منفصلة دون التصاقات من ـــ بطن أمها ـــ اليهودية، التي خرجت منها، وقد دفعت الثمن دماً بدم.

وعندئذ بدأ الاضطهاد العنيف والمنسَّق ضد «كنيسة الأمم»، خاصة التي كان يمثلها هؤلاء الشمامسة. «**حدث في ذلك اليوم اضطهاد عظيم على الكنيسة التي في أورشليم** فتشتَّت الجميع في كور اليهودية والسامرة ـــ **ما عدا الرسل**» (أع٨: ١)، لأن الرسل كانوا ملتصقين بالهيكل، ولهم هيئة بقية اليهود.

وظلَّ **الرسل** بقيادة الأعمدة الثلاثة بطرس ويعقوب ويوحنا متركزين في أورشليم يقودون الكنيسة التي بدأت تنتشر خارج أورشليم: «وأما الكنائس في جميع اليهودية والجليل والسامرة فكان لها سلام، وكانت تُبْنَى وتسير في خوف الرب، وبتعزية الروح القدس كانت تتكاثر» (أع٩: ٣١). أما هم، فلم يتغير شيء في عبادتهم عن الخط اليهودي العادي من حيث الصلاة والعبادة والتسبيح داخل الهيكل مع اليهود، ولم تكن كرازتهم لها أي اتجاه معادٍ للناموس أو الختان أو الهيكل أو موسى، ولكن اتهامهم المتكرر لرؤساء الكهنة علناً أنهم المسئولون عن صلب المسيح وإهدار دم بريء هو الخط المنتقَد الوحيد المُعادي لرؤساء الكهنة، دون أي مساس بالميراث اليهودي من كل نواحيه. وقد دفعوا ثمن هذا الاتهام بالسجن والضرب مرتين، ولكن الملاك أخرجهم في المرة الثانية، واستأنفوا كرازتهم داخل الهيكل بحسب أمر الملاك. وبعدها قُتِل القديس

---

5. Ibid., p. 62.

(٦) وترجمتها الحرفية: [لو لم يصلِّ إستفانوس لما ربحت الكنيسة بولس].

يعقوب الرسول أخو يوحنا الرسول بيد هيرودس إرضاءً لليهود، ثم بعده سُجِنَ القديس بطرس بنيَّة قتله أيضاً ولكن الملاك أخرجه من السجن. وبعد ذلك، لا نسمع عن أي صدام في أورشليم. وبقي الاضطهاد والضرب والسجن والتعذيب والقتل قاصراً على كنائس الأمم خارج أورشليم.

٣ ـ شاول يضطهد الكنيسة

«بنيامين ذئب يفترس، في الصباح يأكل غنيمة، وعند المساء يُقَسِّمُ نهباً.» (تك٤٩: ٢٧)

(نبوة يعقوب عن بنيه)

عودة إلى القديس إستفانوس الشهيد، لنبدأ سيرة بولس الرسول:

قول حكيم، بل هو نبويٌّ أن «دماء الشهداء بذار الكنيسة»، بمعنى أن دم الشهيد هو البذرة الكنسية التي إن سقطت على الأرض أقامت كنيسة، ولكن دم أول شهيد للمسيح كان بذرة تحمل شكل كل كنائس الأمم بطولها وعرضها.

لما كانوا يرجمون هذا الشهيد ذا الوجه الملائكي(٧)، كان يحرس ثياب القاتلين شاب اسمه شاول. لم يكن ذلك مصادفة؛ بل كان تدبيراً متقناً من الإله الحكيم الذي أراد أن يطبع صورة هذا الوجه الملائكي لهذا الشاهد الشهيد القديس وهو يموت على ذاكرة ذلك الفريسي العاتي، ويسجل في أعماق وعيه هذا الدفاع المسيحي الذي خلخل نوافل المعتقدات اليهودية التي كانت راسخة في عقلية اليهود كالجبال الرواسي.

كان اضطهاد رؤساء الكهنة وتحرُّكهم قائماً على أساس سياسي وحقد ذاتي، وذلك بحكم وظائفهم. هكذا رأيناه في كل تصاريحهم العلنية والمُضمَرة في اضطهاد المسيح والحكم عليه، كذلك أيضاً في امتداد الاضطهاد على تلاميذه والمؤمنين، فهي نفس القضية، وقد أُضيف إليها افتضاح جريمتهم في سفك دم بريء. وقد صار الشهود ضدهم عشرات الألوف. أما اضطهاد الفريسيين عامة فلا يأتي إلاَّ من دوافع عقيدية، فإن لم يتوفر لهم الدافع بيقين وعن اقتناع فهم لا يتحركون. هكذا وجدنا كيف انسحبوا من محاكمة المسيح في النهاية وتركوا الميدان للصدوقيين ورؤساء الكهنة ولم يحضروا الصليب(٨). بل وكيف دافع غمالائيل وهو كبيرهم عن موقف التلاميذ أمام المجمع

---

(٧) «ورأوا وجهه كأنه وجه ملاك.» (أع٦: ١٥)

(٨) أنظر كتاب: «شرح إنجيل القديس يوحنا، للأب متى المسكين، شرح الآية ١١: ٤٧و٤٨، ص٦٩٨ـ٧٠١.

الملتئم لمحاكمتهم، وأفتى بإخلاء ساحتهم وسُمع له من أجل هيبته ورجاحة حكمه.

ولكن، وبعد أن أشعل إستفانوس شرارة الهجوم على الناموس والعوائد والسبت والهيكل وموسى نفسه، وضع الفريسيين ــ وشاول بولس بالذات ــ في موضع الحركة والهجوم المضاد، إذ وفَّر له من الأسباب العقائدية ما هو كفيل للمقاومة. وبحسب ما تنبأ به يعقوب أبو الآباء عن طبيعة ومسلك بنيامين رأس السبط وهو جدُّ بولس الأول (أنظر النبوة على رأس الفصل)، فقد تحرك «الذئب» بعد أن سُفِكَ أمامه دمُ أول حمل من خراف القطيع: «أما شاول فكان لم يزل ينفث تهدُّداً وقتلاً على تلاميذ الرب.» (أع ٩:١)

لقد أقام أول عاصفة هوجاء على جميع المؤمنين ــ من اليهود اليونانيين المتنصرين ــ في أورشليم حتى بدَّدهم في أنحاء البلاد المحيطة: «وحدث في ذلك اليوم (يوم استشهاد إستفانوس) اضطهاد عظيم على الكنيسة التي في أورشليم، فتشتت الجميع في كور اليهودية والسامرة ما عدا الرسل.» (أع ٨:١)

وكان هذا الإعصار العصيب الذي انتزع المؤمنين من أحضان الهيكل، وكأنه هو الخطة الإلهية لخروج الكلمة والبشارة حرَّة إلى كل أقطار الأرض:

+ «فالذين تشتتوا جالوا مبشرين بالكلمة، فانحدر فيلبس (زميل إستفانوس) إلى مدينة من السامرة وكان يكرز لهم بالمسيح.» (أع ٨:٤و٥)

وفي الحال تحركت الكنيسة الأم ترعى أول وليد لها في السامرة:

+ «ولما سمع الرسل الذين في أورشليم أن السامرة قد قبلت كلمة الله، أرسلوا إليهم بطرس ويوحنا.» (أع ٨:١٤)

وإن كانت الفترة الزمنية التي خصصها القديس لوقا في سفر الأعمال لسرد أخبار هذا الاضطهاد الشرس الذي اضطلع به بولس جاءت ضيقة للغاية، بل ومبتورة، فلم تتعدَّ بعد استشهاد إستفانوس سوى آية أو اثنتين، إلاَّ أنه بالرجوع لما سجَّله القديس بولس عن نفسه وعن اضطهاده المريع الذي صوَّره هو بحسب رؤيته، فقال عنه أنه كان «**بإفراط**»، وتجيء باليونانية ὑπερβολὴν وتعني أكثر من «عنف» حيث العنف هو βολή و«هيبرفولي» تعني «**فوق ــ أي ــ أكثر من عنف**».

وهذه هي تعبيرات بولس التي عبَّر بها عن مساحة وعمق وطبيعة اضطهاده:

+ «يا رب هم يعلمون أني كنت **أحبس**، **وأضرب** في كل **مجمع** الذين يؤمنون بك. وحين

سُفك دم إستفانوس شهيدك كنتُ أنا واقفاً **وراضياً بقتله** وحافظاً ثياب الذين قتلوه.»
(أع٢٢: ١٩و٢٠)

+ «اضطهدتُ هذا الطريق **حتى الموت، مقيِّداً** ومسلِّماً **إلى السجون** رجالاً **ونساءً**.» (أع٢٢: ٤)

+ «فأنا ارتأيتُ في نفسي أنه ينبغي أن أصنع **أموراً كثيرة مضادة لاسم يسوع الناصري**، وفعلت ذلك أيضاً في أورشليم **فحبست في سجون** كثيرين من القديسين، آخذاً السلطان من قِبَل رؤساء الكهنة. **ولما كانوا يُقتلون ألقيتُ قرعة بذلك**» (أع٢٦: ٩و١٠). الأصح بدل «قرعة» تجيء «صوت» أي أعطيتُ صوتي بالموافقة!

+ «وفي **كل المجامع** كنت **أُعاقبهم** مراراً كثيرة، **وأضطرُّهم إلى التجديف. وإذ أفرط حنقي** عليهم، كنت **أطردهم إلى المدن التي في الخارج**.» (أع٢٦: ١١)

+ «أنا الذي كنت قبلاً **مجدِّفاً، ومضطهِداً، ومفترياً**.» (١تي١: ١٣)

+ «كنت **أضطهد كنيسة الله بإفراط، وأُتلفها**.» (غل١: ١٣)

عثرة بولس في المسيح التي دفعته لاضطهاد الاسم:

يكشف لنا بولس الرسول عن العثرة التي اصطدم بها، والتي جعلته يقاوم المسيح ويجدِّف عليه، وبالتالي يضطهد الكنيسة بجنون وبلا رحمة، أو بحسب تعريفه: «حتى الموت». فقد قال عن هذه الفترة هكذا: «نحن نكرز بالمسيح مصلوباً **لليهود عثرة**، ولليونانيين جهالة» (١كو١: ٢٣). فهو يرى أن اليهود إنما فقدوا فرصة الإيمان بالمسيح بسبب هذه العثرة: «**ألعلهم عثروا لكي يسقطوا**» (رو١١: ١١). وهنا يفرِّق بولس الرسول بين العثرة والسقوط، بمعنى أن اليهود عثروا في المسيح، ولكن لم يسقطوا من رحمته نهائياً مثلما صنع المسيح فيه هو، أي في بولس.

كذلك يرى أن المسيح صار لليهود «حجر صدمة وصخرة **عثرة**، (ولكن) كل من يؤمن به لا يخزى» (رو٩: ٣٣). وقد أوضح نوع هذه العثرة التي شخَّصها الناموس، ولكنهم أخطأوا فهمها: «المسيح افتدانا من **لعنة الناموس** إذ صار "**لعنة**"، لأجلنا **لأنه مكتوب ملعون كل من عُلِّق على خشبة**» (غل٣: ١٣). هنا يكشف لنا بولس الرسول كيف صار صليب المسيح هو محور العثرة عنده، إذ ترجمه على حياة المسيح وموته أنه مجرد إنسان أفرزه الناموس وصلبه وحكم عليه باللعنة. ولا يهم بعد ذلك إن كان الذين حكموا عليه كانوا خادعين أو مخدوعين، فطالما رضي الله أن يتم فيه حكم الناموس باللعنة فقد صار مفروزاً وملعوناً، فإن كان هؤلاء المسيحيون ـــ أصحاب «الطريق» ـــ ينادون به ربّاً ومسيحاً فهم مجدِّفون على الله وعلى الناموس ويحلُّ دمهم، وتصح فيهم كل عقوبة رادعة لإخراسهم أو لردِّهم للصواب. أما صورة المسيا التي يؤمن بها بولس ويترقبها

كعلامة فهي ما جاء عنه: «ويحلُّ عليه روح الرب» (إش١١: ٢)؛ وليس اللعنة، لذلك صارت كل حجج أهل الطريق ودفاعهم مرفوضة.

ولكن واضح أن بولس لم يجرؤ أن يبدأ الاضطهاد إلاَّ بعد أن افتتح له رؤساء الكهنة ــ وبإجماع أصوات المجمع ــ الباب للاضطهاد والقتل قانونياً.

ولكن يُلاحظ الذي يتتبع أعمال بولس الجنونية وإفراط حنقه الزائد عن الحد، أن الشيطان كان يستخدمه ضد المسيح بصورة مكشوفة لم تَفُتْ عليه، بل أحسَّها بعد ذلك واعترف بقوله ناصحاً: «لئلا **يطمع** فينا الشيطان لأننا (الآن) **لا نجهل أفكاره**» (٢كو٢: ١١). وفعلاً إن أعظم وصف لبولس القتَّال هو أنه كان قد طمع فيه الشيطان واستغلَّه وسلَّمه عقله وسلطانه!

بولس يحصل على خطابات توصية من رئيس الكهنة لمزيد من الاضطهاد خارج أورشليم:

وحينما أحس بولس أن جميع المؤمنين فرُّوا خارج أورشليم، صمَّم أن يتعقَّبهم: «فتقدم إلى رئيس الكهنة وطلب منه رسائل إلى دمشق، إلى الجماعات، حتى إذا وجد أناساً **«من الطريق»** رجالاً أو نساءً، يسوقهم موثقين إلى أورشليم.» (أع٩: ١و٢)

نحن نعلم أن معظم المؤمنين بعد موت الشهيد إستفانوس خرجوا من أورشليم وانتشروا في البلاد المحيطة حتى لبنان وقبرص:

+ «أما الذين تشتتوا من جراء الضيق الذي حصل بسبب إستفانوس فاجتازوا إلى **فينيقية** (لبنان الآن)، **وقبرس** (الجزيرة)، **وأنطاكية** (عاصمة سوريا)، وهم لا يكلمون أحداً بالكلمة **إلاَّ اليهود فقط**» (أع١١: ١٩). وهكذا وضع بولس الخطة أن يتعقبهم في المدن التي طردهم إليها: «وإذ أفرط حَنَقي عليهم، كنت أطردهم إلى المدن التي في الخارج.» (أع٢٦: ١١)

وهكذا كانت رحلة بولس إلى دمشق! ولم يكن في تاريخ الكنيسة ما يضارع هذه الرحلة في أثرها الممتد عبر الدهور كلها! خرج بولس من أورشليم ميمِّماً شطر دمشق، محمَّلاً بخطابات توصية لذوي الحيثية، إنْ في مجامع دمشق الكثيرة أو لدى أصحاب النفوذ في إدارة شئون الدولة على قدر ما ملكت أيدي حنان وقيافا[٩] وزمرتهم من نفوذ، لكي يُمنح شاول سلطات فائقة يستطيع بها أن يصنع بالمسيحيين كل ما اشتهت نفسه، والقصد أن يطفىء النيران المشتعلة في قلوب أتباع يسوع،

(٩) قيافا مات سنة ٥٦م.

ولم يَدْرِ هو أنها ستلتهمه، والذئب الذي اصطدم بالراعي الصالح سيحوّله إلى غنمة. أما رؤساء الكهنة الذين ظنهم بولس سنداً له وعضداً، فدارت الأيام ووقع تحت جلداتهم التسعة والثلاثين إلى ثلاث مرات، حتى تهرأ ظهره وحمل سمات الرب!!

ولا نعرف هل كان في رحلته هذه راكباً أم مترجِّلاً، ولكن الذي نعرفه أنه كان يرافقه نفر من القوم، ربما من خَدَم المجمع، بسيوف وعصيٍّ!!

اقترب بولس من دمشق المدينة ذات الألفي عام قبل الميلاد؛ فهي أقدم مدينة في العالم، قائمة مزدهرة بنفس شكلها وموقعها حتى الآن(١٠). وقد تضاربت الأقوال في المسافة التي كان بلغها بولس مقترباً من المدينة، فمن قائل أنها اثنا عشر ميلاً إلى من قال أنها ستة أميال، إلى من يقول أنها ميلان اثنان. وأخيراً مَنْ يؤكد أنه كان على مسافة نصف ميل فقط، وهذا القول الأخير يعتمد على أقدم الحجج، وحجتهم في ذلك أن بولس وقد انعمت بصيرته، ما كان يمكن أن يسير أكثر من هذا وهم يقتادونه ممسكين بيديه، ولعل هذا أيضاً يتناسب مع رحمة الذي دعاه.

ويؤكد العالم المؤرخ ستانلي أن دخوله دمشق كان من الباب الشرقي وليس الجنوبي(١١).

---

(١٠) هي أقدم من زمن إبراهيم. فخادم إبراهيم لعازر كان من دمشق (تك١٥: ٢). ويُقال، عن شكسبير، أن في هذا المكان قتل قايين أخاه هابيل. عن: Conybeare, op. cit., p. 71 n. 1,2.

(11) Ibid., p. 73.

الفصل الثالث

حادث دمشق

ظهور المسيح لبولس ودعوته للخدمة

+ «وسيف ماض ذو حدين يخرج من فمه ووجهه كالشمس وهي تضيء في قوتها.» (رؤ١:١٦)
+ «إله آبائنا انتخبك ... وتبصر البار وتسمع صوتاً من فمه.» (أع٢٢:١٤)
+ «أما رأيتُ يسوع المسيح ربنا؟» (١كو٩:١)
+ «ظهر لي أنا!!» (١كو١٥:٨)
+ «أشرق في قلوبنا لإنارة معرفة مجد الله في وجه يسوع المسيح.» (٢كو٤:٦)

إن تسجيل رواية ظهور الرب لشاول، جاءت في سفر الأعمال على ثلاث مرات، مرة من قلم القديس لوقا ومرتين على فم بولس الرسول نفسه. فالمساحة التي احتلَّتها هذه الرواية لا يفوق اتساعها بين صفحات الإنجيل إلاَّ رواية صلب المسيح. وهذا يوحي إلينا بمقدار اهتمام الوحي الإلهي بالدور الذي قام به بولس الرسول في البشارة بإنجيل الفداء، كما يبرز لنا استعلان قيامة المسيح من السماء بعد ثلاث سنوات من قيامته. حيث يظهر الرب شخصياً كمدبِّر لكنيسته، منقذاً لها وممارساً لعمله الأول في انتخاب رُسُله.

كان يوماً مشهوداً، السماء صحو، والوقت ظهيرة، والشمس في قيظ الصيف في أشد لمعانها، والرحلة من أورشليم بلغت نهايتها إلاَّ قليلاً، فقد تركوا شواطىء بحيرة طبرية بجوها اللطيف وخضرتها الداكنة، ودخلوا في مرتفعات الجليل ــ الأعلى ــ «الجولان» بطرقها الصخرية وصحرائها القاحلة. فكان الحدث الذي ارتجّت له حياة بولس وبحسب وصفه:

+ «رأيت في نصف النهار في الطريق، أيها الملك، نوراً من السماء أفضل من لمعان الشمس، قد أبرق حولي وحول الذاهبين معي. فلما سقطنا جميعنا على الأرض سمعت صوتاً يكلمني

ويقول باللغة العبرانية: شاول شاول لماذا تضطهدني (وتُنطق باللغة العبرانية هكذا: Saul saul ma'att radepinni?) صعب عليك أن ترفس مَنَاخِسَ. فقلت أنا: مَنْ أنت يا سيد؟ فقال: أنا يسوع الذي أنت تضطهده. ولكن قُمْ وقِفْ على رجليك، لأني لهذا ظهرتُ لك لأنتخبك خادماً وشاهداً بما رأيت وبما سأظهر لك به، منقذاً إياك من الشعب ومِنَ الأمم الذين أنا الآن أُرسلك إليهم، لتفتح عيونهم، كي يرجعوا من ظُلُماتٍ إلى نورٍ، ومِنْ سلطان الشيطان إلى الله، حتى ينالوا بالإيمان بي غفران الخطايا ونصيباً مع المقدَّسين.»(١)

(أع٢٦: ١٣–١٨)

+ «فحدث لي وأنا ذاهب ومتقرِّب إلى دمشق، أنه نحو نصف النهار بغتة، أبرق حولي من السماء نور عظيم، فسقطت على الأرض، وسمعت صوتاً قائلاً لي شاول شاول لماذا تضطهدني. فأجبت: مَنْ أنت يا سيد؟ فقال لي: أنا يسوع الناصري الذي أنت تضطهده. والذين كانوا معي نظروا النور وارتعبوا، ولكنهم لم يسمعوا صوت الذي كلمني. فقلت ماذا أفعل يا رب؟ فقال لي الرب: قُمْ، واذهب إلى دمشق وهناك يُقالُ لك عن جميع ما ترتب لك أن تفعل. وإذ كنتُ لا أُبصر من أجل بهاء ذلك النور، اقتادني بيدي الذين كانوا معي فجئتُ إلى دمشق.» (أع٢٢: ٦–١١)

وبحسب وصف القديس لوقا المختصر:

+ «وفي ذهابه حدث أنه اقترب إلى دمشق، فبغتة أبرق حوله نور من السماء فسقط على الأرض، وسمع صوتاً قائلاً له: شاول شاول لماذا تضطهدني؟ فقال: مَنْ أنت يا سيد. فقال الرب: أنا يسوع الذي أنت تضطهده. صعب عليك أن ترفس مناخس. فقال وهو مرتعد ومتحيِّر: يا رب ماذا تريد أن أفعل؟ فقال له الرب: قُمْ وادخل المدينة فيُقال لك ماذا ينبغي أن تفعل... فنهض شاول عن الأرض، وكان وهو مفتوح العينين لا يبصر أحداً. فاقتادوه بيده وأدخلوه إلى دمشق، وكان ثلاثة أيام لا يبصر، فلم يأكل ولم يشرب.»

(أع٩: ٣–٩)

وفي نفس الوقت ظهر الرب يسوع في رؤيا لحنانيا وهو من التلاميذ: «فقال له الرب قُمْ واذهب إلى الزقاق الذي يُقال له المستقيم، واطلب في بيت يهوذا رجلاً طرسوسياً اسمه شاول لأنه هوذا يصلي... لأن هذا لي إناء مختار ليحمل اسمي أمام أمم وملوك وبني إسرائيل. لأني سأُريه كم

---

(١) معروف أنه في انكشاف الحقائق السماوية، لا يمكن أن يرى كل واحد ما يراه الآخر أو يسمع ما يسمعه الآخر، لأن الاستعلان بالرؤية يعتمد أساساً على مقدار وعمق ووعي الإنسان الروحي، حيث لا يتساوى اثنان في المدارك الروحية، ولا يتفق اثنان على معنى واحد، لذلك نجد في وصف هذا الاختبار تعدد الشهادات من حيث الرؤيا والسمع والإدراك (أع٩: ٤٧: ٢٢: ٩).



«قُمْ، واذهب إلى الزقاق الذي يُقال له المستقيم،
واطلب... رجلاً طرسوسياً اسمه شاول.» (أع ٩: ١١)
بينما هو لا يبصر أحداً، اقتاد بولسَ رفقاؤه إلى داخل دمشق، إلى زقاق المستقيم. وهذه هي بوابة دمشق القديمة التي تؤدي إلى زقاق المستقيم.

(أنظر صفحة ٧٢)



نحت من الفن المسيحي من القرن الرابع، ويمثل المسيح صاعداً بين ملاكين وهو يترك كتاباً للتلاميذ، بينما القديس بطرس عن اليمين والقديس بولس عن اليسار، أما الرجل في أسفل الصورة الممسك ستراً فيمثل العالم، وفوقه السماء، رمزاً إلى سيادة المسيح على الكل (راجع عب ٢: ٨، ١ كو ١٥: ٢٥ـ٢٧). أما الأعمدة فتمثل الهيكل، وهي رمز للسماء موضع سكنى الله (عب ٩: ٢٤).

ينبغي أن يتألم من أجل اسمي.» (أع ٩: ١١و١٥و١٦)

هنا نود أن نلفت نظر القارىء إلى أن كافة الشراح في الغرب ظنوا أن صوت الرب كان يسمعه بولس في داخله وحسب، ومنهم مَنْ يعتقد أن المسألة لا تخرج عن انفعال نفساني أو ربما مرض عصبي ـــ كذا ـــ ولكن هذه المتاهات توضِّح عدم المعرفة بدرجات الاستعلان وأصوله واستعداداته، فاستعلان صوت الله يأتي بدرجات متفاوتة جداً.

منها ما يكون أشد من البوق وأرعب منه حتى إن سامعه لا يقوى على سماعه و يستعفي: «وهتاف بوق وصوت كلمات استعفى الذين سمعوه أن تُزاد لهم كلمة.» (عب ١٢: ١٩)

ومنها ما يأتي خفيفاً هيناً ليناً: «... وبعد النار صوت منخفض خفيف، فلما سمع إيليا لفَّ وجهه بردائه وخرج ووقف في باب المغارة، وإذا بصوت إليه يقول ما لك ههنا يا إيليا؟» (١مل ١٩: ١٢ و١٣)

ومنها ما يأتي والإنسان يصلي كما سمعه بولس نفسه وعبَّر عنه وكأنه كان في غيبة إلى لحظة: «... وكنت أصلي في الهيكل، أني حصلت في غيبة، فرأيته قائلاً لي: أسرع واخرج عاجلاً من أورشليم، لأنهم لا يقبلون شهادتك عني.» (أع ٢٢: ١٧ و١٨)

ومنها ما يأتي في الرؤيا والإنسان شبه نائم يرى ويسمع ويتكلم: «فقال الرب لبولس برؤيا في الليل: لا تَخَفْ؛ بل تكلَّم ولا تسكت، لأني أنا معك ولا يقع بك أحدٌ ليؤذيك لأن لي شعباً كثيراً في هذه المدينة.» (أع ١٨: ٩و١٠)

ويلاحظ القارىء أن القديس بولس اختبر درجات الاستعلان جميعاً، فحينما يقول إنه رأى الرب وسمع صوته في وسط النهار وهو سائر على قدميه، ومن الرعبة سقط على الأرض، وسأل الرب والرب ردَّ عليه، بعد كل هذا لا يصح ولا يجوز لأي شارح أن يكذِّب خِبْرةً مثل هذه، لم يذُقْ هو منها شيئاً بالمرَّة.

ولو لم تكن رؤية بولس للرب رؤية عينية متكاملة وواعية، والحواس متيقظة مع الروح معاً، ما قال بعد ذلك: «ألستُ أنا رسولاً. ألست أنا حرًّا، **أما رأيتُ يسوع المسيح ربنا.**» (١ كو ٩: ١)؛ ومرة أخرى حينما أخذ يعدِّد ظهور الرب حيًّا بالجسد بعد القيامة لبطرس الرسول ويعقوب: «وآخر الكل كأنه للسقط **ظهر لي أنا.**» (١ كو ١٥: ٨)

ثم يجيء لنا شاهد على أعلى مستوى يشهد للرؤيا التي رآها بولس، ويشهد لما سمع، ويكرره

هو كما سمعه أيضاً من المسيح الذي كلَّمه: «فمضى حنانيا(٢) ودخل البيت ووضع عليه يديه، وقال: أيها الأخ شاول، **قد أرسلني الرب يسوع الذي ظهر لك في الطريق الذي جئتَ فيه،** لكي تبصر وتمتلىء من الروح القدس.» (أع ٩: ١٧)

وشاهد آخر يأتي من على بعد وله شهادة أيضاً: «فأخذه برنابا وأحضره إلى الرسل وحدَّثهم **كيف أبصر الرب في الطريق، وأنه كلَّمه، وكيف جاهر في دمشق باسم يسوع.**» (أع ٩: ٢٧)

ويعود بولس يسرد لنا ما قاله له حنانيا بأكثر تدقيق: «ثم إن حنانيا رجلاً تقيًّا حسب الناموس ومشهوداً له من جميع اليهود السكان (في دمشق)، أتى إليَّ ووقف، وقال لي: أيها الأخ شاول أبصر. ففي تلك الساعة نظرتُ إليه. فقال: إله آبائنا انتخبك لتعلم مشيئته، **وتبصر البار، وتسمع صوتاً من فمه،** لأنك ستكون له شاهداً لجميع الناس **بما رأيت وسمعت**. والآن لماذا تتوانى؟ قُمْ واعتمدْ، واغسلْ خطاياك، داعياً باسم الرب.» (أع ٢٢: ١٢—١٦)

ونحن إذ نُعيد ونزيد فيما قاله ورآه وفيما سمعه وشهد له، فما ذلك **إلاَّ** لأن هذه الرؤية بكل ظروفها الدقيقة للغاية صارت بالنسبة لبولس مصدر إشعاع لاهوتي لا حدود له، ومحور تحوُّل هائل في حياته ومفهوماته ومعتقداته. وسوف نسمع كيف صاغ بولس من كلمات هذه الرؤية وظائفه ومسئولياته إزاء مَنْ كانوا يتحدَّون رسالته ورسوليته.

+ «بولس رسولٌ **لا من الناس ولا بإنسان، بل بيسوع المسيح** والله الآب...» (غل ١: ١)
+ «بولس عبد ليسوعَ المسيح، **المدعوُّ رسولاً** المفرز لإنجيل الله...» (رو ١: ١)
+ «بولس رسول يسوع المسيح **بحسب أمر الله** مخلصنا وربنا يسوع المسيح رجائنا.» (١تي ١: ١)

وكم مرَّة انتعشت روحه فأخذ يزهو بدعوته لكرازة الأمم؛ بل ولتسمع السماء أيضاً لا عن افتخار جسدي بل باعتداد ووثوق بالصوت الذي دعاه وتبنَّاه وقوَّاه: «لي أنا أصغر جميع القديسين **أُعطيت هذه النعمة، أن أُبشِّر بين الأمم بغنى المسيح الذي لا يُستقصى**، وأُنيرَ الجميع في ما هو شركة السر المكتوم منذ الدهور، في الله خالق الجميع (بيسوع المسيح)؛ **لكي يُعرَّف الآن عند**

---

(٢) يقول التقليد أن حنانيا كان أحد السبعين رسولاً، وقد صار أسقفاً على دمشق، وأنهى خدمته بالشهادة على يدي ليوسيانوس الحاكم Lucianus. ولو أن القديس يوحنا ذهبي الفم يعتقد أنه لم يكن من مقدَّمي الرسل السبعين، ولكن أن يختاره الله ليعمِّد رسولاً وهو بولس، ففي ذلك الكفاية كشهادة لعلوِّ شأنه لدى الله. عن: Conybeare, op. cit., p. 78 n.2,3.

الرؤساء والسلاطين في السماويات بواسطة الكنيسة بحكمة الله المتنوعة حسب قصد الدهور الذي صنعه في المسيح يسوع ربنا.» (أف٣: ٨—١١)

وهكذا أخيراً دخل بولس دمشق **مَقُوداً من يديه**، أعمى لا يبصر!! هذا الذي جاء **ليقيِّد حرية أولاد الله** و يسلسلهم بقيود، وعوَض أن يقتحم بيوتهم كذئب يتلصص ليسبي رجالاً ونساءً، دخل منحني الرأس في الزقاق الذي يُدْعَى «المستقيم» عند رجل مسيحي يُدعى يهوذا يلتمس رحمة!!

ولثلاثة أيام جلس بولس وحيداً في بيت يهوذا يتفكر فيما سمعه وفيما رآه، يجترُّ في ظلام وحدته شريط أحداث الماضي الطويل والطويل جداً، فأعمال الماضي ومناظر الأمس القريب بدأت تلاحقه، وبالأخص وجه إستفانوس؛ فلم يكف عن الصلاة، وكان لكل صلاة يصليها استجابة منذ ذلك اليوم.

وبعد ثلاثة أيام رأى رجلاً اسمه حنانيا قادماً إليه، وواضعاً عليه يديه وقال له أبصر! «وقد رأى في رؤيا رجلاً اسمه حنانيا داخلاً وواضعاً يده عليه لكي يبصر.» (أع٩: ١٢)

وبالفعل(٣)، أوصى الله حنانيا في رؤيا أيضاً أن يمضي إليه: «فمضى حنانيا ودخل البيت، ووضع عليه يديه، وقال: أيها الأخ شاول، **قد أرسلني الرب يسوع الذي ظهر لك في الطريق الذي جئت فيه**، لكي تبصر وتمتلىء من الروح القدس. فللوقت وقع من عينيه شيء كأنه قشور، فأبصر في الحال، وقام، واعتمد، وتناول طعاماً فتقوَّى.» (أع٩: ١٧—١٩)

نظر حوله فوجد الكل مرتاباً ووَجِلاً، ودخل شاول فترة من أعصب فترات حياته، فما كان يظن أبداً أن يأتي اليوم الذي يقف فيه موقف المنبوذ! فلا المسيحيون جرأوا أن يقتربوا إليه، ولا اليهود رضوا أن يقترب منهم. أما المسيحيون، فمناظر وعلامات التعذيب كانت لا تزال على أجسادهم، وأخبار الذين طرحهم في السجون كلها ليست قصص الأمس البعيد؛ بل قصة اليوم، ولا تزال جروحهم عليهم: «ولما جاء شاول إلى أورشليم، حاول أن يلتصق بالتلاميذ، وكان الجميع يخافونه غير مصدِّقين أنه تلميذ» (أع٩: ٢٦). وأما اليهود، فلما سمعوا شهادته بالمسيح فزعوا، وأخذتهم الحيرة والدهشة: «فبُهت جميع الذين كانوا يسمعون وقالوا: أليس هذا هو الذي

(٣) ظهور الرؤية، نفس الرؤية، لاثنين معاً بما سيحدث، كان هذا في الكنيسة الأُولى أحد عناصر التدبير الإلهي لتأكيد الحقائق السماوية فيما يخص دخول الأمم، أنظر رؤيا بطرس وكرنيليوس المشتركة بينهما (أع١٠). وكلا الروايتين انتهتا بالعماد، سواء لكرنيليوس أو لبولس، ولكن عماد بولس كان بمثابة تكريس جرن معمودية كل كنائس الأمم في كل العالم منذ بولس حتى اليوم!

أهلك في أورشليم الذين يَدْعون بهذا الاسم؟؟؟ وقد جاء إلى هنا (وهم على علم بذلك) لهذا، ليسوقهم موثقين إلى رؤساء الكهنة؟ وأما شاول، فكان يزداد قوة ويحيِّر اليهود الساكنين في دمشق، محققاً أن هذا هو المسيح.» (أع٩: ٢١و٢٢)

«وللوقت جعل يكرز في المجامع بالمسيح أن هذا هو ابن الله» (أع٩: ٢٠). لأنه لم يكن معانداً للرؤيا: «من ثَمَّ، أيها الملك أغريباس، لم أكن معانداً للرؤيا السماوية؛ بل أخبرتُ أولاً الذين في دمشق وفي أورشليم حتى جميع كورة اليهودية ثم الأمم أن يتوبوا ويرجعوا إلى الله، عاملين أعمالاً تليق بالتوبة.» (أع٢٦: ١٩و٢٠)

ثلاث سنوات في العربية:

لم تكن حياة بولس كلها في خطر حقيقي مُحْدِق به من كل الجوانب، كما كانت في هذه الأيام الأُولى من اقتباله المسيحية والمناداة بالمسيح ابن الله، في مجامع اليهود!

يقول القديس بولس إنه انطلق إلى العربية ــ مملكة النباطيين (٤) ــ لكي يتوارى قليلاً عن أعين المتربِّصين به. ولكن ذهابه إلى العربية كان أساساً لإعادة بناء إيمانه.

«والعربية» هي المنطقة المتاخمة للبحر الميت من شرق حيث قبر موسى، وتنتهي عند خليج العقبة. ومن مدنها الهامة بوسترا. وعاصمة تلك البلاد هي بِتْرا، وهي غالباً البلدة الذي استقر فيها، وليس من المعقول أنه لم يكرز هناك بالمسيح وسط العرب القاطنين في هذه الأماكن، لأننا نسمع عن بِتْرا أنها كانت مركز أسقفية في أوائل القرن الثالث، وأن العلاَّمة أوريجانوس أوفد من قبل ديمتريوس بابا الإسكندرية لتصحيح تعاليم أسقفها المدعو بريللوس وقد نجح في مهمته.

والعداء الذي نشأ بين «الحارث» والي دمشق، وهو نفسه ملك بترا، وبين بولس حتى إنه أمر بحراسة أبواب دمشق للقبض عليه ــ غالباً بعد رجوعه من العربية ــ يكشف عن خلفية خدمة بولس في بلاده.

فحسب ظننا، أن رؤساء الكهنة تحركوا على عجل عند عودة بولس من العربية إلى دمشق، وأرسلوا قوة متخفية من الرجال الخطرين ذوي الحيلة في الخطف، انطلقت إلى دمشق، وبرسائل توصية إلى الوالي العربي الموالي لليهود وهو المدعو «الحارث» Aretas (٥)، أحكموا الالتفاف حول

---

(٤) ملكها هو (أريتاس) الحارث الرابع (٩ق.م. ــ ٤٠ م).

(٥) وهو الحارث الرابع وملك من سنة ٩ ق.م. ــ ٤٠ م.

المدينة، وابتدأوا يحرسون أبواب المدينة للقبض على بولس، الذي اعتُبر لديهم أخطر مرتدٍّ ظهر بين اليهود، ولكن خدمة بولس كانت قد أخرجت من اليهود أنفسهم مخلصين وأمناءَ للمسيح، فأسرعوا وعملوا كل الاحتياطات العاجلة. وإذ وجدوا أحد المؤمنين وكان منزله ملاصقاً للسور، وفي أعلاه طاقة تطل على الخارج، أسرعوا وأنزلوا بولس بحبال وبذلك نجا من مكيدة اليهود والحارث معاً: «ولما تمت أيام كثيرة تشاور اليهود ليقتلوه، فعلم شاول بمكيدتهم، وكانوا يراقبون الأبواب أيضاً نهاراً وليلاً ليقتلوه. فأخذه التلاميذ ليلاً، وأنزلوه من السور مُدَلِّين إياه في سَلّ» (أع ٩: ٢٣—٢٥).

أما بولس فيحكي هذا الحادث هكذا:

«في دمشق، والي الحارث الملك كان يحرس مدينة الدمشقيين يريد أن يمسكني، فتدلّيتُ من طاقةٍ، في زنبيل، من السور، ونجوتُ من يديه.» (٢ كو ١١: ٣٢—٣٣)

وواضح من هاتين الروايتين أن اليهود استعانوا بالحارث، وكلٌّ منهما كان له معه ضغينة.

التغير الكبير في حياة بولس:

بعد أن أفاق بولس من الصدمة، ويا لها من صدمة مباركة!! استمر ثلاث سنوات لا نعلم عنه شيئاً بالمرة، «ولكن لمَّا سَرَّ الله، الذي أفرزني من بطن أمي، ودعاني بنعمته، أن يُعلِنَ ابنه فيَّ لأُبشِّر به بين الأمم، للوقت لم أستشِرْ لحماً ودماً، ولا صعدتُ إلى أورشليم إلى الرسل الذين قبلي، بل انطلقتُ إلى العربية، ثم رجعت أيضاً إلى دمشق» (غل ١: ١٥—١٧). لقد كانت فترة مراجعة وتوبة ودراسة على يد الروح القدس، وانفتاح وعي الإيمان على أعلى وأعمق إمكانياته.

ومن أحاديث الرسول بولس وتعاليمه، يمكن أن نستنتج خطوط التغيير التي حدثت في أفكاره ومبادئه وعقيدته.

«شاول شاول لماذا تضطهدني ... أنا يسوع الذي أنت تضطهده»! (أع ٩: ٤و٥)

بمجرد أن سمع بولس هذا وتحقق من أن الذي يحدّثه من السماء بوجهه الأكثر لمعاناً من الشمس في الظهيرة هو يسوع الناصري، الذي اضطهد هو أولاده وعذّبهم حتى الموت، ارتجّت نفسه فيه، وانقلبت عليه أفكاره، بل ومادت الدنيا من تحت رجليه فماذا بقي له؟ إذا كان يسوع المصلوب هو الذي يكلمني بنفسه من السماء بوجهه اللامع الإلهي ودون أن يوجد أي شك في ذلك؛ إذاً، فقد بطلت لعنة الصليب!! لقد أبطلها المسيح. إذاً، فهو حقاً وبالحقيقة المسيَّا الموعود. لقد تقبَّل اللعنة من الله لمَّا عُلِّق على الصليب، وبقيامته من الموت أَبْطَلها! إذاً، فهو تقبَّلها لا لأنه كان مستحقاً لها وإلاَّ ما كان يستطيع أن يقوم من الموت؛ ولكن لأنه قام وارتفع إلى السموات، فقد رفعها ليس عن نفسه قط، بل عن كل الذين تحت الناموس!! بل ورفعها نهائياً **من الناموس**، فلم

يَعُدْ الناموس قادراً أن يحكم بعد ضد كلِّ من يكسر الناموس؛ إذاً، لقد أُبطل الناموس!!!

إن بولس، كفريسي، كان قد درس في العلوم الأخروية عند الربيين[٦] أن مجيء المسيّا ستبطل صلاحية الناموس. لهذا كان بلوغه هذه النتيجة هو تطبيق الواقع أمام عينيه على ما تعلّمه، فأيقن أنه بالمسيح صارت نهاية الناموس فعلاً. لذلك، وبالتالي، وعن ضرورة مطلقة، أصبح كلُّ من يحاول أن يفرض الناموس على كل من يؤمن بالمسيح إرضاءً للناموس، فهو يكون قد جحد المسيح!! هذا كان قلب الإيمان النابض عند بولس الرسول منذ أن رأى وجه الرب يسوع المسيح من السماء وهو يدعوه.

إن كل أعمال التعذيب والعقوبات التي أفْضَتْ إلى موت الكثير من أتباع المسيح، ظهرت الآن أنها ضلالة وجهالة، تلك التي كرّس لها بولس حياته وظنّها قمة الشهادة للبرِّ الذي له بالناموس! فإذا بها أعمال تستوجب غضب الله وتستحق الدينونة بلا رحمة!! فماذا بقي له من أعمال الناموس ليستند عليها وقد آلت كلها ضد الحق والله؟

حينما قال له المسيح: «لماذا تضطهدني؟»، أدرك بولس أن آلام المؤمنين باسمه حينما كانوا يئنُّون من ثِقَل التعذيب، قد سَرَتْ في جسد المسيح وهو في السماء، فارتاع بولس وأحسَّ وكأنه كان يعذِّب المسيح؛ وامتد بروحه، فأدرك أن أحياء المسيح على الأرض هم حقيقة من لحمه وعظامه، وكان هذا السرُّ ينطق بل يصرخ بحقيقته في أعماقه، فكان يزيده رعباً، لأنه كاد يلمسه لمساً، فهو الآن شريكٌ في استعلان المؤمنين كلحم المسيح وعظامه. فالذين ضربهم ليس هم الذين صرخوا، بل الذي صرخ هو المسيح!!! وبولس هو الوحيد الذي سمع!!!

امتد بولس بروحه، فأدرك سرَّ الوحدة والإلتحام هذا القائم بين المؤمنين والمسيح بهذه القوة والواقعية الحيَّة، فاختبرها وعاشها، ومجَّدها، وشهد بها:

+ «فأحيا، لا أنا، بل المسيح يحيا فيَّ.» (غل ٢: ٢٠)

+ «بما أنكم فعلتموه بأحد إخوتي هؤلاء الأصاغر فَبِي فعلتم.» (مت ٢٥: ٤٠)

+ «من يقبلكُم يَقْبَلُني.» (مت ١٠: ٤٠)

+ «والذي يُرْذِلُكُم يُرْذِلُني.» (لو ١٠: ١٦)

فحينما تكلَّم المسيح عن الذين كان يعذِّبهم بولس، وكأنه هو لسان حالهم، أدرك بولس أن

---

6. F.F.Bruce, *New Testament History*, p. 241.

المسيح هو رأس المؤمنين الذين هم جسده الصامت، يتوجع بوجعهم و يعبِّر هو عن شكواهم، يحمل أحزانهم و يقتسم ضيقاتهم: «في كل ضيقهم تضايق» (إش٦٣: ٩). فأدرك بولس حقيقة الجسد السري؛ فإن كان المسيح قد اشترك في جسدنا، فلكي يعطينا الفرصة أن نشترك في جسده. وأدرك بولس على مستوى الواقع واليقين قول المسيح: «أنتم فيَّ وأنا فيكم» (يو١٤: ٢٠). وظلَّ يردد طول حياته قولته المشهورة: «في المسيح» ἐν Χριστῷ، «أستطيع كل شيء في المسيح الذي يقويني» (في٤: ١٣)، لأنه لا يكون بولس هو الذي سيعمل وحده بل «الله هو العامل فيكم أن تريدوا وأن تعملوا.» (في٢: ١٣)

«صَعْبٌ عليك أن ترفُسَ مَنَاخِسَ (بالجمع) (٧)» (أع ٩: ٥):

كان قول الرب هذا إشارة واضحة إلى أن الرب قبل أن يداهمه على طريق دمشق ليضع ختاماً لمأساة الكنيسة والمؤمنين، كان قد داهمه كثيراً في الضمير عندما كان يُمعن في تعذيب الأبرياء وإيذاء نفوسهم رجالاً ونساءً ضعيفات. ولكن بولس كان يتجاوز النخسة تلو النخسة بعناد جاهل: «أنا الذي كنت قبلاً مجدِّفاً ومُضطهِداً ومفترياً، ولكنني رُحِمتُ، لأني فعلتُ بجهل في عدم إيمان.» (١تي١: ١٣)

وكان يرادف النخس سؤال ضمير صارخ مكتوم: ألا يمكن أن يكون يسوع الناصري هذا هو المسيَّا؟ كان قلبه يلتهب إلى لحظة، ثم يعود إلى تجمُّده. كان الرب يزيد عليه النَّخْس، ولكن عبثاً، فلم يرتَدِعْ. فكان يغطي على صراخ ضميره بمزيد من العنف. كان وجه إستفانوس الملائكي وهو يصلي صلاته الأخيرة غافراً لخطية قاتليه هو أشدَّ المناخس التي لاحقت ضميره وعذَّبته، لأن صلاة البار تَقْتدر كثيراً في فِعْلها (يع٥: ١٦)، ألم يُصَلِّ إستفانوس من أجل شاول، هذا الذي كان راضياً بقتله، فأين يفرُّ بولس من حصار هذه الصلاة؟ يقول القديس أغسطينوس: [إن الكنيسة في ربحها لبولس مَدِينة لصلاة إستفانوس](٨).

إن العداوة المُرَّة التي كانت تعتصر قلب بولس وهو يتعقب المؤمنين بلا رحمة، كان يقابلها منهم صفحٌ ودعاءٌ ومحبةٌ خالصةٌ من قلب طاهر بشدة، فكانت هذه كلها تزعج روح بولس وتثير فيه الشكوك. فكانت أقوى المناخس المسنَّنة. وهل يمكن أن تكون هذه النفوس القديسة الوديعة تلاميذ إنسان مُضِلّ؟ وحينما كان يخلو إلى فراشه كانت اعترافاتهم عن محبة المسيح ولطفه كسهام نارية

---

(٧) يحمل رعاة البقر قضيباً من حديد ذا سنٍّ مدبب ينخسون به البقر المتواني في السير، ومن عادة البقر أن يرفس أي شيء يقترب من جسمه، فعندما ينخسه الراعي بالمنخاس يرفس البقر المنخاس فيصرخ من شدة الألم فيسرع في سيره.

(٨) أنظر صفحة ٦٥.

مصوَّبة نحوه تعذِّب ضميره: ألا ربما يكون هو المسيَّا؟

وعندما أكمل المسيح كل المناخس اللازمة لضعضعة عناده وعُتوّه وهو سائر على طريق دمشق، كان وكأنه على ميعاد مع صاحب هذه المناخس! وانفتح عليه المسيح:

مَنْ أنت يا سيد؟

أنا هو صاحب المناخيس!

فأدرك بولس في الحال أنه هو هو المسيَّا! لقد كان له في قلبه ألف شهادة وشهادة، صحيح أنه استطاع أن يطمسها طويلاً وبعناد، ولكن لم يستطع أن يطمسها إلى النهاية، وها قد جاء الميعاد.

والآن، وقد أتاه بنفسه وبوجهه المضيء من السماء، وسمع صوته، فأنهى على كل الشكوك، فدخلت كلماته الحية أُذنيه وقلبه فأحيتهما من موت، وبلغ بها اليقين: هو الرب: «أما رأيتُ يسوعَ المسيحَ رَبَّنا.» (١ كو٩:١)

وهكذا جلس بولس يراجع تَوْراته: هذا هو المسيَّا!! الذي انتظرته كل الأجيال السالفة، ويا للطف الله ورحمته! كيف يظهر لي أنا الذي اضطهدتُه وأتلفتُ كنيسته بإفراط، وافتريتُ وجدَّفتُ بلا حساب!!!

هذا هو المسيح بصليبه الذي تحوَّل له إلى مجد؛ فتحول لنا إلى خلاص وفداء. كان عثرة حياتي؛ والآن قد صار مصدر قوتي وخلاصي. لقد جدَّفتُ عليه في جهلي والآن: «حاشا لي أن أفتخر إلا بصليب ربنا يسوعَ المسيح» (غل٦:١٤). لقد احتسبتُه صليب اللعنة والخزي له وللمؤمنين؛ وكنت لا أطيق سماع حتى اسمه؛ أما الآن «لم أعزمْ أن أعرفَ شيئاً بينكم إلاَّ يسوعَ المسيحَ وإياه مصلوباً.» (١ كو٢:٢)

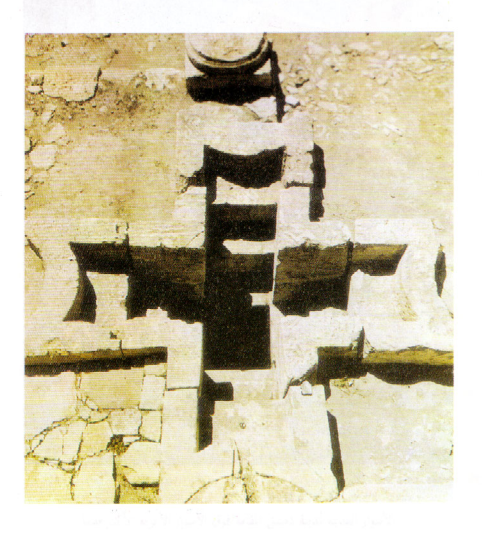
وكلمة «الصليب» التي كانت قمة الجهالة عند بولس، وتثير في قلبه مزيداً من العداوة والاحتقار له ولكل المؤمنين به؛ تحوّلت له وفيه إلى مصدر قوة للخلاص: «فإن كلمة الصليب عند الهالكين جهالة؛ وأما عندنا نحن المخلَّصين فهي قوة الله.» (١ كو١:١٨)

استعلان المسيح لبولس من السماء حيًّا، ممجَّداً، مُدبِّراً لكنيسته، متكلماً، داعياً بولس لخدمته، جعلته يقرن بسهولة، وبواقعية حيَّة، بين موت المسيح وقيامته: «أنا هو الأول والآخِر، والحي وكنت ميتاً وها أنا حي إلى أبد الآبدين.» (رؤ١: ١٧و١٨)

إن ظهور المسيح، أول ظهور لشاول وهو قائم من الموت في حياة ومجد لا يزول، جعلت القيامة

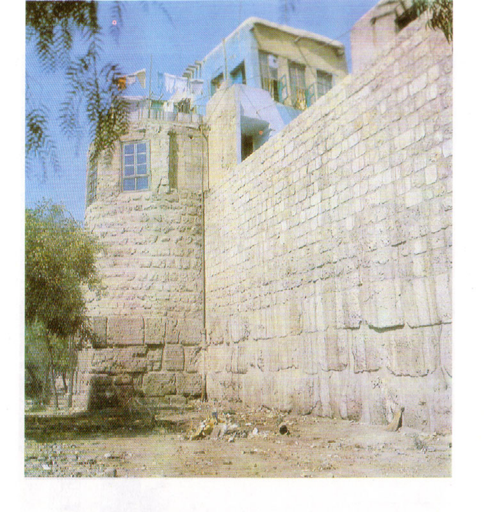


نحت من القرن الرابع، يمثل صورة رمزية للمسيح الملك يسلّم الإنجيل إلى الرسولين القديسين بطرس وبولس، هذا لأهل الختان وذلك للأمم.
وتحت قدميه العالم مرموزاً إليه بإنسان يحمل ستراً يمثل جَلَد السماء.



«مدفونين معه في المعمودية التي فيها أُقِمتُم أيضاً معه بإيمان عمل الله الذي أقامه من الأموات.» (كو٢:١٢)

جرن معمودية على هيئة صليب في إحدى الكنائس القديمة بآسيا الصغرى



الأسوار القديمة لمدينة دمشق المقامة فوق الأسوار الأثرية الأكثر قدماً

في القرن الأول المسيحي كانت دمشق مدينة تتمتع بالحكم الذاتي داخل الإمبراطورية الرومانية، ولكن لأن يهود أورشليم استطاعوا أن ينالوا لأنفسهم فيها بعض الحقوق على باقي الشعب اليهودي، فقد كان يحق لهم القبض عليهم واقتيادهم للمحاكمة، كما صنع شاول بالمسيحيين قبل تجديده (أع ٩: ١-٣)

وفي زمن السِلْم كانت تُترك بعض المنازل التي تخالف النظام وتُبنى فوق السور (مثل الذي يظهر في الصورة)، وقد تمكن بولس الرسول من الهرب عن طريق أحد هذه المنازل (أع ٩: ٢٥).

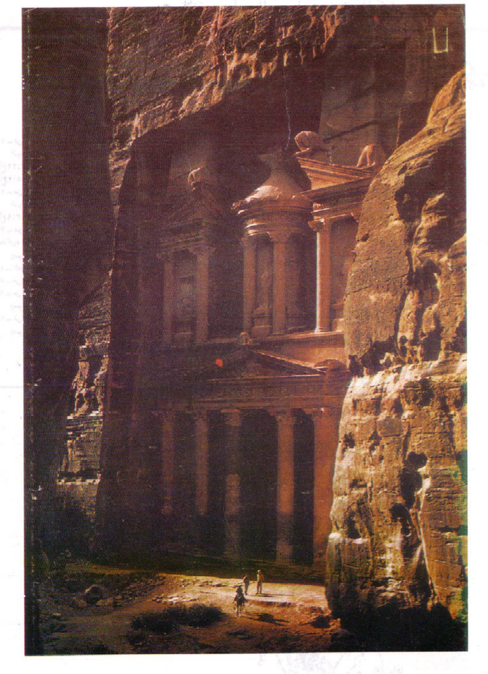
(أنظر صفحة ٧٦-٧٧)



أسوار دمشق

أُعيد بناؤها بالطريقة القديمة في نفس المكان الذي هرب منه القديس بولس (أع٩: ٢٥).

(أنظر صفحة ٧٦_٧٧)

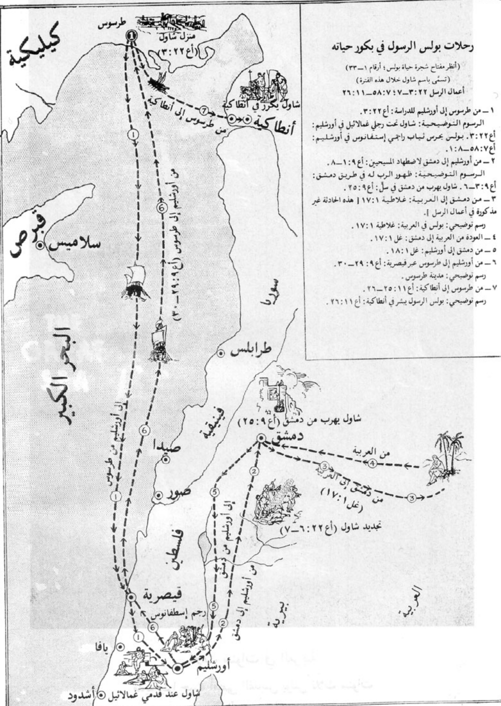


ثلاث سنوات في العربية

مدينة بترا حيث أمضى القديس بولس ثلاث سنوات

(أنظر صفحة ٧٦)

رحلات بولس الرسول في حياته المبكرة



في المسيح — عند بولس الرسول — تسود بقوة فوق الموت الذي سمع به ولم يَرَهُ. لذلك كان يلذُّ لبولس الرسول أن يتحدث عن الحياة في المسيح: «عالمين أن المسيح بعد ما أُقيم من الأموات، لا يموت أيضاً، لا يسود عليه الموت بعد. لأن الموت الذي ماته، قد ماته للخطية مرة واحدة؛ **والحياة التي يحياها، فيحياها لله**. كذلك أنتم أيضاً، احسبوا أنفسكم أمواتاً عن الخطية، **ولكن أحياءً لله بالمسيح يسوع ربنا**.» (رو٦: ٩—١١)

ظهور المسيح لبولس حيًا من السماء، في ملء القيامة وقوتها ومجدها وجلالها الدائم، جعل موت المسيح على الصليب مركز انبعاث للحياة هذه، في ملء قوتها ومجدها، فاستمد منها بولس كل دقائق لاهوته، حيث صارت القيامة التي رآها في المسيح هي بعينها استعلان الخليقة الجديدة التي رأى فيها بولس نفسه كواحد من خلائقه التي لها باكورة الروح بثقة ويقين: «إن كان أحد في المسيح، فهو خليقة جديدة. الأشياء العتيقة قد مضت (حياة الناموس المُذلَّة). هوذا الكلُّ قد صار جديداً.» (٢كو٥: ١٧)

كذلك ظهور المسيح في السماء في مجد ربوبيته، وبوجهه الإنساني المتلألىء بالنور الإلهي، جعله يمسك بالعنصرين الإلهي والإنساني في المسيح عن واقعية مرئية ومُستعلَنة بالروح بآن واحد. ولكن أي إنسانية هذه التي ملكت ملء اللاهوت وادَّثرت بالنور كالثوب؟ لقد تيقَّن بولس أن المسيح جمع في نفسه، لا العنصر الإنساني؛ بل البشرية «ككُلٍّ وأفرادٍ معاً»، **ليرتفع بها أمام الله في دالة البُنُوَّة!**

كان في منظره «**كإنسان**»؛ وفي حقيقته كان هو «**كلُّ إنسان**»، «**كلُّ البشرية**»: «إن كان واحد قد مات لأجل الجميع، **فالجميع إذاً ماتوا**» (٢كو٥: ١٤). لذلك قال عن يقين القول والرؤية، **أننا مُتْنا معه، وقُمنا معه، ومعه نجلس في السموات!**

وحينما أطلَّ المسيح في مجده على بولس من السماء،

أدرك بولس الوطن السمائي المعدَّ للخليقة الجديدة للذين يموتون في المسيح ويحيون له من الآن،

أدرك نوع الحياة الممجدة التي سيحياها مُتَّقُوه،

أدرك حتمية زوال العالم الحاضر، بعد اكتمال التبنِّي فداء الأجساد لقبول مجد الحياة الأبدية.

أدرك أن الرجاء الذي نرجوه الآن بالقيامة من الأموات يستمد اليقين من المسيح الناظر إليه من السماء.

عمل المسيح في القديس بولس:

إن الطبيعة البشرية لا تتحول إلى حياة جديدة مستقرَّة حسب الروح فجأة أو كنَقْلَةٍ واحدة، ولكن التغيير يتم على مراحل حسب ما يعبِّر به بولس الرسول نفسه: «ونحن جميعاً ناظرين مجد الرب بوجه مكشوف (بدون الناموس كوسيط)، كما في مرآة، **نتغير إلى تلك الصورة عينها من مجد إلى مجد، كما من الرب الروح.**» (٢كو٣:١٨)

هكذا ظلَّ المسيح يبني هذا الرسول لحساب خلاص الأمم، ويشكِّل فيه بالروح على مدى السنين كفخَّاريٍّ حكيم يتعهد آنية مهيأة لكرامة حَمْل اسمه العظيم القدوس: «لأن هذا لي إناءٌ مختار ليحمل اسمي...» (أع٩: ١٤)، «لكي يبيِّن غنى مجده على آنية رحمة قد سبق فأعدَّها للمجد، التي أيضاً دعانا نحن إياها.» (رو٩: ٢٣و٢٤)

فإذا كان الوعي اللاهوتي المسيحي عند بولس قد انفتح على مصراعيه بظهور المسيح له من السماء والتكلم معه، إلاَّ أن منهجه الروحي كان وليد حركة بطيئة، وقد استلهمه من المسيح رأساً: «للوقت لم أَسْتَشِرْ لحماً ودماً، ولا صعدت إلى أورشليم إلى الرسل الذين قبلي؛ بل انطلقت إلى العربية، ثم رجعت أيضاً إلى دمشق، ثم بعد ثلاث سنين صعدت إلى أورشليم **لأتعرَّف** ببطرس، فمكثت عنده خمسة عشر يوماً» (غل١: ١٦–١٨). معنى هذا أنه سلَّم قيادة استنارته لله ولروحه، فليس من فراغ يقول إنه لم يستلم إنجيله من إنسان، ولا عُلِّمَه من أحد؛ بل بإعلان يسوع المسيح (غل١: ١١و١٢)، ولكنه طابقه على إنجيل المسيح بيد الرسل.

هذا أخذ من بولس في البداية ثلاث سنوات، منعزلاً وحده، يجترُّ فيها معرفته ودراسته على حقائق استعلان المسيح ابن الله. زادها المسيح بعد ذلك على طول المدى باستعلانات متتالية وكثيرة، عرفنا منها القليل الذي صرَّح به هو مُرْغَماً في مواقف الحرج، ليثبت قوة رسوليته وصحتها، وصدق إنجيله، ودرايته بسر المسيح.

+ «قد صرت غبياً وأنا أفتخر. أنتم ألزمتموني لأنه كان ينبغي أن أُمدح منكم إذ لم أنقص شيئاً عن فائقي الرسل، وإن كنت لستُ شيئاً. إن علامات الرسول صُنِعت بينكم، في كل صبر، بآياتٍ وعجائبَ وقوَّاتٍ.» (٢كو١٢: ١١و١٢)

+ «إنه لا يوافقني أن أفتخر. فإني آتي إلى مناظر الرب وإعلاناته. أعرف إنساناً في المسيح قبل أربع عشرة سنة، أفي الجسد لست أعلم أم خارج الجسد لست أعلم، الله يعلم، اختُطِفَ هذا إلى السماء الثالثة...» (٢كو١٢: ١و٢)

يُلاحَظ أن بولس الرسول يتكلم عن «**مناظر وإعلانات**» بالجمع، أي أنها كثيرة، والمنظر غير الاستعلان. فالمنظر رؤية بالعين الروحية بينما العقل الروحي يقظ يحسُّ ويفهم ويفسِّر؛ أما الاستعلان فهو انكشاف فكري، حيث ينفتح العقل الروحي ليستوعب حقائق سماوية تدخل في صميم خلاص الإنسان وحياته، وبالاثنين تكوّن لدى بولس الرسول ما عبَّر عنه بإنجيله.

وإليك مجمل ما عرفناه من المواقف التي انفتح فيها الروح على بولس، فدخل في مجال الرؤيا والسمع والفهم الإلهي الفائق، والتي فيها أعطاه المسيح كل ما كان لازماً لشرح الإيمان، وتوضيح الخلاص، وإنارة طريق الحياة أمام الأمم.

+ «فبغتة أبْرَقَ حوله نور من السماء، فسقط على الأرض، **وسمع صوتاً** قائلاً له: **شاول شاول لماذا تضطهدني؟** فقال: مَنْ أنت يا سيد؟ فقال الرب: **أنا يسوع الذي أنت تضطهده، صعبٌ عليك أن ترفس مناخس.** فقال وهو مرتعد ومتحير: يا رب، ماذا تريد أن أفعل؟ فقال له الرب: **قُمْ وادخل المدينة، فيُقالُ لك ماذا ينبغي أن تفعل.**» (أع٩: ٣–٦)

+ «وحدث لي بعد ما رجعتُ إلى أورشليم وكنت أصلي في الهيكل، **أني حصلت في غيبة، فرأيتُه قائلاً لي: أسرع واخرج عاجلاً من أورشليم، لأنهم لا يقبلون شهادتك عني... اذهب فإني سأرسلك إلى الأمم بعيداً.**» (أع٢٢: ١٧–٢١)

+ «فلما أتوا إلى ميسيا حاولوا أن يذهبوا إلى بيثينية، **فلم يَدَعْهُم الروح.**» (أع١٦: ٧)

+ «وظَهَرتْ لبولس **رؤيا في الليل، رجل مَكْدوني قائم يطلب إليه ويقول: اعبُرْ إلى مكدونية وأعِنّا.** فلما رأى الرؤيا، للوقت طلبنا أن نخرج إلى مكدونية **متحققين أن الرب قد دعانا لنبشِّرهم.**» (أع١٦: ٩و١٠)

+ «**فقال الرب لبولس برؤيا في الليل، لا تخف بل تكلمْ ولا تسكت، لأني أنا معك ولا يقع بك أحدٌ ليؤذيك، لأن لي شعباً كثيراً في هذه المدينة.**» (أع١٨: ٩و١٠)

+ «وفي الليلة التالية وقف به الرب وقال: ثِقْ يا بولس، لأنك كما شهدت بما لي في أورشليم، هكذا ينبغي أن تشهد في رومية أيضاً.» (أع٢٣: ١١)

ويعود بولس الرسول ليذكر بنفسه ما قاله الرب في أول ظهور له:

+ «قُمْ وقِفْ على رجليك، لأني لهذا ظهرتُ لك لأنتخبك خادماً وشاهداً بما رأيت، وبما سأظهر لك به مُنْقِذاً إياك من الشعب (اليهودي) ومن الأمم الذين أنا الآن أُرسلك إليهم.» (أع٢٦: ١٦و١٧)

+ «إنه لا يوافقني أن أفتخر... اختُطِفَ هذا إلى السماء الثالثة... اختُطِفَ إلى الفردوس، وسمع كلماتٍ لا يُنْطَقُ بها، ولا يسوغ لإنسان أن يتكلم بها...» (٢كو١٢: ١–٤)

وكانت هذه الرؤيا السماوية في بداية رحلاته الطويلة، لكي تكون أساساً يستقي منها كل تعاليمه الجديدة للأمم. وهو يؤكد ذلك بقوله:

+ «وأُعرِّفُكم، أيها الإخوة، الإنجيل الذي بشَّرتُ به أنه ليس بحسب إنسان. لأني لم أقْبَله من عند إنسان، ولا عُلِّمته؛ بل بإعلان يسوع المسيح.» (غل ١: ١١و١٢)

وتعتبر المرحلة التي تم فيها التحوُّل في حياة بولس من اليهودية إلى المسيحية من أعظم مراحل حياته. ويلاحظ من قول بولس الرسول فيما يختص ببشارته الخاصة بالمسيح، والتي يعبِّر عنها بـ«إنجيلي»، باعتبار أن هذه التسمية تقوم على أساس أنه **يبشِّر بالمسيح خُلْواً من الناموس وأعماله والسبت والتزاماته والختان وحتميته**، الأمور التي كان يعيش فيها بقية الرسل والتلاميذ جميعاً، معتبراً أن هذه تعلُّقات يهودية تختص باليهود الذين دخلوا إلى المسيحية وهم تحت أحكامها، ولم يستطيعوا أن ينفضوها عنهم بحكم إلتزام البيئة ومكان العبادة، وهو الهيكل، مع الخوف من بطش رؤساء المجمع؛ أن هذه كلها استطاع بولس أن يتحرر منها رسمياً بمقتضى دعوته التي دعاه إليها المسيح رأساً من السماء، وليس عن طريق تسليم أو تعليم من الرسل والتلاميذ السابقين. وقد دفع بولس الرسول ثمن التحرر من هذه القيود الناموسية غالياً جداً من متعصِّبي اليهود، يهود ومسيحيي اليهود!!

وبعد هذه المرحلة، تأتي في الأهمية مرحلة اجتماعه بالرسل في أورشليم الذي حدث بعد أربع عشرة سنة من ظهور الرب له (غل ٢: ١)، حيث قابل أعمدة الكنيسة الثلاثة بطرس ويعقوب ويوحنا. ولكي ندرك خطورة هذه المقابلة في تاريخ حياة بولس الكرازية، وبالتالي في تاريخ الكنيسة المسيحية وطقسها ولاهوتها، ينبِّه بولس الرسول ذهننا بقوله: «**وإنما صعدتُ إلى أورشليم) بموجب إعلان!!**» (غل ٢: ٢)، أي لنفهم أن الرب من السماء تدخَّل من أجل إتمام هذه المقابلة التي أعدَّ لها منذ الدهور والتي فيها أخذ بولس الرسول من الكنيسة الأم في أورشليم يمين الشركة للكرازة بالمسيح بين الأمم، خُلْواً من ناموس موسى والختان والسبت، وبذلك صارت خدمة الأمم رسولية، والكنيسة هنا وهنا واحدة جامعة، فيها اليهودي المُخْتتن الذي يحفظ الناموس والسبت، والأمميُّ غير المختون الذي لا يحفظ الناموس والسبت، على التساوي المطلق بالإيمان الواحد، كما عبَّر عنه بطرس الرسول بعد خبرته في كرازته الأولى للأمم ــ (قصة كرنيليوس أع ١٠) ــ وذلك بأمر الرب وإرشاد الروح القدس، **وعن رؤيا أيضاً**.

+ «وبينما بطرس مُتفكِّر في الرؤيا، قال له الروح: هوذا ثلاثة رجال يطلبونك. لكن قُمْ وانزل، واذهب معهم غير مرتاب في شيء، **لأني أنا قد أرسلتهم... وأما أنا فقد أراني الله**

أن لا أقول عن إنسان ما إنه دنس أو نجس... ففتح بطرس فاه وقال: بالحق، أنا أجد أن الله لا يقبل الوجوه، **بل في كل أمة الذي يتّقيه ويصنع البر مقبولٌ عنده.** الكلمة التي أرسلها إلى بني إسرائيل يُبشِّر بالسلام بيسوع المسيح، هذا هو ربُّ الكل... فبينما بطرس يتكلم بهذه الأمور، حلَّ الروح القدس على جميع الذين كانوا يسمعون الكلمة (أُمميِّين). فاندهش المؤمنون الذين من أهل الختان، كلُّ من جاء مع بطرس، لأن موهبة الروح القدس قد انسكبت على الأمم أيضاً لأنهم كانوا يسمعونهم يتكلمون بألسنة، ويعظِّمون الله. حينئذ أجاب بطرس: أتُرى يستطيع أحدٌ أن يمنع الماء، حتى لا يعتمد هؤلاء الذين قَبِلوا الروح القدس كما نحن أيضاً؟ وأمر أن يعتمدوا باسم الرب.» (أع١٠: ١٩-٤٨)

وقد قامت على بطرس زوبعة كالتي عاناها بولس الرسول من باقي الرسل وبقية اليهود المتنصِّرين، إنما بصورة محدودة للغاية:

+ «فسمع الرسل والإخوة الذين كانوا في اليهودية أن الأمم أيضاً قبلوا كلمة الله. ولما صعد بطرس إلى أورشليم، خاصمه الذين من أهل الختان (اليهود المتنصِّرون) قائلين إنك دخلتَ إلى رجال ذوي غُلْفَةٍ (أنجاس) وأكلت معهم. فابتدأ بطرس يشرح لهم بالتتابع قائلاً:... **فإنْ كان الله قد أعطاهم الموهبة كما لنا أيضاً بالسويَّة،** مؤمنين بالرب يسوع المسيح، فمَنْ أنا أقادر أن أمنع الله؟ فلما سمعوا ذلك سكتوا، وكانوا يمجِّدون الله قائلين: إذاً أعطى الله الأمم أيضاً التوبة للحياة.» (أع١١: ١-١٨)

ويقيناً أن الله، بتدبيره الحكيم، قد سبق وأجاز بطرس الرسول في إختبار الكرازة للأمم برؤية وبسماع أمْرِ التكليف من السماء بالدخول إليهم والأكل معهم وتبشيرهم بالمسيح، ثم رؤيته بعينيه وسَمْع أذنيه كيف قَبِلَ الأمم الروح القدس وتكلموا بألسنة قبل المعمودية، حتى يتشجع ولا يرتاب، ويعمدهم، وذلك كله كتمهيد لانتخاب بولس الرسول رسولاً خاصاً للأمم، حتى يتزعم بطرس الرسول الحركة الرسولية في أورشليم للدفاع عن بولس وقبوله كرسول، وإعطائه يمين الشركة للكرازة باسم الكنيسة الواحدة بين الأمم.

وبقيام بولس الرسول بالخدمة الرسولية بين الأمم ذوي الغلفة هكذا بأمر الرب وتدبيره، وبموافقة الرسل وإعطائه يمين الشركة، انفتحت الكنيسة على العالم كله. وهنا يليق بنا جداً أن نتفكر مليًّا، كيف أعدَّ الله بولس الرسول ليكون فريسياً ابن فريسي، متعصباً للناموس، ليقود حركة دخول الأمم الغُلْف للإيمان بالمسيح بدون ناموس ولا سبت ولا ختان ولا أي عادة من عادات اليهود، آخذاً على نفسه حمايتهم من سطوة الفريسيين، بما لديه من دراية وعلم ومقدرة للدفاع والإقناع. هذا أمر يَدْهش له العقل حقاً.

الفصل الرابع

مسيحية القديس بولس

ما هي المسيحية أولاً:

كان ذلك يوم أحد القيامة، يوم أن استُعْلِن المسيح حيًّا قائماً من الموت، يوم أن سُمِعَتْ أول بشارة بفم إنسان. وللحال، تشكلت أول صورة للديانة المسيحية: «**وهم يقولون إن الرب قام بالحقيقة، وظهر لسمعان**» (لو٢٤: ٣٤). فنصف الآية يشكل قانون العقيدة المسيحية، والنصف الآخر شهادتها العملية كخبرة إنسانية انتقلت من بطرس إلى جماعة التلاميذ مجتمعين: «أخيراً ظهر للأحد عشر وهم متكئون، ووبخ عدم إيمانهم وقساوة قلوبهم، لأنهم **لم يُصدِّقوا الذين نظروه قد قام**» (مر١٦: ١٤). وهنا يدخل عنصر الإيمان بسماع الخبر ــ كمساوٍ، عند المسيح والله، للرؤية العينية. ثم انتقل من جماعة التلاميذ إلى العالم أجمع بالخبر المساوي للنظر: «**وقال لهم اذهبوا إلى العالم أجمع، واكرزوا بالإنجيل** (خبر القيامة المفرح) للخليقة كلها، **مَنْ آمن واعتمد خَلَص، ومَنْ لم يؤمن يُدَنْ**» (مر١٦: ١٥و١٦)، «طوبى للذين آمنوا ولم يَرَوْا.» (يو٢٠: ٢٩)

وهكذا صار الإيمان المسيحي مؤسساً على العقيدة المشهود لها بالرؤية، والمسلَّمة بالخبر، أن المسيح قام، بالحقيقة، من الموت، بمجد إلهي، وعلى فمه كلمات السلام، **والوعد للكنيسة بالبقاء معهم كل الأيام، وإلى نهاية كل الأيام!** «ها أنا معكم كل الأيام، إلى انقضاء الدهر.» (مت٢٨: ٢٠)

هذه هي المسيحية في أصولها الأُولى، كيف قامت وكيف دامت. قامت بقيامة المسيح ودامت بحياته. أما قيامة المسيح فكانت أول فعل إلهي جديد يواجه الطبيعة البشرية. فالقيامة من الموت ليست من أفعال الطبيعة البشرية، فالطبيعة البشرية تنتهي جميع أفعالها بالموت. أما المسيحية فهي البشارة بأول فعل حياة دائمة يغزو الطبيعة البشرية المائتة، ليعطيها حياة جديدة أبدية. فالمسيحية هي طبيعة جديدة حية للإنسان، يأخذها من المسيح ليعيشها معه: «ها أنا معكم كل الأيام، إلى انقضاء الدهر.» (مت٢٨: ٢٠)

بولس يدخل المسيحية من بابها الأول:

كان باب المسيحية الأول هو رؤية الرب يسوع قائماً من الموت متكلماً بالسلام، وواعداً بالحياة، وبوجوده على الدوام.

ومرة أخرى، وبطريقة أخرى، يظهر الرب، ليس على الأرض بل من السماء، وبمجد وبهاء، يظهر لبولس تأكيداً لدعوته الرسولية خصيصاً لكرازة الأمم. وما حدث لبولس هو تكرار لما حدث لبطرس: «ألستُ أنا رسولاً؟ ألست أنا حراً؟ أما رأيتُ يسوع المسيح ربنا؟» (١كو٩:١). وكان ظهور المسيح لبولس ختاماً لكل الظهورات، وختاماً لتعيين الرسل للإرساليات: «وآخر الكل، كأنه للسِقْط، ظهر لي أنا.» (١كو١٥:٨)

وظهور المسيح لبولس، لازَمه استعلانٌ داخلي: «ولكن لما سَرَّ الله، الذي أفرزني من بطن أمي، ودعاني بنعمته، **أن يعلن ابنه فيَّ** لأُبشِّر به بين الأمم، للوقت لم أستشر لحماً ودماً.» (غل١: ١٥و١٦)

كان هذا الاستعلان الداخلي للمسيح في كيان القديس بولس أعلى خبرة للمسيحية، اعتبرها بولس، فكانت بمثابة إنجيل قائم بذاته، منه يأخذ، ومنه يتعلم، وبه يكرز ويُعلِّم!! «وأعرِّفكم أيها الاخوة الإنجيل الذي بشَّرتُ به، أنه ليس بحسب إنسان، لأني لم أقبله (كخبر) من عند إنسان، ولا عُلِّمته، **بل بإعلان يسوع المسيح.**» (غل١: ١١و١٢)

وهكذا فإن «**سر المسيح**» الخاص بخلاص الإنسان عامة، تَقبَّله بولس من المسيح رأساً بالاستعلان الداخلي: «أنه بإعلان عرَّفني بالسر، كما سبقتُ فكتبتُ بالإيجاز، الذي بحسبه حينما تقرأونه تقدرون أن تفهموا درايتي بسِرِّ المسيح.» (أف٣: ٣و٤)

على أن استعلان المسيح للقديس بولس (المسيح في بولس): «لما سَرَّ الله ... **أن يعلن ابنه فيَّ**»، لم يَبْقَ عند بولس مجرد استعلان بالفكر والمعرفة؛ بل استعلان حياة في حياة: «**المسيح يحيا فيَّ**» (غل٢:٢٠). وكانت حياة المسيح برُمَّتها من الوضوح والتأثير، حتى صبغت حياة بولس كلها، فصارت كلها للمسيح: «فأحيا لا أنا؛ بل المسيح يحيا فيَّ» (غل٢:٢٠)، حتى قال: «فما أحياهُ الآن في الجسد، فإنما أحياه في الإيمان، إيمان ابن الله، الذي أحبَّني وأسْلَم نفسه لأجلي.» (غل٢:٢٠)

هكذا نشأت مسيحية القديس بولس «**كردِّ فعل**»، لما **فعله الله والمسيح فيه!!** وهذه الحقيقة

واضحة ناطقة على ضوء ما حدث لبولس على طريق دمشق: «مَنْ أنت يا سيد»؟ «أنا يسوع الذي أنت تضطهده»، «ماذا تريد أن أفعل»؟ «قُمْ وادخل المدينة، فيُقال لك ماذا ينبغي أن تفعل.» (أع ٩: ٥و٦)

وهكذا، **وكردٍّ فعلٍ** مباشر **لفعل الله**، تحوَّل أكبر مضطهد للمسيحية إلى أكبر كارز باسم المسيح! وكان هذا هو محور الديانة المسيحية عند بولس الرسول: **إنها ردُّ فعل مباشر لفعل الله** الذي عمله فيه بالمسيح! هذا عبَّر عنه بولس الرسول بقوله: «مستنيرة عيون أذهانكم، لتعلموا **ما هو رجاء دعوته**، وما هو غِنَى مجد ميراثه في القديسين، **وما هي عظمة قدرته الفائقة نحونا**، نحن المؤمنين، **حسب عمل شدَّة قوته الذي عمله في المسيح، إذ أقامه من الأموات**، وأجلسه عن يمينه في السماويات...» (أف ١: ١٨ــ٢٠). واضح هنا أن الله هو صاحب المبادرة العظمى لخلاص الإنسان، كأعظم فعل.

هكذا تأسست مسيحية بولس الرسول لا على كلمة خبر سمعها؛ بل على المسيح الحيِّ المتكلم معه من السماء، والمتكلم فيه، والعامل فيه. فمسيحية القديس بولس لم تَقُم على مسيح التاريخ؛ بل الرب الروح، الحيِّ، العامل والفعَّال في كل كيانه بقوة عمله وتدبيره. وهكذا صارت ديانة القديس بولس، الاعتماد الكامل على شخص المسيح الحي العامل فيه.

وهكذا، ومنذ أن اكتملت خبرة القديس بولس بالمسيح الحي الكائن **في أعماقه والمفكِّر** له والعامل فيه، انطبعت كرازته بطابع خبرته، أي اختبار حلول المسيح الحي في القلب: «بسبب هذا أَحْني ركبتيَّ لدى أبي ربنا يسوع المسيح... لكي يعطيكم بحسب غنى مجده، **أن تتأيدوا بالقوة بروحه** في الإنسان الباطن، **ليحلَّ المسيح بالإيمان في قلوبكم**، وأنتم متأصِّلون ومتأسسون في المحبة، **حتى تستطيعوا أن تدركوا مع جميع القديسين** ما هو العرض، والطول، والعمق، والعُلو، **وتعرفوا محبة المسيح الفائقة المعرفة، لكي تمتلئوا إلى كلِّ مِلْءِ الله.**» (أف ٣: ١٤ــ١٩)

المسيح الذي استُعْلِنَ لبولس الرسول وحلَّ فيه:

واضح أن الذي رآه بولس الرسول هو «**الرب الروح**» الذي اشتمل بالمجد الذي له، الذي ارتفع فوق أعلى السموات ليصير الكل تحته، وليملأ الكل من ملئه.

ومن الآية السالفة، يظهر أن الروح القدس يسبق ويمهِّد لحلول المسيح في القلب، حتى يستطيع الإنسان أن يدرك الرب حينما يحل في القلب: «يعطيكم... **أن تتأيدوا بالقوة، بروحه**، في الإنسان الباطن، **ليحلَّ المسيح ــ (الرب الروح) ــ بالإيمان في قلوبكم**».

هنا بولس الرسول لما كان «في الروح»، أدرك «الرب الروح». لذلك يؤكد بولس الرسول عن خبرة يقينية أنه «ليس أحد يقدر أن يقول يسوع رب إلاَّ بالروح القدس» (١كو١٢: ٣). لهذا **«فالشركة في المسيح»** لا تقوم إلاَّ من خلال **«الشركة في الروح القدس»**.

مسيحية القديس بولس قامت على أساس الحلول، أي حلول المسيح بالروح، كما صارت معرفة القديس بولس بالرب يسوع على مستوى **«"الرب الروح" من السماء»**. فالمسيح لما أعلن نفسه لبولس كان في وضعه الروحي السماوي، كما كان حلول المسيح في قلب القديس بولس على مستوى الإتحاد، حتى إن بولس الرسول لم يَعُدْ يَعِي نفسه بدون المسيح: «فأحيا، لا أنا، بل المسيح يحيا فيَّ.» (غل٢: ٢٠)

ولقد جمع القديس بولس في وعيه المسيحي بين المسيح قائماً فيه، وبين المسيح الكائن في أعلى السموات، فأدرك بولس الرسول أنه لم يَعُدْ «للمسيح الرب الروح» حدود.

«الرب الروح والرب من السماء» عند بولس هو هو المسيح المتجسد، ولكن جسد المسيح صار جسداً روحياً بالقيامة من الأموات، لقد جاز الجسد البشري «التغيُّر» الداخلي والخارجي دون أن يفقد كل ما له:

+ «صار آدم الإنسان الأول نفساً حيَّة (بعد أن نفخ فيه الله نسمة الحياة)؛ وآدم الأخير **روحاً محيياً** (بالقيامة من الأموات بالروح القدس الذي فيه)... الإنسان الأول من الأرض ترابي؛ الإنسان الثاني **الرب من السماء**.» (١كو١٥: ٤٥و٤٧)

وقد أسمى بولس جسد المسيح الآن، وهو الرب الروح في السماء، بـ**«جسد المجد»**، هكذا: «الذي سيغيِّر شكل جسد تواضعنا ليكون **على صورة جسد مجده بحسب عمل استطاعته أن** يخضع لنفسه كل شيء.» (في٣: ٢١)

وعند بولس الرسول، **الله الروح** و**«المسيح الرب الروح من السماء»** هو حقيقة أشد يقيناً وإدراكاً من كل الحقائق الأخرى وذلك عن وعي روحي واختبار، ملَكَ عليه تفكيره ووجدانه وتدبير حياته. وقد نَحَتَ بولس الرسول لنفسه اصطلاحاً يصوِّر هذه الحقيقة العملية الاختبارية في علاقته بالمسيح، وهو اصطلاح «في المسيح»، الذي ورد في رسائله ١٦٤ مرة، والذي يعبِّر به عن كل تفكير وحركة وعمل وحياة له «في المسيح». فإيمانه في المسيح، وبِرُّه هو في المسيح، وصلاته وفرحه وسروره وكل عطية نالها، ومحبة وسلام وقداسة وختم روحي، وختانة، والجسد الواحد، كل ذلك يعيشه ويمارسه ويراه «في المسيح».

لقد صار هذا الاختبار عنده **عقيدة** ثابتة، **وإيماناً** لا يحيد عنه، **ورسالة** استلمها ليسلِّمها.

كذلك وفي نفس الوقت، كان يشعر وهو واثق أنه كما يحيا هو في المسيح، فالمسيح يحيا فيه، فهي شركة حيَّة، فيها أَخْذٌ وعطاءٌ، اغتنى بها بولس الرسول وأَغْنَى كثيرين.

ونحن نسأل: هل يمكن أن نبلغ إلى هذا الاختبار، اختبار الإيمان بالمسيح قائماً بمجده في العُلا؟ وهو بآنٍ واحدٍ هكذا مُحتوى داخلنا بشخصه، نراه بالروح، ونحسُّه، ونتعامل معه، وهو في مجده قائم عن يمين الله. إنها خبرة إيمان فائقة تُعتبر أغنى ما حصل عليه القديس بولس وما كرز به!!

وقد صار هذا الاختبار: «**في المسيح**» صفة خاصة بلاهوت بولس الرسول تُميِّزه وترفعه إلى المستوى العملي. ولكن لا زلنا نلحُّ على القارىء أن يستوعب مفهوم هذه الحقيقة، فبولس الرسول إن كان قد قال عن يقين أنه صُلِبَ مع المسيح، ومات، وقام، وجلس في السماء معه، كتعبير عن الإلتحام بأعمال المسيح الخلاصية في الفداء، فما ذلك إلاَّ أنه دخل في **شركة حياة دائمة مع المسيح الممجَّد، الرب الروح من السماء!**

مسيح القديس بولس هو **المسيح الرب**، المسيح الرب **الروح**، المسيح الرب الروح **من السماء، في ملء مجده!!**

مرة أخرى نقول إن مسيح القديس بولس الذي يتعامل معه هو كما ظهر له، مسيح المجد من السماء، مسيح الواقع الروحي الحي الدائم الفائق، ليس بصورته التاريخية على الصليب، كما نحاول نحن بإلحاحنا المادي أن نصوِّره بألف صورة وهو مصلوب، أو حينما أنزلوه أو دفنوه أو حتى حينما قام، فهذا هو تاريخ الخلاص الذي أكمله المسيح لنا بالجسد على الأرض، وأكملناه نحن معه. لكن بولس الرسول كان يتعامل مع المسيح كما ظهر له حيًّا في السماء في ملء مجده، في وجوده مع الآب، المسيح الروح، والمُعطي الروح.

مرة أخرى، هناك فارق شاسع بين أن **نستحضر صورة** المسيح من الماضي حينما صُلب أو قُبر أو قام، لنصنع معها علاقة أو شركة على مستوى التأمل، وبين أن **يأتي المسيح بشخصه الحي ويُستعلَن لنا بحاله الآن كما هو في السماء في المجد،** لكي يصنع فينا منزلاً ويقيم، ونصنع نحن معه شركة في المحبة بالإيمان الواعي.

بولس الرسول كان يحيا في مسيح المجد الرب **الروح**، وكان المسيح الرب الروح يحيا في القديس بولس، دون أي تصوُّر للماضي أو استحضار مناظر بالجهد ليعيش بها بالتخيُّل، ولكن

وبآن واحد، كان المسيح له هو هو مسيح التاريخ الذي وُلد من امرأة تحت الناموس وصُلِبَ ومات وقام، وارتفع إلى العلا. فلم تَغِبْ عن القديس بولس حوادث الصليب والآلام ثم الموت والدفن والقيامة، ولكن ليست — بعد — مناظرَ وصوراً تُستحضر في المخيِّلة، لكي تتبخَّر من المخيِّلة بعد قليل، ولكنها حوادث غير منفصلة عن المسيح الحي الممجد في السماء الذي يحيا فيه. فالرب الروح من السماء يحمل في كيانه كل أعماله السابقة دون أن تسقط منها حركة واحدة، ولكنها حية متجلية. فآلامه السالفة تتجلى فيه ناطقةً ودمه المسفوك حيٌّ يتقطر، وموته الرهيب لا يزال يزلزل الهاوية، قابضاً على مَنْ له سلطان الموت، وقيامته تطارد جحافل الظلمة وتنير طريق الحياة والخلود؛ ليست هذه صوراً بعد؛ بل هي أفعالٌ حيَّة متجلية، يَسْرِي فعلها في العقل والقلب والروح والجسد، فتقيم من الموت وتهبُ الحياة.

فمسيح القديس بولس ليس هو مسيح صور التاريخ التي كانت؛ بل مسيح أفعال الخلاص حية متجلية فعَّالة في ملء كمالها وقوتها وجلالها. هكذا عاش بولس آلام المسيح وموته وقيامته، لمَّا عاش في مسيح المجد الرب الروح من السماء وحياته متجلية فيه.

فإن كان القديس يوحنا حُسب في بدء تعرُّفه على المسيح **كتلميذ صدر يسوع**، والأقرب إلى قلبه، والذي استطاع أن يحكي عنه، فبولس الرسول محسوبٌ **شريك صاحب المجد المُعْلَن** من السماء، والعائش ليس على صدر المسيح **بل فيه**، وليس الأقرب إلى قلبه بل **الحامل إياه**، لهذا استطاع لا أن يحكي عنه بل يسلِّمه ويعطيه للآخرين، كما أخذ هو واستلم !!!

ولينتبه القارىء، فهذا كله كان على مستوى الروح، فلأن القديس بولس اختبر **بواسطة الروح** المسيح وكل ما للمسيح «الرب الروح الذي من السماء»، لهذا كان اختباره خالياً من تصوُّرٍ مادي كما بصور تصنعها المُخيِّلة، مخيلة الجسد المادي؛ بل كان حقائق روحية حيَّة وفعَّالة يفحصها الروح حتى الأعماق ويقدِّمها كأفعال، فينفعل بها الإنسان انفعالاً حقيقياً روحياً أشدَّ من انفعال الجسد. لهذا قال بولس الرسول عن صدق و يقين واختبار فعلي: قد صُلبتُ مع المسيح، قد متُّ مع المسيح، قد دُفنتُ مع المسيح، قد قمت مع المسيح، قد جلستُ في السموات مع المسيح. و يقولها بولس الرسول بصورة الجمع، معتبراً أن ما اختبره هو يتحتم أن يختبره الجميع كحقيقة! فهذه ليست صوراً ولا خيالات؛ بل هي أفعالٌ روحية تمت بالروح له ولكل إنسان آمن بالمسيح. لأن القديس بولس كان يحيا في المسيح الرب الروح من السماء، وفيه أعماله حيَّة متجلية قائمة وفعَّالة، فالماضي في المسيح حاضر فيه لأن الزمن لا يفرِّق ما لله.

ومرة أخرى نودُّ لو ننبِّه ذهن القارىء أن أعمال الروح القدس لا تختص ولا تنحصر بالجسد أو

الأرض أو صور التاريخ المتحركة نحو الزوال، فالروح القدس مختص بالإلهيات والسمويات، بالأزليات والأبديات، بالخلود وأعمال الخلود، بكل ما هو مقدَّس وما هو حيٌّ وما يحيا حياة الأبد. فالروح القدس لا يأخذ من المسيح صوره السالفة ليطبعها على مخيِّلتنا ثم تزول؛ بل حقائق حياته الأزلية كأفعال دائمة وخالدة يغرسها في حياتنا فتتحول حياتنا فيه وتتكمل إلى أعمال الخلود التي أكمل.

هكذا يحوِّل المسيح ــ مسيح المجد ــ تاريخ حياته إلى أفعال في ملء الحاضر، بواسطة الروح، الذي يأخذ مما له ويُحيي، هذا لو كان تعاملنا مع **مسيح المجد الرب الروح من السماء** وليس مع مسيح التاريخ والماضي السحيق، أو مسيح العقيدة واللاهوت النظري والاصطلاحات التي تطوِّح بنا في أرض الأفكار والخيالات، أو في مقولات جامدة خشبية قابلة للنحت ولكن غير قابلة للحياة.

القديس بولس تأمَّنت معرفته بالمسيح، كما تأمنت حياته ضد الخداع الفكري والزمني، حينما حلَّ في قلبه المسيح الحي القائم في مجده في الأعالي، فملأ ذهنه ووعيه الروحي **بحقيقة ذاته الفائقة** على كل فكر والمتسامية عن قياسات الإنسان: «ليحلَّ المسيح بالإيمان في قلوبكم... **وتعرفوا محبة المسيح الفائقة المعرفة**، لكي تمتلئوا إلى **كل ملء الله**.» (أف٣: ١٧و١٩)

أنظر أيها القارىء، أيُّ فكرٍ بشري يستطيع أن يلاحق عمل المسيح هذا؟

لذلك قلنا ونقول: إن بولس الرسول ليس صاحب فكر لاهوتي، ولا هو هاوي لاهوت أو محترف، إذ لم يعرف المسيح من إنسان ولا تعلَّمه على يد معلِّم، وهو لم يضع مناهج تصلح أن تكون واسطة لمعرفة المسيح، ولا سجَّل اصطلاحات تعبِّر أو تحدد الحقائق الإلهية. ولكن لما كشف لنا عن علاقاته بالمسيح، بينما كان يحكي لنا قصة تعرُّفه عليه وقبوله، خرجت منه مقولات كلها حيَّة تعبِّر عن حياته وحياة المسيح فيه. فكان لاهوته هو قصة قبوله للمسيح وحديثه معه وتدبير إرسالياته التي اختاره الرب من أجلها، وعِشْرة المحبة الشديدة التي عاشها القديس بولس مع المسيح. ليس كأن القديس بولس اختار هذه العِشْرة؛ بل الله دعاه إليها مجاناً بالرغم من تعدِّيات بولس الشنيعة ضد المسيح وكنيسته: «ولكن لما سَرَّ الله الذي أفرزني من بطن أمي ودعاني بنعمته أن يعلن ابنه فيَّ لأُبشِّر به بين الأمم...» (غل١: ١٥و١٦)، «أنا الذي كنتُ قبلاً مجدِّفاً ومضطهداً ومفترياً، ولكني رُحمتُ...» (١تي١: ١٣)

وكان اختيار بولس لشركة الحياة مع المسيح هو النموذج الأشد قُرْباً وصدقاً، والأقوى تعبيراً وقصداً لاختيار الأمم المنهمكين في أوثانهم! فلم تكن الأمم أشدَّ قبحاً وجرماً تجاه المسيح من ذلك

الفرِّيسي المتعجرف الذي أهان المسيح وجدَّف عليه واضطهد وافترى!! لذلك يقول بولس الرسول لأهل كورنثوس، وهم كانوا على أقبح مستوى من النجاسات التي يتقزَّز من ذكرها الفكر ويتعوَّق القلم، نعم قال لهم بالحرف الواحد: «أمينٌ هو الله الذي به دُعيتُم إلى شركة ابنه يسوع المسيح ربنا.» (١كو١:٩)

إذاً، فليس لميزة من الميزات اختار الرب بولس ليعلن شركته فيه ومعه؛ بل ربما كان باعتباره أكثر قُرْباً لمستوى الأمم. إذاً، هي «أمانة الله» ليس إلاَّ، التي يدعو بها الله ويختار مَنْ كان مثل أهل كورنثوس، لينالوا دعوة للشركة مع ابنه يسوع المسيح ربنا!!

ولكن عوداً بنا على بدء، فهذه الشركة ليست هي مع مسيح التاريخ المصوَّر في الذاكرة؛ بل مع يسوع المسيح الرب الروح الذي من السماء بكل جلال مجده وفي ملء قوته وسيادته. فالشركة هنا تكون شركة مع «الله» مع الآب والابن في الروح ــ كما استعلنها القديس يوحنا في رسالته الأُولى ــ وبواسطته، لذلك فهي شركة للتغيير والرفع من الحضيض والمزبلة على مستوى ما كان لبولس في أول طريق دمشق، ليصير ما صار إليه في نهاية الطريق: تغيير أشد ما يمكن أن يكون التغيير، في الفكر والروح والقلب والضمير، في المبادىء والمُثُل والغايات، في الطباع والأخلاق والسلوك، في الرؤية والنظرة إلى الذات والعالم والجسد!

ولا تستكثر، يا صديقي القارىء، أن يكون هذا كله والقديس بولس واقف وقفته المذهولة ــ بعد أن كلَّمه الرب ودعاه من السماء ــ على ما كان عليه من ضياع وعلى ما آل إليه من ملء السلام والثقة، لأن ــ وهنا بيت القصيد ــ الذي دعاه وأتى إليه بل ودخل فيه هو المسيح الرب الروح من السماء، في ملء مجده وقوته وسيادته فغيَّر ما غيَّر فيه: «بحسب عمل استطاعته أن يُخْضِع لنفسه كل شيء» (في٣:٢١). فبولس الرسول حينما قال: «المسيح يحيا فيَّ»، كان هذا أقوى تعبير عن «**حياة الشركة**»، الشركة للإنسان الجديد في المسيح ومعه، التي نالها بولس كنموذج لأسوأ إنسان يمكن أن يختاره الله ليُصبح في شركته مع ابنه يسوع المسيح ربنا ويحلَّ فيه!! فالقديس بولس نال هذه الشركة بمقتضى «**نعمة الله**»: «بنعمة الله أنا ما أنا» (١كو١٥:١٠)، ثم أمْسَكَتْ النعمة بيده وأجازته في المعمودية كختم وباب حتمي للدخول، وعبرت به على المائدة لتُطعِمه خبز الشركة وتسقيه الدم للبقاء فيها والدوام!

ثم انظر، أيها القارىء، وتفكَّر مليًّا: لماذا لم يكن بولس محتاجاً إلى مشجِّعات ليجوز الصعاب والأهوال على طول المدى، ولا حتى احتاج إلى ما يسنده في محنته الكبرى والأخيرة؟ فالرب الروح من السماء قد صنع عنده منزلاً وإقامة: «في احتجاجي الأول لم يحضر أحد معي؛ بل الجميع

تركوني، لا يُحسب عليهم. ولكن الرب وقف معي وقواني.» (٢تي٤: ١٦و١٧)

مسيحية القديس بولس لم تقم — إذاً — على العقائدية، وإلاَّ ما كانت انتشرت بين الأُمم بهذه القوة وأثمرت هذه الكنائس النشطة الملتهبة بالروح!! مسيحية القديس بولس كانت خبرة روحية تسندها العقيدة الصحيحة، فكانت بكل صدق ويقين «شركة مجانية مع المسيح»، والرب الروح من السماء هو صاحب المبادرة، شركة في ملء قوتها وسرّ فاعليتها، التي بمجرد أن ينفتح لها وعي الإنسان الروحي، تغمره، ويسود المسيح ويملك ويقود الروح ويُلْهب؛ بل ويفرِّح ويعزِّي؛ بل يكرز ويُتلْمذ.

إن سر قوة مسيحية القديس بولس هو المسيح الرب الروح بشخصيته، ليس ما قال وليس ما فعل؛ بل ما يقول وما يفعل، المسيح الحي المحيي: «أنا معكم كل الأيام إلى انقضاء الدهر» (مت٢٨: ٢٠)، كما اختبره القديس بولس: «أستطيع كل شيء في المسيح الذي يقويني» (في٤: ١٣). إن سر تقوى مسيحية القديس بولس وقداسة سيرته وأخلاقه لم يكتسبها بعمل من الجسد؛ بل بالروح الناري الذي به أحرق ما للجسد: «إن كنتم بالروح تُميتون أعمال الجسد فستحيون.» (رو٨: ١٣)

إن مسيحية القديس بولس لم تنحرف قط نحو التيه في مجالات الروح بعيداً عن واقع الحياة ومتطلباتها؛ بل مسيحية القديس بولس أخضعت لرزانة فكر المسيح وتدبير حكمة الله:

+ «إن كنت أتكلم بألسنة الناس والملائكة، ولكن ليس لي محبة، فقد صرتُ نحاساً يطنُّ أو صنجاً يرنُّ.

+ «وإن كانت لي نبوة وأعلم جميع الأسرار وكل علم، وإن كان لي كل الإيمان حتى أنقل الجبال، ولكن ليس لي محبة، فلستُ شيئاً.

+ «وإن أطعمتُ كل أموالي وإن سلَّمتُ جسدي حتى أحترق، ولكن ليس لي محبة، فلا أنتفع شيئاً.» (١كو١٣: ١—٣)

فلا المواهب الروحية غرَّت القديس بولس فأطلق لها العنان،
ولا المعرفة التي بلغت إلى أعمق أسرار الله استطاعت أن تُلْهيه عن محبة الناس،
ولا النسك والتقشف وقمع الجسد أغناه عن أن يحب كل الناس!!

فبالرغم من أنه اعترف أن له كل هذه المواهب وأكثر، إلاَّ أنه في المقابل لها يقول:

+ «ليس أني قد نلتُ، أو صرتُ كاملاً، ولكني أسعى لعلِّي أُدرك الذي لأجله أدركني أيضاً

المسيح يسوع. أيها الإخوة، أنا لست أحسب نفسي أني قد أدركتُ، ولكني أفعل شيئاً واحداً، إذ أنا أنسى ما هو وراء وأمتدُّ إلى ما هو قُدَّام، أسعى نحو الغرض، لأجل جعالة دعوة الله العليا في المسيح يسوع.» (في٣: ١٢—١٤)

مسيحية القديس بولس غنيّة ومِعْطاءة:

بولس الذي كان يحيا في المسيح، والذي كان المسيح يحيا فيه، امتلأ حقاً من قوة المسيح وغناه وبركاته وأفاض على الآخرين:

+ «أفتخر بالحري في ضعفاتي لكي **تحلّ عليَّ قوة المسيح** ... لأني حينما أنا ضعيف فحينئذٍ **أنا قوي.**» (٢كو١٢: ٩و١٠)

+ «باسم ربنا يسوع المسيح، إذ **أنتم وروحي مجتمعون مع قوة ربنا يسوع المسيح.**» (١كو٥: ٤)

+ «أعطيت هذه النعمة أن أبشر بين الأمم **بغنى المسيح** الذي لا يُسْتَقصى.» (أف٣: ٨)

+ «وأنا أعلم أني إذا جئتُ إليكم، سأجيء في ملء بركة (إنجيل) المسيح» (رو١٥: ٢٩). و يلاحظ أن كلمة «إنجيل» مضافة في الترجمة العربية.

يلاحظ القارىء أن حياة الشركة التي كان يعيشها القديس بولس «في المسيح» هي التي فتحت عليه كنوز «قوة المسيح»، و«غنى المسيح» و«بركة المسيح»، فأصبح القديس بولس يمتلكها من واقع حياة المسيح التي يحياها فيه ومعه، أي حياة الشركة بالروح مع المسيح الرب الروح من السماء. وليست قوة وغنى وبركة المسيح فقط هي التي حازها بولس من واقع حياة الشركة «في المسيح»، بل وغيرها أهم وأعجب.

محبة المسيح:

+ «لأن **محبة المسيح** ἀγάπη τοῦ Χριστοῦ تحصرنا.» (٢كو٥: ١٤)

هنا المسيح ليس مفعولاً به ولكنه مضاف إليه، فهو صاحب المحبة التي تحصرنا.

+ «ليحلّ المسيح بالإيمان في قلوبكم (وبناءً عليه) ... تعرفوا **محبة المسيح** الفائقة المعرفة ...» (أف٣: ١٧و١٩)

هنا محبة المسيح تتجلى فينا وتعمل عندما يحل المسيح في قلوبنا.

+ «مَنْ سيفصلنا عن **محبة المسيح**؟» (رو٨: ٣٥)

طبعاً لا شدة ولا ضيق ولا اضطهاد ولا جوع ولا عُري ولا خطر ولا سيف ولا ميتات كثيرة.

لماذا؟ لأن القديس بولس يحيا في المسيح، والمسيح يحيا فيه، فكيف يمكن لأي شيء أن يفصله عن المسيح وبالتالي عن المحبة التي للمسيح؟

رجاء المسيح:

وما قيل عن المحبة يُقال عن الرجاء حتماً:

«متذكرين بلا انقطاع عمل إيمانكم، وتعب محبتكم، وصبر رجائكم ربنا يسوع المسيح» (١تس١: ٣). الترجمة العربية سقيمة وصحتها كالآتي:

«صبر رجاء ربنا يسوع المسيح» = τῆς ἐλπίδος τοῦ κυρίου ἡμῶν Ἰησοῦ Χριστοῦ

فمن أين يأتينا صبر الرجاء الحقيقي والفعّال، إلاَّ عندما يكون لنا شركة في المسيح، فننال منه «صبر رجائه» الخاص!!

سلام المسيح:

كذلك سلام المسيح: «وليملك في قلوبكم سلام (الله) المسيح الذي إليه دُعيتُم» (كو٣: ١٥). يُلاحَظ أن الترجمة العربية أوردت كلمة «الله» بدل «المسيح» خطأ. ومن أين يأتينا السلام الذي يحفظ عقولنا وقلوبنا في الله؟ إلاَّ مِنْ المسيح حينما نحيا في شركة سريَّة بالروح معه فننال منه سلامه الخاص «سلامي أُعطيكم.» (يو١٤: ٢٧)

كذلك وداعة المسيح (٢كو١٠: ١)، وأحشاء (رقة حنان σπλάγχνα) المسيح (في١: ٨)، وصبر المسيح (٢تس٣: ٥)، وطاعة المسيح (٢كو١٠: ٥)، وحق المسيح (٢كو١١: ١٠)، ومخافة المسيح (أف٥: ٢١)، وختانة المسيح (كو٢: ١١)، وآلام المسيح (٢كو١: ٥ وفي٣: ١٠)، وشدائد المسيح (كو١: ٢٤)؛ هذه الصفات التي للمسيح التي حصرها بولس الرسول لتكون هي فضائل الإنسان المسيحي، لا يكتسبها الإنسان باجتهاده، فهي هي «صفات المسيح نفسه»، ولا نحوزها إلاَّ بالحياة مع المسيح في شركة الروح، حيث يتصل المسيح الرب الروح بنا في سر الشركة العجيب، فينال الإنسان صفات المسيح بانسكاب حياة المسيح في داخل كيان الإنسان بكل ما لها: «المسيح يحيا فيَّ»!!

ثم نحن نتعجب إن كان القديس بولس قد حاز على حياة المسيح وإيمان المسيح ومحبة المسيح ورجاء المسيح وصبر المسيح وسلام المسيح ووداعة المسيح وأحشاء رأفاته، وصبره وطاعته، وحقه ومخافته، وآلامه وشدائده، بالإضافة إلى قوة المسيح، وغنى المسيح، وبركة المسيح، فنحن نسأل ماذا بقي للمسيح لم يأخذه القديس بولس؟ عجيب حقاً أن الفائق في كل شيء، الكائن في السماء،

هكذا يُحوَى في بولس.

ولكن هذه حقيقة المسيح الرب الروح من السماء الذي سبق في الماضي أن أخلى ذاته وتجسد، فهو هكذا الآن وبصفاته التي لا تتغير يتنازل وينزل ويجيء ويحل ويملأ حياة الإنسان.

إن خبرة القديس بولس في حصوله على حياة الشركة في المسيح والتي من خلالها يقول: «فأحيا لا أنا بل المسيح يحيا فيَّ» (غل٢: ٢٠)، وأن «لي الحياة هي المسيح والموت هو ربح» (في١: ٢٢)، وإن «حياتكم مستترة مع المسيح في الله» (كو٣: ٣)، «فإنه فيه يحل كل ملء اللاهوت جسدياً **وأنتم مملوؤون فيه**» (كو٢: ٩و١٠)؛ هذه في الحقيقة صدى التجسد العجيب، وصورة من صور تجلياته في حياة الإنسان، وامتداد سرِّي مُذْهِلٌ لعمله الذي يحييه في وسط السنين!! (حب٣: ٢)

القديس بولس يجمع هذا كله في مفهوم أن حياة «الشركة مع المسيح»، تعطينا إيمان المسيح في صفات المسيح لنعيش بها ونعمل. ولكن أكثر من هذا، أن بهذه الشركة نقترب إلى الله ونتقدم إليه، لا كغُرباء بعد، بل كأهل بيت الله!

+ «كنتم في ذلك الوقت (الأمم) بدون مسيح ... بلا إله في العالم.» (أف٢: ١٢)
+ «ولكن الآن في **المسيح يسوع** أنتم الذين كنتم قبلاً بعيدين (عن الله) صرتم قريبين بدم المسيح.» (أف٢: ١٣)
+ «الذي به (بالمسيح) لنا جراءة وقدوم (إلى الله) بإيمانه عن ثقة.» (أف٣: ١٢)
+ «لأن به لنا كلينا قدوماً في روح واحد إلى الآب، فلستم بعد غُرباء ونُزلاً، بل رعية مع القديسين وأهل بيت الله.» (أف٢: ١٨و١٩)

ينتهي بولس الرسول إلى أن «في المسيح» بحياة الشركة في الروح، ننال حالة دخول إلى الله الآب عن ثقة، بل ونصير أهل الله بمعنى الاتحاد بالله. وقد عبَّر عنها بولس الرسول بقوله: «لأنكم قد مُتُّم (عن حياة الجسد والعالم والخطية) وحياتكم مستترة مع المسيح **في الله**.» (كو٣: ٣)

أي أن إيماننا الذي نلناه بالشركة «في المسيح»، الذي هو إيمان المسيح، أهَّلنا للموت عن الخطية والعالم والجسد، وبالتالي هيَّأنا للاتحاد بالله، هذا معنى: «حياتنا مُسْتَترة مع المسيح في الله».

فانظر، أيها القارىء وتعمَّق المعنى، كيف أن مسيحية القديس بولس كلها قائمة على اختبار

دخول المسيح الرب الروح الممجَّد في السماء في حياته: «فأحيا، لا أنا، بل المسيح يحيا فيَّ» (غل ٢: ٢٠). وهكذا استترت حياة القديس بولس في حياة المسيح، فاتحد بالله، عن جدارة حصوله على حياة المسيح: «لي الحياة هي المسيح»، بل وإيمان المسيح نفسه أي «إيمان ابن الله» الذي به تجرأ أن ينادي الله الآب: «يا أبًا الآب.» (رو ٨: ١٥)

بهذا نفهم أن **قوة الإيمان المسيحي عند بولس** ليست كنتيجة لاجتهاد فكري، بل هي قوة نابعة من شركة حية بالروح مع المسيح، المسيح في هذه الشركة هو الذي يعطي لهذا الإيمان قوته، بل يهبه نفخة من إيمانه الخاص: «أنتم تؤمنون بالله **فآمنوا بي**» (يو ١٤: ١). أي أن إيمان القديس بولس نابع من وجود المسيح الحي فيه، وقوته نابعة من الإعتماد على المسيح الموجود فيه والحي والفعَّال. فهو إيمان لا يهتز ولا ينطفىء، لأنه إيمان حيٍّ يستمد حياته من المسيح الحي: «إني أنا حيٌّ فأنتم ستحيون.» (يو ١٤: ١٩)

الله في مسيحية القديس بولس:

الله في اليهودية إله مُحتجِبٌ: «حقاً أنت إلهٌ مُحتجِبٌ يا إلهَ إسرائيلَ» (إش ٤٥: ١٥). فهو محتجب عن الرؤيا، لأنه محتجب عن الفكر: «الله لم يَرَهُ أحدٌ قط» (يو ١: ١٨)، «لأن الإنسان لا يراني ويعيش» (خر ٣٣: ٢٠). هكذا تغلَّف الله في الضباب منذ الدهر، ضباب الفكر والرؤية عند اليهودي، فأُحيط بالمخافة والمهابة، حتى إن كل من ينطق باسمه موتاً يموت! (لا ٢٤: ١٦ — حسب الترجمة السبعينية)(١).

القديس بولس لما استُعْلِن له المسيح، عرفه أنه ابن الله، وأنه صورة الله، وبهاء شعاع مجد الله، بل والحامل لجوهر الله، فكان الوحيد الذي رأى ويرى الله لأنه المعادل لله.

والقديس بولس لما حلَّ «المسيح الرب الروح من السماء» في قلبه، حلَّ باعتباره ابن الله. هكذا ابتدأ الله يأخذ في كيان فكر القديس بولس وقلبه وإحساسه موضع «الآب للمسيح»، ولما أصبح المسيح بالنسبة للقديس بولس في موضع الاستعلان بالروح القدس، دخل الله «أبو ربنا يسوع المسيح» في موضع الاستعلان بصفته «أبو ربنا يسوع المسيح» والروح القدس الذي استعْلَن حقيقة وصفَة الابن، استعلَن حقيقة وصفة الآب، وهكذا اضطلع الروح القدس بفحص الابن والآب في الله، وهي المعروفة عند بولس بـ «**أعماق الله**»، وهي حقيقة الله العظمى والسرية التي كانت مخفية في الله منذ الأزل، واستُعْلِنَت لرسله بالروح. هذا أدركه بولس وأكده: «لأن الروح يفحص

---

(١) أنظر كتاب: «المدخل لشرح إنجيل القديس يوحنا»، للمؤلف، ص ٢٢٠.

كل شيء حتى أعماق الله» (١ كو٢: ١٠). وإذ نال القديس بولس روح الابن، نطق به بل صرخ: «يا أبا الآب»، إذ رأى في الله ولأول مرة في تاريخ الإنسان أن الله صار واستُعلن أباً للإنسان «في المسيح يسوع»!!

القديس بولس نال التبني، لما دخل في خبرة الشركة «**في المسيح**» الرب الروح من السماء المُسْتَعْلَن ابناً لله. والتبني هو هو الإنعام بأبوّة الله على الذين يؤمنون بابن الله، أي ينالون «إيمان ابن الله»، من خلال حياة الشركة «في المسيح» الابن.

وهكذا صار ولأول مرة في فكر الإنسان وواقع حياته ووجوده، أن الله المجيد رب السماء والأرض القدوس المرهوب الساكن في النور غير المقترب إليه، والنار الآكلة، هو هو نفسه الله الآب المحب المنعطف بأبوّته ناحية الإنسان بالحب، والمنظور في ابنه الذي بذله من أجلنا أجمعين وأعطانا معه كل شيء: «الذي لم يُشْفِق على ابنه، بل بذله لأجلنا أجمعين، كيف لا يَهَبُنا أيضاً معه كل شيء» (رو٨: ٣٢)، بكل سرور، وأغدق على الخطاة بنعمته، واستعلن أنه منذ الدهر كان يحتمل الخطاة بطول أناة ويقتادهم للتوبة بإمهال متلاحق وبِغِنَى لُطفه الفائق.

ولكن في كل ذلك، الله لم يغيِّر نفسه ولا غيَّر موضعه بالنسبة للقديس بولس وبالتالي كل إنسان، ولكن لما دخل الإنسان في علاقة الحب والالتصاق بابنه، وارتضى المسيح أن يعيش ويحلّ في قلب الإنسان، صانعاً شركة بالروح، يتبادل فيها مع الإنسان غناه بفقرنا، وقوته بضعفنا، وبنوته لله بغُرْبتنا، اقترب الإنسان من الله واجترأ في روح بنوة وحياة ابنه أن يدخل إلى الله ويصير من أهل بيت الله. إذاً، فالإنسان هو الذي غيَّر موضعه من الله لمَّا تبنى المسيح الابن موضعنا من الله!!

كانت خبرة بولس على طريق دمشق من جهة ما حدث في تغيير موضعه من المسيح وبالتالي من الله، هي أول خبرة للإنسان انتقل فيها من عدو محارب للمسيح والله، إلى محبوب مختار مدعوٍّ لمجد اسم المسيح والله، التي بعد أن ذاقها القديس بولس وتأكدَّ منها تماماً تماماً، نطق باعترافه بلسان الإنسان ــ الإنسان الذي تمادى في حقده وعداوته للمسيح حتى الموت ــ هكذا: «فإني متيقِّن أنه لا موت ولا حياة ولا ملائكة ... ولا خليقة أخرى تقدر أن تفصلنا عن "**محبة الله**" التي "**في المسيح**" يسوع ربنا.» (رو٨: ٣٨و٣٩)

وهكذا، وبعيداً بعيداً عن الاعتبارات اللاهوتية وتعقيدات المفهومات الوضعية عن كل ما قيل ويُقال عن الفداء والخلاص والغفران والمصالحة والتبرير والإيمان، عندما بدأت العشرة الروحية

الصادقة بالحب المتبادل بين المسيح والقديس بولس في شركة الروح، بدأ القديس بولس يشعر بالفداء والخلاص والغفران والمصالحة والتبرير والإيمان، إيمان ابن الله الذي ملأ قلبه وفكره وروحه، وجعله يُحمَل على أجنحة نعمة الله التي أُغدقت عليه في المسيح الذي حلَّ في قلبه.

القديس بولس أحسَّ واختبر الفداء قبل أن يعرفه، وذاق المصالحة قبل أن يفهمها، وانتعشت روحه بحرية أولاد الله قبل أن يهتدي إلى معناها وشروطها.

القديس بولس ذاق وتنعَّم بحب المسيح الفائق والآب، قبل أن يدرك قَدْرَ الآلام وعُنْف الصليب، لذلك وضع الحب قبل الموت في مقولته المشهورة: «أحبني وأسلم نفسه لأجلي» (غل٢: ٢٠)، ووضع الفداء قبل التوبة: «ونحن بعد خطاة، مات المسيح لأجلنا.» (رو٥: ٨)

القديس بولس أمسك بالمسيح قبل أن يمسك بالمسيحية، واجتاحه لاهوت ابن الله قبل أن يفهم كلمة واحدة عن لاهوت المسيح. لذلك قامت مسيحية القديس بولس على المسيح وليس على اللاهوت أو المفهومات المسيحية، لذلك فالمسيحية، عند القديس بولس، لم تكن هي الطريق إلى التعرُّف على المسيح، بل المسيحية عند القديس بولس بدأت كرؤية وخبرات وتعبيرات منبثقة عن المسيح، لما حلَّ المسيح في القلب.

فالمسيحية عند القديس بولس هي ذخائر فاخرة فوق ما يتصور الإنسان، أُعدَّت بالروح بانتظار الذين سيأتون قبل أن يأتوا: «ما لم تره عين ولم تسمع أذنٌ، ولم يخطر على بال إنسان، ما أعدَّه الله للذين يحبونه» (١كو٢: ٩). ثم يضيف الرسول بولس مباشرة ــ وفي الآية التالية ــ أنه نال هذه التي أعدَّها الله حتى أعماق الله، لأنه كان له فكر المسيح وروحه: «فأعلنه الله لنا نحن **بروحه**، لأن الروح يفحص كل شيء **حتى أعماق الله**... أيضاً **أمور الله** لا يعرفها أحد إلاَّ روح الله... ونحن لم نأخذ روح العالم بل الروح الذي من الله لنعرف الأشياء الموهوبة لنا من الله... بما يعلِّمه الروح القدس... وأما نحن فلنا فكر المسيح.» (١كو٢: ١٠ــ١٣و١٦)

القديس بولس يتأمل ويحكي عن مسيحه، فكان اللاهوت:

بولس الرسول وهو في السجن في روما أراد أن يحكي لأهل فيلبي عن يسوع المسيح، الرب الروح من السماء الذي هو موضوع عبادتهم، ومصدر سَنَدهم وحمايتهم، ورجاء فرحهم ومجدهم. تطلَّع القديس بولس نحو المسيح في أمجاده العليا ووصف هم المسيح، مسيح حبه، وسيد حياته، ووليّ نعمته. فوصفه بأوصافٍ خلَت من أي صبغة يهودية، حتى كلمة «ابن الإنسان» التي طرحها المسيح نفسه أمام اليهود، ليذكروا أو يتذكروا ما قاله عنه دانيال، أسقطها بولس الرسول

من حسابه؛ فهو لا يخاطب يهوداً؛ بل يشهد للعالم عن المسيح، فرآه ابن الله، رآه مسيح السماء من السماء كما رآه، فأعطاه أوصافه التي لله ليراه كل إنسان أنه مسيح كل العالم!!

ولا تسمع في هذا النشيد الذي أنشده بولس الرسول للمسيح — ويداه في السلسلة — أي اصطناع من صنعة اللاهوتيين، ولا أي تعبير يفوق عن القدر أو يحطّ عن القدر. وواضح أن بولس الرسول قاله في معرض الكلام وليس كمنطوق خاص للحفظ؛ بل للتأمل كما تأمله هو، فهو كان يتحدث لهم عن التواضع هكذا بدأ الحديث: «لا شيئاً بتحزُّب أو بعُجْب؛ بل بتواضع حاسبين بعضكم البعض أفضل من أنفسهم» (في٢:٣)، الترجمة هنا سقيمة ومضللة والصحيح يقرأ كالآتي: «لا تصنعوا شيئاً بدافع الذاتية أو الافتخار إنما باتضاع حاسبين الآخرين أفضل منكم». «فلا ينظر الواحد منكم إلى ما لنفسه بل أيضاً لما للآخرين. جاعلين فيكم هذا الفكر الذي في المسيح يسوع أيضاً:

+ الذي إذ كان في **صورة الله**، لم يحسب خلسة أن يكون **معادلاً لله**،

لكنه **أخلى نفسه**، **آخذاً صورة عبد**، **صائراً في شبه الناس**،

وإذ وُجِدَ في الهيئة كإنسان **وضع نفسه**، **وأطاع حتى الموت موت الصليب**،

لذلك **رفَّعه الله** أيضاً وأعطاه **اسماً فوق كل اسم**،

لكي تجثو باسم يسوع كل ركبة

ممَّن في السماء ومن على الأرض ومن تحت الأرض،

ويعترف كل لسان أن يسوع **المسيح هو ربٌّ لمجد الله الآب**.» (في٢: ٥—١١)

هذه نغمات موزونة بالروح دون أدنى نشاز، منطوقة بالإلهام بكل إحكام، تُفصح عن رؤية شاملة مضيئة لمسيح القديس بولس في الأزل مع الله قائماً في الله، ثم وهو في طريقه من الأزلية إلى الزمن، ومن حضن الله لحضن الإنسان (العذراء)، ومن صورة الله لصورة الإنسان، ومن مجد الألوهة إلى وضاعة إنسان؛ بل وما بعد الوضاعة من مهانة أوصلته لموت الصليب بسرور الطاعة.

ثم انتهاء المأساة، برِفْعَة مقتدرة حتى أعلى السموات وباسمٍ يسود على كل الأسماء، تتوجَّب له العبادة، لا من دون الله؛ بل لمجد الله لأن مجد الابن هو لمجد الآب.

هذا هو مسيح القديس بولس، وهذا هو لاهوته، نغم سماوي عالي المستوى يخطف القلوب، يُبْهِر أعظم العقول، ويحيِّر أحكم الحكماء، وبآنٍ واحد لا يتعثر فيه طفل.

وللقارىء أن يراجع هذه الآيات بتؤدة ليحسَّ بعمق ما فيها من تقوى، وكأنما كان بولس

الرسول ينطقها وهو راكعٌ، ناظراً إلى فوق حيث المسيح جالس، وينطقها لا لفلاسفة أوروبا ولاهوتييها، بل لفقراء فيلبي الذين كانوا أول مَنْ انفتحت آذانهم لسماع أوصاف مسيح بولس واستودعوها بأمانة خزانة قلوبهم والكنيسة والتاريخ.

وفي وضع آخر، يقدّم بولس الرسول مسيحه لأهل كورنثوس في أسلوب مَنْ يحكي هائماً بمَثَله الأعلى، وفي جملة واحدة يجمع أغنى مواقف اللاهوت في المسيح مع أصدق حقائق فقر الناسوت الذي بلغه، مُعطياً العلة والسبب في النزول من هذا إلى ذاك: «فإنكم تعرفون نعمة ربنا يسوع المسيح، أنه من أجلكم افتقر وهو غني لكي تستغنوا أنتم بفقره» (٢كو٨: ٩). مَنْ يصدّق أن هذه الجملة تحمل أخطر قضايا اللاهوت؟ وهكذا يحكي بولس الرسول عن مسيحه، فيصير حَكْيُه هو اللاهوت!!

القديس بولس وشركة دم المسيح:

دخل الصليب والدم المسفوك على القديس بولس بعد أن أدرك القيامة، بعد أن أطلّ عليه الرب من السماء وهو في أوْج بهاء مجده، فلما انعكس شعاع نور وجهه المضيء على صليب الآلام، أضاء الصليب عند القديس بولس وتجلّى وتعظّم وارتفع جداً، حيث صار عنده قوة الله للخلاص، ولما انعكست صورة حياة المجد الأسنى على الدم المسفوك، نطق الدم عند القديس بولس وتكلم وتسامى بروح أزلي. وهكذا ظلّت الآلام وظلّ الصليب والدم والموت، تأخذ قيمتها ومعناها وفعلها ودوامها وخلودها ومجدها ــ عند القديس بولس ــ من القيامة، من السماء، من الرب الروح المُمجَّد، كل هذا من واقع شركة القديس بولس الحية «في المسيح» الرب المحيي، التي امتدّت هي بعينها لتصير شركة في الآلام وشركة في الصليب والموت وشركة في الدم، أي في كل الحياة السالفة التي لرب الخلاص.

شركة الدم عند القديس بولس: «كأس البركة التي نباركها أليست هي **شركة دم المسيح**» (١كو١٠: ١٦)، أدركها من داخل شركته «في المسيح» الرب من السماء قبل أن يمسك الكأس في يده. القديس بولس لما تناول أول ما تناول، تناول سر الدم من يد الرب الممجد ودمه فيه، فنال بالدم من يد الرب المُمجَّد شركة في صليبه كحقيقة قائمة فيه، مع آلامه وموته، وحتماً قيامته. وهكذا شرب القديس بولس الدم كحقيقة ممجدة سماوية، مُشتَعْلَن فيها دم ابن الله، بروحه الأزلي القائم في المجد جنباً إلى جنب مع حقيقة صليب التاريخ والدم المسفوك في ذلك اليوم الحزين، وهكذا أعطت الحقيقة الأولى عند القديس بولس الحقيقة الثانية قوتها ومعناها وسرَّها الإلهي الأزلي.

لهذا أصبح دم المسيح عند القديس بولس مساوياً في المجد والكرامة والأزلية للمسيح نفسه كابن الله المـمجَّد في السماء، وأيُّ مساس بالدم ــ صار عند القديس بولس ــ مساساً بالمسيح نفسه وهو في أوج مجده كابن الله القائم في السماء. «فكم عقاباً أشرَّ تظنون أنه يُحسَب مستحقاً مَنْ **داس ابن الله**، وحَسِبَ **دم العهد الذي قُدِّس** به دنساً، وازدرى بروح النعمة.. **مُخيفٌ هو الوقوع في يدي الله الحي!!**» (عب١٠: ٢٩و٣١)، «إذاً، أيُّ مَنْ أكل هذا الخبز أو شرب كأس الرب بدون استحقاق، يكون مجرماً في جسد الرب ودمه.» (١كو١١:٢٧)

فارقٌ كبير وخطير جداً أن نتناول الجسد والدم، وخلفية التناول تكون مجرد شركة في جسد ودم على مستوى مسيح الآلام أو حتى مسيح العشاء السري، كانطباع لما هو في الصورة التي يرسمها لها رسام بفرشاة وأصباغ، وبين أن نتناولهما كالقديس بولس من داخل شركة حقيقية قائمة حيَّة فعَّالة «في المسيح» الرب الروح المـمجَّد من السماء، حيث نتناول جسد ودم ابن الله من يد ابن الله بالروح في سرٍّ رهيب وحق يفوق حدود العقل والتصوُّر.

إن الصليب والدم والموت والقيامة وشركة الدم والجسد انتقلت في ذهن القديس بولس ووجدانه ــ وذلك من خلال حياة الشركة «في المسيح» الرب المحيي من السماء ــ من حوادث وحقائق تاريخية إلى حقائق إلهية وأسرار روحية، لها القدرة على تجلِّي التاريخ الذي يحملها لتعبِّر عن حقائق أزلية كانت مخفيَّة ومكنونة عند الله منذ الأزل، واستُعلنت ليبدأ فعلها ولا ينتهي أبداً.

الأخلاقيات عند القديس بولس تنبع من ظهور الرب له:

لم يكن بولس الرسول معلم أخلاق، ولم يكن له منهج في ذلك، كذلك لم يحمل معه من اليهودية أخلاق اليهود، لا من قريب ولا من بعيد. ولكن الحقيقة الواضحة والناصعة جداً هي أن بولس الرسول غطَّى الحياة المسيحية بنماذج من توجيهات أخلاقية عملية لم تنحرف ناحية الفكر النظري.

وكان المصدر الوحيد الذي استمد منه غيرته على الروح الأخلاقية التي يتحتم أن يتحلَّى بها كل مسيحي، أو المسيحية ككل، هي «محبته للمسيح». لقد هامت روح بولس بالرب الروح من السماء، الذي أشرق عليه بوجهه المضيء اللامع والذي يبدو أنه كان مبتسماً، حُبّاً سرق روحه منه، فلم يعد القديس بولس يشعر ببولس. إنها «وحدة الحب» أو اتحاد المحبة أو شركة المحبة؛ لأن المسيح الذي أظهر ذاته له هو هو بشخصه مسيح الجليل والبحيرة الذي أشبع تلاميذه من حبه، مسيح العشاء السري: «إذ كان قد أحبَّ خاصته الذين في العالم أحبَّهم إلى المنتهى» (يو١٣:١)، الذي في يوم من الأيام باح بسرِّ حبه العنيف لتلاميذه، ولكنه أخفاه في صورة وصية:

«هذه هي وصيتي أن تحبوا بعضكم بعضاً كما **أحببتكم**. ليس لأحد حب أعظم من هذا أن يضع أحد نفسه لأجل أحبائه» (يو١٥: ١٢)، ثم عاد وأكدَّ: «**اثبتوا في محبتي**» (يو١٥: ٩)، «**قد سميتكم أحباء**» (يو١٥: ١٥)، وآخر دعاء قدَّمه كصلاة للآب كان: «**وعرَّفتهم اسمك وسأُعرفهم** (بعد القيامة)، **ليكون فيهم الحب الذي أحببتني به، وأكون أنا فيهم.**» (يو١٧: ٢٦)

هذا هو هو المسيح الرب الروح من السماء، يمارس أعجب وأعنف صور حبه، إذ اختار لحبه أشنع مشاكس وأجرأ مجدِّف وأجرم مضطهد **ليُظهر** فيه أعماق أعماق محبته التي قال عنها نشيد الأنشاد: «لأن المحبة قوية كالموت!!» (نش٨: ٦)، «مياه كثيرة لا تستطيع أن تطفىء المحبة والسيول لا تغمرها. إن أعطى الإنسان كل ثروة بيته بدل المحبة تُحتقر احتقاراً.» (نش٨: ٧)

لقد مارس مسيح الحب، حبَّه من جديد من السماء هذه المرة. فاختطف قلب بولس من على طريق دمشق: «مَنْ أنت يا سيد»؟ «أنا يسوع الذي "أحبك"»!! فذهب بولس كمخطوف القلب يردد في الخفاء وفي العلن «أحبني» «أحبني وأسلَم نفسه لأجلي» (غل٢: ٢٠). لقد أوفى مسيح ــ يوحنا ١٧ ــ بوعده، فقد عرَّف بولس اسم الآب الذي له «**سأُعرِّفهم اسمك**»، فاستقرَّ في قلب بولس حب الآب بعينه: «**ليكون فيهم الحب الذي أحببتني به**»!! وزاد عليه ــ بحسب الوعد أيضاً ــ أن حلَّ في قلب بولس: «**وأكون أنا فيهم**»! هذا هو قياس حب الله الآب والمسيح عند بولس الرسول بحسب تحقيق وعد المسيح!!

فإذا قرأت، أيها القارىء العزيز، في مطلع رسائل القديس بولس الرسول قوله: «بولس **عبد** ليسوع المسيح»، فاعلم أن هذه هي لغة الحب، فالمحبوب «**يأسر**» قلوب محبيه «**ويستعبدهم**»! فالحب إذا اشتدَّ، صار عبادة، والعبادة لا تكون عبادة إلاَّ إذا أذهبها الحب. أما علاقة المحب بالمحبوب فمعروف أنها شركة بالروح واتحاد. وها هي شركة القديس بولس مع الآب وابنه يسوع المسيح في الحب، فحينما حلَّ المسيح بالروح في قلب بولس حسب وعده السابق «وأكون أنا فيهم»، بدأت عند القديس بولس **العبادة المسيحية**، كشركة في حب الآب والابن يسوع المسيح بمنتهى الصدق والتحقيق، بدأت تأخذ قوتها وسماتها. وكانت أعظم سمات العبادة المسيحية عند بولس الرسول هي «أخلاق وصفات المحبوب»، التي استبدَّت بمشاعر بولس ــ وألهمته بكل ما قال وعلَّم عن الأخلاقيات في المسيحية.

ثم وقفة صغيرة لننبه الذهن إلى أن محبة المسيح الرب الروح من السماء كان لها نفس سمات حبه الشخصي العاطفي الجارف، ولكن كان يسند هذا الحب سلطان الألوهة الذي إذا انطرح على

النفس والفكر والروح أنْعَشَها؛ بل وجدَّدها تجديداً؛ بل طبع عليها صورته؛ بل سرَّب إليها بهجة حضوره ونعمته، كلُجج تكتنفها فتغمرها.

إذاً، فوحدة المحبة مع المسيح هي التي طبعت على قلب القديس بولس وفكره كل ما أخذ لنفسه، وكل ما أعطاه للآخرين من صلاح وأخلاق وسلوك المسيح، فحُسِبَتْ لبولس أنها الأخلاق المسيحية.

ويكفي للتدليل على ذلك، أن النفس البشرية عند بولس الرسول؛ بل والجسد المسيحي، حُسِبَ كـ «**هيكل الله**»، وأن **الروح القدس يسكن فيه!!** أنظر وتعجب مَنْ تكون هذه النفس، إذاً، إلا نفس المسيح!! أو النفس التي ينبغي عند بولس الرسول **أن تكون كنفس المسيح؟**

ثم انظر وتعجب، **فالرجل والمرأة معاً** وهما في حالة الزواج كيف يسلكان وبأي أخلاق يتخلَّقان، عند بولس الرسول، وكيف رآهما بولس أو بمَنْ قيَّمهما؟ قيَّمهما **بالمسيح والكنيسة!!** هكذا يرى بولس الرسول **الرجل في الزيجة كيف يسلك كالمسيح والمرأة تسلك ككنيسة...**

ثم انظر وتعجَّب، ماذا يرى بولس الرسول في جماعة اجتمعت معاً على الإيمان كيف يسلكون وبأي أخلاق يتخلَّقون وبماذا يشبِّهُهم؟ يشبِّهُهم **بجسد له أعضاء كثيرة والمسيح فيه هو الرأس!!**

ثم انظر وتعجَّب، إذا اجتمع **يهوديٌّ، وأُمّي، وعبد، وسيد، ورجل، وامرأة** على إيمان واحد **بالمسيح**، فكل الفوارق والفواصل التي تفرِّق بين جنسياتهم ومراتبهم وجنسهم ــ عند بولس ــ تكون قد سقطت عنهم ليسلكوا بالروح كروح واحد في المسيح، لا فرق، **لأن المسيح واحد في الجميع.**

ثم انظر وتعجَّب، إن كان **أخٌ ما ضعيفاً في الإيمان**، فلا ينبغي ــ عند بولس الرسول ــ لأحد أن ينتقده أو يُعْثِره لماذا؟ **لأن المسيح مات من أجله!!** (١كو٨: ١١)

واضح إذاً أن حب المسيح لبولس وحب بولس للمسيح على مستوى الشركة أو الوحدة أو الاتحاد، هو الذي صاغ فكر بولس؛ بل روحه ووجدانه الأخلاقي، فكل اتجاه أخلاقي تفرضه محبة المسيح وتسود عليه.

ثم إذا انسبق **إنسان فأُخِذَ في زلَّة ما** (خطية مُذلَّة أي فضيحة) فماذا يكون الأمر عند بولس؟ يقول: «**فأصلحوا أنتم الروحانيين مثل هذا بروح الوداعة** ناظراً إلى نفسك لئلا تُجرَّب أنت

أيضاً. احملوا بعضكم أثقال بعض ـ (على أي أساس): وهكذا **تمموا ناموس المسيح.**» (غل٦: ١و٢)

وأخيراً، بماذا يشبِّه بولس الرسول: «**الكنيسة**» ـ كجماعة المؤمنين؟ يشبهها بامرأة جميلة مقدسة لا عيب فيها ولا آثار شيخوخة أو أي شيء مثل هذا؛ **بل عذراء عفيفة مخطوبة للمسيح!!** (أف٥: ٢٧، ٢كو١١: ٢). أيمكن أن يكون هناك تعبير عن حب المسيح للإنسان أعظم من هذا؟؟

وهكذا، وفي انحصار حب المسيح، يصوِّر بولس الرسول لنفسه وللآخرين ما يفرضه هذا الحب لكل قضية جماعية أو فردية، أخلاقية أو سلوكية، ظهرت أينما ظهرت. فمحبة المسيح عند بولس الرسول هي منبع الأخلاق، وسيدة السلوك، وأصل كل صلاح، ومُلْهِمَة النسك والتقوى، وهي الناموس الجديد الذي يُمْلي وصاياه في قلب المحبين.

عزيزي القارىء، بولس الرسول كان يحتسب نفسه غير مستحق لهذا الحب وهذه الشركة من أجل ما اقترفت يداه، ولكن احتسب أن الله رحمه، لأنه في جهل وفي عدم إيمان صنع ككل ما صنع، ثم اختاره الله وانتخبه المسيح كخاطىء أسرف في خطاياه، وسكب في قلبه هذا الحب؛ بل سكب حياته فيه لكي يتجرأ ويدعو كل الخطاة لهذا الحب بعينه وهذه الشركة عينها والحياة مع الآب ومع ابنه يسوع المسيح!! فهلاً بُلِّغْتَ؟

الباب الثاني

صفات القديس بولس ومنهجه العام

الفصل الأول

صفات القديس بولس الشخصية واتجاهاته العامة

وبعد أن استوفينا ظروف مولده ونشأته وتعليمه، نستعرض هنا صفاته الشخصية واتجاهاته العامة.

في اعتبارنا أن صفة التغيير والقدرة على تخطي الماضي للإمساك بالأفضل هي من أهم صفات بولس الرسول: «أيها الإخوة أنا لست أحسب نفسي أني قد أدركتُ، ولكني أفعل شيئاً واحداً، إذ أنا أنسى ما هو وراء وأمتد إلى ما هو قدام، أسعى نحو الغرض لأجل جَعَالة دعوة الله العليا في المسيح يسوع.» (في٣: ١٣و١٤)

أ ــ الانتقال الدائم من الجسد إلى الروح:

منذ ظهر الرب يسوع المسيح للقديس بولس في السماء، بوجهه المضيء جداً بلمعان أكثر من الشمس، وحيث نفذت أشعة بهاء مجد المسيح الحي واستقرت في أعماق نفسه، حفرت في روحه مجد الوجه الأقدس الذي ظل يشع عليه بنور استعلان إنجيله. لقد بدأت تسري في كيانه الروحي عناصر استعلان المسيح، وتتسجَّل في وعيه صفحة وراء صفحة، كما بإصبع الله. ولقد نقل لنا خبرته هذه بأسلوب حي صادق: «ونحن جميعاً ناظرين مجد الرب بوجه مكشوف (بدون برقع الناموس)، كما في مرآة، نتغير إلى تلك الصورة عينها من مجد إلى مجد، كما من الرب الروح.» (٢كو٣: ١٨)

وهكذا، ومن الرسائل التي ورثناها من خزانة بولس الرسول الروحية والتي استوعبتها الكنيسة، تأتينا شذرات متفرقة على مدى رسائله، أتت منه عفواً، ولكن لو جمعناها معاً لأعطتنا صورة لبولس الرسول، يسهل ترجمتها بحسب معايير الجسد والروح.

ولكن الذي يؤكده بولس الرسول هو استحالة بقاء الصورتين: الجسدية والروحية، على حال. فنمو الروح نحو الجمال والكمال بحسب صورة المسيح يستلزم تقهقر الجسد بأخلاقه وميوله وشهواته وانسحابه تدريجياً أمام متطلبات الروح: «إن كان إنساننا الخارج يفنى، فالداخل يتجدد يوماً فيوماً» (٢ كو٤: ١٦). ويلاحظ هنا أن في حالة القديس بولس، ابتدأ الجسد يتقهقر أولاً ليأخذ الروح مكانته. ويعود ويؤكد هذا مرة أخرى في صورة الخلع قبل اللبس: «لا تكذبوا بعضكم على بعض، إذ **خلعتم** الإنسان **العتيق** مع أعماله، **ولبستم الجديد** الذي يتجدد للمعرفة حسب صورة خالقه.» (كو٣: ٩و١٠)

ووقوف الجسد تجاه الروح في عملية الحياة الجديدة يعطي حتماً متناقضات ولكنها بضبط الروح تبدو لصالح الحياة.

ب ــ المتناقضات في حياة القديس بولس:

المتناقضات في حياة بولس الرسول كثيرة وذات أهمية بالغة عند أي باحث في حياة بولس، لأنه يقيس عليها قوة التغيير الذي جازه ومدى اندفاعه!! فإذا لم يعمل لها الدارس من حساب، طوّحت به بعيداً عن حقيقة الرسول وأوقفته في إعثار!

١ ــ الضعف يقابله القوة:

إن أوضح مضادة في حياة بولس، هي المضادة التي أنشأها الله فيه كأساس للملء والامتداد والارتفاع!! لأن أظهر ما في صفات القديس بولس **الجسدية** هو مرضه ــ الذي أصابه بعناية الله ــ والذي ألبسه الضعف والشعور بالثقل على الآخرين: «ولئلا أرتفع بفرط الإعلانات **أُعطِيتُ** شوكة في الجسد، ملاك الشيطان، **ليَلطِمَني لئلا ارتفع**. من جهة هذا تضرعت إلى الرب ثلاث مرات أن يفارقني، فقال لي **تكفيك نعمتي** لأن **قوتي في الضعف تُكمَل**» (٢ كو١٢: ٧ــ٩). هكذا بدأ التناقض لحساب حياة بولس الروحية.

لم ييأس بولس ولم يَسْتَكِنْ لضربة الشيطان، ولم يفرزها كأنها غرامة بلا مقابل، بل سلّط عليها نعمة المسيح، فرآها جزءاً لا يتجزأ من خلاصه، وضماناً لمزيد من الارتفاع والتعمق، فهتف بروح الانتصار وهو تحت المرض: «**فبكل سرور أفتخر بالحري في ضعفاتي**، لكي **تحلَّ عليَّ قوة المسيح**. لذلك **أُسَرُّ بالضعفات** والشتائم والضرورات والاضطهادات والضيقات لأجل المسيح، **لأني حينما أنا ضعيف فحينئذ أنا قوي**.» (٢ كو١٢: ٩و١٠)

وليلاحظ القارىء هنا أن القديس بولس لم يرتفع فوق الأمراض والضيقات والاضطهادات

فقط، بل حوَّلها إلى قوة في نفسه: «لأني حينما أنا ضعيف، فحينئذ أنا قويٌّ»، لأنه اعتبر أن المرض والضيق والاضطهاد هي عوامل مُرْسَلة من الله لتأمين ما حصَّله من نعمة، وضمانات لمزيد من الإعلانات ذات الارتفاع! لذلك لم يتوقف عند الرضى بالضعف بل صيَّره مَسرَّة: «لذلك أُسرُّ بالضعفات». وفي هذا يتشبَّه القديس بولس بالمسيح الذي قيل عنه: «الذي من أجل السرور الموضوع أمامه، احتمل الصليب مستهيناً بالخزي فجلس في يمين عرش الله.» (عب١٢: ٢)

ومن هذه الخبرة الحية التي خطَّت في جسده ونفسه وروحه خطاً تعليمياً لا يُمحى، استطاع بولس الرسول أن ينقله من نفسه إلى الآخرين في تعليم يفوق المنطق البشري، حتى إن العقل لا يمكن أن يصدقه لولا أنه قد أعطى النموذج من حياته: «لأننا **نفرح حينما نكون نحن ضعفاء، وأنتم تكونون أقوياء**» (٢كو١٣: ٩). هذا الشعور يستحيل على الإنسان أن يجده موقَّعاً توقيعاً صادقاً إلاَّ عند الآباء والأمهات من نحو الأبناء، ولكن أيضاً ليس كل الآباء ولا كل الأمهات، بل النخبة منهم التي بلغت الفطرة أو التقوى فيهم حدَّها الناضج جداً في بذل النفس.

هذا هو القديس بولس الذي بعد أن بدأ علمه اليهودي عند رجلي غمالائيل، أكمله بدرجة الشرف الأُولى تحت الصليب.

لقد أنهكت الرسول بولس الاضطهاداتُ الجسدية، وأوصلته إلى حافة الموت عدة مرات، وكلٌّ منها كان هو الموت بعينه، فهو يعدِّد أنواعاً عجيبة منتقاة من صنوف الآلام التي لا تخطر على بال، وهي التي لاقاها من كل جهة بصورة تهز العواطف هزاً:

+ «في الأتعاب أكثر، في الضربات أوفر، في السجون أكثر، في الميتات مراراً كثيرة، من اليهود خمس مرات قَبِلْتُ أربعين جلدة إلاَّ واحدة، ثلاث مرات ضُرِبتُ بالعصيِّ، مرَّة رُجِمتُ، ثَلاث مرات انكسرتْ بي السفينة (يضاف إليها كسر السفينة في رحلته الأخيرة إلى روما)، ليلاً ونهاراً (أي يومٌ بِلَيْلةٍ) قضيتُ في العمق (البحر)، بأسفار مراراً كثيرة (مشقات السفر): بأخطار سيول، بأخطار لصوص، بأخطار من جنسي، بأخطار من الأمم، بأخطار في المدينة، بأخطار في البرية، بأخطار في البحر، بأخطار من إخوة كذبة، في تعب وكدٍّ، في أسهار مراراً كثيرة، في جوع وعطش، في أصوام مراراً كثيرة، في برد وعُرْيٍ.» (٢كو١١: ٢٣ــ٢٧)

ولكن اسمع تقريره عن مستوى هذه التعاذيب بل والمصائب في نظره: لقد احتسبها مُزكِّياتٍ للخدمة وبرهانَ صحتها وتفوقها، واضعاً تقييمه لها على رأس القائمة: «أَهُمْ خدام المسيح؟ أقول كمختلِّ العقل (بسبب الافتخار) **فأنا أفضل: في الأتعاب أكثر**...» (٢كو١١: ٢٣)

وقد بصمت هذه التعاذيب والأضرار بصماتها على جسده، فعاد يفتخر بعلامات الضرب والجلد التي شوَّهت جسمه: «فيما بعد لا يجلب أحد عليَّ أتعاباً لأني حامل في جسدي سمات الرب يسوع» (غل٦: ١٧)؛ بمعنى أنه لم يَعُد مزيدٌ، فالجسد استوفى شهادته للمسيح، لأنه بالرجوع إلى عادات ذلك الزمان، نعرف أن السيِّد، لكي يضمن عدم هروب العبد الذي يشتريه، فإنه يكويه بالسيخ المحمَّى بالنار على شكل علامات أو شُرَط. وبولس الرسول يشير إلى أنه بهذه السمات قد صار عبداً ليسوع المسيح، مستوفي العلامات من ضَرْب العصي ولَسْع الجلدات وربما كسر العظام.

ثم يعود ويرتفع بمفهوم هذه التعاذيب التي عاناها في جسده ليضعها بجوار تعاذيب صليب المسيح، ويضمها إليها بجرأة يُحسد عليها: «الذي الآن أفرح في آلامي لأجلكم وأُكمل نقائص شدائد المسيح في جسمي لأجل جسده الذي هو الكنيسة» (كو١: ٢٤). وبولس الرسول هنا يضيف آلامه لحساب الكنيسة، ونحن قد حسبناها فعلاً ذخيرة لنا، فآلام القديسين التي عانوها على التقوى، تشدِّدنا.

وبولس الرسول بعد هذا السرد المرعب للتعذيبات التي نالها، وبهذا الجسد المنهوك، يظهر كجبار عمل، وعملاق خدمة، وبطل رحلاتٍ يجوب فيها البلاد من الشرق إلى الغرب مرات ومرات! وكأنه يتحدى الضعف ويتخطى حاجز الموت: «إننا من أجلك نُمَاتُ كل النهار. قد حُسِبْنا مثل غنم للذبح» (رو٨: ٣٦)، بل يتحدى الشكوى ويصيِّرها افتخاراً!! ويتجاهل كل حقوقه في حياة هادئة مريحة ويدعونا إلى ذلك: «لا يتزعزع أحد في هذه الضيقات، فإنكم أنتم تعلمون أننا موضوعون لهذا ... إننا عتيدون أن نتضايق كما حصل أيضاً ...» (١تس٣: ٣و٤)

وأيضاً لينتبه القارىء هنا إلى منهج بولس الأساسي في «**التعويض**»، فهو يرى أن كل تعذيب نجوزه، حتى إلى حد الموت، هو هو بعينه قد وُهب لنا لينشىء فينا حياة: «حاملين في الجسد كل حين **إماتة** الرب يسوع لكي تظهر **حياة** يسوع أيضاً في جسدنا، لأننا نحن الأحياء نُسلَّم دائماً **للموت** من أجل يسوع، لكي تظهر **حياة** يسوع أيضاً في جسدنا **المائت**.» (٢كو٤: ١٠و١١)

وبولس الرسول هو الذي احتسب الآلام في المسيحية هبة!!! «لأنه قد وُهِبَ لكم لأجل المسيح، لا أن تؤمنوا به فقط، بل أيضاً أن تتألَّموا لأجله.» (في١: ٢٩)

ثم وبعد هذا كله، من مرض وضعف وتعذيبات جسدية فُرضت عليه، يعود ليحكي عن شدته على جسده حتى أنه لا يعطيه راحة!! «أقمع جسدي وأستعبده» (١كو٩: ٢٧). فيا للقوة في هذا

الإنسان الذي سحقته المحن وما ضَعُف قط !!

٢ ــ الاتضاع يقابله الشموخ:

ليس في الرسل جميعاً مَنْ ضاهى بولس في اتضاعه وانسحاق روحه، وليس فيهم مَنْ رفع رأسه ببأس وشموخ بالنعمة التي فيه على نفس القدر.

+ «**وآخر الكل، كأنه للسِّقْط** (ما يولد مُبْتَسراً قبل اكتمال زمان الحَمْلِ به) ظهر لي أنا، **لأني أصغر الرسل، أنا الذي لست أهلاً لأن أُدعى رسولاً** لأني اضطهدت كنيسة الله، **ولكن** بنعمة الله أنا ما أنا، **ونعمته المعطاة لي لم تكن باطلة**، بل **أنا تعبتُ أكثر منهم جميعهم**، ولكن لا أنا بل نعمة الله التي معي.» (١كو١٥: ٨ــ١٠)

+ «أهم خُدَّام المسيح؟ أقول كمختل العقل فأنا أفضل!...» (٢كو١١: ٢٣)

لاحظ كيف ينزل بولس الرسول إلى الحضيض في شعور صادق، ليأخذ الموضع الأخير في مصاف الرسل، ثم يعود ويحطُ نفسه عن مستوى الكاملين في المدعوِّين كمن وُلِد في غير اكتمال (كالسِّقْط)، بل يتمادى ويرفع أهلية الرسولية عنه بالكلِّية، فهو لا يجيز ولا يستسيغ أن مَنْ يضطهد الكنيسة يُصبح ليكون لها رسولاً. ولكن، وبعد هذا التذليل للنفس التي صيّرها الذُّلّى بين الرسل، يعود بعجب ما بعده عجب ليرفع قرنه على الرسل أجمعين مستنداً على النعمة التي أسقطت من عينيه كل ذِلَّة، ورفعته بالأتعاب كما على صليب ليرى أفضليته عن الجميع، في آلامه التي فاقت الكل !!

وبولس الرسول لا يدَّعي لنفسه الانسحاق، ولا يدَّعي لها الأفضلية، بل هذا هو واقع حاله، يصفه بغير رياء ولا كبرياء، فالنعمة هي التي سحقته وهي نفسها التي رفعته: «بنعمة الله أنا ما أنا ... ولكن لا أنا بل نعمة الله التي معي». وهو يرى الانسحاق ويرى الارتفاع بآنٍ واحد، وهكذا أمَّنته النعمة من السقوط في حزن اليأس من جرَّاء ما اقترف، كما أمَّنته من كبرياء الافتخار من جرَّاء ما استُعلِنَ له وارتفع به.

+ «وأنا كنت عندكم في **ضعف وخوف ورعدة كثيرة**، وكلامي وكرازتي لم يكونا بكلام الحكمة الإنسانية المقنع، بل **ببرهان الروح والقوة**.» (١كو٢: ٣و٤)

فانظر أيها القارىء كيف يجمع الضعف والخوف والرعدة الكثيرة مع برهان الروح والقوة!

٣ ـ الرقَّة يقابلها الحدَّة:

هذه إحدى المتناقضات الحادة في طباع بولس الروحية. رقَّته المتناهية في حُنوٍّ يفوق حُنوَّ الأم، عن واقع وعن دموع، وفي نفس الوقت يقابل هذا حدَّة تبلغ الغضب المشتعل والانتهار العنيف والتهديد بتغيير الصوت (الزعيق) وضرب العصي!!

ففي رقته ولينه وترفُّقه يقول:

+ «إن فرحي هو فرح جميعكم، لأني من حزن كثير وكآبة قلب كتبت إليكم، بدموع كثيرة، لا لكي تحزنوا، بل لكي تعرفوا المحبة التي عندي ولا سيما من نحوكم.» (٢كو٢:٣و٤)

+ «أنتم تعلمون من أول يوم دخلت آسيا كيف كنت معكم كل الزمان أخدم الرب بكل تواضع ودموع كثيرة.» (أع٢٠: ١٨و١٩)

+ «لأن كثيرين يسيرون، ممن كنت أذكرهم لكم مراراً، والآن أذكرهم أيضاً باكياً وهم أعداء صليب المسيح.» (في٣:١٨)

+ «كما تعلمون كيف كنا نعظ كل واحد منكم **كالأب لأولاده ونُشجِّعكم**.» (١تس٢:١١)

+ «كأولادي الأحباء أُنذركم. لأنه وإن كان لكم ربوات من المرشدين في المسيح، لكن ليس آباء كثيرون، لأني أنا ولدتكم في المسيح يسوع بالإنجيل.» (١كو٤: ١٤و١٥)

+ «يا أولادي الذين أتمخض بكم (كالوالدة) أيضاً إلى أن يتصور المسيح فيكم.» (غل٤:١٩)

+ «كنا مترفِّقين في وسطكم كما تربي المرضعة أولادها، هكذا إذ كنا حانِّين إليكم، كنا نرضى أن نعطيكم، لا إنجيل الله فقط بل أنفسنا أيضاً، لأنكم صرتم محبوبين إلينا.» (١تس٢: ٧و٨)

+ «لأن من هو رجاؤنا وفرحنا وإكليل افتخارنا؟ أم لستم أنتم أيضاً أمام ربنا يسوع المسيح في مجيئه، لأنكم أنتم مجدنا وفرحنا.» (١تس٢: ١٩و٢٠)

+ «لأننا الآن نعيش، إن ثبتُّم أنتم في الرب، لأنه أي شكر نستطيع أن نعوض إلى الله من جهتكم عن كل الفرح الذي نفرح به من أجلكم قدام إلهنا.» (١تس٣: ٨و٩)

+ «سلِّموا على رُوفُس المختار في الرب وعلى أمه أُمِّي.» (رو١٦:١٣)

بل وتوجد رسائل بجملتها تنضح بالرقة واللطف والمشاعر الحميمة والمودة الشديدة مثل الرسالة إلى فيلبي أو التي إلى فليمون، وهي رسائل من سجن وتحت القيود!!

+ «لأني حافِظُكُم في قلبي، في وُثُقي، وفي المحاماة عن الإنجيل وتثبيته، أنتم الذين جميعكم شركائي في النعمة، فإن الله شاهد لي كيف أشتاق إلى جميعكم في أحشاء يسوع المسيح.» (في ١: ٧و٨)

+ «يا إخوتي الأحباء والمشتاق إليهم يا سروري وإكليلي اثبتوا هكذا في الرب أيها الأحباء.» (في ٤: ١)

ثم لو قرأ القارىء، وعلى مهل، الأصحاح الثالث عشر من رسالته الأُولى إلى كورنثوس، يدرك أي أعماق من المحبة تجيش في صدر ذلك الرسول وتتأجج تحت قلمه، فتفيض في حنوٍّ وصدق وأصالة ليس فيها أي افتعال، ولا يشوبها تهويل!

ولكن في مقابل هذه الرقة واللطف والمشاعر المزدحمة بالعواطف تجاه الضعفاء والمستجدين في الإيمان، يقف بولس الرسول مواقف الشدة مع العنف بتوبيخ وتهديد وكأن سماء الحب اكفهرَّت عن نَوْءٍ شديد ورعد وغَضَب تجاه المخالفين والمرتدِّين وأنصاف المسيحيين من اليهود...

+ «إني أتعجب أنكم تنتقلون هكذا سريعاً عن الذي دعاكم بنعمة المسيح إلى إنجيل آخر... أيها الغلاطيون الأغبياء من رَقَاكم (كتب لهم تعويذة سحر ــ رُقْيَة) حتى لا تذعنوا للحق... أهكذا أنتم أغبياء؟ أبعد ما ابتدأتم بالروح تُكمَّلون الآن بالجسد؟» (غل ١: ٦، ٣: ١و٣)

+ «فمن صدَّكم حتى لا تطاوعوا للحق؟ ... يا ليت الذين يقلقونكم يقطعون أيضاً.» (غل ٥: ٧و١٢)

+ «ولكنني كنت أريد أن أكون حاضراً عندكم الآن وأُغيِّر صوتي (ازعَّق)، لأني متحيِّر فيكم.» (غل ٤: ٢٠)

+ «الآن أكتب للذين أخطأوا من قبل ولجميع الباقين، إني إذا جئت أيضاً لا أُشفق.» (٢ كو ١٣: ٢)

+ «ومستعدين لأن ننتقم على كل عصيان، متى كملت طاعتكم.» (٢ كو ١٠: ٦)

+ «ماذا تريدون؟ أبعَصا آتي إليكم ...» (١ كو ٤: ٢١)

+ «لأن مثل هؤلاء هم رُسُل كذبة، فعلة ماكرون، مُغيِّرون شكلهم إلى شبه رسل المسيح، ولا عجب لأن الشيطان نفسه يغيِّر شكله إلى شِبْه ملاك نور...» (٢ كو ١١: ١٣و١٤)

بل لم يعمل بولس الرسول في غضبه لأجل حق الإنجيل اعتباراً للمواقف الحسَّاسة، ولا اختشى من جهة مَنْ هم أقدم منه في الإيمان والرسولية، إذ انفجر في بطرس الرسول المحسوب أنه

مقدام الرسل وبخه جهاراً أمام المؤمنين:

+ «ولكن لما أتى بطرس إلى أنطاكية، قاومته مواجهة لأنه كان ملوماً.» (غل ٢: ١١)

ولكن بهذه الحدّة والشدة وعدم الخشية من لومة لائم إزاء حق الإنجيل، وصَلَنا الإنجيل على يدي بولس خالياً من ملامة. وصارت به الكنيسة: «لا دنس فيها ولا غَضَن أو شيء من مثل ذلك.» (أف ٥: ٢٧)

ونحن الآن ندرك وباقتناع الروح، أن عنف بولس نجّى الإنجيل من عثرة الختان ومن ثِقَل السبت وظلّ الناموس القاتم، لقد استلمنا الإنجيل من بعد بولس الرسول، والمسيح يتألق فيه بمجد الألوهة لنعبده خُلْواً من وصايا هي تعاليم الناس «وخرافات مصنّعة» (٢بط ١: ١٦)، «ونوافل عبادة» (أنظر كو ٢: ٢٣).

٤ ـــ الحزن يقابله الفرح:

تعتبر هذه المضادة في شكلها الخارجي شبه مستحيلة الوقوع، ولكن بعد اختبار التفريق بين ما هو للجسد وما هو للروح، وبعد التسامي بالروح فوق مشاعر الجسد والنفس، تصبح هذه المضادة متوقَّعة بل ومطلوبة. فالإنسان الطبيعي يعسر عليه حينما يقع في الحزن أن يختبر الفرح بآن واحد. أما الإنسان الروحي الذي اخترق الحاجز ما بين الجسد والروح وعاش بالروح، واستوطن في مسرات السماء، ولو إلى زمن محدود، وذاق الفرح الإلهي، فإنه يسهل عليه إن وقع في أحزان الجسد الحتمية، أن يتسرب بروحه ويتحصن في الرجاء بالسماويات فيتذوق ويختبر أمجد فترات العزاء والفرح السماوي وهو تحت ضغطة الآلام وثقل أحزان النفس. هذا نراه في أوْج عظمته عند القديسين والشهداء الذين كانوا يتهللون بابتهاج وهم يعانون الاضطهاد والتعذيب مهما بلغت سطوته حتى وإلى الموت.

لقد عاين بولس هذا المنظر، وإستفانوس يُرجَمُ حتى أسلم الروح. فكان ذلك مصدر إلهامه فيما بعد: «فشخص إليه جميع الجالسين في المجمع ورأوا وجهه كأنه وجه ملاك ... وأما هو فشَخَصَ إلى السماء وهو ممتلىء من الروح القدس، فرأى مجد الله ويسوع قائماً عن يمين الله فقال: ها أنا أنظر السموات مفتوحة وابن الإنسان قائماً عن يمين الله ... فكانوا يرجمون إستفانوس وهو يدعو ويقول: أيها الرب يسوع اقبل روحي ... وصرخ بصوت عظيم: يا رب لا تُقِمْ لهم هذه الخطية. وإذ قال هذا رقد!!!» (أع ٦: ١٥، ٧: ٥٥ ـــ ٦٠)

لقد ذاق بولس الرسول الفرح الروحي وهو تحت التعذيب، إن بالضرب أو الجلد أو الرجم،

وعن إختبار ينادي «كحزانى ونحن دائماً فرحون ...» (٢ كو٦: ١٠)؛ «لأنكم رثيتم لقيودي أيضاً، وقبِلتُم سَلْب أموالكم بفرح، عالمين في أنفسكم أن لكم مالاً أفضل في السموات و باقياً.» (عب١٠: ٣٤)

٥ ــ الخوف والضيق واليأس يقابله الرجاء والعزاء والفرح:

+ «لأننا لما أتينا إلى مكدونية لم يكن لجسدنا شيء من الراحة، بل كنا مكتئبين في كل شيء، من خارج خصومات، من داخل مخاوف، لكن الله الذي يُعزِّي المتَّضعين عزَّانا ... الآن أنا أفرح.» (٢ كو٧: ٥و٦و٩)

+ «ظانين أنهم يُضيفُون إلى وُثُقي **ضيقاً** ... بهذا أنا **أفرح**، بل سأفرح أيضاً ... حسب انتظاري **ورجائي** أني لا أُخزَى ...» (في١: ١٦و١٨و٢٠)

+ «لأننا لهذا نتعب ونُعيَّر، لأننا قد ألقينا رجاءنا على الله الحي الذي هو مخلِّص جميع الناس ولا سيما المؤمنين. أوْصِ بهذا وعلِّم.» (١تي٤: ١٠و١١)

+ «(المحبة) تحتمل كل شيء (ضيق وحزن واختناق)، وتصدِّق كل شيء (من وعود الله)، وترجو كل شيء (من يد الله).» (١ كو١٣: ٧)

ج ــ بولس الرسول مواطن العالم كله Cosmopolitan:

بولس احتسب نفسه ــ بعد أن نال الحرية في المسيح ــ مواطناً لكل العالم، فكان لليهود يهودياً، ولليوناني يونانياً، وللأمم أممياً، ولكل شعب ولون وجنس صار كذلك، الكلَّ للكل، كسيده، ليربح على كل حال قوماً لحساب الذي ربح لنا السماء وطناً أبدياً: «فإني إذ كنت حرّاً من الجميع استعبدت نفسي للجميع لأربح الأكثرين، فصرت لليهود كيهودي لأربح اليهود، وللذين تحت الناموس كأني تحت الناموس لأربح الذين تحت الناموس، وللذين بلا ناموس كأني بلا ناموس مع أني لست بلا ناموس لله بل تحت ناموس المسيح لأربح الذين بلا ناموس، صرت للضعفاء كضعيف لأربح الضعفاء، صرتُ للكل كل شيء لأخلِّص على كل حال قوماً، وهذا أنا أفعله لأجل الإنجيل لأكون شريكاً فيه.» (١ كو٩: ١٩ــ٢٣)

كان القديس بولس قانعاً أن تُقرأ رسائله في الكنائس التي أرسل إليها، ولم يَدْرِ أنه فرضها على العالم بكل قارَّاته و بلاده لملايين وملايين من الناس، من كل الأجناس، وللآلاف السنين!

وكانت الكتابة وخاصة لغة الرسائل يحتسبها العالم القديم من الآداب ذات الأصول والقوالب المحفوظة والثابتة، ولقد أخذ بولس الرسول بطابع عصره، ولكن لم تكن رسائله أبداً قطعاً أدبية

ذات صيغ فلسفية، وإلاَّ لكانت قد ذوت وعفا عليها الزمن بتغيير العصر ولغة العصر وآدابه! ولكنها بقيت حيَّة فتيَّة في قمة حيويتها، بعد ألفين من السنين، ولدى كل العلماء والأدباء والمؤمنين على إختلاف مستوياتهم ومداركهم، لأنها روحية كُتِبَتْ بإلهام نفس اكتملت فيها عناصر الوعي الإنساني المنفتح على الله، فلاقَ بها أن تكون على مستوى كل إنسان ولكل العالم.

وكان بولس الرسول يكتب على مستوى الذين يرعاهم، فكان يتمادى في التبسُّط أحياناً لينزل إلى مستوى **الضعفاء** منهم، ولكن بلغة الروح أيضاً: «وأنا، أيها الإخوة، لم أستطع أن أكلمكم كروحيين، بل كجسديين، كأطفال في المسيح سقيتكم لبناً لا طعاماً، لأنكم لم تكونوا بعد تستطيعون بل الآن أيضاً لا تستطيعون.» (١ كو٣:١و٢)

ولكن كان يرتفع بالتالي إلى مستوى «الحكمة» كما يقول وهو يقصد الفلسفة، ولكن على مستوى الروح، وليس على مستوى الفكر والكلام: «وأنا لما أتيتُ إليكم أيها الإخوة، أتيت ليس بسمو الكلام أو الحكمة منادياً لكم بشهادة الله ... لكننا نتكلم بحكمة بين الكاملين، ولكن بحكمة ليست من هذا الدهر ولا من عظماء (فلاسفة اليونان) هذا الدهر الذين يُبْطَلون (كل فلسفة لزمانها فقط) بل نتكلم "**بحكمة الله**" في سرٍّ. الحكمة المكتومة، التي سبق الله فعيَّنها قبل الدهور لمجدنا، التي لم يَعْلَمْها أحد من عظماء هذا الدهر.» (١ كو٢: ١و٦–٨)

نفهم من هذا أن رسائل بولس الرسول لا تمثل في واقعها فكر بولس الفلسفي، بل هي وحي الروح وتَدَافُعٌ من النعمة، استوعبها القديس بولس فملكت عليه ملكاته وصاغت لغته وأدبياته، فإحتفظت بلمساته و يهوديته وتراث أجداده. ولكنها في خلاصتها، هي عطية الله للكنيسة، كنيسة الدهور لكل العالم، ليس لها وطن على الأرض تستقر فيه، لأن مصدرها ومَقَرَّها السماء. لهذا بقيت رسائل بولس الرسول فَعَّالةً تجدِّد وجه الأرض.

المنهج السياسي عند بولس الرسول:

من أوضح التغييرات التي شملت بولس الفريسي والعبراني، لتَنَقُّلِه من إنسان اليهودية المنحصر في أرضه وزمانه وكيانه إلى إنسان العالم كل العالم، ذلك التغيير الذي حدث له في النظرة إلى الإمبراطور والحكومة الرومانية المسيطرة على البلاد التي كانت في اعتبار يهود فلسطين كعدوٍّ، وكانوا يصلُّون إلى الله ضدها و يعبِّئون المشاعر لمقاومتها بكافة الوسائل، إن بالعصيان أو الحرب. وإذ ببولس الرسول في المسيح، الذي صار حرًّا من الجميع، مستوطناً السماء ومتغرِّباً على أرض الإنسان، لا يعود يرى الملك المستعمر إلا مختاراً من الله، ومعيَّناً من قِبَلِه، يتحتم الخضوع له والصلاة من أجله، هذه النظرة التي ظلَّت حتى اليوم وفي كل ممالك الأرض حصن أمان للمسيحي

أن يحيا في سلام مع الجميع. وفي آيتين جمع بولس المنهج المسيحي للسياسة: «لتخضع كل نفس للسلاطين الفائقة (ἐξουσίαις ὑπερεχούσαις بمعنى سلطات متسلطة فوق الناس) لأنه ليس سلطان (سلطة) إلاَّ من الله، والسلاطين الكائنة (القائمة الآن) هي مُرتَّبة من الله، حتى إن مَنْ يقاوم السلطان يقاوم ترتيب الله، والمقاومون سيأخذون لأنفسهم دينونة ... لذلك يلزم أن يُخضَع له، ليس بسبب الغضب فقط بل أيضاً بسبب الضمير ... فأعطوا الجميع حقوقهم، الجزية لمن له الجزية، الجباية لمن له الجباية، والخوف لمن له الخوف، والإكرام لمن له الإكرام» (رو١٣: ١-٧). وهذا في رسالته إلى أهل رومية عاصمة الإمبراطورية ومركز سيطرة الأباطرة على مقدَّرات كل شعوب الأرض في ذلك الزمن.

+ «فأطلب أول كل شيء أن تُقام طَلبات وصلوات وابتهالات وتشكرات لأجل جميع الناس، لأجل الملوك وجميع الذين هم في منصب، لكي نقضي حياة مطمئنة هادئة في كل تقوى ووقار، لأن هذا حسن ومقبول لدى مخلِّصنا الله.» (١تي٢: ١-٣)

وكان لتقنين بولس الرسول لسياسة التعامل مع الملوك والحكام أثره البالغ في حياة الشعوب المسيحية حتى إلى العصور الحديثة، ولكن للأسف قد اختلت العلاقات بين الشعوب وملوكها بسبب فقدان روح التقوى والصلاة، والإخلال بالشروط الروحية التي رسمها بولس في رسائله.

الانفتاح على الأمم:

إن العقبة الكأداء التي وقفت أمام اليهود ـــ وحتى أتقاهم ـــ حائلاً دون التعامل مع الأمم هي الناموس الذي قدَّس الختان، فجعل غير المختونين **أنجاساً** لا يمكن الاختلاط بهم أو التعامل معهم بأي صورة. فالأمم في الناموس هم بكلمة واحدة **«خطاة»**، وبالتالي بحسب التقليد اليهودي العام هم **«كلاب»**: «ليس حسناً أن يؤخذ خبز البنين ويُطرَح للكلاب» (مر٧: ٢٧)، باعتبار أن الكلب هو النموذج الأشد للنجاسة.

بولس الرسول عاش تحت هذه الاعتبارات، بل تغالى فيها بحكم «طريق عبادته الأضيق» أي الفرّيسية. أما كيف ينفتح على الأمم بعد ذلك، فهذه هي معجزة المسيح والمسيحية التي سكنت في روحه عوض الناموس والختان!! فقد استعلن في **دم المسيح** العنصر الذي هدم هذا الحائط المتوسط والسياج الذي كان يحجز الشعب اليهودي عن شعوب الأرض. أي الناموس ومعه الختان!:

+ «وأنتم الذين كنتم قبلاً أجنبيين، وأعداء في الفكر في الأعمال الشريرة، قد صالحكم الآن في جسم بشريته بالموت، ليُحضركم قديسين وبلا لوم ولا شكوى أمامه ... عاملاً الصلح بدم

صليبه.» (كو١: ٢١و٢٢و٢٠)

+ «لذلك اذكروا أنكم أنتم **الأمم** قبلاً في الجسد المدعوّين **غُرْلَةً** من المدعُوّ ختاناً مصنوعاً باليد في الجسد، أنكم كنتم في ذلك الوقت بدون مسيح، أجنبيين عن رعوية إسرائيل، وغرباءَ عن عهود الموعد، لا رجاء لكم، وبلا إله في العالم؛ ولكن الآن في المسيح يسوع، أنتم الذين كنتم قبلاً بعيدين، صرتم قريبين **بدم المسيح**. لأنه هو سلامنا (معاً) الذي جعل الاثنين (اليهود والأمم) واحداً، ونقض حائط السياج المتوسط أي العداوة، مُبْطلاً بجسده ناموس الوصايا في فرائض، **لكي يخلق الاثنين في نفسه إنساناً واحداً** جديداً صانعاً سلاماً، ويصالح الاثنين في جسد واحد مع الله بالصليب قاتلاً العداوة به.» (أف٢: ١١—١٦)

بهذا استطاع بولس الرسول أن ينقل ملكية الله لشعب إسرائيل دون سواه بنوع الاحتكار، إلى ملكيته للأمم أيضاً بدون تمييز، وهذه معجزة المعجزات بالنسبة لرؤية اليهودي، أي يهودي.

+ «إذاً نحسب أن الإنسان يتبرر بالإيمان (بالمسيح) بدون أعمال الناموس، أم الله لليهود فقط؟ أليس للأمم أيضاً؟ بَلَى، للأمم أيضاً!!!» (رو٣: ٢٨و٢٩)

هذه المقولة لو سمعها منه يهودي أرثوذكسي لقتَلَه.

حكم الضمير الإنساني لدى الأمم على مستوى حكم الناموس:

لقد استطاع بولس الرسول أن يدخل ضمير إنسان العالم كل العالم، وذلك من رؤية روحية غير متحيِّزة من جهة يهوديته السابقة، ليرى في الضمير البشري صدىً واضحاً لصوت الله ليس أقل من مفردات الناموس!

+ «لأن الأمم الذين ليس عندهم الناموس، **متى فعلوا بالطبيعة ما هو في الناموس**، فهؤلاء إذ ليس لهم الناموس، هم ناموس لأنفسهم، الذين يظهرون عمل الناموس مكتوباً في قلوبهم، شاهداً أيضاً ضميرهم وأفكارهم فيما بينها مشتكية أو محتجة في اليوم الذي فيه يدين الله سرائر الناس حسب إنجيلي بيسوع المسيح.» (رو٢: ١٤—١٦)

هذا الفكر يُحتسب لبولس الرسول أرقى مستوى من أن يبلغه إنسان حرٌّ، فما بالك برجل يهودي وفرِّيسي أيضاً؟ هذا شيء يُذْهل العقل! وهذا يؤكد صدق احتسابنا لبولس الرسول أنه «مواطن كل العالم». بل ويعود بولس الرسول ويطالب ضمير الأمم بمستوى عالٍ من الأخلاقيات، فهو يخاطب أهل كورنثوس عن حادثة زنى يأبى عليهم أن تكون بينهم: «يُسْمَعُ مطلقاً أن بينكم زنى، وزنىً هكذا لا يُسمَّى بين الأمم، حتى أن تكون للإنسان امرأة أبيه»

(١ كو٥: ١). وصحة الترجمة هكذا: «بلغنا في الواقع أن بينكم زنا، وزنا مثل هذا أن يكون للإنسان امرأة أبيه لا يمكن أن يوجد **حتى** بين الوثنيين».

كذلك لا ننسى موقف بولس الرسول في أثينا وهو يخاطب الوثنيين بهذا الخطاب:

+ «فوقف بولس في وسط أريوس باغوس وقال: أيها الرجال الأثينيون، أراكم من كل وجه أنكم **متديِّنون كثيراً**، لأنني بينما كنت أجتاز وأنظر إلى معبوداتكم وجدت أيضاً مذبحاً مكتوباً عليه "لإله مجهول"، فالذي تتَّقُونَه وأنتم تجهلونه هذا أنا أنادي لكم به» (أع١٧: ٢٢و٢٣). وبهذه الروح المنفتحة على الوثنيين بلا تحفظ استطاع بولس الرسول أن يحطم الوثنية!!

هكذا يقف بولس اليهودي أصلاً والفريسي مهنةً، يستدرج الأمم، بل يستعطفهم، ليأخذ منهم مدخلاً عساه يدخل بهم منه إلى المسيح. وهو نفسه يصف هذا الأسلوب في قوله: «إذ كنتُ محتالاً أخذتكُمْ بمكر» (٢ كو١٢: ١٦). وهو تعبير آخر لقوله السابق: صرت «للذين بلا ناموس كأني بلا ناموس ... لأربح الذين بلا ناموس.» (١ كو٩: ٢١)

من هذا كله، نستطيع أن نقول أن القديس بولس هو رسول على مستوى العالم كله بالحقيقة، وهو من القلائل جداً الذين ظهروا في العالم لحساب العالم وليس لأمة دون أمة، وبسبب دافع تقواه الصادقة ومخافته الحقيقية لله، استأمنه الله لتطويع عالم الإنسان وخفض كبرياء أوثانه، ووضع تشريعات روحية لإسعاد بني الإنسان كافة على مستوى الروح والسماء. ونحن إذا تبصَّرنا في الأثر الروحي التَّقَوي الذي طبعه هذا الرسول القديس على شعوب العالم، وخاصة أمم الغرب، لانتبهنا إلى أنه كان حقاً نبيَّ النعمة الذي تعيَّن من السماء ليخُطَّ بالروح القدس رسائله، التي صارت منهجاً للتقوى على مدى العصور.

ماذا بقي من يهودية بولس؟

حينما تنتهي كل حدود الإنسان تبتدىء حدود الله، وإن لم ينتهِ الإنسان مع نفسه حتى إلى حدود الموت لا تبتدىء حدود الحياة الأبدية، وعندما تفرغ قدرة الإنسان وييأس من كل إمكانياته تبدأ النعمة، وعندما تموت نفس الإنسان عن العالم ينفتح عليه ملكوت الله من فوق.

حينما اقتبل بولس روح المسيح فيه، وحلَّ المسيح في قلبه ــ حسب تعبيره ــ انتهت حدود يهودية بولس الشكلية بكل مضامينها، بل وبحسب إيمان بولس، يكون قد انتهى من حدود إنسانه العتيق، وابتدأت حياته الجديدة بالروح في المسيح، وعِوَضَ الناموس الذي كان متقوقعاً فيه، لَبِس المسيح.

لقد كانت اليهودية، وكان الناموس، مدرسته التي تأدَّب فيها لحساب المسيح. وبحسب تعبيره، فالله أفرزه من بطن أمه لغاية واحدة هي أن يُعلن ابنه فيه (غل١: ١٦). فحينما استعلن المسيح ذاته لبولس على طريق دمشق، ابتدأت حياته الحقيقية حسب القصد الإلهي. أما كل حياته فيما قبل المسيح، فكانت بحسب التدبير الإلهي إعداداً للإناء الذي سيحمل الاسم المبارك إلى ملوك وأمم العالم وشعب إسرائيل. لقد اعتنى الله جداً أن يثقِّفه بالثقافتين اليهودية واليونانية: «ليقلع ويهدم؛ يبني ويغرس»[1] على المستويين.

ولقد احتفظ بولس بسمات يهودية أساسية روحية وتقوية، عاش بها طول حياته في المسيحية، لذلك حينما نقول «يهودية بولس» أو «بولس اليهودي»، فالقصد ليس الاعتبارات المميَّزة لليهود كجنس أو حتى العبادة كطقس، بل هي السمات الروحية التي انطلق منها وبها ـــ بعد أن نقَّاها في نور المسيح وغسلها بالدم ـــ ليبني منهجه في المسيحية، فصارت هذه السمات عينها، وأهمها الغيرة والتقوى والإلتزام، عناصر مسيحية بالدرجة الأُولى.

فمسيحية بولس مَدِينة بالتقوى التي ورثها من يهوديته: من جدَّته، من أمه، من أبيه الفريسي، من معلِّمه غمالائيل، من عبادة الهيكل وتسابيحه، من حفظ التوراة بروحها المتسامي. اسمعه يقول:

+ «إني أشكر الله الذي أعبده من أجدادي بضمير طاهر.» (٢تي١: ٣)

وهنا تندهش من دقة تعبير بولس من جهة عبادته في العهد القديم التي هنا لا يذكر فيها «بروحي». أما عبادته في المسيحية فيؤكد أنها بروحه:

+ «فإن الله الذي أعبده بروحي في إنجيل ابنه ...» (رو١: ٩)

+ «أيها الرجال الإخوة، إني بكل ضمير صالح قد عشتُ لله إلى هذا اليوم.» (أع٢٣: ١)

وهو يشرح هذا الميراث اليهودي أيضاً في تلميذه تيموثاوس:

+ «إذ أتذكر الإيمان العديم الرياء الذي فيك، الذي سكن أولاً في جدتك لوئيس وأمك أفنيكي (صحتها أفنيسي التي عرَّبها المصريون إلى «أنيسة») ولكنني موقن أنه فيك أيضاً.» (٢تي١: ٥)

ويقيناً، فإن هذا الإيمان بالله عديم الرياء، في وضعه اليهودي الأول، هو الذي أعطاه فيما بعد النظرة الفاحصة ليفرِّق بين جدِّية الإيمان الصحيح بحسب الحق الذي استعلنه في المسيح وبين

(١) راجع إر١: ١٠: «قد وكَّلتك هذا اليوم على الشعوب وعلى الممالك لتقلع وتهدم... وتبني وتغرس».

تفاهات الإجراءات الناموسية ونوافل العبادة التي لا تُشْبع روح الإنسان.

وعلى غير ما هو متوقَّع من هذا الفريسي المتمرِّس في مهنته والمتمسك بيهوديته أقصى ما يكون التمسك، فإننا نجده، وبعد أن عرف المسيح، يراهن على كل أمجاده الشخصية كفرِّيسي مرموق، وعلى كل ما ربحه من وضعه الديني والاجتماعي المتميز كمعلِّم لليهود باعتباره الفريسي القوَّام على الديانة اليهودية، وذلك في سبيل الإيمان بالمسيح والتقرُّب إليه والبقاء في نوره العجيب. فبعد أن احتواه نور المسيح في طريق دمشق وسكن قلبه وانطبع على روحه، اعتبر — في موازنة مدهشة — أن كل ما كان مصدر مجد وربح في اليهودية لا يعدو أن يكون إلاَّ خسارة في ضوء الربح الحقيقي بالمسيح، اسمع كيف يوازن ويقارن: «مختون في اليوم الثامن، من جنس إسرائيل، من سبط بنيامين، عبراني من العبرانيين، من جهة الناموس فريسي، ... من جهة البر الذي في الناموس بلا لوم!! لكن ما كان لي ربحاً فهذا قد حسبتهُ من أجل المسيح خسارة!!!، بل إني أحسب كل شيء أيضاً خسارة من أجل فضل معرفة المسيح يسوع ربي، الذي من أجله خسرت كل الأشياء وأنا أحسبها نفاية (زبالة) skubala σκύβαλα لكي أربح المسيح وأُوجَد فيه، وليس لي برِّي الذي من الناموس بل الذي بإيمان المسيح، البرُّ الذي من الله بالإيمان.» (في ٣: ٥—٩)

وعجبي بعد ذلك على ادِّعاء الشُّرَّاح (٢) المجحف بأن بولس الرسول ظلَّ يهودياً وفريسياً في مسيحيته، على أساس أنه افتخر بأصل جنسه اليهودي وسبطه وفريسيته وفريسية أبيه وتعلُّمه عند رجلي غمالائيل!

وهكذا اقتطعوا من الموازنة التي عملها بولس الرسول الجزء الأول وهو يروي أرباحه من اليهودية، واكتفوا بها كدليل أنه بقي يهودياً كما كان، وأما المسيحية فقد أخذها عليها، مع أنه بعد أن ذكرها، ألغاها إلغاءً وجحدها جحداً، بل وألقى بها في التراب حاسباً أنها نفاية أو «زبالة» إن قورنت بربح المسيح وأن يوجد فيه!

ولم يفرق العلماء بين ما يقوله بولس الرسول عن نفسه ليفتخر به وبين ما يقوله هنا لأعدائه المتربِّصين به من اليهود الذين تنصَّروا وبقَوْا كما هم متعصبين ليهوديتهم وناموسهم وسَبْتهم وختانتهم، والذين حاولوا باستماتة ردَّ الأُمميين، الذين اعتمدوا وصاروا مسيحيين، إلى اليهودية وحفظ الناموس وأحكامه وعوايد اليهود، وذلك بدعوى أن المسيحية بدون الناموس والسبت والختان باطلة، مستندين في ذلك على أن الرسل في أورشليم بقوا بعد المسيحية كما هم يحفظون الناموس

2. Deissmann, *op. cit.*, p. 96f; and William Barclay, *The Mind of St. Paul*, Complete chapter p. 9-19!!!

والسبت وهم مختونون. لهذا، ولهذا فقط، انبرى لهم بولس الرسول يقول: إنه وإن كانوا هم رسلاً، فهو رسول مدعوٌّ من الله والمسيح؛ وإن كانوا هم يهوداً مختتنين، فهو يهودي مختتن، وإن كانوا من جنس إسرائيل وطناً فهو كذلك، وإن كانوا هم يحفظون الناموس فهو فريسيٌّ ابن فريسيٍّ يحفظ الناموس عن ظهر قلب ويُعلِّمه. ولكن كل هذه المفاخر والأرباح أصبحت في حقيقتها، وفي المسيحية، نفاية، ويلزم أن تكون نفاية حتى يصير اليهودي مسيحياً. وقد ارتأى بولس الرسول ذلك في نفسه وأعلنه ليكون مَثَلاً ونموذجاً للأمم حتى يُقبلوا إلى الإيمان بالمسيح بدون الناموس وأحكامه: «كونوا متمثِّلين بي كما أنا أيضاً بالمسيح» (١كو١١: ١). وهذه هي خلاصة رسولية بولس الرسول بل وخلاصة إنجيله، الذي عرضه كما هو ــ بدون الناموس والسبت والختان ــ على الرسل في أورشليم فاستحسنوه ولم يضيفوا أو يحذفوا منه شيئاً، وأعطوه يمين الشركة ليكرز للأمم بالمسيح بدون الناموس!

وإلى هؤلاء العلماء الذين يصرُّون على أن بولس صار متمسكاً ومتفاخراً بيهوديته نقول: إن ليس بولس الرسول هو الذي استخدم ورقة يهوديته وهويَّته الفريسية ليصدَّ هجمة اليهود المتنصِّرين الشرسة على إيمان الأمم لإتلاف الديانة المسيحية النقية من شوائب الناموس ومحاولة زعزعتها عن أساسها الحر كبَنَويَّة مباشرة لله وليس لإبراهيم وإسرائيل، نقول ليس بولس الرسول هو الذي استخدم هذه الورقة، بل المسيح هو الذي اختار عن قصد وسبق إصرار هذا اليهودي الفريسي المتعصب المُغالي في فريسيته إلى أعلى حدودها، ومتى وأين اختاره ودعاه ليكون رسولاً؟ اختاره وهو ملوَّث بدماء المسيحيين، وسكين الفريسية في يديه تقطران دماً. إذاً، المسيح هو الذي أراد أن يستخدم ورقة يهودية بولس وفريسيته ليُخرِجَ بها الكنيسة من طَوْق اليهودية الحديدي ومن فكِّ الناموس القاتل. لقد حارب بولس الرسول الفريسية بالفريسية، وصدَّ أهل الختان بختانته، وطوَّح بكبرياء الناموس المخيف بإتقانه الناموس، فاستخلص المسيحية من براثن اليهودية.

كما يقدم العلماء ــ خاصة وليم باركلي[3] ــ تأكيداً على تمسك بولس الرسول بيهوديته من قوله: «أقول الصدق في المسيح، لا أكذب وضميري شاهدٌ لي بالروح القدس، إن لي حزناً عظيماً ووجعاً في قلبي لا ينقطع. فإني كنت أودُّ لو أكون أنا نفسي محروماً من المسيح لأجل إخوتي أنسبائي حسب الجسد، الذين هم إسرائيليون ولهم التبنِّي والمجد والعهود والاشتراع والعبادة والمواعيد، ولهم الآباء، ومنهم المسيح حسب الجسد الكائن على الكل إلهاً مباركاً إلى الأبد آمين» (رو٩: ١ــ٥)؛ وقوله: «إن مَسَرَّة قلبي وطِلبتي إلى الله لأجل إسرائيل هي للخلاص، لأني أشهد

---

3. Ibid.

لهم أن لهم غيرة لله، ولكن ليس حسب المعرفة» (رو١٠: ١و٢)؛ مع أن هذا التصريح الذي قاله بولس الرسول وهو منحصر بالروح لا يمكن أن يؤخذ دليلاً على انحياز بولس نحو اليهودية أو التمسك بهـا شكلاً أو موضوعاً. فبولس الرسول هنا لا يفتخر بتَسَبه، بل يتحسَّر عليهم تحسُّراً، إذ بينما وهم هـكـذا أصحاب الميراث البَنَوي الثمين، رفضوه، فرُفضوا. وبينما هم أصحاب الغيرة على الله، ولكن لانعدام المعرفة الروحية الصحيحة رفضوا ابنه، كما رفضه بولس الرسول وعاداهُ وقتل أولاده، في جهـل وعدم إيمان. فمن خبرته المرَّة، ينعي حال أمته التي اضطهدت المسيح، وقتلته، وقعدت تجترُّ حرمانها وثمن الدم الذي سفكوه، وهو الذي كان لخلاصهم.

أما قول بولس الرسول أنه يودُّ لو كان محروماً من المسيح في سبيل إيمان كل اليهود (رو٩: ٣) فهـو قولٌ «عِمْلاقٍ»، إنهـا رؤية نبيٍّ، وصرخة فداء يستعيرها من المسيح الذي مات من أجل الجميع ليحيـا الجميع، إنها روح إبراهيم الذي أمسك السكين ليذبح وحيده طاعة لصوت الله القدير، إنهـا تـقـف في الموازنة والتساوي مع قول موسى لله، عندما عزم الله أن يبيد هذا الشعب بأجمعه يوماً ما، فيردُّ عليه موسى محذِّراً: «والآن إن غفرتَ خطيتهم، وإلاَّ فامحُني من كتابك الذي كتبت» (خر٣٢: ٣٢)!!!

قول بـولس الرسول هذا لا يمكن أن يُحسَب له انحصاراً في «العنصرية»، بل هو تسامٍ بالروح المسيحية التي فيه، حتى إلى مستوى الصليب، ليفكَّ عن الشعب روح العنصرية التي أعْمَتْه وكبَّلته بسلاسل الحقد والقتل. ثم كيف يحذف العلماء بقية الآية السابقة (رو٩: ٣) و(رو١٠: ١و٢) التي تقول: «لأنه لا فرق بين اليهودي واليوناني (الأممي)، لأن رباً واحداً للجميع غنياً لجميع الذين يدعون به»؟ (رو١٠: ١٢).

كذلك كيف يؤخذ على بولس الرسول قوله: «إذاً ما هو فضل اليهودي أو ما هو نفع الختان، كثيرٌ على كل وجه، أما أولاً فلأنهم استُؤمنوا على أقوال الله» (رو٣: ١و٢)، ويغفلون بقية الآية: «فمـاذا إن كـان قومٌ لم يكونوا أمناء؟ أفلعلَّ عدم أمانتهم يُبْطل أمانة الله؟ حاشا» (رو٣: ٣)، حيث ينتهي بالقول: «فماذا إذاً؟ أنحن (اليهود) أفضل؟؟ كلاَّ البتة، لأننا قد شكونا أن اليهود واليـونانيين أجمعين تحت الخطية، كما هو مكتوب، أنه ليس بارٌّ ولا واحد» (رو٣: ٩و١٠). فهل هذا قول رسول متعصِّب ليهوديته؟ أم هو قول رسول قائم في نور المسيح، يطرح البشرية كلها منزهة عن كل عناصرها وألوانها تحت قدمي المسيح وهي مكبلة بالخطية تطلب الفكاك؟

والأمر الذي نندهش له، كيف يؤخذ على بولس الرسول[4] استخدامه للتاريخ اليهودي في تسجيل رحلاته موقعاً على الأعياد والأصوام في مواعيدها السنوية مثل قوله: «ولكنني أمكث في أفسس إلى يوم الخمسين» (١ كو١٦:٨). وقوله: «ولما مضى زمان طويل وصار السفر في البحر خطراً إذ كان (زمان) الصوم[5] أيضاً قد مضى...» (أع٢٧:٩)

والسؤال بماذا كان يؤرخ بولس لرحلاته إذاً وهو يكتب للكنائس؟ هل بالتقويم الروماني لإنشاء مدينة روما؟ أو من تاريخ تنصيب قيصر؟ هل يريد هؤلاء العلماء من بولس الرسول أن يجحد التاريخ اليهودي الذي يحيا به يوماً بعد يوم وشهراً بعد شهر، والذي عاشته الكنيسة من بعده أيضاً لأحقاب طويلة، والمعتبر حتى الآن أنه من أدقّ التواريخ؟ ثم لماذا يجحد تاريخ اليهود؟ هل هو تاريخ مختون؟ أو هل الاعتماد عليه يسيء إلى المسيح؟

ولكن الذي يحيّرنا حقيقةً هو قول العلماء أن بولس الرسول كان يتمسك بتوراة اليهود كيهودي[6]. والسؤال: هل المسيح لم يكن يتمسك بتوراة اليهود؟ ألم يستشهد المسيح بالناموس والأنبياء والمزامير؟ ألم يقل عنه اليهود: «كيف هذا يعرف الكتب؟» (يو٧:١٥)، ألم يفتح المسيح ذهن التلاميذ بعد القيامة ليفهموا الكتب؟ (لو٢٤:٤٤)؟ بل أليس تمسّك بولس الرسول بالتوراة، هذا التمسك الذي جعله يستشهد في رسائله ويقتبس آياتٍ حوالي ١٨٠ آية[7] اقتباساً من العهد القديم، هو الذي يجعلنا نطمئن على تعاليم بولس الرسول؟

وأخيراً نقول، إن بولس الرسول لم يرتد عن اليهودية ــ كما رآه أهل دينه القديم ــ حتى يُطالب منّا بجحد يهوديته وبتجاهلها والإقلاع عن ذكرها، بل إن بولس الرسول امتد بيهوديته ليطهّرها في نور استعلان المسيح بغسل الدم. ألم يقل المسيح: «ما جئتُ لأنقُضَ بل لأُكمّل» (مت٥:١٧)؟

---

4. W. Barclay, *The Mind of St. Paul.*

(٥) الصوم هنا هو المنصوص عنه في سفر اللاويين (٢٣:٢٧-٢٩)، وهو صوم الكفارة ويقع في شهر سبتمبر. والمعروف أن السفر في البحر بواسطة مراكب الشراع محظور في شهري سبتمبر ومارس لشدة الأنواء.

6. W. Barclay, *op. cit.*, p. 15.
7. F. Prat, *op. cit.*, vol. I, p. 411-414.

الفصل الثاني

أدوات الفكر اللاهوتي عند القديس بولس

أولاً ــ أسلوب بولس الرسول في الكتابة والتعبير

البلاغة الروحية عند بولس وعشق المؤمنين لها:

بادىء كل ذي بدء، يلزم أن نعرف ونتيقّن أن الإنسان الروحي ليس له عالم، ويستوي عنده العالم القديم والعالم الجديد؛ أو بالحري فإن الإنسان الروحي هو هو للعالم القديم كما هو للعالم الجديد، لأن الروح يسمو فوق القديم من العالم، والجديد فيه ليس جديداً. ولكن القديم والجديد في العالم هما معيار تُقَاس به أو عليه أمور التاريخ والمعاملات. أما الحقائق التي طرحها بولس الرسول في رسائله فهي لنا الآن كما كانت لساكني تلك المدن السعيدة ببولس الرسول في تلك الأيام، الذين أخذوها مأخَذَ الإنجيل، وأحبُّوها وأحبُّوا صاحبها حبّاً يعبّر عنه بولس الرسول نفسه: «كملاك من الله قبلتموني، كالمسيح يسوع، فماذا كان إذاً تطويبكم؟ لأني أشهد لكم أنه لو أمكن لقلعتم عيونكم وأعطيتموني.» (غل ٤: ١٤و١٥)

ويقص علينا العالم الألماني اللاهوتي والمؤرخ الكنسي هارناك (١٨٥١ــ١٩٣٠)(١) قصة شهداء سيسلي (صقلية) الأميين من عامة الشعب الذين استشهدوا في السابع عشر من يوليو سنة ١٨٠م: سبيراتس Speratus، نارتزالوس Nartzalus ودوناتا Donata وسكوندا Secunda وفستيا Vestia، كيف أُجبروا إجباراً أمام الوالي ليعلنوا ماذا كانوا يخبئون في كيسهم فلم يهتمُّوا أن يُفْشُوا سر كنزهم السماوي فأجابوه: «إنها كتبنا الخاصة ورسائل القديس بولس»(٢).

هذا كان شأن أُميِّي العالم القديم وتوقيرهم لرسائل بولس الرسول، تماماً وكأنها قصة اليوم.

---

1. A. Harnack, *The Mission and Expansion of Christ*, vol. II, p. 278 n. 2.
2. Cited by A. Deissmann, *op. cit.*, p. 76.

فالأُمِّيون في أقصى الصعيد، إن لم يكونوا قد اقتنوا رسائل بولس الرسول بعد، فهم يحفظونها وبعضهم يحفظها عن ظهر قلب، ولكن كثيرين منا ومن عِلْيَة القوم لا يعرفون من بولس إلاَّ اسمه(٣).

رسائل بولس الرسول لم تقف بلاغتها حائلاً في اليونانية عند شعوب وأهل العالم القديم، تماماً كما لم تقف بلاغتها بالعربية حائلاً عند أحد في شرقنا العربي، خاصة عند الذين أحبُّوا الرب يسوع وتبعوه من كل القلب ويسعون وراء المزيد من النور ليستدفئوا بحرارة إيمان بولس.

كان العالم القديم له مظاهر المدنيَّة بما يتناسب وقدمه، كما المدنيَّة اليوم التي تتناسب مع عالمنا، ووجد بولس في أمورها آنئذ مجالاً خصباً للتشبيه كما شدَّد عليها النقد والهجوم.

□ فتسمع منه عن **ميادين السباق:**

+ «ألستم تعلمون أن الذين يركضون في الميدان جميعهم يركضون، ولكن واحداً يأخذ الجَعالة ــ الجائزة ــ τὸ βραβεῖον هكذا اركضوا لكي تنالوا.» (١ كو٩: ٢٤)

□ وتسمع منه عن **أدوات الحرب وأسلحته:**

+ «فلنَصْحُ لابسين درع الإيمان والمحبة وخوذة هي رجاء الخلاص.» (١تس٥: ٨)

+ «البسوا سلاح الله الكامل، لكي تقدروا أن تثبتوا ضد مكايد إبليس. فإن مصارعتنا ليست مع دم ولحم.» (أف٦: ١١و١٢)

+ «بولس أسير يسوع المسيح، وتيموثاوس الأخ، إلى فليمون المحبوب والعامل معنا وإلى أبفيَّة المحبوبة، وأرْخِبُّس **المتجند** معنا، وإلى الكنيسة التي في بيتك.» (فل١و٢)

+ «مَنْ تجنَّد قط بنفقة نفسه.» (١ كو٩: ٧)

+ «فإنه إن أعطى البوق (نداء الحرب) أيضاً صوتاً غير واضح فمن يتهيأ للقتال.» (١ كو١٤: ٨)

+ «لأننا وإن كنا نسلك في الجسد، لسنا حسب الجسد نحارب.» (٢ كو١٠: ٣)

□ ونسمع منه **لغة المحاكم** والقضايا، حيث نسمع كلمة «التبرير» وهي عينها: **«حكم البراءة»**، وكلمة «الدينونة» وهي **«حكم إدانة»**، و«الشفاعة» وهي «عمل المحاماة». وهذه الاصطلاحات تُعتبَر عند بولس الرسول ركائز لاهوتية باعتبار أن الإنسان **«محكومٌ»** عليه بالموت

---

(٣) دخلتُ إحدى أكبر المكتبات الدينية في لندن لأبحث عن كتب في شرح رسالة رومية، فقادوني إلى قسم اللاهوت، فسألت رئيسة القسم عن شرح رسالة رومية، فسألتني: "هل هي في العهد القديم أم في العهد الجديد؟" أنظر وتعجب!

والمسيح «ألغى حكم» الموت. و بولس الرسول يُعتبر أقوى مَنْ أقامه المسيح ليدافع عن براءة الحياة التي اكتسبها لنا المسيح بموته على الصليب.

□ كما نسمع من بولس الرسول عن **اصطلاحات التمثيل** والمسرح وجمهور النظارة:

+ «فإني أرى أن الله أبرزنا (قدمنا للعرض) ἀπέδειξεν نحن الرسل آخِرين (مشهد أخير)، كأننا محكوم علينا بالموت لأننا صرنا منظراً (تياترو) θέατρον للعالم للملائكة والناس.» (١كو٤: ٩)

□ كما نسمع عنه في **شئون العمارة** وتفاصيلها:

+ «حسب نعمة الله المعطاة لي كبنَّاء حكيم ἀρχιτέκτον (باشمهندس) قد وَضَعْتُ أساساً وآخر يبني عليه. ولكن فلينظر كل واحد كيف يبني عليه.» (١كو٣: ١٠)

□ كما نسمع منه عن **أرباب الحرف**:

+ «أم ليس للخزَّاف سلطان على الطين أن يصنع من كتلة واحدة إناءً للكرامة وآخر للهوان» (رو٩: ٢١). علماً بأن بولس الرسول نفسه هو صاحب حرفة صناعة الخيام.

□ كما نسمع منه عن **شئون التجارة**:

+ «إذ آمنتم، خُتِمْتُم بروح الموعد القدوس، الذي هو **عربون** ميراثنا ــ لفداء **المُقْتَنَى** لمدح مجده.» (أف١: ١٣و١٤)

+ «الذي ختمنا أيضاً وأعطى عربون الروح في قلوبنا.» (٢كو١: ٢٢)

□ وعن لغة **البحَّارة** والأسفار بالبحار:

+ «ولك إيمان وضمير صالح الذي إذ رفضه قوم انكسرت بهم السفينة من جهة الإيمان أيضاً»، وصحتها: «... من جهة الإيمان أيضاً قوم انكسرت بهم السفينة.» (١تي١: ١٩)

+ «فإني أنا الآن أُسكب سكيباً (مهيَّأً للذبح) ووقت انحلالي ἀναλύσεως (فكُّ رُبُطِ المركب للسفر الطويل) قد حضر.» (٢تي٤: ٦)

+ «الذي هو (المسيح) لنا كمِرْسَاة (هلْب) للنفس، مؤتمنة وثابتة تدخل إلى ما داخل الحجاب.» (عب٦: ١٩)

ولكن الاصطلاحات الأكثر استخداماً، التي أدخلها بولس الرسول في لغته وكانت محببة إليه هي اصطلاحات القضاء والمحاماة، وكذلك الحرب والتسلُّح والتمرين. وفي العالم القديم ــ الذي عاش فيه بولس الرسول ــ لم نسمع منه على يد أي مؤرخ شيئاً عن بولس قط. لأن بولس كان في

الحقيقة هو «**الإنسان الجديد**» وسط هذا «**العالم القديم**». فعاش بولس ومات ولم يستشعره مؤرخ أو فيلسوف، وهذا لا يُحسَب قط حجةً ضد بولس، بل يُحسب حجة ضد الأرستقراطية الميتة التي كان يعيشها عالم بولس.

استخدام وسائل التعليم بالتشبيه والتمثيل:

كانت هذه صناعة المعلمين في إسرائيل، وقد اختصَّ بها الفريسيون لتقريب الحقائق إلى الأذهان. وقد برع فيها بولس الرسول للكشف عن الحقائق الروحية الفائقة.

وأوضح مثل قدَّمه على ذلك، هو مَثَل حبة القمح وكيف تقع، وتموت أولاً، ثم يتغير شكلها من حبّة مجردة إلى جسم آخر أخضر حي ينمو ويثمر، ويطبق ذلك على حقيقة الموت بجسد أرضي ثم القيامة بجسد آخر روحي غير الجسد المادي الأول:

+ «وأجسام سماويّة، وأجسام أرضية.» (١ كو١٥: ٤٠)
+ «يوجد جسم حيواني، ويوجد جسم روحاني.» (١ كو١٥: ٤٤)

كذلك قدَّم مثل الجندي في الحرب أنه يتحتم على الذي يجنِّده لحسابه أن يكسيه ويطعمه (١ كو٩: ٧)، كذلك طبَّق هذا المثل الحربي على وضعه الروحي هو، كرسول متجنِّد للمسيح، ولكن لحساب مَنْ يعظهم ويعلّمهم، إذاً فعليهم، ولا محالة، أن يوفروا له المعيشة وتكاليفها، ثم يلتفت إليهم: «ألعلي أتكلم بهذا كإنسان (من عندياتي) أم ليس الناموس (التوراة) أيضاً يقول هذا» ؟ (١ كو٩: ٨):

+ «مَنْ هو الرجل الذي غرس كرماً ولم يبتكره (يأكل باكورته).» (تث ٢٠: ٦)
+ «مَنْ يحمي (يحرس) تينة يأكل ثمرتها.» (أم٢٧: ١٨)
+ «فإنه مكتوب في ناموس موسى لا تَكُمّ ثوراً دارساً، ألعلَّ الله تهمه الثيران؟[٤]» (١ كو٩: ٩) = (تث٢٥: ٤).

---

(٤) بولس الرسول يقصد أن الله يهمه الإنسان **أكثر** من الثيران بدليل قول المسيح عن العصافير:

«أليس عصفوران يُباعان بفلس، وواحد منها لا يسقط على الأرض بدون أبيكم؟ أما أنتم فحتى شعور رؤوسكم جميعها مُحصاة. فلا تخافوا. أنتم **أفضل** من عصافير كثيرة.» (مت١٠: ٢٩ــ٣١)

وعن الغربان:

«تأملوا الغربان. إنها لا تزرع ولا تحصد وليس لها مخدع ولا مخزن، **والله يُقيتها**؛ كم أنتم بالحري **أفضل** من الطيور؟» (لو١٢: ٢٤)

وعن زنابق الحقل:

«تأملوا زنابق الحقل كيف تنمو ولا تتعب ولا تغزل... ولا سليمان في كل مجده كان يلبس كواحدة منها. فإن كان العشب... يُلْبِسه الله هكذا، أفليس بالحري جداً يُلْبِسكم أنتم...» (مت٦: ٢٨ــ٣٠)

كذلك قدَّم مثل الوريث: «ما دام الوارث قاصراً، فهو لا يَفْرُق شيئاً عن العبد مع كونه صاحب الجميع؛ بل هو تحت أوصياء ووكلاء إلى الوقت المؤجل من أبيه» (غل٤: ١و٢). وقد استخدم بولس الرسول هذا القانون الشرعي، فطبَّقه على الذين كانوا تحت ــ قانون ــ الناموس مستعبدين للعالم والخطية، إلى أن جاء الموصي نفسه، المسيح صاحب الميراث، ليفك العبودية الأرضية و يدفع ثمن الديون المتراكمة، ليورث الحرية الروحية ومُلْك السماء، وذلك طبعاً لما شبَّ الوريث عن الطوق وأصبح ذا أهلية ولائقاً بحرية البنين والتعامل مع الله بالروح: «هكذا نحن أيضاً لما كنا قاصرين، كنا مستعبدين تحت أركان العالم، ولكن لما جاء ملء الزمان، أرسل الله ابنه مولوداً من امرأة، مولوداً تحت الناموس ليفتدي الذين تحت الناموس لننال التبني.» (غل٤: ٣ــ٥)

كما استخدم بولس الرسول منطق الانتقال من صلاحية الأقل إلى حتمية صلاحية الأكثر، وذلك فيما يخص اليهود كأمة، كيف أنهم زلُّوا وعثروا في المسيح، فكانت نتيجة زلَّتهم وعثرتهم أن دخل الأمم إلى الخلاص. وحينئذ ينطلق فيطبِّق: فماذا لو هم آمنوا بالمسيح؟ طبعاً يكون انقاذ عالمي ونقلة عظمى للإنسان على قياس القيامة من الأموات:

+ «بزلَّتهم صار الخلاص للأمم لإغارتهم، فإن كانت زلتهم غنى للعالم **ونقصانهم** غنى للأمم فكم بالحري **مِلْؤهم**... لأنه إن كان رفضهم هو مصالحة للعالم، فماذا يكون اقتبالهم إلاَّ حياة من الأموات؟ وإن كانت الباكورة مقدَّسة (الرسل والتلاميذ من اليهود) فكذلك العجين، وإن كان الأصل مقدَّساً (إبراهيم ويعقوب وداود) فكذلك الأغصان.» (رو١١: ١١ــ١٦)

□ كذلك يستخدم منطق المناسبة بحكم العدل عند الله:

فلأن آدم، كإنسان أضعف وهو رأس جنسنا، قد دخل به الموت إلى عالم الإنسان، فقد توجب من طرف عدالة الله أن تتم الحياة من الأموات (القيامة) بواسطة إنسان أقوى! والسرُّ في هذه المبادلة قائم في منطق أن الطبيعة التي قبلت الموت يلزم بحسب العدل أن تكون هي التي تستقبل الحياة.

ثم لأنه بخطية آدم ــ كإنسان ــ شمل الموت جميع الناس، إذ دخلت الخطية إلى العالم، فأخطأ الكل. هكذا توجَّب لدى عدالة الله، أن يكون ببرِّ إنسانٍ واحد حائزٍ على قدرة موازنة خطايا العالم ورفعها بعمل يأتيه، سبباً في أن يدخل البرُّ المجاني عوض الخطية وتُعْطَى الحياة عوض الموت.

+ «كأنما بإنسان واحد دخلت الخطية إلى العالم، و بالخطية الموت، وهكذا اجتاز الموت إلى

جميع الناس، إذ أخطأ الجميع.» (رو٥: ١٢)

+ «ولكن ليس كالخطية هكذا أيضاً الهبة (الخطية من الإنسان والهبة من الله). لأنه إن كان بخطية واحدٍ مات الكثيرون؛ فبالأَوْلَى كثيراً (من جهة العدالة) نعمة الله والعطية بالنعمة (أقوى من الخطية) التي بالإنسان الواحد، يسوع المسيح، قد ازدادت (لأن النعمة أقوى من مجموع الخطايا) للكثيرين.» (رو٥: ١٥)

هنا، الطبيعة التي أدخلت اللعنة، يلزم بحسب العدل أن تكون هي التي تُدْخِلُ البرَّ:

+ «لأنه إن كان بخطية الواحد قد مَلَكَ الموت بالواحد (آدم)؛ فبالأَوْلَى (منطق العدالة عند الله) **كثيراً** الذين ينالون **فَيْضَ** النعمة وعطية البر، سيملكون في الحياة بالواحد يسوع المسيح.» (رو٥: ١٧)

+ «فإذاً، كما بخطية **واحدة** صار الحكم إلى جميع الناس للدينونة، هكذا ببرٍّ واحدٍ صارت الهبة إلى جميع الناس لتبرير الحياة.» (رو٥: ١٨)

هذا منطق عدالة الله، وفي نفس الوقت هو منطق المناسبة لدى فكر الإنسان. ثم عاد بولس الرسول ليقارن بين سبب الخطية وعنصرها الأساسي وهو عصيان آدم، في مقابل سبب البر وعنصره الأساسي وهو طاعة المسيح لله، لتوازن عصيان آدم. ولكن كم تكون حدُّ المعادلة من طرف المسيح الإنسان بسبب لاهوته أقوى مئات وملايين المرات والمرات بلا عدد بالنسبة لحد المعادلة من طرف آدم؟

+ «لأنه كما بمعصية الإنسان الواحد ــ الترابي ــ جُعِلَ الكثيرون خطاة؛ هكذا أيضاً (مع الفارق الهائل) بإطاعة الواحد ــ السماوي الإلهي ــ سيُجعل الكثيرون أبراراً!!» (رو٥: ١٩)

وخرج بولس الرسول من هذه المقارنة بموازنة بين الخطية والنعمة، فرأى أنه مهما ازدادت الخطية في العالم بالإنسان الأرضي، فالنعمة بالإنسان السماوي (المسيح) كفيلة باجتثاثها اجتثاثاً، لأنها أقوى بما لا يُقاس، على أساس أن عامل الخطية ضعف إنساني، أما النعمة فعاملها قوة إلهية!!

+ «ولكن حيث كثرت الخطية، ازدادت النعمة **جداً**.» (رو٥: ٢٠)

ليس هذا حواراً جدلياً كما يراه العلماء؛ بل هو منطق روحي يغذيه الاستعلان وتُلهبه غيرة مقدَّسة، لإقناع الخاطىء أن لا يستكثر خطاياه على كثرة وقوة النعمة الموهوبة بدم الفداء المدفوع ثمناً لخطايا كل العالم!

إن أسلوب بولس الرسول في الإقناع ينطلق من هذه الغيرة المتّقدة على خلاص الأمم الذين دُعِي لخدمتهم. فلأنه، كإنسانٍ خاطىء، كان يعيش في ملء نعمة المسيح بصدق، لذلك لم يستخدم الأسلوب التعليمي في قوالب فكرية جامدة. فالروح المتأجج فيه كان له صفة الخَلْق الإبداعي، تأتيه له النعمة لحظة أن يفكر في الموضوع لحساب الكنيسة التي في فكره والتي يراسلها حسب احتياجها. اسمعه وهو يصف هذا الجهد العميق الذي يبذله لهذه الغاية:

+ «... ما هو غِنَى مجد هذا السر في الأمم، الذي هو المسيح فيكم رجاء المجد، الذي ننادي به مُنْذِرين كلَّ إنسان، ومُعلِّمين كل إنسان، **بكل حكمة لكي نُحضر كلَّ إنسان كاملاً في المسيح يسوع**، الأمر الذي لأجله أتعب أيضاً مجاهداً، **بحسب عمله الذي يعمل فيَّ بقوة.**» (كو١: ٢٧-٢٩)

المنهج التأملي الحر عند بولس الرسول:

الحوار في المنهج التعليمي عند الفريسيين أصيل، لإذكاء الفكر لقبول الحقيقة(٥). ولكن مثل هذا المنهج يحتاج لمؤهلات ليكون المُحَاور مقتدراً، أهمها أن يتوفر له طول النَفَس وهدوء الأعصاب مع شيء من الدهاء، وهذه كانت تُعْوِز بولس الرسول، فهو عاطفي، تأثُّري، مندفع، غيور. كذلك فإن المنهج الجدلي يحتاج إلى خطة ذات هدف محدد يسير نحوها المُتحاوِرُ دون أن يتوه في الطريق، وبولس الرسول عكس ذلك، فهو بعد أن يبدأ الشوط ويحدد الموضوع الذي سيقتحمه، وإذ تنتظر منه السير في الاتجاه الذي حدَّده، تجده يعرِّج في الطريق على موضوع آخر، أو يشغله حماسه بخصوص الفضائل أو السلوك فيستغرق فيها، وقلَّما يعود إلى ما بدأ به الحديث.

وهو في ردِّه على المهاجمين والمتلصِّصين على تعليمه وحرِّيته في المسيح لا يحاجج، ولكنه يهاجم، ويفضح النيّات الداخلية:

+ «يمنعوننا عن أن نكلِّم الأمم لكي يخلصوا، حتى يتمموا خطاياهم كل حين، ولكن قد أدركهم الغضب إلى النهاية.» (١تس٢: ١٦)

كذلك يستخدم الدفاع المتدفق والمتلاحق، حتى لا يُبقي للفكر المضاد منفذاً، مستنداً في ذلك على النعمة التي تضيء ذهنه، وترفع أفق تفكيره إلى آفاق جديدة لم يطرقها أحد قبله؛ فهو لم ينقل عن أحد قبله قط. لذلك فالمساهمة اللاهوتية المتسعة والمتفرعة والمتعددة المواضيع التي قدَّمها بولس الرسول للمسيحية تقف على قاعدة عريضة، مُستَكْمَلة بالبرهان واليقين، أتته في مناسبات كثيرة كدفعات إلهامية استوعبها من الله والمسيح مباشرة، وهي نفس الهبة التي تجمَّل بها القديس يوحنا

5. A. Deissmann, *op. cit.*, p. 104.

الإنجيلي إنما في مجال استعلان فكر المسيح وطبيعته.

لذلك من الخطأ أن يُدرس القديس بولس على خلفية أنه مُناظِرٌ لاهوتي محترف. فلاهوت بولس الرسول، مثل لاهوت يوحنا الرسول، ليس لاهوتاً نظرياً، بل هو لاهوتٌ إلهامي مسنود بالنعمة، وعمقه لا يأتي عن عمق تفكير وتحليل بل عن استعلان تلو استعلان، والنعمة أمَّنته ضد مواطن الزلل ومواطىء الانحدار، فجاء لاهوتاً صافياً صفاء السماء التي منها انحدر.

مواقف كثيرة ــ سواء في رسالته إلى أهل أفسس أو كولوسي أو في رسالته إلى أهل رومية التي يعتبرها لُبَّ إنجيله ــ كشفت لنا كيف يستسلم بولس الرسول للقوة الروحية «التي تعمل فيه»، والتي تطير به من عُلو إلى عُلو لاستعلان حقائقَ وراء حقائقَ، وتفحص أمامه مجالات الروح حتى أعماق الله. لذلك لا تجيء المعارف اللاهوتية عند بولس الرسول في قوالب جامدة محدَّدة مرصوصة ومبوَّبة، بل تأتي كسيل من التأملات الهادئة، تخترق القلب قبل أن تستقر في الفكر، لتُحدِّث الضمير قبل أن تُحدِّث العقل، لتزلزل النفس التي خرجت عن حدود اللياقة لتعيدها صاغرة إلى مواطن نعمتها الأولى.

وهكذا يجيء لاهوت بولس الرسول على هذا الوضع موزَّعاً، لا يضمُّه منهج، ولكنه موحَّد الهدف والفعل؛ لأنه نتاج نفس حساسة، مُستَقْبِلَةٌ، ومنفعِلَة بالمعرفة أولاً قبل أن تُزَكِّيها للآخرين. فمواقف الضعف عند الآخرين يبثُّها ــ من روحه ــ معرفة لاهوتية بنبرات القوة والتشجيع والمشاركة بالروح: «مَنْ يضعُف وأنا لا أضعف؟ مَنْ يعثُر وأنا لا ألتهب؟» (٢كو١١: ٢٩). أما مواقف الكبرياء فيأخذها بالعنف: «هادمين ظنوناً وكل عُلو يرتفع ضد معرفة الله، ومستأسرين كل فكر إلى طاعة المسيح، ومستعدين لأن ننتقم («نغاضب» أصح) على كل عصيان متى كملت طاعتكم» (٢كو١٠: ٥و٦). ومواقف الضيق والحزن يعالجها بالتشجيع والصبر والثبات والمشاركة:

+ «فأرسلنا تيموثاوس أخانا وخادم الله والعامل معنا في إنجيل المسيح حتى يثبِّتكم ويعظكم لأجل إيمانكم، كي لا يتزعزع أحد في هذه الضيقات، فإنكم أنتم تعلمون **أننا موضوعون لهذا** ... **لأننا الآن نعيش إن ثبتُّم أنتم في الرب.**» (١تس٣: ٢و٣و٨)

وهكذا فبولس الرسول يتكلم من روحه وليس من عقله.

ثانياً ـــ المصادر التي يستند إليها بولس الرسول في تعليمه

بعد دراسة العلماء المتتابعة لتعليم بولس على مدى مئات السنين أصبحت الآن أصولها أو الينابيع الصادرة منها واضحة فهي لا تخرج عن منبعين:

أ ـــ التوراة.

ب ـــ تعليم المسيح.

ومن واقع رسائله، يتضح أنه كان يعظ ويكتب باليونانية فكان يقرأ التوراة اليونانية ويستشهد بها.

وكانت التوراة عند بولس الرسول، كما كانت عند كل يهودي هي السلطة العليا التي لا يُتناقش فيها، فهي كلمة الله. وكان بولس الرسول يعبِّر عنها كالبقية بالقول المختصر «الكتاب» و «بالكتب». فهو الكتاب الذي يحوي كل ما هو حق إلهي، والوحيد الذي يليق به الحفظ والدراسة والتفتيش «فتشوا الكتب» (يو٥: ٣٩). والمعروف أن بولس الرسول لم يستخدم في حياته ورسائله كتاباً آخر. ومن كثرة القراءة والحفظ، انطبعت لغته بلغة التوراة، خاصة السبعينية، وليس لغته فقط بل ومعظم مداركه الدينية. ولكن لم تكن تحدُّه النظرات النبوية في الأسفار، فلم يكن ينحبس في محتواها، بل كان يستعيرها ليمتد بها ويشرح ويصوِّر ويتجاوز معناها إلى أبعاد جديدة تخدم تعليمه المسيحي الذي يفوق في حدوده وأبعاده عن التوراة.

وبولس الرسول يشرح العهد القديم على ضوء الرؤية المتسعة التي اكتسبها بالروح من المسيح، ولهذا جاءت مُحْكَمَةً متكاملة.

ولو أن بعضاً من العلماء(٦) يقولون إن بولس استلم من الرسل مختصراً عن حياة المسيح وتعليمه فيما يسمَّى بالنسخة Q من الإنجيل، وهي التي على أصولها ـــ كما يقولون ـــ كتب الإنجيليون الأربعة، إلاَّ أن هذا الرأي لا يسنده أي برهان. ولكن الاتفاقات الواضحة بين تعاليم بولس الرسول وبين ما جاء في الأناجيل، خاصة إنجيل يوحنا وبقية الرسائل لبطرس ويعقوب ويوحنا وبقية تعاليم الرسل، إنما يُعْزَى للنقل الشفهي الذي كانت تعتمد عليه الكنيسة كل الاعتماد، منذ صعود الرب وحتى كتابة أول إنجيل في حقبة زمنية لا تقل عن ثلاثين سنة ـــ حيث كانت تعاليم

6. Resch, cited by F. Prat, *op. cit.*, vol. II, p. 43 n.1.

الرسل تُحفظ وتُتلى شفاهاً كقانون تعليمي Catechism . لذلك لا يوجد أي نشاز أو أدنى نزاع في المسائل التعليمية وفي الممارسات الكنسية بين بولس الرسول وبقية الرسل، كذلك في كل ما يتعلق باللاهوت بالنسبة لله، والمسيح، والخلاص والأسرار والأمور الأخروية. علماً بأن الأعمدة الثلاثة للكنيسة الأم في أورشليم أعطوا يمين الشركة لبولس الرسول ليكرز بإنجيله، بعد أن قدّمه لهم، فاستحسنوه ولم يُضيفوا عليه، أو يحذفوا شيئاً منه (غل ٢:٩).

ولقد أوضح بولس الرسول مراراً أنه استلم تعليمه وإنجيله من المسيح رأساً **«بإعلان»**، ونحن نعلم أنه «اعتمد» على يدي حنانيا، وحلَّ عليه الروح القدس. أما معرفته الممتازة والفائقة في أمور الخلاص التي اعتبرها «السِّرّ» الأول الذي أعلنه الرب لرسله القديسين وله، فقد عزَى بولس ذلك للنعمة الفائقة التي وهبها له المسيح كنور فائق أضاء وَغيه المسيحي، ليستعلن عليه كل إدراكاته التي فاقت الجميع: «ولكن لا أنا، بل نعمة الله التي معي.» (١كو١٥:١٠)

أ ــ التوراة:

التوراة السبعينية وتقوى القديس بولس:

ميزة بولس الرسول في تعلُّمه على التوراة، هي أنه تعلمها على النسخة السبعينية بروحها التقويَّة!! [٧]. والسبعينية تُرجمت خصيصاً من أجل يهود الشتات الذين عاشوا بعيداً عن وطنهم وعن لغتهم العبرية والآرامية، فماتت منهم اللغة، ومعها كل مواريثها القديمة من مفهومات واصطلاحات تقوية من التاريخ الروحي للآباء، بكل ما يحمل من تراث تعليمي وتوجيهي ومواعيد ورجاء، فجاءت السبعينية لتوصل وتربط يهود الشتات بميراثه وتراثه من جديد، وبتركيز زائد وتوضيح أكثر بكثير مما في التوراة العبرية التي جاءت فيها هذه الموضوعات في متفرقات ومواضيع مشتتة وبغير ترتيب أو تركيز، يصعب على القارىء بل وعلى العالم أن يلمَّ بها. وهكذا عمدت التوراة السبعينية إلى التركيز والتوضيح وتسليط الأضواء على سير الآباء القديسين والمواعيد التي رسخها الأنبياء نبياً بعد نبي، بترتيب روحي وليس زمنياً، وأبرزت شخصيات الأنبياء العظام الذين قرأوا المستقبل، وجعلوا تاريخ إسرائيل موقَّعاً على نبضات روحية. كما اهتمت السبعينية بتقديم وحدانية الله في أجلى صورة، لتكون نوراً بين ظلمات آلهة اليونان ليفتخر بها اليهودي ويتمسَّك.

---

(٧) أما الفروقات الكبيرة والكثيرة بين السبعينية والعبرية فلا نشعر بها نحن قرّاء العربية، لأن النسخة العربية البيروتية لم تعتمد على السبعينية، إلا في بعض كلمات مفردة قليلة للغاية. وهذه الترجمة العربية أنشأت فاصلاً خطيراً بين الأجيال الحديثة التي قرأت العربية وبين الآباء الأوائل الذين درسوا على السبعينية، وهذا العجز هو السبب بالدرجة الأولى في الفارق التقوي بين أجيالنا وأجيالهم.

ولقد زاد من جلال السبعينية ومِصْداقيَّتها ما كان يراه كل يهودي ــ وهو عائدٌ إلى بلاده يحجُ في مواسم العبادة الرسمية ــ في الهيكل وعبادته المُتقَنة.

ومما يميِّز بولس الرسول سواء في أسلوبه أو في روحه أو تعليمه، تعلُّمه التوراة منذ نعومة أظفاره على النسخة السبعينية، فبقي بسببها شديد الصلة بروح الآباء القديسين الأوائل، وضليعاً في اللغة اليونانية بآن واحد. فوإن كان الخط الظاهر في حياة بولس الفريسي هو الناموس، إلاَّ أن الدارس لشخصية بولس الرسول، خاصة بعد أن آمن بالمسيح واعتمد، يدرك أن الخط الأساسي الغائر في نفسية بولس وروحه وفكره هو الخط التقويُّ الذي ورثه من السبعينية!! لذلك سَهُل عليه بعد أن أدركه المسيح وأدرك هو المسيح أيضاً، أن يدرك وبسهولة أن بالمسيح انتهى الناموس وفقد قوَّته الأساسية في رَبْط اليهودي بالله، وخاصة عندما كملت في المسيح كل المواعيد التي في الناموس. كما أحس بروح التقوى التي يستمدها من السبعينية، أن المسيح هو نهاية الخط التَقَويّ المرسوم في التوراة وبالدرجة الأُولى! بل ومنبعه أيضاً! لذلك جاءت تقوى بولس الرسول الحية في رسائله تعبِّر أعظم تعبير عن تقوى العهد القديم بأجمعه، متوَّجة بقداسة المسيح وجلال تقواه. وصحَّ قول بولس الرسول: «كونوا متمثلين بي، كما أنا أيضاً بالمسيح.» (١كو١١:١)

ويليق بنا هنا أن نوضح، أن معظم اللاهوتيين البروتستانت لم ينتبهوا إلى هذا الخط التَقَويّ التحفُّظي والتقليدي، خاصة عندما انهمكوا في تحليل عناصر تعليمه اللاهوتية. فجاء لاهوت بولس على أيديهم متحرراً فاقداً لعنصر التقوى الذي نبع منه كل تعليمه، والذي يجمعه معاً في وحدة متآلفة.

وتحقيقاً لما نقول، يكفي أن نعرف أن بولس الرسول في رسائله القليلة استشهد بالعهد القديم ١٨٠ مرة(٨). يقول العالم ثولوك Tholuck أن من بينها ٤٨ اقتباساً أورده من الذاكرة، فردَّ عليه العالم بليك Bleek، بأن القديس بولس اقتبسها جميعاً من الذاكرة بدون استثناء وقدَّم الأدلة على ذلك(٩).

هذا يوضح أن بولس الرسول في غيرته الروحية وحبه للعبادة والتقوى، كان ينكبُّ على السبعينية ليلَ نهار، لا يقرأ ويستذكر فحسب، بل يتأمل ويسرح بروحه ليعيش التوراة بكل آبائها وقديسيها.

---

8. F. Prat, *op. cit.*, vol. I, p. 411-414.

9. Conybeare, *op. cit.*, p. 33 n.1.

والسبعينية، بحسب القانون الإسكندري للأسفار، تشمل سفر الحكمة الذي أغرم به بولس واقتبس منه الكثير فيما يختص بالله ووجوده. لذلك فإن أوصاف الله التي جاءت في سفر الحكمة في الأصحاح ١٣ من عدد ١ـ١٧، نجدها بروحها في الرسالة إلى رومية ١: ٢٠ـ٢٥ وفي مواضع أخرى كثيرة، حققها العالم الألماني جراف وسجلها في جدوله المعروف باسمه(١٠).

والمسألة ليست مجرد اقتباسات بأعدادها الكثيرة، بل العبرة بالروح، فنحن حينما نعود إلى مراجعة استشهادات بولس في مواضعها من السبعينية، نحس في الحال بأن وراءها روحاً من التقوى، كانت هي السر والسبب الأساسي عند القديسين الأوائل في استعلانها. هذه الروح عينها نحسها في بولس الرسول، فبولس الرسول لم يكن يستشهد بمحفوظات من السبعينية في ذاكرته، بل كانت تأتيه عندما يحتاجها، لأنه كان يعيش فيها وفي تجلياتها.

لذلك نتوقف هنا وقفة قصيرة لنراجع أنفسنا، فإن ضعف استجلائنا لكنوز النعمة عند بولس الرسول راجع بالدرجة الأُولى إلى عجزنا وقصورنا في معرفتنا للسبعينية، لأن عدم تمكُّننا من استجلاء الروح التقوية في السبعينية يفوِّت علينا ما يريد أن يقوله بولس الرسول تماماً، ومن أين جاء بمقولته، وما هو عمقها وأهدافها.

والآن لا نندهش أن يقوم يهودي فريسي من أهل الشتات بعد أن يتعرف على المسيح في يوم وليلة ليَغْشَى المجامع اليهودية ــ عرين الأسد ــ لينادي بالمسيح **محقِّقاً** أنه هو ابن الله!!! (أع ٩: ٢٢)

وإليك أيها القارىء العزيز ما سجَّله القديس لوقا في سفر الأعمال:

+ «أيها الأخ شاول، قد أرسلني الرب يسوع الذي ظهر لك في الطريق، الذي جئت فيه، لكي تبصر وتمتلىء من الروح القدس. فللوقت وقع من عينيه شيء كأنه قشور، فأبصر في الحال، وقام واعتمد، وتناول طعاماً فتقوَّى. وكان شاول مع التلاميذ الذين في دمشق أياماً. **وللوقت** جعل يكرز في المجامع بالمسيح أن هذا هو ابن الله. فبُهِتَ جميع الذين كانوا يسمعون، وقالوا أليس هذا هو الذي أهلَكَ في أورشليم الذين يَدْعُونَ بهذا الاسم ...» (أع ٩: ١٧ـ٢١)

وهذه التلقائية السريعة في الإيمان ثم الكرازة التي لا تبلغ في مدتها الزمنية أكثر من أسبوع حسب الرواية، يمكن أن تُقرأ قراءة صحيحة لو قارنّا بين الرسول بولس وأي رسول من الاثني

10. F. Prat, *op. cit.*, vol. I, p. 16.

عشر، حيث استغرق إعداده للكرازة ثلاث سنين ونصف، يتعلم على يد الرب يسوع، ثم بالقيامة ونوال نفخة الروح القدس، وبعدها خمسين يوماً بانتظار حلول الروح القدس، وبعدها انطلقوا يكرزون.

هنا نقرأ هذه التلقائية السريعة في الإيمان والكرازة والتعليم على خلفيتها الحقيقية وهي التوراة السبعينية التي جهَّزت هذا الرسول ليوم الكرازة. لأن كل العوامل الأخرى، سواء الاستعلان أو رؤية قيامة الرب أو نوال النعمة أو ملء الروح القدس، هي واحد وبالتساوي بين بولس الرسول وبقية الرسل. هذا يقرره بولس الرسول بقوله:

+ «إذ رأوا أني اؤتُمِنْتُ (من قِبَلِ الرب) على إنجيل الغرلة (الكرازة للأمم) كما بطرس على إنجيل الختان (لليهود). **فإن الذي عمل في بطرس** لرسالة الختان (نعمة المسيح والروح القدس) **عمل فيَّ أيضاً** (نعمة المسيح والروح القدس) للأمم. **فإذ علم بالنعمة المعطاة لي** يعقوب وصفا ويوحنا المعتبرون أنهم أعمدة، أعطوني وبرنابا يمين الشركة لنكون نحن للأمم وأما هم فللختان.» (غل ٢: ٧ــ٩)

إذاً، فكل التعاليم اللاهوتية الجديدة والقائمة على التوراة ومواعيد الله التي تقدم بها بولس الرسول هي أكثر من باقي الرسل بشهادة القديس بطرس نفسه عند قوله في رسالته:

+ «كما كتب إليكم أخونا الحبيب بولس أيضاً بحسب الحكمة المعطاة له كما في الرسائل كلها أيضاً متكلماً فيها عن هذه الأمور.» (٢بط٣: ١٥و١٦)

هذه التعاليم ــ التي صارت بحد ذاتها منهجاً لاهوتياً كاملاً ــ هي من واقع الامتياز الوحيد المتبقي لبولس الرسول على باقي الرسل، كونه درس التوراة السبعينية كفرِّيسي، أي كعالِم، أو على حد قولنا كـ «دكتور في اللاهوت»، دراسة روحية عميقة بقصد البحث عن الحياة الأبدية كقول المسيح: «فتشوا الكتب لأنكم تظنون أن لكم فيها حياة أبدية» (يو٥: ٣٩)، وكما أوضح ذلك بطرس الرسول وأكَّده: «وعندنا الكلمة النبوية (التوراة) وهي أثْبَتُ (أثبتُ من الكلام الشفاهي الذي كان يعظ به بطرس الرسول عن لاهوت المسيح في الآيات السابقة، أنظر النص ٢بط١: ١٦ــ١٨، إذ يضيف) التي تفعلون حسناً إن انتبهتم إليها كما إلى سراج منير في موضع مظلم، إلى أن ينفجر النهار ويطلع كوكب الصبح (المسيح) في قلوبكم. عالمين هذا أولاً أن كل نبوة الكتاب ليست من تفسير خاص، لأنه لم تأتِ نبوة قط بمشيئة إنسان، بل تكلم أُناس الله القديسون مسوقين من الروح القدس.» (٢بط١: ١٩ــ٢١)

والعلماء المدققون يفهمون الآن السر وراء التعاليم الأخلاقية المكثفة في رسائل بولس الرسول

وتنظيمها وتقنينها، وسرد عيوب السلوك وإصلاحها، وتوعية الضمير، وأعمال النسك الروحي، وإماتة الأعضاء التي على الأرض: «ولكن إن كنتم بالروح تُميتون أعمال الجسد فستحيون» (رو٨: ١٣)، وواجبات العبادة الصادقة، فهذه كلها انطباعات تَقَويَّة من واقع روح التوراة، التي كان يعيش عليها القديس بولس ويتحرك، والتي سُلِّط عليها نور المسيح الذي هو المثل والنموذج الأعلى للتوراة الروحية الحقيقية!

ونعيد تأسُّفنا الشديد أننا لسنا على دراية بالتوراة السبعينية، حتى نلحظ هذه العلاقة ونتابعها. ومما يزيد شعورنا بالحزن والأسى أننا لا زلنا متأخرين جداً عن الغرب الذي خصَّص فصولاً ودورات خاصة في كل مدارس اللاهوت لدراسة السبعينية وشرحها؛ لأنه بدون معرفة التوراة السبعينية وشرحها، فإنه يكون عسيراً كل العسر على المسيحي التقي أو الدارس أن يُلِمّ بروح وتقوى العهد القديم باعتباره الجذر الذي انبثق منه العهد الجديد: «ويخرج قضيب من جذع (وصحتها **جذر** ῥίζης) يسَّى، وينبت غصنٌ من أصوله، ويحلُّ عليه روح الرب ...» (إش١١: ١و٢). ومرة أخرى نقول إن تقوى آباء الكنيسة الأُوَل القديسين ودرايتهم العالية بالأسفار واللاهوت كان مرجعها التوراة السبعينية التي درسوا العهد الجديد عليها.

وعلى القارىء أن يميِّز بين تقدير بولس الرسول العالي للتوراة وبين مناداته بإلغاء الناموس (وهو الجزء من التوراة الذي أبطله المسيح بظهوره، بالفداء الذي أكمل به الناموس). فالناموس عند بولس الرسول قد أُبطل، لا لأنه كان خاطئاً في شيء، فبولس الرسول يشهد للناموس أنه مقدس وصالح: «إذاً الناموس مقدس والوصية مقدسة وعادلة وصالحة ... فإننا نعلم أن الناموس روحي ...» (رو٧: ١٢و١٤). ولكن الناموس في صرامته وحكمه بالموت على جميع الخطاة: «أغلق على الجميع معاً في العصيان» (رو١١: ٣٢)، رسَّخ في الذهن ضرورة الخلاص والفداء، والخروج من سجن العصيان. فلما جاء المخلِّص[١١] والفادي[١٢]، انتهى دور الناموس وأُطلق سراح المحبوسين[١٣]. وهكذا لما أكمل المسيح العلة والحاجة من الناموس، أبطل الناموس. أما فيما عدا الناموس، وهو الجزء من التوراة الذي كان يتعامل مع **الخطية والتعدِّي** بكل أصوله

---

(١١) **المخلِّص**: «هوذا الرب قد أخبر إلى أقصى الأرض، قولوا لابنة صهيون هوذا مخلِّصك آتٍ. ها أجرته معه (ثمن الفدية والفكاك) وجزاؤه أمامه.» (إش٦٢: ١١)

(١٢) **الفادي**: «ويأتي الفادي إلى صهيون وإلى التائبين عن المعصية...» (إش٥٩: ٢٠)

(١٣) **مُطلِق الأسرى**: «روح السيد الرب عليَّ، لأن الرب مسحني لأُبشِّر المساكين، أرسلني لأعصب منكسري القلب، لأنادي للمسبيين بالعتق، وللمأسورين بالإطلاق...» (إش٦١: ١)

وهي نفس الآية التي أشار بها المسيح على نفسه أنه هو الآتي الذي أتى لينادي للمأسورين بالإطلاق (لو٤: ١٨).

وفروعه، فقد دأب بولس الرسول يستشهد بالتوراة ويتمسك بكل دقائقها.

وحينما تعرَّض بولس الرسول للتوراة في مواضع كثيرة بالشرح والتوضيح لمواقف ومعانٍ كثيرة، ظهر بوضوح تفوُّقه في إدراك المعاني الخفية، وكان شرحه يكشف، بروح رئاسية، أكثر عن سلطان الكلمة في التوراة.

وكان يعبِّر عن التوراة بـ«الكتاب» فهو عنده، الكتاب الوحيد الذي يحمل الحق والنور، ويشير إلى ما يقتبسه منه بكلمة «مكتوب» وهي لا تحتمل النقاش، لذلك فكل اقتباس يحمل برهانه ويستمد صدقه من صوت الله الناطق فيه. وبولس الرسول يرفع «الكتاب»، أي التوراة، إلى مستوى الشخص المعنوي الذي يتكلم ويرى ويأمر: «**والكتاب إذ سبق** فرأى أن الله بالإيمان يبرِّر الأمم، سبق فبشَّر إبراهيم أن فيك تتبارك جميع الأمم. إذاً، الذين هم من الإيمان يتباركون مع إبراهيم المؤمن» (غل٣: ٨و٩). كما يرى التوراة كديَّان قائم يقضي بسلطانه: «لكن **الكتاب أغلق على الكل تحت الخطية** ليُعطى الموعدُ من إيمان يسوع المسيح للذين يؤمنون» (غل٣:٢٢). هنا التوراة عند بولس الرسول شخص له سلطان القطع بالكلمة **وحكم الإغلاق على الخطاة**، والرؤية المستقبلية من على بُعْدٍ. فبشيء من الامتداد بهذا الإدراك الذي كان عند بولس الرسول بالنسبة للتوراة، ندرك كيف امتد بولس الرسول من التوراة إلى المسيح الذي له نفس السلطان، ولكن على إيجابية أعلى من التوراة، فهو جاء يقطع بالكلمة حقاً ولكن بالأكثر ليفكَّ أَسْرَ الخطاة ويطلق سراح المسجونين. أما بالنسبة للرؤية المستقبلية والتنبؤية التي في التوراة، فالمسيح استحضرها من المستقبل إلى الواقع: «ها ملكوت الله داخلكم» (لو١٧: ٢١)، أو بحسب فكر بولس الرسول: «كما هو مكتوب ما لم تَرَ عين، ولم تسمع أذن، ولم يخطر على بال إنسان ما أعدَّه الله للذين يحبونه (المستقبل). فأعلنه الله لنا نحن بروحه. لأن الروح يفحص كل شيء حتى أعماق الله.» (١كو٢: ٩و١٠)

وكما التزم بولس الرسول بكلام التوراة ألزمه على المؤمنين: «لكي تتعلموا فينا أن **لا تفتكروا فوق ما هو مكتوب**، كي لا ينتفخ أحد لأجل الواحد على الآخر» (١كو٤: ٦). يلاحظ القارىء أن كلمة «**الواحد**» في هذه الآية تعني بولس نفسه «**والآخر**» هو أبلُّوس، وترجمتها تكون هكذا: «كي لا ينتفخ أحدكم لأجل بولس على آخر يتمسك بأبلُّوس».

استخدام «الرمزية» للخروج من ضيق الحرف في الناموس:

أول مَنْ استخدم الرمزية في التعليم هم الأنبياء، بل ربما الله نفسه، ليقرِّب إلى ذهن الإنسان وحواسه استعلان شخصه وصفاته، فظهور الله كنار مشتعلة في عُلَّيقة هو أقوى رمز أو تشبيه للتعبير

عن طبيعة الله التي صيغت بالكلمة بعد ذلك في القول: «لأن إلهنا نار آكلة» (عب ١٢: ٢٩). لم يحرق العليقة ولكن الإحراق يتعدى من المادة إلى الضمير، فهو مرعب ولكن رعبته تنفذ إلى الضمير والنفس. وقد برع بولس الرسول في استخدام الرمزية أو التشبيه أو المجاز لشرح ما أُغلِقَ فهمه في التوراة. فخرج من حدود القصة الضيقة إلى معاني أعلى وأوسع ومن حدود الحرف إلى الروح. وعلى سبيل المثال، فقد استعار من التوراة قصة زواج إبراهيم بسارة وإنجاب إسحق ابن الموعد ليرث المواريث، ثم هاجر العبدة أي الجارية وإنجاب إسماعيل المطرود من البيت، ليوضح الفارق بين حرية أولاد الله بالمسيح في روح الإنجيل لميراث أبدي، وبين عبودية إسرائيل لناموس موسى الذي أبطل في المسيح، وانتهى بالقول: «اطرد الجارية وابنها (الناموس والمتمسكين به وأورشليم الأرضية)، لأنه لا يرث ابن الجارية مع ابن الحرة (الإيمان بالمسيح وأورشليم السماوية). إذاً، أيها الإخوة، لسنا أولاد جارية (ناموس موسى ومركزه أورشليم الأرضية) بل أولاد الحرة (أولاد النعمة ومركزها أورشليم السماوية).» (غل ٤: ٢٢-٣١)

وهكذا استطاع بولس الرسول أن يحبس قصة سارة وهاجر في حيز الرمز ليخرج بالتوراة إلى حيز الروح والحرية والحقيقة التي من أجلها كان الرمز في العهد القديم.

كذلك، وبصورة أكثر وضوحاً، نرى أنه كما أن المسيح وقف في عيد المظال الذي يُحتفَلُ فيه بالشرب من الصخرة في البرية وقال: «إن عطش أحد فلْيُقْبِلْ إليَّ ويشرب، مَنْ آمن بي كما قال الكتاب تجري من بطنه أنهار ماء حيٍّ» (يو ٧: ٣٧و٣٨)؛ كذلك وفي هذا المعنى بالذات استعلن بولس الرسول حقيقة المسيح بالنسبة للصخرة أن الصخرة كانت هي رمز المسيح الآتي ليسقي شعب الله في برية الأرض كلها، فاختزل الرمز وأطلق الحقيقة وقال: «والصخرة كانت المسيح»!! (١كو ١٠: ٤) وهكذا انكشف الرمز في أمر صخرة التوراة التي أخذت قيمتها الروحية العظمى في المسيح.

هذا الأسلوب الإبداعي في إخراج الروح من الرمز هو بمثابة إعطاء كلمة التوراة المغلقة والضيقة أجنحة تطير بها في سماء الروح لتحطّ على الحقائق الأزلية.

استنباط مبادىء وأفكار وأوصاف جديدة في المسيحية مستوحاة من التوراة:

الأمثلة لذلك عديدة فمثلاً ندرس عليه الآتي:

+ فهو يستلهم من موقف إبراهيم الإيماني الأول كيف ورَّثه إبراهيم لنسله من بعده فيقول الآتي:

«لأنه وإن كان لكم ربوات من المرشدين في المسيح لكن ليس آباء كثيرون، لأني أنا **ولدتكم في المسيح يسوع بالإنجيل**» (١كو٤: ١٥). هنا اعتبر بولس نفسه مثال الأم (الكنيسة) التي تلد بالروح أولاداً للمسيح، إذ أدخلهم إلى المسيح بالإيمان وسقاهم الروح القدس. وواضح هنا التوازي بين توارث أولاد إبراهيم للإيمان عن طريق نسل الجسد مع توارث أولاد المسيح على أيدي بولس الرسول، الذي اعتبر نفسه كمولِّد، ولكن التوارث هنا يجيء بولادة الروح كخليقة جديدة وليس بالنسل الجسدي.

+ وفي موضع آخر يشبِّه نفسه بالماخض أي الحُبْلَى التي تتوجع بالجنين في بطنها إلى أن تكمل خلقته؛ حيث يحتمل بولس الرسول ضعف إيمانهم وغباوتهم أحياناً وجهلهم إلى أن تكمل صورة المسيح فيهم: «يا أولادي الذين أتمخض بكم أيضاً إلى أن يتصوَّر المسيح فيكم» (غل٤: ١٩).

وبولس الرسول يستعير صفة المرأة الماخض من إشعياء النبي حيث يتكلم الرب على فمه عن صهيون وكيف تتمخض بشعب إسرائيل، والرب وشيك أن يولِّدها حتماً: «هل تمخض بلاد في يوم واحد، أو تولد أُمة دفعة واحدة، فقد مخضت صهيون (كأُمٍّ)؛ بل ولدت بنيها (باعتبار المستقبل الحاضر في البنوة). هل أنا أُمخض (أُحدِثُ المخاض) ولا أُولِّد، يقول الرب.» (إش٦٦: ٨و٩)

+ وفي موضع آخر يشبِّه نفسه بالأم المُرضعة التي تُرضع صغارها اللبن قبل أن يتهيأوا للطعام البالغ وكيف يحنو عليهم حنو المُرْضِع: «كنا مترفقين في وسطكم كما تربي المرضعة أولادها؛ هكذا إذ كنَّا حانين إليكم كنا نرضى أن نعطيكم، لا إنجيل الله فقط، بل أنفسنا أيضاً، لأنكم صرتم محبوبين إلينا.» (١تس٢: ٧و٨)

وبولس الرسول يستعير صفة المُرضِع من إشعياء النبي أيضاً، الذي يتكلم الله على فمه كيف يحنو على صهيون أكثر من حنين الأم على رضيعها الذي ولدته!! «هل تنسى المرأة رضيعها فلا ترحم ابن بطنها؟ حتى هؤلاء يَنْسَيْنَ، وأنا لا أنساكِ.» (إش٤٩: ١٥)

+ ومن التعبيرات الجديدة لبولس الرسول قوله عن كل رسومات الخدمة في العهد القديم أي التوراة من خيمة الاجتماع وبعدها الهيكل، وكل ما يتعلق بخدمة الهيكل من مذبح ومنارات، ودم، وتطهير، وآنية، وذبائح، وخبز وجوه، إلى آخر كل ما يختص بالخدمة، حيث اعتبرها جميعاً أنها لا تختص بالحقائق السماوية؛ **بل هي مجرد شَبَه فقط**، معتمداً في ذلك على النص القديم الذي فيه يقول الله لموسى: اصنع حسب «المثال»، وليس حسب الواقع.

«الكهنة الذين يقدمون قرابين حسب الناموس الذين يخدمون **شبه السماويات وظلَّها**، كما

أُوحي إلى موسى وهو مزمع أن يصنع المسكن، لأنه قال انظر أن تصنع كل شيءٍ حسب المثال الذي أُظهر لك في الجبل» (عب٨: ٤و٥)، «لأن المسيح لم يدخل إلى أقداس مصنوعة بيدٍ، **أشباه الحقيقية**؛ بل إلى السماء عينها، ليظهر الآن أمام وجه الله لأجلنا.» (عب٩: ٢٤)

وقد أسماها بولس الرسول مرة أخرى أنها ظل الحقائق: «فلا يحكم عليكم أحد في أكل أو شرب أو من جهة عيد أو هلال أو سبت التي هي **ظل الأمور العتيدة**، وأما الجسد فللمسيح.» (كو٢: ١٦و١٧)

+ ومبدأ تزوج المسيح للكنيسة، ومنها يستخرج بولس سِرَّ الزيجة المقدسة في المسيحية أنه على مستوى زواج المسيح بالكنيسة؛ هكذا يستوي سر زواج الرجل بالمرأة، لأنه في كلا الوضعين ينشأ أولاد للإيمان أو مؤمنون.

هذا المبدأ يطبقه بولس الرسول على ما جاء في التوراة بالنسبة لله وشعب إسرائيل:

«اذهب ونادِ في أذنيْ أورشليم قائلاً: هكذا قال الرب: قد ذكرتُ لكِ غيرة صباكِ، محبة **خطبتكِ**، ذهابك ورائي في البرية في أرض غير مزروعة، إسرائيل قُدْسٌ للرب أوائل غَلَّته...» (إر٢: ٢و٣)

«ورأيتكِ وإذا زمنكِ زمن الحب، فبسطتُ ذيلي عليكِ وسترتُ عورتكِ، وحلفت لكِ، ودخلت معكِ في عهدٍ يقول السيد الرب، فصرتِ لي...» (حز١٦: ٨)

«لا تخافي لأنك لا تخزين... لأن بَعْلَكِ (زوجك) هو صانعك، رب الجنود اسمه، وَوَلِيُّكِ قدوس إسرائيل، إله كل الأرض يُدعى. لأنه كامرأة مهجورة ومحزونة الروح دعاكِ الرب وكزوجة الصبا...» (إش٥٤: ٤—٦)

«هكذا قال الرب: أين كتاب طلاق أمكم التي طلَّقتُها... من أجل ذنوبكم طُلِّقت أمكم.» (إش٥٠: ١)

«فإني أغار عليكم غيرة الله، لأني خطبتكم لرجل واحد، لأُقدِّم عذراء عفيفة للمسيح.» (٢كو١١: ٢)

«كذلك يجب على الرجال أن يحبوا نساءهم كأجسادهم. من يحب امرأته يحب نفسه. فإنه لم يبغض أحد جسده قط؛ بل يقوته ويربيه، كما الرب أيضاً للكنيسة. لأننا أعضاء جسمه من لحمه ومن عظامه، من أجل هذا يترك الرجل أباه وأمه ويلتصق بامرأته ويكون الاثنان جسداً واحداً. هذا السر عظيم، ولكنني أنا أقول من نحو المسيح والكنيسة!» (أف٥: ٢٨—٣٣)

+ **الفصح القديم والفصح الجديد:**

استوحى بولس الرسول من ملابسات الفصح القديم الذي كان فيه ومنه سر «الخروج» العظيم من «عبودية» فرعون (الخطية) ومصر إلى حرية شعب خرج بالتهليل يطلب وطناً، وإذ رأى في موت المسيح على الصليب ذبيحة فصحية ــ حيث كلمة «فصح» بالعبرية تعني عبوراً أو خروجاً ــ اعتبر المسيح فصحاً جديداً لخروج حقيقي أعظم بلا قياس، وخروج من **عبودية الخطية** بالناموس ومن **التمسك بوطن أرضي** زائل إلى تهليل الخروج ببرِّ المسيح إلى حرية مجد أولاد الله الذين يطلبون **وطناً أفضل أي سماوياً**. فالمسيح كـ«**فصح**» أكمل لنا الخروج من عبودية الخطية (سُخْرة فرعون) ومن أرض الخطية (مصر) إلى حرية مجد أولاد الله، لوطن سماوي دائم.

+ «لأن فصحنا أيضاً المسيح قد ذُبِحَ لأجلنا. إذاً لنعيِّد... بفطير الإخلاص والحق.» (١ كو٥: ٧و٨)

+ «واسلكوا في المحبة، كما أحبنا المسيح أيضاً وأسلم نفسه لأجلنا قُرْباناً وذبيحة لله رائحة طيبة.» (أف٥: ٢)

وعلى هذا النمط كتب بولس الرسول ــ أو أمْلَى[١٤] ــ كل سفر العبرانيين، واضعاً أساس الإيمان المسيحي بكل تطبيقاته على الأصول الأُولى التي في التوراة والناموس بمقارنة شديدة الدقة وعميقة ورتيبة، وحكيمة، ومستنيرة، مقارنة من الشبه إلى الحقيقة، من الظل إلى النور، من المثال القديم الصامت المُصْمَت إلى الواقع الحي المتكلم، من الأشياء والوصايا والطقوس الجسدية المصنوعة بالأيادي التي هي من تعاليم الناس إلى ما هو غير مصنوع بيدٍ، إلى صنع السماء، إلى الروح الأزلي، من تطهير بدم حيواني وغسل الجسد بماء إلى تطهير الضمير بدم إلهي وغسل الكيان الروحي كله بالروح القدس.

+ **المنُّ النازل من السماء الذي لا ينقص ولا يزداد:**

هي لفتة من لفتات بولس الرسول ذات العمق التأملي الذي يشهد له كدارس للتوراة لا يُشَقُّ له غبار. فقد لمح من وصية الله بالنسبة "**لجمع**" المن اليومي هكذا:

+ «ففعل بنو إسرائيل هكذا والتقطوا (المن) بين مكثِّر ومقلِّل. ولما كالوا بالعُمر (نوع من المكيال) لم يفضل المُكثِّر، والمقلِّل لم ينقص.» (خر١٦: ١٧و١٨)

بمعنى أن الطمَّاع الذي جمع كثيراً، فقد وجد بعد ما أكل منه على قدر طاقته أنه لم يُفْضِل عنه

(١٤) الكنيسة القبطية تضع سفر العبرانيين ضمن كتابات القديس بولس الرسول.

شيئاً بعد ما أكل!!! والمُكتفي الذي جمع قليلاً، لما أكل منه على قدر طاقته وجد أنه لم يُنقِص شيئاً بعد ما أكل عما احتاجه فعلاً!! كان هذا قديماً درساً موجعاً للطمّاع ليردعه عن طمعه، وإلهاماً بديعاً للمكتفي ليزداد في اكتفائه.

انبهر بولس الرسول من هذا المثل الإلهي في التعليم، فاقتبسه عندما كان يوصي الكنائس الغنية أن تسخي في عطائها — بقدر وتقسيط معاً — لفقراء أورشليم هكذا:

+ «فإنه ليس ليكون للآخرين راحة ولكم ضيق (أي لا يعطوا من أعوازهم فيصيروا في ضيق)؛ بل بحسب المساواة (أصل روح الاشتراكية) لكي تكون في هذا الوقت فضالتكم (المالية) لإعوازهم (الجسدية)، كي تصير فضالتهم (الروحية بالدعاء) لإعوازكم (الروحية) حتى تحصل المساواة كما هو مكتوب: "الذي جمع كثيراً لم يُفضِل والذي جمع قليلاً لم يُنقِص".» (٢كو٨: ١٣-١٥)

بمعنى أن الله سيتكفَّل بأن يزيدكم غنىً مادياً لتزدادوا في العطية والروح بمؤازرة القديسين، وبالتالي سيزيد القديسين نعمة بمؤازرتكم ليزدادوا في الصلاة من أجلكم، فلا أنتم ينقص عنكم المورد المالي ولا هم يجوعون!!!

+ السموات تحدِّث، والفَلَك يُخبر:

هذا مزمور لداود النبي يتغنى فيه بدور السموات في اشتراكها في التحدث لبني آدم بعظمة الله وعجائبه، وحديثها بلغ العالمين، والفَلَك يخبر، بمجرَّاته ونجومه وشموسه وأقماره، بقدرة الصانع وجبروت ضابط الكل، وخبره طبَّق الآفاق:

+ «السموات تحدِّث بمجد الله، والفَلَك يخبر بعمل يديه، يوم إلى يوم يذيع كلاماً، وليل إلى ليل يُبدي علماً. لا قولَ ولا كلامَ، لا يُسمع صوتهم (صحتها صوتها)، في كل الأرض خرج منطقهم (صحتها منطقها)، وإلى أقصى المسكونة كلماتهم (صحتها كلماتها).» (مز١٩: ١-٤)

وداود النبي يقصد أن أعمال الله تعلن عنه بدون كلام، وصنائعه تنطق بلاهوته بلا نُطق. وهذه الآيات العظمى لخلقة الله يأخذها بولس الرسول على وجهين، الوجه الأول يستخدمها باعتبارها إعلاناً رسمياً من الله، يتحتم على بني البشر وعلى كافة أنواعهم وأجناسهم أن يستشِفُّوا منها قوته وسلطانه ولاهوته الفائق. هكذا يكتب إلى أهل رومية:

+ «إذ معرفة الله ظاهرة فيهم، لأن الله أظهرها لهم، لأن أموره غير المنظورة، قدرته السرمدية ولاهوته، تُرَى منذ خلق العالم مُدرَكَةً بالمصنوعات، حتى إنهم بلا عذر.» (راجع

(رو١٠: ١٩و٢٠)

أما الآخذ الثاني لمفردات هذه الآية من هذا المزمور فيقتطف منه قول داود عن السموات والفلك أن «في كل الأرض خرج منطقها وإلى أقصى المسكونة كلماتها»، وينسبه إلى الرسل القديسين بصفتهم أنهم أذاعوا بالكلمة المسموعة كل الذي أذاعته السموات والأفلاك بصمتها:

+ «ليس الجميع قد أطاعوا الإنجيل لأن إشعياء يقول يا رب مَنْ صدَّق خبرنا؟ إذاً الإيمان بالخبر، والخبر بكلمة الله. لكنني أقول ألعلهم لم يسمعوا؟ بَلَى، **إلى جميع الأرض خرج صوتهم وإلى أقاصي المسكونة أقوالهم**.» (رو١٠: ١٦–١٨)

+ نور التوراة على وجه موسى،

ونور وجه المسيح الذي أشرق في قلوبنا بالإنجيل:

حينما استؤمن موسى على التوراة واستلمها من الله، نزل من الجبل ووجهه يلمع بالنور:

+ «وكان لما نزل موسى من جبل سيناء ولوحا الشهادة في يد موسى عند نزوله من الجبل أن موسى لم يعلم أن جلد وجهه صار يلمع في كلامه معه (مع الله). فنظر هرون وجميع بني إسرائيل موسى، وإذا جلد وجهه يلمع... ولما فرغ موسى من الكلام معهم جعل على وجهه بُرقعاً.» (خر٣٤: ٢٩و٣٠و٣٣)

لقد أثَّر هذا الخبر في ذهن بولس الرسول تأثيراً كبيراً، فربط بين التوراة والنور حسب تحليل كل المدارس الفرِّيسية، على أساس أن التوراة هي التي أعلنت الله، وعرَّفت إسرائيل به. فلما ظهر الرب يسوع لبولس بوجهه الأكثر لمعاناً من الشمس في وقت الظهيرة، ربط بولس في الحال بين المسيح والله على أساس أنه الاستعلان الحقيقي لطبيعة الله وبالتالي هو التوراة الحقيقية. ومما زاد من يقين بولس الرسول بهذه الحقيقة هو المقارنة بين النور الذي لمع في وجه موسى ثم خبا وانطفأ وزال بموته، وبين نور وجه المسيح اللامع في السماء قُبالة الشمس وهو قائم حيٌّ دائم أزلي.

وبالتالي أقام بولس الرسول المقارنة بين خدمة الحرف في التوراة في ظل الخطية والناموس الذي يحكم بالموت وبين خدمة البر في الروح للمجد، وبالتالي بين نور وجه موسى الزائل وبين نور المسيح الدائم في المجد.

+ «إن كانت خدمة الموت المنقوشة بأحرف في حجارة (لوحي الشهادة) قد حصلت في مجد، حتى لم يقدر بنو إسرائيل أن ينظروا إلى وجه موسى لسبب مجد وجهه الزائل، فكيف لا تكون بالأولى خدمة الروح في مجد.» (٢كو٣: ٧و٨)

ثم يعود بولس الرسول ويطبق هذا على خدام البرّ «التوراة» العهد الجديد، ليس كما كان ينظر بنو إسرائيل إلى وجه موسى (الناموس) من خلال برقع؛ بل بوجه مكشوف يستمدون معرفتهم بالله من إشراق وجه المسيح عليهم — كما أشرق هذا الوجه الأقدس عليه في طريق دمشق، فعرف الرب واستعلن الله فيه.

+ «ونحن جميعاً ناظرين مجد الرب **"بوجه مكشوف** (بدون برقع) **كما في مرآة"، نتغير إلى تلك الصورة عينها** (وجه المسيح) من مجد إلى مجد كما من الرب الروح.» **(٢كو٣:١٨)**

حيث وجه الرب هنا هو المقابل لموضع التوراة والناموس!

وإن كانت مدارس الفريسيين قد قالت بعلاقة صميمية بين التوراة وبين تكوين النور كأول أعمال الله، والنور الطبيعي الأول خُلق أولاً ليكشف للإنسان ما تم بعد ذلك من خلقة كل شيء حتى خلقته هو، فقد قال بولس الرسول بأكثر صحة وبكل الحق أن إشراق نور الحياة في الإنسان كان في استعلان وجه المسيح:

+ «لأن الله الذي قال أن يُشرق نور من ظلمة (بدء أعمال الله) **هو الذي أشرق في قلوبنا لإنارة معرفة مجد الله في وجه يسوع المسيح.» (٢كو٤:٦)**

فالمسيح هنا هو نور الحياة في مقابل نور الخليقة الأول لمعرفة الله بالروح عوض معرفة الله بالحواس والعقل.

هنا يمكن تجميع رؤية بولس الرسول في القول بأن تَطَلُّعنا في إنجيل المسيح هو في حقيقته تطلُّع دائم في وجهه الإلهي الذي يضيء قلوبنا بحضرته، فيغيِّرنا إلى مجدٍ، ومن مجد إلى مجد، شريطة أن يكون تطلُّعنا في الكلمة قوياً لصيقاً كما في مرآة، بدون برقع الخطية، نعدّل عليها صورتنا كل مرة لتكون على «صورة مجده».

كما لا يفوتنا أن نكرر أن في قول بولس الرسول هنا إشارة أن المسيح هو التوراة الجديدة الحقيقية بصفته الحامل لطبيعة الله والمُعْلِن عنها.

التوراة الجديدة المستمدَّة من نور وجه المسيح:

واضح في منهج بولس الرسول التعليمي، أنه يستمد كل تعاليمه ومُثُله العليا من نور مجد المسيح الذي أشرق في قلبه، وكأنه يعكس فصول توراة جديدة على مستوى ما جاء في إنجيل القديس متى في قول المسيح: «سمعتم أنه قيل للقدماء ... أما أنا فأقول لكم...» **(مت٥:٢١)**

+ فهو يريد فوق كل شيء أن يطبع فكر المسيح على قلوب المسيحيين ليكون لهم حياة بحسب المسيح: «فليكن فيكم هذا الفكر الذي في المسيح يسوع أيضاً، الذي إذ كان في صورة الله لم يحسب خلسة أن يكون معادلاً لله، لكنه أخلى نفسه آخذاً صورة عبد، صائراً في شبه الناس. وإذ وُجد في الهيئة كإنسان، وضع نفسه وأطاع حتى الموت موت الصليب.» (في ٢: ٥-٨)

هنا وإن كان بولس الرسول يكشف لنا - باستعلان - عن هويَّة المسيح وطبيعته قبل التجسد معادلاً لله، إلاَّ أن القصد هو أن يوضح مدى تنازل المسيح من عُلُوّ هذا المثال الفائق جداً إلى حالة إنسان عبد، ثم استعلان الصليب بعد ذلك أنه لم يكن إلزاماً عليه ولا جاء عقاباً، بل نتيجة طاعة وهدفاً لها، مُعْطياً بذلك مثلاً لنا نعيشه في روح التنازل الشديد بعضنا لبعض، ثم روح الطاعة للمصدر الروحي الذي نستقي منه مهما كان فيها من خسارة أو آلام، لأن هذا هو بداية الحديث: «حتى تفتكروا **فكراً واحداً** ولكم **محبة واحدة** بنفس واحدة مفتكرين شيئاً واحداً، **لا شيئاً بتحزُّب أو بعُجْبٍ، بل بتواضع** ... لا تنظروا كل واحد إلى ما هو لنفسه بل كل واحد إلى ما هو لآخرين أيضاً.» (في ٢: ٢-٤)

«لا يطلب أحد ما هو لنفسه بل كل واحد ما هو للآخر.» (١كو١٠: ٢٤)

«لذلك اقبلوا بعضكم بعضاً كما أن المسيح أيضاً قَبِلَنا لمجد الله.» (رو١٥: ٧)

وبالنهاية يقول إن كل التعليم هو بحسب المسيح، هو بفكر المسيح: «أما نحن فلنا فكر المسيح.» (١كو٢: ١٦)

هذه هي وصايا التوراة الجديدة عند بولس الرسول، معطاة لا من أوامر ونواهٍ بل من مثال المسيح الحي وحياته. **فحياة المسيح هي التوراة الجديدة عند بولس الرسول. وغايتها وحدة القلوب والأفكار والمشيئات بحسب المسيح في المسيح**، والأمثلة كثيرة:

+ «فيجب علينا نحن الأقوياء أن نحتمل أضعاف الضعفاء، **ولا نُرْضي أنفسنا**، فليُرْضِ كلُّ واحد منا قريبه للخير لأجل البنيان، **لأن المسيح أيضاً لم يُرْضِ نفسه**. بل كما هو مكتوب: تعييرات معيِّريك وقعت عليَّ (مز٦٩: ٩).» (رو١٥: ١-٣)

ويلاحظ القارىء أن التوراة الجديدة (الإنجيل) عند بولس الرسول لا تنتهي عند **برِّ الإنسان الفردي بالناموس**، بل إن قصدها دائماً وهدفها الوحيد **«لأجل البنيان»**، وهذا ما أوضحه أكثر في قوله: «لأجل تكميل القديسين (الكنيسة)، لعمل الخدمة، لبنيان جسد المسيح (الكنيسة)، إلى أن ننتهي جميعنا إلى وحدانية الإيمان ومعرفة ابن الله، **إلى إنسان كامل، إلى قياس قامة ملء المسيح**.» (أف٤: ١٢و١٣).

+ وبولس الرسول يحاول جاهداً أن يقنع الكنائس المشاكسة (كورنثوس) أنه يسقيهم روح التعليم بحسب توراته الجديدة (المسيح بدون ناموس وبدون ختان) على مستوى المسيح نفسه ومتمثلاً به، وبولس الرسول يعرف ما قاله المسيح موازناً تعليمه بتعليم التوراة: «إحملوا **نيري** عليكم وتعلموا مني ... لأن **نيري** هيِّن **وحملي** خفيف.» (مت١١: ٢٩و٣٠)

ذلك في مقابل نير التوراة وحملها التي قال عنها بطرس الرسول: «لماذا تجربون الله بوضع **"نير"** على عنق التلاميذ (المسيحيين الجدد من الأمم) لم يستطع آباؤنا ولا نحن أن **نحمله**» (أع١٥: ١٠). فعلى ضوء وصف المسيح لنيره مقابل نير الناموس وحمل تعاليمه مقابل حمل تعاليم الناموس ووصايا الناس، ثم وصف وداعة المسيح مقابل عنف الناموس وتواضعه مقابل عتوّ الناموس، يتوسل بولس الرسول إلى أهل كورنثوس أن لا يرتدوا للتهوُّد ونير الناموس، بل أن يتمسكوا بوداعة المسيح وحِلْمه: «ثم أطلب إليكم **بوداعة المسيح وحِلْمه ...**» (٢كو١٠: ١)

+ حينما ابتدأ بولس الرسول يجمع التبرعات المالية لفقراء أورشليم حسب قانون وتوصية الرسل، أراد أن يرفع عملية جمع الأموال إلى مستوى روحي، ليجعل من عطية الكنيسة للفقراء عملَ بذلٍ روحي، قال: «فإنكم تعرفون نعمة ربنا يسوع المسيح أنه من أجلكم افتقر وهو غني لكي تستغنوا أنتم بفقره» (٢كو٨: ٩). وهنا وهو بصدد أعمال التبرعات يرفع فكرهم إلى مستوى تجسد المسيح وبذله، هكذا يمزج بولس تعليمه باللاهوت معطياً المسيح مثلاً ونموذجاً.

+ يلاحظ قارىء رسالة كورنثوس الأُولى الأصحاح الثالث عشر أن بولس الرسول يصف المحبة، رؤية وراء رؤية، وعينه على المسيح نفسه. فالمحبة التي يستعلنها بولس الرسول في هذا الأصحاح هي من صفات المسيح، وبالمسيح وحده ينالها مَنْ يريد امتلاكها. فالتوراة أصبحت عند بولس الرسول هي المسيح وكلماته.

ب ــ المصدر الثاني: تعاليم المسيح: (١٥)

وإذ نـعـود نـذكّر القارىء أن بولس الرسول لما ابتدأ يعظ بإنجيل المسيح لم يكن أمامه أية نسخ من الأناجيل؛ لأن أول إنجيل ــ وهو للقديس مرقس ــ كُتبَ بعد بدء كرازة بولس ليس بأقل من عشرين سنة، أما بقية الأناجيل فلم يرها بولس الرسول قط، ولا سمع بها، ولكنه كان يستقي معلوماته عن **التعاليم التي لقّنها المسيح لتلاميذه** من الرسل الذين تقابل معهم ومن المؤمنين الذين كانوا يحفظونها كمحفوظات مقدسة بالنقل الشفاهي.

شدة التقابل بين تعاليم بولس الرسول والأناجيل الثلاثة:

والآن إليك نوعٌ من الأمثلة المطابقة بين ما جاء في الأناجيل بعد ذلك وما كرز به بولس الرسول سابقاً عليها وقبل كتابتها:

تعاليم بولس الرسول	الثلاثة الأناجيل
رسالة رومية	
(رو٢:١): «لـذلك أنت بـلا عـذر أيهـا الإنسان كلُّ مَنْ يدين. لأنك في مـا تـدين غيـرك تحكم على نفسك، لأنك أنت الذي تدين تفعل تلك الأمور عينها».	(مت٧:١و٢): «لا تدينوا لكي لا تُدانوا، لأنكم بالدينونة التي بها تدينون تُدانون».
(رو٨:١٣): «لأنه إن عشتم حسب الجسد فستموتون، ولكن إن كـنـتـم بـالـروح تميتـون أعـمـال الجسـد فستحيون».	(مت١٦:٢٥): «فإن مَنْ أراد أن يخلِّص نفسه يُهلكها، ومَنْ يُهلك نفسه مِنْ أجلي يجدها».
(رو١٢:١٤)، (١كو٤:١٢و١٣): «باركوا على الـذين يضطهدونكم. باركوا ولا تلعنوا».	(لو٦:٢٧و٢٨): «لـكـنـي أقـول لـكـم أيـهـا السـامـعـون: أحبوا أعداءكم، أحسنوا إلى مبغضيكم، باركوا

(١٥) راجع صفحة ١٣٧ــ١٣٨.

«نُشتَم فنبارك، نُضطهَد فنحتمل، يُفترى علينا فنعظ».

لاعنيكم وصلّوا لأجل الذين يسيئون إليكم».

(رو١٢: ١٧):

«لا تجازوا أحداً عن شر بشر».

(مت٥: ٣٩):

«أما أنا فأقول لكم: لا تقاوموا الشر. بل مَنْ لطمك على خدك الأيمن فحوِّل له الآخر أيضاً».

(١٢: ٢١):

«لا يغلبنَّك الشر بل اغلب الشرَّ بالخير».

(مت٥: ٣٩):

«وأما أنا فأقول لكم لا تقاوموا الشر، بل مَنْ لطمك على خدك الأيمن، فحوِّل له الآخر أيضاً».

(١٣: ٧):

«فأعطوا الجميع حقوقهم. الجزية لمن له الجزية، الجباية لـمَنْ له الجباية، والخوف لـمَنْ له الخوف، والإكرام لمَنْ له الإكرام».

(مر١٢: ١٧):

«أعطوا ما لقيصر لقيصر وما لله لله».

(١٣: ٨-١٠):

«لا تكونوا مديونين لأحد بشيء إلاَّ بأن يحب بعضكم بعضاً. لأن مَنْ أحبَّ غيره فقد أكمل الناموس، لأن لا تَزْنِ، لا تقتل، لا تسرق، لا تشهد بالزور، لا تَشْتَهِ، وإن كانت وصية أخرى هي مجموعة في هذه الكلمة: أن تحب قريبك كنفسك. المحبة لا تصنع شراً للقريب. فالمحبة هي تكميل الناموس».

(مت٢٢: ٣٦-٤٠):

«يا معلم أية وصية هي العظمى في الناموس، فقال له يسوع: تحب الرب إلهك من كل قلبك ومن كل نفسك ومن كل فكرك. هذه هي الوصية الأولى والعظمى، والثانية مثلها: تحب قريبك كنفسك. بهاتين الوصيَّتين يتعلق الناموس كله والأنبياء».

(رو١٤: ١٠):

«وأما أنت فلماذا تدين أخاك، أو أنت أيضاً لماذا تزدري بأخيك، لأننا جميعاً سوف نقف أمام كرسي المسيح».

(مت٧: ١و٢):

«لا تدينوا لكي لا تدانوا، لأنكم بالدينونة التي بها تدينون تُدانون، وبالكيل الذي به تكيلون يُكال لكم».

(رو١٤:١٣):

«فلا نحاكم أيضاً بعضنا بعضاً، بل بالحري احكموا بهذا أن لا يوضع للأخ مصدمة أو معثرة».

(رو١٤:١٤):

«إني عالم ومتيقن في الرب يسوع أن ليس شيءٌ نجساً بذاته إلاَّ مَنْ يحسب شيئاً نجساً فله هو نجس».

تسالونيكي الأُولى

(١تس٤:٨):

«إذاً مَنْ يُرْذِلُ (بولس) لا يُرْذِلُ إنساناً بل الله الذي أعطانا أيضاً روحَهُ القدُّوسَ».

(١تس٤:٩):

«وأما المحبة الأخوية فلا حاجة لكم أن أكتب إليكم عنها لأنكم أنفسكم متعلِّمون من الله أن يحب بعضكم بعضاً».

(١تس٥:٢):

«لأنكم أنتم تعلمون بالتحقيق أن يوم الرب كلصٍّ في الليل هكذا يجيء».

(١تس٥:٣):

«لأنه حينما يقولون سلامٌ وأمانٌ، حينئذ

(مت١٨:٦):

«ومَنْ أعْثَر أحد هؤلاء الصغار المؤمنين بي، فخير له أن يُعلَّق في عنقه حجر الرحى و يُغرق في لُجَّة البحر».

(مر٧:١٥):

«ليس شيء من خارج الإنسان إذا دخل فيه يقدر أن ينجِّسه، لكن الأشياء التي تخرج منه هي التي تنجِّس الإنسان».

(لو١٠:١٦):

«الذي يسمع منكم يسمع مني والذي يرذلكم يرذلني والذي يرذلني يرذل الذي أرسلني (الله)».

(يو١٣:٣٤و٣٥):

«وصية جديدة أنا أعطيكم أن تحبوا بعضكم بعضاً، كما أحببتكم أنا تحبون أنتم أيضاً بعضكم بعضاً، بهذا يعرف الجميع أنكم تلاميذي، إن كان لكم حب بعضاً لبعض».

(لو١٢:٣٩و٤٠):

«وإنما اعلموا هذا، أنه لو عرف رب البيت في أية ساعة يأتي السارق لسَهِرَ ولم يَدَعْ بيته يُنقب. فكونوا أنتم إذاً مستعدين، لأنه في ساعةٍ لا تظنون يأتي ابنُ الإنسانِ».

(لو٢١:٣٤):

«فاحترزوا لأنفسكم، لئلا تثقل قلوبكم في

يفاجئهم هلاكٌ بغتة كالمخاض للحُبْلى فلا ينجون».

(١تس٥: ٦):

«فلا نَنَمْ إذاً كالباقين بل لنسهر ونَصْحُ».

(١تس٥: ١٣):

«... سالموا بعضكم بعضاً».

(١تس٥: ١٦):

«افرحوا كلَّ حينٍ».

كولوسي

(كو٣: ١٣):

«محتملين بعضكم بعضاً ومسامحين بعضكم بعضاً، إن كان لأحد على أحد شكوى، كما غفر لكم المسيح هكذا أنتم أيضاً».

(كو٣: ٥):

«فأميتوا أعضاءكم التي على الأرض».

خُمَارٍ وسُكْرٍ وهموم الحياة، فيصادفكم ذلك اليومُ بغتةً».

(مت٢٤: ٤٢):

«اسهروا إذاً لأنكم لا تعلمون في أية ساعة يأتي ربكم».

(مر٩: ٥٠):

«... سالموا بعضكم بعضاً».

(لو٦: ٢٣):

«افرحوا في ذلك اليوم وتهلَّلوا».

(مت٦: ١٢):

«واغفر لنا ذنوبنا كما نغفر نحن أيضاً للمذنبين إلينا».

(مت٥: ٢٩و٣٠، مر٩: ٤٥):

«فإن كانت عينك اليمنى تُعثرك فاقلعها وألقها عنك. لأنه خيرٌ لك أن يهلك أحد أعضائك ولا يُلْقَى جسدك كله في جهنم. وإن كانت يدك اليمنى تُعثرك فاقطعها وألقها عنك، لأنه خيرٌ لك أن يهلك أحد أعضائك ولا يُلقى جسدك كله في جهنم».

«وإن أعثرتك رجلُك فاقطعها. خيرٌ لك أن تدخل الحياة أعرج من أن تكون لك رجلان وتُطرح في جهنم في النار التي لا تُطفأ».

(كو٣: ١٢):	(مت١١: ٢٩):
«فالبسوا كمختاري الله القديسين المحبوبين أحشاءَ رأفاتٍ ولُطفاً وتواضعاً ووداعةً وطول أناةٍ».	«احملوا نيري عليكم وتعلموا مني. لأني وديع ومتواضع القلب».
(كو٤: ٢):	(مت٢٦: ٤١):
«واظبوا على الصلاة ساهرين فيها بالشكر».	«اسهروا وصلوا لئلا تدخلوا في تجربة».
(كو٤: ٣):	(لو٨: ١٠):
«... لنتكلم بسرِّ المسيح».	«فقال: لكم قد أُعطي أن تعرفوا أسرار ملكوت الله ...»
(كو٤: ٦):	(مت٥: ١٣، مر٩: ٥٠):
«ليكن كلامكم كل حين بنعمة مُصْلَحاً بملح».	«أنتم ملح الأرض ...» «ليكن لكم في أنفسكم ملح ...»
(كو٤: ٦):	(لو١٢: ١٢):
«لتعلموا كيف يجب أن تجاوبوا كل واحد».	«لأن الروح القدس يعلمكم في تلك الساعة ما يجب أن تقولوه».

كورنثوس الثانية

(٢كو١١: ٧):	(مت٢٣: ١١):
«أم أخطأت خطية إذ أذللت نفسي كي ترتفعوا أنتم، لأني بشرتكم مجاناً بإنجيل الله».	«وأكبركم يكون خادماً لكم».

كورنثوس الأُولى

(١كو٧: ١٠):	(مر١٠: ١١و١٢):
«وأما المتزوجون فأوصيهم، لا أنا بل الرب، أن لا تفارق المرأة رجلها».	«مَنْ طلَّق امرأته وتزوج بأخرى يزني عليها، وإن طلقت امرأة زوجها وتزوجت بآخر تزني».

(١ كو٩: ١٤):
«هكذا أيضاً أمر الرب أن الذين ينادون بالإنجيل من الإنجيل يعيشون».

(١ كو٩: ١٩):
«فإني إذ كنت حرًّا من الجميع استعبدت نفسي للجميع لأربح الأكثرين».

(لو١٠: ٧):
«وأقيموا في ذلك البيت آكلين وشاربين مما عندهم، لأن الفاعل مستحق أجرته».

(مر١٠: ٤٣—٤٥):
«مَنْ أراد أن يصير فيكم عظيماً يكون لكم خادماً، ومَنْ أراد أن يصير فيكم أولاً يكون للجميع عبداً، لأن ابن الإنسان أيضاً لم يأتِ ليُخْدَم بل ليَخْدُم، وليبذل نفسه فدية عن كثيرين».

(١ كو١١: ٢٣):
«لأنني تسلمت من الرب ما سلَّمتُكم».

(أع ٢٠: ٣٥):
«متذكرين كلمات الرب يسوع أنه قال مغبوط هو العطاء أكثر من الأخذ».

(١ كو١٤: ٣٧):
«إن كان أحد يحسب نفسه نبياً أو روحيًّا فليعلم ما أكتبه إليكم أنه وصايا الرب».

(١ كو٧: ٢٥):
«وأما العذارى فليس عندي أمر من الرب فيهنَّ ولكنني أُعطي رأياً كمن رَحِمَه الرب أن يكون أميناً».

(١تس٤: ١٦):
«لأن الرب نفسه، بهتافٍ بصوت رئيسِ ملائكةٍ وبوقِ الله، سوف ينزل من السماء، والأموات في المسيح سيقومون أولاً».

(١ كو٤: ٥):
«إذاً لا تحكموا في شيء قبل الوقت حتى يأتي الرب الذي سينير خفايا الظلام ويُظهر آراء القلوب».

كل هذه الاستشهادات المباشرة بوصايا الرب التي عثرنا على المرادف لها في الأناجيل الثلاثة الأولى أو التي ينسبها بولس للمسيح ولا يوجد لها مقابل في الأناجيل، أو التي يطلقها بولس الرسول

دون الإشارة إلى أي مرجع ولكنها تحمل الروح الرئاسية بسلطان كقوله: «لتصمت نساؤكم في الكنائس لأنه ليس مأذوناً لهن أن يتكلمن» (١ كو١٤: ٣٤)، يتضح منها أن بولس الرسول إما أنه كان يقرأها من بعض التسجيلات المكتوبة كأساس للأناجيل (Q) التي حصل عليها من الرسل[16]، أو التي التقطها من شفاه الرسل أو من القديسين الأتقياء الذين عاصروا المسيح والذين استلم منهم العماد ووضع اليد بالروح القدس[17]. وهذه الوصايا التي ذكرها جميعاً يُجملها في النهاية بقوله: «... فليعلم (أن) ما أكتبه إليكم أنه **وصايا الرب**» (١كو١٤: ٣٧)، وهذا بمنتهى الوضوح.

ويقول العالم جوانس فايس أن بولس الرسول كان يرجع إلى أقوال المسيح في الوصايا السلوكية والأخلاقية والتنظيمية للمؤمنين ذات الطابع التقنيني باعتبارها معياراً مسيحياً ثابتاً ينبغي الإلتزام به. أما فيما يخص حياة المؤمنين فإنه كان يستوحي الروح القدس مباشرة بحسب غنى نعمة الله التي منحه الله إياها بوفرة[18].

«اذهبوا وتلمذوا جميع الأمم ... وعلموهم أن يحفظوا جميع ما أوصيتكم به»:

كذلك يلزم أن ننبه أن الوظيفة التي قام بها الرب قبل أن يتمم عملية الفداء بالصليب كانت التعليم. فاللقب الأول للرب هو «**المعلّم**» والرسل كانوا **تلاميذ**، باعتبار أنه كان يضع لهم بتعليمه وصايا **ذات طابع قانوني على مستوى الناموس**، ولكن أعلى منه، لكل نواحي الحياة السلوكية والتي جاءت بسلطان رئاسي هكذا: «قد سمعتم أنه قيل للقدماء ــ (سلطان الناموس) ــ وأما أنا فأقول لكم (بسلطان أعلى من الناموس)» (مت٥: ٢١)، حيث يُستشفُ من كلام المسيح أن الناموس وضعي من مستوى بدائي، أما وصايا الرب فهي من فوق بسلطان الله.

وليلاحظ القارىء أن مصدر التعليم عند اليهود اسمه «التلمود»، وهي كلمة عبرية موازية وذات نفس الأصل من كلمة «تلمذة» و«تلميذ» بالعربية. فوصايا الرب وتعليمه **لتلاميذه** هي التلمود الجديد الذي صار الإنجيل.

وهنا بولس الرسول يكاد يكون هو أول من قام يتمم أمر الرب الذي جاء في نهاية الأناجيل: «**فاذهبوا وتلمذوا جميع الأمم ... وعلّموهم أن يحفظوا جميع ما أوصيتكم به**» (مت٢٨:

(١٦) راجع صفحة ١٣٧.

17. M. Dibelius, *From Trad. to Gospel*, p. 242.
W.D.Davies, *Paul and Rabbinic Judaism*, p. 138-146.
18. *Hist. of Prim. Christ.*, pp. 153f, 459f.

١٩و٢٠). وهنا بقية الآية هي رأس مال بولس الرسول: «وها أنا معكم كل الأيام إلى انقضاء الدهر» (مت٢٨: ٢٠)، أي من يد معلم إلى يد معلم.

ثم إعادة وعد الرب بالنسبة لعطية الروح القدس التي نالها بولس الرسول أيضاً: «أما متى جاء ذاك، روح الحق، فهو يرشدكم إلى جميع الحق ... يأخذ مما لي ويخبركم» (يو١٦: ١٣و١٤)، كذلك: «وأما المعزّي الروح القدس الذي سيرسله الآب باسمي **فهو يعلّمكم كل شيء ويذكّركم بكل ما قلته لكم**.» (يو١٤: ٢٦)

وواضح من كلام بولس الرسول أنه يرجع في كل أمور تقنين السلوك والتنظيم للمؤمنين إلى أقوال الرب بمستوياتها الثلاثة المعروفة:
في مذكرات الرسل،
وتلك المسلّمة شفاهاً،
وتلك المستوحاة من فم الرب بالروح القدس «الناطق في الأنبياء»، والمتكلم فيهم حسب الوعد.

لذلك نستشف في كل مرة يعثر فيها بولس الرسول على مصدر تعليمي مباشر من الرب أن الكلام يأتي بسلطان وبروح رئاسي: «أنت بلا عُذر أيها الإنسان كلُّ مَنْ يدين» (رو٢: ١؛ راجع مت٧: ١)، أما إذا لم يكن أمامه هذا المصدر فنسمعه في الحال ينزل إلى مستوى نفسه باتضاع كثير: «وأما العذارى فليس عندي أمر من الرب فيهن، ولكنني أعطي رأياً كمن رحمه الرب أن يكون أميناً.» (١ كو٧: ٢٥)

كذلك في سياق الوصايا التي يعطيها بولس الرسول حينما يقول: «احملوا بعضكم أثقال بعض»، يوضح أنه ليس من نفسه يعطي وصايا العهد الجديد في مقابل الناموس، ولكنه يأخذ من المسيح، إما نقلاً أو سمعاً بالروح، فيقول: «وهكذا تمّموا ناموس المسيح» (غل٦: ٢)، مما يفيد أن هذه الوصية مأخوذة من ناموس المسيح التعليمي. وكلمة «**ناموس المسيح**» تكشف أعماق فكر بولس من جهة المسيح أنه صاحب التوراة الجديدة بأجلى بيان، فهي ليست كناموس موسى، أي عبارة عن قوانين حرفية محددة للتعامل مع الجسد والعبادة بالجسد دون التعامل روحياً مع الخطية قط، بل إن «**ناموس المسيح**» عند بولس الرسول هو «**ناموس روح الحياة في المسيح يسوع** قد أعتقني من ناموس (موسى) الخطية والموت!!» (رو٨: ٢). فإذا كان الناموس (القانون) روحياً (رو٧: ١٤)، فقد تلاشى فيه الحرف القاتل ليحل محله الروح المحيي الذي لا تحدُّه الكلمات ولا يمكن أن يصاغ في بنود تُطبّق تطبيقاً أعمى على كل الحالات كناموس موسى، بل هو عبارة عن

معايير روحية: محبة، وداعة، لطف، تحنن، شفقة، مشاركة، مغفرة، مسامحة، يأخذ منها كل إنسان ما يحتاجه أو ما ينقصه منها ليتغير إلى أفضل «تغيَّروا عن شكلكم بتجديد أذهانكم.» (رو١٢:٢)

كذلك فإننا كثيراً ما نعثر في سياق سرده الوصايا والتعاليم التي يقدمها على اصطلاح يقوله: «**بحسب المسيح يسوع**» أو «بحسب الرب»[19]. وكلمة «بحسب» هنا لا تفي بالمعنى، فالكلمة اليونانية الأصلية هي κατὰ ، وتفيد هنا «**بمقتضى فعل**»، فيصبح المعنى «**بمقتضى فعل المسيح**» أو «**بمقتضى فعل الرب**»، أو «بمقتضى فعل الله»، مثل: «لأن الحزن الذي بحسب (الأصح بمقتضى فعل) مشيئة الله يُنشىء توبةً، لخلاصٍ بلا ندامة، وأما حزن العالم فينشىء موتاً» (٢كو٧: ١٠)، وواضح هنا أن مثل هذا الحزن ينشأ من فعل مشيئة الله!!

وهذا يعني أن المؤمن الذي اعتمد **ولبس المسيح واتحد به**، أصبح ــ في الحقيقة ــ ليس في حاجة لوصيّة يتعلمها، لأنه يكون متعلماً من الرب كقول العهد القديم: «ولا يُعلّمون بعد كل واحد صاحبه وكل واحد أخاه قائلين اعرفوا الرب، **لأنهم كلهم سيعرفونني** من صغيرهم إلى كبيرهم، يقول الرب» (إر٣١: ٣٤). الرب هنا هو التوراة والتلمود والمعلم معاً. والقديس يوحنا الرسول يضعها هكذا: «وأما أنتم فالمسحة التي أخذتموها منه ثابتة فيكم **ولا حاجة بكم إلى أن يعلّمكم أحد، بل كما تعلّمكم هذه المسحة عينها عن كل شيء**، وهي حق وليست كذباً، **كما علّمَتْكُم تثبتون فيه**» (١يو٢: ٢٧و٢٩)، وهو الذي يشير إليه بولس الرسول في قوله، بعد ما أعطى رأيه: «ولكن إن مات رجلها فهي حرّة لكي تتزوج بمن تريد في الرب فقط، ولكنها أكثر غبطة إن لبثت هكذا بحسب رأيي، **وأظن أني أنا أيضاً عندي روح الله.**» (١كو٧: ٣٩و٤٠)

وهنا يتضح بقوة فكر بولس الرسول المنحصر في الرب يسوع المسيح باعتباره أنه هو التوراة الجديدة ــ الحكمة ــ سواء بالتعليم المباشر أو بالتعليم التوجيهي في الضمير بالروح.

---

(١٩) رو١٥: ٥، ٢كو١١: ١٧، كو٢: ٨.

الجزء الثاني

لاهوت بولس الرسول

تمهيد

المدخل للاهوت بولس الرسول

كما سبق وقلنا في المقدمة أن بولس الرسول لم يحسب نفسه لاهوتياً متفرغاً، بل حصر ذاته في الكرازة والتبشير: «لأن المسيح لم يرسلني لأعمِّد بل لأبشِّر» (١كو١: ١٧)، «لما سَرَّ الله الذي أفرزني من بطن أمي ودعاني بنعمته أن يعلن ابنه فيَّ لأبشِّر به بين الأمم، للوقت لم أستشر لحماً ودماً» (غل١: ١٥و١٦). لهذا جاء لاهوت القديس بولس الرسول حسب متطلبات البشارة ولا منهج له، لذلك فمن العبث أن نحاول وضع المناهج للاهوته، الذي جاء متفرقاً موزَّعاً على رسائله، ومعظم مقولاته اللاهوتية جاءت عفوياً. ويكفي للتدليل على ذلك أن **أعظم وأشمل مقولة لاهوتية** لبولس الرسول، هي تلك التي قالها **بصدد تعليمه أهل فيلبي التواضع** وتكريم الآخرين!! إذ أعطى ما عمله المسيح في نفسه نموذجاً، وهنا أورد ملخص حياة المسيح في سبق وجوده قبل التجسد ومساواته لله، ثم وصف التجسد وكيف تمَّ، وما هو، ثم كيف تأهَّل للصليب وما نتج عن الموت بالقيامة ثم الصعود، ثم تقييم المسيح كربٍّ واجب العبادة والسجود من السمائيين والأرضيين (في٢: ٥ـ١١).

هذا الكشف العالي المستوى للمسيح في لاهوته وتجسده وموته وقيامته وارتفاعه، قاله بولس ليعلِّم أهل فيلبي التواضع وتكريم بعضهم بعضاً!!!

إذاً فمدخل اللاهوت عند بولس لا يتبع أي منهج بأي مستوى، بل هو المسيح والمسيح نفسه الذي يتوهج نوره في فكر بولس وروحه فيأخذه نموذجاً لكل شيء، ومن هنا يأتي لاهوت بولس الرسول. فلاهوت بولس الرسول ليس تعليم المسيح ولا تقييم المسيح ولا تقييم أعمال المسيح، بل المسيح نفسه منظوراً في حياته وأعماله.

فأعظم ما عرفه بولس عن المسيح وكل ما حصل عليه من المسيح وكل ما استعلنه بالروح هو شيء واحد: أن المسيح أحبَّه، ثم مات من أجله: «أحبني وأسلم نفسه لأجلي.» (غل٢: ٢٠)

إن الفكر اللاهوتي للقديس بولس الرسول، إذا أردنا أن نحيط به ونحصره، فيمكن ذلك في آية واحدة: «أما نحن فلنا فكر المسيح» (١كو٢: ١٦). إن العمق اللاهوتي عند بولس الرسول، إذا أردنا أن نقيس أبعاده ونردَّه إلى أصوله في المسيح لنثق في أصالته، فهذا ممكن من آية واحدة: «فأحيا، لا أنا، بل المسيح يحيا فيَّ» (غل٢: ٢٠). وهكذا فإن كل شيء وكل عمل وكل توجيه وتقنين في لاهوت بولس الرسول هو: «في المسيح» و«مع المسيح». فإذا أردت أن تعرف مَنْ هو الإنسان المسيحي، فإن بولس الرسول يرد: هو الذي مات مع المسيح وقام مع المسيح. وإذا أردت أن تعرف ما هي الكنيسة، فإن بولس الرسول يرد: هي جسد المسيح، من لحمه وعظامه، ولها روح المسيح. وإذا أردت أن تعرف كيف ينبغي أن يعيش المؤمنون الآن، يرد بولس الرسول: لا يعيشون لأنفسهم بل لأجل المسيح الذي مات من أجلهم وقام. وإذا أردت أن تعرف ما هي نهاية كل شيء، وما هو مصيرنا فوق، يرد بولس الرسول: نكون معه كل حين.

هذا هو لاهوت بولس الرسول، وهذا هو منهجه إن صحَّ هذا التعبير: المسيح بشخصه الحي القائم من الأموات، منظوراً في حياته السابقة على تجسده، وفي تجسده، وفي موته وقيامته وارتفاعه وجلوسه عن يمين الآب في السموات؛ على أن لا يُلتفَت لأي عمل عمله المسيح منفصلاً عن المسيح أو بدون المسيح، بل ولا قيمة لأي تعليم أو مبدأ قال به المسيح بدون المسيح. وكأن لسان حال لاهوت بولس الرسول هو «**أعطني المسيح**» وأنا سأكون أعظم لاهوتي في العالم. والعكس يكون صحيحاً: إن كنت أعظم لاهوتي في العالم وأنا لا أحوز شخص المسيح في حياتي، فأنا لست من اللاهوت في شيء، وسأعثر في بولس وفي المسيح والله وكل الناس.

وكل ما كان يملأ فكر بولس الرسول وقلبه عن أهدافه في الكرازة بإنجيل المسيح لم يكن هو الفداء ولا الخلاص ولا المصالحة ولا التبرير بالإيمان، فهذه كلها بدون المسيح لا تُفْهَم ولا يكون لها عمل ولا أثر في الحياة، ولكن كان كل هدفه ورجائه وصلاته ودموعه وآلامه لكي يقبل الأمم «**المسيح**» قبولاً شخصياً في قلوبهم:

+ «الذي الآن أفرح في آلامي لأجلكم، وأُكمل نقائص شدائد المسيح في جسمي لأجل جسده، الذي هو الكنيسة، التي صرت أنا خادماً لها حسب تدبير الله المعطى لي لأجلكم، لتتميم كلمة الله. السرُّ المكتوم منذ الدهور ومنذ الأجيال، لكنه الآن قد أُظهر لقديسيه، الذين أراد الله أن يُعرِّفهم ما هو غنى مجد هذا السر في الأمم، الذي هو **المسيح فيكم** رجاء المجد» (كو١: ٢٤-٢٧). والمعنى واضح أن «**السر**» هو «**المسيح فيكم**»، وأن «**رجاء المجد**» هو «**المسيح فيكم**».

والآن ربما يسهل علينا أن نقنع القارىء لماذا يصبح لاهوت بولس الرسول في الوقت الذي دوّخ فيه أعظم لاهوتيي الغرب، هو عند البسطاء والأتقياء والشباب المتّقد بالروح يصبح ترنيمة عذبة، هو قصة حب، هو بنود عقد قران بين النفس العاشقة وإلهها المحبوب. والسبب يقوله بولس الرسول ويطلبه منّا بحرارة لنحصل ليس على معرفة لاهوت بولس فقط بل على كل ملء الله **!!**

+ «أحني ركبتيَّ لدى أبي ربنا يسوع المسيح ... لكي يعطيكم بحسب غنى مجده أن تتأيدوا بالقوة بروحه في الإنسان الباطن، **ليحل المسيح بالإيمان في قلوبكم**، وأنتم متأصلون ومتأسسون في المحبة، حتى تستطيعوا أن تدركوا مع جميع القديسين ما هو العرض والطول والعمق والعُلو، وتعرفوا محبة المسيح الفائقة المعرفة لكي تمتلئوا إلى كل ملء الله.» (أف ٣: ١٤-١٩)

هذا في رأينا هو المدخل الوحيد للاهوت بولس الرسول: «ليحل المسيح بالإيمان في قلوبكم» **!!** والمسيح عندما يحل في قلب إنسان أحبَّه وآمن به، يحل **«بلاهوته»** (لاهوت المسيح وليس لاهوت بولس الرسول)، بمعنى يحل **بكل غنى مجده**، يحل بوجوده السابق على التجسد، يحل بتجسده، يحل بكل تعليمه، يحل بآلامه، يحل بصليبه، يحل بموته، يحل بقيامته، يحل بارتفاعه وجلوسه عن يمين الآب، يحل بشفاعته الدائمة لدى الآب، يحل بنعمته وروحه القدوس.

ولكن أول ما يعلنه المسيح لمن أحبَّه هو كيف مات من أجله! لأن أعظم وأَجَلّ عمل قام به الآب من أجل العالم وتمّمه المسيح هو بذل ابنه لكي لا يهلك كل مَنْ يؤمن به. الفِدْية التي قدّمها المسيح بموته هي أعظم هبة وهبها الله للإنسان، لأن بموت المسيح أُنْقِذْنا من لعنة الخطية والموت ونلنا حياة جديدة. وموت المسيح باعتباره أعظم هبة وهبها الله للإنسان، فإن هذه الهبة تحمل بالضرورة كل الهبات الأخرى والعطايا وكل شيء: «الذي لم يشفق على ابنه بل بذله لأجلنا أجمعين، كيف لا يَهَبُنا أيضاً معه كل شيء» (رو ٨: ٣٢)؛ ويلاحظ القارىء هنا كلمة **«معه»**.

الباب الأول

المسيح والثالوث في لاهوت بولس الرسول

الفصل الأول

شخص المسيح في لاهوت بولس الرسول

من الفصول السابقة[١] يتضح لنا أن بولس الرسول استعلن في كلمات المسيح، سواء المنقولة أو المعلنة له بالروح، أنها الناموس الجديد أو التوراة الجديدة، الذي دمَغه بالروح وليس الحرف فأسْماه: «**ناموس روح الحياة في المسيح**» (رو٨: ٢)، ولكنه لم يفرِّق في كل تعامله مع وصايا المسيح بين كلمات المسيح وتعليمه وبين **شخص المسيح**. فقد ربط بولس الرسول بين تعاليم المسيح وشخصه، فبقدر ما نأخذ **عن** المسيح، بقدر ما نأخذ **منه** شخصياً. وأوضح مَثَل على ذلك جَعْلُهُ صفات المسيح وسلوكه هي بحد ذاتها أساس تعليمه الأخلاقي، كقوله: «فليكن فيكم هذا الفكر الذي في المسيح يسوع أيضاً» (في٢: ٥)، «أطلب إليكم بوداعة المسيح وحلمه» (٢كو١٠: ١)، «لأن المسيح أيضاً لم يُرْضِ نفسه» (رو١٥: ٣)، «... أنه من أجلكم افتقر وهو غني» (٢كو٨: ٩). وهكذا يتراءى لنا أن حياة المسيح وصفاته وكلماته كانت عند بولس الرسول وحدة واحدة يأخذ منها لنفسه أولاً ثم يعطي الآخرين. وهذا تماماً هو ما كانت عليه صنعته في الفريسية تجاه التوراة والناموس. فالمسيح ملأ كل فراغ الناموس (التوراة)[٢] في قلب بولس الرسول عندما اكتشف نهاية الناموس وعدم نفعه؛ الأمر الذي كشفه المسيح للتلاميذ منذ بدء خدمته، عندما قدم عظته على الجبل — في إنجيل متى — في مقابل عظة موسى بالناموس على الجبل أيضاً، بل واعتنى المسيح بقوة وتأكيد أن يبيِّن أن هذه جاءت لتحل محل تلك بقوله بتكرار مقصود: «قيل للقدماء ... **وأما أنا فأقول لكم**». فإن كان القديم قد قيل بفم موسى عن تلقين من فم الله، إذاً فبكل مقياس يقف المسيح هنا كمشرِّع يتكلم بفم الله مباشرة ليضع نهاية للقديم ليحلَّ محله الجديد. الأول كان للجسد والأرض كوطن، والثاني للروح والسماء كوطن.

وكما كانت التوراة («الناموس» في السبعينية) تعني لليهودي كل ما استعلنه الله لمعرفة

---

(١) راجع صفحة ١٥٠.

(٢) يلزم أن ننتبه غاية الانتباه أن النسخة السبعينية للتوراة غيَّرت كلمة «التوراة» **Tôrah** إلى «الناموس» = νόμος .

طبيعته الشخصية وأفكاره وأغراضه وعن ما يريده للإنسان أن يكون عليه وأن يعمله(٣)؛ هكذا عرَّف القديس بولس المسيح، الذي استعلن طبيعة الله وأفكاره ومشيئته من نحو تجديد خلقة الإنسان وميراثه السمائي، بأنه هو التوراة الجديدة. ومن هذا ندرك كيف رأى بولس الرسول في المسيح وأقواله وأعماله كل ما كان يراه الفريسيون في التوراة القديمة.

أ ــ المسيح حكمة الله (كما جاء في سفر الأمثال):

يجيء النص الذي أورده بولس الرسول في رسالته لكولوسي وهو يصف المسيح من حيث طبيعته وأعماله السابقة على تجسده مطابقاً لما جاء في سفر الأمثال عن الحكمة هكذا:

+ « **الذي هو صورة الله غير المنظور، "بكر كل خليقة"،**
فإنه فيه خُلِقَ الكل ما في السموات وما على الأرض، ما يُرى وما لا يُرى.
سواء كان عروشاً أم سيادات أم رياسات أم سلاطين، الكل به وله قد خُلِقَ،
الذي هو قبل كل شيء، وفيه يقوم الكل. وهو رأس الجسد الكنيسة
الذي هو "البداءة" ἀρχή بكرٌ من الأموات،
لكي يكون هو متقدماً في كل شيء. **لأنه فيه سُرَّ أن يحل كل الملء.**» (كو ١: ١٥ــ١٩)

ثم نورد هنا ما جاء في سفر الأمثال بخصوص الحكمة التي استرعت فكر بولس الرسول موقَّعة على نفس النغم:

+ « أنا الحكمة ... **الرب قناني أول** ἀρχή **طريقه من قبل أعماله**
منذ القدم **منذ الأزل مُسحتُ، منذ البدء**
منذ أوائل الأرض إذ لم يكن غمر أُبدئتُ
إذ لم تكن ينابيع كثيرة المياه، من قبل أن تقررت الجبال قبل التلال أُبدئتُ.
إذ لم يكن قد صنع الأرض بعد ولا البراري ولا أول أعفار المسكونة.
لما ثبَّت السموات كنت هناك أنا
لما رسم دائرة على وجه الغمر
لما أثبت السحب من فوق
لما تشدَّدت ينابيع الغمر

---

3. Moose G.F., vol. I, p. 263 quoted by W.D.Davies, *op. cit.*, p. 149.

لما وضع للبحر حدَّه فلا تتعدّى المياه تُخُمه
لما رسم أسس الأرض
كنت عنده صانعاً،
وكنت كل يوم لذته، فَرِحة دائماً قدامه
فَرِحة في مسكونة أرضه، ولذّاتي مع بني آدم! » (أم٨:١٢ و٢٢—٣١)

ومن أغنى المفهومات الإلهامية عند الربيين اليهود اعتبار ما جاء في سفر الأمثال هو عن التوراة. هذا كان يدركه بولس قبل أن يشتغل بالإيمان المسيحي ويتعرف على الرب من السماء، فلما دخل الإيمان المسيحي ابتدأ الروح القدس يفتح ذهنه ليفهم المكتوب ويطبّق ما درسه في التوراة على المسيح وبالأخص هنا سفر الحكمة.

وفي دراسة الربيين كانوا قد استخلصوا من سفر الأمثال قوله: « الرب قناني **أول** ἀρχή طريقه»، حيث كلمة «أول» تأتي بالعبرية rêshîth، إن «أول» هنا أي الـ «رشيت» هي نفسها «**الأول**» التي جاءت في أول كلمة في سفر التكوين: «**في البدء** خلق الله السموات والأرض» (تك١:١)، حيث «في البدء» تأتي في العبرية Berêshîth برشيت. إذاً، فمطلع سفر التكوين هو بعينه: «**الرب قناني أول طريقه**». من هنا خرج الحكماء اليهود بحقيقة أطلقوها كأحد أسرار التوراة، **أن التوراة هي أول خلقة الله**؛ وأن سفر الأمثال في هذه الآية يعطي مفتاح حل لغز سفر التكوين.

يقول معلم الناموس رابي هوشايا تعليقاً على سفر الأمثال ٨:٢٢: [كنت أداة الصنعة عند الواحد القدوس ... فالواحد القدوس كان ناظراً إلى الناموس عندما خلق العالم، لأن الناموس يقول: «في البدء = برشيت = Berêshîth خَلَق الله» (تك١:١) ولا يوجد «رشيت» = بَدْء إلاَّ الناموس. وعليك أن تعود إلى قول سفر الأمثال ٨:٢٢ لتقرأ: الرب قناني = صنعني أول رشيت Rêshîth طريقه](٤).

فإذا علمنا أن المتكلم في سفر الأمثال: «الرب قناني أول طريقه» هو الحكمة: «أنا الحكمة» (أم٨:١٢)، يسهل علينا أن ندرك ما استقر عليه فهم الربيين أن التوراة هي الحكمة التي «كانت في البدء»، والتي بها خلق الله السموات والأرض وكل شيء.

والآن بمراجعة سريعة على الفصل السابق (ص ١٥٠)، نرى أن بولس الرسول حينما أدرك سر

4. C.F.Burney, *JTS* (1926), vol. XXVII, cited by Davies, *op. cit.*, p. 172.

التوراة الحقيقية «برشيت» و «الحكمة» في المسيح، استقر بالضرورة على أن **المسيح هو حكمة الله** (١كو١: ٢٤).

ولكن ليست المسألة هنا مجرد استقراء استقراه بولس بفكره، ولكن الأمر أخطر وأهم وأعمق بكثير من مجرد استقراء، فالمسيح نفسه هو الذي اعتبر نفسه الحكمة في سفر الأمثال، وما علينا إلاَّ أن نضع هاتين الآيتين تحت عيني القارىء ليستقرىء بنفسه الحقيقة دون عناء:

إنجيل القديس لوقا ١١: ٤٩: حيث الحكمة هي المتكلمة:

«لذلك أيضاً قالت **حكمة الله** إني أرسل إليهم أنبياء ورسلاً فيقتلون منهم ويطردون».

إنجيل القديس متى ٢٣: ٣٤: حيث المسيح نفسه هو المتكلم:

«لذلك ها أنا (المسيح) **أرسل** إليكم أنبياء وحكماء وكتبة فمنهم تقتلون وتصلبون ومنهم تجلدون في مجامعكم وتطردون من مدينة إلى مدينة».

لذلك فرؤية بولس الرسول أن **المسيح هو حكمة الله** هي رؤية حقيقية إلهية مستعلنة على خلفية اجتهاد ومعرفة وإلهام، ولكن لها أصل وترديد من فم المسيح نفسه!!

من أجل هذا جاء الوثوق والسلطان والشهادة في تقرير بولس الرسول لهذه الحقيقة مع تكرار وتوضيح:

«بالمسيح يسوع الذي صار لنا **حكمة من الله** وبرا وقداسة وفداء.» (١كو١: ٣٠)

«فبالمسيح قوة الله **وحكمة الله**.» (١كو١: ٢٤)

«المسيح المذّخر فيه جميع كنوز **الحكمة والعلم**.» (كو٢: ٣)

والذي يقرِّب إلى الذهن كيف اعتبر بولس الرسول **«الحكمة»** باعتبارها التوراة، منطبقة على المسيح بحسب ما جاء في الأمثال «كنت عنده صانعاً»، أن **الحكمة** تأتي في بعض الأسفار الثانوية الأخرى مشخَّصة ــ تجاوزاً ــ بشخص ذي تمييز، وحيث تظهر من بعد أن كانت «صانعاً» (مذكر سالم) للخليقة كلها في السماء والأرض، «ولذَّتها (مؤنث) في بني آدم» ككل، تعود هذه الأسفار الأخيرة وتحدد عمل الحكمة وسكناها في إسرائيل فقط دون جميع الشعوب. ونعطي مثلاً لذلك:

سفر أخنوخ وهو سفر عبري يعتبر من الأسفار الثانوية للعهد القديم؛ وهو مصدر من المصادر الرؤيوية في التعليم اليهودي، وكان ذا أهمية كبرى لدى الربيين، يأتي فيه قول الحكمة:

+ « خرجت من فم العلي وكالضباب غطيت كل الأرض،
ووحدي أحطت بكل دائرة السموات،
وفي أعماق الهاوية تمشيت،
على أمواج البحر وفوق الأرض،
وعلى كل إنسان وأمة جعلت سلطاني،
وفيها كلها بحثت عن مكان لراحتي،
وقلت: لميراث مَنْ يكون سكناي؟
حينئذ أعطاني خالق الكل
والذي خلقني حدد مكان سكناي قائلاً
ليكن سكناكِ في يعقوب وفي إسرائيل ميراثك».

وفي الآخر يأتي التعقيب ليوضح أنها التوراة هكذا:

+ « **هذه كلها هي كتاب عهد الله العلي، الناموس الذي أوصى به موسى ميراثاً لجماعة يعقوب.** » (أخنوخ ٢٤: ٢٣)

وهذا السفر (أخنوخ) يصوِّر هنا الحكمة بأنها، وبعد أن خلقت السماء والأرض، أخذت تجول في كل السماء والأرض لتجد لنفسها مكاناً للسكنى وشعباً تورثه نفسها فاختار الله لها إسرائيل.

وهذا في الحقيقة ينطبق على قول سفر التثنية لإسرائيل:

« أنظر قد علَّمتُكم فرائض وأحكاماً كما أمرني الرب إلهي، لكي تعملوا هكذا في الأرض التي أنتم داخلون إليها لكي تمتلكوها، **فاحفظوا واعملوا لأن ذلك حكمتكم وفطنتكم أمام أعين الشعوب.** » (تث ٤: ٥و٦)

فاليهود أدركوا أن الحكمة التي أبدع بها الله الكون لإخراج بديع صنائعه في السموات والأرض الناطقة **بحكمته ولاهوته** (كما يراها بولس الرسول في رو١: ١٩و٢٠)، استودعها في النهاية **كتابه**، أي في التوراة، ليستعلن بالتوراة المقروءة والمفهومة ما تستعلنه السماء والأرض وكل ما فيها من حكمة الله. بهذا أدرك اليهود أن الناموس الذي استودعه الله في أيديهم واستأمنهم على سر حكمته فيه إنما هو **تجسيدٌ فكريٌّ لحكمته الفائقة**[٥]، التي بها خلق السموات والأرض.

---

5. E.Bevan. *Jerusalem under the High Priests*, pp. 60f, cited by Davies, *op. cit.*, p. 169.

والآن إذا عدنا إلى ما قاله بولس الرسول بعد أن استُعلن له المسيح فأدرك فيه التوراة الحقيقية، حكمة الله وقوة الله، نجد التطابق على أشد ما يكون بكلياته وجزئياته:

+ «الذي هو صورة الله غير المنظور بكر كل خليقة،
فإنه فيه خُلق الكل ما في السموات وما على الأرض،
ما يُرى وما لا يُرى، سواء كان عروشاً أم سياداتٍ أم رياساتٍ أم سلاطين،
الكلُّ به وله قد خُلق،
الذي هو قبل كل شيء، وفيه يقوم الكل،
وهو رأس الجسد الكنيسة (شعب الله الجديد):
الذي هو البداءة بِكْرٌ من الأموات، لكي يكون هو متقدماً في كل شيء.
لأن فيه سُرَّ أن يحل كل الملء.» (كو١: ١٥–١٩)

+ «إذ عرَّفنا بسر مشيئته حسب مسرَّته التي قصدها في نفسه، لتدبير ملء الأزمنة، ليجمع كل شيء في المسيح ما في السموات وما على الأرض في ذاك.» (أف١: ٩و١٠)

وقد جمع بولس الرسول في إدراكه للمسيح — كحكمة الله الكلية — بين خلقة العالم القديم الأولى بسمائه وأرضه والإنسان فيه، مع الخلقة الجديدة للإنسان.

فهو بداءة «برشيت» الخلقة الأولى: «بكر كل خليقة، فإنه فيه خُلِق الكل».

وبداءة (بكر) الخلقة الجديدة للحياة الأبدية بالقيامة من الأموات: «الذي هو **البداءة بكر** من الأموات...».

إن هذه الإلهامات المتتابعة لبولس الرسول عن المسيح، بصفته حكمة الله الفائقة، تتجمع في بؤرة واحدة، حيث يتركز نور الاستعلان على المسيح كغاية ونهاية وكمال لكل أعمال الله، جسدية كانت أو روحية:

«لي ... أُعطيتْ هذه النعمة أن أُبشِّر بين الأمم بغنى "المسيح" الذي لا يُستقصى، وأُنير الجميع في ما هو شركة السر المكتوم منذ الدهور في الله "**خالق الجميع بيسوع المسيح**" لكي يُعرَّف الآن عند الرؤساء والسلاطين في السماويات بواسطة الكنيسة "**بحكمة" الله المتنوعة** حسب قصد الدهور **الذي صنعه في المسيح يسوع ربنا**.» (أف٣: ٨–١١)

ب ــ شخص المسيح عند بولس الرسول يعلو فوق كل شيء:

بعد أن كان بولس يحسبه فخراً له منتهى الفخر، أن يحطَّ من قدر ذلك الناصري المصلوب وأن يضطهد أتباعه حتى الموت، هكذا ينقلب على نفسه ليقع صريعاً لحبه ويحسبه فخراً لنفسه كل الفخر أن يُدْعَى عبداً ليسوع المسيح (رو ١:١)، بل عبداً لكل الناس من أجل يسوع المسيح (٢كو ٤:٥).

إن بولس الرسول لا يسمح لفكر مهما كان أن يضع المسيح في مستوى مخلوق مهما علا وسما:

+ «إذ أقامه من الأموات وأجلسه عن يمينه في السماويات **فوق كل رياسة وسلطان وقوة وسيادة وكل اسم يُسَمَّى ليس في هذا الدهر فقط بل في المستقبل أيضاً.**» (أف ١:٢٠و٢١)

+ «الذي نزل هو الذي صعد أيضاً **فوق جميع السموات لكي يملأ الكل.**» (أف ٤:١٠)

+ «**لأن فيه سُرَّ ــ الله ــ** أن يحل كل الملء وأن يصالح به الكل لنفسه عاملاً الصلح بدم صليبه بواسطته، سواء كان **ما على الأرض أم ما في السموات.**» (كو ١:١٩و٢٠)

+ «لذلك رفَّعه الله أيضاً وأعطاه **اسماً فوق كل اسم، لكي تجثو باسم يسوع كل ركبة ممن في السماء ومَنْ على الأرض ومَنْ تحت الأرض (الجحيم).** ويعترف كل لسان أن يسوع المسيح هو رب لمجد الله الآب.» (في ٢:٩ــ١١)

+ «ومنهم المسيح حسب الجسد **الكائن على الكل إلهاً** مباركاً إلى الأبد آمين.» (رو ٩:٥)

وهنا كلمة «الكل» تشمل مَنْ على الأرض ومَنْ في السموات، فهو رئيس جند الرب وخالق الجميع.

هذه هي صورة يسوع المسيح عند بولس الرسول يطلقها شهادة مدوِّية على الأرض لتبلغ عنان السماء؛ لا يمكن أن يزايد في هذا أحد على بولس قط، ولا مجال لإضافة حرف واحد على مصنَّف هذه التعبيرات اللاهوتية التي أحاط بها المسيح ليجلو الحق فيه قدر ما رأى وعلم وشاهد وشهد.

وعبثاً يحاول أي مجتهد أن يستقصي خط نمو هذه المعرفة عند بولس الرسول وكيف أتته. فحالما استعلن المسيح ذاته لبولس على طريق دمشق، استوى المسيح إلهاً على عرشه عند بولس فلم يَعُدْ يدانيه مخلوق، وهو هو بنفسه مسيح الناصرة، الجليلي المصلوب القائم من بين الأموات! كيف هكذا وبهذه السرعة البالغة القياس صار المسيح لبولس والعالم «إلهاً مباركاً على الكل»؟ فلا عثرة الصليب استوقفته، ولا قسوة تراثه اليهودي في انحصاره بحدود «يهوه» حدَّدته، ولا سطوة السنهدريم أرهبته. ومن ذا يعلم تماماً إلاَّ بولس الرسول أن تأليه إنسان هو له بمثابة حكم بالإعدام،

كما أن حتى تأليه الملوك هو رِجْسة الخراب كما علَّم دانيال النبي؟ بل وعند المسيحيين أيضاً، إذ يُحسَبُ كل سجود أو عبادة لغير الله وحده ــ كما قال الملاك ليوحنا في سفر الرؤيا (رؤ٢٢: ٩) ــ هي رِدَّة لعبادة الوحش.

وبولس الرسول حينما قال بألوهية المسيح لم يفرِّط قط في وحدانية الله، فهو صاحب الشهادة الأُولى في الكنيسة: «لنا إله واحد، الآب الذي منه جميع الأشياء ونحن له، وربٌّ واحد يسوع المسيح الذي به جميع الأشياء ونحن له» (١كو٨: ٦). وهذه الشهادة التي شهد بها بولس الرسول لا تزال تشهد بها الكنيسة في كل أنحاء العالم إذ صارت **«قانوناً للإيمان»** الذي مطلعه: [بالحقيقة نؤمن بإله واحد الله الآب ... نؤمن برب واحد يسوع المسيح ابن الله الوحيد ...].

والقول بالربوبية للمسيح أي **«المسيح ربٌّ»** عند بولس الرسول هو التقييم اللاهوتي عن سبق الوجود للمسيح قبل التجسد. و«الرب» بالمفهوم العبري القديم هو اسم «يهوه» مترجماً إلى «رب = أدوناي(٦) = Κύριος» للتخلص من رهبة ومخافة النطق باسم «يهوه»، وهذا يؤدي إلى فك رمز شخصية المسيَّا عينها ــ كربٍّ ــ فهو الشخص الحامل لاسم يهوه المعبَّر عنه والحامل لصورة الله وكل صفاته وأعماله، الذي بالتجسد صار ــ لله غير المنظور ــ المنظور الذي يستطيع أن يتطلع إليه الإنسان ولا يموت: «الذي رآني فقد رأى الآب.» (يو١٤: ٩)

ج ــ سبق وجود المسيح:

التعبيرات اللاهوتية التي عبَّر بها بولس الرسول دون قصد عن سبق وجود المسيح قبل تجسده:

+ «صادقة هي الكلمة ومستحقة كل قبول أن **"المسيح يسوع جاء إلى العالم"** ليخلِّص الخطاة الذين أولهم أنا.» (١تي١: ١٥)

هنا مجيء المسيح إلى العالم لمهمة عامة بالنسبة للإنسان يفيد سبق وجوده قبل ظهوره.

+ «بالإجماع عظيم هو سر التقوى: **الله ظهر في الجسد ...**» (١تي٣: ١٦)

هنا ظهور الله في الجسد يعني تجسد المسيح. فالمسيح قبل تجسده كان بلا جسد في ملء لاهوته.

+ «فإنكم تعرفون نعمة ربنا يسوع المسيح أنه **من أجلكم افتقر وهو غني** لكي تستغنوا أنتم

(٦) أنظر كتاب: «المدخل لشرح إنجيل القديس يوحنا»، للمؤلف، ص ٢٢٢.

بفقره.» (٢ كو٨: ٩)

هنا احتساب التجسد أنه بلوغ فقر بعد غنى، فالغنى يعني وجوداً سابقاً في مجد لاهوته.

+ «فالله إذ أرسل ابنه في شبه جسد الخطية ولأجل الخطية دان الخطية في الجسد.» (رو٨: ٣)

هنا قبل أن يرسل الله ابنه ليتجسد في شبه (بسبب كلمة خطية) جسد الخطية ــ كان الابن ــ المسيح ــ موجوداً دون تجسد.

+ «ولكن لما جاء ملء الزمان **أرسل الله ابنه مولوداً** من امرأة، مولوداً تحت الناموس.» (غل٤: ٤)

هنا كالآية السابقة قبل أن يولد المسيح يهودياً كان موجوداً مع الله، الابن الوحيد المحبوب دون جسد.

+ **«الذي إذ كان في صورة الله لم يحسب خلسة أن يكون معادلاً لله لكنه أخلى نفسه آخذاً صورة عبد...»** (في٢: ٧)

هذا يعني أنه لم يكن فقط موجوداً قبل تجسده بل كان قائماً دائماً في صورة الله قبل أن **يخلي نفسه** من مجد لاهوته ليتجسّد. وطبعاً محال، ألف محال، أن يأخذ الإنسان لنفسه بنفسه صورة الله كما هو محال أن يفقدها.

+ «يسوع المسيح هو هو أمساً واليوم وإلى الأبد.» (عب١٣: ٨)

هذا يعني أنه من الأزل وإلى الأبد، فكما أن له سَبْقَ وجود على تجسده فله الوجود الأبدي بالرغم من تجسده.

+ «الذي هو صورة الله غير المنظور، بِكْرُ كل خليقة.» (كو١: ١٥)

في هذه الآية المختصرة يوضح بولس الرسول علاقة المسيح بالله وعلاقته بالخليقة بآن واحد، فبالنسبة لله هو المنظور الإلهي لغير المنظور الإلهي، صورة يمكن فيها ومنها رؤية الله غير المنظور، ككلمة مسموعة ومفهومة تُظهر ما خَفِي في فكر الله، وكصانع أعمال ومعجزات يُرى ويُحس منها الله صانع الأعمال والمعجزات التي تفوق التصور والإحساس. فإحدى خصائص المسيح أنه الشخص الواقف بين الله الآب الذي لا يُرى وبين الإنسان الذي لا يفهم ولا يعي إلاَّ ما يَرَى. فوجه المسيح المتجه إلى الآب إلهيٌّ محض، ووجهه الذي يتراءى لذوي العيون المفتوحة «الله ظهر في الجسد»، هو بالنسبة لله حسب مداركنا ابن حقيقي في ذات الله المنزَّهة عن الولودة، وبالنسبة لنا ابن حقيقي يفوق معنى الولادة ويتعدى ضعفها ومواتها. فهو بالرؤية المتسعة بِكْرُ الله لأنه الابن

الوحيد الذي يمثل الآب ويتكلم باسمه، وبالرؤية المتميِّزة بكر الخلائق طُرًّا، لأنه يمثل الخلائق ويتكلم باسمها.

وهذا التعبير لا يحمل على وجه الإطلاق معنى أنه بكر بين الخلائق، بل بتحديد المعنى تماماً: **بِكْرٌ، أي قبل أو على، كل الخلائق**؛ الذي يحمل المعنى في الحال **أنه ليس معدوداً بين الخلائق** بل متقدماً ومترئساً، وأنه **يحمل وجوداً فائقاً وسابقاً على كل الخلائق** ــ وهذا بحسب المنطق السليم؛ لأنه إذا كان قول بولس أنه بكْر كل خليقة يحمل معنى أنه من الخليقة بالتبعية، فماذا يكون لو لم تكن الخليقة؟ هل كان يفقد ابن الله وجوده؟ بولس يحذِّر من ذلك فيكمِّل بقوله مباشرة: «فإنه فيه خُلق الكل ما في السموات وما على الأرض»؛ «**الذي هو قبل كل شيء** وفيه يقوم الكل» (كو١: ١٦و١٧). وهذه كلها تستعلن وجوده السابق على كل الوجود. فالآن إذا كان وجوده فائقاً وحراً من كل خليقة وسابقاً عليها وعلَّة وجودها وهذه حقيقة أكَّدها بولس الرسول قائلاً: «الكل به وله قد خُلِق» (كو١: ١٦)، فماذا يكون معنى «بكر كل خليقة»؟ إلاَّ أنه يعني كونه الممثل والمتقدم على كل ولكل الخلائق لدى الله، يحمل كيانها في ذهنه وفي قلبه لأنها أخذته من يديه، وهو الذي صنعها ولا يزال متكفِّلاً بها ويحمل همَّها وعجزها إن عجزت ككلٍّ مخلوق، وكل خليقة أثبتت عجزها وقصورها عن بلوغ الكمال على طول المدى، إن كانت الملائكة، وإن كانت البشرية، لأن هذا هو الفارق بين الخالق والمخلوق. وهي ــ كما يقول بولس الرسول ــ تئن إلى الآن وتتمخض منتظرة كمال عمل المسيح لكمال فداء الإنسان وتصحيح موقفه النهائي أمام الله، باعتبار الإنسان المسئول عن سقوطها بسقوطه، فيتصحَّح موقفها بتصحيح موقفه بالتالي وتتخلص من عجزها: «لأن انتظار الخليقة يتوقع استعلان أبناء الله إذ أُخضعت الخليقة للبُطل، ليس طوعاً، بل من أجل الذي أخضعها (الإنسان) على الرجاء. لأن الخليقة نفسها أيضاً ستُعتق من عبودية الفساد إلى حرية مجد أولاد الله. فإننا نعلم أن كل الخليقة تئن وتتمخض معاً إلى الآن، وليس هكذا فقط بل نحن الذين لنا باكورة الروح، نحن أنفسنا أيضاً نئن في أنفسنا متوقعين التبني فداء أجسادنا.» (رو٨: ١٩ــ٢٣)

وهذا واضح من قول بولس الرسول بعد ذلك عن كيف أن الله أرسل ابنه متجسداً وهو في ملء لاهوته «**ليصالح به الكل** لنفسه عاملاً الصلح بدم صليبه بواسطته، سواء كان **ما على الأرض أم ما في السموات.**» (كو١: ٢٠)

واضح هنا أن المسيح لما تجسَّد، تجسَّد ليصنع صلحاً بين الخليقة كلها في السماء والأرض، منظورة وغير منظورة، يصالحها بالله بمعنى يكمِّل من نفسه وبنفسه عجزها. فإن كان دم المسيح ابن

الله قد جبر نقصان الخليقة كلها مَنْ في السماء ومَنْ على الأرض وصالحها بالله، فكيف لا يُدعى بِكْرَها، ودمه أصبح الجزء الأساسي في جبر نقصانها وإصلاح فسادها، وصورته أصلحت صورتها بقدر ما في صورته من ألوهة!؟

إذاً، حقٌ للمسيح سواء في وجوده السابق لتجسده(٧) أو بعد تجسده(٧) أن يُدعى:

أولاً: بكر الله، هو كما هو، لأنه الابن الوحيد لا عن ولودة بل عن كيان ذاتي متأصل في كيان ذات الله، كآب وابن معاً لا ينقسمان ولا ينفصلان.

ثانياً: بكر كل خليقة، لا عن ولودة بل ككيانٍ يحمل في ذاته كل كيان الخليقة بكل صورها!

اسمع بولس وهو يصف كيانه الذي يحمل كل كيان: «وفيه يقوم الكل» (كو١: ١٧)، «حامل كل الأشياء بكلمة قدرته» (عب١: ٣). وعليك أن تتذكر أيها القارىء العزيز كيف قال المسيح عندما لمسته المرأة النازفة الدم فشُفِيَتْ في الحال: «إن قوة قد خرجت مني» (لو٨: ٤٦). فإن كانت قوة خرجت من صميم كيانه لتشفي مريضة، فكم وكم خرجت منه قوة عندما خَلَقَ؟ فالخليقة كلها تمثل قوة المسيح كما يمثل المسيح قوة الآب.

وهكذا فإن بولس الرسول يستخدم صفة «بِكْر» بمعنى شديد الواقعية ولكن بعمق يتجاوز ظاهر الاسم وحدود التعبير البشري، فأنت ترى أن بولس الرسول، حتى بالنسبة للأموات، يعتبر المسيح بِكْراً كأول من قام من الأموات. ولكن يتحتم أن ننتبه أيضاً أنه وإن كان بكراً من بين الأموات بمعنى أول مَنْ قام، فهو ليس على مستوى الذين يقومون وسيقومون، بل هو **ربُّ القيامة** وقوتها ورب الحياة: «أنا هو القيامة والحياة» (يو١١: ٢٥)، وأن كل قيامة حدثت وتحدث وستحدث هي مستمدة من قيامته. وإنه وإن قال بولس الرسول: «لأن الذين سبق فعرفهم سبق فعيَّنهم ليكونوا مشابهين صورة ابنه، ليكون هو **بكراً بين إخوة كثيرين**» (رو٨: ٢٩)، فالمعنى هو أنه بالتجسد والفداء وبإشراكنا في موته وقيامته أراد الله أن يعطينا صورة ابنه في كل شيء، إن في الموت أو القيامة أو حتى المجد، ليكون هو الأخ الأول كرأس البشرية الجديدة المُفْتدية، وهو الذي يقودها نحو الآب في موكب نصرته لتشاركه ميراث بنوَّته لله. ولكن حتى وبعد ذلك، فنحن لا نُحسب

---

(٧) لوحظ أن جميع الآباء القديسين فيما قبل نيقية قالوا بأن صفة البكر هي خاصة للمسيح قبل تجسده ومنهم: يوستين الشهيد، ثاوفيلس الأنطاكي، اكلمندس الإسكندري، ترتليان، هيبوليتس، أوريجانوس، كبريانوس.

وفي نفس الوقت انفرد آباء نيقية وما بعد نيقية بتخصيص البكر للمسيح بعد التجسد ومنهم القديسون: أثناسيوس، اغريغوريوس النيسي، كيرلس الإسكندري، يوحنا ذهبي الفم، أغسطينوس.

أبداً على مستواه في البنوَّة، بل مجرد متبنَّين. فنحن وإن بلغنا صورة ابنه وصرنا بالتالي إخوة له، فليس معنى ذلك أننا لما حملنا صورته صار هو أخاً لنا على مستوانا، بل هو إخلاء وتنازل نزل به إلينا ليرفعنا إليه، فحتى وإن صار مثلنا في كل شيء إلاَّ أنه يظل هو كما هو صورة الله، ربًّا تسجد له كلُّ ركبة مما في السماء وعلى الأرض.

وبولس أيضاً حينما يتكلم عن كنيسة الأبكار في السماء ἐκκλησίᾳ πρωτοτόκων (عب١٢: ٢٣)، فهنا تلميح واضح أنها كنيسة البِكْر المخصصة للأبكار، بمعنى أن كل المسيحيين الذين نالوا حق القيامة من الأموات وانتقلوا من الموت إلى الحياة، نالوا بالتالي وبالحري حق الاشتراك في الاسم والصفات، يظل هو المسيح وهم المسيحيين، وهو البكر وهم الأبكار، وهو الكاهن والملك وهم «الملوك والكهنة» لله العلي، وهو الابن وهم أبناء، أليس هذا قول بولس الرسول: «ليكون هو **بكراً بين إخوة** كثيرين»؟

وداود النبي يراه بِكراً على كل ملوك الأرض بمعنى المتقدِّم في الملوكية — على ذات النوع — المتفوِّق والمتولي والمدبِّر: «وأجعل على البحر يده وعلى الأنهار يمينه، هو يدعونني أبي أنت، إلهي وصخرة خلاصي. أنا أيضاً أجعله بكراً أعلى من ملوك الأرض» (مز٨٩: ٢٥—٢٧). واضح جداً في هذا التعبير النبوي مدى التفوق النوعي للمسيح.

وعلى نفس هذا المعنى الذي تحويه كلمة «**بِكْر**» من الأولوية والسيادة والشمولية بآن واحد، يقول بولس الرسول أيضاً في سفر العبرانيين: «الله بعد ما كلَّم الآباء بالأنبياء قديماً ... كلَّمنا في هذه الأيام الأخيرة في ابنه **الذي جعله وارثاً لكل شيء**» (عب١: ١و٢)، وهو نفس التعبير الذي قاله في رسالة أفسس: «لتدبير ملء الأزمنة **ليجمع كل شيء في المسيح** ما في السموات وما على الأرض في ذاك» (أف١: ١٠). فكون المسيح يقوم على الكل ويرث الكل ويجمع الكل وذلك بالنهاية أمام الله، فهذه هي النتيجة الحتمية المباشرة لكونه هو «خالق الكل»، فالعلاقة بين **خلقة** كل شيء **وتمثيل** كل شيء أمام الله حتمية، وهو لا يمثِّل كل خليقة كغريب عنها بل كمن يحمل كيانها في كيانه، وصورتها في صورته، وحبها في أحشائه، وهمَّها في صميم عنايته وتدبيره. هذا هو بكر كل خليقة: «حاملٌ كل الأشياء بكلمة قدرته.» (عب١: ٣)

د ــ المسيح ربٌّ:

+ «أمين هو الله الذي به دُعيتم إلى شركة ابنه يسوع المسيح **ربنا.**» (١كو١: ٩)

+ «وتعيَّن **ابن الله** بقوة من جهة روح القداسة بالقيامة من الأموات، يسوع المسيح **ربنا.**» (رو١: ٤)

هذا هو **التعبير الكامل** عن المسيح عند بولس الرسول: «ابن الله يسوع المسيح ربنا».

+ وقد جاء التعبير المبسط **«ربنا يسوع المسيح»** أربعاً وأربعين مرة في رسائل بولس الرسول في مقابل إحدى عشرة مرة في الرسائل الأخرى (المسماة بالرسائل الكاثوليكية أي الجامعة)، وهي رسائل القديسين بطرس ويعقوب ويوحنا ويهوذا.

+ وجاء التعبير أكثر اختصاراً **«الرب يسوع المسيح»** ١٨ مرة في رسائل بولس الرسول في مقابل مرة واحدة في رسالة القديس يعقوب ومرتين في سفر الأعمال.

+ وجاء التعبير الأكثر اختصاراً **«الرب يسوع»** ٢٨ مرة في رسائل بولس الرسول في مقابل ١٠ مرات في سفر الأعمال ومرتين في الرسالة الثانية للقديس بطرس وواحدة في إنجيل القديس مرقس (١٦: ١٩). ولكن في مقابل صفة **«الرب»** في رسائل بولس تأتي صفة «ابن الله» بكثرة في بقية أسفار العهد الجديد.

هكذا نرى أن التعبير **بالربوبية** بمفهومها الإلهي ليس مقصوراً على رسائل بولس الرسول، فهو تعبير سابق عليه، وقد ورد على ألسنة الرسل والتلاميذ سواء في سفر الأعمال أو الأناجيل، التي وإن كانت قد دُوِّنت بعد رسائل بولس الرسول إلاَّ أن التعليم بها كان منذ حلول الروح القدس على التلاميذ. غير أن بولس الرسول هو الذي صبَّ الربوبية كصفة إلهية في قالبها الإلهي التقليدي ــ والتقليد هنا هو تقليد العهد القديم باعتبار أن المسيح هو: «يهوه (الله) ظهر في الجسد»، في أقنوم أو شخص البنوة القائم الدائم مع الآب. هذا يتضح جداً في استخدام بولس الرسول التعبير الكامل **للربوبية** بالنسبة للمسيح أي «ابن الله يسوع المسيح **ربنا**»، حيث الفارق بين الله الآب وبين الرب يسوع ينحصر ليس في الصفات والأعمال، سواء كانت خلقة أو فداءً، ولكن في كيفية إتمام الأعمال[٨]:

فالله الآب **«منه جميع الأشياء»** بدون استثناء **«ونحن له»** أي عبيد وخدام ومآلنا إليه،

8. C.K.Barrett, *First Epistle to the Corinthians*, pp. 192-193.

«ورب واحد يسوع المسيح، به جميع الأشياء» أي خُلِقَت بواسطته، **«ونحن به»** (١ كو٨: ٦)، ليس فقط بمعنى الخَلْق، فلسنا مثل جميع الأشياء؛ بل وأيضاً بمعنى الفداء الذي بيسوع المسيح الذي جعلنا موجودين حقيقة.

فهنا ربوبية المسيح في كلمة «**رب**» ليست هي بعينها «**الله**» في كلمة «**يهوه**» في القديم؛ بل هي عملها ومكمِّلة لها. فالمسيح أكمل مواعيد «يهوه»، «**لأن مهما كانت مواعيد الله، فهو** (المسيح) فيه النعم (الاستجابة والعمل) وفيه الآمين (أي ختام كل وعد) لمجد الله بواسطتنا (كخليقة خُلِقَتْ من جديد لتسبيح وتمجيد الله: «لمدح مجد نعمته التي أنعم بها علينا في المحبوب» أف١: ٦)» (٢كو١: ٢٠). ومرة أخرى نوضح العلاقة بين الله الآب وبين الرب يسوع المسيح في الحرفين: «**منه**» و«**له**»[9] لله الآب، و«**به**» للرب يسوع المسيح.

وهكذا يكون بولس الرسول هو الذي أعطى التعبير الإلهي «**المسيح ربٌّ**» أهميته وطابعه بكامل مفهومه الإلهي الذي يُعتبر محور الإيمان المسيحي ومركز العقيدة الراسخ.

ولكن لا يفوتنا هنا أن نقرر أن المسيح هو أول مَنْ أشار بتركيز يوحي بفتح الوعي الإنساني لقبول الحقيقة بقوله في هذا الحوار الهادف الكاشف: «سألهم يسوع قائلاً: **ماذا تظنون في المسيح؟ ابن مَنْ هو؟** قالوا له ابن داود. قال لهم: (إذاً) فكيف يدعوه داود بالروح "**ربًّا**"؟ قائلاً: **قال الرب "لربي" اجلس عن يميني** حتى أضع أعداءك موطئاً لقدميك. فإن كان داود يدعوه "**ربًّا**" فكيف يكون ابنه؟» (مت٢٢: ٤١-٤٥)

فلو فسرنا قول المسيح بكل دقة وفهم، فيكون المسيح هنا يوضح أن داود يدعوه **ربًّا**، وأن داود أعلن بالروح أن المسيح «**ربٌّ**» معادل في ربوبيته **لله** بقوله: «**قال الرب لربي**». وقوله «**اجلس عن يميني**»، فالمقصود هنا هو التعادل اللاهوتي في الاسم والكرامة، الذي اعتمد عليه بولس الرسول في قوله: «لم يحسب خلسة أن يكون معادلاً لله» (في٢: ٦)! والمسيح يصرِّح هنا أنه ليس ابن داود بل **ابن الله**: «فإن كان داود يدعوه ربًّا فكيف يكون ابنه؟»، مع الانتباه للسؤال في أصله الذي يسأله المسيح: «ابن مَنْ هو؟»، لأنه إن لم يكن المسيح ابن داود، وداود يدعوه ربًّا على التساوي في الاسم مع الله، جالساً عن يمين الله على التساوي في رتبة الألوهة، إذاً يكون رد السؤال الذي سأله المسيح هو أنه ابن الله بالضرورة.

وحينما يقول بولس الرسول أن المسيح هو «ربنا» فهو يذكر بالضرورة ويتذكر أنه مات عنا

9. Cullmann, Christology of the New Testament, *ET* 2, 241,336.

وبنا ليُخضع الموت تحت قدميه بقيامته منتصراً على الموت وعلى كل ما يؤدي إلى الموت، وقام بنا وبجسدنا الجديد ليعطينا شركة جديدة باتحاد في حياته من فوق الموت ورغماً عنه. ومَلَكَ بجسده المُقَام مُلْكه الأزلي والأبدي في المجد ليُشْرِكنا في ملكه.

فالعمل **الفائق** الذي عمله يثبت أنه جاء من **فوق**،

وارتفاعه إلى **فوق** يثبت أنه **ربٌّ بالحق**،

وجلوسه عن يمين الآب بالجسد الذي أخذه منا يكشف إلى أين نحن ذاهبون.

لقد حدَّد المسيح هذه الثلاثة المستويات التي تحرك فيها في قوله: «**خرجتُ من عند الآب، وقد أتيت إلى العالم**، وأيضاً أترك العالم **وأذهب إلى الآب**.» (يو١٦:٢٨)

وبهذا الاتحاد وهذه الشركة التي دعانا إليها المسيح في جسده، أصبح المؤمنون «مسيحيين»، ومن «المسيح والمسيحيين» **ظهر الوجود الجديد لجسد المسيح السري كخليقة جديدة** ذات وجود وحقوق وكيان ومكان لدى الله في السماء وعلى الأرض.

هذا هو الجسد السري الجديد الكبير الذي يملأ السماء والأرض، يجمع الأجناس والألوان من بني الإنسان، بلا تمييز، بلا انشقاق أو تمزُّق في «الأنا» الواحدة للمسيح، «إلى إنسان كامل، إلى قياس قامة ملء المسيح» (أف٤:١٣)، حيث «الأنا» الواحدة للمسيح نحن جزء فيها!!

هذا هو «**ربنا**» يسوع المسيح ابن الله عند بولس الرسول، **فهو ليس لقباً شخصياً وحسب، بل رباطاً جوهرياً**، بالنسبة له هو قيادة: «يقودنا في موكب نصرته» (٢كو٢:١٤)، وبالنسبة لنا تبعية، رفعتنا فوق كل ما هو للإنسان!

وواضح أن استخدام بولس الرسول تعبير «**الرب**» للمسيح بمفهومه الوارد في التوراة السبعينية للتعبير عن «**يهوه**»، هو بكامل أوصافه التي أُعطيت لـ «يهوه». وفي الاصطلاحات التي يعبِّر فيها بولس الرسول عن أعمال المسيح **كالخَلْق، ومنح النعمة، والتقديس، والدينونة، والمجازاة**، نجد أنه يقرن المسيح مع الله جنباً إلى جنب وبالتبادل أحياناً. فما يعمله الله يعمله المسيح على مستوى تبادل التعبير أو الصفة الإلهية «**رب**». وبولس الرسول يفهم بلا أي حذر أو تفريق أن كل ما نُسِبَ إلى يهوه فهو للمسيح ومنسوبٌ إليه بالضرورة. وليس بولس الرسول فقط، بل وأيضاً الأناجيل، وعلى سبيل المثال ما جاء في إنجيل متى وما يقابله في إرميا:

يقول الله (يهوه): «أرسلت إليكم كل عبيدي الأنبياء مبكراً كل يوم ومُرسِلاً فلم يسمعوا لي ...» (إر٧:٢٥)

يقول المسيح: «ها **أنا** أرسل إليكم أنبياء وحكماء وكتبة، فمنهم تقتلون وتصلبون ومنهم تجلدون ...» (مت٢٣: ٣٤)

أما بولس الرسول فيقول واضعاً المسيح موضع يهوه قديماً هكذا:

«**ولا يجرِّب المسيح** (الرب) كما جرَّب أيضاً أناس منهم فأهلكتهم الحيات.» (١كو١٠: ٩)

«**وتكلم الشعب على الله** وعلى موسى قائلين: لماذا أصعدتمانا من مصر لنموت في البرية، لأنه لا خبز ولا ماء وقد كرهت أنفسنا الطعام السخيف، **فأرسل "الرب"** على الشعب الحيات المحرقة فلدغت الشعب، فمات قوم كثيرون من إسرائيل.» (عد٢١: ٥و٦)

كذلك يضع بولس الرسول الدعاء **باسم الرب** للخلاص بالنسبة لله في القديم كما هو تماماً بالنسبة للمسيح في الجديد:

«ويكون أن كلَّ مَنْ يدعو **باسم الرب** ينجو، لأنه في جبل صهيون وفي أورشليم تكون نجاة، كما قال الرب، وبين الباقين مَنْ **يدعوه الرب.**» (يوئيل٢: ٣٢)

وبولس الرسول يأخذ هذا العهد ويطبِّقه على المسيح:

«لأنه لا فرق بين اليهودي واليوناني، لأن **ربًّا واحداً** للجميع، غنياً لجميع الذين يدعون به، لأن كلَّ مَنْ يدعو باسم الرب يخلص. فكيف يدعون بمن لم يؤمنوا به؟» (رو١٠: ١٢–١٤)

أما الخلاص الذي كان معقوداً لواؤه على يهوه الإله الرحوم، هذا تممه المسيح فصار المسيح في اعتبار بولس الرسول «واحداً مع يهوه»:

«احترزوا إذاً لأنفسكم ولجميع الرعية التي أقامكم الروح القدس فيها أساقفة، لترعوا **كنيسة الله التي اقتناها بدمه.**» (أع٢٠: ٢٨)

فالله هو الذي اقتنى الكنيسة واقتناها بدمه **حيث الدم هنا هو دم ابن الله.** علماً بأن معظم النسخ القديمة أوردت كلمة «الله» بوضوح وليس «الرب». فبولس الرسول هنا ينسب **«الخلاص بالدم»** إلى **«الله والمسيح»** معاً بلا أي تفريق، وهذا يحتمه فعل الخلاص تحتيماً. فلا المسيح وحده قد خلَّصنا، ولا الله بدون المسيح خلَّصنا، هنا بشرية ابن الله دخلت في المضمون الإلهي حتى يصير الدم المسفوك منها له فاعلية الخلاص، وإلاَّ فدم إنسان لا يخلِّص إنساناً بأي حال!! **الخلاص هنا فعل ربوبية** بالدرجة الأُولى!!

بولس الرسول يرفع ربوبية المسيح إلى استعلان إلهي بالروح القدس، وبدون الروح القدس يستحيل على إنسان ما أن يقول أن المسيح رب!! وكل مَنْ حاز الروح القدس فهو لا يمكن إلاَّ أن

ينطق بربوبية المسيح ولا يستطيع أن يجحد ربوبية المسيح بأي حال:

«لذلك أُعرِّفكم أن ليس أحد وهو يتكلم بروح الله يقول يسوع أناثيما (مرفوض من الله)، وليس أحد يقدر أن يقول يسوع ربٌّ إلاَّ بالروح القدس.» (١ كو ١٢: ٣)

وبولس الرسول يضع الإيمان بالمسيح على مستوى الإيمان بالله كما سبق أن قال به المسيح بالحرف الواحد: «أنتم تؤمنون بالله فآمنوا بي» (يو ١٤: ١). وبولس الرسول يضعها هنا كمنطوق قانون إيمان، جاعلاً **الخلاص والإيمان** وربوبية المسيح وحدة واحدة لا تنفصم:

«لأنك إن **اعترفت** بفمك **بالرب** يسوع، **وآمنت** بقلبك أن الله أقامه من الأموات **خَلَصْتَ**.» (رو ١٠: ٩)

فإذا رجعنا إلى إشعياء النبي عرفنا من أين أتى بولس الرسول بهذا القانون الإيماني المؤسس على الصخر:

«لذلك هكذا يقول السيد الرب: هأنذا أؤسس في صهيون حجراً، حجر امتحان، حجر زاوية، كريماً، أساساً مؤسَّساً، **مَنْ آمن به لا يخزى ... ويُمحى عهدكم مع الموت، ولا يثبت ميثاقكم مع الهاوية.**» (إش ٢٨: ١٦و١٨)

المسيح ربٌّ مستحق المجد والكرامة والعبادة:

لقد أدرك بولس الرسول العمق اللاهوتي الصحيح للمسيح كرب، بحيث أن كل كرامة ومجد وتسبيح تُقدَّم له فهي مقدَّمة لله الآب حتماً، بل إن كل كرامة وتسبيح قُدِّمت إلى الله هي بآن واحد مقدَّمة للمسيح. فالمسيح والآب وحدة واحدة، وما يقال عن الواحد يقال عن الآخر لأن «الواحد بالآخر» والاثنان هما واحد. اسمع بولس الرسول في مطلع رسالته إلى غلاطية يقول: «بولس رسول لا **مِنْ** الناس ولا بإنسان، بل **بيسوع المسيح، والله الآب ...**» (غل ١: ١)، حيث حرف «مِنْ» = ἀπό يفيد المصدر، والباء في «بإنسان» διά تفيد الواسطة، هنا ينفي بولس الرسول أن تكون دعوته إلى الرسولية من مصدر بشري ولا بواسطة بشرية. ثم يرتفع مرة واحدة ليعلن: «بل بيسوع المسيح والله الآب». هنا تكون الإفادة جاهزة ومُسَلَّم بها أن المسيح فوق مستوى البشر هذا أولاً؛ وثانياً الدعوة والعمل الرسولي في عمل واحد للمسيح والله، وهنا تكون الإفادة منتهية أن المسيح والله هما عمل واحد. وقد أخذ الآباء الكنسيون والقديسون الأوائل هذا التعبير من بولس الرسول برهاناً وتأكيداً على لاهوت المسيح، مبتدءاً من أوريجانوس ثم جيروم ثم ذهبي الفم الذي يقول في شرحه لرسالة غلاطية هكذا:

[بولس لم يترك أية فرصة للمماحكة، فذكر مرة واحدة الابن والآب «بيسوع المسيح والله

الآب»، جاعلاً الكلمة تجمعهما معاً. هذا فعله لا لكي ينسب عمل الابن للآب بل ليوضح بهذا التعبير أنه لا يوجد أي تمييز في الجوهر (الطبيعة الإلهية).](10)

هنا كون بولس الرسول يجمع بحرف διά — أي «بواسطة» — كلًّا من عمل المسيح والله الآب في إعطائه الرسولية، وهو عمل من أعمال النعمة الفائقة بل هو أول أعمالها بالروح القدس: «أولاً رسلاً ثانياً أنبياء ...» (١كو١٢: ٢٨). لذلك لا يعطي لأي فكر إمكانية تبعيَّة أو مرؤوسية الواحد على الآخر في السلطان أو المكانة أو الكرامة، حتى إن المسيح يُذكر قبل الله الآب، فليس هناك أية فرصة للإعتراض على وحدة اللاهوت بينهما دون تمييز.

وليس هذا الاعتبار في وضع المسيح والله الآب على درجة واحدة في العبادة أو الدعاء والتسبيح جديداً، بل نسمعها وقد ابتدأت بالقديس توما الرسول **«ربي وإلهي»** (يو٢٠: ٢٨)، ورددها إستفانوس وهو في النفس الأخير على مستوى رؤية المسيح وهو في المجد الأسنى:

«أيها **الرب يسوع** اقبل روحي».

«**يا رب** لا تُقِم لهم هذه الخطية.» (أع٧: ٥٩و٦٠)

والملاحظ هنا أن ما ردده المسيح على الصليب مخاطباً الآب، ردده الشاهد الشهيد إستفانوس مخاطباً المسيح!

وعلى هذا المستوى أو من عمق هذا المعنى، قال بولس: «لأن كل مَنْ يدعو باسم الرب يخلص» (رو١٠: ١٣). وهكذا صار اسم الرب يسوع المسيح وكل مَنْ يدعو به أساساً لبنيان الكنيسة؛ اسمع بولس الرسول وهو يخاطب أهل كورنثوس:

«إلى كنيسة الله التي في كورنثوس **المقدَّسين في المسيح يسوع**، المدعوين قديسين **مع جميع الذين يدعون باسم ربنا يسوع المسيح في كل مكان لهم ولنا.**» (١كو١: ٢)

ثم يعود ويمنح لهم بالدعاء النعمة والسلام من الله والمسيح معاً وبالسواء!

«نعمة لكم وسلام من الله أبينا والرب يسوع المسيح.» (١كو١: ٣)

كذلك نسمع بولس الرسول وهو في ضيقة مرضه يصلي للرب يسوع ثلاث مرات متوسلاً أن ينال منه **نعمة الشفاء**، فاستجاب له المسيح، ولكن أعطاه **نعمة الاحتمال بالروح والقوة** عوض نعمة الشفاء بالجسد.

---

10. NPNF, St. Chrysostom, *Hom. on Galatians*, pp. 2,3.

هذا كان فكر الكنيسة المسيحية كلها ومنذ البدء أن تُقدَّم الصلوات للمسيح كما تُقدَّم لله. هذا يذكره لنا التاريخ المدني القديم حسب رواية بليني الحاكم الروماني الوثني لمقاطعة بيثينية بآسيا الصغرى في رسالته إلى الإمبراطور تراجان سنة ١٠٢م، حيث يقول إن المسيحيين اعتادوا أن يجتمعوا ليسبحوا تسابيح للمسيح كالله Christo quosi Deo (١١).

كذلك يسجل لنا المؤرخ يوسابيوس القيصري في تاريخ الكنيسة، أن المسيحيين الأوائل كانوا يؤلفون التسابيح والأناشيد التي فيها يعظمون المسيح كالله(١٢).

وكان هذا رد فعل أو استجابة تلقائية لدعوة بولس الرسول نفسه:

«امتلئوا بالروح، مكلِّمين بعضكم بعضاً بمزامير وتسابيح وأغاني روحية مترنمين ومرتلين في قلوبكم **للرب**.» (أف ٥:١٩)

«لتسكن فيكم كلمة المسيح بغنى وأنتم بكل حكمة معلِّمون ومنذرون بعضكم بعضاً بمزامير وتسابيح وأغاني روحية، بنعمة، مترنمين في قلوبكم **للرب**. وكل ما عملتم بقول أو فعل فاعملوا الكل باسم **الرب** يسوع شاكرين الله والآب به.» (كو٣: ١٦و١٧)

هـ ــ ألوهية المسيح:

في أربعة مواضع ظاهرة في رسائله نصّ بولس الرسول على ألوهية المسيح:

١ ــ «ولهم (لليهود) الآباء ومنهم المسيح حسب الجسد، **الكائن على الكل إلهاً** مباركاً إلى الأبد آمين.» (رو٩:٥) θεὸς εὐλογητὸς εἰς τοὺς αἰῶνας ἀμήν.

٢ ــ «منتظرين الرجاء المبارك وظهور **مجد الله العظيم ومخلصنا** يسوع المسيح.» (تي٢:١٣)
τοῦ μεγάλου θεοῦ καὶ σωτῆρος ἡμῶν Ἰησοῦ Χριστοῦ.

٣ ــ «فإنه فيه يحل كل ملء اللاهوت جسدياً.» (كو٢:٩)

κατοικεῖ πᾶν τὸ πλήρωμα τῆς θεότητος σωματικῶς.

٤ ــ «الذي إذ كان في صورة الله لم يحسب خلسة أن يكون معادلاً لله ἴσα θεῷ لكنه أخلى نفسه آخذاً صورة عبد صائراً في شبه الناس. وإذ وُجد في الهيئة كإنسان، وضع نفسه وأطاع حتى الموت موت الصليب. لذلك رفّعه الله أيضاً وأعطاه اسماً فوق كل اسم،

11. *Epist. to Trajan*, 96.
12. *Hist. Eccl.* V.XXVIII,5.

لكي تجثو باسم يسوع كل ركبة ممن في السماء ومَنْ على الأرض ومَنْ تحت الأرض.» (في ٢: ٦ـ١٠)

١ ـ الآية الأولى: (رو٩: ٥)

فيها يشرح بولس الرسول الكيان الإلهي الذي للمسيح بوضوح، وقد صارت هذه الآية الهامة معترفاً بها بإيجابية مذعنة عند كل علماء اللاهوت بلا استثناء. كما أنها دخلت التقليد اللاهوتي والكنسي منذ البدء مبتدأً من أوريجانوس ثم القديس ديونيسيوس الإسكندري في دحضه لبدعة بولس الساموساطي، ثم القديس أثناسيوس الرسولي، والقديس باسيليوس الكبير، والقديس اغريغوريوس النيسي، والقديس إبيفانيوس، والقديس ذهبي الفم ثم القديس كيرلس الإسكندري. كما أخذ بها كل لاهوتيي الغرب الكبار: القديس إيرينئوس، العلامة هيبوليتس، ترتليان، نوفاتيان، القديس كبريانوس، القديس هيلاري، القديس أمبروسيوس، القديس جيروم.

فمن هؤلاء لم يصدر أي تعليق يشكِّك في صدق وأصالة هذه الآية بما تحمله من حقيقة لاهوتية[١٣].

ويلاحظ أن بولس الرسول يضيف على كلمة «**إلهاً**» التمجيد اللائق باللاهوت «الذكصا» الذي للمسيح، الذي يصبح متوافقاً دائماً عند ذكر الإله: «الكائن على الكل إلهاً **مباركاً إلى الأبد آمين**». وهي جملة تمجيدية يقصد بها أنه إله على إسرائيل والأمم وأنه بلاهوته باقٍ إلى الأبد. «وآمين» هي بحد ذاتها تمجيد ختامي.

أما القصد النهائي من هذه الآية، فهو تأكيد وضع المسيح الممجَّد في العبادة. فالله ليس في حاجة هنا لتثبيت لاهوته، فبولس الرسول بصدد إظهار وتمجيد شخص المسيح الذي جاء من أجل اليهود واليهود رفضوه مع أنه كائن عليهم وعلى كل الأمم إلهاً ممجداً.

كما يلاحظ في هذه الآية انتحاء بولس الرسول إلى اتجاهين ظاهرين بالنسبة للمسيح، الأول: «حسب الجسد»، أي الإنسان بقوله: «ومنهم المسيح حسب الجسد»، فأصبح الاتجاه الثاني حتماً وهو حسب اللاهوت أي الإله بقوله: «الكائن ... إلهاً»، وبذلك تكمل صورة المسيح.

كذلك يلاحظ خط ذكر التدرج الذي يسرده بولس الرسول من جهة الامتيازات بالنسبة

13. F. Prat, *op. cit.*, II, p. 125.

لليهود: فأولاً قيام إسرائيل، ثم حصولهم على التبنّي لله، ثم تعرُّفهم على مجد الله بحضوره، ثم تسلُّم الناموس على يد ملائكة، ثم نظام العبادة وتشريعها، ثم الوعد بمجيء المسيَّا على أساس الآباء، ثم مجيء المسيح لتحقيق الملوكية الموعودة من بيت داود جسدياً؛ وأخيراً استعلان مجد لاهوت المسيَّا على إسرائيل والأمم **ككلٍّ**.

هنا واضح أن لاهوت المسيح كان في ذهن بولس الرسول وهو يتدرج من أول استعلانات الله لينتهي به كخاتمة الاستعلانات جميعاً.

٢ ــ الآية الثانية: (تي٢: ١٣)

كلمة «الله» هنا لا تعني أنه الله بالمشاركة أو بالمشابهة أو بالمجاز، ولكن المقصود أنه في طبيعته المجدة هو أعلى وأسمى من كل طبيعة أخرى دون الله.

هنا ينظر بولس الرسول إلى المسيح كابن الله، فطبيعته هنا التي يصفها بكلمة «الله»، المقصود بها أنها طبيعة الله التي فيها الابن والآب معاً. وهذا المقصود في ذهن بولس الرسول وتعبيره، نقرأه في الفكر الذي سبق هذه الآية، فهو بصدد حضّ تيطس على حياة التقوى في هذا العالم بانتظار الرجاء الذي عليه يعيش ويجاهد، هذا الرجاء أعطاه صفة الذُّكصا التي لله وحده بقوله: «الرجاء **المبارك**»، لأنه مربوط باستعلان وظهور طبيعة المسيح في مجد لاهوته الذي هو لاهوت الآب بآن واحد:

«نعيش بالتعقل والبر والتقوى في العالم الحاضر منتظرين الرجاء المبارك وظهور مجد الله العظيم ومخلصنا يسوع المسيح.» (تي٢: ١٢و١٣)

يلاحظ هنا أن كلمة «العظيم» لا يكون لها محل ولا مناسبة إذا كانت تخص مجد الله الآب، فهذا تحصيل حاصل ليس موضعه هنا، فبولس الرسول ليس بصدد تعظيم مجد الله الآب في ذاته ولكنه بصدد ظهور المسيح في مجد لاهوته. فالعظيم هنا صفة تتجه ناحية سمو مجد لاهوت المسيح الذي سيظهر به. والترجمة يمكن أن تُقرأ هكذا: مُنتظرين الرجاء المبارك بظهور الإله والمخلِّص يسوع المسيح في مجده العظيم.

لأنه من الملاحظ أنه عند ذكر ظهور المسيح، ينص الوحي دائماً على أن **ظهوره سيكون بمجد عظيم**، وهذا المجد العظيم هو بالضرورة منسوب للاهوته: «الذين سيعاقَبون بهلاك أبدي من وجه الرب ومن **مجد قوته** متى جاء ليتمجَّد في قديسيه ويُتعجَّب منه في جميع المؤمنين» (٢تي١: ٩و١٠). فالظهور بالمجد العظيم للاهوت المسيح هو الخاص بالابن وليس الآب وهو بالفعل الرجاء

المبارك الذي ينتظره كل مَنْ آمن بالمسيح.

في النص اليوناني يأتي كلٌّ من اللقبين: «العظيم والمخلِّص» معرَّفَيْن بـ«ألْ» واحدة = τοῦ τῆς δόξης τοῦ μεγάλου θεοῦ καὶ σωτῆρος

وبالعربية تأتي هكذا «العظيم ومخلِّص» منسوبة لنا، فتكون «العظيم ومخلصنا». لذلك فبحسب النص اليوناني حينما انجمع اللقبان في «ألْ» تعريف واحدة، تحدَّد الاسم الموصوف بعظم المجد الإلهي والخلاص بشخص واحد بالضرورة.

وهذه الآية التي نحن بصددها وإن أتت كومضة مركَّزة ومختصرة عن لاهوت المسيح، فهي لا تقف وحدها في لاهوت بولس بل تأتي مكمِّلة لما قبلها ومؤكِّدة لما بعدها.

٣ ــ الآية الثالثة: (كو٢: ٩)

هي تابعة للأنشودة اللاهوتية الفريدة التي يقدمها بولس الرسول في الأصحاح الأول في الرسالة لكولوسي الغنية بالومضات المتلاحقة بقوة، التي انطلقت من وحي النعمة المتدفقة لتصف الملء الأول والتقدم في كل شيء، في الزمن والأزلية، في الأرض وفي السموات، في المنظور وغير المنظور، وذلك لدحض إدعاءات المقاومين للاهوت المسيح في هذه المدينة. وآخر شطرة من هذا السفر الموسيقي غير الموزون (١: ١٩) تقول: «لأن فيه سُرَّ أن يحلَّ كلُّ الملء»، حيث «الملء» هنا هو ملء النعم على مستوى الإنسان يسوع للمصالحة التي عاد وأوضحها على مستواها اللاهوتي كملء على مستوى الله[١٤] بأكثر بيان في الآية (٢: ٩) من الرسالة بقوله: «**فإنه فيه يحلُّ كل ملء اللاهوت جسدياً**».

هنا ملء اللاهوت هو المؤهل الإلهي الذي جعله قادراً أن يملأ الآخرين، لأن بقية الآية: «وأنتم مملوؤون فيه» (كو٢: ١٠)، وذلك من ملء الله الذي له حسب قوله أولاً: «الذي **صعد** أيضاً فوق جميع السموات **لكي يملأ الكل**» (أف٤: ١٠). أما ثانياً، فماذا يعطي للملء؟ يوضح بولس الرسول أنه من **ملء الله** الذي فيه بقوله: «وتعرفوا محبة المسيح الفائقة المعرفة، **لكي تمتلئوا إلى كل ملء الله**» (أف٣: ٢٠) فـ«**ملء اللاهوت**» الذي في المسيح أصبح على مستوى العطاء، أو هو صار بالتجسد على مستوى العطاء للإنسان.

واضح أن **ملء اللاهوت** = πλήρωμα τῆς θεότητος الذي يقصده بولس الرسول هو

14. F. Prat, *op. cit.,* II, p. 128.

الطبيعة الإلهية بكل صفاتها وخواصها وقوتها واتساعها أيضاً(١٥) التي هي نفسها طبيعة الآب، ولكن هنا في الابن المتجسد أصبحت ظاهرة وعلى مستوى العطاء للإنسان مباشرة بعد أن كانت في الله الآب محتجبة سواء على المعرفة أو على الأخذ وهذا كان صراخ الأنبياء على لسان إشعياء النبي: «حقاً أنت إلهٌ محتجبٌ يا إلهَ إسرائيلَ» (إش٤٥: ١٥). إذاً، فحلول ملء اللاهوت في المسيح هو سر وساطته العظمى بين الله الآب والإنسان.

وأما قوله يحل فيه = κατοικεῖ فيفيد الإقامة الثابتة، والدائمة، وهي الكلمة المرادفة لكلمة «يسكن» في العبرية، وهي تعبير يليق فقط للكلمة بعد التجسد وليس قبله.

وأما قوله «جسدياً» فهذا يعني أن اللاهوت حلّ في الجسد، والقصد هنا خطير للغاية، فهو يقصد أن لاهوت المسيح ليس خيالاً ولا على مستوى الفكر أو لزمن ما محدود، ولكنه «حقيقة» كما يراها القديس أغسطينوس(١٦). كما يشرح القديس إيسيذوروس البيلوزي (راهب مصري والأب الروحي للقديس كيرلس الكبير) كلمة «جسدياً» هكذا: οὐσιωδῶς أي Substantially(١٧) بمعنى الاتحاد الطبيعي، وهذا في الحقيقة قول ذكي وعميق وفريد من نوعه!! أي أن اللاهوت بكل ملئه اتحد بالناسوت كطبيعة، ولم يكن مجرد حلول أو سُكْنى في هيكل!! بمعنى أن الحلول لم يكن مجرد حادث (القديس كيرلس الإسكندري) ولا هو جزئياً (القديس جيروم على إشعياء)(١٨)، ولا هو مؤقتاً (القديس هيلاري)(١٩)، ولكن اتحاداً كلياً وجوهرياً! وينتهي هذا التعبير في معنى التجسد.

ويعلق القديس ذهبي الفم على القول «جسدياً» بقوله: [لم يقل إنه يحل في الجسد ἐν σώματι لأن الجسد لا يحتمله أو يحتويه ولكن قال يحل فيه ἐν αὐτῷ أي في شخصه، حيث شخصه متحد بجسده](٢٠). وهذا القول هو الآخر غاية في الذكاء والعمق. وهو المرادف تماماً لقول إنجيل القديس يوحنا: «والكلمة صار جسداً». ويعلق على ذلك العالم اللاهوتي لايتفوت هكذا: [قوله جسدياً σωματικῶς يعني آخذاً شكل الجسد وهكذا صار جسداً](٢٠)، وهذا إبداع حقاً في التعريف اللاهوتي.

15. J.B.Lightfoot, *On Colossians*, p. 179; Stevens, *The Pauline Theology*, p. 202.
16. Augustine, *Epist*. CXLIX, cited by Prat, *op. cit.*, II, p. 152 n. (b).
17. Isidore of Pelusium, *Epist*. IV,166.
18. St. Jerome, *In Isaiam*, XI,1.
19. St. Hilarius, *De Trinit*. VIII,54.
20. Cited by F. Prat, *op. cit.*, II, p. 152, n. (b).

فإذا جمعنا هذه المقولات للآباء القديسين السابقين تكون هكذا: حلول ملء اللاهوت جسدياً يعني: اتحاد بالطبيعة البشرية وليس حلول سُكْنَى، وهو لم يكن مجرد حلول حادث ولا هو حلول جزئي، ولا حلول مؤقت، بل اتحاد كلي وجوهري. كما أنه ليس حلولاً في مجرد طبيعة جسدية بل حلولاً شخصياً في شخص!!

ونقول إنه بقدر ما كان الجسد ملموساً ومنظوراً، بقدر ما يعني أن التجسد الحادث من حلول ملء اللاهوت حدث في عمق الزمان والمكان، ثم بقدر ما تمجد الجسد بالقيامة من الأموات ليحيا إلى الأبد ولا يسود عليه الموت بعد، بقدر ما يعني أن الملء جسدياً **كان ملئاً حقيقياً منظوراً وملموساً ومُشَاهَداً**: «الذي سمعناه، الذي رأيناه بعيوننا، الذي شاهدناه ولمسته أيدينا من جهة كلمة الحياة ... ونخبركم بالحياة الأبدية التي كانت عند الآب وأُظْهِرَتْ لنا» (١يو ١: ١و٢)، وهكذا امتلأ الكلمة جسدياً ليبقى المسيح المتجسد ويدوم إلى الأبد!

٤ ــ الآية الرابعة: (في ٢: ٦ ــ ١٠)

وهنا نأتي إلى النص الأكثر تعمقاً في وصف لاهوت المسيح على مثال أخلاقي، يقدمه بولس الرسول لأهل فيلبي، وكأنه يستنهض روحهم للتواضع وإنكار الذات (التخلية عن الذاتية) والتنازل بالفكر لحمل هموم الآخرين وخدمتهم، من تحت مستواهم وليس من فوقهم، وليهتموا بما للآخرين أكثر مما هو لهم. فيعطيهم مثلاً لذلك المسيح نفسه، فيصوِّر لهم كيف وهو في قمة مجده الإلهي أخلى نفسه وتواضع حتى الأرض إلى مستوى العبد لكي يقوم بخدمة عبيد الله حاملاً عبوديتهم المذلولة وعارهم، مذبوحاً على صليب الخلاص ليرفعهم إلى حرية بنوة الله. ثم يمعن بولس الرسول في تلقين الدرس ويعطيهم من ارتفاع المسيح إلى أعلى السموات نموذج المجازاة لخدمة البذل في اعتبار الله!

ولكن الذي يسترعي اهتمامنا هو أن يطرح بولس الرسول هذا الفكر اللاهوتي المرتفع والدقيق بدون أي سؤال من الطرف الآخر، بل ومن سياق الكلام نجد وكأنه يعطي هذه الحقيقة الإلهية عَرَضاً، وكأنها أمر معروف لا يحتاج إلى تذكير أو مقدمات، أو أنها معلومة معروفة ليس لدى هذه الكنيسة فقط بل وكل الكنائس، لأنه لم يذكر أنه يختص هذه الكنيسة بهذه العقيدة. ونستشف أيضاً أنه يقولها وكأنها أمر معروف منذ زمن وليست حديثة عليهم وإلاَّ كان قد استطرد بالشرح.

ولأن لُبَّ هذه العقيدة ومحورها الذي تدور عليه هو سَبْقُ وجود المسيح في الأزلية ومجيئه واتحاد اللاهوت فيه بالناسوت فينا، فإننا نعتقد أن هذه العقيدة هي جزء من تعاليم رسولية كانت تُلقَّن للمعمَّد وقت دخوله الإيمان بالمسيح.

ونحن نعجب كيف استطاع بولس الرسول أن يقدم هذا اللاهوت الحرَّ الصافي بهذا التركيز في منهج أخلاقي؟

+ «فليكن فيكم هذا الفكر الذي في المسيح يسوع أيضاً:

أ ــ الذي إذ كان في **صورة** الله لم يحسب خلسة أن يكون معادلاً لله،

ب ــ لكنه أخلى نفسه آخذاً **صورة** عبد صائراً في شبه الناس،

ج ــ وإذ وُجد في **الهيئة** كإنسان، وضع نفسه وأطاع حتى الموت موت الصليب،

د ــ لذلك رفَّعه الله أيضاً وأعطاه اسماً فوق كل اسم،

هـ ــ لكي تجثو باسم يسوع كل ركبة ممن في السماء ومَنْ على الأرض ومَنْ تحت الأرض،

و ــ ويعترف كل لسان أن يسوع المسيح هو ربٌّ لمجد الله الآب.» (في ٢: ٥ــ١١)

هنا يقدم بولس الرسول المسيح على أربعة مستويات: مستوى الجلال الإلهي، مستوى الإخلاء الذاتي، مستوى الاتضاع البشري، مستوى الارتفاع إلى السموات العُلا(٢١).

---

(٢١) وقبل أن نشرع في شرح هذه الآية يلزم أن نشرح المعنى المختفي وراء كلمتي **«صورة»** و**«هيئة»** الواردتين في هذه الآيات وهما باليونانية: σχῆμα , μορφή

هنا في الحقيقة قد وُضع علينا الزاماً أن ندخل في مفهوم فلسفي. فالكلمتان لهما خلفية تاريخية طويلة في اعتبار الفلاسفة، ولكن لأننا بصدد روحيات خالصة، فلن نخوض في الماضي الفلسفي لهذين الاصطلاحين، ولكن نقدم للقارىء خلاصة أبحاث دقيقة في معنى هاتين الكلمتين في العهد الجديد للعالم لايتفوت، وهو لا يُضارَع بين اللاهوتيين اللغويين، في هذا المضمار، يقول لايتفوت:

[١ ــ σχῆμα = الهيئة أو الشكل: لا يوجد ــ بالفحص الدقيق ــ أي شك لما تحمله هذه الكلمة من عدم الثبوت instability والتغيير changeableness (بمعنى أن كلمة «هيئة» لا تفيد الثبوت على حال فالهيئة قد تتغير).

لذلك يُقال: «لأن هيئة fashion = σχῆμα هذا العالم تزول» (١ كو٧: ٣١). كذلك يُقال: «لا تشاكلوا συσχηματίζεσθε (أي تشتركوا في هيئة) هذا الدهر.» (رو١٢: ٢)

كذلك يُقال: «كأولاد الطاعة لا تشاكلوا شهواتكم السابقة في جهالتكم» (١بط١: ١٤). وهكذا فالتغيير بالنسبة **للهيئة أو الشكل** هو في الحقيقة ليس تغييراً بل هي عملية خداع حيث يطمس الشر حقيقة أو صورة الخير، فَيَلْبِسُ الشر قناعاً خادعاً على أنه حق وصالح، فالرسل الكَذَبة (عند بولس الرسول) يظهرون وكأنهم رسل حقيقيون مثل الشيطان يظهر كأنه ملاك نور، فخدام الشيطان يظهرون كخدام البر وكل عمليات التغيير الخداعية هذه يستخدم فيها بولس الرسول كلمة σχῆμα وليس μορφή وأي انحراف في استخدام μορφή بدل σχῆμα يكون خاطئاً.

٢ ــ μορφή = الصورة (الطبيعية):

كل تغيير حقيقي إلى **الصالح والحق** يكون في الصورة μορφή كالقول بالميلاد الثاني أو الخليقة الجديدة، فهذا يعتبر **«تحويل»** إلى الأصح (هداية) حيث يمتنع نهائياً استخدام σχῆμα والأمثلة مع التصحيح كالآتي:

«سبق فعيّنهم ليكونوا مشابهين صورة ابنه» (رو٨: ٢٩)، ترجمة الكلمة إلى **«مشابهين»** هنا لا تفيد المعنى الصحيح فالكلمة اليونانية المستخدمة من كلمة μορφή هي συμμόρφους وتأتي بالإنجليزية conformable بمعنى **«مطابق»** للصورة. فهنا قد جرى التعيين مُسْبقاً بالنسبة لأولاد الله في المشيئة الأزلية بأن يصيروا مطابقين لصورة ابنه، **أي**

أ ــ مستوى الجلال الإلهي:

فقبل كل الدهور كان المسيح هو صورة الله ἐν μορφῇ θεοῦ الذي يعني تماماً أنه كان قائماً سابقاً في طبيعة الله، لأن كلمة μορφή أي «صورة» لا تعني الظاهر بل تحمل معنى الطبيعة التي أعطتها صفة الصورة بخواصها، فالصورة الذاتية تنطق بطبيعتها.

ويلزم أن ننتبه إلى تركيب الجملة فهو لا يقول: «كان **على** صورة الله»، مثل ما قيل في خلقة آدم: «**على** صورتنا كشبهنا κατ᾽ εἰκόνα καὶ καθ᾽ ὁμοίωσιν» (تك١: ٢٦)؛ بل يقول بولس الرسول عنه: «الذي **هو صورة الله**» (٢كو٤: ٤، كو١: ١٥). وجاءت هنا في رسالة فيلبي: «**كان في صورة الله** ἐν μορφῇ θεοῦ ὑπάρχων»، حيث μορφή باليونانية تعني الشكل الداخلي أو الكياني. والمعنى هو أنه يحمل وجوداً هو صورة الله. تماماً كما نقول أنه «أخذ **صورة** عبد»، فهل يمكن أن يأخذ صورة μορφή العبد دون أن يحمل طبيعة العبد؟ لذلك حينما نقول إنه كان صورة μορφή الله، فهذا يعني حتماً أنه يحمل **طبيعة الله**، «الصورة» لا تتغير إلى الأقل بحسب ما تعنيه الكلمة باليونانية، وخاصة إن هي كانت صورة الله.

= **حائزين لهذه الصورة.**

كذلك: «لأعرفه وقوة قيامته وشركة آلامه **متشبِّهاً** بموته συμμορφιζόμενος» (في٣: ١٠). فهنا أيضاً كلمة «متشبهاً» لا تفيد المعنى الصحيح لأنه **تطابق في صورة الموت الواحد. أي «حائزاً على موت المسيح فيَّ»**.

كذلك: «ونحن جميعاً ناظرين مجد الرب بوجه مكشوف كما في مرآة **نتغيَّر إلى تلك الصورة عينها** من مجد إلى مجد كما من الرب الروح» (٢كو٣: ١٨). «نتغير إلى تلك الصورة عينها» μεταμορφούμεθα ، هنا التغير يكون في صورتنا **لتطابق** صورة المسيح عينها، وفي هذا يتضح أن التغيير في الصورة يعني **التحول في طبيعة الشخص** إلى الأسمى. ولا يفوت علينا أن كلمة μεταμορφούμεθα تعني التجلي أو ظهور الشيء على حقيقته. فإذا نُظِرَ إلى هذا التجلي أو التغيير **بالعين البشرية** التي لا ترى الحق في جوهره، فيكون التجلي **تغيُّراً في الهيئة**، وهذا خداع بصر الإنسان لأن المسيح في التجلي **ظهر على حقيقته**.

كذلك: «تغيَّروا عن شكلكم بتجديد أذهانكم» (رو١٢: ٢). التغيير هنا μεταμορφοῦσθε بمعنى التحول الداخلي في الطبيعة إلى طبيعة جديدة، وذلك بتجديد الذهن بمعنى تجديد الوعي المسيحي بالإنجيل والصلاة. كذلك: «يا أولادي الذين أتمخض بكم أيضاً إلى أن **يتصور** المسيح فيكم» (غل٤: ١٩): «يتصور» μορφωθῇ ، هنا المعنى موازٍ تماماً لقول بولس الرسول: «ليحل المسيح بالإيمان في قلوبكم» (أف٣: ١٧) أي سُكنى المسيح **بصفاته** وطبيعته الفعَّالة بالنعمة] (Lightfoot, Ep. to the Philip., p. 130).

ثم ينتهي العالم لايتفوت بالقول القاطع: أن قول الآية: «**إذ كان في صورة الله**»، [يلزم ــ must ــ أن ينحصر في معنى الصفات الإلهية] (Ibidem. p. 132).

[أما نسبة كلمة «صورة» μορφή إلى كلمة «هيئة» σχῆμα فهي نسبة الذاتي الجوهري الثابت إلى العَرَضي الزائل] (Ibidem. p. 133).

ويقول الأسقف العلامة لايتفوت: [إن مَنْ يحمل الصورة μορφή يحمل الشركة في الطبيعة أيضاً، لأن كلمة «مورفي» لا تعني أعراضاً ظاهرية ولكن الصفات الأساسية] (٢٢).

ومن هنا يتضح أن كلمة «صورة» كترجمة للكلمة اليونانية مورفي μορφή مضلِّلة ولا تأتي بالمعنى الصحيح.

كذلك سقط في الترجمة أيضاً في جملة «كان هو صورة الله» كلمة «**كائناً**» ὑπάρχων وهي بحسب العلامة لايتفوت أيضاً: [تعني سَبْق الوجود، والجملة «كان هو صورة الله» تساوي تماماً قول القديس يوحنا: «في البدء كان الكلمة والكلمة كان عند الله» (يو١: ١)، كما أنها تساوي التعبير الذي أضافه بولس الرسول على الصورة في رسالة كولوسي: «بكر كل خليقة ... **الذي هو قبل كل شيء**.» (كو١: ١٥و١٧)] (٢٣).

وإذ هو في صورة الله فهو يحمل كل ما لجلال الطبيعة الإلهية من صفات التي هي بآن واحد صفات الله، أي «كان معادلاً لله» τὸ εἶναι ἴσα θεῷ ، تماماً كما نقول: لأن المسيح إذ كان في صورة إنسان لا يحسب خلسةً أن يكون معادلاً للإنسان!!

ب ــ مستوى الإخلاء الذاتي:

ولكن هذه الجلالة الإلهية التي له خاصةً وطبيعةً لم يتمسك بها كأنه أخذها خلسةً أو اختطافاً أو هديةً (٢٤)، فلم تمنعه من أن ينحني ناحية الإنسان وينزل إلى مستواه، وهذا كلَّفه أن يُخلي ذاته ἑαυτὸν ἐκένωσεν . والإخلاء هنا ليس الترك أو الإلغاء لهيئة لاهوته، لأن ذلك هو المستحيل بعينه، لأن الأزليات لا تتغيَّر ولا تتبدَّل ولا تتناقص ولا تُلغَى بأي حال من الأحوال، لأن مثل هذه الأفعال هي للزمنيات الزائلة، ولكن التخلي أو الإخلاء هو **حَجْبُ صفاته الإلهية الباهرة** من نور وقوة مؤثرة ومجد عن العين البشرية، وذلك بإرادة مقتدرة، حتى يستطيع أن يظهر في صورة عبد في شبه الناس. وهذا يعني «تجسُّد»، كما يشرحه جميع الآباء اللاهوتيين حيث اتحدت الطبيعة الإلهية بالطبيعة البشرية بغير اختلاط ولا امتزاج ولا تغيير، وكل طبيعة لم تفقد شيئاً من خواصها.

ج ــ مستوى الاتضاع البشري:

وبعد ما صار في هيئة إنسان، ابتدأ يأخذ على عاتقه تصحيح ما خرَّبه الإنسان بكبريائه

---

22. Lightfoot, *St. Paul Epist. to the Phil.*, p. 110.
23. Ibid.
24. Cyril of Alex., Hilary of Poitiers, Chrysostom, quoted by Lightfoot, *op. cit.*, p. 135-136.

وعصيانه، سواء في آدم أو في كل نسله، فعمل ما كان يتحتم على كل إنسان أن يعمله من آدم إلى آخر ذرية آدم وهو التواضع أمام الله، فتواضع: «وضع نفسه» ἐταπείνωσεν ἑαυτόν . وهنا لم يكتفِ المسيح بأن صار عبداً، بل أخذ المستوى الأقل فيما هو تحت العبد فقدَّم نفسه ليس لخدمة كخدمة العبيد، بل وأطاع كخروف يُساق للذبح وحمل الصليب ومات عليه ليكفِّر عن خطايا العبيد!!

د ــ مستوى الارتفاع إلى السموات العُلا:

وإذ أكمل الاتضاع عن بني الإنسان، واستوفى الطاعة منتهى الطاعة استيفاءً بلغ به الموت، وكفَّر عن كل خطايا الإنسان بل والخليقة كلها، استحق أن يرتفع فوق كل خليقة في الأرض وفي السماء ليحتل ــ متجسداً ــ كامل مجده الأول، ويأخذ اسماً فوق كل الأسماء التي سُمِّيت بها كل الخلائق الممجدة، لأنه عمل ما لا يستطيعُ أن يعمله أيٌّ منها.

هـ ــ وهكذا إذ تحررت الخلائق طُرًّا من ماضيها الذي حبسها في العصيان أو العجز والقصور وتصالحت مع الله، صار حقاً للمسيح أن تنحني باسمه كل ركبة إنْ في السماء أو على الأرض أو في الهاوية (أي المنتقلين في عالم الأموات)، لأنه بغير اسم المسيح تمتنع صحة العبادة أو قبولها، إذ لا تكون مصالحة.

و ــ ومع انحناء كل ركبة يكون الاعتراف بربوبية المسيح عن حق والتزام. أما عن حقٍّ، فالمسيح قَبْلَ أن يعمل عمله على الأرض كان في صورة الله مُعادلاً. أما عن التزام، فهو الذي وهب الخليقة العتيقة عُتْقاً من عبوديتها ووهبها خلقة جديدة تليق بالسمائيين. ولكن تبقى ربوبية المسيح وقفاً على تمجيد الله الآب لتزيد لاهوت الابن جلاءً ومجد الآب جلالاً: «المسيح هو ربٌّ، لمجد الله الآب.» (في٢:١١)

اتفاق الآباء القديسين الأوائل بلا استثناء بخصوص هذه الآيات السبع من الرسالة إلى فيلبي (٢:٥ــ١١):

بعد أن عرفنا في البداية أن هذه العقيدة المختصة بسَبْق وجود المسيح، وبإخلائه لذاته من مجد لاهوته، وباتحاد اللاهوت فيه بالناسوت فينا، هي بحسب الظن من تعاليم الرسل كحقيقة كانت تُلقَّن للمعمَّد. كذلك نجد هذا التعليم عند الآباء القديسين الأوائل حقيقةً مُعْتَرَفاً بها باهتمام بالغ دون أن يكون هناك أي اشتباه أو اعتراض من أيٍّ من الآباء على أي بند فيها، سواء من آباء الشرق أو آباء الغرب بلا استثناء. بل إن الآباء المدافعين في كل العصور الأُولى أخذوها كما هي

بحرفيتها وبدون أي شرح، وجعلوها المعيار اللاهوتي، الحَكَم، لدحض أية بدعة من كل البدع التي صدَّعت رأس الكنيسة ما يقرب من خمسة قرون متلاحقة.

وكمثلٍ لذلك، نقدم وصفاً للقديس يوحنا ذهبي الفم قدَّمه في إحدى عظاته حاثاً سامعيه أن يتصوَّروا معه كيف أن هذه الآيات من الرسالة إلى فيلبي نزلت كالصاعقة على جوع الهراطقة وذلك حينما استخدمتها الكنيسة في دفاعها ضدهم: أريوس، وسابيليوس، وماركيون، وفالنتينوس، وماني، وبولس الساموساطي، وأبوليناريوس من لاوديكا، ومارسللوس من أنقرا، وصوفرينوس، وفوتينوس. ويقول:

[تماماً كما ترون في حلبة الملاعب في المصارعات بين العربات، فلا شيء يقارن بفرح الجمهور حينما يقتحم أحد المصارعين عربات خصومه ذات الأربعة الخيول الواحدة تلو الأخرى طارحاً إياها أرضاً بخيولها وفرسانها منهياً السباق، ويخلو له الجو فيقطع الملعب جرياً من أوله إلى آخره. وفي وسط هياج الجمهور بالهتاف والتصفيق من كل ناحية حتى عنان السماء، يتطلَّع إليهم ثملاً بانتصاره وكأنه يطير في الهواء، كيف لا يكون بالأكثر شعورنا عندما نطرح بنعمة الله ومرة واحدة ــ بهذه الآيات ــ كل حيل ودسائس هذه الهرطقات مع فرسانها](٢٥).

25. NPNF, 1st Ser., Vol. XIII, p. 206f.

وقفة قصيرة ومراجعة لحقيقة المسيح

سنورد هنا بعضاً من الآيات التي وردت في رسائل بولس الرسول لكي تلقي الضوء على لاهوت المسيح وصفاته واختصاصاته وأعماله:

أ ــ مكانة المسيح العليا: «**فوق كل رياسة وسلطان وقوة وسيادة وكل اسم** يُسمَّى ليس في هذا الدهر فقط بل في المستقبل أيضاً وأخضع كل شيء **تحت قدميه**.» (أف١: ٢١و٢٢)

ب ــ المسيح خالق الكل: «الذي به أيضاً عمل العالمين.» (عب١: ٢)

«فإنه فيه خُلِقَ الكل ما في السموات وما على الأرض ما يُرى وما لا يُرى سواء كان عروشاً(٢٦) أم سيادات أم رياسات أم سلاطين. الكل به وله قد خُلِقَ.» (كو١: ١٦)

«الله خالق الجميع بيسوع المسيح.» (أف٣: ٩)

«وأنت يا رب في البدء أسست الأرض والسموات هي عمل يديك. هي تبيد ولكن أنت تبقى وكلها كثوب تبلى وكرداء تطويها فتتغير ولكن أنت أنت وسنوك لن تفنى.» (عب١: ١٠ــ١٢)

ج ــ المسيح يقيم العالم كله: «الذي هو قبل كل شيء وفيه يقوم الكل hold together = συνέστηκεν.» (كو١: ١٧)

من "أ"، "ب"، "ج" يتعيَّن أن يكون المسيح هو السبب الفعال والعلَّة والغرض النهائي لقيام العالم وكلٍّ ما هو موجود في الأرض وفي السماء، وهذه هي مؤهلات لاهوته.

د ــ ١ ــ المسيح صورة الله الآب غير المنظور:

«المسيح الذي هو صورة الله.» (٢كو٤: ٤)

«الذي هو صورة الله غير المنظور.» (كو١: ١٥)

(٢٦) من ضمن أصحاب العروش: الأربعة والعشرون شيخاً الجالسون على عروشهم في سفر الرؤيا.

٢ ـ بهاء مجده ورسم جوهره: «الذي هو بهاء مجده ورسم جوهره وحامل كل الأشياء بكلمة قدرته.» (عب١:٣)

هـ ـ المسيح ابن الله: «ابن الله يسوع المسيح الذي كُرِز به بينكم ...» (٢كو١:١٩)

«وأيضاً أنا أكون له أباً وهو يكون لي ابناً.» (عب١:٥)

الله أرسله: «فالله إذ أرسل ابنه في شبه جسد الخطية ...» (رو٨:٣)

الله بذله: «الذي لم يشفق على ابنه بل بذله لأجلنا أجمعين كيف لا يهبنا أيضاً معه كل شيء.» (رو٨:٣٢)

الله يحبه وأعطاه الملكوت: «(الله) الذي أنقذنا من سلطان الظلمة ونقلنا إلى ملكوت ابن محبته.» (كو١:١٣)

وعرشه في السماء إلى الدهر: «وأما عن الابن كرسيُّك يا الله إلى دهر الدهور.» (عب١:٨)

قضيب ملكه هو عدله: «قضيبُ استقامةٍ قضيبُ مُلْكِكَ.» (عب١:٨)

الله أعطى نعمته لنا فيه: «لمدح مجد نعمته التي أنعم بها علينا في المحبوب.» (أف١:٦)

الله يعلن ابنه فينا: «ولكن لما سَرَّ الله ... أن يعلن ابنه فيَّ لأُبشر به بين الأمم.» (غل١: ١٥و١٦)

الله كلمنا في ابنه: «الله بعد ما كلم الآباء بالأنبياء قديماً بأنواع وطرق كثيرة كلَّمنا في هذه الأيام الأخيرة في ابنه.» (عب١: ١و٢)

و ـ المسيح إله وله المجد: «الكائن على الكل **إلهاً مباركاً إلى الأبد آمين.**» (رو٩:٥)

«الله الحكيم وحده بيسوع المسيح له **المجد إلى الأبد آمين.**» (رو١٦:٢٧)

«وسينقذني الرب من كل عمل رديء ويخلصني لملكوته

السماوي الذي له **المجد إلى دهر الدهور آمين.»** (٢تي ٤: ١٨)

«الله ظهر في الجسد (المسيح) تبرر في الروح تراءى لملائكة، كُرز به بين الأمم أومن به في العالم **رفع في المجد.»** (١تي٣: ١٦)

ز ـ المسيح تُقدَّم له الصلاة: «من جهة هذا تضرعت إلى الرب ثلاث مرات ... فقال لي تكفيك نعمتي ...» (٢ كو١٢: ٨و٩)

«لأن رباً واحداً (يسوع المسيح) للجميع غنياً لجميع الذين يدعون به.» (رو١٠: ١٢)

«لأن كل من يدعو باسم الرب يخلص.» (رو١٠: ١٣)

«جميع الذين يدعون باسم ربنا يسوع المسيح في كل مكان لهم ولنا نعمة ...» (١ كو١: ٢)

ح ـ المسيح نستمد منه النعمة: «نعمة ربنا يسوع المسيح معكم.» (رو١٦: ٢٠)

والسلام: «نعمة لكم وسلام من الله أبينا والرب يسوع المسيح.» (رو١: ٧)

والرحمة: «نعمة ورحمة وسلام من الله أبينا والمسيح يسوع ربنا.» (١تي١: ٢)

ط ـ المسيح تنحني أمامه كل ركبة: «لكي تجثو باسم يسوع كل ركبة ممن في السماء ومن على الأرض ومن تحت الأرض.» (في٢: ١٠)

وتسجد أمامه الملائكة: «ومتى أدخل البكر إلى العالم يقول ولتسجد له كل ملائكة الله.» (عب١: ٦)

ي ـ المسيح أزلي قبل تأسيس العالم: «كما اختارنا فيه قبل تأسيس العالم لنكون قديسين وبلا لوم قدامه في المحبة.» (أف١: ٤)

ك ـ المسيح ثابت لا يتغير: «هي تبيد ولكن أنت تبقى ... كرداء تطويها فتتغير ولكن أنت أنت وسنوك لن تفنى.» (عب١: ١١و١٢)

أمس واليوم وإلى الأبد: «يسوع المسيح هو هو أمساً واليوم وإلى الأبد.» (عب١٣: ٨)

ل ـ المسيح كليُّ القدرة: «وحامل كل الأشياء بكلمة قدرته.» (عب١: ١٣)
«متقوّين بكل قوة بحسب قدرة مجده.» (كو١: ١١)

م ـ المسيح ديّان الجميع: «لأنه لا بد أننا جميعاً نُظهر أمام كرسي المسيح لينال كل واحد ما كان بالجسد بحسب ما صنع خيراً كان أم شراً.» (٢كو٥: ١٠)

ن ـ ملكوت المسيح والله واحد: «ملكوت المسيح والله.» (أف٥: ٥)

س ـ روح المسيح والله واحد: «وأما أنتم فلستم في الجسد بل في الروح إن كان روح الله ساكناً فيكم، ولكن إن كان أحد ليس له روح المسيح فذلك ليس له.» (رو٨: ٩)

ع ـ المسيح الرب الوحيد: «ورب واحد يسوع المسيح» (١كو٨: ٦)، ومن هذا النص جاء بند قانون الإيمان: «نؤمن برب واحد يسوع المسيح».

ف ـ المسيح الله ظهر في الجسد: «عظيم هو سر التقوى الله ظهر في الجسد.» (١تي٣: ١٦)

ص ـ وفيه كل ملء اللاهوت: «الذي فيه يحل كل ملء اللاهوت جسدياً.» (كو٢: ٩)

ق ـ ناموس المسيح ناموس الله: «مع أني لست بلا ناموس لله بل تحت ناموس للمسيح.» (١كو٩: ٢١)

على أن اسم «الله» بدون إضافات احتجزه القديس بولس للتعبير عن الآب، وأحياناً يوضحه «الله الآب» أو «أبو ربنا يسوع المسيح». أما كلمة «المسيح»، فإذا أوردها تحت كلمة «الله» فلا تكون اسماً ذاتياً بل صفة جوهرية للابن أي بطبيعة الله. فقوله. «الله ظهر في الجسد»، يعني أن اللاهوت تجسد، وقوله عن المسيح: «الله العظيم»، يعني مجد لاهوته العظيم و«ظهور مجد الله العظيم ومخلصنا يسوع المسيح»، يعني ظهور المسيح مخلصنا بمجده الإلهي العظيم.

الفصل الثاني

الثالوث في لاهوت بولس الرسول

القول «بالثالوث» عند بولس الرسول لا يأتي حسب منهج معين، فهو لم يذكر كلمة **«الثالوث»** ولكنها تأتي اضطراراً منه عندما يتعرض لعمل الله المتعدد الاتجاهات. ولكن من واقع التعليم الذي يقدمه بولس الرسول نستشف بوضوح أن الثالوث في الله قائم في وعيه بصورة واضحة وثابتة، وبولس الرسول حريص أن يذكر عمل كل شخص في الثالوث حسب اختصاصه، وأحياناً يأتي العمل الاختصاصي لكل شخص في الله متقارباً جداً مع العمل الآخر فيبدو الثالوث واضحاً للغاية: والذي منه نستدل على وجود المسيح السابق لتجسده.

١ – «نعمة ربنا يسوع المسيح؛
ومحبة الله؛
وشركة الروح القدس مع جميعكم آمين.» (٢ كو١٣:١٣)

[المسيح، الله، الروح القدس]

والعجيب حقاً أن بولس الرسول لا يضع هنا هذه الصيغة اللاهوتية في قالب تعليمي ولا يركِّز عليها كعنصر إيماني بالغ الأهمية، ولا يعتني أن يجعلها بترتيب تدرُّجها من الآب إلى الابن إلى الروح القدس، ولكنه يرسلها سهلة سلسة كتحية ودعاء في آخر رسالته إلى كورنثوس، هذا هو لاهوت بولس الرسول يأتيك عفواً وعليك أن تلتقطه كجوهرة من داخل أغلفة.

لقد التقطته الكنيسة، وبدل أن كان يَرِد عند القديس بولس في آخر الرسالة، جعلته الكنيسة دُكْصا الافتتاح لأقدس ليتورجية فيها وهو القداس الإلهي، وجعلت منطوقه هكذا: **«محبة الله الآب، ونعمة الابن الوحيد، وشركة وموهبة الروح القدس تكون مع جميعكم آمين».**

ولكن الذي يُدهش القارىء حقاً أن بولس الرسول أورد في رسائله القليلة مثل هذا التعبير

الإلهي الذي ينمُّ عن الثالوث ثلاثين مرة!! مما يفصح عن مدى الأهمية التي انطبعت في وعي بولس الرسول المسيحي عن علاقة المسيح بالله من داخل طبيعته الفعَّالة.

ويُلاحَظ أن ذِكْرَ بولس الرسول لله الآب وللمسيح الابن وللروح القدس، وإن جاء عن طريق عمل كل منهم في اختصاصه من نحونا وبدون ترتيب التدرج هذا، إلاَّ أنه بوعي شديد يرتفع بالثالوث في كيانه فوق كل كيان مخلوق ليحجزه في مجال الله الحتمي بانتباه وبدون أي خلل. وهذا بحسب علم اللاهوت التَّقْني والمقنَّن والمحدد بمفهومات الطبيعة والجوهر والأقنوم والكيان الخاص والاتحاد الجوهري، إلى آخره من الاصطلاحات الدقيقة، نقول إن بولس الرسول كان في سرده لعلاقات الآب والمسيح والروح القدس من الدقة والتمييز والتحديد وإعطاء الأمثلة المتعددة جداً، وكأنه كان يوفِّر للاهوتيي العصور القادمة برنامجاً فاخراً زاخراً بالمضامين الإلهية للثالوث لكي يقنِّنوا منه ما قنَّنوه في هذا الشأن على أسس وقواعد لا تختل! ... وكان واضحاً في كل هذا عاملُ الإلهام بالروح القدس.

في الآية السابقة التي يدعو فيها لأهل كورنثوس ــ من لَدُن الله ــ بالنعمة والمحبة والشركة الروحية يتضح:

(أ) أن أساس الدعاء هو أساس لاهوتي وهو **«النعمة»** فقد جعلها من اختصاص المسيح.

(ب) ثم المحبة، وجاءت من اختصاص الآب كأساس للنعمة، **فمحبة الآب هي التي** تسببت في ظهور المسيح ونعمته. كذلك فإن المحبة تعبِّر عن الطبيعة الكلية لله الفعَّالة التي انبثقت منها النعمة.

(ج) ثم ينتهي بعمل الروح القدس الذي بنعمة المسيح يؤسس **الشركة** في المؤمنين.

لذلك، فإن بولس الرسول، وبوعي شديد، وضع نعمة المسيح قبل المحبة لأننا بالنعمة التي في المسيح عرفنا المحبة التي في الآب؛ والكنيسة بتعديلها هذا التدرج من الابن للآب للروح القدس قصدت التدرج في الكيان اللاهوتي للثالوث حسب المنطق: الآب ثم الابن ثم الروح القدس بنوع من التقنين التعليمي الذي يوحي ــ خطأ ــ بأن هناك تدرجاً في الكرامة والمساواة، وضحَّت بالتدرج الفعلي والعملي على مستوى الاختبار عند بولس الرسول الذي يوحي بأنه لا يوجد هنا تفريق في الكرامة أو المساواة.

والثلاثة الأشخاص أو الأقانيم بعملهم المتفق والمتلاحق النعمة والمحبة والشركة هو تعبير عن عمل الخلاص وفعاليته.

٢ ــ مَثَل آخر لعمل الثالوث باتفاق مدهش، حيث يقدِّم بولس الرسول هنا الروح القدس ثم الابن ثم الآب من واقع الفعل العملي فيقول:

«فأنواع مواهب موجودة ولكن **الروح واحد**،

وأنواع خِدَم موجودة ولكن **الرب واحد**،

وأنواع أعمال موجودة ولكن **الله واحد** الذي يعمل الكل في الكل.» (١ كو١٢: ٤ــ٦)

[الروح، الرب، الله]

بولس الرسول هنا لا يتدرج في الأقانيم من الروح إلى الابن إلى الآب، بل يتدرج في التخصص: فيبدأ (أ) **بنوع الموهبة**، ثم ينتقل إلى (ب) **نوع الخدمة** (الوظيفة الكنسية)، ثم (ج) **نوع العمل**. فالموهبة يزكيها الروح القدس، والخدمة في الكنيسة يزكيها المسيح، والعمل الكرازي يزكيه الآب. ولكن هذا التخصص هو توضيحي بالنسبة لنا وليس إلزامياً على الثالوث، فأيٌّ من الأقانيم يمكن أن يعمل ما يعمله الآخر.

ومرة أخرى ننبه أنه عند القديس بولس لا توجد الفكرة التدرجية في الرئاسة بين الأقانيم، إنما التدرج يأتي في العمل، ولكنه أيضاً ليس إلزاماً. وقوله في نهاية الآيات بخصوص الله: «ولكن الله واحد **الذي يعمل الكل في الكل**»، يعني أن هنا عودة على التخصيص المنفرد لكل منهم ليجمعه مرة ثانية في وحدة الله. وهو على مستوى التعبير: «والثلاثة واحد»، وكأنه يقول أنه ولو أن لكل أقنوم عمله ولكن الثلاثة واحد.

٣ ــ في المثلين السابقين جاء عمل الثالوث متقارباً فوضح الثالوث ذاته، ولكن في أمثلة أخرى لا يأتي عمل الثالوث متقارباً لذلك يحتاج من الذهن نوعاً من التركيز لاستقطاب صورة الثالوث من بين السطور.

+ «ولكن لما جاء ملء الزمان أرسل "**الله**"، "**ابنه**" مولوداً من امرأة مولوداً تحت الناموس ليفتدي الذين تحت الناموس لننال التبني. ثم بما أنكم أبناءٌ أرسل الله "**روح ابنه**" إلى قلوبكم صارخاً يا أبا الآبُ. إذاً لست بعد عبداً بل ابناً وإن كنت ابناً فوارث لله بالمسيح.» (غل٤: ٤ــ٧)

[الله، ابنه، روح ابنه]

هنا لا يأتي بولس الرسول على ذكر الثالوث بالنسبة لعمله فينا، ولكن بالنسبة للعلاقة التي يرتبط بها في طبيعة الله ذاته، فواضح غاية الوضوح أن «**الله أرسل ابنه**»، ثم «**أرسل الله روح ابنه**».

هنا يلزم أن نشرح كلمة «أرسل» فهي تأتي باليونانية في المرتين: ἐξαπέστειλεν التي تفيد «الخروج من». فهي بالنسبة للابن تفيد الخروج للتجسد «أرسل الله ابنه مولوداً من امرأة»، كذلك بالنسبة للروح القدس فهي تفيد الخروج للملء: «أرسل الله روح ابنه إلى قلوبكم». وهكذا تنكشف العلاقة المتصلة الوثيقة بين الله والابن والروح القدس، سواء الوحدة التي تربط الابن والروح القدس في الآب أو الوحدة التي تربط الروح بالابن والآب.

٤ ــ «الذين ينقادون بروح الله فأولئك هم أبناء الله،
إذ لم تأخذوا روح العبودية أيضاً للخوف،
بل أخذتم روح التبني الذي به نصرخ يا أبا الآب،
الروح نفسه أيضاً يشهد مع أرواحنا أننا أولاد الله،
فإن كنا أولاداً فإننا ورثة أيضاً ورثة الله ووارثون مع المسيح.» (رو٨: ١٤ــ١٧)
[روح الله، ورثة الله، مع المسيح]

هنا يذكر بولس الرسول الثالوث موضِّحاً من جهة أعماله ومؤهلاته:
(أ) ف «الروح القدس» يقود ويشهد وهو روح التبني،
(ب) و «الابن» وارث للآب ويورِّثنا معه،
(ج) و «الآب» أعطى «روح الله» وهو روح التبني ليكون هو أباً ونحن أبناءً له مع المسيح.

ولكن بقراءة ما جاء في المثال الثالث مع ما جاء في المثال الرابع يتضح الآتي:
ــ الله الآب هو الذي يرسل الروح القدس.
ــ الروح القدس هو روح الله وروح الابن.
ــ التبني هو عمل الروح القدس، وهو عمل الابن وهو عمل الآب.
ــ التبني مع المسيح يجعلنا ورثة معه ومع الآب، يجعلنا وارثين للآب كأبناء.

وهنا يستحيل أن نقطع بأيٍّ من هذه الأعمال نضعه في الأول وأيها في الآخِر. لأننا بالروح نعرف الآب والابن، وبالابن نعرف الروح القدس والآب، وبالآب نعرف الروح القدس والابن. لذلك لا نجد في لاهوت بولس الرسول تنسيقاً تدريجياً بين الأقانيم.

٥ ــ «ولكن حين ظهر لطف مخلصنا الله وإحسانه،
لا بأعمالٍ في برٍّ عملناها نحن،

بل بمقتضى رحمته خلصنا بغسل الميلاد الثاني وتجديد الروح القدس، الذي سكبه بغنى علينا بيسوع المسيح مخلصنا.» (تي٣: ٤ـ٦)

هنا توضيح للثالوث بحسب عمله في المعمودية:

فالله (أ) «الآب» سكب (ب) «الروح القدس» بغنى بواسطة (ج) «يسوع المسيح» علينا.

والمعمودية ميلاد ثانٍ من رحمة الله الآب وإحساناته للخلاص.

والمعمودية تجديد بالروح القدس وبيسوع المسيح الوسيط الأساسي.

و يراها اللاهوتيون في الكنيسة هكذا: **الآب يقدِّس في الروح القدس بواسطة الابن.**

فعامل التقديس المباشر هو الروح القدس. والمعمودية هي حميم تجديد الخلقة، لأنها تعطي ميلاداً ثانياً جديداً للإنسان على المستوى الروحي. فالروح القدس هو المسئول عن التجديد، لأنه هو الذي يعطي ماء المعمودية القوة التقديسية للتجديد أي للميلاد الثاني جديداً. والمسيح هو الواسطة التي يأخذ منها الروح القدس الطبيعة الجديدة للخلقة الجديدة بكل صفاتها الجديدة. فالمسيح هو العنصر الوسيط الأساسي في الخلقة الجديدة لأننا بطبيعته وعلى صورته نُخلق، وعلى صورته نتجدد، وبحياته الجديدة نحيا.

وهذه الآيات التي جاءت في المثل الخامس يوضحها بولس الرسول بالنسبة للمعمودية بآية أخرى شديدة التعبير:

«وهكذا كان أناس منكم، لكن اغتسلتم بل تقدستم بل تبررتم باسم الرب **يسوع وبروح إلهنا.**» (١كو٦: ١١)

وكقاعدة عامة، فبولس الرسول لا يذكر نعمة المعمودية إلاَّ تحت الأسماء الثلاثة الآب والابن والروح القدس باتحاد وتوافق.

٦ ــ «ولكن الذي يثبِّتنا معكم في **المسيح** وقد مسحنا هو **الله**، الذي ختمنا أيضاً وأعطى عربون **الروح** في قلوبنا.» (٢كو١: ٢١و٢٢)

[المسيح، الله، الروح القدس]

هنا لا يتكلم بولس الرسول عن المعمودية ولا عن المسحة العامة للمسيحيين بالروح القدس في المعمودية، ولكنه يتكلم عن نفسه أولاً كرسول قد مسحه الله للرسولية وختمه بختم الروح القدس، ليس هنا بالمعمودية بل بالإنجيل فهو ختم الشهادة، كما أعطاه الله قوة الروح القدس في قلبه

لتذليل كل الصعاب كعربون النصرة الأخيرة.

هنا الأقانيم الإلهية الثلاثة تعمل في بولس الرسول للبشارة باتفاق، فالله الآب أعطاه عمل الرسولية (مسحه)، والمسيح هو فيه موضوع البشارة (في المسيح)، الروح هو ختم الرسالة المقروء لدى السامعين.

ويلاحظ أن هذه الأعمال كلها يحتويها الله الآب في أربعة أفعال:

يُثَبِّتنا، مَسَحنا، ختمنا، أعطى عربون الروح.

٧ ــ «بسبب النعمة التي وُهِبَتْ لي من الله،

حتى أكون **خادماً** ليسوع المسيح لأجل الأمم،

مباشراً لإنجيل الله ككاهن،

ليكون قربان الأمم مقبولاً **مقدَّساً بالروح القدس**.» (رو١٥: ١٥و١٦)

[الله، يسوع المسيح، الروح القدس]

هذه الآيات الثلاث لا تأخذ قوتها اللائقة في الترجمة العربية فالكلمات: (أ) **«خادماً»**، (ب) **«مباشراً»**، (ج) **«قربان»**، (د) **«مقبولاً»**، (هـ) **«مقدساً»**، تحوي في أصلها اليوناني رنَّة لاهوتية ليتورجية طقسية خصائصية توحي بمنهج فكري وراءها كالآتي:

أ ــ خادماً: λειτουργόν

وتفيد، ليس الخدمة، ولكن الذي يقوم بالمساعدة في تتميم طقس مقدس، وتعني في العهد القديم «لاوي»، فالخادم الحقيقي هو المسيح رئيس كهنة وخادم الأقداس (عب٨: ١و٢).

ب ــ مباشراً: ἱερουργοῦντα

الكلمة هنا تتكون في اللغة اليونانية من مقطعين: المقطع الأول ἱερεύς أي مقدس ــ كاهن ــ والمقطع الثاني يؤدي خدمة، وهي تفيد ممارسة طقس خدمة مقدسة، وهنا تحمل الكلمة معنى خدمة كاهن بالنسبة للإنجيل ليعد الأمم تقدمة لله!

ج ــ قرباناً: προσφορά وتعني ذبيحة أيضاً.

ويكون المعنى أن القديس بولس يخدم المسيح كلاويٍّ بالنسبة لرئيس كهنة، ثم ككاهن بالنسبة للأمم إذ يقدسهم بالكلمة، أي الإنجيل، ليقدمهم ذبيحة. وهم يصيرون ذبائح حقيقية بالشركة في ذبيحة المسيح على الصليب.

د ــ **مقبولاً:** εὐπρόσδεκτος ــ باللاتينية تتضح أكثر acceptabilis وتعني مُرْضِياً أيضاً.

هذا بحسب طقس العهد القديم في الذبائح الذي ينص على أن كل ذبيحة تُقدَّم لله بالشروط تصير مرضية ومقبولة عنده. وهذه الشروط في العهد الجديد هي حلول الروح القدس على الذبيحة وتقديسها أي حفظها من العالم لتكون لله خاصة.

هـ ــ **مقدساً:** ἡγιασμένη

هنا العامل الجديد الذي لا يوجد في العهد القديم وهو حلول الروح القدس للتقديس بمعنى أن يصير المعمَّد خاصاً لله. إذ يأخذ ختم الروح السماوي كذبيحة مقبولة ومرضية خُصصت لله.

وهكذا يا عزيزي القارىء بعد أن أُعطي لكل كلمة معناها الدقيق بحسب الأصل اليوناني، يتضح المعنى ويتضح عمل الآب والابن والروح القدس:

فالآب هو الذي يقبل الذبائح المستوفاة الشروط،

والابن هو الذي يعطيها لحمه ودمه ميتاً ومُقَاماً بالإنجيل،

والروح القدس يستوفي بالتقديس شرط القبول للذبيحة والرضى لدى الآب.

مفردات الثالوث

أ ــ المسيح «ابن الله»

إنها الحقيقة الثابتة التي استعلنها بولس الرسول في المسيح والتي سبق أن استوفينا مداخلها في فصل «سبق وجود المسيح»، أي وجوده السابق على التجسد، هذه الحقيقة ــ «المسيح ابن الله» ــ التي على ضوئها أدرك بولس الرسول عمق ومرمى عمل الصليب ــ أي الفداء العظيم ــ الذي أكمله على أساس لاهوته، والذي أوضحه في قوله الذي يُعتَبَر المحكَّ لكل مخارج لاهوت بولس الرسول: «ولكن لما جاء ملء الزمان، أرسل الله ابنه مولوداً من امرأة مولوداً تحت الناموس.» (غل ٤: ٤)

وبولس الرسول هو أكثر من حدد شخصية المسيح كابن الله والوحيد الذي عدَّد جميع تخصصاته التي تجسد من أجل تكميلها، ثم هو الوحيد الذي شرح علاقة الابن بالآب من جهة الرسالة العملية التي نزل لتكميلها، ثم الوحيد الذي اطَّلع بالروح والنبوة والرؤيا العالية الأخروية على كيف سيختم الابن أعماله وبعدها يخضع الابن للآب، فتنتهي رسالته بالنسبة لخلاص الإنسان ويصير الابن في الله، ليصير الله الكلَّ في الكل: «ومتى أُخضع له الكل ــ (حيث آخر عدو يُبْطل هو الموت) ــ فحينئذ الابن نفسه أيضاً سيخضع للذي أُخضع له الكل كي يكون الله الكل في

الكل» (١ كو١٥: ٢٩). وتعتبر هذه الآية في لاهوت القديس بولس من أخطر الآيات التي تستعلن دور ابن الله الذي كلّفه الظهور العلني في جسد إنسان (مولوداً من امرأة)، الذي بعد أن يكمّله سيعود للإختفاء الكلي في الآب كما كان، وهذا يقابله في لاهوت القديس يوحنا استعلانه للابن قبل تجسده وهو قائم في الله قبل أن يقوم برسالته: «في البدء كان الكلمة والكلمة كان عند الله وكان الكلمة الله. هذا كان في البدء عند الله» (يو١: ١). هكذا يستعلن لنا القديس يوحنا «ابن الله» في الأزل، ويستعلنه لنا القديس بولس في الأبد.

وإليك أيها القارىء العزيز مجمل الآيات التي وردت في لاهوت القديس بولس التي استعلن فيها «**ابن الله**» في شخصه وفي عمله الذي أدّاه على مستويات الرسالة التي أرسله لها الآب:

١ ــ «بولس ... المُفْرَز لإنجيل الله، الذي سبق فوعد به بأنبيائه في الكتب المقدسة **عن ابنه** الذي صار من نسل داود من جهة الجسد، وتعين ابن الله بقوة من جهة روح القداسة بالقيامة من الأموات.» (رو١: ١ــ٤)

٢ ــ «فماذا نقول لهذا، إن كان الله معنا فمن علينا، الذي لم **يشفق على ابنه** بل بذله لأجلنا أجمعين، كيف لا يهبنا أيضاً معه كل شيء.» (رو٨: ٣١و٣٢)

٣ ــ «ولكن لما جاء ملء الزمان **أرسل الله ابنه مولوداً من امرأة**، مولوداً تحت الناموس ليفتدي الذين تحت الناموس لننال **التبني**، ثم بما أنكم أبناء أرسل الله **روح ابنه** إلى قلوبكم صارخاً يا أبا الآب.» (غل٤: ٤ــ٦)

٤ ــ «لأنه إن كنا ونحن أعداء قد **صولحنا مع الله بموت ابنه**، فبالأولى كثيراً ونحن مُصالَحون نَخلُص بحياته.» (رو٥: ١٠)

٥ ــ «وتنتظروا **ابنه من السماء** الذي أقامه من الأموات يسوع الذي ينقذنا من الغضب الآتي.» (١تس١: ١٠)

٦ ــ «(الله) الذي أنقذنا من سلطان الظلمة ونقلنا إلى ملكوت **ابن محبته**، الذي لنا فيه الفداء بدمه غفران الخطايا الذي هو صورة الله غير المنظور.» (كو١: ١٣ــ١٥)

٧ ــ «لأن الذين سبق فعرفهم، سبق فعيَّنهم، ليكونوا مشابهين صورة **ابنه** ليكون هو بكراً بين إخوة كثيرين.» (رو٨: ٢٩)

٨ ــ «**ابن الله** يسوع المسيح الذي كُرِز به بينكم.» (٢ كو١: ١٩)

٩ ــ «فالله إذ أرسل **ابنه** في شبه جسد الخطية...» (رو٨: ٣)

١٠ ــ «وأما عن **الابن** كرسيُّك يا الله إلى دهر الدهور.» (عب١: ٨)

١١ ــ «ولكن لما سَرَّ الله ... أن يعلن **ابنه** فيَّ لأُبشر به بين الأمم.» (غل١: ١٥و١٦)

١٢ ــ «الله بعد ما كلّم الآباء بالأنبياء قديماً بأنواع وطرق كثيرة، كلمنا في هذه الأيام الأخيرة في **ابنه**.» (عب١: ١و٢)

وإن كان من العسير أن نتابع منابع الإلهام عند بولس الرسول لكي نحصر مبادىء فكره عن بنوَّة المسيح لله، لأن عمل الروح القدس يستحيل ملاحقته. ولكن إذا وضعنا الآيات ــ التي ومضت في وعي القديس بولس فيما يخص المسيح ــ تباعاً، فإنه يمكن أن نستخلص لماذا المسيح هو ابن الله، لا كلقب ماسيَّاني موروث، ولكن كواقع حيٍّ فعَّال.

«فإنه فيه **خُلق الكل**، ما في السموات وما على الأرض ما يُرى وما لا يُرى ...،

الكلُّ به وله قد خُلق،

الذي هو قبل كل شيء وفيه يقوم الكل.» (كو١: ١٦و١٧)

«الذي هو **صورة الله** غير المنظور...» (كو١: ١٥)

«الذي وهو **بهاء مجده ورسم جوهره وحاملٌ كل الأشياء بكلمة قدرته**...» (عب١: ٣)

«الذي إذ كان في صورة الله، لم يحسب خلسة أن يكون **معادلاً لله**.» (في٢: ٦)

«**فبالمسيح قوة الله وحكمة الله**.» (١كو١: ٢٤)

«**فإنه فيه يحل كل ملء اللاهوت جسدياً**.» (كو٢: ٩)

«**لكي تجثو باسم يسوع كل ركبة** ممن في السماء ومن على الأرض ... و يعترف كل لسان أن **يسوع المسيح هو رب لمجد الله الآب**.» (في٢: ١٠و١١)

«**الكائن على الكل إلهاً مباركاً** إلى الأبد آمين.» (رو٩: ٥)

«لنا إله واحد الآب الذي منه جميع الأشياء ونحن له، **ورب واحد يسوع المسيح، الذي به جميع الأشياء، ونحن به**.» (١كو٨: ٦)

«بالإجماع عظيم هو سر التقوى **الله ظهر في الجسد ... رُفِعَ في المجد**.» (١تي٣: ١٦)

فهذه الآيات تنتهي إلى حقيقة واحدة أن المسيح واحد مع الآب ــ كما قال المسيح نفسه: «أنا والآب واحد» (يو١٠: ٣٠): واحد في الجوهر وفي ذات الله العظمى: «أنت أيها الآب فيَّ وأنا فيك» (يو١٧: ٢١)، واحد في خصائص الطبيعة الإلهية: «كل ما هو لي فهو لك، وما هو لك

فهو لي» (يو١٧: ١٠). فإذا أضفنا إلى هذه الآيات ما تقول به التوراة ـــ التي يحفظها القديس بولس عن ظهر قلب ـــ بما يفيد أن المسيَّا هو ابن الله؛ كقول داود الذي استشهد به المسيح ليستعلن به نفسه لتلاميذه أنه هو ابن الله، كما جاء في إنجيل القديس متى:

«سألهم يسوع قائلاً ماذا تظنون في **المسيح "ابن مَنْ هو"**؟

قالوا له ابن داود! قال لهم:

فكيف يدعوه داود **بالروح** رباً؟ قائلاً قال **الرب لربي** اجلس عن يميني حتى أضع أعداءك موطئاً لقدميك.

فإن كان داود يدعوه رباً فكيف يكون ابنه؟» (مت٢٢: ٤١ــ٤٥)

إذاً فالرد على سؤال المسيح «**ابن مَنْ هو؟**» يكون بكل تأكيد أنه ليس «ابن داود» بل «**ابن الله**»!! وابن بالتساوي مع الله الآب لأن كلاً منهما أخَذَ لقب «رب»، وهو خلاصة المقولة النبوية: «قال "**الرب لربي**"» على التساوي!

هنا تحقق لدى بولس ولدى مَنْ يؤمن بكلمة الله أن المسيح هو ابن الله، لا انتساباً بل امتلاكاً. فالبنوَّة تمتلك الأُبوَّة وحدها في الله، كما أن الأُبوَّة تمتلك البُنوَّة لنفسها في وحدانية الذات.

وهكذا وحينما ينفك أمامنا سر بنوة المسيح لله الآب، تنفتح أمامنا كل أسرار صفاته، لماذا هو صورة الله الآب غير المنظور، وبهاء مجده ورسم جوهره؟ ولماذا ليس اختطافاً أن يكون معادلاً لله؟ ولماذا هو الخالق مع الآب؟ ولماذا الآب منه كل شيء والابن (الكلمة والفعل) به كل شيء؟ ولماذا هو قبل كل خليقة، وحامل كل الخلائق بكلمة قدرته؟ ولماذا الخليقة كلها تبيد وكثوب تبلى وكرداء تُطْوَى فتتغير وأما هو فيبقى وسُنوه لا تفنى؟ ولماذا هو أمساً واليوم وإلى الأبد؟ ولماذا باسمه تجثو ركبة كل حيٍّ في السموات وعلى الأرض والذين في عالم الحياة بعد الموت؟ ولماذا هو عن جدارة قائم دائم إلهاً مباركاً إلى الأبد آمين؟ ولماذا يقال عن تجسده أن الله ظهر في الجسد ثم رُفع في المجد؟ ثم لماذا يجلس عن يمين عظمة الله في السموات، لا ضيفاً، بل وريثاً ومثيلاً مع المثيل؟

ب ــ «الله» أبو ربنا يسوع المسيح

باستعلان «الابن» في الله، يستعلن الآب حتماً وبالضرورة. بل إن غاية الإنجيل كله وغاية كل بشارة أن يُستعلن «الآب» غير المنظور ويراه الإنسان ويعيش: «**فيعلن مجد الرب، ويراه كل بشر معاً** لأن فم الرب تكلم» (إش٤٠: ٥). علماً بأن هذه الآية تأتي نتيجة مباشرة لعمل تمهيدي قام به يوحنا المعمدان: «صوتُ صارخٍ في البرية أعدُّوا "طريق" الرب، قوِّموا في القفر سبيلاً لإلهنا كل وطاءٍ يرتفع وكلُّ جبل وأكَمَةٍ ينخفض، ويصير المعوجُّ مستقيماً والعراقيب سهلاً **"فيعلن مجد الرب" ويراه كل بشر معاً.**» (إش٤٠: ١ــ٥)

ومن هذه الآية يجيء القول بأن المسيح **صورة الله غير المنظور**، وأنه «**الطريق**» إلى الآب، وأن المسيح «**رب لمجد الله**»، وأنه «**بهاء مجده**»، وأنه «**رُفِعَ في المجد**»، «وهذه النعمة المخدومة منا **لمجد ذات الرب الواحد**» (٢كو٨: ١٩)، وأن «له المجد إلى الأبد آمين.» (رو١٦: ٢٧)

ومن هذه الآيات تكون نبوة إشعياء قد استوفت في المسيح كل مداها: «فيعلن مجد الرب و يراه كل بشر»، ويكون قد تحقق بالفعل المنظور أن المسيح هو مجد الله الآب غير المنظور، أو على وجه أفضل هو المجد العظيم لله الآب؛ وبعد ذلك يصير فهمُ الآية التالية سهلاً:

«منتظرين الرجاء المبارك وظهور "مجد الله العظيم ومخلصنا" يسوع المسيح» (تي٢: ١٣)، إذ أن ظهور المسيح المخلِّص هو بعينه ظهور مجد الله العظيم!!

ومن هنا بدأت أُبوَّة الله للمسيح تلقي بإحساسها الغامر على تقوى القديس بولس المُتأصِّلة في مخافة الله وفي هيبته في التوراة أصلاً، لتعطيها إحساس القُرْبَى من يهوه العظيم. وبدأ القديس بولس يخاطب الله لأول مرة في التاريخ اليهودي باسم «أبَا»، وهو اللقب المفعم بمشاعر الحب والانتماء والامتلاك للآب!!! وذلك بعد أن اعتمد بولس للمسيح، ولَبِس بالروح المسيح ابن الله، ونال روح المسيح **روح البنوَّة لله**. فلم يَعُدْ يقول بأبوَّة الله في سرٍّ بل بالصراخ والعَلَن.

+ «لأن كل الذين ينقادون بروح الله، فأولئك هم أبناء الله، إذ لم تأخذوا روح العبودية للناموس) أيضاً للخوف، بل أخذتم **روح التبني** الذي به نصرخ يا أبَا الآب.» (رو٨: ١٤و١٥)

+ «ثم بما أنكم أبناء أرسل الله **روح ابنه** إلى قلوبكم صارخاً **يا أبَا الآب.**» (غل٤: ٦)

وهكذا انحصر بولس الرسول إنحصاراً روحياً أفقده القدرة على التفريق بين الآب والابن في الله، فلم يَعُدْ يستطيع أن يذكر الله الآب إلاَّ مع الابن، ولا يذكر الابن إلاَّ مع الله الآب:

+ «مبارك الله أبو ربنا يسوع المسيح.» (أف١:٣)
+ «نشكر الله وأبا ربنا يسوع المسيح.» (كو١:٣)
+ «أحني ركبتيَّ لدى أبي ربنا يسوع المسيح.» (أف٣:١٤)

فإذا اضطر بولس الرسول بسبب التوضيح أو من واقع التركيب اللغوي أن يذكر الله الآب مُركِّزاً عليه وحده، فهو يذكره بصفته أباً لجميع مَنْ تبنَّاهم في ابنه يسوع المسيح بإحساس القُرْبَى والدالة والتملك أيضاً.

+ «بولس رسولٌ، لا مِنْ الناس ولا بإنسان، بل بيسوع المسيح **والله الآب.**» (غل١:١)
+ «نعمة لكم وسلام من **الله الآب** ومن ربنا يسوع المسيح.» (غل١:٣)
+ «لينقذنا من العالم الحاضر الشرير حسب إرادة **الله وأبينا** ...» (غل١:٤)
+ «متذكرين بلا انقطاع عمل إيمانكم وتعب محبتكم وصبر رجائكم ربنا يسوع المسيح أمام **الله وأبينا.**» (١تس١:٣)
+ «لكي يثبِّت قلوبكم بلا لوم في القداسة أمام **الله أبينا** في مجيء ربنا يسوع المسيح مع جميع قديسيه.» (١تس٣:١٣)
+ «**والله نفسه أبونا**، وربنا يسوع المسيح، يهدي طريقنا إليكم.» (١تس٣:١١)
+ «وربنا نفسه يسوع المسيح، **والله أبونا** الذي أحبنا وأعطانا عزاءً أبدياً ورجاءً صالحاً بالنعمة.» (٢تس٢:١٦)

هذا بالإضافة إلى جميع افتتاحيات الرسائل التي يهدي فيها السلام والدعاء مانحاً إياه «من **الله الآب**» أو «من **الله أبينا** والمسيح يسوع ربنا».

وفي هذا كله يتأكد أمامنا كيف انتقل بولس من حياة العبودية للناموس الذي حجز الله بعيداً عن قلب الإنسان وروحه، فصوَّره بالإنفراد المتعالي، وعُزلة القداسة التي لا يقترب منها بشر، والميزان في يده اليمنى والعصا في يده اليسرى، إلى الحياة من داخل بنوَّة المسيح ليرى الله أباً من داخل أبوَّته الفريدة للمسيح، ويراه حانياً على الذين صدقوه وآمنوا بوعوده وعاشوا تحقيقها في استعلان ابنه.

«فإذ قد تبررنا بالإيمان لنا سلام مع الله بربنا يسوع المسيح الذي به أيضاً قد صار لنا الدخول بالإيمان إلى هذه النعمة التي نحن فيها مقيمون ونفتخر على رجاء مجد الله.» (رو٥: ١و٢)

وحينما يصف بولس الرسول علاقتنا بالله **لا يصفها إلاَّ في المسيح**، لأنه في المسيح يسوع يصير الله لنا كأبٍ بأعظم ما تكون الأبوَّة من علاقة صادقة حميمة قريبة نعيشها عن تأكيد وثبوت والتصاق، لا تفصله عنا أية قوة ما في الوجود حتى الموت ولا ما بعد الموت.

+ «فإني مُتيقِّن أنه لا موت ولا حياة ولا ملائكة ولا رؤساء ولا قوات ولا أمور حاضرة ولا مستقبلة ولا عُلو ولا عُمق ولا خليقة أخرى تقدر أن تفصلنا عن **محبة الله التي في المسيح يسوع ربنا**.» (رو٨: ٣٨و٣٩)

وواضح هنا غاية الوضوح أمام القارىء أن قوة القُرْبَى لله، والالتصاق به أشد الالتصاق، والحب المتمكن في القلب، سواء من الله لنا أو منا لله، هذه كلها قائمة من خلال علاقتنا بالمسيح كابن الله التي بلغت هي الأخرى نفس المستوى: لا نقول هنا من القربى والالتصاق، بل من الاتحاد والشركة بالروح والجسد والدم.

+ «مَنْ سيفصلنا عن محبة المسيح؟ أشدَّة أم ضيق أم اضطهاد أم جوع أم عري أم خطر أم سيف، كما هو مكتوب إننا من أجلك نُمات كل النهار، قد حُسبنا مثل غنم للذبح. ولكننا في هذه جميعها يعظم انتصارنا بالذي أحبنا.» (رو٨: ٣٥-٣٧)

وهكذا تبدو **علاقة الابن بالآب في الله** كحقيقة في ذاتها، تعلن عنها وتؤكدها وتشهد لها بما نضحت به هذه العلاقة علينا فصيرتنا في المسيح أبناء الله، وصيَّرت الله نفسه أباً لنا بقوة وأصالة ودوام على مستوى الحياة اليومية، وستظل إلى الأبد تشهد فينا لبنوية المسيح لله وأبوة الله للمسيح، السِّرُّ الذي كان مختوماً عليه في مقاصد الله الأزلية واستُعلن في نهاية سني شقاء الإنسان ليرفع البشرية من ماضيها الحزين إلى مستقبلها الخالد المنفتح على الله، لحياة أبدية لتنعم في نوره ومحبته الأبوية إلى أبد الآبدين.

ج – الروح القدس بين المسيح (الابن) والله (الآب)

نظرة سريعة للروح القدس في العهد القديم:

على مدى العهد القديم كله من أوله حتى نهايته يبرز «الروح القدس» **كقوة الله في الخَلْق المادي وتجديده.** وفي نهاية العهد القديم يعود الروح القدس ويأخذ بالوعد أعلى تألّقه في حياة الإنسان القادمة باعتباره «عطية» العهد الجديد الآتي، ممثِّلاً لقوة الله في الخَلْق الجديد الروحاني.

«تحجب وجهك فترتاع، تنزع أرواحها فتموت وإلى ترابها تعود، **ترسل روحك فتخلق (الإنسان الجديد) "وتجدد" وجه الأرض.**» (مز١٠٤: ٢٩و٣٠)

«هوذا الكل قد صار جديداً.» (٢ كو٥: ١٧)

ويكون العنصر الأساسي في حياة شعب الله الجديد (الكنيسة) كما تنبأ يوئيل وردَّد القديس بطرس نبوَّته يوم الخمسين، يوم وُلد شعب الله الجديد (الكنيسة).

«ويكون بعد ذلك أني أسكب روحي على كل بشر، فيتنبأ بنوكم وبناتكم ويحلم شيوخكم أحلاماً ويرى شبابكم رؤى، وعلى العبيد أيضاً وعلى الإماء أسكب روحي في تلك الأيام.» (يوئيل٢: ٢٨و٢٩)

كذلك يكون الروح القدس في العهد الجديد القوة الفعَّالة في المسيَّا الآتي قاعدة الإنسان الجديد الروحي.

«روح السيد الرب عليَّ لأن الرب مسحني لأبشر المساكين، أرسلني لأعصب منكسري القلب، لأنادي للمسبيين بالعِتْق وللمأسورين بالإطلاق ... لأعزِّي كل النائحين.» (إش٦١: ١و٢)

«وضعت روحي عليه فيُخْرج الحق للأمم.» (إش٤٢: ١)

«والآن السيد الرب أرسلني وروحه.» (إش٤٨: ١٦)

وواضح من روح النبوات في العهد القديم أنه **عِوَض موسى، سيأتي المسيح** حسب نبوَّة موسى نفسه: «يُقيم لك الرب إلهك نبياً من وسطك من إخوتك مثلي له تسمعون ... وأجعل كلامي في فمه، فيكلمهم "بكل ما أُوصيه" به، ويكون أن الإنسان الذي لا يسمع **"لكلامي"** الذي يتكلم به **"باسمي"**، أنا أطالبه» (تث١٨: ١٥و١٨و١٩). الكلام هنا عن **«المسيح»**، حيث المسيح بحسب قول الله سيتكلم **«بكلام الله»** بكل ما يعطيه الله من وصايا.

والواضح هنا أنها ليست وصايا موسى على الإطلاق، بل وصايا تحلُّ محلها لأنه لم يَقُلْ: "بحسب ما أوصيتك به"، أي الناموس، بل «بكل ما أُوصيه به»، حيث تكون وصايا المسيح هنا وصايا جديدة أو مغايرة لوصايا موسى التي ستُقدّم بمرور الزمن وتغيُّر الشعب. وأخيراً يحذر الله من الدينونة ــ بسبب الرفض ــ أن الله هو الذي سيطالب المخالفين للوصايا أي «الكلام» الذي يتكلم به الله في المسيح، وهنا يتحقق قول المسيح: «مَنْ رذلني ولم يقبل كلامي فله مَنْ يدينه، الكلام الذي تكلمتُ به هو يدينه»! (يو١٢: ٤٨)

أما عن الروح القدس العامل مع المسيح وفيه بحسب النبوَّة: «روح السيد الرب عليَّ لأن الرب مسحني لأُبشر ...». هنا الروح القدس يقف جنباً إلى جنب مع المسيح في كل مهمة الفداء والخلاص والتجديد في العهد الجديد، هذا من واقع رؤية العهد القديم.

الروح القدس فينا، في لاهوت القديس بولس:

أما بالنسبة لعمله فينا فأول ما يضطلع به الروح القدس الذي نناله في المعمودية هو أنه يقرن وجوده فينا بوجود المسيح فنصير في الروح كما نصير في المسيح، وهكذا يشهد لنا وينطق فينا بالبنوَّة:

«الروح نفسه أيضاً يشهد لأرواحنا أننا أولاد الله.» (رو٨: ١٦)

«أخذتم روح التبني الذي به نصرخ يا أبّا الآب.» (رو٨: ١٥)

ولكن أعظم وأشمل عمل يقوم به الروح القدس في الإنسان الجديد هو تعريفه بأمور الله، لأن هذا هو الاختصاص الأول للروح القدس بصفته **روح الله**: «لأن الروح يفحص كل شيء حتى أعماق الله» (١كو٢: ١٠). وهو إذ يحل في أرواحنا، يهبها إدراكاً جديداً لكشف ذاتها أولاً: «لأن مَنْ من الناس يعرف أمور الإنسان إلاَّ روح الإنسان الذي فيه» (١كو٢: ١١). ومن منطلق كشف الروح القدس لذات الإنسان حتى أعماق الإنسان، يصبح الإنسان مؤهَّلاً أن يتبع الروح القدس في كشفه لأمور الله: «هكذا أيضاً أمور الله لا يعرفها أحد إلاَّ روح الله.» (١كو٢: ١١)

على أن معرفة الله وأمور الله لا تبقى عقيمة بل يتبعها عطايا من الله أي مواهب تؤهّل الإنسان لخدمة الله وعبادته بالروح والحق: «ونحن لم نأخذ روح العالم، بل الروح الذي من الله لنعرف الأشياء الموهوبة لنا من الله.» (١كو٢: ١٢)

وعلى مستوى ما كان يدركه الأنبياء بأن الروح هو عطية الدهر الآتي وأن عمله محفوظ للأيام الأخيرة، بهذا التقليد الموروث استطاعت الكنيسة أن تكتشف الروح القدس عملياً في قيامة المسيح

باعتبارها المدخل الرسمي والوحيد للدهر الآتي وتحقيق آخر الأيام في عمق الزمن. هكذا ارتبط الروح القدس بالقيامة من الأموات كتراث عقائدي وعملي يتم أيضاً في المعمودية التي منها نخرج خليقة جديدة نحيا القيامة والدهر الآتي. من هنا بدأ الانفصام يظهر بقوة بين الذين يتعمدون ويقبلون الروح القدس ليعيشوا جدة الحياة مع المسيح القائم من الأموات وبين الذين لا يقبلون المعمودية فيصيروا غرباءَ عن الروح القدس وأمور الله للحياة الجديدة:

«ولكن الإنسان الطبيعي لا يقبل ما لروح الله لأنه عنده جهالة، ولا يقدر أن يعرفه لأنه إنما يُحكم فيه روحياً، وأما الروحي فيحكم في كل شيء وهو لا يُحكم فيه من أحد.» (١كو٢: ١٤و١٥)

وهكذا بدأت الكنيسة كمجتمع المعمَّدين، أي العائشين في الروح وفي المسيح، تأخذ حرارة الحياة التي للدهر الآتي وفرحها ورجاءها وقوتها. وبدأ يُستعلن فيها عمل الله الفائق للطبيعة باستمرار. وهذا يرصده بولس الرسول باعتباره مواهب الله الخاصة بالله وخدمة الله، وقد سجل بولس الرسول عددها وأسماءها ووظيفتها كتخصصات يمنحها الله حسب عمق إيمان المختارين: «كما قَسَمَ الله لكل واحد مقداراً من الإيمان» (رو١٢: ٣). وهذا صار ذخيرة الكنيسة وميراثها إلى يومنا هذا، فمواهب الله للكنيسة لم تكُف ولن تكُف طالما هي تخدم الله وتشهد له.

فالكنيسة من جهة واقعها الداخلي الروحي الحي الموروث هي قوة واستعلان وفعل حياة الدهر الآتي، بشهادة حية لقيامة المسيح الذي افتتح به ملكوت الله وسكب مواهبه علينا لنشهد له، كما نعيش به بعمل الروح القدس وقيادته.

ولكن هذه الطبيعة الروحية الفائقة للكنيسة لا يعيشها المؤمنون فيها بدون دفع الثمن، فمجرد وجود الكنيسة كعيِّنة روحية وكاستعلان للدهر الآتي والحياة الأبدية وملكوت الله، أنشأ لها في العالم خصومة ومقاومة، هي من العنف بقدر الفارق القائم بين طبيعة الحياة الأبدية وملكوت الدهر الآخر، وبين طبيعة العالم والجسد وسلطان ظلمة هذا الدهر.

فبمجرد أن يخرج المؤمن من جرن المعمودية يُساق كالمسيح من الروح إلى برية هذا العالم ليجرَّب من إبليس، فيدخل ساحة الحرب راضياً أو مُرغماً، لا لأربعين يوماً بل لآخر يوم من حياته! لأن حياة الذي آمن بالمسيح يتحتم أن تكون شهادة، حتى آخر لحظة فيها: «فإني أنا الآن أُسكب سكيباً ووقت انحلالي قد حضر، قد جاهدت الجهاد الحسن، أكملتُ السعي، حفظت الإيمان، وأخيراً قد وضع لي إكليل البر...» (٢تي٤: ٦-٨)

من هذا كله نرى أن عمل الروح القدس في حياة الإنسان هو في صميم عمل المسيح وملازم له. فالمسيحية تقوم على عمل الروح القدس دون أي تخصص. ففي الروح القدس يُستعلن المسيح وتُستعلن قيامته ويُستعلن وجوده ويُستعلن عمله على الأرض. والكنيسة تأخذ صفتها وواقعها الحي وعملها وخدمتها للمسيح بواسطة الروح القدس، وبدون الروح القدس لا تقوم المسيحية ولا تقوم الكنيسة.

على أن كل عمل للروح القدس وكل موهبة وكل نشاط وكل وعظ بالروح إنما يُمتحن صحته ويُختبر ويُقاس مدى مِصداقيته على ما فيه من الشهادة للمسيح وحضوره.

فإذا عدنا إلى التعاليم اللاهوتية لبولس الرسول، نجده باختصار يرى في المسيح ما يعوّض عن موسى تماماً حسب النبوّة القديمة، ويرى في كلام المسيح وأعماله ما يعوض عن ناموس موسى ووصاياه.

○ فعوض وجه موسى الذي لمع بالنور الزائل من جراء استلامه للناموس، يرى بولس وجه المسيح الذي أشرق في قلوبنا بالإنجيل.

«وليس كما كان موسى يضع برقعاً على وجهه لكي لا ينظر بنو إسرائيل إلى نهاية الزائل... لكن حتى اليوم حين يُقرأ موسى (أي الناموس)، البرقع موضوع على قلبهم ولكن عندما يرجع إلى الرب يُرفع البرقع. وأما الرب فهو الروح **وحيث روح الرب هناك حرية** (في مقابل عبودية الناموس). ونحن جميعاً ناظرين مجد الرب بوجه مكشوف كما في مرآة، نتغير إلى تلك الصورة عينها من مجد إلى مجد كما من الرب الروح.» (٢كو٣: ١٣-١٨)

هنا وجه إزاء وجه، أما نور المسيح إزاء نور التوراة فيجيء هكذا:

«لأن الله الذي قال أن يشرق نور من ظلمة هو الذي أشرق في قلوبنا لإنارة معرفة مجد الله في وجه يسوع المسيح.» (٢كو٤: ٦)

فالتقابل هنا شديد الوطأة على السلبية التي تعامل بها بنو إسرائيل مع الناموس، فقد مثّلها بولس الرسول بحالة عبودية وعمى فكر ونور مزيف كان مآله إلى زوال؛ في مقابل «الرب والروح» معاً والحرية الروحية التي بثّها المسيح في أسرى ظلام الموت، فأخرجهم بالقيامة إلى نور الحياة وحرية مجد أولاد الله.

○ كذلك وعوّض الناموس، يعيش بولس الرسول في الروح:

«وأما الآن فقد تحررنا من الناموس إذ مات (جسد الخطية) الذي كنا مُمسَكين فيه حتى نعبد

بجدة الروح (الإنجيل) لا بعتق الحرف.» (رو٧: ٦)

«إذاً لا شيء من الدينونة الآن على الذين هم في المسيح يسوع السالكين ليس حسب الجسد (الناموس) بل حسب الروح (المسيح) لأن ناموس **"روح الحياة"** في المسيح يسوع قد أعتقني من ناموس (موسى) الخطية والموت.» (رو٨: ١و٢)

الروح هنا هو الذي يضطلع بفك رُبُط إرادة الإنسان المتخمة بشهوات الجسد وغرائزه، كما يحررنا من سلطان القوى العاملة في النفس لإخضاعها لأهواء الجسد لمقاومة مشيئة الله ويعيد لنا خضوعنا وطاعتنا لوصايا الله ومشيئته التي عجز الناموس عن أن يمنحها لنا، وأصبح الله بواسطة روحه القدوس قادراً أن يتمم فينا كل ما كان يودُّ أن يعطيه لنا.

فالروح القدس الذي انطلق من عملية الخلاص بقيامة المسيح من الأموات يعمل مع الإنسان وفيه ليَهَبَه كل فعل الخلاص وكل ثمراته.

هكذا يقف الروح والناموس عند بولس في مضادة حرجة لا صلح فيها، حيث يعطي للروح فَرضيّة التغلغل في كل ما أخفق فيه الناموس بالنسبة للخطية، وتجبُّر سلطان الجسد المختفي وراء الخطية، ليلغي الروح كل سلطان الخطية العامل بالجسد من الأساس بإلغاء سلطان الموت ــ كعقوبة ــ الذي هو سلاح الخطية الوحيد.

وكل ذلك على خلفية الفداء الذي بدأه المسيح على الصليب بالجسد وأكمله بالقيامة بقوة الروح القدس الذي فيه.

+ «وإن كان روح الذي أقام يسوع من الأموات ساكناً فيكم، فالذي أقام المسيح من الأموات سيُحيي أجسادكم المائتة أيضاً بروحه الساكن فيكم.» (رو٨: ١١)

وهكذا، فالجسد الذي كان محسوباً أنه جسد الخطية أكمل المسيح فيه حكم الناموس بالموت، أي عقوبة الخطية، فبرَّره. وبالقيامة انبعثت منه الخليقة الجديدة أي حياة الإنسان الجديد مُعانة ومسنودة بروح القيامة، الذي هو الروح القدس.

وهكذا نرى أن العهد الجديد يقوم على **«المسيح والروح القدس الذي في المسيح»** = «روح الابن». فالعهد الجديد هو عهد الابن بالفداء وهو عهد الروح القدس بالقيامة من الأموات وبتقديس الخلقة الجديدة. هنا نرى أن الاتحاد الحادث بين الابن والروح القدس هو الذي أنشأ العهد الجديد للإنسان الذي أهَّلنا للدخول إلى الآب وقبول **«روح الآب»** أي **«روح التبني»**.

«لكن اغتسلتم بل تقدستم بل تبرَّرتم باسم الرب يسوع وبروح إلهنا.» (١كو٦: ١١)
وهكذا نرى أن **الروح القدس في الابن** أي روح المسيح يعطينا الخلقة الجديدة فنولد ولادة ثانية من فوق.

والروح القدس في الآب يعطينا التبني الذي به ننادي الآب أباً:
«بل أخذتم روح التبني الذي به نصرخ يا أبا الآب.» (رو٨: ١٥)
فالروح القدس المتحد جوهرياً بالابن والآب هو هو الذي فينا الآن بالفداء بالموت والقيامة الذي يجعلنا متحدين بالابن لقبول البر الخلاصي والتجديد فيه ومتحدين بالآب لقبول نعمة التبني في المسيح. وبالنهاية، نرى أن الروح القدس في الثالوث المتحد بالآب والابن حقيقة حيَّة نعيش على فعاليتها وواقعها الروحي كحياة جديدة في ظل الثالوث: «أنا فيهم وأنت فيَّ ليكونوا مكمَّلين إلى واحد» (يو١٧: ٢٣)؛ التي يعبِّر عنها بولس الرسول هكذا:
«الروح نفسه أيضاً يشهد لأرواحنا أننا أولاد الله، فإن كنا أولاداً فإننا ورثة أيضاً (نتيجة الاتحاد) **ورثة الله** (الآب بالاتحاد بالروح) **ووارثون مع المسيح** (الابن بالاتحاد بالروح).» (رو٨: ١٦و١٧)

وبولس الرسول لا يميز في عمل الخلقة الجديدة للإنسان بين عمل الآب وعمل الابن وعمل الروح القدس، تماماً كقول المسيح الختامي لتلاميذه الوارد في نهاية الأناجيل:
«عمِّدوهم باسم **الآب، والابن، والروح القدس.**» (مت٢٨: ١٩)

هكذا يقول بولس ولكن في شرح وتفسير:
«ولكن حين ظهر لطف "**مخلصنا الله**" وإحسانه، لا بأعمال في بر عملناها نحن،
بل بمقتضى رحمته خلصنا "**بغسل الميلاد الثاني**"،
"**وتجديد الروح القدس**"
الذي سكبه بغنى علينا "**بيسوع المسيح مخلِّصنا**".» (تي٣: ٤و٦)

كذلك لا يفرِّق بولس الرسول بين روح الآب وروح الابن:
فهو روح الله: «وأما أنتم فلستم في الجسد بل في الروح إن كان **روح الله** ساكناً فيكم.» (رو٨: ٩)
وهو روح المسيح: «إن كان أحد ليس له **روح المسيح** فذلك (المسيح) ليس له.» (رو٨: ٩)

وبولس الرسول يعطي الشخصية الناطقة للروح القدس:

«ولا تحزنوا روح الله القدوس الذي به خُتمتُم ليوم الفداء.» (أف ٤: ٣٠)

«ثم بما أنكم أبناء، أرسل الله روح ابنه إلى قلوبكم صارخاً يا أبا الآب.» (غل٤: ٦)

والروح القدس يشفع فينا لدى الآب تماماً كما يشفع فينا المسيح لدى الآب (عب٧: ٢٥):

«كذلك الروح أيضاً يعين ضعفاتنا لأننا لسنا نعلم ما نصلي لأجله كما ينبغي ولكن الروح "نفسه" يشفع فينا بأنَّات لا ينطق بها.» (رو٨: ٢٦)

والروح يعمل أعمال الآب وأعمال الابن:

الآب	الابن	الروح القدس
«وأنواع أعمال موجودة ولكن الله واحد الذي يعمل الكل في الكل.» (١كو ١٢: ٦) «فوضع الله أناساً في الكنيسة أولاً رسلاً ثانياً أنبياء ثالثاً معلمين ثم قوات وبعد ذلك مواهب شفاء أعواناً تدابير وأنواع ألسنة.» (١كو ١٢: ٢٨)	«الذي نزل (المسيح) هو الذي صعد أيضاً فوق جميع السموات لكي يملأ الكل. وهو أعطى البعض أن يكونوا رسلاً والبعض أنبياء والبعض مبشرين والبعض رعاة ومعلمين.» (أف٤: ١٠و١١)	«هذه كلها يعملها الروح الواحد بعينه، قاسماً لكل واحد بمفرده كما يشاء.» (١كو ١٢: ١١)

والمؤمنون بالمسيح هم هيكل الله، وفي نفس الوقت هيكل للروح القدس، وجسد المسيح هو الهيكل الجديد الذي هو نحن:

هيكل الله: «أما تعلمون أنكم هيكل الله وروح الله يسكن فيكم.» (١كو٣: ١٦)

هيكل للروح القدس: «أم لستم تعلمون أن جسدكم هو هيكل للروح القدس الذي فيكم الذي لكم من الله وأنكم لستم لأنفسكم.» (١كو٦: ١٩)

هيكل جسد المسيح: «لأجل تكميل القديسين لعمل الخدمة لبنيان جسد المسيح.» (أف٤: ١٢)

والآن إذا انتبهنا إلى طبيعة الروح القدس في هذه الآيات وإلى شخصيته المميزة مع الآب

والابن يتضح بكل جلاء أن له الطبيعة الإلهية بالسواء مع الآب والابن. ومن أوضح التعابير التي عبر بها بولس الرسول عن شخصية الروح القدس القائمة في ذات الله قياماً أزلياً فعّالاً كقيام الابن «الكلمة» ومعه بصورة مطلقة تعبِّر عن شخصيته الذاتية قوله:

+ « ما لم ترَ عين ولم تسمع أذن ولم يخطر على بال إنسان، ما أعده الله للذين يحبونه!

فأعلنه الله لنا نحن بروحه،

لأن الروح يفحص كل شيء حتى أعماق الله،

لأن مَنْ من الناس يعرف أمور الإنسان إلاَّ روح الإنسان الذي فيه؟

هكذا أيضاً أمور الله لا يعرفها أحد إلاَّ روح الله!،

ونحن لم نأخذ روح العالم،

بل الروح الذي من الله لنعرف الأشياء الموهوبة لنا من الله ...

بل بما يعلِّمه الروح القدس ...» (١ كو٢: ٩-١٣)

أنظر، عزيزي القارىء، فالروح القدس بالنسبة لله يصفه بولس الرسول مع الاحتفاظ بالفارق بروح الإنسان الذي في الإنسان الذي يعبِّر عن كل ما في الإنسان وعن ذاته.

ومن هذه المقولة اللاهوتية نستخرج الآتي:

١ — الذي يكشف أسرار الله هو الروح القدس، لأنه الوحيد الذي له أن يفحص أعماق الله!

٢ — إنه لا يتبع بأي حال من الأحوال لأي مستوى مخلوق.

٣ — الروح القدس كلي المعرفة، لأن معرفته تتجاوز كل ما هو معروف إلى كل ما هو غير معروف من خصائص الله.

٤ — الروح القدس له كل الصفات والمميزات الإلهية الكاملة.

لذلك فهو في عمق الثالوث مع الآب والابن بغير افتراق، في وحدانية جوهرية وذاتية بآن واحد.

+ + +

ومن هذا العرض السريع عن الثالوث في لاهوت بولس الرسول يرى القارىء مدى سهولة وبساطة التعرف على عمل الثالوث الأقدس في حياتنا، وأن الرباط الواضح بين الآب والابن والروح القدس في هذا العمل هو الذي نبهنا إلى استخلاص كلمة الثالوث للكناية عن عمل الثلاثة الأقانيم.

كذلك من واقع ارتباط عمل الثلاثة الأقانيم في الخليقة وفينا، استخلصنا كبديهية حتمية ارتباط الثلاثة الأقانيم معاً في وحدة محكمة لا تقبل التجزئة ولا الانقسام، لأن طبيعة اللاهوت الواحدة في الأقانيم الثلاثة طبيعة لاهوت غير مركبة، ومطلقة لا يحدُّها حدٌّ زماني ولا مكاني ولا فكري. فالله الذي هو الآب والابن والروح القدس واحد أحد في طبيعته وجوهره وذاته[1].

---

(١) بخصوص عمل الروح القدس فينا راجع:

«تكميل الفداء بعمل الروح القدس على طول المدى»، الباب الثاني الفصل السابع.

«عمل الروح القدس في التبرير»، الباب الثالث الفصل الثاني.

«الروح القدس في الكنيسة»، الباب الخامس الفصل الأول.

الباب الثاني

الخلاص والفداء

في لاهوت بولس الرسول

«الذي لم يشفق على ابنه بل بذله لأجلنا أجمعين كيف لا يهبنا أيضاً معه كل شيء.» (رو٨: ٣٢)

«بعد ما صنع بنفسه تطهيراً لخطايانا جلس في يمين العظمة في الأعالي.» (عب١: ٣)

تمهيد

كلمة عامة عن الخلاص:

«الخلاص» اصطلاح أطلقه الكتاب المقدس عن أية نجاة يتدخل فيها الله للإنقاذ المجاني. والخلاص أصبح لازمة عامة وهامة بعد أن أخطأ الإنسان واكتسب طبيعة الخطية بما احتوت من كل المعاثر، ومن صدام مع الطبيعة، وغضب الله. ولكن يميل الخلاص كلما تقدم الإنسان في علاقته بالله ليكون خلاصاً روحياً متركزاً في أصل بلاء الإنسان، أي الخطية. فأعظم خلاص هو الخلاص بالفداء الذي تم بواسطة المسيح لإنقاذ الإنسان من طبيعة الخطية المدمِّرة لحياة الإنسان وبما سببته من موت وغضب. وقد انشغل بهذا الخلاص المتركز في الفداء كل أنبياء العهد القديم حتى صار أمل الأجيال وحلم الأبرار **ورجاء الآباء القديسين** الذين عاشوا عليه وماتوا.

الخلاص في العهد القديم:

أول وأروع تعريف مبهج للخلاص هو ما نطقه موسى بوحي من الله وهو مُحاصَر بين البحر أمامه وفرعون وجيوشه من ورائه، فنادى في الشعب:

+ «فقال موسى للشعب لا تخافوا، قفوا وانظروا **خلاص الرب** الذي يصنعه لكم اليوم. فإنه كما رأيتم المصريين اليوم لا تعودون ترونهم أيضاً إلى الأبد. **الرب يقاتل عنكم وأنتم تصمتون**»! (خر١٤: ١٣و١٤)
+ «**فخلَّص الرب** في ذلك اليوم إسرائيل من يد المصريين.» (خر١٤: ٣٠)

وحقَّ لموسى وكل الشعب أن يرنم: «الرب قوتي ونشيدي **وقد صار خلاصي.**» (خر١٥: ٢)

وهكذا تعلم إسرائيل اللجوء لله للخلاص، ودخل معنى الخلاص في علاقة الشعب مع الله، وصار ركيزة في حياة إسرائيل، واستُعلن بقوة واقتدار على مستوى الحروب زمن القضاة والملوك. كما صار الخلاص عنصراً هاماً في الصلوات والطلبات، والتسابيح العامة، كذلك أصبح يتطلَّع إليه كل فرد في حياته.

وداود النبي يقول: «هذا المسكين صرخ والرب استمعه ومن كل **ضيقاته خلَّصه.**» (مز٣٤: ٦)

وقد تبلور في ذهن الإنسان أن الله صاحب مبادرة في الخلاص، ولكن للذين يتَّقونه ويدعون باسمه عن إيمان وصدق ويقين. وتعدَّدت معاني الخلاص واختصاصه، فهو للجماعة والأفراد، للحروب والضيقات الفردية. ولكن احتفظ الخلاص بأنه من نصيب البار إذا دعا الله في الضيق، ولكن إذا ارتد الشعب ونكص عن العهد وزاغت القلوب، فلا خلاص إلاَّ بعد توبة وعودة نادمة إلى الله. وهكذا بدا أن خلاص الله مشروط على أساس وضع الإنسان، مستحقاً كان أو غير مستحق. ولكن خيريَّة الله المطلقة بقيت محتفظة بسيادتها: «أتراءف على مَنْ أتراءف وأرحمُ مَنْ أرحمُ.» (خر٣٣: ١٩)

وارتقى فكر الخلاص لدى الأنبياء حتى انحصر في الخلاص من الخطية. وبقدر ما انحصر الخلاص في الروح، ارتفع مستوى الخلاص ليكون للجماعة على أساس خيريَّة الله المطلقة خُلْواً من استحقاقات الإنسان. ثم في النهاية تركز الخلاص عند الأنبياء في مجيء المخلِّص والفادي، وبدأت صورة المسيَّا تتضح.

+ «التفتوا إليَّ واخلصوا يا جميع أقاصي الأرض لأني أنا الله وليس آخر.» (إش٤٥: ٢٢)
+ «هكذا قال الرب في وقت القبول استجبتُك وفي يوم الخلاص أعنتُك. فأحفظك وأجعلك عهداً للشعب.» (إش٤٩: ٨)

وهكذا تثبت في ذهن الشعب وخاصة القديسين والأبرار أن مجيء المسيَّا هو هو الخلاص والفداء بعينه:

+ «وكان رجل في أورشليم اسمه سمعان ... فأتى بالروح إلى الهيكل ... أخذه على ذراعيه وبارك الله وقال: الآن تطلق عبدك يا سيد حسب قولك بسلام لأن **عينيَّ قد أبصرتا خلاصك الذي أعددته** قدام وجه جميع الشعوب.» (لو٢: ٢٥و٢٧—٣١)

+ «نبيَّة حنة ... وقفت تسبح الرب وتكلمت عنه مع جميع **المنتظرين فداءً في أورشليم**.» (لو٢: ٣٦و٣٨)

الخلاص في العهد الجديد:

اتساع الخلاص ليشمل كل الدهور وما قبل الدهور وما بعدها!!

لقد افتتح العهد الجديد أولى صفحاته، وفي أولى كلماته بالخلاص منحصراً في الاسم «**يسوع**» الذي أعطاه الملاك للمسيح:

+ «وتدعو اسمه **يسوع** لأنه **يخلِّص** شعبه من خطاياهم.» (مت١: ٢١)

والمسيح أول مَنْ ربط الخلاص بالإيمان: «إيمانك قد خلصك»[1] (لو٧: ٥٠). كذلك المسيح أول مَنْ أوضح رسالة الخلاص التي جاء بها لكي لا يهلك مَنْ يؤمن به: «اليوم حصل خلاص لهذا البيت إذ هو أيضاً ابن إبراهيم، لأن ابن الإنسان قد جاء لكي يطلب ويخلص ما قد هلك.» (لو١٩: ٩و١٠)

وهكذا دخل مفهوم الخلاص رسمياً في الكنيسة أنه نتيجة للفداء الذي أجراه المسيح بموته وقيامته: «ونحن متبررون الآن **بدمه نخلص** به من الغضب، لأنه إن كنا ونحن أعداء قد صولحنا مع الله بموت ابنه فبالأولى كثيراً ونحن مُصالَحون **نخلص بحياته**» (رو٥: ٩و١٠)، وارتبط الخلاص في فم المسيح بمفهوم ملكوت الله. ولقد تأكد عمل الخلاص الذي عمله المسيح بارتفاعه بعد قيامته منتصراً: «هذا رفعه الله بيمينه رئيساً **ومُخلِّصاً** ليعطي إسرائيل التوبة وغفران الخطايا.» (أع٥: ٣١)

وفي ثقة وجرأة ومجابهة لا تُجارَى، وقف بطرس ويوحنا يجاهران بالمسيح كمخلِّص وحيد أمام رؤساء الكهنة: «**وليس بأحد غيره الخلاص** لأن ليس اسم آخر تحت السماء قد أُعطي بين

---

(١) ἡ πίστις σου σέσωκέν σε لقد تكررت هذه الآية بالحرف الواحد في أربعة مواضع من إنجيل لوقا (لو٧: ٥٠ و٨: ٤٨ و١٧: ١٩ و١٧: ٤٢)، وتُرجمت في بعض المواضع: «إيمانك خلصك»، وفي البعض الآخر: «إيمانك شفاك».

الناس به ينبغي أن **نخلص**.» (أع ٤: ١٢)

وهكذا انتهى مفهوم الخلاص عند بولس الرسول أنه هو الإنجيل، هو البشارة المفرحة: «الذي فيه (المسيح) أيضاً أنتم إذ سمعتم كلمة الحق **إنجيل خلاصكم** الذي فيه أيضاً إذ آمنتم خُتِمْتُم بروح الموعد القدوس» (أف ١: ١٣)؛ «أيها الرجال الإخوة بني جنس إبراهيم والذين بينكم يتَّقون الله، إليكم أُرسلَت **كلمة هذا الخلاص**.» (أع ١٣: ٢٦)

وبولس الرسول يستمد من العهد القديم مفهوم قدرة التوبة على الخلاص:

+ «لأن الحزن الذي بحسب مشيئة الله ينشىء **توبة لخلاص** بلا ندامة.» (٢كو ٧: ١٠)

وبالاختصار، فإن الخلاص في العهد الجديد عموماً يشمل بدون مبالغة رسالة المسيح وكل الإنجيل؛ لأنه إن كان يشمل الفداء من الخطية والموت وكل ما يتبع الخطية وما يتفرع منها وينتج عنها، ثم إذا كان هو علة كل بركة روحية في السماء في المسيح ومصدر كل فرح وبهجة ونعمة ورضى الروح القدس ومؤازرته، فقد صار الخلاص بالمسيح يسوع هو موضوع العهد الجديد.

ولكن المسيح وضع له ثمناً لا يجرؤ عليه إلاَّ المختارون: «مَنْ أراد أن يُخلِّص نفسه يُهلكها، **وَمَنْ يُهلِكْ نفسه من أجلي فهذا يخلِّصها**» (لو ٩: ٢٤). والذي قال هذا صنع هذا ولم يقبل أن ينزل عن الصليب:

+ «خلِّص نفسك وانزلْ عن الصليب.» (مر ١٥: ٣٠)

+ «خلَّص آخرين وأما نفسه فما يقدر (فلا يقبل) أن يخلِّصها.» (مر ١٥: ٣١)

هكذا فإن كلَّ مَنْ أراد أن يخلص، فعليه أن يتبعه حتى إلى هذا المستوى!

والآن واضح أمام القارىء علاقة الخلاص بالفداء، فالخلاص بمفهومه الإنجيلي والروحي الشامل هو نتيجة الفداء، والفداء هو عمل الخلاص، فالمسيح أكمل الخلاص بالفداء، وصار هو المخلِّص لأنه كان الفادي.

+ «منتظرين الرجاء المبارك وظهور مجد الله العظيم ومخلِّصنا يسوع المسيح، الذي بذل نفسه لأجلنا لكي يفدينا من كل إثم ويطهِّر لنفسه شعباً خاصاً غيوراً في أعمال حسنة.» (تي ٢: ١٣ و١٤)

لذلك فيمكن بكل تأكيد أن يدخل تحت الخلاص:

الخلاص في الحاضر: ويشمل الفداء بغفران الخطية: التبرئة من حكم الموت، والانعتاق من الناموس، والحصول على التبني، والتبرير بعمل النعمة والمصالحة.

والخلاص في المستقبل: و يشمل الخلاص من الغضب الآتي:

+ «إن احترق عمل أحد فسيخسر، وأما هو فسيخلص ولكن كما بنار.» (١ كو٣:١٥)
+ «أن يُسلَّم مثل هذا للشيطان لهلاك الجسد لكي تخلص الروح في يوم الرب يسوع.» (١ كو٥:٥)
+ «ونحن متبرِّرون الآن بدمه نخلص به من الغضب.» (رو٥:٩)
+ «ولكن الذي يصبر إلى المنتهى فهذا يخلص.» (مر١٣:١٣)
+ «هكذا المسيح أيضاً بعد ما قُدِّم مرة لكي يحمل خطايا كثيرين، سيظهر ثانية بلا خطية للخلاص للذين ينتظرونه.» (عب٩:٢٨)
+ «فإن سيرتنا نحن هي في السموات التي منها أيضاً ننتظر مخلِّصاً هو الرب يسوع المسيح.» (في٣:٢٠)
+ «وهكذا سيخلص جميع إسرائيل.» (رو١١:٢٦)
+ «أنتم الذين بقوة الله محروسون بإيمان لخلاص مستعد أن يُعْلَن في الزمان الأخير.» (١بط١:٥)

على أن الخلاص حتى في ماضي البشرية الحزين كان مربوطاً بشخص المسيح، وكان يمارسه الآباء القديسون، إن لم يكن في واقع موت المسيح وقيامته الذي تم في آخر أزمنة رفض الإنسان، إلَّا أنهم تنعموا به واشتركوا فيه بالإيمان والرجاء من على بعد وحيُّوه وعبروا: «الخلاص الذي فتش وبحث عنه أنبياء الذين تنبأوا عن النعمة التي لأجلكم، باحثين أي وقت وما (حال) الوقت الذي كان يدلُّ عليه روح المسيح الذي فيهم. إذ سبق فشهد بالآلام التي للمسيح والأمجاد التي بعدها.» (١بط١: ١٠و١١)

+ «في الإيمان مات هؤلاء أجمعون — وهم لم ينالوا المواعيد — بل من بعيد نظروها وصدقوها وحيُّوها وأقروا بأنهم غرباء ونزلاء على الأرض ... يبتغون وطناً أفضل أي سماوياً. لذلك لا يستحي بهم الله أن يدعى إلههم **لأنه أعدَّ لهم مدينة.**» (عب١١: ١٣و١٦)

هكذا يتضح أن المسيح هو قلب الخلاص النابض الذي يطرح روحه على ماضي الإنسان وحاضره ومستقبله معاً، وأعظم دليل واقعي على ذلك أننا نحن الذين نعيش في نعمة هذا الخلاص الآن نستخدم ماضي التاريخ منذ آدم، منذ إبراهيم، منذ موسى والآباء والأنبياء لمزيد من فهم

خلاصنا الحاضر وحاضر خلاصنا. هذا بكل ما فيه سوف يرثه الآتون بعدنا إلى نهاية الزمان والتاريخ. فالخلاص، خلاص المسيح، مفروش على الزمن ولا يوجد يوم أو ساعة من أيام الإنسان — وحتى ساعات بؤسه — تخلو من عمل خلاص المسيح.

فخلاص الإنسان تقرر ليس منذ أن أخطأ آدم وإلّا يكون هذا الخلاص مستحدثاً عند الله: «معلومة عند الرب منذ الأزل جميع أعماله» (أع١٥: ١٨)؛ بل إن الله قرره قبل أن يقرر الخلق. على أن الخلق نفسه فعل استعلان للخلاص[2] المكنون في طبيعة الله، والمسيح هو وسيط الخلق، عتيقه وجديده، وهو شفيعه بالضرورة، لأن الخلاص كفعل نعمة وحب ورحمة نابع من عمق أعماق الله الخيِّرة، وليس مجرد رد فعل من أفعال الإنسان التي أخطأت هدفها.

أما المسيح المخلِّص فهو لم يصر مخلِّصاً منذ أن تسمى بفم الملاك قبل ميلاده؛ بل هو يستمد صفة الخلاص من طبيعته الأزلية من واقع بنوته للآب الذي سُرَّ أن يعلن الخلاص الذي له في ابنه.

+ «على رجاء الحياة الأبدية التي وعد بها الله المنزَّه عن الكذب قبل الأزمنة الأزلية.» (تي١: ٢)

+ «وللقادر أن يثبِّتكم حسب إنجيلي والكرازة بيسوع المسيح حسب إعلان السر الذي كان مكتوماً في الأزمنة الأزلية.» (رو١٦: ٢٥)

+ «الذي خلَّصنا ودعانا دعوة مقدسة، لا بمقتضى أعمالنا، بل بمقتضى القصد والنعمة التي أُعطيت لنا في المسيح يسوع قبل الأزمنة الأزلية.» (٢تي١: ٩)

+ «بدم كريم كما من حمل بلا عيب ولا دنس، دم المسيح معروفاً سابقاً قبل تأسيس العالم» (١بط١: ١٩و٢٠)

فالمسيح مخلِّص منذ الأزل وإلى الأبد، هو هو حتى النهاية:

+ «فإن سيرتنا نحن هي في السموات التي منها أيضاً ننتظر مخلِّصاً هو الرب يسوع المسيح.» (في٣: ٢٠)

وعجيب حقاً هذا المنظر المحزن أن يسير الإنسان عَبْر كل الزمان هذا حاملاً فوق رأسه خلاصاً عظيماً ممتداً بقدر هذا، ثم يسير من تحته متعثراً باكياً ينعي حظَّه!!!

---

(٢) باعتبار أن الخليقة ينتهي تاريخها بالخلاص: «لأن الخليقة نفسها ستُعتَق من عبودية الفساد إلى حرية مجد أولاد الله.» (رو٨: ٢١)

« الفداء »

عند بولس الرسول

الفصل الأول

ما قبل الفداء

أولاً: سلطان الخطية والموت المحيط بها

١ ــ خطية آدم وآثارها فينا:

+ « كأنما بإنسان واحد دخلت الخطية إلى العالم، وبالخطية الموت وهكذا اجتاز الموت إلى جميع الناس إذ أخطأ الجميع. » (رو٥:١٢)

الإنسان الواحد هو أبونا آدم، والعالم هو الجنس البشري.

ولم تكن الخطية مجرد فعل خاطىء؛ بل هي عنصر غريب على الإنسان دخله من خارجه تحت غواية كاذبة ومُحْكَمة: «خدعت الحية حواء بمكرها» (٢كو١١:٣). لقد اقتحم عنصر الخطية دائرة الإنسان كعدو غازٍ يُخرِّب ويُضعِف ليمتلك!! ويمتلك ليستعبد!!

+ « أما أنا فجسديٌّ مبيع تحت الخطية ... لأني لست أفعل الصالح الذي أريده؛ بل الشر الذي لست أريده فإياه أفعل. فإن كنت ما لست أريده إياه أفعل فلست بعد أفعله أنا بل الخطية الساكنة فيَّ».

«ويحي أنا الإنسان الشقي! مَنْ ينقذني من جسد هذا الموت.» (رو٧: ١٤ــ٢٤)

+ «أنتم عبيد للذي تطيعونه إما للخطية للموت أو...» (رو٦:١٦)

آدم أطاع غواية الخطية، مضحِّياً بطاعة وصية الله الوحيدة!!

+ «بمعصية الإنسان الواحد جُعل الكثيرون خطاة.» (رو٥: ١٩)

فالخطيئة انتقلت وتفشت بطرق وأفعال لا حصر لها. نحن لم نرث الخطية كفعل، نحن ورثنا **عنصر** الخطية الفعّال للموت وليس أنواع الخطية.

لقد سرَّب الشيطان إلى حواء **عنصر** الخطية باستماعها إليه وقبولها مشورته ومنها تسرَّب إلى آدم.
+ «وبالخطية الموت وهكذا اجتاز الموت إلى جميع الناس إذ أخطأ الجميع.» (رو٥: ١٢)

الخطية هنا عنصر شبه مطلق. خطية آدم كتعدِّيه على وصية الله نوع من أنواعها، ولكن لا يمكن حصرها في أنواع، فهي أشنع من أن تُحصر، الخطر فيها أنها عنصر قاتل بأية جرعة وبأي شكل. فالخطية يتبعها الموت الحتمي حتى ولو لم يخطئ الإنسان بخطيئة آدم! «لكن قد ملك الموت من آدم إلى موسى وذلك على الذين **لم يخطئوا على شبه تعدي آدم**» (رو٥: ١٤)، لأن آدم عصي أمر الله فقَبِلَ حكم الموت، ولكن الذين ماتوا من آدم حتى مجيء الناموس أي الوصايا، لم يعصوا أي أوامر أو وصايا ولكن ماتوا. فهؤلاء الناس، أي من آدم إلى موسى، ماتوا لأنهم وُلدوا في الموت أي في الطبيعة البشرية التي قبلت عنصر الموت الملازم لعنصر الخطية، التي أصبحت طبيعة خاطئة، أي واقعة تحت سلطان الخطيئة. ولأننا اكتشفنا في المسيح العنصر الإيجابي المقابل والمضاد لعنصر الخطية، وهو النعمة، وأيضاً البر، أي بر الله والمسيح، لذلك نستطيع أن نقول أن **«عنصر»** الخطية كان هو فقدان النعمة والحرمان من بر الله، وهذا ما وقع فيه آدم عندما اقترف العصيان والتعدي على وصية الله. فالذي أمات آدم هو فقدانه لنعمة الله وبرّه لما أخطأ. لأن نعمة الله هي قوة الحياة، وبرُّ الله محيي. **فنحن ورثنا من آدم ليس فعل خطيته بل طبيعته التي فقدت نعمة الله وحُرِمت من بر الله، الطبيعة البشرية الخاطئة ــ أي المفتوحة على الخطية على الشيطان ــ وليس مجرد فعل الخطية التي اقترفها.**

وعلى ذلك يضع بولس الرسول النعمة والبر والحياة في مقابل الخطية والموت هكذا:
+ «لأنه إن كان بخطية واحد مات الكثيرون فبالأَوْلَى كثيراً نعمة الله. والعطية بالنعمة التي بالإنسان الواحد يسوع المسيح قد ازدادت للكثيرين.» (رو٦: ١٥)
+ «فإذاً كما بخطية واحدة صار الحكم إلى جميع الناس للدينونة هكذا ببر واحدٍ صارت الهبة إلى جميع الناس لتبرير الحياة.» (رو٥: ١٨)
+ «حتى كما ملكت الخطية في الموت هكذا تملك النعمة بالبر للحياة الأبدية بيسوع المسيح ربنا.» (رو٦: ٢١)

إذاً، فجميع الناس من آدم إلى موسى، أي حتى مجيء الناموس والوصايا، فبالرغم من أنهم لم يخطئوا على شبه تعدي آدم أي لم يتعدوا على أية وصايا، إلاَّ أنهم ماتوا لأنهم كانوا محرومين من نعمة الله وبره، أي كانوا بطبيعة مائتة.

ولا تَقُلْ في نفسك: هذا ظلم وما ذنبهم؟ نقول لك إن النعمة والبر ليسا حقوقاً للإنسان ولكنها هبات ظل الإنسان ينتظرها بفارغ الصبر إلى أن جاء المسيح ووهبها، ولكن ليس مجاناً بل هو دفع ثمنها من دمه.

آدم فقدها بعدم طاعته وتعدِّيه؛ والمسيح استردَّها بطاعته وسفك دمه.

نفهم من هذا أن عنصر الخطية قائم في العالم وورثه كل إنسان خُلْواً من أفعالها، مع أن أفعالها تتبعها حتماً. فحتى الأطفال الرُّضَّع دخلهم عنصر الخطية دون أن يعرفوها أو يَقْرُبوا فعلها. فهم بالرغم من أنهم لا يُحسبون خطاة إلاَّ أنهم وُلدوا بطبيعة خاطئة ــ أي بالطبيعة المحرومة من نعمة الله وبره ــ فالموت لهم بالمرصاد، لأنهم وُلدوا بطبيعة مائتة، محكوم عليها بالموت. ولكن موتهم ليس عقوبة لأنهم لم يفعلوا الخطية.

أخطر ما في خطية آدم هو استماعه لصوت الشيطان، لقد ورثنا منه الأذن المفتوحة والعين المفتوحة والفكر المفتوح على مشورة الشيطان لإفساد الذهن والحياة برمتها. هذا هو السم القاتل في الخطية الأصلية. وهو عنصر غريب علينا دخل في صميم ميراثنا الجسدي: «أخاف أنه كما خدعت الحية حواء بمكرها هكذا تُفسَد أذهانكم عن البساطة التي في المسيح» (٢كو٣:١١). لذلك أصبح من المحتم خلع عنصر الفساد هذا المميت والغريب على طبيعتنا والدخيل علينا ونحصل بالمقابل على عنصر الشفاء كهبة فوق طبيعتنا: «ولكن ليس كالخطية هكذا أيضاً الهبة، لأنه إن كان بخطية واحد مات الكثيرون فبالأَوْلى كثيراً **نعمة الله** والعطية بالنعمة التي بالإنسان الواحد يسوع المسيح قد ازدادت للكثيرين.» (رو٥: ١٥)

٢ ــ عدم نفع الناموس:

الناموس عند بولس الرسول بالرغم من أنه روحي وصالح إلاَّ أنه لم يستطع أن يتعامل مع الخطية كعنصر شافٍ لعنصرها الفاسد، بل حاول محاصرتها في أشكالها وأنواعها ولم يجرؤ أن يقترب من عنصرها القاتل بل زاده وضوحاً وحسب: «لأن الخطية وهي متخذة فرصة بالوصية (الناموس) خدعتني بها وقتلتني ... لكي تصير الخطية خاطئة جداً بالوصية» (رو٧: ١١و١٤). وكأنما الناموس وقف يؤازر الخطية في فعلها المميت، فالخطية التي تؤدي إلى موت الخاطىء عاجلها

الناموس بأن حكم على الخاطىء بالموت!!

وهكذا وقف اليهود الجالسون على عرش الناموس في نفس صف خطاة الأمم وعلى مستوى واحد. هذا الوضع تعرَّض له المسيح حاسباً أن أمانة الإنسان للناموس وتأديته لكل الأعمال بدقة إنما لا تزكيه أمام الله، ولا تُكسبه أي بر، بل ولا أي ربح.

+ «متى فعلتم كل ما أُمِرْتُم به، فقولوا إننا عبيد بطَّالون لأننا إنما عملنا ما كان يجب علينا.» (لو١٧: ١٠)

هنا كلمة «بطَّال» تأتي باليونانية بمعنى "بلا قيمة" أو "بلا ربح"، أي أن المسيح يعتبر أن تتميم كل أعمال الناموس بكل دقة ــ وهذا مستحيل ــ ينتهي بلا قيمة ولا ربح ــ بل ويظل من يعملها محسوباً أنه «عبد بطَّال»!! وهذا في الحقيقة يلقي ضوءاً باهراً على كل تعليم بولس الرسول من جهة الناموس!

+ «لأنه لو أُعطي ناموس قادر أن يُحْيي، لكان بالحقيقة البر بالناموس. لكن الكتاب أغلق على الكل تحت الخطية، ليعطي الموعد من إيمان يسوع المسيح للذين يؤمنون.» (غل٣: ٢١و٢٢)

+ «الذين نحن أيضاً جميعاً تصرفنا قبلاً بينهم في شهوات جسدنا عاملين مشيئات الجسد والأفكار، وكنا بالطبيعة أبناء الغضب كالباقين أيضاً. الله الذي هو غني في الرحمة، من أجل محبته الكثيرة التي أحبنا بها، ونحن أموات بالخطايا أحيانا مع المسيح. بالنعمة أنتم مخلَّصون.» (أف٢: ٣ــ٥)

٣ ــ كيف ملكت الخطية وكيف تُخلع:

بكلمة من الشيطان دخلت الخطية فكر الإنسان: «ولكنني أخاف أنه كما خدعت الحية حواء بمكرها هكذا تُفسَد أذهانكم عن البساطة التي في المسيح.» (٢كو١١: ٣)

مدخل خداع الشيطان فكر الإنسان، ووسيلة الخداع مكره أي تزييفه للمعلومة!! وضربة الشيطان مصوَّبة نحو الذهن νοήματα وهو مركز وعي وإدراك الإنسان الروحي الفائق على العقل المادي، والقصد إفساد منهجه السماوي وإدخال عنصر الخطية فيه وهو الاتجاه السلبي الفاقد للنعمة والبر والمنجذب نحو الشر. فالشيطان قوة روحية ذات **عقل روحي ساقط** من مستوى نور الله: «لأن الشيطان نفسه يغيِّر شكله إلى شبه ملاك نور» (٢كو١١: ١٤)، «لئلا يطمع فينا الشيطان

لأننا لا نجهل أفكاره (ذهنه، قُدرة وَغيه νοήματα).» (٢ كو٢: ١١)

فإذا فسد ذهن الإنسان بدخول الاتجاه المنجذب نحو الشر وهو عنصر الخطية الأول استيقظت الغرائز وانفعلت الشهوات، فإذا اتحدت الأفكار مع الغرائز فقد الإنسان سيطرته على نفسه وفقد بالتالي حريته في التدبير والحسم، وابتدأ عنصر الخطية يسود ويتملك ــ ومن ورائه القوة الشيطانية الخادعة الضاغطة الملتهبة ــ فتظهر ألوان الخطايا وأشكالها وأصنافها الواحد يسلِّم للآخر في منحدر جارف رهيب.

وكيف تُخلع الخطية؟

عوض القوة العاقلة المخادعة الجاذبة نحو الشر والمفسدة للذهن ــ أي الشيطان ــ أصل الخطية والدهاء، احتاج الإنسان إلى القوة العاقلة: «المذّخر فيه جميع كنوز الحكمة والعلم» (كو٢: ٣)، الذي يجذب إليه الجميع من فوق الصليب ليمتلىء الكل من هذه الحكمة والعلم. فعوض الشر، صلاح وبر؛ وعوض الفساد، قداسة وحياة فيتحول فساد الذهن إلى: «مستنيرة عيون أذهانكم لتعلموا ما هو رجاء دعوته وما هو غنى مجد ميراثه في القديسين» (أف١: ١٨)؛ وعوض عنصر الخطية الرابض في الأعضاء المستبد والمستعبِد بالظلم رغماً عن الإنسان كقول بولس الرسول: «أرى ناموساً آخر في أعضائي **يحارب** ناموس ذهني **ويسبيني** إلى ناموس الخطية الكائن في أعضائي» (رو٧: ٢٣)، تدخل النعمة: «لأنكم بالنعمة مخلَّصون (قد خلصتم)، بالإيمان، وذلك ليس منكم هو عطية الله، ليس من أعمال كيلا يفتخر أحد.» (أف٢: ٨و٩)

وعوض الخطية التي دخلت "ظلماً"، دخلت النعمة "مجاناً" بالفداء:

وهكذا تملك النعمة مجاناً كعنصر تحرير وخلاص تجذب نحو الله والبر والحياة وكل طهارة وقداسة، عوض عنصر الخطية الجاذب نحو الشر والموت بالتجبُّر والاستعباد المجاني الظالم: «حتى كما ملكت الخطية في الموت هكذا تملك النعمة بالبر للحياة الأبدية بيسوع المسيح ربنا» (ر٥: ٢١). وكما دخل **عنصر** الخطية الشرير وأمات الإنسان ظلماً وتعسفاً من قبل الشيطان، وكان غريباً على طبيعة الإنسان المخلوق أصلاً على الخلود ولكنه دخل بحرية إرادة الإنسان ونتيجة لخروجه عن طاعة الله، كذلك دخلت النعمة مجاناً **كعنصر** إلهي سماوي فائق على طبيعة الإنسان لإعادة الخلقة للبر والخلود وصورة الله مرة أخرى: «إذ الجميع أخطأوا وأعوزهم مجد الله **متبررين مجاناً بنعمته بالفداء الذي (في) بيسوع المسيح**» (رو٣: ٢٣و٢٤). وكانت هذه النعمة لفتة من لفتات مراحم الله: «الله الذي هو غني في الرحمة من أجل محبته الكثيرة التي أحبنا بها، ونحن أموات بالخطايا أحيانا مع المسيح، بالنعمة أنتم مُخلَّصون.» (أف٢: ٤و٥)

ثانياً: المشورة الإلهية الأزلية وخطة خلاص الإنسان

لم يكن الإنسان الرازح في خطاياه بعيداً عن عين الله قط، في أي زمان وقبل كل زمان، بل كان أنينه مسموعاً دائماً وحاضراً أمام الذي لا يغفل ولا ينام، يصيغ على أساسه خطة خلاصنا. فقبل أن يسكب الله علينا من محبته، إنْ في ابنه أو في روحه القدوس، كنا محبوبين عنده وقبل أن نوجد، كنا موجودين لديه، وقبل أن تكتحل أعيننا ببركات الله على الأرض كنا مُباركين في السماء!! فالزمن الذي يحجز بين واقعنا الآن وفي كل زمان وبين أقدارنا المقدَّرة في مشورة الله، لا يوجد لدى القدير. فقبل أن نصير مختارين في المسيح اليوم كنا مختارين فيه منذ الأزل!! هكذا مارسنا رفضنا الماضي في جهل لنمارس إختيارنا في النعمة!!

+ «مبارك الله أبو ربنا يسوع المسيح الذي باركنا بكل بركة روحية في السماويات في المسيح. كما اختارنا فيه قبل تأسيس العالم لنكون قديسين وبلا لوم قدامه في المحبة.» (أف١: ٣و٤)

+ «... أيها الإخوة المحبوبون من الرب أن الله اختاركم من البدء للخلاص بتقديس الروح وتصديق الحق.» (٢تس٢: ١٣)

وبينما كنا عبيداً مُذَلّين تحت سلطان الخطية ومشورات الشيطان، كنا معيَّنين بين البنين والأخصاء وأهل بيت الله!! «إذ سبق فعيَّننا للتبني بيسوع المسيح لنفسه حسب مسرة مشيئته» (أف١: ٥). لم تبقَ مشورات الله السرية المرسومة في الأزل مكتومة إلى النهاية، بل صارت مسرة مشيئته أن يعلن عنها ليزداد مدح الله وليُعْرَفَ عند كل خليقة في السموات مقدار حكمة الله التي دبَّر بها خلاصنا في ملء الزمن.

+ «الذي في أجيال أُخَرَ لم يُعرَّف به بنو البشر كما قد أُعلِن الآن لرسله القديسين وأنبيائه بالروح، ...

لي أنا أصغر جميع القديسين أُعطيت هذه النعمة أن أُبشِّر بين الأمم بغنى المسيح الذي لا يُستقصى، وأُنير الجميع في ما هو شركة السر المكتوم منذ الدهور في الله خالق الجميع بيسوع المسيح،

لكي يُعرَّفَ الآن عند الرؤساء والسلاطين في السماويات بواسطة الكنيسة بحكمة الله المتنوعة حسب قصد الدهور الذي صنعه في المسيح يسوع ربنا.» (أف٣: ٥ و٨-١١)

+ «إذ عرَّفنا بسر مشيئته حسب مسرته التي قصدها في نفسه لتدبير ملء الأزمنة.» (أف ١: ٩و١٠)

أما الله فله سَبْق التعيين، وأما الإنسان فله أن يغتصب ملكوت السموات والغاصبون يختطفون نصيبهم اختطافاً (مت١١: ١٢)، وباغتصابهم واختطافهم يزداد مجد الله ويحلو مديحه وتستعلن مشيئته.

+ «الذي فيه أيضاً نلنا نصيباً معينين سابقاً حسب قصد الذي يعمل كل شيء حسب رأي مشيئته لنكون لمدح مجده نحن الذين قد سبق رجاؤنا في المسيح.» (أف١: ١١و١٢)

ومهما أتى الإنسان من الصالحات فالصلاح لله وحده، الذي سبق منذ الأزل ورسم لنا أعمالاً حسب مسرة صلاحه، ثم وهب لنا بصيرة لتنفذها، ونعمة لتكملها لنا بكل كمال الله، حتى يكون الفضل دائماً لله وليس منا:

+ «لأننا نحن عمله مخلوقين في المسيح يسوع لأعمال صالحة قد سبق الله فأعدها لكي نسلك فيها.» (أف٢: ١٠)

نبضات قلب الله من نحو خلاص الإنسان وحبه منذ الأزل:

حينما نصيخ السمع جيداً في رسائل بولس الرسول نسمع نبضات قلب الله وهي ترسم رسماً يصوِّر مشيئة الله طولها حب، وعرضها بذل، ونيّة مثبّتة منذ الأزل لخلاص الإنسان، كل إنسان!!

+ «لأن هذا حسن ومقبول لدى مخلصنا الله الذي يريد أن **جميع الناس** يخلصون وإلى معرفة الحق يقبلون.» (١تي٢: ٣و٤)

+ «لأنه قد ظهرت نعمة الله المخلِّصة **لجميع الناس**.» (تي٢: ١١)

+ «لأننا قد ألقينا رجاءنا على الله الحي الذي هو مخلِّص **جميع الناس** ولا سيما المؤمنين.» (١تي٤: ١٠)

+ «ولكن **حينما ظهر لطف مخلصنا الله وإحسانه** لا بأعمال في بر عملناها نحن بل **بمقتضى رحمته خلَّصنا** بغسل الميلاد الثاني وتجديد الروح.» (تي٣: ٤و٥)

+ «بحسب قوة الله الذي خلَّصنا ودعانا دعوة مقدسة لا بمقتضى أعمالنا بل **بمقتضى القصد والنعمة التي أُعطيَتْ لنا في المسيح يسوع قبل الأزمنة الأزلية!!** وإنما أُظهِرَت الآن بظهور مخلصنا يسوع المسيح الذي أبطل الموت وأنار الحياة والخلود بواسطة الإنجيل.» (٢تي١: ٩و١٠)

+ «... أيها الإخوة المحبوبون من الرب أن الله اختاركم من البدء للخلاص بتقديس الروح وتصديق الحق.» (٢تس٢: ١٣)

+ «الله بيَّن محبته لنا لأنه ونحن بعد خطاة مات المسيح لأجلنا.» (رو٥: ٨)

+ «الله الذي هو غني في الرحمة، من أجل محبته الكثيرة التي أحبنا بها ونحن أموات بالخطايا أحيانا مع المسيح.» (أف٢: ٤و٥)

الفصل الثاني

الإرسالية للفداء

١ ـ موضوع الإرسالية (غل٤: ٤و٥):

كحقيقة ثابتة في حياة الإنسان وعلى مدى جميع الأسفار المقدسة قديمها وجديدها، يقف الله صاحب المبادرة الأُولى لكل ما آل للإنسان من خير وصلاح وما سيؤول.

هذه الحقيقة الإلهية كانت في اعتبار القديس بولس بكل حرص ودقة وأمانة. فهنا نبدأ مع بولس الرسول بخطة الفداء التي وضعها الآب وصممها وطرحها للابن للتنفيذ، باعتباره الوسيط الواحد الوحيد بين الله والناس. ونحن لا ننسى الآية الرائدة في لاهوت بولس الرسول التي نستخلص منها هذه الحقيقة:

+ « لنا إلهٌ واحدٌ الآبُ الذي منه جميعُ الأشياء ونحن له،

ورَبٌّ واحدٌ يسوعُ المسيحُ الذي به جميع الأشياء ونحن به.» (١كو٨: ٦)

وعلى هذا الأساس وُضعت خطة الفداء: الله الآب كواضع خطة الفداء لما حان ميعاد التنفيذ أرسل ابنه ليعمل عمل الفداء العظيم الذي رفع كل المعوقات من طريق خلاص الإنسان الصاعد إلى المجد، مجد أولاد الله.

(أ) «ولكن لما جاء ملء الزمان،

(ب) أرسل الله ابنه،

(ج) مولوداً من امرأة، مولوداً تحت الناموس

(د) ليفتدي الذين تحت الناموس

(هـ) لننال التبني.» (غل٤: ٤و٥)

أ ــ لما جاء ملء الزمان:

حينما نلتجيء إلى بساطة الشرح نقول لما جاء الميعاد، ولكن «ملء الزمان» تحتاج إلى استجلاء حقائق خطيرة، نصفها الأكبر الخفي جرى في الأزلية والنصف الأصغر جرى على وجه الأرض.

والنصف الأول والأساسي الذي جرى في الأزلية والمُخفى عن أعيننا جرى بين الآب والابن، فهما اللذان بواسطة الروح اضطلعا بخلقة الإنسان الأولى: «وقال الله (إلوهيم) نعمل (بالجمع) الإنسان على صورتنا كشبهنا ... فخلق الله الإنسان على صورته.» (تك١: ٢٦و٢٧)

والآن وقد أفسد الإنسان صورته بالحرية التي منحه الله إياها بالأساس لينطلق بها إلى محاكاة أصلها، ولكنه أساء إلى صورته بحرية إرادته، فابتعدت عن أصلها حتى تاهت عنه وتاه عنها؛ فلزم الأخذ باليد ــ من وراء الستار ــ على عكاز الناموس ليضرب به الإنسان على أرض التيه كأعمى يتلمس طريق الحق والنور. والصوت يأتيه من فوق من بعيد، من بعيد جداً، على فم نبي أو آخر. وتوالت أزمنة التعليم والتأديب إلى أن ضرب عكاز الناموس آخر ضرباته؛ وبلغ الشقاء بالإنسان على أرض اللعنة والشقاء كل مأخذ؛ وتفتحت ملكاته ليرى الظلمة المحيطة، فازداد أنينه حتى بلغ عنان السماء.

فعاد الله إلى غرفة مشورته الإلهية وخطَّط ليضيف إلى صورته التي بدَّد الإنسان ملامحها، لمسة جديدة من لمساته الخالقة ليعيدها إلى صورتها الأولى ويؤمِّنها بروحه من رجعة الفساد.

وكان يواكب حركات الأزل حركات على وجه الزمان من تغيير ملوك وضم ممالك وتوحيد لغات وتأمين دروب ومسالك حتى باتت الأرض وكأنها تتأهب لاستقبال الحدث الآتي من وراء الزمن.

فقول بولس الرسول: «لما جاء ملء الزمان»، يعني بالرؤية الممتدة في تحركات الأزلية أن أنين الإنسان صعد إلى السماء فتحركت أحشاء الله نحو جُبْلة يديه، وأذِن بإسدال الستار على كل أزمنة شقاء الإنسان لتبدأ أزمنة الخلاص.

ب ــ «أرسل الله ابنه»:

عودة مرة أخرى للآية التي تقول عن الابن كيف اضطلع بالخلقة بناءً على مشورة الله الآب:

+ «وأُنير الجميع في ما هو شركة السر **المكتوم** منذ الدهور **في الله** خالق الجميع بيسوع المسيح.» (أف٣: ٩)

أما الآن، والابن هكذا صاحب المسئولية في الخلق الأول، فليس عجيباً أن يضطلع من قِبَل الله الآب بمسئولية الإنسان الذي خلقه كيف يعيده إلى صورته الأُولى ويرفعه مرة أخرى فوق طبيعته التي خانته وخانها وفوق عالمه الذي أضلَّه وضلَّ فيه، ويقدسه لله ليصير خليقة جديدة يمكن أن تحيا مع الله.

«أرسل» : ἐξαπέστειλεν

هي كلمة ذات قوة دافعة مركبة في اليونانية تركيباً يفيد الاندفاع إلى الأمام. فالله أرسله من ذاته ليس كأنه كان بعيداً عنه أو خارجاً منه بل في ذاته، حيث أرسله من اختبائه في الأزلية حيث كان محتجباً في الآب بغير ذي صورة عينية يستطيع أن يقف عليها عقلنا. ولكنه هو الابن، أو كيان البنوة بكل صفاتها وشمائلها وخصائصها الإلهية. أدركناها فقط حينما تجسد، فعرفناه، فعرفنا الآب وانكشف السر الإلهي.

ج ــ «مولوداً من امرأة،(١) مولوداً تحت الناموس»:

القصد الأساسي من هذا التعبير هو أن ابن الله صار إنساناً ولكن ليس عن طريق الإنسان بل عن طريق الله أيضاً، فهو ظل إلهاً حتى في تجسده، لأنه لم يقل من "أب وأم"، ليكون تجسده وتأنسه عن طريق بشر، بل قال: «مولوداً من امرأة» فقط ليُبقي دور الله كأب له كما هو كإنسان! هنا بولس الرسول لا يهدف نحو التقليل من قيمة الميلاد من عذراء(١)، ولكن يهدف لتحقيق بشريته تحقيقاً واقعياً بميلاده كأي إنسان من امرأة كأم، وفي نفس الوقت يُسْقِط دور الإنسان كأب ليظل الله هو أبوه وهو إنسان حتى يهب الإنسان بالتالي أبوة الله له كنعمة وهبة، وظل كما هو: «الله ظهر في الجسد» (١تي٣:١٦)، فهو ابن الله صار إنساناً، وبقي هو ابن الله. فيسوع المولود من العذراء إنسان بالحقيقة وابن الله حقاً.

بولس الرسول كان مستغرقاً فيما للمسيح والآب، كان يركِّز فكره وبصره في عملية الفداء التي ابتدأت إرهاصاتها الأُولى في فكر الله قبل أن يسكن الابن أحشاء عذراء، كان بولس الرسول يتتبع حركات الله في الأزلية، كان يتابع الابن في غناه كيف تركه وافتقر ليستطيع أن يلبس ثوب فقرنا (الجسد) (٢كو٨:٩)، قبلَ أن يختار مغارة أو مذوداً يولد فيه. كيف انحدر من الحضن الأبوي قبل أن تحضنه العذراء. كيف قطع المسافة المهولة من الأزلية السعيدة ليدخل مجال الأرض المعتم، قبل أن يتحمل وهو في بطن أمه شقاء رحلة الناصرة إلى بيت لحم. عندما ترنمت كواكب

---

(١) هذه الآية أعثرت بعض الآباء وقالوا إنه كان أفضل لو قال بولس الرسول: «العذراء بدل امرأة» (جيروم على غلاطية)، ولكن المسيح نفسه خاطب أمه العذراء بهذا اللقب. Patrologia Latina II,xxvi,389

الصبح معاً وسجدت له كل ملائكة الله (عب ١: ٦) لما رأوا البكر وهو يهبط إلى عالم الإنسان، قبل أن تظهر أجواق الملائكة لتنشد ترنيمة "المجد لله".

وبولس الرسول في ذكره «امرأة» إنما يهدف لبعيد، إنه يرفع من قدر المرأة حتى السموات، بعد أن انحدرت مع بعلها من لدن الله إلى لعنة شقاء الأرض. إنه لا يغفل دور العذراء كفرد بل يعلّي من دور المرأة كجنس.

وهكذا كما من امرأة دخلت الخطية إلى الإنسان هكذا من امرأة خرجت، وسوف نرى سريعاً كيف نظر بولس الرسول إلى المسيح نفسه كآدم «الثاني» تماماً كما رأى بولس الرسول في العذراء حواء «الثانية». فإن رأى أحد أن هناك تجنّياً في تسمية العذراء «**امرأة**» فما الرأي في تسمية المسيح ابن الله «**بآدم**»؟؟

بولس الرسول يؤكد على بشرية المسيح ولاهوته بآن واحد!:

+ «الذي سبق فوعد به بأنبيائه في الكتب المقدسة عن ابنه، الذي صار من نسل داود من جهة الجسد وتعيَّن (وتحقق) ابن الله بقوة من جهة روح القداسة بالقيامة من الأموات.» (رو ١: ٢-٤)

+ «أذكر يسوع المسيح المُقام من الأموات من نسل داود بحسب إنجيلي.» (٢تي ٢: ٨)

+ «لأنه يوجد **إله** واحد، ووسيط واحد بين الله والناس **الإنسان** يسوع المسيح.» (١تي ٢: ٥)

ولكن ولو أن ابن الله صار إنساناً بالحقيقة مثلنا في كل شيء، إلاَّ أنه لم يكن فيه خطية البتة:

+ «لأنه جعل الذي "**لم يعرف خطية**"، خطية لأجلنا، لنصير نحن برَّ الله فيه.» (٢كو ٥: ٢١)

ومتى كان الإنسان ـ أي إنسان ـ «**لا يعرف خطية**»؟؟؟ وهوذا قد جاء ليتعامل معها رسمياً ويلغيها؟؟ أليس هذا هو «**الله ظهر في الجسد**»؟

ونسمع من إشعياء النبي، وهو يتنبأ عن المسيَّا الآتي، كيف أن الله دعاه وأعطاه اسماً وهو في أحشاء أمه تماماً كما حدث في ميلاد المسيح: «الرب من البطن دعاني من أحشاء أمي ذكر اسمي.» (إش ٤٩: ١)

ويذكر إشعياء النبي كيف تمت جبلة المسيح في البطن بيد الله ليخرج في صورة عبد: «والآن

قال الرب جابلي من البطن عبداً له لإرجاع يعقوب.» (إش٤٩: ٥)

«مولوداً تحت الناموس»:

هذان المرادفان: «مولوداً من امرأة، مولوداً تحت الناموس» يحتاجان إلى وقفة وتأمل. فالنزول الهائل لابن الله الذي كلَّفه إخلاء ذاته مما له من مجد كإله، ليولد من امرأة وليأخذ مما لنا من اتضاع العبد، يوازيه بنفس القدر النزول الهائل ليولد تحت الناموس! ولكن لا عجب، فكما وُلِد بجسد إنسان ليميت الخطية في الجسد ويُحيي الإنسان، هكذا ولكي يرفع حكم الناموس عنا، تحتم أن ينزل تحت الناموس ليكمل في نفسه كل حكم الناموس ليفرغ الناموس من كل سلطانه وكل أحكامه كما أفرغ الخطية من طبيعتها القاتلة بموته.

+ «لأن ناموس روح الحياة في المسيح يسوع **قد أعتقني من ناموس الخطية والموت**، ... لكي **يتم حكم الناموس** فينا نحن السالكين ليس حسب الجسد (الناموس) بل حسب الروح (في المسيح).» (رو٨: ٢و٤)

هنا عودة لقول بولس الرسول «مولوداً من امرأة» دون أن يميزها بأوصاف تكشف عن يهوديتها، فأطلقها عامة **«امرأة»!** وهو بهذا يهدف إلى عمل المسيح القادم الذي يشمل كل البشرية **دون تخصيص.** ثم عاد بولس الرسول وخصص «مولوداً تحت الناموس»، هنا ميلاد يهودي بالدرجة الأُولى حتى يكون لحساب الشعب الرازح تحت الناموس.

د ــ «ليفتدي الذين تحت الناموس»:

واضح من الآية أن الذين تحت الناموس كانوا في حالة تحتاج إلى الفداء!!

والفداء هو حاجة الإنسان الواقع في الأسر تحت تهديد الموت!!

والأسير عَبْدٌ مُبَاع محتاج لمن يفكُّه بالفدْية ويتبنَّاه!!

الناموس حكم بالموت على كل من يخالفه والكل خالفوه!! بالخطية!

سيف الناموس ومقصلته كانت الخطية.

المسيح لم يكن فيه خطية ولا في فمه غش، كان هو «البار» فلم يكن للناموس عليه حكم أو سلطان!

فلما اتهمه الناموس أنه **خاطىء، ومجدِّف** على الله ومُضلِّل للشعب؛ مع أنه ابن الله وهو واضع الناموس، وأخيراً حكم الناموس ــ بإجماع معلميه وحفظته ــ بالموت على ابن الله كخاطىء، وهو الحي الغافر الخطايا الذي لا يموت؛ فالمسيح لما قَبِلَ حكم الموت، قتل الخطية بقتل الجسد، فجرَّد

الناموس من سيفه ومقصلته فأفرغه من قوته ومضمونه. فالمسيح لما قبل الموت بالجسد وهو حامل خطية الإنسان، قَبِلَ الموت عن كل جنس البشر، فالجسد جسد البشرية، ولما قبل حكم الناموس بالموت كخاطيء وهو البريء ورب الناموس، يكون قد قبل حكمه بالتالي كلَّ جنس البشر.

وهكذا فبموته كمُدَانٍ، رفع الدين عن كاهل الإنسان، ورفع بالتالي حكم الموت بالناموس عن رقبته.

وأطلق الإنسان من أسر اللعنة الأولى إذ كان قد «أغلق على الجميع معاً في العصيان.» (رو١١:٣٢)

وفداه من تحت حكم الناموس ليصير حرًّا مرة أخرى من الناموس.

هـ ــ «لننال التبني»:

فإن صار الإنسان بلا خطية في صليب ابن الله،

وإن أصبح بريئاً أمام كل محكمة قضاء الناموس،

فقد تبرر الإنسان أمام الله بدم ابن الله.

والآن، وقد تبرر الإنسان أمام الله بتوسُّط ابنه،

فقد تأهل للمصالحة مع عدل الله وقداسته،

وصار الإنسان حرًّا مبررًا في موكب نصرة ابن الله

وفيه رائحة دم المسيح الزكية،

ليقبل من يد الله الآب إكليل التبني وصك الميراث.

٢ ــ بولس الرسول يركز في إرسالية الفداء

على عنصر الخطية لعزلها والقضاء عليها (رو٨:٣):

بعد أن رأينا إرسالية الفداء وهي معقودة على ابن الله وقد كلَّفته أن يولد من امرأة، يعود بولس الرسول يركز على عنصر «الخطية» كبؤرة الجذب التي انقض عليها ابن الله في نزوله من السماء:

(أ) «لأنه ما كان الناموس عاجزاً عنه في ما كان ضعيفاً بالجسد،

(ب) فالله إذ أرسل ابنه في شبه جسد الخطية،

(ج) ولأجل الخطية،

(د) دان الخطية في الجسد.» (رو٨:٣)

أ ـ «كان الناموس عاجزاً»:

في الحقيقة لم يكن الناموس عاجزاً في ذاته أو في تركيبه، أو في روحه، ولكن ثبت عجزه إزاء ضعف جسد الإنسان الذي وُضع الناموس من أجله، وتأتي كلمة «عاجزاً» باليونانية: ἀδύνατον بمعنى **«بلا قوة»**، التي عبَّر عنها بولس الرسول في موضع آخر هكذا: «الناموس روحيٌّ وأما أنا فجسديٌّ مَبِيعٌ تحت الخطية» (رو٧: ١٤). هنا بولس الرسول أوضح التناقض على أشدِّه غير القابل للحل. هذا المعنى هام جداً وخطير بالنسبة لكل ما يُقال عن الناموس والخطية والفداء. ولينتبه القارىء، لأننا حينما نضع هذه الحقيقة كمبتدأ هكذا:

لما كان الناموس قد أصبح عاجزاً عن معالجة الخطية بسبب ضعف ومرض الجسد،

يأتي الجواب المباشر أو الحل الجذري من الله هكذا:

لذلك فالله حصر كل **عنصر الخطية** في الجسد الذي أخذه من الإنسان، وقَبِل الموت بالجسد، فمات عنصر الخطية القتَّال.

والنتيجة المباشرة أن المسيح أكمل حكم الناموس وأكمل كل واجبه، فانتهى الناموس.

وهكذا تم حكم الناموس في الإنسان من قِبَل الله، فتبرَّأ الإنسان؛ الأمر الذي كان مستحيلاً بالنسبة للناموس أن يعمله.

هكذا يتضح، من وجهة نظر بولس الرسول، أن السبب في إرسال الله لابنه هو معالجة عجز ناموس موسى، أي وقوفه بلا أية قوة إزاء ضعف جسد الإنسان تجاه الخطية التي قتلته.

فالناموس من وضع إلهيٍّ، وكان القصد منه أن يقنِّن مسيرة الإنسان في الحق والبرِّ والعدل والقداسة. ولكن الناموس وقف عاجزاً مشلولاً تماماً عن تأدية دوره بسبب طبيعة الإنسان المنجذبة للشر بصورة متواترة.

ب ـ «أرسل ابنه في شبه جسد الخطية»: ἐν ὁμοιώματι σαρκὸς ἁμαρτίας

بولس الرسول هنا لا يقول أن الله أرسل ابنه في «شبه الجسد»، لئلا يُظَنَّ أنه ليس جسداً حقيقياً أو أنه بطبيعة أخرى غير طبيعة أجساد الناس. ولم يقل في «جسد الخطية» لئلا يُظَنَّ أن المسيح قد أخذ جسداً خاطئاً. ولكنه اختار هذا التعبير السهل الذي لا يأتيه أي شك أو قصور: «أرسل ابنه في شبه جسد الخطية»، بمعنى أنه بحسب الظاهر يظهر كأنه جسد خاطىء، كأي جسد لأي إنسان خاطىء، ولكنه في حقيقته بدون خطية!! لأنه لم يأخذه جسدياً بتوارث الخطية من زواج، ولم يُستهدف لأية خطية لاهوتياً، أي بحماية اللاهوت، ولم ينفتح على معرفة أية خطية لأن معرفته كانت منحصرة فيما هو لأبيه، أي أنه كان قدوساً.

ج ـ «ولأجل الخطية»:

هذا التسلح الفريد من نوعه ضد الخطية والذي يستحيل أن يكمل بهذه الصورة: جسد طبيعي لإنسان، ليس فيه عنصر الخطية، ومعصوم عن الخطية من كل الوجوه!! هذا لا يمكن أن يتأتى إلاَّ إذا كان اللاهوت هو ملء هذا التجسد. نقول إن هذا التسلح ضد الخطية بهذه الصورة يوضح بكل قوة أن هدفه هو بالأساس حصر الخطية في الجسد وإبادتها بلا نزاع.

ولا يذكر بولس الرسول هنا نوع الخطية موروثة أو حادثة، بل نصَّ على طبيعتها بشمول يجمع كل عناصرها وأسبابها ومصادرها.

د ـ «دان الخطية في الجسد»:

الخطية المحاصرة هنا والمقصودة ليست الفعل في حد ذاته بل ما هو قبل الفعل وسببه وما ترتب عليه!! المقصود هو القوة الشريرة أو قوة الشر وهو العلة الأُولى للخطية الأُولى التي غزت كل خِلْقة آدم وسكنت في الجسد.

دان الخطية: κατέκρινεν

كان عمل الناموس بالنسبة للخطية هو أن يُظهرها فقط أنها خاطئة جداً، ولكن لا يحكم عليها بل يحكم على الذي يتعامل معها. ولكن هنا عمل المسيح يتعدى المحاصرة للإظهار، وهو أيضاً لا يتعامل كالناموس مع الخاطىء بل جاء تعامله ضد الخطية ذاتها. وتعامله يتجه مباشرة على مستوى الحكم النهائي بقصد أن يفقدها قوتها مرة واحدة وإلى الأبد. وقد تبارى الآباء القديسون الأوائل في وصف دينونة الخطية بأوصاف قاطعة وشديدة: تأتي بمعنى يكسر شوكتها، ويحطمها، ويبيدها، ويفنيها، ويلغيها، ويقتلها.

ولكن لكي لا نتوه في كل هذه المعاني يلزم أن نعرف كيف دان المسيح الخطية ليصنع بها كل هذه الأوصاف. فالخطية قوتها وسلطانها هو «الموت» الذي تؤدي إليه: «النفس التي تخطىء هي تموت» (حز١٨: ٤)، «أجرة الخطية هي موت» (رو٦: ٢٣). فعقاب الخطية موت حتمي.

هنا المسيح لما مات ثم قام من الموت ألغى «الموت» كعقوبة للخطية، لما أخذ بإرادته هذه العقوبة في جسده ومات. وهكذا لما ألغى المسيح الموت كعقوبة للخطية انحلت الخطية وضاعت قوتها وانكسرت شوكتها:

+ «أين شوكتُكَ يا موت ... أما شوكة الموت فهي الخطية.» (١كو١٥: ٥٥و٥٦)

كان حكم الناموس أن: **«كل من يخطىء يموت».**

فصار في المسيح: **«لا شيء من الدينونة الآن على الذين هم في المسيح يسوع.»** (رو١:٨)

«إن أخطأ أحد فلنا شفيع عند الآب يسوع المسيح البار وهو كفّارة لخطايانا. ليس لخطايانا فقط بل لخطايا كل العالم.» (١يو٢: ١و٢)

«لنا الفداء بدمه غفران الخطايا حسب غنى نعمته.» (أف١: ٧)

ولينتبه القارىء فالمسيح لم يحكم على الخطية ويحاصرها ويلغيها كعنصر قائم بذاته وكأنه حكم غيابي، بل دانها في جسده، وجسده نحن، دانها وحكم عليها من داخل أجسادنا وهي قائمة تعيث فساداً داخل أعضائنا. قتلها وهي قائمة في فكرنا وضميرنا ونيّاتنا ولحمنا وعظامنا، عندما امتص سمها القاتل في جسده فأخلاها من قوتها وأماتها في جسده وجسدنا حقاً. فالخطية لم تتركنا ولا نحن تركناها فهي قائمة كما كانت في طبيعة الجسد، رابضة في الأعضاء ولكنها بلا قوة بلا سلطان، تتحرك لتميت ولكن لا نموت نحن بحركتها. لأن إزاء حركة الخطية في أجسادنا أخذنا حركة الروح القدس في أرواحنا وابتدأ الصراع الذي أُعطي فيه الغلبة للروح القدس: «وإنما أقول اسلكوا بالروح فلا تكملوا شهوة الجسد، لأن الجسد يشتهي ضد الروح (القدس) والروح (القدس) ضد الجسد وهذان يقاوم أحدهما الآخر حتى تفعلون ما لا تريدون. ولكن إذا انقدتُم بالروح فلستم تحت الناموس.» (غل٥: ١٦—١٨)

ويكمّل بولس الرسول عناصر الصراع لحساب الروح هكذا: «ولكن إن كنتم بالروح تميتون أعمال الجسد فستحيون.» (رو٨: ١٣)

فالآن، قد وُضع الإنسان بين «نعم، ولا»: «نعم» للروح القدس الناطق في القلب والضمير لحساب الحياة الأبدية مع المسيح، و «لا» لكل مشورة لحساب الجسد والغرائز.

وكل «نعم» للروح القدس في الضمير معناها الانحياز للمسيح لنوال قوة الفداء بالدم لمحاصرة الخطية وإلغاء سلطانها. لأن المسيح دان الخطية في الجسد حيث الجسد جسدنا، ودينونة الخطية حُكْمٌ سلّمه المسيح إلينا للتنفيذ. كما دعا إليه بولس الرسول مُقدّماً نفسه نموذجاً: «أقمع جسدي وأستعبده» (١كو٩: ٢٧)، طبعاً بالروح القدس الذي أعطى قوة القمع وإخضاع الجسد والفكر لسلطان المسيح، وهو القائل: «بالروح تميتون أعمال الجسد.» (رو٨: ١٣)

وقفة قصيرة لمعاودة
النظرة إلى المسيح كوسيط لجميع الخيرات

لا نستطيع أن نجمع رؤية بولس الرسول للمسيح كوسيط تحت عناوين محددة وإلا نشتت فكر القارىء، ولكن نقدم هنا عينات من ومضات الإلهام التي استطاع بولس الرسول أن يستجليها من المسيح والتي نستطيع نحن أن نستجليها عن بولس الرسول: بخصوص علاقتنا بالمسيح.

الخلاص بالمسيح: «الله لم يجعلنا للغضب بل لاقتناء الخلاص بربنا **يسوع المسيح**.» (١تس٥:٩)

النعمة بالمسيح: «حتى كما ملكت الخطية في الموت هكذا تملك النعمة بالبر للحياة الأبدية **بيسوع المسيح ربنا**.» (رو٥:٢١)

البر بالمسيح: «الإنسان لا يتبرر بأعمال الناموس بل **بإيمان يسوع المسيح**، آمنَّا نحن أيضاً بيسوع المسيح لنتبرر بإيمان يسوع.» (غل٢:١٦)

الفداء بالمسيح: «متبررين مجاناً بنعمته بالفداء الذي **بيسوع المسيح**.» (رو٣:٢٤)

المصالحة بالمسيح: «إن كنا ونحن أعداء قد صولحنا مع الله بموت ابنه، فبالأولى كثيراً ونحن مُصَالَحون نخلص **بحياته**. وليس ذلك فقط بل نفتخر أيضاً بالله بربنا يسوع المسيح الذي **نلنا به الآن المصالحة**.» (رو٥: ١٠و١١)

السلام بالمسيح: «فإذ قد تبرَّرنا بالإيمان لنا سلام مع الله **بربنا يسوع المسيح**.» (رو٥:١)

التقدم إلى الله بالمسيح: «لأن به لنا كلينا (اليهود والأمم) **قدوماً** في روح واحد إلى الآب.» (أف٢:١٨)

الخلاص من الغضب

بالمسيح: «ونحن متبررون الآن بدمه **نخلص به من الغضب**.» (رو٥:٩)

التعزية بالمسيح: «لأنه كما تكثر آلام المسيح فينا كذلك **بالمسيح** تكثر تعزيتنا أيضاً.» (٢كو١:٥)

الثقة بالمسيح: «لنا ثقة مثل هذه **بالمسيح لدى الله.**» (٢كو٣:٤)

عطية الروح القدس

بالمسيح: «بمقتضى رحمته خلّصنا بغسل الميلاد الثاني وتجديد الروح القدس الذي سكبه بغنى علينا **بيسوع المسيح مخلصنا.**» (تي٣: ٥و٦)

نوال التبني بالمسيح: «إذ سبق (الله) فعيّننا للتبني **بيسوع المسيح** لنفسه حسب مسرة مشيئته.» (أف١:٥)

النصرة ضد جميع أعدائنا

بالمسيح: «ولكننا في هذه جميعها يعظم انتصارنا **بالذي** أحبنا.» (رو٨:٣٧)

التملك في الحياة بالمسيح: «الذين ينالون فيض النعمة وعطية البر سيملكون في الحياة **بالواحد يسوع المسيح.**» (رو٥:١٧)

آمين بالمسيح: «مهما كانت مواعيد الله فهو فيه **"النعم"** وفيه **"الآمين"** لمجد الله بواسطتنا.» (٢كو١:٢٠)

الفصل الثالث

ذبيحة الصليب

١ ـ معنى الذبيحة: θυσία

معنى الذبيحة في العهد الجديد مأخوذ من مجمل معناها في العهد القديم ويمكن تلخيصها كالآتي عن القاموس اللاهوتي الألماني لكيتل:

[الذبيحة هي استحداث وَضْع، من خلاله يمكن أن يستعلن الله نفسه بقصد تنظيم علاقة بينه وبين شعبه. فبواسطة نظام الذبائح في العهد القديم أراد الله أن يكون له علاقة وتعامل شخصي مع شعبه. وأول مَثَل لذلك ما جاء في بداية تعامل الله مع إبراهيم أب الآباء هكذا:

«فآمن بالرب فحسبه له برًّا. وقال له أنا الرب الذي أخرجك من أور الكلدانيين ليعطيك هذه الأرض لترثها. فقال أيها السيد الرب بماذا أعلم أني أرثها. فقال له خذ لي عجلة ثلاثية وعنزة ثلاثية وكبشاً ثلاثياً ويمامة وحمامة. فأخذ هذه كلها وشقَّها من الوسط وجعل شق كل واحد مقابل صاحبه وأما الطير فلم يشقه ... ولما صارت الشمس إلى المغيب وقع على أبرام سبات وإذا رعبة مظلمة عظيمة واقعة عليه ... في ذلك اليوم قطع الرب مع أبرام ميثاقاً.» (تك١٥: ٦ــ١٠ و١٢و١٨)

كذلك حينما أراد الله أن يجرب إبراهيم في محبته وطاعته لله أكثر من كل شيء آخر وطلب منه أن يقدم ابنه ذبيحة، فأطاع ولم يتردد، منعه الله في آخر لحظة والسكين على رقبة ابنه، وأعد له كبشاً للذبيحة عوض ابنه. في هذا كان الله يُعبِّر أعظم تعبير عن أن الذبيحة لله هي في عينيه أقوى تعبير عن الحب والطاعة اللذين ارتبط بهما الإنسان بالله. أما رد فعلها لدى الله فهو هكذا: «بذاتي أقسمتُ، يقول الرب، أني من أجل أنك فعلت هذا الأمر ولم تمسك ابنك وحيدك أُبارِكُكَ مباركةً ... ويتبارك في نسلك جميع أمم الأرض.» (تك٢٢: ١٦ــ١٨)

وإذا أضفنا على شكل هذه الذبائح الأشكال الأخرى التي وردت في الناموس، نستطيع

القول أن الذبيحة تتجه دائماً للتعبير عن حضور الله ومعه نعمته و برُّه.

فإذا كان الأنبياء في أواخر الأيام بدأوا يعلنون رفض الله للذبائح، وكذلك المزامير:
«إني أريد رحمة لا ذبيحة ومعرفة الله أكثر من محرقات.» (هو٦:٦)
«بذبيحة وتقدمة لم تُسَرَّ، أذني فتحت ـــ محرقة وذبيحة خطية لم تطلب. حينئذ قلت هانذا جئت (المسيح)، بدَرْجِ الكتاب مكتوب عني. أن أفعل مشيئتك يا إلهي سررتُ.» (مز٤٠: ٦ـــ٨)؛

نقول إن كان الله قد رفض الذبائح في أواخر أيامهم، فذلك لم يكن معارضة من الله للذبائح في حد ذاتها ولكن لأن الشعب بكهنته أهملوا القصد الأساسي من الذبائح الذي قامت عليه روحياً، وهو الوجود في حضرة الله لتكوين علاقة روحية تنمو مع الأيام. وهكذا حلَّت التقدمات المادية عوض العلاقة الشخصية الروحية والتسبيح والشكر للخلاص في حضرة الله، مع التواضع والتقوى والمحبة التي هي روح الطقس الذبائحي ومحوره والتي كانت هي بحد ذاتها الذبائح الحقيقية. وهذا كان بالنص محور تبكيت الأنبياء والمزامير:
+ « اسمع يا شعبي فأتكلم، يا إسرائيل فأشهد عليك. الله إلهك أنا، لا على ذبائحك أوبخك فإن محرقاتك هي دائماً قدامي. ...
هل آكل لحم الثيران أو أشرب دم التيوس،
اذبحْ لله حمداً وأوْفِ العليَّ نذورك،
وادْعُني في يوم الضيق أنقذْك فتمجدني!!» (مز٥٠: ٧ـــ١٥)

وهذا يوضح أن طَلَب الله لهذه العلائق الروحية الصادقة لم يكن يتعارض مع الذبائح الدموية. ولكن بسبب توقف القصد الأساسي من هذه الذبائح، رُفِضَت الذبائح](1)

بولس الرسول كان خيراً مَنْ يدرك هذا، بل في سفر العبرانيين يلتجىء إلى نص المزمور أعلاه (٤٠: ٦ـــ٨) الذي فيه يوضح انتهاء عصر الذبائح وتوقفها **بمجيء المسيح** «ها أنذا جئت» حيث **«جسده»** هو **«الذبيحة»** المقابلة للذبائح.

هنا ذبيحة «جسد المسيح» تجبُّ كافة الذبائح بكل أنواعها باعتبارها **استعلان العلاقة بين الله والإنسان، وحضرة إلهية، بنعمة وبر.**

---

1. Theological Dictionary of the New Testament, TDNT, ed. by G. Kittel, Vol. V, p. 183.

٢ ــ مفاعيل ذبيحة الصليب:

وقبل أن نخوض في ذبيحة الصليب باعتباره عمل الفداء، نورد أمام القارىء بعض الآيات التي تكشف:

أولاً: سر دم هذه الذبيحة وفعلها وقوتها ونتائجها:

الفداء بدمه: «الذي فيه لنا الفداء بدمه غفران الخطايا حسب غنى نعمته.» (أف ١:٧)

الصلح بدمه: «وأن يصالح به الكل لنفسه عاملاً الصلح بدم صليبه بواسطته سواء كان ما على الأرض أم ما في السموات.» (كو ١:٢٠)

الاقتراب بدمه: «ولكن الآن في المسيح يسوع أنتم الذين كنتم قبلاً بعيدين صرتم قريبين بدم المسيح.» (أف ٢:١٣)

التبرير بدمه: «فبالأوْلَى كثيراً ونحن متبرِّرون الآن بدمه نخلص به من الغضب.» (رو ٥:٩)

الشركة بدمه: «كأس البركة التي نباركها أليست هي شركة دم المسيح.» (١ كو ١٠:١٦)

جرية الاقتراب للدم

بدون استحقاق: «إذاً أيُّ من أكل هذا الخبز أو شرب كأس الرب بدون استحقاق يكون مجرماً في جسد الرب ودمه.» (١ كو ١١:٢٧)

ثانياً: «موت» المسيح وآثاره الفدائية:

مات لأجل الجميع: «وهو مات لأجل الجميع كي يعيش الأحياء فيما بعد لا لأنفسهم بل للذي مات لأجلهم وقام.» (٢ كو ٥:١٥)

صولحنا بموته: «إن كنا ونحن أعداء قد صولحنا مع الله بموت ابنه فبالأوْلَى كثيراً ونحن مُصالَحون نخلص بحياته.» (رو ٥:١٠)

بموته صرنا قديسين وبلا لوم ولا شكوى أمامه: «قد صالحكم الآن في جسم بشريته بالموت لِيُحْضِركم قديسين وبلا لوم ولا شكوى أمامه.» (كو ١: ٢١و٢٢)

مات لنحيا معه: «الذي مات لأجلنا حتى إذا سهرنا أو نمنا نحيا جميعاً معه.» (١تس ٥:١٠)

بذل نفسه فدية لأجل الجميع: «الذي بذل نفسه فدية لأجل الجميع الشهادة في أوقاتها

الخاصة.» (١تي٢:٦)

اشترانا بثمن (موته): «لأنكم قد اشتريتُم بثمن. فمجّدوا الله في أجسادكم وفي أرواحكم التي هي لله.» (١كو٦:٢٠)

افتدانا من لعنة الناموس: «المسيح افتدانا من لعنة الناموس إذ صار لعنة لأجلنا لأنه مكتوب: ملعون كل من عُلِّق على خشبة.» (غل٣:١٣)

البر بموت المسيح: «لست أبطل نعمة الله، لأنه إن كان بالناموس برٌّ فالمسيح إذاً مات بلا سبب.» (غل٢:٢١)

٣ ــ ذبيحة الصليب في ضوء ذبائح العهد القديم(٢):

وبتعدد الآثار المترتبة على ذبيحة موت المسيح على الصليب يتضح تعدد الرؤيا لنوع ذبيحة المسيح على صور ذبائح العهد القديم. وبولس الرسول يرى من هذه الذبائح التي لمحها في **ذبيحة المسيح** ما يأتي:

أ ــ ذبيحة الفصح:

«لأن فصحنا أيضاً المسيح قد ذبح لأجلنا.» (١كو٥:٧)

والذي يعطي هذه الرؤية الاستعلانية عن موت المسيح على الصليب **أهميتها هي أنها قيلت في موسم الفصح الرسمي**. لذلك نجد كلمة «أيضاً» هنا مقارنة بين أمر حادث أمامه وبين الحال الذي يعيشه بولس الرسول في كنيسته في كورنثوس، معتبراً أن ذبح المسيح على الصليب صار للمسيحيين كذبح حمل الفصح يوم الفصح. فكما أن الفصح الأول الذي عُمِلَ في مصر هو ذبيحة الخروج العجيب الذي أعطى الشعب قوة الخلاص من عبودية فرعون مصر القاسي وسخرة العمل بلا أجر لليهود، هكذا صار لمسيحيي كورنثوس وكل العالم خلاصٌ بذبيحة صليب المسيح من عبودية الخطية وتسخير الشيطان للإنسان لاقتراف الأعمال الميتة بلا طائل.

ب ــ «ذبيحة العهد» و«دم العهد» (خر٢٤:٨ و١كو١١:٢٥):

وهي المقابل لما صنعه موسى بأمر الرب «لإقامة العهد» المحسوب لنا الآن أنه «القديم»، في ذلك الوقت وبعد «الفصح في مصر» أقام موسى **ذبائح ومحرقات وذبائح سلامة وأخذ منها الدم** وسكبه على قاعدة المذبح، والباقي رشَّ به على الشعب قائلاً:

---

(٢) سنبيِّن فيما بعد الاختلاف الجذري بين معنى ذبيحة الصليب ومعاني ذبائح العهد القديم، لأن هذه الأخيرة كانت تُقدَّم فقط عن الخطية السهو دون خطايا العَمْد (أنظر صفحة ٢٨٥ــ٢٨٦).

«هوذا "دم العهد" الذي قطعه الرب معكم على جميع هذه الأقوال.» (خر٢٤: ٨)

وعلى ذات المنوال وبصورة استعلانية فائقة القدر مسك الرب يسوع المسيح الكأس (كأس الدم) ليلة فصحه ليقدس التلاميذ بدمه للعهد الجديد بحسب رواية بولس:

«كذلك الكأس أيضاً بعد ما تعشوا قائلاً: هذه الكأس هي **العهد الجديد بدمي** اصنعوا هذا كلما شربتم لذكري.» (١كو١١: ٢٥)

وبحسب القديس بولس أيضاً في رسالته إلى العبرانيين، فدم العهد بيد موسى قدَّس إلى طهارة الجسد فقط، أما دم المسيح فإلى تقديس الروح وأعماق الضمير.

+ «لأنه إن كان دمُ ثيران وتيوس ورماد عِجْلَةٍ مرشوش على المنجَّسين يُقدِّس إلى طهارة الجسد،

فكم بالحري يكون دم المسيح ــ الذي بروح أزلي ــ قدم نفسه لله بلا عيب يطهِّر ضمائركم من أعمال ميتة لتخدموا الله الحي.» (عب٩: ١٣و١٤)

وواضح أن رؤية بولس الرسول لذبيحة الصليب هنا تحمل ملامح **ذبائح المحرقات والسلامة معاً**. وكما بفصح المسيح (الصليب) انتهى الفصح القديم، كذلك بدم العهد الجديد انتهى عهد ذبائح المحرقات والسلامة.

ج ــ ذبيحة الكفَّارة (٢كو٥: ٢١ ورو٣: ٢٥):

وهي **ذبيحة الخطية** (لا٦: ٢٥) ذاتها! وتعتبر من وجهة نظر بولس الرسول أهم الذبائح قاطبة في مضمون عمل الصليب والغاية من التجسد. وهو يستمد اهتمامه البالغ بها من واقع أهمية هذه الذبيحة في ناموس موسى باعتبارها أكثر الطقوس أهمية في الناموس.

وبولس الرسول يرى أن المسيح بحمله خطايا البشرية على خشبة الصليب صار بالفعل ذبيحة كفارة خطية بالدرجة الأولى وبكل معنى، حتى تجرأ واعتبر المسيح بحال الصليب أنه «صار خطية»!

+ «لأنه **جعل الذي لم يعرف خطية خطية** لأجلنا لنصير نحن برَّ الله فيه.» (٢كو٥: ٢١)

قوة التعبير هنا شديدة ويلزم أن نستوعب كيف يجمع بولس الرسول الخطايا كلها كأفعال مطلقة ويعجنها ليخرج منها واقع واحد ملموس، فخطايا البشرية صارت مشخَّصة كشخص واحد «خطية» استقطبها المسيح في نفسه ولبسها ليظفر بها على الصليب، حتى ينظر الخاطىء إلى نفسه

في إيمان المسيح فيرى نفسه بلا خطية بل وعوض الخطية يلبس بر المسيح.

وقد عبَّر بولس الرسول عن ذبيحة المسيح الكفارية على الصليب لأهل رومية بنفس المعنى قائلاً:

+ «الذي قدمه الله كفَّارة ἱλαστήριον ، بالإيمان بدمه، لإظهار برِّه من أجل الصفح عن الخطايا السالفة بإمهال الله.» (رو٣:٢٥)

ولكن الجديد في هذه الذبيحة الكفارية أن الذي قدَّمها هو **«الله نفسه»**. لذلك فأيُّ قوة تكفير عن الخطايا تكون، وأيُّ قوة غفران للخطايا تكون، وأيُّ ضمان يفوق كافة ضمانات العالم يكون، لأنه بالصليب قد صفح الله عن خطايانا بل خطايا العالم كله، وبالمسيح تبررنا أمامه.

هذا هو **يوم الصليب** عند بولس الرسول، إنه بديل يوم «الكبوراه»: **«يوم الكفَّارة»** (لا٢٣:٢٧) لكل الشعب اليهودي. هناك كان يتحتم أن يقام كل سنة. وهنا هي سنة واحدة للرب مقبولة، قدَّم نفسه ذبيحة خطية عن العالم ولكل السنين والدهور.

+ «وكل كاهن يقوم كل يوم يخدم ويقدِّم مراراً كثيرة تلك الذبائح عينها التي لا تستطيع البتة أن تنزع الخطية. وأما هذا فبعد ما قدَّم عن الخطايا ذبيحة واحدة (الصليب) جلس إلى الأبد عن يمين الله.» (عب١٠: ١١و١٢)

+ «فبهذه المشيئة نحن مقدَّسون بتقديم جسد يسوع المسيح مرة واحدة.» (عب١٠:١٠)

د ــ ذبيحة «رائحة سرور للرب» (عد١٥:١ــ٤ وأف٥:٢):

+ «واسلكوا في المحبة كما أحبنا المسيح أيضاً وأسلم نفسه لأجلنا قرباناً **وذبيحة لله رائحة طيبة.**» (أف٥:٢)

وهي الذبيحة المقابلة في العهد القديم لذبيحة وقود للرب، وفاءً إما لنذر أو للعيد:

+ «متى جئتم إلى أرض مسكنكم التي أنا أُعطيكم وعملتم وقوداً للرب محرقة أو ذبيحةً وفاءً لنذرٍ أو نافلةً أو في أعيادكم **لعمل رائحة سرور للرب** من البقر أو من الغنم، يقرِّب الذي قرَّب قربانه للرب تقدمة من دقيق عُشْراً ملتوتاً بربع الهين من الزيت وخمراً للسكيب ربع الهين تعمل على المحرقة أو الذبيحة للخروف الواحد.» (عد١٥: ١ــ٤)

وهنا يتضح من آية بولس الرسول أن القصد من هذه الذبيحة هو رفع رائحة الطاعة لله في ذبيحة الخضوع والحب على الصليب.

وقد اهتمت الكنيسة القبطية الأرثوذكسية بهذه الذبيحة في معناها وألفاظها وأدخلتها في صلوات القداس:

+ [هذا الذي أصعد ذاته ذبيحة مقبولة على الصليب عن خلاص جنسنا،

فاشتمَّه أبوه الصالح وقت المساء على الجلجثة،

فتح باب الفردوس وردَّ آدم إلى رئاسته مرة أخرى] (الخولاجي المقدس).

(رفع البخور "رائحة سرور": للسيد المصلوب).

وبهذه الذبائح: ذبيحة السلامة، وذبيحة المحرقة، وذبيحة الكفَّارة، وذبيحة السرور مع ذبيحة الفصح يكون بولس الرسول قد غطى كافة أنواع الذبائح مطبَّقة على ذبيحة الصليب التي قدَّمها المسيح بذبيحة نفسه!

٤ ــ ذبيحة الصليب ذبيحة طوعية:
المسيح الكاهن والذبيحة معاً:

حينما يقول بولس الرسول إن المسيح «**قدم ذاته**» أو «**قدم نفسه**» أو «**بذل نفسه فدية**»، فهو يعبِّر عن المسيح ككاهن قدَّم بيديه، أي بمحض مسرة إرادته، ذبيحة جسده على الصليب. وهنا تبلغ الكفارة أعظم مفهوم لها. وفي حالة ذكر تقديم الذبيحة، إما في صيغة المبني للمجهول، حيث يقصد أن الذي قدَّمه على الصليب هم اليهود، أو بذكرهم صراحة أنهم قتلوه ــ فهنا يقف المسيح موقف مَنْ سلَّم نفسه كخروفٍ يُساق إلى الذبح. ولكن أروع صور ذبيحة الصليب على الإطلاق هي التي ذكر فيها بولس الرسول أن الله هو الذي قدَّمه في قوله: «**الذي قدَّمه الله كفَّارة ...**» (رو٣: ٢٥)، حيث تظهر مشيئة الله لتغطي كل ملابسات تقديم المسيح على الصليب؛ سواء في مشيئة المسيح نفسه أو في التغاضي عن جهالة الصالبين له وذلك لبلوغ منتهى قصد الله: «من أجل الصفح عن الخطايا السالفة بإمهال الله.» (رو٣: ٢٥)

هذا يعني أن ذبيحة الصليب تشترك فيها مشيئة الآب الكلية ومشيئة الابن المتجسد المطابقة والمستمدة من مشيئة الآب:

«ثم قال ها أنذا أجيء **لأفعل مشيئتك يا الله** ... فبهذه المشيئة نحن مقدَّسون بتقديم جسد يسوع المسيح مرة واحدة» (عب١٠: ٩و١٠)؛ بل وإلى حدٍّ ما نستطيع القول بأن الشعب قدم المسيح على الصليب بحرية إرادته بقصد تتميم حرفية الناموس. على أي حال لا يمكن فصل أي مشيئة من هذه المشيئات الثلاث: مشيئة الآب بتقديمه كفارة، ومشيئة المسيح لبذل نفسه فدية، ومشيئة الشعب لإرضاء ولتتميم حرفية الناموس عن جهالة. لأن موت المسيح على الصليب هو

محصّلة هذه المشيئات الثلاث.

ولكن الذي يهمنا جداً هو التأكيد على حرية المسيح الكاملة في تقديم نفسه على الصليب، وإليك الآيات الدالة على ذلك:

+ «واسلكوا في المحبة كما أحبنا المسيح أيضاً "**وأسلم نفسه**" لأجلنا قرباناً وذبيحة لله رائحة طيبة.» (أف ٥: ٢)

+ «كما أحب المسيح أيضاً الكنيسة "**وأسلم نفسه**" لأجلها لكي يقدسها مطهراً إياها بغسل الماء بالكلمة، لكي يحضرها لنفسه كنيسة مجيدة لا دنس فيها ولا غضن أو شيء من مثل ذلك بل تكون مقدسة وبلا عيب.» (أف ٥: ٢٥—٢٧)

+ «مع المسيح صُلِبْتُ، فأحيا لا أنا بل المسيح يحيا فيَّ، فما أحياه الآن في الجسد فإنما أحياه في الإيمان، إيمان ابن الله الذي أحبني "**وأسلم نفسه**" لأجلي.» (غل ٢: ٢٠)

+ «المسيح الذي "**بذل نفسه**" لأجل خطايانا لينقذنا من العالم الحاضر الشرير حسب إرادة الله وأبينا.» (غل ١: ٣و٤)

+ «يسوع المسيح الذي "**بذل نفسه**" فدية لأجل الجميع الشهادة في أوقاتها الخاصة.» (١تي ٢: ٥و٦)

+ «يسوع المسيح الذي **بذل نفسه** لأجلنا لكي يفدينا من كل إثم ويطهِّر لنفسه شعباً خاصاً غيوراً في أعمال حسنة.» (تي ٢: ١٣و١٤)

هذه الآيات السالفة تغطي مجال مشيئة المسيح الحرَّة في تقديم نفسه على الصليب ذبيحة بدوافع غاية في الأهمية، ولا بد أن تظهر واضحة وتسطع في أعين قلوبنا لأن منها نستمد علائق وثيقة مع المسيح، ونلخِّصها كالآتي كما جاءت في الآيات أعلاه:

دافع **الحب الشخصي من نحو الجميع** بلا استثناء لتظهر رائحتنا أمام الله الآب حلوة ومقبولة.

دافع **الحب الشخصي من نحو الكنيسة**، أي الشعب الذي التصق به، ليطهرها ويقدسها ويضمها إليه.

دافع **الحب الشخصي لكل شخص** دعاه المسيح فاستجاب.

دافع **إنقاذنا من شر العالم المحيط بنا.**

دافع **إعطاء قوة الشهادة حينما تُطلب منا.**

دافع **أن يفدينا من كل إثم ويجعلنا غيورين في أعمال حسنة.**

ومن هذه الآيات يتضح لنا أن المسيح تقدم إلى الصليب وعنده دوافع قوية وهامة وخطيرة، أدرك أنه هو وحده القادر أن يحققها بصفته الوسيط الوحيد بين الله والناس، عالماً أن هذه الدوافع هي بعينها **إرادة الله أبيه**. وهذا يظهر من الآيات الآتية:

+ «هكذا أيضاً **بإطاعة الواحد** (يسوع المسيح) سيُجعل الكثيرون أبراراً» (رو٥: ١٩).
  هنا الطاعة للآب.
+ «وإذ وُجِدَ في الهيئة كإنسان، وضع نفسه **وأطاع حتى الموت** موت الصليب لذلك رفَعَه الله أيضاً ...» (في٢: ٨و٩)
+ «الذي لم يشفق على ابنه، **بل بذله لأجلنا أجمعين**، كيف لا يهبنا أيضاً **معه** كل شيء.» (رو٨: ٣٢)
+ «ولكن الله **بيَّن محبته لنا**، لأنه ونحن بعد خطاة **مات المسيح لأجلنا**.» (رو٥: ٨)
+ «الذي **قدمه الله** كفَّارة بالإيمان لإظهار برِّه من أجل الصفح عن الخطايا السالفة بإمهال الله.» (رو٣: ٢٥)

وبهذا التوافق المذهل بين إرادة الله الآب وطاعة الابن بخضوع البنوية، تمَّت المشورة الأزلية القائمة على حب الله العامل لفداء الإنسان. فالصليب هو أقدس بؤرة اجتمعت فيها مشيئة الله وحبه ومنتهى مسرة نعمته مع طاعة الإنسان البالغة منتهى قوتها ممثَّلة في الإنسان يسوع المسيح حتى الموت(٣). فأضاءت ظلمة الإنسان وأعطته خلقة جديدة لحياة جديدة وانفتح أمامها باب الدخول إلى الله بلا لوم.

---

(٣) في المقارنة بين آدم والمسيح، الأول رأس الجنس الآدمي الترابي والثاني رأس الجنس المسيحي الروحي، نرى:

أن البشرية في آدم بسبب العصيان ماتت وعاشت في الموت؛

والبشرية في المسيح بسبب الطاعة قامت من الأموات لتحيا حياة ليس فيها موت.

آدم أدخل الخطية في الجسد الآدمي فعاشت الخطية في الجسد ومات الإنسان بالخطية؛

والمسيح قتل الخطية في شبه جسد الخطية بموته فماتت الخطية بالجسد وقام المسيح وعاش ومعه البشرية بلا خطية.

آدم ضحى بأمر الله من أجل نفسه فمات وكل ذريته بعده؛

والمسيح ضحى بنفسه لإطاعة أمر الله فقام لحياة أبدية ومعه أبناؤه.

آدم أدخل في نفسه بحريته عنصر الخطية كعقوبة؛

والمسيح أدخل في نفسه بحريته عنصر الموت فألغى العقوبة.

لذلك فخطية آدم التي أنشأت فيه الموت كان لا يمكن رفعها إلا بتحمُّل حكم الموت في الجسد بدون خطية عن الخطية!! ولينتبه القارىء أن هذا هو شرح الفداء دون اللجوء إلى موضوع الذبائح والناموس.

فإن كان بولس الرسول يشدد جداً على حرية طاعة المسيح، فما ذلك إلاَّ ليستعلن إرادة الأمر الصادر من الله. **لأنه تستحيل الطاعة دون أمر: فالصليب إن مثَّل طاعة المسيح أعظم تمثيل** فهو بأن واحد **يمثل أمر الله الآب بلا نزاع.**

وإشعياء النبي يرفع مستوى الأمر الأبوي للابن وهو عالمٌ مدى الحزن والإنسحاق الذي ينطوي عليه أمر فداء الإنسان فيقول إشعياء النبي:

+ «**أما الرب فسُرَّ بأن يسحقه بالحزن إن جعل نفسه ذبيحة إثم.**» (إش٥٣: ١٠)

ولا ينبغي أن ننسى أننا نجني الآن ثمار طاعة المسيح للآب برفعه على الصليب واحتمال الألم حتى آخر قطرة دم! **المسيح لم يطلب المكافأة ولكنه أهداها لنا في جسده، الذي هو جسدنا الذي قام به،** ليمنحنا في نفسه وفي جسده كل ما هو للحياة الجديدة التي هي فوق ما نحياه بحسب الطبيعة. **فكل قوة وأمجاد القيامة للمسيح صرنا شركاء فيها، وذلك باعتبار أن الطاعة التي قدَّمها المسيح حتى الموت على الصليب قدَّمها عنا أو الأصح قدَّمها بنا، قدَّمها بجسده أي في جسدنا، وفي نفسه أي في نفسنا، وبروحه أي في روحنا، فقبلها الآب منه ومنا فيه؛ فصرنا بذبيحة الصليب طائعين للآب في طاعة المسيح، وصارت الذبيحة ذبيحتنا وحقَّ لنا أن نأكلها ونتحد بها ونحيا!!**

الفصل الرابع

المفديُّون:
مع المسيح وفي المسيح

١ ـ اصطلاح «مع المسيح»:

الفداء أكمله المسيح على الصليب، بالموت الإرادي كذبيحة طوعية.

السؤال: كيف يمكن لموت الفداء الذي أكمله المسيح في جسده، أن يسري في جسد الإنسان الخاطىء؟

بولس الرسول يجيب بأن الموت الذي ماته المسيح على الصليب قدَّمه كذبيحة كفَّارية من أجل كل خطاة الأرض، أي من أجل خطايا العالم كله.

كيف؟

المسيح لم يَمُتْ كفرد عادي في جسده الخاص كخاطىء مكملاً عقوبة الموت عن نفسه. فالمسيح كان يحمل جسد البشرية «الخاطىء» ككل بصورة مطلقة: «فالله إذ أرسل ابنه في شبه **جسد الخطية** ولأجل الخطية دان الخطية في الجسد» (رو٨:٣). هنا «الجسد» بصورته المطلقة هو جسدي وجسدك، هو جسد البشرية، ولكن المسيح ولو أنه حفظه في نفسه بلا خطية إلَّا أنه مات بسبب الخطية التي في هذا الجسد، جسدي وجسدك وجسد كل ذي جسد، وهكذا دان الخطية في الجسد قبراً الجسد!! فالمسيح، وهو بلا خطية، لم يمُت عن نفسه، بمعنى دون أن يكون خاطئاً في نفسه، ولكنه مات حاملاً خطية غيره: «الذي حمل هو نفسه خطايانا في جسده على الخشبة، لكي نموت عن الخطايا (مات لحسابنا) فنحيا (نحن) للبر...» (١بط٢:٢٤)، ولكن مات بجسد البشرية الخاطئة فدان الخطية في الجسد في صورته المطلقة، لذلك صحَّ أن يُقال إننا مُتْنا جيعاً معه

موت الفداء. كذلك لما قام، قام بجسد البشرية الذي مات به فقامت البشرية معه بصورة مطلقة. وهكذا جازت البشرية مع المسيح موت الفداء وقبلت معه القيامة من الموت. في هذا يقول القديس بولس بوضوح: «إن كان واحد قد **مات لأجل الجميع** فالجميع إذاً ماتوا» (٢كو٥: ١٤). هنا «من أجل الجميع» هي في حقيقتها في جسد الجميع، كذلك: «ونحن أموات بالخطايا أحيانا **مع المسيح**.» (أف٢: ٥)

واضح هنا أن بولس الرسول يرفع فعل الفداء وعمله ونتائجه من الحالة الفردية التي أكملها المسيح في نفسه بحسب الظاهر إلى حالة شمولية في الواقع الروحي الفدائي لتشمل البشرية ككل، كل ذي جسد خاطىء، باعتبار أن المسيح مات بجسد «الإنسان» كل إنسان، فأصبح كل إنسان له الحق كل الحق أن يعتبر نفسه **«مات مع المسيح»**، وهذا هو الاصطلاح اللاهوتي الذي استوحاه بولس الرسول من فعل الفداء عندما يُنظر إليه **كفعل إلهي**. فالمسيح مات كابن الله عن الإنسان ولم يَمُتْ كإنسان يُدعى يسوع وحسب، وبهذا، وبهذا وحده، يصبح الموت فداءً لكل إنسان، وبهذا، وبهذا وحده، أنشأ موت الفداء هذا قيامة وحياة.

فاصطلاح «مع المسيح» هو الامتداد الحتمي لكل فعل أكمله المسيح ابن الله لفداء الإنسان ليشمل كل إنسان، فالآلام الفدائية التي عاناها المسيح كابن الله من أجل الإنسان في جسد إنسان، **أصبح من حق كل إنسان أن يقول: «مع المسيح تألمت وهكذا مع المسيح صُلبتُ ومع المسيح دُفِنتُ وقمتُ»**.

ويلزم الانتباه أننا من واقع لاهوت بولس الرسول يكون لكل إنسان **«الحق» أن يقول هذا**، ولكن هل بهذا يمكن أن يعتبر أن كل إنسان مفديٌّ بالفعل؟ طبعاً لا يكون:

٢ ــ اصطلاح «في المسيح»:

يُعتَبَر بولس الرسول أول مَنْ استخدم هذا التعبير اللاهوتي بمعناه الواقعي والعملي. وقد استعمله بغزارة كأداة لتحقيق الفداء فينا، وقد ورد هذا الاصطلاح ١٦٤ مرة في رسائله موزَّعة على رسائله جميعاً إلاَّ رسالته إلى «تيطس»، فقد خلَت من هذا الاصطلاح بدون سبب ما.

ولكن نجد هذا الاصطلاح وارداً في إنجيل القديس يوحنا بصورته النموذجية العليا: **«أنا في الآب والآب فيَّ»** (يو١٤: ١٠)، مكررة في (يو١٠: ٣٨). ثم تمتد هذه الصورة لتظهر في العلاقة المتبادَلة بين التلاميذ والمسيح: **«في ذلك اليوم تعلمون أني أنا في أبي وأنتم فيَّ وأنا فيكم»** (يو١٤: ٢٠). ثم يتكلم القديس يوحنا في رسالته معبِّراً عن هذه الحقيقة بقوله: **«ومَنْ يحفظ** وصاياه (المسيح) يثبت فيه وهو فيه، وبهذا نعرف أنه يثبت فينا من الروح الذي أعطانا»

(۱يو۳: ۲٤)، وذلك طبعاً تطبيقاً منه على قول المسيح في مثل الكرمة والأغصان (يو١٥: ١-١٠). كذلك ينطلق القديس يوحنا من امتلاك الإيمان والمحبة ليجعلها أساساً بحد ذاتها للثبوت في الله: «مَنْ اعترف أن يسوع هو ابن الله فالله يثبت فيه وهو في الله، ونحن قد عرفنا وصدقنا المحبة التي لله فينا. الله محبة ومَنْ يثبت في المحبة يثبت في الله والله فيه.» (١يو٤: ١٥و١٦)

وهكذا من مثل الكرمة ومن هذه الآيات يتضح أن لاهوت القديس يوحنا يعتمد كثيراً في شرح الاتحاد والثبوت المتبادل مع المسيح على الاصطلاح **«في المسيح» «في الله» «في المحبة»**. باعتبار أن «في المسيح» ينشىء في المفهوم اللاهوتي **وجوداً واحداً** حقيقياً حيًّا عاملاً فعَّالاً مُثمراً، قابلاً للنمو والتعليم والتطهير كما هو في مثل الكرمة والأغصان.

وبولس الرسول يستخدم هذا المعنى تماماً وربما بألفاظه (١كو١٢: ١٢و٢٧) في الجسد الواحد والأعضاء. وكما يقرن القديس يوحنا ثبوتنا في المسيح بثبوتنا بالتبعية في الله: «إن ثبت فيكم ما سمعتموه من البدء فأنتم أيضاً تثبتون في الابن وفي الآب» (١يو٢: ٢٤). كذلك نجد هذا الثبوت في المسيح تماماً كما هو في الروح في لاهوت بولس الرسول.

ونحن نعلم مدى الصلة القوية القائمة بين تعليم المسيح في إنجيل القديس يوحنا وتعليم بولس الرسول عن المسيح في رسائله. غير أنه لا يغيب عن البال أن الفارق الزمني بين الاثنين يتعدى الأربعين سنة، فانجيل القديس يوحنا كُتب سنة ٩٥م تقريباً، في حين أن كتابات بولس الرسول ظهرت في الخمسينات.

لهذا يُعتبر هذا الاصطلاح **«في المسيح»** أنه من خصائص أعمال بولس الرسول اللاهوتية الذي قصد به قصداً أن يعبِّر به عن الوجود الروحي الحقيقي والشخصي لنا في المسيح وللمسيح في أحبائه الذين يؤمنون به ويعتمدون فيه!

وهنا يأتي الرد على السؤال: هل يكون كلُّ مَنْ له الحق أن يقول إني **مُتُّ مع المسيح وصُلِبتُ** مع المسيح وقُمت مع المسيح، يكون بالفعل قد نال الفداء؟
الجواب يأتي في هذا الاصطلاح: **«في المسيح»**.

فإن كان كل إنسان يُعتبر أنه مات وقام مع المسيح باعتبار أن عمل المسيح الفدائي كان عاماً وشاملاً، إلاَّ أنه لا يستطيع أي إنسان أن يحوز على أفعال المسيح الفدائية إلاَّ مَنْ تقدَّم من تلقاء نفسه ليشترك ويمارس هذه الأفعال الفدائية مُحققاً ومستثمراً نصيبه العام الذي هو من حقِّه والمحفوظ له في عمل المسيح الفدائي العام.

فإن كان المسيح قد مات وقام من أجل كل إنسان، ولكن يلزم لكل إنسان لكي يحوز على حقّ موت المسيح وقيامته أن يشترك هو بذاته وبحرية إرادته في موت المسيح وقيامته، وهذا يتحقق بالإيمان والمعمودية، أي يعتمد في موت المسيح، أي ينصبغ ويُدفن في الماء تعبيراً واقعياً عن شركته في موت المسيح مع المسيح وذلك تحقيقاً ذاتياً لموت المسيح وقيامته بالإيمان العملي.

هنا بولس الرسول يستعلن لنا أن الذي يعتمد يصير «في المسيح يسوع»، لذلك يُعتبر أن الذي يعتمد أنه «يعتمد في المسيح»، أي يمارس موته الذاتي في موت المسيح العام.

+ «لأن كلكم الذين اعتمدتم (في) المسيح εἰς Χριστὸν ἐβαπτίσθητε قد لبستم المسيح.» (غل ٣:٢٧)

وقد جاءت في الترجمة العربية: «اعتمدتم بالمسيح»، وهذا خطأ مُخلٌّ بالمعنى. هنا المعمودية تعني الانصباغ والدفن، وفي أصل المعنى انصباغ بدم الصليب ودَفْنُ القبر، ويكون المعنى هو: «لأن كلكم الذين "مُتُّم في المسيح"»، أي «مُتُّم في موت المسيح»، أي أكملتم نصيبكم في عمل الفداء.

وهكذا يصير في لاهوت بولس الرسول أن كلَّ مَنْ اعتمد في المسيح صار «في المسيح».

ثم يعبِّر بولس الرسول في بقية الآية السابقة عن كيف يصير الإنسان بالمعمودية في المسيح هكذا:

+ «لأن كلكم الذين اعتمدتم في المسيح εἰς Χριστὸν قد لبستم المسيح.» (غل ٣:٢٧)

وهنا يقصد أن الذي يعتمد، **يموت مع المسيح عن حياته الماضية**، وأن جسده العتيق يموت في موت المسيح على الصليب. وبهذا فإن كل واحد في المعمودية **يخلع الإنسان العتيق**، وهكذا «**يلبس المسيح**»، بمعنى يلبس الإنسان الجديد الروحي في المسيح يسوع!! لأنه مقابل أنه مات في موت المسيح يكون قد قام في قيامة المسيح.

وهكذا «في المعمودية» أي «في الموت» في المسيح يموت الإنسان العتيق فينا ونأخذ المسيح عوضاً عنه، فنأخذ موته الكفاري وقيامته المحيية. وهذا هو معنى كيف يصير الإنسان «في المسيح يسوع»: أي ميتاً عن إنسانه العتيق، حيًّا بالمسيح الإنسان الجديد، وهذا بعينه هو قصد الفداء وثمرته؛ بل هو هو الفداء.

٣ ــ مقارنة بين «مع المسيح» و «في المسيح»:

يسهل الآن عمل المقارنة بين هذين الاصطلاحين: ف «مع المسيح» هو الاصطلاح الذي يعبِّر عن عمل المسيح الفدائي العام والشمولي من أجل كل إنسان، وأن كل إنسان له الحق أن يقول إني مع المسيح تألمتُ وصُلِبْتُ ودُفنتُ وقُمت وجلستُ في أعلى السموات، **لأن المسيح صنع كل ذلك في «جسد البشرية» العام ككلّ**، ومن أجل كل واحد؛ فأصبح كل بشر ذي جسد له الحق في كل ما صنع المسيح من أجله، أي له الحق في كل أعمال الفداء التي تمت من أجل العالم كله: «عالمين هذا أن إنساننا العتيق قد صُلب معه ليبطل جسد الخطية ...» (رو٦:٦). هذا التعبير عام.

أما قول بولس الرسول: «في المسيح»، فهذا عمل الإنسان الخاص الذي يعمله بإيمان كامل وبمحض حرية إرادته في أن يؤمن ويعترف ويعتمد ويتناول من جسد المسيح ودمه. فيشترك بالروح والنية والإرادة اشتراكاً حقيقياً في موت المسيح وبالتالي في قيامته، فينال بالفعل وبالروح وبالجسد الفداء الذي أكمله المسيح، ويعتبر نفسه ميتاً في الجسد العتيق ومَفْديًّا بدم المسيح، وحيًّا بروحه القدوس في إنسان جديد.

وعلاقة «في المسيح» كإجراء كياني يتحد به الإنسان في المعمودية مع المسيح تجعله بطبيعة الحال حائزاً لكل أعمال المسيح، أي يكون مع المسيح σὺν Χριστῷ في كل عمل من أعمال الفداء. فبالمعمودية نصير «في المسيح» متحدين لأننا نكون قد اعتمدنا في موته، لهذا نصير بالتالي مدفونين كشركة معه (في القبر بعد الصليب كأحد أعمال الفداء العام): «أم تجهلون أننا كل مَنْ اعتمد في يسوع المسيح εἰς Χριστὸν Ἰησοῦν اعتمدنا في موته εἰς τὸν θάνατον، فدُفِنَّا معه (σὺν-) بالمعمودية للموت. حتى كما أُقيم المسيح من الأموات بمجد الآب، هكذا نسلك نحن أيضاً في جِدَّة الحياة. لأنه إن كنَّا قد صرنا متحدين (بالمعمودية) معه بشبه موته (الذي ماته على الصليب)، نصير أيضاً (متحدين معه) بقيامته.» (رو٦: ٣ــ٥)

أي أن تعبير «في المسيح» كاصطلاح لاهوتي يعبِّر عن حيازة المسيح نفسه والاتحاد به، يوصِّل حتماً إلى «مع المسيح» كاصطلاح لاهوتي يعني الشركة مع المسيح.

كذلك فلينتبه القارىء أن «في المسيح» عند بولس الرسول هو عملنا الآن، والآن فقط، الذي نمارسه بالإيمان والمعمودية والصلاة والحب والبذل لنصير في المسيح متحدين الآن، ولكن لن تدوم هذه الأعمال فينا فيما بعد الموت. فإذا لم نحصل على «في المسيح» الآن، فلن نحصل في

السماء على «مع المسيح»، لأن «مع المسيح» هو الحصيلة التي نحصل عليها ــ من ممارسة «في المسيح» ــ لنبقى في المسيح ومع المسيح الآن وهناك: «... نكون كل حين مع الرب، لذلك عزُّوا بعضكم بعضاً بهذا الكلام!!!» (١تس ٤: ١٧و١٨)

وبتصوير آخر يرى بولس الرسول وكأنما المسيح أخذ جسد آدم الذي دخل فيه عنصر الخطية، أخذه كابن الله القدوس وملأه بملء لاهوته بالاتحاد، وقدَّمه لله ذبيحة مكملاً فيه قضاء الله عليه بالموت، أي أنه دان الخطية في الجسد، وهكذا إذ ألغى حكم الموت الذي كان قد صدر على الجسد، قام بالضرورة، وأصبح جسد آدم جديداً بلا دينونة مُبرَّأً مما نُسب إليه من تعدٍّ، مُصَالَحاً مع الله. وهكذا استرد صورته الأُولى ونال رضى القدير ليحيا مع الله مرة أخرى إلى الأبد بلا تهديد الموت، لأن الخطية لن تسود عليه مرة أخرى بسبب عنصر النعمة التي حازها.

وهكذا بعد أن كان آدم هو رأس جنسنا القديم المورِّث لعنصر الخطية، جاء المسيح وكأنه آدم الثاني وأصبح رأس جنسنا الجديد الذي نرث فيه كل ما له كابن الله من برٍّ وقداسة وحياة، وذلك بالفداء الذي أكمله في جسدنا. وهكذا أصبح لنا الاختيار: إما أن ننتسب لآدم رأسنا الأول بميراث خطيته، وإما ننتسب للمسيح رأسنا الجديد بميراثه السماوي. فإذا اخترنا أن نبقى منتسبين لآدم رأسنا الأول فإننا نبقى فيه، أي في آدم، وعلينا حكم الموت، محسوبين أنه لما أخطأ آدم وتعدى الوصية **كنا معه** ــ في صُلْبه ــ فلما وُلدنا له ورثنا نصيبه لأننا في جسده نعيش.

أما إذا اخترنا أن نصير منتسبين للمسيح رأسنا الجديد فإننا نصير محسوبين أنه لما تألم وصُلِبَ ومات وقُبر وقام **كنا معه** ــ في صُلْبه وصليبه ــ فلما وُلدنا في اسمه في المعمودية، وُلدنا على صورته فورثنا نصيبه لأننا في جسده نعيش، لأننا كما يقول بولس الرسول صرنا «**من لحمه ومن عظامه**» (أف ٥: ٣٠)، وصرنا «شركاء الطبيعة الإلهية» كما يقول القديس بطرس الرسول (٢بط ١: ٤). أما الفرق بين الولادتين فالأُولى ولادة جسدية خالصة لأن المولود من الجسد جسد هو، وكلُّ مَنْ وُلد من الجسد يولد منفصلاً عن أصله؛ والمولود من الروح هو روح، وكلُّ مَنْ وُلد من المسيح الرب الروح هو روح معه وفيه ولا يولد منفصلاً بل يبقى متحداً به.

لهذا فجسد المسيح آدم الجديد يشمل كل مَنْ وُلِدَ للمسيح، لأنه يولد «في المسيح» ويبقى «مع المسيح».

٤ ـ الامتداد بالاصطلاح «في المسيح»:

أ ـ نحن «في المسيح» و«المسيح فينا»:

إن فِعْلَيْ الإيمان والمعمودية هما في الحقيقة أصل ونواة الاصطلاح «في المسيح»، أي الحصول على الوجود الحقيقي في المسيح، أي الاتحاد به بالروح حيث ينال الإنسان الفداء وكل نتائجه من الحرية والتبنّي والمصالحة والميراث. وبمجرد أن يتم هذا الإجراء الروحي، أي أن يصير الإنسان «في المسيح»، يصير المسيح بالتالي في الإنسان؛ ولكن العكس ليس ممكناً، فالمسيح لا يصير فينا دون أن نصير نحن فيه. لذلك نلاحظ في إنجيل القديس يوحنا أن المسيح يصرِّح: «في ذلك اليوم تعلمون أني أنا في أبي **وأنتم فيَّ** وأنا فيكم» (يو١٤: ٢٠). هنا يقدم عملنا أولاً. كذلك حينما أراد أن يعبِّر عن الوحدة التي ستضمنا معه ومع الآب قال هكذا: «في ذلك اليوم تعلمون أني أنا في أبي وأنتم فيَّ وأنا فيكم»؛ أي يلزم أن نكون فيه أولاً ليكون هو فينا.

فعمل المبادرة للوحدة مع المسيح يتحتم أن يبدأ منا نحن أولاً على المستوى الذاتي الشخصي، في مقابل أو تحقيقاً للوحدة الكلية التي حققها المسيح للجميع بلا تخصيص في تجسده وفي موته الفدائي العام عن كل العالم.

لذلك نجده في إنجيل القديس يوحنا يكرر مراراً: «اثبتوا **فيَّ** وأنا فيكم» (يو١٥: ٤)، «مَنْ يأكل جسدي ويشرب دمي **يثبت فيَّ** وأنا فيه.» (يو٦: ٥٦)

وعلى هذا المنوال يأتي لاهوت بولس الرسول:

فالاصطلاح الأكثر شيوعاً في رسائله هو أننا نحن «**في المسيح**»، إذ يتكرر كما قلنا ١٦٤ مرة ثم نتيجة لهذه الحقيقة يصير المسيح نفسه «**فينا**»:

+ «أم لستم تعرفون أنفسكم أن يسوع المسيح **هو فيكم** إن لم تكونوا مرفوضين؟» (٢كو١٣: ٥)
+ «ما هو غنى مجد هذا السر في الأمم الذي هو: **المسيح فيكم** رجاء المجد.» (كو١: ٢٧)
+ «ليحل المسيح بالإيمان **في قلوبكم**.» (أف٣: ١٧)
+ «فأحيا لا أنا بل **المسيح يحيا فيَّ**.» (غل٢: ٢٠)
+ «برهان **المسيح المتكلم فيَّ**.» (٢كو١٣: ٣)

ب ــ الامتداد الثاني: الكنيسة كجسد للمسيح:

كيف من خلال هذين الاصطلاحين «في المسيح» و«مع المسيح»

استُعلن لبولس الرسول سر الكنيسة كـ «جسد المسيح»:

الدخول «في المسيح» بالإيمان وسر العماد هو عند بولس دخول حقيقي **«في الشركة مع المسيح»: «أمين هو الله الذي به دُعيتم إلى شركة ابنه يسوع المسيح ربنا» (١ كو١: ٩).**

وهكذا، فإن **«في المسيح»** عند بولس الرسول عندما نُكمِّل واجباتها بالإيمان والمعمودية ونصير في **«شركة مع المسيح»**، يستعلن لنا بولس الرسول هذه الشركة عملياً بأن المؤمنين يصيرون بقوة **«في المسيح»** و **«الشركة مع المسيح»** جسداً واحداً هو **«جسد المسيح»**، وهو جسد البشرية التي مات فيها وقام فيها. وهكذا فداها الرب بموته وقيامته، إذ يكون جسد البشرية التي فداها قد تحقق عملياً وعلى الواقع المنظور بإيمان واعتماد من مات من أجلهم وقام. فهنا قول القديس بولس بأن الكنيسة هي جسد المسيح هو قول من واقع ووضعين متكاملين:

الوضع الأول: هو الوضع العام الذي أكمله المسيح بموته وقيامته بجسد البشرية، فأكمل فداءها لدى الله الآب.

الوضع الثاني: وهو الوضع الخاص الذي أكمله ويكمّله المؤمنون باسمه حينما يعتمدون فيه فيتحدون في جسده، فيحققون لأنفسهم وللمسيح عمل الفداء الذي عمل.

وبهذا يُستعلَن «جسد المسيح» (وهو جسد البشرية المفتداة) أنه هو الكنيسة. فالكنيسة بهذا هي جسد المسيح الذي أكمل به الفداء للجميع وهو نفس الجسد عندما أكمل فيه المؤمنون فداءهم باتحادهم فيه، كما رسمه المسيح وأكمله لهم في نفسه على الصليب وبالقيامة.

ج ــ امتدادات أخرى:

وقد امتد بولس الرسول بهذا الاصطلاح «في المسيح» ليشمل كل الأوضاع المنبثقة من الفداء والخلاص. فقوله: **«في الروح» و«في الرب»** و **«كنائس اليهودية التي في المسيح»** (غل١: ٢٢)، و **«أعرف إنساناً في المسيح»** (٢كو١٢: ٢)، و **«كأطفال في المسيح»** (١كو٣: ١)، كل هذه التعبيرات توضح مدى تملُّك هذا الاصطلاح على روح بولس الرسول، إذ أحس بأن **«الوجود في المسيح»** هو الذي يتحكم في حياتنا الروحية كمفديين، ومنه تنبثق كل العطايا والنعم وبركات الدهر الآتي. ولكن لا ينبغي أن يغيب عن البال قط أن الأصل الذي ينبع منه أي تعبير يحمل اصطلاح «في المسيح»، هو الناشىء من الإجراء العملي والروحي الإيماني

الذي يجري بين المؤمن والمسيح «داخل المعمودية»، حيث يصير المؤمن «في المسيح»، ويُعامَل من الله باعتباره «**في المسيح**»، ويعيش في الكنيسة والعالم باعتباره «في المسيح» وهو يُعتبر الاصطلاح الذي تنبثق منه كلمة «المسيحي» و«المسيحية». فكل مسيحي هو مسيحي حقاً إن كان «**في المسيح**»، والمسيحية الحقة هي الديانة التي يعيشها ويمارسها مَنْ هم «**في المسيح**».

وهكذا كل الاصطلاحات الأخرى:

+ «فإني متيقن أنه لا موت ولا حياة ... ولا خليقة أخرى تقدر أن تفصلنا عن محبة الله التي **في المسيح** يسوع ربنا.» (رو٨: ٣٨و٣٩)

وهذا يعني أنه طالما نحن «في المسيح» فلا تقدر أي قوة أن تفصلنا عن محبة الله التي وُهبت لنا باعتبارنا «**في المسيح**».

+ «أسعى نحو الغرض لأجل جُعالة دعوة الله العليا **في المسيح** يسوع.» (في٣: ١٤)

وهذا يعني أن النصيب المحفوظ لنا في السموات بحسب دعوة الله لنا هو هدفنا الذي لن يغيب عن ناظرينا طالما نحن «في المسيح».

+ «إلى كنيسة الله التي في كورنثوس المقدسين **في المسيح**.» (١كو١: ٢)

وهذا يعني أن كل من آمن واعتمد صار في المسيح محسوباً أنه مقدَّس، أي مخصصٌ لله، طالما هو في المسيح.

+ «وهكذا كان أناس منكم، لكن اغتسلتم بل تقدستم بل تبررتم في (٤٧) اسم الرب يسوع وفي (٤٧) روح إلهنا.» (١كو٦: ١١)

وهذا يعني أن الذي اعتمد **في اسم المسيح، أي انصبغ في دم شخص** يسوع المسيح، وصار مولوداً **من الروح أي عائشاً في الروح فإنه يكون هكذا قد اغتسل من خطاياه، وتقدَّس بالدم والروح، وتبرَّر بقيامة المسيح**.

+ «لأنه جعل الذي لم يعرف خطية خطية لأجلنا لنصير نحن برَّ الله فيه.» (٢كو٥: ٢١)

وهذا يعني أن الله إذ سمح أن يُصْلَبَ ابنه كخاطىء، حاملاً خطية الإنسان ككلّ وهو القدوس الذي **لم يعرف خطية**، استطاع المسيح بهذا العمل أن **يعلن أولاً عن «برّ الله»** بهذه المحبة الباذلة، ثم أن **يمنحنا هذا البر**. وليس فقط يمنحنا «بر الله» بل ونتراءى أمام الله **ونحن متحدون (في المسيح)**، لا كأبرار بل **كحاملين البر** تماماً كما حمل المسيح الخطية. فكما صار المسيح خطية لمَّا جمعها كلها في جسده، هكذا نصير نحن «بر الله» عندما نكون «**في المسيح**» وقد اختفت منا كل خطية ليظهر فينا المسيح في كمال برِّه.

+ «دخلوا اختلاساً ليتجسَّسوا حريتنا التي لنا في المسيح كي يستعبدونا.» (غل ٢: ٤)

وهذا يعني أن الذين صاروا في المسيح بالإيمان والمعمودية ونالوا الغفران وزالت عنهم عبودية الخطية والناموس صاروا في حرية أولاد الله غير مُستعبدين بعد لا للناموس ولا لأحكام الناس.

+ «فلي افتخار في المسيح يسوع من جهة ما لله.» (رو ١٥: ١٧)

بولس الرسول وقد صار «في المسيح» أصبح له الحق أن يفتخر بكل ما وهبه الله، ولكن ليس كأنه يفتخر بما له وما يستحقه ولكن بما ناله بسبب كونه «في المسيح».

+ «عالمين أن تعبكم ليس باطلاً في الرب.» (١كو ١٥: ٥٨)

وهذا يعني أن كل مَنْ آمن واعتمد واتحد بالرب وكان عائشاً في الرب، فكل أتعابه محسوبة أنها شهادة أمانة ووفاء، وأجرها محفوظ في السماء: «طوبى لكم إذا عيَّروكم وطردوكم وقالوا عليكم كل كلمة شريرة من أجلي كاذبين. افرحوا وتهللوا لأن أجركم عظيم في السموات.» (مت ٥: ١١و١٢)

الفصل الخامس

القيم الأخلاقية التي ورثناها من الفداء

الفداء ليس مسألة موت وحسب لحصول الفدية.

فالألم الذي عاناه المسيح بصورة مروعة قبل الصليب وعليه، يستدعي من داخل شعورنا التفكير في موضوع العدالة. فهنا البار يتألم من أجل الأثمة؛ هكذا ليعطي الله الدرس الذي يفتح العين المعميَّة والأذن المسدودة عند الخاطىء الذي يتعامى ويتصامم عن تقييم خطاياه، وكأن خطاياه تخصه وحده وهو حرٌّ فيما يعبث ويُفسد:

فالله يقول للخاطىء: أنت تخطىء، وأنا أدفع الثمن!!

أنت تُفْسِد وتلوِّث جسدك ونفسك وفكرك، وأنا أُطهر وأغسل وأُقدس بدموع الألم والدم.

أنت تبيع حريتك للشيطان، وأنا أستردها لك بدقِّ المسامير في جسدي ونزف الدم حتى إلى غُصَّة الموت!

كما يلزم أن ننتبه غاية الانتباه أن المسيح في مواجهته للألم والظلم واللّطم وضرب السياط وكل الهزء والسخرية التي جازها قبل الصليب وعليه، جازها بحساسية حقيقية وصادقة وواجهها بحزن بالغ وانكسار قلب: «نفسي حزينة جداً حتى الموت» (مر١٤: ٣٤). فهو لم يكن مجرد وسيط بين الله والناس بل ووسيط أيضاً بين الناس والله وحمل كل مشاعر الإنسان، الإنسان في نفسه وروحه وجسده. لقد كان حزن المسيح الحقيقي وانكسار قلبه الصادق هو الجزء الأخطر والأكبر في عملية الفداء.

المسيح لم يقبل حكم الموت ملفوفاً في قرطاس مذهَّب، بل قَبِلَ موته على أعشاب مرَّة بكل صنوف العذاب والهوان والفضيحة، حتى كسر العار قلبه.

إذاً، فليتيقظ فكر القارىء ليتعمَّق سر الفداء. فالفداء يحمل روح العدالة الصارمة تجاه الخاطىء الذي يغرِّمه بها حتماً قانون البر والقداسة والحق والعفة والطهارة، ولكن هذا كله حمله المسيح.

والفداء لا يحمل فقط توقيع عقوبة التعدي بكامل متطلباتها على المسيح وحده ليحملها وحده ليصير الفداء نافذ المفعول، هذا نقص معيب في مفهوم الفداء وعمله، إذ يتحتم على الإنسان أن يشترك شعورياً ووجدانياً اشتراكاً فعلياً وكأنها مناصفة مع المسيح في آلام الفداء لتسري فيه قوتها وفعلها المحرِّر، وحينئذ ينال الفداء حقيقة وفعلاً.

والمسيح قَبِلَ في شعوره وإحساسه ووجدانه رَبْقة هذه الآلام والعذابات وكل ما لابسها من هوان وفضيحة وعار، ليس كأنها وُضعت عليه ليحملها، بل هو الذي سعى إليها وطلبها، وسعى إليها عن سرور ورضى، وطلبها باهتمام ووعي لأنها كانت صميم عمله ورسالته. وهذا أيضاً من صميم الفداء.

وعلى هذا المستوى يتحتم أن نعي الفداء نحن أيضاً. فالصليب وعاره وكل ما يحمله من آلام وضيقات لا يمكن أن نحسبه أنه أمر وُضع علينا لنحتمله، بل يتحتم لكي يصير الصليب قوة للفداء حقاً أن نسعى إليه بسرور ونطلبه كرسالة لأنه لم يَعُدْ صليب المسيح بل صليبنا الشخصي.

والمسيح نجح نجاحاً مذهلاً في احتماله لكل صنوف العار والهوان، واحتمل الآلام احتمالاً شجاعاً بطولياً، لماذا؟ لأن عاملين كانا يعتملان في قلبه بحرص ووقار، الأول أنه أنكر ذاته، بأن تخلى عن كل مظاهر قوته وسلطانه ومجده، لأنه أخذ شكل العبد عن لياقة كاملة، وأحنى ظهره عن جدارة الاتضاع الحقيقي، هذا هو العامل الأول، أما الثاني فكان الحب الإلهي الذي كان يحرق قلبه ووجدانه ويستأسر كل مشاعره من نحو كل الذين عزم أن يقتنصهم من قبضة الشيطان ويفك أسرهم ويستردهم لكرامة أولاد الله: التجرد والحب معاً، بهذين احتمل ألم الفداء.

وبهذا أيضاً يتحتم علينا أن نعرف أن الفداء تحت صنوف الهوان والاضطهاد والآلام بكل أنواعها، التي هي صبغة الصليب الحتمية، لا يمكن أن نستوعبه إلاّ من خلال هذين العاملين، التجرد والحب.

إذاً، فليس الفداء يا عزيزي القارىء قضية لاهوتية صمّاء أو خرساء نفهمها أو ندرسها كمقولة تأتي فعلها من تلقاء ذاتها. الفداء يتكلم بأبلغ وأفصح مشاعر التراجيديا، أي المأساة، ولكنها مأساة إلهية انتهت بأعظم انتصار حققه الله بنفسه لحساب الإنسان، فدم الفداء يتكلم ويثمر فينا بالحب في أشد الألم، بالانتصار في أقسى انكسار، بالمجد في عمق الهوان.

لغة الفداء يفهمها قلب الإنسان الذي حطمته الخطية، ويفسرها جيداً مَنْ ذاق أسر الشيطان. لغة الفداء هي قلب إنجيل البشارة النابض كتبها المسيح بدمه لتكون لغة الكنيسة التي تُلَقِّنها لكل

مَنْ خلعوا ثيابهم ليُدفنوا مع المسيح تحت الماء لينالوا فضل المسيح والمسيحية.

فبولس الرسول استمد كل تعاليمه الروحية من الفداء لنفسه أولاً ثم للآخرين ككارز بنعمة المسيح ليؤسس بها بشرية جديدة لها أخلاق المسيح وروحه وفكره التي أكمل بها نزوله من السماء واتخاذه شكل العبد ليضع لنا هذا الفداء.

+ **فالمحبة** التي ينادي بها بولس الرسول لتكون محور أخلاقنا الجديدة ومنبع فكرنا وتصرفاتنا هي المحبة التي أحبنا بها المسيح والتي هوَّنت عليه فداحة آلام وموت الفداء! (أنظر أف ٥: ١و٢)

+ **والطاعة** التي يسوقها علينا بولس الرسول لكي نعيش في ظلها الأمين هي ذات طاعة الابن للآب، طاعة المسيح لمن أرسله ليكمل بها ذبح نفسه!! أية طاعة كانت وأية طاعة ينبغي أن تكون! (في ٢:٨)

+ **والتواضع** الذي يبثُّه بولس الرسول فينا ليكون هو طبيعة أخلاقنا الجديدة لا عن تمثيل ولا عن قسر، بل عن مسرة المشيئة كما سُرَّ المسيح أن ينحني تحت ضاربيه، ويسلِّم الوجه ويستعذب الإهانة والشتيمة، ويرضى أن يُساقَ كالشاة حاملاً صليبه ليكمل ما اشتهاه أبوه وما اشتهى هو، أن يفدي الخطاة!! (في ٢:٧و٨)

+ **وإنكار الذات** الذي أراد بولس الرسول أن يحمِّل به أخلاقنا، هو عدم إرضاء المسيح لذاته (رو ١٥:٣)، إذ وهو الإله أنكر ما هو لذاته من مجد، وحجب عن نفسه كل عظمة وبهاء جوهره، ليظهر بذات عبد كسير مرفوض من الناس ومذلول، ليستطيع هو ويستطيعون هم أن يقدموه على الصليب ذبيحة وفدية.

+ **واحتمال المشقات** (٢تي ١:٨) التي رأى بولس الرسول أنها ينبغي أن تكون سمة من تجندوا لحساب المسيح فهي الصورة التي لمعت في ذهن القديس بولس عن المسيح، كيف واكبته في مسيرته منذ أن نادى بالخلاص حتى أكمله على الصليب.

+ **وهكذا الصبر** (٢تس ٣:٥) **وقبول الضيقة بفرح** (١تس ١:٦) يسوقهما علينا القديس بولس من المسيح رأساً.

وبولس الرسول يتجاوز مجرد التشبُّه بفضائل الفداء التي أكمل بها المسيح الفداء، بل ينتقل إلى مستوى الشركة والامتلاك، لأن المسيح في لاهوت بولس الرسول ليس مجرد نموذج نتشبَّه به بل ينبوع يفيض لنمتلىء منه. فليست الفضائل التي أكمل بها المسيح الفداء معروضة علينا، بل الفداء ذاته الذي أكمله المسيح أساساً ليهبه لنا، فهو لا يهب لنا كيف احتمل الآلام أو كيف مات، بل يهب لنا شركة كاملة واتحاداً حقيقياً في الآلام والموت اللذين أكمل بهما الفداء. كذلك فليس هو

اتحاداً تصورياً ذلك الذي يعطيه لنا، بل هو اتحاد حقيقي بالروح بسر إلهي له ثماره وأعماله التي هي أقصى برهان لتحقيق عمله ووجوده. فالذي يشترك في موت المسيح ينال فعل الموت وموته عن العالم وشهواته وأمجاده، وبالحري فالذي اشترك في الآلام التي أدَّت إلى الموت الحقيقي عند المسيح نراه وهو فَرِحٌ في ضيقاته وآلامه مستهيناً بكل صنوف الاضطهاد والمذلة شاكراً مبتهجاً كمن أكمل العقوبة مع المسيح.

من هذا نفهم كيف يحث بولس الرسول قديسيه في كل كنيسة أن يحتملوا الضيقات بفرح وأن يصبروا بشكر في آلامهم: «وقَبِلْتُم سَلْب أموالكم بفرح» (عب١٠: ٣٤)، بل نفهم لماذا كان هو وعلى الدوام فرحاً في آلامه وضيقاته وضعفاته. فهذه كلها ليست فضائل الفداء بل مفاعيل الفداء الذي وهبه لنا المسيح بكامل أعماله السابقة واللاحقة على الصليب ومعه ثماره. من هذا نفهم لماذا يفتخر بولس الرسول بصليب المسيح، فهو كما يقول أنه له «قوة الله للخلاص» (رو١: ١٦). فالصليب بل و"**كلمة**" «الصليب» في حد ذاتها تحمل «قوة» الفداء الذي أكمله المسيح، علماً بأن الفداء الذي أكمله المسيح لنا يشمل القوة الإيجابية للموت والقيامة معاً بل والحياة والتبني، كما يشمل القوة السالبية بغلبة الخطية والموت والعالم وكل قوات الظلمة.

لذلك، فالفداء في لاهوت بولس الرسول سواء بالتعليم المباشر أو من واقع سلوك بولس الرسول نفسه هو مصدر غنى الحياة الروحية الجديدة في المسيحية بكل فكرها وسلوكها وأخلاقها. ومرة أخرى نقول إن الفداء الذي أكمله المسيح ليس نموذجاً نأخذ منه، بل قوة نحصل عليها ونمتلكها، نغتني بها وننفعل بها وتفعل فينا، لأن من ذا الذي يستطيع أن يحتمل الآلام والاضطهاد والتجريد والمذلة، ويحتملها بفرح، بمجرد أن يتمثل بالمسيح أو يحاكيه؟ أو مَنْ ذا الذي يستطيع أن يموت عن العالم أو يميت أعضاءه على الأرض بمجرد أن يسمع الوصية ويطيعها أو أنه يتمثل بالمسيح ويحاكيه؟

يلزم أن نفهم أن الفضائل ليست فضائل جسدية أو حتى بشرية!!! إنها فضائل الفداء، والفداء عمل إلهي بشري معاً، لذلك قيل أن الصليب هو «قوة الله للخلاص»، والقيامة قوة حياة. فإذا كان بولس الرسول يحث المؤمنين أن يعيشوا بفضائل المسيح فعلى أساس امتلاك المسيح بقوة موته وقوة قيامته وحياته، وامتلاك المسيح تمَّ لنا بالفداء أي بكامل موته وقيامته!! فبموته نستطيع أن نعمل كل أعمال موت المسيح في أجسادنا ونفوسنا وتجاه العالم، وبحياته نستطيع أن نعمل بحياته أعمال الله والحياة والسلوك بالروح.

ولنا عودة في تعاليم بولس الأخلاقية (أنظر الباب السادس ــ ص ٥٠١).

الفصل السادس

النظريات اللاهوتية عن سر الفداء

الفداء بين الفكر النظري والواقع العملي

تعدُّد التعبير عن ما هو الفداء بتعدُّد موقف الخاطىء أمام الله:

١ ــ إن وقف الخاطىء أمام الله كمن وقع في أسر الخطية، فالفداء تحرير.

٢ ــ إن وقف الخاطىء أمام الله كمديون أكل على الرب حقوقه، فالفداء إعفاء من ديون.

٣ ــ إن وقف الخاطىء أمام الله كمُذنب أمام عدل الله، فالفداء تبريىء.

٤ ــ إن وقف الخاطىء أمام الله كمتعدٍّ تعدى على وصايا الله، فالفداء صفح عن أخطاء سالفة.

٥ ــ إن وقف الخاطىء أمام الله كعدو قاوم صلاح الله ومشيئته، فالفداء مصالحة.

٦ ــ إن وقف الخاطىء أمام الله كميت فَقَدَ حق الحياة والرجاء، فالفداء إعادة حياة ورجاء.

«الخطية» بكل أصنافها صنعت كل هذه المواقف للإنسان أمام الله.

و**«الفداء»** هو العمل المباشر الذي عمله الله بواسطة المسيح لإلغاء قوة الخطية وسلطانها مع كل مفاعيلها.

وهكذا استرد المسيح للإنسان بالفداء موقفه الصحيح المتعدد الأوجه أمام الله: في حرية من بعد أسر، في إعفاء من كل ديون الخطية، في مسامحة من كل الذنوب، في صفح عن كل التعدي، في مصالحة بعد عداوة أَخْفَتْ عنه وجه الله، في نور الحياة الأبدية بعد ظلمة موت.

ثلاث نظريات لاهوتية عن سر الفداء

والسؤال: كيف تمت عملية الفدية بالموت الذي ماته المسيح، وبأي تقييم يمكن تقييمه؟

+ **أولاً:** هل هو **فدية** بالدم كثمن دفعه، ولمَنْ دفعه؟

+ **ثانياً:** هل هو عملية **تكفير بالإحلال** يتحمل فيها المسيح العقوبة **عنا** نفساً بنفس؟

+ **ثالثاً:** هل هو عملية **استرضاء** وجه الله بعد غضب؟

هذه الثلاثة التفسيرات هي التي طرحها المفسرون على مدى العصور، وعلينا أن نفحصها معاً لنكمل العجز فيها حتى نصل إلى حقيقة معنى الفداء.

أولاً: نظرية الفدية بدفع الثمن: ἀπολύτρωσις

الكلمة بحسب الأصل اليوناني تفيد «يحل» أو «يفك»، وفي جملتها تفيد **الفدية**، فك الدين.

والذي يرجِّح هذا التفسير التعبير الذي يستخدمه بولس الرسول كثيراً بقوله أن **«المسيح اشترانا»، «فامتلكنا لنفسه»، ودفع ثمن شرائنا وهو «الدم»، «دم ابن الله».**

بل وصرَّح مرة بكل وضوح أنه «"بذل نفسه" فدية ἀντίλυτρον لأجل الجميع» (١تي٢:٦)، وهنا كلمة «الفداء» و«الفدية» باليونانية تفيد في الأصل أيضاً إعادة فك الرقبة، لأن العبد الذي سقط في الأسر كان يوضع في عنقه طوق حديد.

ولكي نفهم معنى الفداء في العهد الجديد يلزم أن نتتبع أصل المعنى في العهد القديم. فالله في العهد القديم اختار إسرائيل ليكون خاصته، أي ملكه، إنما بشروط.

+ «فالآن إن سمعتم لصوتي وحفظتم عهدي **تَكُونون لي خاصَّة** من بين جميع الشعوب، فإن لي كل الأرض.» (خر١٩:٥)

فلمَّا أخلُّوا بالشروط **«باعهم»:**

+ «إنهم أمة عديمة الرأي ولا بصيرة فيهم ... لولا أن **صخرهم باعهم والرب سلَّمهم.**» (تث٣٢: ٢٨و٣٠)

ولكن الرب عاد بعد أن باعهم وشتَّتهم في الأمم، عاد فاستردهم وأعادهم إلى أرضهم.

ولكن إن كان الله باعهم «فلم يبعهم لأحد»، «ولا باعهم بثمن»، وإن كان «استردهم» فلم يستردهم أو يفكهم من العبودية بثمن أيضاً كقول الله على لسان إشعياء النبي:

+ «هكذا قال الرب "مجاناً بُعتم"، "وبلا فضة (ثمن) تُفكّون".» (إش ٥٢: ٣)

بمعنى أن الله باعهم دون أن يغرّم نفسه شيئاً، فأعمالهم الشريرة هي التي غرّبتهم عن الله.

ثم إن إعادتهم إلى الله هي أيضاً لم تُغرّم الله شيئاً، لأن عودتهم لم تتخطّ حدودهم كمجرد عبيد.

هذا بالمقارنة بالعهد الجديد حيث عودتنا إلى الله كلّفته نَقْلَنا من طبيعتنا إلى طبيعة جديدة متحدة بطبيعته، ومن وضعنا كعبيد إلى أبناء له محبوبين ومقدَّسين، مما استلزم الفدية، وتنازلاً من جهة طبيعة الله حتى إلى مستوى عبودية الإنسان، وتغريم الصليب حتى الدم وهذا ثمن فادح!!!

وفي الوضع الذي نحن بصدده ــ قبل مجيء المسيح ــ واضح أن البيع صار من الجهتين، فالشعب باع الله وخرج عن طوْعه وأفسد طريقه على كل المستويات، والله تخلى عنهم وباعهم بلا ثمن. وفي أيام المسيح زاد الشعب بكهنته ورؤسائه على كونهم باعوا الله وذلك على مستوى العبادة والتقوى والأخلاق، إذ أضافوا على ذلك إن باعوه بالفعل بثلاثين من الفضة كما تنبأ عن ذلك زكريا النبي: «فقلت (الله) لهم إنْ حَسُنَ في أعينكم فأعطوني أجرتي، وإلاّ فامتنعوا. فوزنوا أجرتي ثلاثين من الفضة. فقال لي الرب ألقها إلى الفخاري الثمن الكريم الذي ثمّنوني به فأخذت الثلاثين من الفضة وألقيتها إلى الفخاري في بيت الرب.» (زك ١١: ١٢و١٣)

والآن عودة إلى القديس بولس لنجمع من بين أقواله ما يخص الفداء ونقسِّمها إلى قسمين:

القسم الأول: يختص «بالشراء»، و«الثمن»؛

والقسم الثاني: يختص بـ«الفدية»، و«الفداء».

القسم الأول:

+ «احترزوا إذاً لأنفسكم ولجميع الرعية التي أقامكم الروح القدس فيها أساقفة لترعوا كنيسة الله التي اقتناها بدمه.» (أع ٢٠: ٢٨)

+ «الذي بذل نفسه لأجلنا لكي يفدينا من كل إثم، ويطهِّر لنفسه شعباً خاصاً.» (تي ٢: ١٤)

+ «إنكم لستم لأنفسكم لأنكم قد **اشْتُرِيتم بثمن.**» (١ كو٦: ١٩و٢٠)
+ «**قد اشتُريتم بثمن، فلا تصيروا عبيداً للناس.**» (١ كو٧: ٢٣)

واضح هنا أن بمقتضى عقد الشراء المغموس في الدم، أصبحنا نحن لسنا ملكاً لأنفسنا؛ بل للذي مات من أجلنا وقام، شعباً خاصاً، كنيسة خاصة لله.

القسم الثاني:

+ «**المسيح افتدانا من لعنة الناموس، إذ صار لعنة لأجلنا ...**» (غل٣: ١٣)
+ «ولكن لما جاء ملء الزمان، أرسل الله ابنه مولوداً من امرأة مولوداً تحت الناموس **ليفتدي الذين تحت الناموس، لننال التبني.**» (غل٤: ٤و٥)
+ «**الذي فيه لنا الفداء بدمه، غفران الخطايا.**» (أف١: ٧)
+ «**الذي بذل نفسه فدية، لأجل الجميع.**» (١تي٢: ٦)

وهنا يأتي السؤال: إذا كان الفداء قد تم بدفع ثمن غالٍ جداً وهو دم ابن الله، فلمَنْ دفع المسيح هذا الثمن؟

الانحراف بنظرية الفِدْيَة إلى القول بدفع الثمن للشيطان:

سبق أن أوضحنا أن «**الخطية**» هي التي استلزمت الفداء.

والخطية أوقفت الإنسان أمام الله موقف الدينونة.

كذلك معروف أن الإنسان **استُعْبِد للخطية** والشهوات والشرور:

+ «عالمين هذا أن إنساننا العتيق قد صُلِبَ معه، ليُبْطَل جسد الخطية، كي لا نعود **تُستعبد أيضاً للخطية.**» (رو٦: ٦)
+ «فشكراً لله أنكم كنتم **عبيداً للخطية** ولكنكم أطعْتُم من القلب صورة التعليم التي تسلمتموها.» (رو٦: ١٧)
+ «كما قدَّمتم أعضاءكم **عبيداً للنجاسة والإثم** للإثم، هكذا الآن قدِّموا أعضاءكم عبيداً للبر للقداسة.» (رو٦: ١٩)
+ «فإننا نعلم أن الناموس روحيٌّ، وأما أنا **فجسديٌّ مَبيعٌ تحت الخطية.**» (رو٧: ١٤)
+ «ولكني أرى ناموساً آخر في أعضائي (الغريزة) يحارب ناموس ذهني **"ويسبيني" إلى ناموس الخطية الكائن في أعضائي.**» (رو٧: ٢٣)
+ «لأننا كنا نحن أيضاً قبلاً أغبياء، غير طائعين، ضالين، **مستعبَدين لشهوات ولذَّات مختلفة.**» (تي٣: ٣)

فالفداء هنا واقع تجاه الخطية بنوع شخصي محدد:

+ «الذي بذل نفسه لأجلنا **لكي يفدينا من كل إثم ويطهر لنفسه شعباً خاصاً غيوراً في** أعمال حسنة.» (تي٢: ١٤)

+ فهل يمكن أن يُقال أن ثمن الفداء وهو دم ابن الله دُفع لبد الخطية والإثم والنجاسة والشهوات الجسدية؟ أو كما أخطأ الكثيرون ووقعوا في المحظور وقالوا إن «دم ابن الله» دُفع للشيطان(١)؟

ولكن علينا أن ننتبه أن دور المسيح كفادٍ لم يتوقف عند الفداء بالنسبة للإنسان في خطيته، ولكنه استمر يكمِّل عمل الفداء كشفيع بدمه أيضاً، فهل هو الآن يتشفع بدمه لدى الخطية أو لدى الشيطان؟؟

الوضع الصحيح لنظرية الفدية: الثمن مدفوع لنا:

واضح إذاً أن الفداء أُكمل لحساب الله، والدم الذي قدَّمه المسيح ثمناً وفِدْيَة لم يسلِّمه لأحد غيرنا. **فدم ابن الله أعطاه الله والمسيح لنا، للكنيسة، فنحن نملك دم المسيح، نحن نشربه ولكن بلا ثمن كدواء عدم الموت**، وهو كثمن فِدْيتنا أُضيف لحسابنا ليلغي كل ديوننا، إنه كنزنا وغِنانا، وصار جزءاً من دمنا وحياتنا.

فالموت الذي ماته المسيح ماته لنا ولأجلنا، وأعطانا موته ليكون موتنا، وأعطانا دمه المسفوك ليكون دمنا: «اشربوا منها كلكم» (مت٢٦: ٢٧). لذلك يقول بولس الرسول بكل وضوح إننا **«متنا معه»** (رو٦: ٨)، فهو لم يَمُت بعيداً عنا؛ بل مات بجسدنا ودمنا ولحمنا، فنحن شركاء في هذا الجسد والدم ولا زلنا نشترك فيه، لأنه جسد ودم المسيح الحي المُقام. لذلك أصبحنا شركاء قيامته وحياته، ودمه فينا يحمل لنا قوة الموت والقيامة والحياة.

لقد وهبنا من صميم فدائه لنا بدمه قيامته وحياته، فصارت قيامته قيامتنا كلنا وحياته حياتنا كلنا. فالفداء الذي أكمله المسيح بدمه شِقَّان: شِقٌّ سالبي هو الموت ونحن الآن شركاء فيه، شركاء موته ودمه وآلامه، وشِقٌّ إيجابي بدمه أيضاً، لأن في دمه روحاً أزليًّا نلنا به قيامته وحياته التي صارت قيامتنا كلنا وحياتنا كلنا.

---

(١) لقد وقع في هذا المحظور كل من القديس أمبروسيوس والقديس اغريغوريوس النيسي؛ عن:

F. Prat, op. cit., II, p. 194f.

فبشركة الفداء بموته امتلكنا الموت وامتلكنا الفداء وامتلكنا الدم، فلنا بها النصرة على الموت والخطية.

وبشركة دمه المسفوك نلنا غفراناً وتطهيراً لخطايانا.

وبشركة آلامه وأحزانه وعار صليبه نلنا قوةً واحتمالاً في كل آلامنا وضيقاتنا واضطهاداتنا وأحزاننا من كل نوع، لأنها صارت شركة في آلامه الفادية، فصارت شركة في صميم الفداء.

فانظر أيها القارىء وتمعَّن: إن آلامنا في الحاضر، كل آلامنا التي نجوزها تحت ضغط العالم والآخرين، أو التي نفرضها نحن على ذواتنا لكي نبقى على مستوى حياتنا ووجودنا واتحادنا في المسيح، هذه الآلام هي شركة في آلامه الفادية، هي شركة في الفداء الذي أكمله بآلامه في بشريتنا ولأجلنا. فحينما قال بولس الرسول: «أقمع جسدي وأستعبده» (١كو٩: ٢٧)، قالها وهو في حالة شركة مع المسيح، قالها من عمق إحساسه وممارسته لقوى الفداء التي حررته وتُحرِّره كل يوم من حركات الطبيعة وغرائزها العاملة لمحاولة سيادة الخطية مرة أخرى في أجسادنا المائتة عن الخطية.

أنظر أيها القارىء وتفهَّم أن كل آلام وأتعاب وضيقات الجسد والنفس التي نعيشها لحفظ قداسة سيرتنا وطهارة قلوبنا وضمائرنا أمام المسيح والله هي شركة في آلام المسيح الفادية من الخطية والموت. هي عمل لتكميل قوة الفداء في الجسد. هي فعل صميميٌّ من أفعال الإيمان بالمسيح!!! سواء كانت جوعاً إرادياً أو عطشاً أو ربط البطن بصوم إرادي شخصي أو صوم طقسي عن أكل أو مشتهيات، كذلك أتعاب تقنين السلوك والامتناع عن المتع المؤدية إلى انحلال الأخلاق، كذلك أتعاب الوقوف في الصلاة والسجود والقراءة والسهر والصمت المقدس. كل هذه جميعها هي أعمال مستمدة من قوة الفداء، من دم المسيح الذي اشترانا به لنفسه، وهي جزء لا يتجزأ من الإيمان المسيحي. وطالما نحن ماسكون بدم الفداء الذي غلب به المسيح الخطية فنحن غالبون.

إذاً، فالفداء ليس نظرية إيمانية عقلية تعمل في حياتنا من ذاتها، بل الفداء قوة أكملها المسيح في طبيعتنا لكي نعيش بها ونمارسها ونغلب بها لنحيا بها ونمجد الله!!

+ **«قد اشتُريتم بثمن فمجِّدوا الله، في أجسادكم وفي أرواحكم التي هي لله.»** (١كو٦: ٢٠)

هنا، الجزء الأول من هذه الآية هو هو الفداء، والجزء الثاني من الآية هو هو النسك بكل معناه. فالنسك المسيحي هو ممارسة فعلية للفداء: «لم تقاوموا بعد حتى الدم مجاهدين ضد الخطية»!!! (عب١٢: ٤)

إن آلامنا وأحزاننا هي لنا الآن جزء لا يتجزأ من الفداء، فهي نصرة على العالم، من أجل هذا يهتف بولس الرسول هكذا:

+ «**الآن أفرح في آلامي.**» (كو١: ٢٤)
+ «**وقَبِلتُم سَلْبَ أموالكم بفرح.**» (عب١٠: ٣٤)
+ «**كحزانى ونحن دائماً فرحون.**» (٢كو٦: ١٠)
+ «**فبكل سرور أفتخر بالحري في ضعفاتي** لكي تحل عليَّ قوة المسيح.» (٢كو١٢: ٩)
+ «**لذلك أُسَرُّ بالضعفات والشتائم والضرورات والاضطهادات والضيقات** لأجل المسيح، لأني حينما أنا ضعيف فحينئذ أنا قوي.» (٢كو١٢: ١٠)
+ «مَنْ سيفصلنا عن محبة المسيح؟ **أشدة أم ضيق أم اضطهاد أم جوع أم عُرْيٍ أم خطر أم سيف، كما هو مكتوب إننا من أجلك نُمات كل النهار،** قد حُسبنا مثل غنم للذبح، ولكننا في هذه جميعها **يعظم انتصارنا بالذي أحبنا.**» (رو٨: ٣٥-٣٧)
+ «**آلام الزمان الحاضر لا تُقاس بالمجد العتيد** أن يُستعلن فينا.» (رو٨: ١٨)
+ «لأنه كما **تكثر آلام المسيح فينا،** كذلك بالمسيح **تكثر تعزيتنا أيضاً.**» (٢كو١: ٥)
+ «عالمين أنكم كما **أنتم شركاء في الآلام كذلك في التعزية أيضاً.**» (٢كو١: ٧)
+ «**من جهة ضيقتنا التي أصابتنا في آسيا أننا تثقلنا جداً فوق الطاقة** حتى أيسنا من الحياة أيضاً، **لكن كان لنا في أنفسنا حكم الموت** لكي لا نكون متكلين على أنفسنا بل على الله الذي يقيم من الأموات.» (٢كو١: ٨و٩)
+ «مكتئبين في كل شيء لكن غير متضايقين، متحيرين لكن غير يائسين، **مُضطهَدين لكن غير متروكين، مطروحين لكن غير هالكين، حاملين في الجسد كل حين إماتة الرب يسوع لكي تظهر حياة يسوع أيضاً في جسدنا.**» (٢كو٤: ٨-١٠)
+ «لأن **خفة ضيقتنا الوقتية** تنشىء لنا أكثر فأكثر **ثقل مجد أبديًّا.**» (٢كو٤: ١٧)
+ «**في كل شيء** نُظهر أنفسنا كخدام الله **في صبر كثير في شدائد في ضرورات في ضيقات في ضربات في سجون في اضطرابات في أتعاب في أسهار في أصوام ...**» (٢كو٦: ٤و٥)

هذه السلسلة الطويلة من الآلام لا يمكن لأي بشر مهما أوتي من قوة ذاتية أن يحتملها، وإذا احتملها يستحيل أن يفرح فيها ويُسَرّ بل ويفتخر ويطلب المزيد. إذاً فهي «آلام المسيح» بكل صدق ويقين وحق، وهي آلام الفداء التي وهبها لنا الله في المسيح، فهي آلام خلاصية، آلام فيها نصرة الفداء، وفيها الغلبة على الخطية التي هي أساس كل الآلام، والغلبة على الموت الذي هو قوة

الخطية. لذلك فكل من يوهب[2] آلام المسيح، يعيش هذه النصرة بكل مؤهلاتها من فرح وسرور وابتهاج وافتخار.

بولس الرسول يقول بوضوح إن آلامه هي آلام المسيح الفادية عينها والتي فيها يتعزّى بكل صدق: «لأنه كما **تكثر آلام المسيح فينا، كذلك بالمسيح تكثر تعزيتنا أيضاً.**» (٢كو١: ٥)

لا يمكن أن تُنشىء الآلام تعزية إلاَّ إذا كانت آلام المسيح الفادية، لأن آلام الصليب أنشأت قيامة ونصرة ومجداً وعزاءً أبدياً.

بولس الرسول يعيش آلام الفداء، لذلك يستمرىء شدتها ويستعذبها ويطلب كثرتها.

يستحيل على أحد أن يطلب كثرة الآلام إلاَّ إذا كانت هذه الآلام تفتح الطريق على المجد. لذلك يقولها بولس الرسول بصراحة وبقوة: «إن كنا **نتألم معه، لكي نتمجد أيضاً معه**» (رو٨: ١٧). هذه هي شركة آلام الفداء التي لها وحدها شركة المجد مع المسيح. والآلام الفدائية لا تنفصل عن الموت الفدائي، لذلك يقول بالتالي وعن حق: «لأنه إن كنا قد صرنا متحدين معه بشبه موته، نصير أيضاً بقيامته.» (رو٦: ٥)

هذا كله يعني أن موت الفداء الذي ماته المسيح هو موتنا، وبالتالي الفداء هو فداؤنا، لا كنظرية تُدْرَس بل حياة نحياها، وبالتالي وبالضرورة تكون حياة المسيح القائم من الموت هي حياتنا لأن قيامته هي قيامتنا. والآية هنا صريحة: «حاملين في الجسد كل حين إماتة الرب يسوع لكي تظهر حياة يسوع أيضاً في جسدنا» (٢كو٤: ١٠). بولس الرسول هنا يستخدم قوة موت المسيح في جسده لإماتة جسده عن العالم والشهوات، وبذلك تظهر قوة قيامة المسيح وحياته في جسد بولس الرسول الذي أمات شهواته. هنا الفداء وقوته بالموت والحياة صار نبع الفضائل والأخلاق، أي حياة نعيشها كقوة موت لإماتة الجسد وقوة حياة للروح. مرة أخرى نقول إن **الفداء** ليس نظرية لاهوتية ألِفها بولس الرسول، بل هي هي حياة النصرة على الخطية وحياة تحويل الآلام إلى أفراح وأمجاد، وتحويل الموت إلى قوة إماتة للجسد والشهوات.

المسيح لم يدفع الفِدْيَة والدم الثمين لرئيس العالم أو للخطية، حاشا، بل **دفعها لنا بآلامها لكي تكون لنا** ونكون نحن لها نمتلكها كقوة مخلّصة.

---

(٢) «قد وهب لكم لأجل المسيح لا أن تؤمنوا به فقط بل أيضاً أن تتألموا لأجله.» (في١: ٢٩)

ثانياً: نظرية التكفير بالإحلال ـ عقوبة بدل عقوبة ـ المسيح مات "عنا"[٣]

هذه النظرية تقوم على أساس مفهوم الذبيحة في العهد القديم، حيث ينص الطقس على أن ذبح الضحية وموتها وخروج دمها هو **عوض الخاطىء**، باعتبار ذلك نفس عوض نفس:

+ «لأن نفس الجسد هي في الدم، فأنا أعطيتكم إياه على المذبح للتكفير عن نفوسكم. لأن الدم يكفِّر عن النفس ἀντὶ ψυχῆς.» (لا ١٧: ١١)

والطقس العام بخصوص الذبائح من أجل الخطية يوضح نظرية الإحلال أو الاستبدال، الذبيحة عوض الخاطىء، **ولكن الذي يتحتم أن يفهمه القارىء هو أنه لا توجد للخطيئة العَمْد التي تستحق الموت في ناموس العهد القديم كله أية ذبيحة تعويضية بأي حال. فكل** الذبائح هي عن خطايا **السهو** فقط حيث يُعلَم بها الخاطىء بعد أن يكون اقترفها دون وعي. وإليك النص:

+ «**إذا أخطأتْ نفس سهواً ـ في شيء ـ من جميع مناهي الرب التي لا ينبغي عملها وعملت واحدة منها**: إن كان الكاهن ...، **إن سها كل جماعة إسرائيل... إذا أخطأ رئيس وعمل بسهو...، وإن أخطأ أحد من عامة الأرض سهواً...، ثم أُعلم بخطيته التي أخطأ بها** ... ويضع يده على رأس ذبيحة الخطية ويذبح ذبيحة الخطية في موضع المحرقة ... **ويكفِّر عنه الكاهن فيصفح عنه**» (لا ٤: ١ـ٣٥). أنظر الأصحاح كله، **وهو عن ذبيحة الخطية السهو.**

ثم يستمر سفر اللاويين في الأصحاح الخامس ويذكر جميع **خطايا السهو التي يقترفها الإنسان سهواً ثم يُخبَّر بها، فيصير في الحال مذنباً** وعليه أن يقدم **ذبيحة الإثم**.

هنا وضع يد الخاطىء على رأس الذبيحة يشير إلى انتقال الخطية أو الإثم (السهو)، وتذبح الذبيحة **بدلاً عن الخاطىء والمذنب**، ويُهرق دم الذبيحة أمام مذبح الرب، أي أمام الله، وتُحرق بكاملها بعضها على المذبح والباقي خارج المحلة (لا ٤: ٨ـ١٢). وبحرقها يكون الكاهن

---

(٣) الكنيسة البروتستانتية تتمسك بشدة بنظرية «التكفير بالإحلال»، أي أن «المسيح مات عنا»، بمعنى «نائباً عنا»، ومع أننا لا نريد ولا نرتاح للمجادلات في أمر اللاهوت ولكن اضطررنا اضطراراً أن نوضح موقفنا من هذا الموضوع لما فيه من أهمية روحية سيرتاح لها القارىء أشد الارتياح.

قد كفَّر عن خطية الخاطىء (سهواً).

فلينتبه القارىء هنا، فذبيحة الخطية في العهد القديم قُدِّمت عن الخاطىء وذُبحت عن الخاطىء وماتت عن الخاطىء. **أي أن الحيوان مات عن الخاطىء حتى لا يموت الخاطىء، فهنا الحيوان مات وحده، والإنسان لم يَمُتْ.**

وهكذا في تقديم الكاهن دم الذبيحة أمام الله فإنه يكون قد قدَّم حياة الذبيحة **كفَّارة عن** حياة الخاطىء.

والآن هل يمكن نقل هذا الطقس بمبناه ومعناه إلى حقيقة الفداء الذي فيه قدَّم المسيح جسده على الصليب؟

هنا عائق خطير يمنع التطبيق: وهو أن جميع ذبائح الخطية التي نص عليها العهد القديم هي كما سبق ونبهنا مراراً تصحُّ فقط في حالة **الخطية السهو** ἀκουσίως = unwillingly أي بدون قصد. أما **خطايا العمد** أو التي **عن قصد وبالإرادة فلا ذبيحة لها على الإطلاق** في كل ناموس موسى. وبمعنى آخر أوضح أنه يستحيل إحلال أو استبدال نفس بنفس في حالة **الخطية العمد**، ذلك بحسب ناموس موسى. هنا يصعب التطبيق من قريب أو من بعيد على ذبيحة المسيح، لأن ذبيحة المسيح هي ذبيحة عن **خطية العمد أولاً وكافة أنواع الخطايا** التي يَقصُر ويمتنع العهد القديم عن أن يقدم عنها ذبيحة بالمرة.

فهنا يستحيل أن تُحسَب ذبيحة المسيح أنها **عوض** الخاطىء **أو عن الخاطىء أو بدلاً عن** الخاطىء، لأن الخطية هي خطية عمد، **والخاطىء يتحتم أن يموت موتاً ولا يمكن أن تُقدَّم عنه ذبيحة من أي نوع!**

إذاً فما هي ذبيحة المسيح؟

ذبيحة المسيح هي موت الخاطىء بالفعل!! المسيح أخذ جسداً هو في حقيقته جسد الإنسان ككل، جسد جميع الخطاة، أخذه أولاً من العذراء والروح القدس طاهراً بدون خطية. ولكنه جسد حقيقي، هو هو بعينه جسد كل خاطىء، واقتبل في هذا الجسد خطية كل الخطاة، خطية العالم كله؛ وتقدَّم إلى الصليب وقَبِلَ «الموت» (كخاطىء) حاملاً خطية العالم كله؛ حتى إن كل خاطىء يعتبر نفسه في المسيح أنه مات **بالفعل**. فالمسيح لم يَمُتْ بعيداً عنّا؛ بل مات بنا، **ونحن متنا فيه**، حتى حقَّ لكل إنسان أن يقول: أنا **قد مُتُّ**، فأبطل حكم الموت عني، **أنا في المسيح**

قد جُزْتْ عقوبة الموت فلم يعُدْ عليَّ خطية ولا دينونة بعد. هذا الوضع يستحيل تصوُّره بالنسبة لإنسان خاطىء خطية سهو في العهد القديم وقد قدَّم عن نفسه ذبيحة شاة، إذ يكون لسان حاله فقط: أنا قد رُفِعَتْ عني عقوبة الموت جزاء خطية السهو وحسب، أما خطية العَمْد فلا ذبيحة ولا تكفير عنها قط.

أي أن ذبيحة المسيح هي ليست على مستوى أية ذبيحة من ذبائح العهد القديم، وبالتالي لا تَمُتُّ لنظرية الذبائح المعروفة في العهد القديم بأية صلة، لأنها ذبيحة عن خطايا العَمْد التي امتنع العهد القديم بكل ذبائحه أن يعوِّض عنها.

كذلك، فذبيحة الخطية في العهد القديم تُحرق بكاملها، بعضها على مذبح المحرقة والباقي خارج المحلة، لا يذوق من لحمها لا كاهن ولا صاحب الخطية لأنها تحمل الخطية. والدم يُسفك على الأرض لا يذوق منه أحد وإلاَّ يُلْعَن. في حين أن **ذبيحة المسيح تؤكل جسداً ودماً**: «خذوا كلوا هذا هو جسدي»، «اشربوا منها كلكم لأن هذا هو دمي.» (مت٢٦: ٢٦—٢٨)

بمعنى أن الخطية في العهد القديم أصابت جسم الذبيحة الحيوانية باللعنة، فامتنع الأكل منها حتماً، أما **الخطية واللعنة فأُبْطلت** في جسم المسيح بموته فتلاشت كليًّا، وصار الجسد المقدس يؤكل والدم يُشرب للحياة والتقديس، فهما مقدسان وطاهران.

بمعنى أن المسيح لم يأخذ الخطية منا ليموت بها **عوضاً عنا**؛ بل أخذ **جسد خطيتنا بعينه**، وأمات الخطية الفعلية فيه، ولاشاها منه بموته. فهو لم يَمُتْ وحده على الصليب، فنحن كنا فيه على الصليب: «مع المسيح صُلِبْتُ.» (غل٢: ٢٠)

ونحن كنا فيه لما مات بالجسد الذي هو جسدنا وأمات الخطية، خطية العَمْد القاتلة، التي في الجسد الذي هو جسدنا: «إن كنا قد صرنا **متحدين معه بشبه موته** نصير أيضاً بقيامته عالمين هذا أن إنساننا العتيق **قد صلب معه**، ليبطل جسد الخطية... فإن كنَّا **قد مُتنا مع المسيح** نؤمن أننا سنحيا أيضاً معه.» (رو٦: ٥و٦و٨)

إذاً فالمسيح صُلِبَ، ليس وحده؛ بل «**نحن صُلِبْنا معه**». فكيف نقول صُلِبَ عنَّا؟
والمسيح لما مات لم يمُتْ وحده؛ بل «**نحن مُتْنا معه**». فكيف نقول مات عنا؟
وقد سبق أن قلنا (ص ٢٨١—٢٨٤) أننا **تألمنا معه**. فكيف نقول تألم عنا؟

ولكن المسيح **صُلب فينا** — بجسد بشريتنا — **من أجلنا**، لذلك فنحن **صُلِبْنا معه**.

والمسيح **مات** بجسد بشريتنا من أجلنا، لذلك فنحن **مُتْنا** معه.
والمسيح **تألم** في جسد بشريتنا من **أجلنا**، لذلك فنحن **تألمنا** معه.

وليلاحظ القارىء كيف دخل مفهوم «عني» في لغتنا العربية أيضاً بسبب خطأ في الترجمة قَلَبَ المعنى وأضرَّ بمفهوم الفداء أشد الضرر، وذلك في ترجمة نص الإفخارستيا الذي جاء في إنجيل القديس لوقا وحده. أما في إنجيل القديس متى وإنجيل القديس مرقس فجاء النص صحيحاً سليماً بحسب النص اليوناني تماماً.

١ ــ إنجيل القديس متى:

+ **«وفيما هم يأكلون أخذ يسوع الخبز وبارك وكسر وأعطى التلاميذ وقال،**
خذوا كلوا هذا هو جسدي،
وأخذ الكأس وشكر وأعطاهم قائلاً:
اشربوا منها كلكم لأن هذا هو دمي الذي للعهد الجديد،
الذي يُسفك من أجل كثيرين **περὶ πολλῶν** **[وهي لا تحتمل أي معنى غير من أجل (٤)]،**
لمغفرة الخطايا.» (مت٢٦: ٢٦ــ٢٨)

٢ ــ إنجيل القديس مرقس:

+ «وفيما هم يأكلون أخذ يسوع خبزاً وبارك وكسر وأعطاهم وقال:
خذوا كلوا **هذا هو جسدي،**
ثم أخذ الكأس وشكر وأعطاهم فشربوا منها كلهم وقال لهم:
هذا هو دمي الذي للعهد الجديد،
الذي يسفك من أجل كثيرين» [**ὑπὲρ πολλῶν** = من أجل(٥).] (مر١٤: ٢٢ــ٢٤)

٣ ــ إنجيل القديس لوقا:

حيث الخطأ في الترجمة جاء في كلمة **«عنكم»:**
+ «وأخذ خبزاً وشكر وكسر وأعطاهم قائلاً:
هذا هو جسدي الذي يُبْذَلُ عنكم» [**ὑπὲρ ὑμῶν** (٥) هنا الترجمة العربية خاطئة ولا

---

4. Liddell & Scott, *An Intermediate Greek-English Lexicon,* p. 622.
5. Ibid.

تحتمل في اليونانية إلاَّ «من أجلكم»]،
اصنعوا هذا لذكري،
وكذلك الكأس أيضاً بعد العشاء قائلاً:
هذه الكأس هي العهد الجديد بدمي،
الذي يُسْفَكُ عنكم ὑπὲρ ὑμῶν (°)» [هنا الترجمة في العربية خاطئة ولا تحتمل في اليونانية إلاَّ «من أجلكم».] (لو٢٢: ١٩و٢٠)

٤ ــ الرسالة الأُولى إلى أهل كورنثوس (١١: ٢٣ــ٢٥):
+ «... أخذ خبزاً وشكر فكسر وقال: خذوا كلوا،
هذا هو جسدي المكسور **لأجلكم** ὑπὲρ ὑμῶν ،
اصنعوا هذا لذكري،
كذلك الكأس أيضاً بعد ما تعشوا قائلاً:
هذه الكأس هي العهد الجديد بدمي،
اصنعوا هذا كلما شربتم لذكري».

تصحيح نظرية التكفير:
١ ــ التكفير بالاتحاد وليس بالإحلال.
٢ ــ بذبيحة حب وليس بذبيحة عقاب.

إذاً، ليس جيداً القول بأن ذبيحة المسيح على الصليب قدَّمها المسيح لله **«عني»** أو **«عن الخطاة»**، وذلك لأمرين كل منهما أخطر من الآخر:
الأمر الأول:
إذا كان المسيح تألم بعيداً **عني** ومات بعيداً **عني**، أي **بدلاً مني** فكيف انتقلت خطيتي إليه؟ ثم كيف أخذنا غفران خطايانا منه أو نلنا برَّه فينا؟ ولكن الحقيقة هي أنه أخذ جسدنا، واتحد به؛ ونحن بالإيمان عكسنا الوضع: أخذنا جسده، واتحدنا به، فصرنا فيه وهو فينا، حسب قوله بنص القول: «وأنتم فيَّ وأنا فيكم» (يو١٤: ٢٠)، علماً بأن المسيح قال ذلك قبل أن يُصْلَب!! فلما تألَّم وصُلِبَ ومات، كنا فيه وكان هو فينا حسب قوله، فأمات الخطية في الجسد الذي أخذه منا. فلم تنتقل الخطية منّا إليه نظرياً، بل قُتِلَت وماتت حيث هي في جسد بشريتنا أي جسد كل واحد من البشر:

---
5. Ibid.

+ «فالله إذ أرسل ابنه في شبه "**جسد الخطية**" ولأجل الخطية، دان الخطية في **الجسد**، لكي يتم حكم الناموس **فينا**.» (رو٨: ٣و٤)

وحكم الناموس **فينا** هو الموت المحتم للخاطىء. إذاً، تم حكم الناموس **فينا** بالموت لما مات المسيح مباشرة، لأنه مات بجسدنا، أي بجسد كل واحد منا.

+ «عالمين هذا أن **إنساننا العتيق قد صُلِبَ معه، ليُبْطَلَ جسد الخطية**.» (رو٦: ٦)

إذاً، فالمسيح لم يكن بعيداً **عنا** لما مات، بل كنا فيه ومتنا فيه لما مات، وهنا ليس جيداً أن يُقال: مات عنا، بل مات من أجلنا. لأن **الإحلال** هنا، أي أن المسيح حلَّ محلنا بأخذ عقوبة الموت عنا، يُضعف قوة الاتصال، لأننا بالاتصال **والاتحاد** فقط ــ الذي تم في التجسد ــ ننال قوة موت المسيح وقيامته. لذلك نسمع بولس الرسول الذي كان يحيا هذا الاتصال يقول: «فأحيا لا أنا بل المسيح يحيا فيَّ» (غل٢: ٢٠). ومرة أخرى يقول: «لي الحياة هي المسيح» (في١: ٢١)، وكما يعبِّر كثيراً جداً باصطلاح حساس عن استمداده كل ما يخص الخلاص والفداء والحياة **مع** المسيح بالاتصال الوثيق بقوله «**مع المسيح صُلِبْتُ** (Χριστῷ συν-εσταύρωμαι).» (غل٢: ٢٠)

الأمر الثاني: المحبة حلَّت في العهد الجديد محل العقوبة في العهد القديم:

هو موقف الله الآب من جهة ابنه. فالله بذل ابنه بدافع محبته للعالم حتى لا يهلك العالم بل تكون له حياة أبدية لكل من يؤمن به. لا يوجد هنا أقل شبهة في وجود عقوبة، فالبذل هنا سواء عند الآب أو عند الابن هو عمل محبة، فالله «هكذا أحب ... حتى بذل ابنه» (يو٣: ١٦)، والابن يقول: «ليس لأحد حب أعظم من هذا أن يضع أحد نفسه **لأجل** أحبائه» (يو١٥: ١٣). هنا لا يوجد أدنى إحساس بالعقوبة. المسيح هنا لما بذل نفسه، لما تقدم إلى الصليب وقَبِلَ الموت، لم يكن هذا بالنسبة له عقوبة بل حباً. ولكن **موته في جسدنا حُسِبَ لنا نحن أنه استيفاء عقوبة**. فلما **أكمل الموت أكمل حبه**، فكان لنا **نحن تكميل عقوبة** أما هو فبالموت أكمل حبه!!

فلو كان الموت هو عقوبة الخطية ــ وهو كذلك حقاً في العهد القديم: «النفس التي تخطىء هي تموت» (حز١٨: ٢٠)، لكان الابن قد تحمل عقوبة الموت من يد الآب عوضاً عنا لاستيفاء عدل الله، وهذا غريب عن روح العهد الجديد وغير جائز، وإلاَّ صار عمل الابن ــ أي **البذل ــ عقوبةً**، مع أن **البذل حب**، حبٌ في دافعه وحبٌّ في نتيجته. الموت هنا بالنسبة للمسيح هو تعبير عن المحبة، ولكن بالنسبة لنا هو استيفاء العقوبة.

يستحيل أن يجمع الله الآب في قلبه نقمة العقوبة ليصبّها في ابنه ليموت عنا و بدلاً منا، مع نعمة المحبة التي أرسل بها ابنه باذلاً إياه كأقوى تعبير عن حبه من أجلنا حتى لا نهلك. كذلك، فالآلام العنيفة التي تحمَّلها الابن المتجسد مع عذاب الصليب والتشهير به حتى الموت، لم تكن لتنفيذ عقوبة فَرَضَها الآب عليه عوضاً عنا، بل لتنفيذ تكليف محبة أكملها الابن في جسم بشريتنا لتكون ميراثاً لنا. فالآلام لم تكن ثمن عقوبة بل ثمن محبة، والصليب لم يكن ثمن عقوبة بل ثمن محبة، والموت لم يكن ثمن عقوبة بل ثمن محبة: « **الذي أحبني وأسلم نفسه لأجلي.** » (غل ٢: ٢٠)

أي أن بمحبته أكمل الموت الذي كان عقوبة عليَّ وذلك بسبب محبته لنا وللآب بالطاعة واحتمال الآلام. وهكذا وازن بأعمال محبته أعمال عقوقنا وجهلنا وخطايانا، كذلك بأعمال محبته رفع كل عقوبة عنّا.

وهذا هو السر الأساسي في تجسد ابن الله، إنه **عمل حب بالدرجة الأُولى** بعيداً كل البعد عن إحساس ومفهوم العقوبة، فلا الله الآب عاقب ابنه، بل عن حب بَذَله؛ ولا الابن عاقب نفسه، بل أحبَّنا وأسلم ذاته من أجلنا؛ ولا نحن وقع علينا عقاب في الحقيقة، بل فُزْنا بالبراءة والمحبة والتبني. وبالرغم من ذلك نَفَّذَ عدل الله، وتم حكم الناموس، ومات الخاطىء. فالمسيح مات بالجسد الذي هو جسدنا وخطيتنا عليه، فتمَّ فينا نحن ـــ وليس في المسيح ـــ **عدل الله**: « **لكي يتم حكم الناموس (القانون) فينا.** » (رو ٨: ٤)

العقاب لا ينشىء حباً، **ولكن الحب يلغي العقاب**. لذلك، فالمسيح قام من بين الأموات، لأن عمل المحبة أو فعل المحبة لا يسقط أبداً ولا يموت! فأين العقاب؟

ولينتبه القارىء « **فالموت** » الذي ماته ـــ ابن الله المتجسد ـــ على الصليب لا ينحصر فقط في رفع عقوبة الخطية، بل ويتعدى رفع العقوبة مئات المرات وبما لا يُقاس، لأن موته على الصليب أعطانا طبيعة جديدة متحدة بطبيعته، أي نَقَل مستوى بشريتنا من خليقة مادية إلى خليقة روحانية جديدة، ووهبنا روح الله القدوس ليسكن في هياكلنا البشرية باعتبارها هيكل الله وروح الله ساكن فيها، ووهبنا حالة تبني لله بعد أن كنا عبيداً، وسكب فينا محبة أُبوَّته على مستوى محبته لابنه الوحيد، لكي نحيا معه حياة أبدية.

فكيف نقول بعد ذلك إن المسيح بموته تحمَّل العقوبة عنا؟؟ الصحيح أن بموته ألغى العقوبة، لأن موته كان بدافع الحب من الله وليس عقاباً، فلما ألغى العقاب ظهرت مفاعيل الحب الفدائي الكثيرة.

أو كيف القول أنه مات عنا إرضاءً لعدل الله؟

الصحيح أن بموته من أجلنا، وقد جزنا معه الموت واللعنة، يكون قد تم حكم الناموس (القانون) **فينا** كخطاة، فتبرأنا. وهكذا يكون **تم فينا** عدل الله فتأهّلنا مباشرة لمحبته وبره: «لنكون قديسين وبلا لوم قدامه في المحبة.» (أف ١: ٤)

مرة أخرى نقول إن المسيح مات لنا ولم يمت عنا.

المسيح قَبِلَ حكم الموت، ليس عقوبة، بل قيل عنه أنه «**احتمل الصليب من أجل السرور الموضوع أمامه**» (راجع عب١٢: ٢). الموت كان سروراً له، الموت كان للمسيح كأساً مقدماً بيد الآب، كأس تكليف أبوي استلمها الابن بكل سرور الطاعة، ولما شربها تكلل بالمجد. ونحن أكملنا العقوبة التي علينا **فيه** في هذه الكأس. موت المسيح كان مجداً له، وكان لنا فيه تكميل عدل الله عن عصياننا.

المسيح لم يُعاقَب بالموت، بل بالموت ألغى العقاب. الموت الذي ماته المسيح أعظم وأجلّ من العقاب ألف مرة، إنه حبٌّ!! لذلك فالموت الذي ماته المسيح صار فداءً لحياة أبدية وليس عقاباً ينتهي بالبراءة، هو فداء حب، حب الآب للابن وللعالم. لذلك فالموت باعتباره موتَ فداءٍ بدافع الحب الإلهي أنشأ كلَّ **ما يتناسب مع المحبة**، هكذا كما قال بولس الرسول: «كما اختارنا **فيه** قبل تأسيس العالم، لنكون قديسين وبلا لوم قدامه **"في المحبة"**، إذ سبق فعيَّننا للتبني بيسوع المسيح لنفسه **حسب مسَّرة مشيئته**، لمدح مجد نعمته **التي أنعم بها علينا في المحبوب**. الذي فيه لنا الفداء بدمه غفران الخطايا، **حسب غنى نعمته**.» (أف ١: ٤–٧)

فهل هذه النتيجة المزدحمة بِسَبْق **الاختيار والتقديس**، والوقوف أمام الله **بلا لوم في المحبة، والتبني حسب مسرة الآب، ومدح مجد نعمته، التي أنعم بها علينا في المحبوب**، والتي تمت بالفداء الذي «**فيه ولنا**» معاً **بمقتضى غنى نعمته**، نقول هل هذه كلها يمكن أن تكون مجرد نتيجة لتحمُّل المسيح العقاب عنا؟؟ وأن يكون الله قد أكمل العقاب في ابنه عوضاً عنا؟؟

وأخيراً فإننا لا نعثر في رسائل بولس الرسول ما يوضح نظرية الإحلال والإبدال، أي أن يكون المسيح قد مات عوضاً أو بدلاً عنا. بل إن النصوص محصورة كلها في مفهوم «من أجل» وتأتي باليونانية ὑπέρ وأحياناً περί ، ولكن لا تأتي أبداً بمعنى «عوضاً عن» ἀντί :

\+ «لأن المسيح إذ كنا بعد ضعفاء، مات في الوقت المعيَّن لأجل ὑπέρ الفُجّار، فإنه بالجهد يموت أحد لأجل ὑπέρ بار،

ربما لأجل ὑπέρ الصالح يجسر أحد أيضاً أن يموت،

ولكن الله بيَّن محبته لنا، لأنه ونحن بعد خطاة مات المسيح لأجلنا ὑπέρ .» (رو٥: ٦-٨)

+ «مع المسيح صُلبت فأحيا، لا أنا، بل المسيح يحيا فيَّ. فما أحياه الآن في الجسد، فإنما أحياه في الإيمان، إيمان ابن الله الذي أحبني وأسلم نفسه لأجلي ὑπέρ .» (غل ٢: ٢٠)

+ «لا تُهْلِكْ بطعامك ذلك الذي مات المسيح لأجله ὑπέρ .» (رو١٤: ١٥)

+ «وهو مات لأجل ὑπέρ الجميع ...» (٢كو٥: ١٥)

+ «الذي مات لأجلنا περί حتى إذا سهرنا أو نمنا نحيا جميعاً معه.» (١تس٥: ١٠)

+ «الذي لم يشفق على ابنه بل بذله لأجلنا ὑπέρ أجمعين، كيف لا يهبنا أيضاً معه كل شيء.» (رو٨: ٣٢)

+ «وشكر فكسر وقال خذوا كلوا هذا هو جسدي المكسور لأجلكم ὑπέρ ، اصنعوا هذا لذكري.» (١كو١١: ٢٤)

+ «الذي بذل نفسه فِدْيَةً لأجل ὑπέρ الجميع.» (١تي٢: ٦)

+ «الذي بذل نفسه لأجلنا ὑπέρ لكي يفدينا من كل إثم ويطهر لنفسه شعباً ...» (تي٢: ١٤)

+ «المسيح افتدانا من لعنة الناموس إذ صار لعنة لأجلنا ὑπέρ .» (غل٣: ١٣)

+ «لأنه جعل الذي لم يعرف خطية خطية لأجلنا ὑπέρ ، لنصير نحن بر الله فيه.» (٢كو٥: ٢١)

+ «الذي بذل نفسه لأجل ὑπέρ خطايانا، لينقذنا من العالم الحاضر الشرير.» (غل١: ٤)

+ «فإنني سلَّمتُ إليكم في الأول ما قَبِلْتُه أنا أيضاً، أن المسيح مات من أجل ὑπέρ خطايانا حسب الكتب.» (١كو١٥: ٣)

أنظر أيها القارىء وتمعَّن: لماذا لم يَقُلْ بولس الرسول، ولا مرة واحدة أن المسيح صنع موتاً أو فداءً بدلاً عنا = ἀντί ؟ أليس لأن هذا لا يتمشى مع حقيقة الفداء؟ والذي يتضمن أننا نحن لم نمت معه إن كان **هو مات عنا**؟ ولكن إن كان قد مات **من أجلنا وبجسدنا**، فنحن **قد مُتنا معه** بالضرورة!! حسب قوله:

+ «**إن كان واحد قد مات لأجل** ὑπέρ **الجميع، فالجميع إذاً ماتوا.**» (٢كو٥: ١٤)

لاحظ هنا أنه يتضمن أن الجميع جازوا الموت فعلاً، وهنا يكون قد أكمل الناموس لنا حقاً، ولم يُعْفِهم من الموت، بل جَازَ بهم الموت الذي غَلَبه، فغلبوا بموته الموت وقاموا معه.

+ «وهو مات لأجل ὑπέρ الجميع كي يعيش الأحياء فيما بعد لا لأنفسهم بل للذي مات لأجلهم ὑπέρ وقام.» (٢ كو ٥: ١٥)

ثالثاً: نظرية استرضاء وجه الله(٦)

وتقوم على أساس تصادم العدل عند الله في مواجهة الخطية، فالله قدوس والخطية إساءة مباشرة لقداسته، وهنا عدالة الله تنبري للخاطىء الذي أساء إلى قداسة الله وكرامته فلا تتركه دون عقاب. وهكذا يقف الخاطىء أمام عدل الله مُداناً إلى أن تُرفع الإساءة ويُكفَّر عنها.

وإذ لا توجد خليقة ما قادرة أن تعوِّض عن إساءة الخطية عن عمد ضد الله الذي لا يُحدُّ، لهذا لَزَم أن يكون للوسيط هذه اللامحدودية. لذلك لزم أن يتجسد ابن الله ليسترضي أولاً عدل الله حتى ينسكب حب الله ورحمته للإنسان. فهنا عدل الله في مواجهة الحب والرحمة، حيث على الابن المتجسد أن يسترضي العدل أولاً ليسترد الحب والرحمة لبني الإنسان، مُقدِّماً باسم الإنسان ما يوازي أو يعادل الإساءة التي اقترفها ويقترفها الإنسان ضد قداسة الله وعدله.

هنا الفداء بالموت الذي يؤديه ابن الله في بشريته يرفعه بلاهوته ليتساوى مع طبيعة الله اللامحدودة في أثره الاسترضائي، في أسمى برهان على طاعته البنوية، ليستعيد حب الله ورحمته على بني الإنسان.

هذا المنطق الديالكتيكي(*)، بقدر ما أنه يدخل في الحبك الفلسفي التأملي بقدر ما يبتعد عن البساطة التي في المسيح وعن واقع الفداء بصورته المجروحة الدموية. فالصليب، وإن كان يمثل حكمة الله غير المحدودة، إلا أنه في بساطته في متناول فكر طفل.

وفكرة استرضاء الله وإن كانت مستمدة من العهد القديم، فـ «يهوه» — النار الآكلة — في العهد القديم قد صار، بميلاد ابن الله واستعلان بُنوَّته، أباً يسكب روحه — بدل اللعنة — على كل بشر. لذلك فصورة الله في هذه النظرية (وهو طالبٌ مَنْ يسترضي عدله وكرامته) لا تتناسب الآن مع: «هكذا أحب الله العالم حتى بذل ابنه الوحيد لكي لا يهلك كل مَنْ يؤمن به بل تكون له

---

(٦) هنا للأسف نجد كثيراً من الآباء القدامى وحتى آباء العصور الوسطى بل و بعض المحدثين ساروا على هذا النمط اللاهوتي.

(*) أي الذي يعتمد على الحوار، والسؤال والجواب، والفرض ونقيضه ثم معالجة المتناقضات.

الحياة الأبدية» (يو٣:١٦)، حيث الله الآب هنا هو الذي يطلب استرضاء الإنسان المظلوم المخذول المُهان والمطرود، ساعياً أن يردَّه إلى كرامته الأُولى.

كما أننا نجد، في نظرية استرضاء الله، الحوار قائماً بين الآب والابن لحساب الإنسان، وكأن الإنسان كمية مهملة لا دخل لها في الحوار، في حين أن التجسد يُدْخِل الإنسان في عملية الفداء كشريك بالدرجة الأُولى، فبجسد الإنسان ودمه تم الفداء باتحاد لاهوت الابن.

كذلك نجد في نظرية الفداء كاسترضاء الله أن عملية الفداء تنتهي باسترضاء الابن للآب، وحينئذ ينتهي الحوار وتنتهي الرواية المأساوية باسترداد كرامة الله.

ولكن بحسب الواقع العملي، نجد الفداء لا ينتهي عند هذا الحد، فالابن المتجسد دخل من واقع الفداء إلى الأقداس العليا **بدمه ليكمل الفداء**: «دخل مرَّة واحدة إلى الأقداس فوجد فداءً أبدياً» (عب٩:١٢). وحتى الإنسان وإن كان قد استعاد بالفداء رضى الله وحبه ورحمته، إلاَّ أنه لا يزال ينتظر مزيداً من الفداء:

+ «فإننا نعلم أن كل الخليقة تئن وتتمخض معاً إلى الآن. وليس هكذا فقط، بل نحن الذين لنا باكورة الروح، نحن أنفسنا أيضاً نئنُّ في أنفسنا متوقعين التبني فداء أجسادنا.» (رو٨: ٢٢و٢٣)

وإن كان بعض الآباء الأُول قد استخدموا هذه النظرية، أي نظرية الفداء القائم على استرضاء الله، فذلك لم يكن من واقع إيمانهم الشخصي المباشر في فهم وتفسير الفداء بحد ذاته، ولكن كان بسبب الدفاع الذي قاموا به ليردوا على سؤال الوثنيين: [لماذا صار الله إنساناً] ؟

هنا أدخل هؤلاء الآباء الفداء باعتباره الضرورة التي حتَّمت تجسد ابن الله وبنوا عليها هذه النظرية التأملية الفلسفية التي تنتهي بحقيقة واحدة وهي ضرورة تجسد ابن الله.

ضعف النظريات الثلاث السابقة،

وضرورة «الفداء الشمولي»

أي اعتبار المسيح يشمل ويجمع البشرية كلها في ذاته

ولكن إذا عدنا للفداء في حد ذاته ومن جهة صلته العملية بالخلاص الفعَّال في الفكر والقلب والجسد معاً، يشعر الإنسان أن هذه النظريات جافة يعوزها وعي وحركة الروح.

أما فكر الآباء عموماً بخصوص الفداء فيدور حول عنصر أساسي ورثناه عنهم في المقولة التي نرتل بها في التسبحة اليومية المقدسة:

[هو أخذ الذي لنا وأعطانا الذي له فلنُسبِّحه ونمجده ونزِدْه علواً] (ثيئوتوكية الجمعة).

هذا المبدأ اللاهوتي المضيء ملأ فكر الآباء الأُول جميعاً. فالله أرسل ابنه في جسد إنسان لكي يتم الخلاص بإنسان، **فالمسيح يجمع البشرية كلها في ذاته**. والله لما أراد خلاصنا، صمم أن يخلصنا **في طبيعتنا** التي تخصُّنا والتي تحتاج إلى إعادة خِلْقَة، لذلك تجسد ابن الله وصار إنساناً مثلنا في كل شيء ما عدا الخطية.

فلما مات المسيح بدافع الحب والطاعة للآب، أكمل بحبه حكم الموت في كل إنسان في البشرية كلها، أو على الأصح، أكمل الإنسان العقوبة الواقعة عليه من داخل عمل محبة المسيح وطاعته حتى الصليب **لأن المسيح مات بجسد البشرية**. وهذا هو المعيار اللاهوتي الأساسي عند بولس الرسول:

+ «لأن محبة المسيح تحصرنا (أي تجمعنا كأننا واحد)، إذ نحن نحسب هذا أنه **إن كان واحد قد مات لأجل الجميع، فالجميع إذاً ماتوا**. وهو مات **لأجل الجميع**، كي يعيش الأحياء فيما بعد لا لأنفسهم بل للذي مات لأجلهم وقام.» (٢كو٥: ١٤و١٥)

هنا مفهوم الفداء يخرج بمعيار عملي ثابت هام وخطير وهو الربط والجمع: **«فالجميع إذاً ماتوا»**، وهو ما مهَّد له في أول الآية: **«لأن محبة المسيح تحصرنا»**. هنا أصبح من نتيجة الفداء العملية هذه الوحدة والرابطة في المحبة التي تحصر الجميع. كيف ولماذا حدث هذا الترابط وعلى أي أساس؟ الجواب هو على أساس أن **«موت المسيح هو موتنا»**، لذلك أصبحت **«حياة المسيح هي حياتنا»**، أو أننا في المسيح نحيا جميعاً كقول بولس الرسول: «لأنه كما في آدم يموت الجميع،

هكذا في المسيح سيُحيا الجميع» (١ كو١٥: ٢٢). أما الكلمة الحارسة التي حرست هذه الشمولية فهي كلمة: «**من أجل** ὑπέρ »، بمعنى أن موت المسيح لم يكن موته هو بل موتنا نحن بالحقيقة! لأنه مات "لأجل" — أي لصالح — **الجميع!!**

وعلينا أن نلاحظ أنه في موت المسيح الذي أكمله في جسد «**البشرية ككل**»، **جمع الكلَّ في جسده الواحد**، وهذا هو الذي جعل الفداء عملية **شمولية** شملت بل جمعت الكل في الواحد، ففي لحظة موت المسيح ماتت البشرية ككل. على هذا الأساس يقول بولس الرسول: «إن كان واحد قد مات لأجل الجميع فالجميع إذاً ماتوا.» (٢ كو٥: ١٥)

وليلاحظ القارىء هنا فشل النظرية القائلة أن في الفداء مات المسيح **عن** الجميع، وإلاَّ تكون النتيجة المنطقية: «إذاً الجميع قد أُعفُوا من الموت»، وبهذا يبطل الفداء، في حين أن **قصد الفداء الأساسي هو أن يجوز الجميع الموت بموت المسيح، فينتهي الموت إلى الأبد.**

هذه **الشمولية** التي أحدثها الفداء بموت المسيح لأجلنا وفي جسدنا، حتى **حق لنا أن نقول إن «الجميع قد ماتوا»**، هذه الشمولية يعود ويوثقها سرَّا المعمودية والإفخارستيا. فبالمعمودية **نعتمد لموت المسيح الشمولي عينه**، وبالإفخارستيا نشترك في الجسد الشمولي الواحد المذبوح بعينه. **ثم تعود وتنتقل من الواقع العملي على الصليب ومن الواقع السري في العماد والإفخارستيا إلى الإيمان القلبي بالفداء الذي يعطي حق الموت والحياة.**

ويلاحظ أن بولس الرسول حينما يقول: «محبة المسيح تحصرنا» (٢ كو٥: ١٤)، **فهو يقصد المحبة الإلهية من نحونا**. هذه المحبة هي التي **تُلْهِبُ قلوب المؤمنين من نحو المسيح أولاً فتفتح طاقات الروح لتنعكس المحبة بكاملها من نحو الآخرين في إنكار ذات، فتؤدي إلى مزيد من الترابط والشمولية التي هي من جوهر عمل الفداء.**

هذه النتائج المتتابعة للفداء، من الصعب العثور عليها في نظرية استرضاء الله أو في نظرية إحلال المسيح محلنا بالموت عنا، أو حتى في نظرية دفع الفدية لرئيس هذا العالم، لأن عنصر الترابط والشمولية يعوزها جميعاً، وهو من صميم عمل الفداء.

كذلك يهمنا هنا أن نتعرض لمعنى قول بولس الرسول: «**فالجميع إذاً ماتوا**» (٢ كو٥: ١٥). **فما هو هذا الموت**؟ هنا ينقسم الآباء إلى قائل بأنه **موت جسدي** من واقع الحال بموت الجسد، وإلى قائل بأنه **موت روحي** من واقع الحال السابق بالبعد والاختفاء عن الله. وإلى قائل بأنه **موت**

أخلاقي من واقع الانغماس في الشرور. وإلى قائل بأنه **موت مِسْتيكي سرّي** نرى نتائجه وعلاماته ولا نستطيع أن نحصره في هويّة معينة. والحقيقة أن هذا الموت يشمل بالفعل كل المعاني السابقة وأكثر.

وموت المسيح على الصليب هو الذي جعل الفكر يقف مكتوفاً لا يستطيع أن يحصر هذا الموت في اتجاه واحد. فالجسد مات بالفعل ولكن كان معه الأنين: «إلهي إلهي لماذا تركتني» (مر١٥: ٣٤). إذاً لم ينحصر الموت في الجسد فقط، فهو بُعْدٌ عن الله. ثم بالقيامة بجسد آخر جديد غير خاضع للحواس وفي نفس الوقت يمكن إخضاعه للحواس، هيأ لنا إمكانية الموت في المعمودية موتاً حقيقياً على مستوى موت الصليب لنوال نفس قوة القيامة العاملة في الجسد لتجديده. هذا هو **الموت المستيكي** الذي لا يقل قوة وفعلاً عن الموت الجسدي الذي يستمد الموت منه كيانه كموت.

كما يتحتم التفريق بين قول بولس الرسول أن «**الجميع ماتوا في آدم**» (١كو١٥: ٢٢)، وأن «**الجميع ماتوا في المسيح**» (٢كو٥: ١٤)، فإن هناك فارقاً هائلاً بين الموت في آدم والموت في المسيح، حيث الأول أنشأ قضية خاسرة مخزية في حياة الإنسان وأخلاقه ومستقبله، في حين أن **الموت في المسيح** أنشأ إلغاءً كاملاً وشاملاً للقضية الخاسرة بالموت في آدم، إذ أعطى حق الحياة والخلقة الجديدة وحق العودة إلى الله. إذاً، فالمسيح أمات بموته موت آدم بكل توابعه. وهذا نستقرئه بوضوح في الفارق بين: أنين المسيح ساعة الموت: «**إلهي إلهي لماذا تركتني**» (مر١٥: ٣٤)، وبين هتاف النصرة بعد إكمال واجبات هذا الموت بالقول: «**قد قام المسيح من الأموات**» (١كو١٥: ٢٠)، «**ورفّعه الله ... فوق كل اسم**» (في٢: ٩)، «**وصعد فوق جميع السموات**» (أف٤: ١٠)، «**أجلسه عن يمينه**» (أف١: ٢٠)، «**ولا يسود عليه الموت بعد.**» (رو٦: ٩)!

هذا الفارق بين موت آدم وموت المسيح، نقرأه أيضاً بوضوح في الآية السابقة: «**وهو مات لأجل الجميع، كي يعيش الأحياء ...**» (٢كو٥: ١٥). فهو موت لحياة، في حين كان موت آدم موتاً لهلاك!!

«الفداء الشمولي» بر المسيح تجاه الخطية

يعود بولس الرسول إلى الفداء في وضعه الشامل للبشرية، ليتعرض له ليس من جهة الموت الذي ماته المسيح بل من جهة العنصر المسبِّب للموت، وهو الخطية، حينما أخذها المسيح بالتدبير من يد الآب بالرضى لتدخله بصفتها المطلقة أو الشمولية في قوله:

+ «لأنه (الله) جعل الذي لم يعرف خطية خطية لأجلنا، لنصير نحن برَّ الله فيه.» (٢كو٥: ٢١)

هنا في الحقيقة يعطينا بولس الرسول صورة أخرى للفداء الشامل العجيب مبتدئاً من نقطتين وهما: **«الخطاة والخطية»**، في مقابل صورة الفداء السابقة التي طرقها من جهة **«أجميع والموت»**. فهنا بولس الرسول يكشف الفداء في جوهر فعله وتعامله: الخطاة والخطية. فالمعروف أن الخطية شملت البشرية جمعاء. فالخطية **فعل** شمولي (ولا نستطيع أن نعطيها كلمة «جوهر» أو «طبيعة» لأن كل الأفعال السالبة ليست جواهر، وهي تستمد وجودها الكاذب من غياب الوجود الحقيقي كالظلمة والنور). فالخطية كفعل سلبي شمولي شملت البشرية.

هنا بولس الرسول يستعلن سرًّا جديداً من أسرار الفداء، وهو أن الله لكي يتعامل مع الخطاة لا بد أن يتعامل مع الخطية **«الفعل السلبي»** الذي سلب البشرية وجودها الحقيقي مع الله. فلكي يصل ابن الله إلى كافة خطاة الأرض، يلزم أن **يلبس أو يحمل فعل الخطية أو كيانها السلبي المدمر**. ولا خوف على ابن الله، لأنه لم يفعل الخطية قط وهو معصوم عن فعلها، لذلك أمكنه أن يحتويها — كفعل أو كيان سلبي — يؤثر هو فيها ولا تؤثر هي فيه إلا بما يسمح به هو وإلى حين (بالموت).

هنا أيضاً نـنتبه أنه حامل جسد «البشرية»، فباحتوائه لفعل الخطية الشمولي السلبي أصبح ليس خاطئاً — فهذا مستحيل — بل «خطية»!!! لأنه لم يفعل ولن يفعل الخطية بل هو حامل لكيانها السلبي الفعّال وحسب.

ولكن يلزم أن ننتبه أن المسيح كابن الله هو «البار»، لا لأنه يصنع البرَّ وحسب بل لأنه يبرِّر الفاجر، وهذا بحسب طبيعته الفائقة ولاهوته. هنا قدرة المسيح الفائقة لحمل البر والخطية معاً! ثم وبهذه القدرة الفائقة أصبح قادراً بطبيعته الفائقة هذه وهي قائمة في صميم الطبيعة البشرية أن يعطي البشرية البرَّ الذي فيه بقدر ما يأخذ الخطية التي فيها — أي في البشرية.

[هو أخذ الذي لنا وأعطانا الذي له فلنُسبِّحه ونمجده ونُزِدْهُ علواً] (ثيئوتوكية الجمعة).

ولكن ليلاحظ القارىء، أن الخطية لم تنتقل من البشرية أو من الخاطىء إلى المسيح، ولا البرُّ انتقل من المسيح إلى الخطاة ليبرِّرهم. فهي ليست عملية إحلال وإبدال، بل إن «البر والخطية» معاً هما كائنان في المسيح، وكما أخذ الخطية في بشريته ككلٍّ أعطى البرَّ لبشريته ككل، فنحن

صرنا بالإيمان والمعمودية:
بلا خطية فيه،
وأبراراً فيه،
وقديسين فيه.

فكل مَنْ آمن واعتمد بالمسيح وأحبه، واتحد به، يكون قد نال البر وتبرَّر، وتقدَّس فيه.

وليلاحظ القارىء، أنه كما أن «الخطية» هي فعل شمولي ككيان سلبي أخذه المسيح في طبيعتنا بإرادته ليُنهي عليه، كذلك «البر» هو جوهر شمولي إيجابي أصلاً في طبيعة المسيح، وقد سلّمه للطبيعة البشرية بالاتحاد في التجسد، واستعلنه في نفسه بالقيامة بالجسد من الأموات!

الفصل السابع

تكميل الفداء بالقيامة والروح القدس

أولاً ــ تكميل الفداء بالقيامة من الأموات

ــ التبرير ــ

الفداء تم على مرحلتين، الأولى بالموت، حيث بالموت أمات المسيح الموت؛ والمرحلة الثانية بالقيامة من بين الأموات، حيث استُعلن بر المسيح الذاتي وتحقق أنه غلب الموت، فأعطى البشرية فيه الحياة الجديدة. لذلك، فكلٌّ من الموت والقيامة يمثل الفداء بدون تمايز، ولكن بالقيامة من الأموات كمل فعل الفداء الذي بدأ بالموت.

+ «الذي **أُسْلِمَ** من أجل **خطايانا**، **وأُقيمَ** لأجل **تبريرنا**.» (رو٤: ٢٥)

بولس الرسول هنا يعتمد على نبوة إشعياء النبي:

+ **«من أجل أنه سكب للموت نفسه** وأُحصيَ مع أثمة، **وهو حمل خطية كثيرين، وشفع في المذنبين.»** (إش٥٣: ١٢)

هنا إشعياء النبي يصف بدقة أنه بإرادته سكب للموت نفسه، ثم أوضح العلة والسبب الذي دفعه إلى ذلك بقوله مباشرة أنه بعمله هذا «أُحصي مع أثمة»، ثم عاد إشعياء يصحح المعنى لئلا نخطىء، فليس لكونه أُحصي مع أثمة أنه صار أثيماً، بل إنه «حَمَلَ خطية كثيرين» («كثيرين» في العبري تفيد الكل). أما شفاعته فواضح ــ ولو أنها كانت غير واضحة في رؤية إشعياء ــ أنها تفيد ما بعد الموت حتماً.

ولكن الصعوبة في آية بولس الرسول هي في السؤال: **كيف نتبرَّر بقيامته؟** ولماذا ينحصر التبرير في القيامة وليس في الموت؟ هنا بالعودة إلى القيامة بالنسبة للمسيح نجد أنها **تمت بقوة**

الروح القدس، وبالقيامة استُعلن برُّ المسيح، بمعنى أنه لم **يَمُتْ كخاطىء، وإلاّ ما كان قد قام. فلأنه قام من الموت، فهذا معناه أنه غلب الموت فاستُعلن برُّه، وليس فقط استُعْلِن برُّه، بل وتحقق أنه ابن الله**: «وتعيَّن ابن الله بقوة من جهة روح القداسة بالقيامة من الأموات» (رو١: ٤)، بل واستُعلن أن تجسده هو: «الله ظهر في الجسد». هذا يؤكده بولس الرسول في قوله: «وبالإجماع عظيم هو سر التقوى **الله ظهر في الجسد، تبرر في الروح** ...» (١تي٣: ١٦). هنا «تبرَّر في الروح» تفيد في اليونانية «تحقق برُّه» في الروح أي بالقيامة بالروح القدس.

والآن، إن كان المسيح قد سكب للموت نفسه من أجل الخطاة، فهو قام من أجلهم حتماً وبالضرورة. والآية في ذلك واضحة: «وهو **مات لأجل الجميع** كي يعيش الأحياء فيما بعد لا لأنفسهم بل للذي **مات لأجلهم وقام.**» (٢كو٥: ١٥)

كما هو واضح أن قيامة المسيح نفسها شملت قيامة المؤمنين به: «**أقامنا معه.**» (أف٢: ٦)

فإن كان المسيح قد **استعلن برَّه بقيامته** من بين الأموات،
وإن كان قد قام من الأموات من أجلنا،
وإن كنا قد قمنا معه،
فيكون استعلان برِّ المسيح بالقيامة من الأموات هو أيضاً وبحد ذاته استعلان لنصيب برِّنا معه أو هو لتبريرنا. فكما قام من أجلنا، هكذا يتوجب أن يصير برُّ قيامته من أجلنا.

علماً بأن كلمة «**بر**» δικαιοσύνη في أبسط معانيها هي حالة أعلى من البراءة، فهي نوال عطية الله بالتزكية بعد الخلوِّ من الخطايا والعيوب، والتبرير هو الحكم بالتزكية أمام الله تمهيداً لنوال محبة الله ورحمته.

والله له قدرة أن يبرِّر لأنه بار وكليُّ البر وبرُّه فعَّال كالحب والرحمة. فكما أن الله له أن يحبَّ أو يرحم من يشاء (رو٩: ١٨)، هكذا يبرِّر من يشاء ويبرِّر الفاجر أيضاً (رو٤: ٥) لا بمقتضى أعمال الفاجر بل بمقتضى برّ الله الشخصي الخلاَّق، الذي يدعو الأشياء غير الموجودة كأنها موجودة (رو٤: ١٧).

+ «طوبى للذي غُفِرَ إثمه وسُتِرتْ خطيته، طوبى لرجل لا يحسب له الرب خطية.» (مز٣٢: ١و٢)

وهذا هو أظهر صفات الله التي يتميَّز بها في مقابل عدله، حتى إن الذي «يؤمن بالذي يبرِّر

الفاجر، فإيمانه يُحسب له برًّا.» (رو٤: ٥)

وعند الله والمسيح «**البر**» هو عكس «**الدينونة**»، «**والبار**» هو الصفة المتقابلة مع «**الديَّان**»، و«**التبرير**» هو الحكم المقابل لحكم «**الإدانة**»:

+ «لأنه إن كانت **خدمة الدينونة** مجداً، فبالأولى كثيراً تزيد **خدمة البرِّ** في مجد.» (٢كو٣: ٩)

+ «وليس كما بواحد قد أخطأ، هكذا العطية، لأن **الحكم من واحد للدينونة**، وأما الهبة فمن جرَّى خطايا كثيرة **للتبرير**.» (رو٥: ١٦)

+ «فإذاً، كما **بخطية** واحدةٍ صار الحكم إلى جميع الناس "**للدينونة**"؛ هكذا **ببرٍّ** واحدٍ صارت "**الهبة**" إلى جميع الناس **لتبرير** الحياة.» (رو٥: ١٨)

أما بالنسبة للإنسان، **فالبارُّ** هو المقابل **للخاطىء**:

+ «لأنه كما **بمعصية** الإنسان الواحد جُعِلَ الكثيرون **خطاة**؛ هكذا أيضاً **بإطاعة** الواحد سيُجْعَل الكثيرون **أبراراً**.» (رو٥: ١٩)

و«**خطية**» الإنسان يقابلها «**برُّ**» المسيح والله. ولا يوجد للإنسان برٌّ ذاتي بالمرة لأنه خاطىء بطبعه وليس باراً: «كما ملكت الخطية في الموت، هكذا تملك النعمة بالبر للحياة الأبدية بيسوع المسيح ربنا.» (رو٥: ٢١)

فإن كان المسيح قد تزكَّى، أي ظهر برُّه بالقيامة من الموت، هكذا قام ليزكِّي، أي يبرِّر، كلَّ مَنْ يموت ويقوم معه.

ونحن نموت مع المسيح ونقوم معه: **بالإيمان، وبالمعمودية**:

أما بالإيمان: فهذا يوضحه بولس الرسول بإسهاب على مستوى البر الذي ناله إبراهيم بالإيمان: «فآمن إبراهيم بالله فحُسِبَ له براً» (رو٤: ٣)، ويضيف بولس الرسول: «ولكن لم يُكتب من أجله وحده أنه حُسِبَ له، بل من أجلنا نحن أيضاً الذين سيُحسَب لنا، **الذين نؤمن بمن أقام يسوع ربنا من الأموات**، الذي أُسْلِمَ من أجل خطايانا وأُقيم لأجل تبريرنا» (رو٤: ٢٣-٢٥)، كذلك: «لأنك إن **اعترفتَ بفمك** بالرب يسوع **وآمنتَ** بقلبك أن الله أقامه من الأموات خَلَصْتَ.» (رو١٠: ٩)

أما بالمعمودية: «... أننا كلَّ مَنْ اعتمد ليسوع المسيح، اعتمدنا لموته، فدُفنَّا معه بالمعمودية للموت، حتى كما أُقيم المسيح من الأموات بمجد الآب هكذا نسلك نحن أيضاً في جدة الحياة.

لأنه إن كنا قد صرنا متحدين معه بشبه موته نصير أيضاً بقيامته.» (رو٦: ٣ــ٥)

وهكذا نجوز الموت والقيامة على مستوى الفعل السرّي مع المسيح. فهنا شركة الموت مع موت المسيح ــ بالإيمان والمعمودية معاً ــ تعتقنا من جسد الخطية: «عالمين هذا أن إنساننا العتيق قد صُلِبَ معه ليُبطَل جسد الخطية، كي لا نعود نُستعبد أيضاً للخطية.» (رو٦:٦)

ثم شركة القيامة في قيامة المسيح ــ بالإيمان والمعمودية معاً ــ تُبرِّرنا، أي تُزكِّينا في الحياة الجديدة وأمام الله، حيث نقف دائماً أمامه بلا لوم!

والتبرير ليس عقيدة نؤمن بها غيباً، بل هي حقيقة نحسها في يقين الإيمان، الإيمان الذي يزكيه الروح القدس ويجعله خضوعاً حقيقياً لله فتتقابل مع وعد الله بالتبرير بثقة وتأكيد معاً، لأن التبرير هو انفتاح حقيقي للإيمان: «لنكون قديسين وبلا لوم قُدّامه في المحبة» (أف١: ٤). وهذه الثقة وهذا اليقين يقومان على أساس تصديق الله أولاً وقبل كل شيء وعلى اعتبار أن تبريرنا هو جزء لا يتجزأ من حقيقة برِّ المسيح وقيامته، بل ويتعلق ببرِّ الله نفسه، لأنه صالحنا لنفسه ويستحيل أن نقف أمامه دون أن نستمد برًّا منه أيضاً في دالة البنوة التي نلناها في المسيح، لأن قيامة المسيح أقامتنا معه وأصعدتنا معه لنتواجه مع الله فيه. لذلك أصبح تبريرنا بقيامة المسيح أمراً حتمياً، وإلاَّ يستحيل علينا أن ندخل دائرة الله، وتكون قيامة المسيح عجزت عن أن تكمِّل فداءنا وخلاصنا ومُصَالحتنا مع الله. علماً بأن الله لا يبررنا بعدله ولكن بنعمته ــ ومجاناً، لأنه يستحيل على إنسان أن يُحَاكَم أمام الله ويتبرَّر، ولكن تبرير الله نكتسبه بنوع الهبة المجانية بالإيمان بالمسيح على أساس ذبيحته التي كفَّر بها عن خطايانا، فغُفِرت لنا، وعلى أساس برِّه الذي وهبه لنا؛ وهكذا استُعلن بر الله لمّا سامحنا بخطايانا. فالله، لأنه بارٌّ، فحتماً يظهر عمل برِّه:

+ «**متبررين مجاناً بنعمته،**
بالفداء الذي بيسوع المسيح،
الذي قدمه الله كفَّارة، **بالإيمان بدمه،**
لإظهار برِّه من أجل الصفح عن الخطايا السالفة بإمهال الله،
لإظهار برِّه في الزمان الحاضر (بالقيامة من الأموات)،
ليكون باراً (الله)، ويُبرِّر مَنْ هو مِنَ الإيمان بيسوع.» (رو٣: ٢٤ــ٢٦)

هنا تتداخل ثلاث مبادرات من الله الآب، يكمِّلها ثلاثة أعمال يأتيها المسيح ويستجيب لها الإنسان بثلاثة أيضاً:

دور الله:

+ إذ يرى استحالة خروجنا من سطوة الخطية بإمكانياتنا، صمم أن يبرّرنا مجاناً بحسب غنى نعمته.
+ ولذلك دبَّر بكل حكمة وفطنة أن يقوم ابنه بعمل الكفارة ليلغي الخطية.
+ وهو بهذا قصد أن يوضح لنا أنه **بارٌ حقيقة**، سواء في الماضي إذ عاملنا من جهة خطايانا السالفة بإمهال لطفه، أو في الحاضر بإظهار برّه عملياً إذ برّرنا بالإيمان بابنه، وهكذا شمل الله الآب عملية خلاص الإنسان بالنعمة، والحكمة، والبر معاً.

دور المسيح:

+ أكمل الفداء وخلَّص الخطاة، وهو بهذا كان مُستجيباً مع نعمة الله ومتمشّياً معها.
+ وأكمل الكفارة بموته بكل حب وطاعة بإبطال الخطية التي وقفت حاجزاً بين الإنسان والله، فرفع الحاجز. وكان بهذا مستجيباً لحكمة الله.
+ وبقيامته تحقَّق برُّه، فصار الإيمان به مصدراً للتبرير. وبهذا التحم برُّ الآب ببرِّ الابن.

دور الإنسان:

لم يقف بعيداً عن عملية الفداء بكل مشتملاتها:

+ استجاب بالإيمان بموت الرب وبهذا حاز بجدارة على نعمة الله المجانية.
+ استجاب لعمل الكفَّارة، وصَلَبَ الجسد على صليب المسيح، فتتلمذ لحكمة الله أي الصليب.
+ استجاب لقيامة المسيح وآمن بالذي هو قادر أن يقيم الموتى، فحُسِبَ إيمانه له براً.

ثانياً ــ تكميل الفداء بعمل الروح القدس على طول المدى

وفوق كل المكاسب التي ربحناها بقيامة الرب يسوع المسيح من الأموات من جهة التبرير، تظل هناك عطية تختص بتكميل الفداء على طول المدى وهي عطية الروح القدس، التي أوضحها سفر الأعمال في يوم الخمسين وأوضحتها الأناجيل، خاصة إنجيل القديس يوحنا، الذي فيه ربط المسيح إرسال الروح القدس بقيامته وانطلاقه إلى الآب. هذا جمعه بولس الرسول في تعبير واحد، وإن كان في شيء من الغموض، ولكنه يعبِّر عن عمل المسيح بالروح وفي الروح بعد القيامة كما رآه بولس على طريق دمشق من السماء، هكذا:

+ «صار آدم الإنسان الأول نفساً حية، وآدم الأخير **روحاً محيياً**.» (١كو١٥: ٤٥)
+ «نتغير إلى تلك الصورة عينها من مجد إلى مجد كما من **الرب الروح**.» (٢كو٣: ١٨)

+ «وأما الرب فهو الروح ...» (٢ كو٣: ١٧)

+ «ثم بما أنكم أبناء أرسل الله روح ابنه إلى قلوبكم صارخاً يا أبا الآب.» (غل ٤: ٦)

واضح من هذا أنه بعد القيامة ظل المسيح عاملاً بوجوده الروحي الشخصي الدائم، وبروحه أيضاً، كينبوع يفيض باستمرار وبلا انقطاع بنعم ومواهب وتجديد وتشجيع يفوق الحصر(١).

وقفة قصيرة لمراجعة مراحل الفداء:

وهكذا نستطيع أن نجمع عمل الفداء الذي عمله، ولا يزال يعمله، وسيعمله المسيح في المستقبل أيضاً هكذا:

+ كل ما عمله بالفداء والكفَّارة بدمه على الصليب والقبر والقيامة مرة واحدة في الطبيعة البشرية كأساس،

+ وكل ما يزال يعمله بقوة الفداء الذي أكمله بالقيامة مرات ومرات في كل نفس وجسد، ليحضرها أمام الآب بلا لوم.

+ كل ما عمله المسيح من أجلنا،
وكل ما يعمله المسيح داخلنا.

+ كل ما عمله على الأرض زمنياً،
وكل ما يعمله الآن في السماء وإلى الأبد.

+ كل ما عمله بشخصه،
وكل ما يعمله بروحه.

+ كل ما عمله لتأسيس عهد البر للمصالحة مع الله،
وكل ما يتشفع به الآن وبالروح على طول المدى لتوثيق عهد البر للمصالحة مع الله.

الفداء يرسم درجات استعادة الإنسان لموقفه مع الله هكذا:

+ في عدن **سقط الإنسان في العصيان**، وطُرح من أمام وجه الله؛

+ على الجلجثة **يتخلص الإنسان من العصيان** بالطاعة في المسيح، وينفتح له الباب المغلق لطريق السماء.

---

(١) راجع:
«الروح القدس فينا في لاهوت بولس الرسول»، الباب الأول الفصل الثاني.
«عمل الروح القدس في التبرير»، الباب الثالث الفصل الثاني.
«الروح القدس في الكنيسة»، الباب الخامس الفصل الأول.

+ بدخول الخطية **تفتَّت الإنسان**، ومزَّقته العداوة؛

+ بدخول النعمة **التحم الإنسان** معاً في المسيح في قداسة وحدة الجسد، وتهيأ بالحب للاتحاد بالله.

والفداء بهذه الصورة، أعلن أن الله نفسه هو مؤسس النعمة، ومدبِّر الحكمة، وصانع البر.
واستعلن ابنه رئيس السلام.
وتحقق أمل كل النبوات في إعلان مسرة الله في بني الإنسان!

ونجمل هذا كله في قول بولس الرسول عن الفداء وكأنه ينشد نشيد الحب الذي برَّح بقلب الآب، فلم يَطِقْ أن يرانا في أسر الموت قعوداً، فأفاض من حبه وغنى رحمته ونعمته ولطفه الفائق، فكان الفداء!!

+ «**الله الذي هو غني في الرحمة، من أجل محبته الكثيرة التي أحبنا بها**، ونحن أموات بالخطايا أحيانا مع المسيح ــ **بالنعمة** أنتم مخَلَّصون! ــ وأقامنا معه وأجلسنا معه في السماويات في المسيح يسوع، ليُظهر في الدهور الآتية **غنى نعمته الفائق، باللطف** علينا في المسيح يسوع.» (أف٢: ٤ــ٧)

هنا في هذه الصورة الحقيقية الواقعية لعمل الفداء، ينتفي كل ما صوَّره كثير من اللاهوتيين عن الله كصاحب دَيْن على الإنسان، يطالب بالدفع ويتحايل لكي يسترضي ذاته بتغريم ابنه وحده! أو كقاضي العدل يطالب بالقصاص، والنقمة في يمينه، ويقع الابن وحده صريع حق العدالة! ويتعذَّب على الصليب.

الفصل الثامن

النتائج المباشرة التي ترتَّبت على الفداء

أولاً ـ المصالحة

إيجابية الله المطلقة:

علاقة الإنسان بالله هي علاقة مخلوق بخالقه، فهي علاقة تبعية. وهي تأتي على مستويات بحسب نظرة المخلوق لخالقه، وأيضاً بحسب نظرة الخالق للمخلوق.

الله قدوس، بمعنى أن الطبيعة الفائقة في سموِّها وإيجابيتها المطلقة ليس فيها شيء مما للخليقة، وذلك من جهة السلبيات. فهو كليّ العلم وكليّ الحكمة وكليّ الصلاح وكليّ الحب وكليّ الرحمة وكليّ العدل أيضاً. فكل ما هو ليس من هذه الصفات غريب عنه ولا يقترب إليه، وإن اقترب يتلاشى. فإيجابية الله فعَّالة كالنور الذي إذا اقتربت إليه الظلمة تلاشت ليبقى النور هو النور بكل كيانه، لا يقلُّ ولا يتبدد ولا يتغير. كذلك فهو كليّ العلم، فكل جهالة خَطَرٌ عليها إن هي اقتربت منه فهو يمحوها، وكذلك الحكمة وبقية صفات الله.

ولكن وراء هذه الصفات المطلقة، هناك القوة الخالقة التي في جوهرها تعطي وتشكّل وتحمِّل، مما يجعل لهذه الصفات المطلقة قدرة أن تقترب هي من خليقتها لتمنحها وجوداً وكياناً أفضل، لذلك قيل أن الإنسان مخلوق على صورة الله. فالله دائم الاتصال بالإنسان ليقرِّبه إليه، حتى تظل الصورة تحاكي أصل كيانها وتمتد فيه إلى الأكثر.

الخطية حالة عداوة لله:

ولكي يجعل الله مجال الاقتراب إليه مفتوحاً من جهته نحو الإنسان، وضع له وصايا إذا تممها زاد اقترابه وزاد تغييره، وبالتالي زاد أخذه لصفات الله ليكون على صورة خالقه. فإذا تعدى هذه الوصايا، أصبح متعدياً على العلاقة التي تربطه بخالقه، فيتوقف الاقتراب ويتوقف التغيير. ولكن

إذا تمادى الإنسان في التعدي، تحوَّل الاقتراب إلى ابتعادٍ وتغرُّب الإنسان عن الله كخالقٍ له، وعن الصورة التي له.

ولكن إذا امتزج التعدِّي بعد ذلك بازدراء الوصية وصاحبها، دخل الإنسان في مجال النفور والصدود وتحوَّل التعدي إلى عداوة، فيتعرّض الإنسان إلى القوة التأديبية حيث تنبري إيجابية الله لتقتصَّ من سالبية الإنسان لتلاشيها: «فقال الرب لموسى مَنْ أخطأ إليَّ أمحوه من كتابي.» (خر٣٢:٣٣)

الخطية هي التعدي على وصايا الله. فالخطية كفعل سالبي مبغوضة لدى الله لأنها تتحدى صفات الله: «أحببتُ يعقوب وأبغضتُ عيسو» (رو٩:١٣). والله يتعامل مع الخطية على درجات تتناسب مع تحدِّيها لصفاته القدوسة. فخطايا السهو ليست كخطايا العَمْد. لذلك جعل الله لخطايا السهو في العهد القديم أعمالاً يقوم بها الإنسان ليصحح بها علاقته مع الله، فأوصى بتقديم الذبائح الحيوانية(١)، فتعددت الذبائح بتعدُّد درجات الخطية من جهة نوع التعدي. أما خطايا العَمْد فلم يجعل الله لها تصحيحاً بل جعل لها عقوبة الموت. لأنه لماذا يعيش من يتحدى صاحب الحياة ومُعْطيها؟ وإن عاش فهو يلوث الصورة التي خُلق عليها ويزداد في تلويثها، وبهذا يتلف قصد الله من خلقته للإنسان أصلاً.

كيف تعاملت إيجابية الله المطلقة مع خطية الإنسان؟

وهكذا يبدو الله عنيفاً كل العنف تجاه الخطية حينما تأخذ صورة التعدي المتعمَّد على وصايا الله. ولكن هذا بحسب الظاهر فقط، أما بحسب الحقيقة، فجوهر صفات الله إيجابي مطلق ليس فيه السلبيات. والحكم بالموت سلبيٌّ قاطع لا يتناسب قط مع إيجابية الله. لذلك فمن خلف عنف الله ضد الخطية وبالتالي الخاطىء الذي يتعدى عامداً وحتى مزدرياً بوصايا الله، تعمل الإيجابية بنشاط في محاولة احتواء الخطية كفعل سالبي والتعامل معها لملاشاتها، حتى يبقى قصد الله من تقريب الإنسان ثابتاً لا يميل ولا يهتز بسلوك الإنسان السلبي والعدائي(٢).

---

(١) أنظر ص٤٠١—٤٠٣.

(٢) هناك صورة لعنف الله السلبي تجاه الخطية والخطاة، وكيف يختفي وراء هذه الصورة عينها الروح الإيجابية. والصورة هي لشعب إسرائيل وهو يتمرد على الله في البرية والرب يعلن سخطه وغضبه، ثم تأتي الأيام فتكشف ماذا كان في قلب الله من حب ورحمة وعطف خلف هذه الصورة عينها ولهذا الشعب عينه.

الصورة: «وقال الرب لموسى حتى متى يهينني هذا الشعب وحتى متى لا يصدقونني. ... **إني أضربهم بالوبأ وأُبيدهم.**» (عد١٤: ١١و١٢)

ما وراء الصورة: «قد ذكرت لك غيرة صباكِ محبة خطبتكِ ذهابك ورائي في البرية...» (إر٢:٢)

لذلك فعنف الله الشديد تجاه الخطية والخاطىء حسب الظاهر، يسنده من الخلف، بحسب قصد الله، خطة الفداء تتبارى فيها صفات الله وطبيعته الإيجابية جميعاً لملاشاة الخطية والاستمرار في تقريب الخاطىء وتغييره لتظل صورته تنمو وتزداد حسب قصد الله الأزلي، ويزداد قُرْبُه إلى الله ويحيا متنعماً بحبه وأُبوّته!!

هنا يمكن أن نأتي إلى الاصطلاحات اللاهوتية لتتعمق معناها بكل سهولة، حيث يمكن أن نستوعب الآن قول بولس الرسول:

+ «ونحن **أعداء** قد **صولحنا** مع الله بموت ابنه.» (رو٥: ١٠)

+ «وأنتم الذين كنتم قبلاً أجنبيين **وأعداء في الفكر في الأعمال الشريرة، قد صالحكم** الآن في جسم بشريته بالموت، ليُحضركم قديسين وبلا لوم ولا شكوى أمامه.» (كو١: ٢١و٢٢)

العجيب هنا أن تجتمع **«العداوة» مع «المصالحة»** تجاه الله، والذي جمعها هو المسيح في موته، حينما حمل طبيعتنا وهي في حالة العداوة مع الله بسبب الخطية المتملّكة فينا والتي شكلت عنصر العداوة المستحكمة مع قداسة الله؛ حمل عداوتنا وجعلها في مواجهة قداسة الله الفعّالة في طبيعته، فقتل العداوة بموته وقام بقداسته حاملاً بشريّتنا وهي في حالة مصالحة مع قداسة الله!!

+ « لأنه هو سلامنا الذي جعل الاثنين واحداً، **ونقض** حائط السياج المتوسط،
أي **العداوة**، مبطلاً بجسده ناموس الوصايا ...
لكي يخلق ... في نفسه **إنساناً واحداً جديداً صانعاً سلاماً**،
ويصالح الاثنين في جسد واحد **مع الله** بالصليب،
قاتلاً العداوة به (بالصليب).» (أف٢: ١٤–١٦)

+ « الآن في المسيح يسوع أنتم الذين **كنتم قبلاً بعيدين، صرتم قريبين بدم المسيح.**» (أف٢: ١٣)

واضح أن الإنسان كان في خطيته في حالة عداوة كحالة قائمة ساكنة بلا رجاء، وذلك شأن السالبية. والتحرك جاء من قِبَل الله، وذلك شأن الإيجابية النشطة الخلاّقة التي تُزكيها كل صفات الله وطبيعته. هذه الحركة يلزم أن ننتبه لها جداً ونقدّرها أشد التقدير ونعتنقها بل نعانقها، ففيها يكمن كل رجاء البشرية ومستقبلها السعيد وخاصة بالنسبة للخاطىء الذي فقد الحركة والقوة على الحركة، وانبطح على الأرض مستغرقاً في يأسه وموته، فهو — وهو بهذا الموت — له من يسعى إليه في السماء بحركة إيجابية يستحيل أن يعوقها عائق مهما كان سلبياً، وهو قادم إليه حتماً ليحمله

على منكبيه. هذا هو الله في كل مواقفه مع الإنسان في كل أزمنة جهله وعناده وعداوته الشكلية التي لم تُعِق الله ولن تعوقه حتى يكمل كمال قصده في صورته التي خَلق.

بولس الرسول طبَّق هذه الصفة الفريدة في الله على شعب إسرائيل الذي أخطأ أشنع خطية إذ رفضوا مسيًّا إسرائيل، وقتلوا مسيح الأمم، بآن واحد، فدخلوا في حالة عداوة متعمَّدة مع الله؛ ولكن بقيت وراء هذه العداوة صورة إيجابية لله بوعودها التي يستحيل أن تسقط من نحو هذا الشعب، يقول بولس الرسول:

+ «من جهة الإنجيل (الذي رفضوه) هم **أعداءٌ** من أجلكم (ليفسحوا الطريق لدخول الأمم)، وأما من جهة الاختيار (الوعد) فهم **أحباء** من أجل الآباء، لأن هبات الله ودعوته هي بلا ندامة.» (رو١١: ٢٨و٢٩)

عجيب حقاً أن يحمل الله **حالة عداوة، وحالة محبة معاً ولشعبٍ مُتَعَدِّ!** أما العداوة فواضح سببها، وأما المحبة فكيف تكون؟ الجواب نراه مختفياً في الآية السابقة: «وهذا هو العهد من قِبَلي لهم، **متى نزعتُ خطاياهم**» (رو١١: ٢٧). فالله وإن أفرزهم وحاصرهم في عداوتهم له، إلاَّ أنه لا يزال يخطط كيف سينزع خطاياهم أيضاً في الوقت المحدد: «وإن كان عدد بني إسرائيل كرمل البحر فالبقية ستخلص» (رو٩: ٢٧)، «إن القساوة قد حصلت جزئياً لإسرائيل، إلى أن يدخل ملؤ الأمم وهكذا سيخلص جميع إسرائيل.» (رو١١: ٢٥و٢٦)

من هذا نفهم أنه يستحيل أن يبقى الله في حالة عداوة للإنسان مهما غالى الإنسان في عداوته لله!! فإيجابية الله حتماً ستبلغ هدفها للمصالحة وتتخطى كل سلبيات الإنسان.

ولينتبه القارىء، فإن العداوة بالنسبة لله تنصبُّ على الخطية وبالتالي على الخاطىء؛ أما المصالحة فهي تنحصر في الخاطىء فقط عندما يخلص من خطيته، لأنه لا تَصالُحَ مع الخطية من جهة الله. لهذا تمتنع المصالحة عن الخاطىء طالما خطيته باقية.

أما بالنسبة للإنسان، فهو يستحيل عليه أن يدرك حقيقة صلاح الله أو يشعر بحاجته الحقيقية للمصالحة طالما هو مُستعبَدٌ للخطية، لأن الخطية تعمي عين الإنسان عن الحق والصلاح. ولكن الخطية يمكن أن تزيِّف حالة صلح كاذب مع الله لكي تبقى وتظل تنخر في عظام الإنسان وحتى لا ينتبه إليها الإنسان أو ينشغل بها: «وهم غير مُرضِين لله وأضدادٌ لجميع الناس، يمنعوننا عن أن نكلم الأمم لكي يخلصوا، حتى يتمموا خطاياهم كل حين؛ ولكن قد أدركهم الغضب إلى النهاية.» (١تس٢: ١٥و١٦)

لذلك، فالمصالحة يلزم أن تكون متبادلة عن حقيقة واحتياج من جهة الإنسان، وعن رؤية شافية لخطورة بقاء الخطية مستترة وراء الإحساس الكاذب بالمصالحة، لئلا يعيش الإنسان في حالة خديعة لا يستيقظ منها إلاَّ بعد فوات الأوان ويكون هذا منتهى قصد العدو.

بدء المصالحة:

المصالحة بدأت كفعلٍ تَغَلْغَل الخليقة كلها وقت أن سُفك دم ابن الله:

+ « لأن فيه سُرَّ أن يحلَّ كل الملء،

وأن يصالح به الكلَّ لنفسه،

عاملاً الصلح بدم صليبه بواسطته،

سواء كان **ما على الأرض أم ما في السموات.** » (كو١:١٩و٢٠)

المبادرة للصلح جاءت هنا من الله كليًّا. وجاءت من نحو الخليقة كلها، والتي يمثلها الإنسان على الأرض. وقد هيأ الله لهذه المبادرة الفاعلية الشاملة، بأن جعل في المسيح كل ملء الكيان الإلهي مع كل النعمة والقوة، ليكون «الإنسان»، **الذي سبق في آدم** أن جلب الغضب والعداوة بالخطية على الإنسان والخليقة؛ ليكون الإنسان أيضاً **«الإنسان في يسوع المسيح»** (١تي٢:٥)، هو الذي يرفع حالة الغضب والعداوة، يرفع سببها الوحيد وهو الخطية، وذلك بقبول حكم الموت الواقع على الإنسان بصورة كلية وشاملة، ليتبرأ الإنسان بيسوع المسيح ومعه الخليقة ويدخل الكل في حالة مصالحة مع الله. وهنا «المسيح» كمُصَالح للكل، يدخل بصفته الخالق للكل والوسيط بين الله والإنسان.

والمسيح لم يصالح الله بالإنسان والعالم كطرف ثالث بين الله والإنسان، بل لأنه ابن الله والإنسان معاً، **لذلك صالح الطرفين معاً في نفسه وبدمه.** صالح الله بالإنسان وصالح الإنسان بالله وبقي مُصالِحاً كما هو، عنصر مصالحة، ــ في ذاته ــ فعَّالاً. فليس بموته وبدمه فقط تمت المصالحة، بل وبقيامته وحياته استمرت وتستمر، بل وترَقَّى لتنتقل من مصالحة إلى خلاصٍ أبدي، ليظل المسيح مصدر تسبيح وتمجيد ومجد للآب بواسطة الإنسان:

+ « لأنه إن كنا ونحن أعداء قد صولحنا مع الله بموت ابنه،

فبالأوْلَى كثيراً ونحن مُصَالَحون نخلص بحياته،

وليس ذلك فقط بل نفتخر أيضاً بالله، بربنا يسوع المسيح الذي نلنا به الآن المصالحة. »
(رو٥: ١٠و١١)

ولكن لكي نفهم مضمون هاتين الآيتين أكثر، ينبغي أن نعود إلى الآيتين السابقتين عليهما:

+ « ولكن الله بيَّن محبته لنا لأنه ونحن بعد **خطاة** مات المسيح لأجلنا،

فبالأَوْلَى كثيراً ونحن **متبرِّرون** الآن بدمه، **نخلص** به من **الغضب**.» (رو٥: ٨و٩)

وفيها ابتدأ بحالنا **كخطاة** (الآية٨)، ثم انتقل إلى حالنا **تحت الغضب** (الآية٩)، ثم انتقل إلى حالنا ونحن **أعداء** (الآية١٠)، وبالمقابل نقلنا من خطاة إلى **متبرِّرين** (الآية٩)، وإلى **مُصَالَحين** (الآية١٠)، ومن تحت **الغضب** (الآية٩) إلى **الخلاص** (الآية١٠). كل ذلك لأن المسيح انتقل من حالة الموت الذي ضمن لنا به الصفح إلى قيامة الحياة الممتدة في الأبدية.

ومن هذا التدرج نتبين الوجهين للفداء: **الوجه السلبي** «الفداء بالموت وسَفْك الدم»، **والوجه الإيجابي** «بالقيامة واستعلان الحياة الأبدية فيه».

ولكن تأتي (الآية١١) كتاج يعلو فوق هامة الآيات جميعاً حيث لا يكتفي بولس الرسول بأن نكون مُصالَحين ومُخلَّصين بموت المسيح وحياته كنتيجة مباشرة للفداء الذي أكمله، بل يزيد عليها فعلاً من أفعال الفداء والخلاص جدّ خطير وجديد على أسماعنا، وهو استعلان الفداء والخلاص بتسبيح الإفتخار بالله والمسيح!! فتمجيدنا لله والمسيح هو تكميل عمل الخلاص — من جهتنا — الذي سيدوم معنا إلى الأبد، وهذه هي الرابطة التي تربطنا منذ الآن بالسمائيين في خورس واحد لإقامة ليتورجيا مشتركة دائمة على الأرض وفي السماء.

ولكن ليس على الإنسان بَعْدُ، أن يقدِّم واجبات التصالح، ولكن عليه فقط أن يقبل صلح الله له في شخص ابنه. لقد أوقف الله كل مآخذه على الإنسان، لقد رفعها المسيح جميعاً مستخدماً بشريتنا في تقديمها، فالمصالحة تمت فينا وبنا وانتهت إلينا. ومرة أخرى نوضح أن المصالحة آتية من الله الآب رأساً ومنتهية فينا، والمسيح هو العامل الوحيد الذي أكملها. فالمسيح هو عامل مصالحة لحساب الله، ولكننا نحن الذين تقع علينا المصالحة ونحن المستفيدون منها. الله رفع بواسطة المسيح كل معوِّقات المصالحة وكل العداوة السابقة. هذا العمل هو في حقيقته تكريم كبير للإنسان، له أن يفتخر به، ولكن ليس في نفسه بل يفتخر به في الله شاكراً المسيح الذي أكمله لنا.

خدمة المصالحة:

+ « ولكن الكل من الله الذي **صالحنا** لنفسه بيسوع المسيح،

وأعطانا **خدمة المصالحة**،

أي إن الله كان في المسيح **مُصالِحاً** العالم لنفسه،

غير حاسب لهم خطاياهم،
وواضعاً فينا كلمة **المصالحة**،
إذاً نسعى كسفراء عن المسيح كأن الله يعظ بنا،
نطلب عن المسيح: **تصالحوا مع الله!**» (٢ كو٥: ١٨—٢٠)

بولس الرسول هنا من واقع محاجاته السابقة على هذه الآيات يوضح أن كل علاقة الإنسان الجديدة بالله لم تأتِ من تسلسل بشري ولا نبوي، حتى يكون للإنسان ضلع فيها، بل يؤكد أن كل ما تم من مصالحة جاء رأساً من الله عن طريق المسيح وبواسطته. وقد صارت البشرية كلها بذلك خليقة جديدة متساوية في الجدّة، وكل العتيق الذي من العهد القديم انتهى بكل مواريثه المتسلسلة:

+ « إذاً، إن كان أحد في المسيح (بالروح) فهو خليقة جديدة (ليس بحسب الجسد تفكر وترى)،
الأشياء العتيقة قد مضت (الفكر بحسب الجسد لأمور العهد القديم)،
هوذا الكل قد صار جديداً. » (٢ كو٥: ١٧)

وإلى هنا يكون بولس الرسول قد مهّد لنفسه أن الكل بعد أن تصالح مع الله صار خليقة جديدة، ولكن ميَّز الله الرسل بميزة واحدة وهي أن يكرزوا بالمصالحة ويخدموا هذه النعمة الجديدة، أي المصالحة كما خدمها المسيح. فالرسل يُعْتَبرون جميعاً وعلى التساوي خُدَّام المصالحة، كمجرد سفراء عن المسيح لتكميل خدمة المسيح، حاثِّين المؤمنين أن **يقبلوا الصلح مع الله!**

وهكذا سارت المصالحة على هذه الدرجات:

(أ) الله أراد حسب مسرَّة مشيئته أن يصالح العالم — عالم الإنسان — لنفسه.

(ب) اختار المسيح — الابن المتجسد — **أن يقوم بعملية المصالحة في جسم بشريتنا بصورة مطلقة، برفع عائق المصالحة وهي الخطية من جذورها بصفة مطلقة، فلا تعود خطية قط تُعيق حالة الصلح.**

(ج) اختار الله الرسل، ليستلموا بالنعمة من المسيح وبواسطته ليخدموا المصالحة، بقوة الكلمة بالروح. ولا امتياز لرسول عن رسول، فالكل أخذ المصالحة من المسيح وأخذ خدمة المصالحة من الله.

(د) دعوة المؤمنين أن يقبلوا هذه المصالحة باعتبارها آتية من الله رأساً وبواسطة المسيح، الذي بروحه ونعمته يخدمون، على أساس أن الله «**غير حاسب لهم خطاياهم**»، وهذه هي

أخطر وأقوى كلمة في خدمة المصالحة!! وهذا هو محور الإيمان بالمسيح والله وقلب المسيحية النابض.

وطبعاً، إيمانٌ مثل هذا هو الذي يورِّث كل طبيعة الخليقة الجديدة والحياة بالروح وليس بالجسد، لأن تحوُّل الله من ديَّان للإنسان بسبب عائق الخطية، إلى مُصالِح بسبب رفع عائق الخطية، يتحتم أن يقابله تحوُّل الإنسان من حالة العداء المتحكم مع الله بسبب الخطية المتسلطة، إلى **حالة استعداد بقبول حالة المصالحة** مع الله، **على أساس قبول نعمة الله بالإيمان** بيسوع المسيح الذي ألغى سلطان الخطية الذي سيطر على الإنسان واستعبده وأفسده.

أي أن قبول الصلح مع الله من يد المسيح كوثيقة مُمضاة بدمه، يتحتم أن يكون في مقابل الإيمان الواثق بدم المسيح لقبول النعمة التي لها سلطان رفع الخطية وإبطالها من الجسد: «لأنكم بالنعمة مُخلَّصون بالإيمان وذلك ليس منكم هو عطية الله.» (أف ٢: ٨)

+ حينما يحس الإنسان إحساساً واقعياً في أعماقه أن سلطان الخطية قد أُبطل فيه بالنعمة، فإنه يحس في الحال بالمصالحة مع الله!

+ هذا الإحساس الواقعي بالإيمان يأخذ قوته وواقعيته حينما يدرك الإنسان أن قوة المصالحة وعطيتها قد تمت له بالفعل **حتى قبل أن يفكر فيها**، وذلك في جسد المسيح الذي أكمل به رفع الخطية وأكمل بذلك حالة المصالحة العامة للبشرية في جسم بشريته، **أي دون مبادرة من الإنسان أو سعي!**

+ «**وأن يصالح به الكل** لنفسه عاملاً الصلح **بدم صليبه.**» (كو ١: ٢٠)

+ «ويصالح الاثنين (يهوداً وأمماً) في جسد واحد مع الله **بالصليب، قاتلاً العداوة به.**» (أف ٢: ١٦)

بمعنى أن الإنسان يدخل بالفعل في حالة مصالحة مع الله ــ والآخرين ــ بالإيمان.

والإيمان قائم على عملٍ للمصالحة شاملٍ أكمله الله تماماً بالمسيح ــ على مستوى عالم الإنسان ككل ــ وصار جاهزاً لقبوله بالإيمان مجاناً.

ثانياً ــ إبطال عوائق المصالحة

١ ــ **الخطية**، (والموت التابع لها).
٢ ــ **الناموس**.

١ ــ الخطية

الله إذ أحب الإنسان، صمم في نهاية زمان تأديبه وهو واقع تحت وصاية الناموس الذي كان يمثل زمان شقائه وتغرُّبه عن الله، أن يرفع سلطان الخطية من طبيعة الإنسان التي أشقته وغرَّبته عن الله:

+ « **لأن ناموس روح الحياة في المسيح يسوع قد أعتقني من ناموس الخطية والموت،**
لأنه ما كان الناموس عاجزاً عنه في ما كان ضعيفاً بالجسد،
فالله إذ أرسل ابنه في شبه جسد الخطية ولأجل الخطية **دان الخطية في الجسد**.» (رو٨: ٢و٣)

«دان الخطية»:

يعني حكم عليها بالموت، ولكن ليس معنى هذا أن الله أعاد للإنسان ما فقده آدم بسبب الخطية وحسب، وإلاَّ يكون الإنسان في وضع يمكن السقوط منه ثانية في نفس الخطية والوقوع تحت حكم الموت من جديد.

ولكن الله عوض أن يردَّنا إلى طبيعة آدم الأُولى، أعطانا درجة أعلى بما لا يمكن أن يتصوره الإنسان.

فالله عوض أن يلغي حكم الموت عن طبيعة الإنسان وحسب،
أعطانا في طبيعتنا عدم الموت!!

+ والله عوض أن يُبطل الشهوات وسطوة الغرائز التي يستخدمها الشيطان ليغوي من خلالها الإنسان لاقتراف أشنع الخطايا، أعطانا قوة الغلبة عليها مع كل مجازاة النصرة وإكليلها!!
«الذين هم للمسيح قد صلبوا الجسد مع الأهواء والشهوات.» (غل٥: ٢٤)

+ الجسد ميت بسبب الخطية ويسير نحو الموت الطبيعي،
«إذاً لا تملكنَّ الخطية في جسدكم المائت لكي تطيعوها في شهواته.» (رو٦: ١٢)

فلم يَعُد يحيا بالخوف تحت حكم الشيطان الذي له سلطان الموت، بل ينتظر قيامة أبدية للمجد والغلبة.

+ نحن نتعارك مع الجسد وننازعه في شهواته،
ولكن لسنا عبيداً تحت سلطانه! إذ نستمد وجودنا من فوق.

+ الشر وميوله الشريرة تقتحمنا وتصطنع فينا حرباً،
ولكن لنا السيادة عليها بأدوات للحرب أمْضَى!

«لأن ناموس روح الحياة في المسيح يسوع قد أعتقني من ناموس الخطية والموت.» (رو٨:٢)

+ فلا الخطية تُخضعنا رغماً عنا،
لأن قوة النعمة ماسكة بإرادتنا!

+ ولا الموت (الأبدي) قادر أن يقترب إلينا، فدم المسيح وفيه الحياة الأبدية هو داخلنا. وقد دخلنا في التأمين على أرواحنا بالروح القدس الساكن فينا.

«... القصد والنعمة التي أُعطيت لنا في المسيح يسوع قبل الأزمنة الأزلية، وإنما أُظهرت الآن **بظهور مخلِّصنا يسوع المسيح، الذي أبطل الموت وأنار الحياة والخلود بواسطة الإنجيل.**» (٢تي١: ٩و١٠)

ولينتبه القارىء:
الموت أبطله المسيح على الصليب ــ وبصورة علنية ــ عندما قام حيًّا بجسد بشريتنا!

فالموت لم يَعُد موتاً لنا بل باباً للحياة الأبدية.

وبالأكثر لم يعد الموت يفصلنا عن المسيح: «من سيفصلنا عن محبة المسيح؟ ... لا موت ولا حياة ...» (رو٨: ٣٥و٣٨)، «فإن عشنا وإن متنا فللرب نحن.» (رو١٤:٨)

الموت الآن يعدُّنا للقيامة،

وعندما تأتي القيامة ينتهي الموت: «آخر عدو يُبطَل هو الموت» (١ كو١٥:٢٦). الموت يعمل فينا الآن على مستوى الجسد فقط، على مستوى ما عملت الخطية في جسد المسيح، فالمسيح مات بالخطية ونحن الآن نموت معه بذات الجسد. ولكن المسيح قام من الموت وأعطانا الآن القيامة بالروح من الموت لنحيا بالروح حتى وإن كان الجسد مُماتاً!!

نحن الآن نموت بالجسد ولكن نحيا بالروح معاً وبآن واحد، نموت بإرادتنا ونحيا بنعمة المسيح:

+ «عالمين هذا أن **إنساننا العتيق قد صُلب معه ليُبْطَل جسد الخطية.**» (رو٦:٦)

+ «الذين هم للمسيح قد صلبوا الجسد مع الأهواء والشهوات.» (غل٥:٢٤)

+ «**وإن كان المسيح فيكم فالجسد ميت بسبب الخطية، وأما الروح فحياة بسبب البر.**» (رو٨:١٠)

+ «فإن كنا قد متنا مع المسيح نؤمن أننا سنحيا أيضاً معه.» (رو٦:٨)

واضح إذاً أن الموت الذي يعمل فينا الآن هو موت جسديٌّ فقط بالنسبة للجزء الذي فسد فينا، استعداداً للقيامة حيث يلبس عدم الفساد:

+ «لأن هذا الفاسد لا بد أن يلبس عدم فساد وهذا المائت يلبس عدم موت» (١كو١٥:٥٣). أي لا بد أن نتخلص من الجزء الفاسد فينا لكي نلبس المجد.

+ «الذي سيغير شكل جسد تواضعنا (الفاسد) ليكون على صورة جسد مجده بحسب عمل استطاعته أن يُخضع لنفسه كل شيء.» (في٣:٢١)

أنظر أيها القارىء وتفهَّم: لو كان المسيح مات عنا كدافع للدين، أو مات «**ليسترضي وجه الله عنا**» كمن وقعت عليه عقوبة الموت عوضاً عنا، ما كنا نتعرض للموت الآن قط، لأنه طالما هو دفع الدين عنّا فلماذا تبقى علينا بقايا ديون؟ وطالما هو تلَقَّى كل عقوبة الموت عنا ليسترضي وجه الله فبرَّأنا، فلماذا تبقى العقوبة إلى الآن ونموت؟

ولكن الحقيقة أن المسيح مات **لأجلنا** ὑπέρ بالجسد أي ببشريتنا، وجازت معه بشريتنا الموت عن الخطية **فرفع عنها عقوبة الموت روحيًّا وليس جسدياً، لأن الموت جسدياً ساد على المسيح فكيف لا يسود علينا جسدياً؟**

ولكن كما أن الموت لم يَسُدْ على المسيح لأنه لم يمُتْ كخاطىء ليبقى في الموت ولكن كحاملٍ للخطية فقط وقد نفضها عنه بالموت، كذلك قام بعدها بالجسد والروح وبمجد لاهوته.

وهكذا لن يسود الموت علينا **روحياً**، فنحن بانتظار القيامة بعد موت الجسد.

«لأن الذي مات قد تبرأ من الخطية» (رو٦:٧) سواء بالإيمان أو المعمودية!! لذلك: «**لا شيء من الدينونة** الآن على **الذين هم في المسيح** يسوع.» (رو٨:١)

وهذا يوضحه القديس يوحنا في إنجيله وبفم المسيح هكذا:

+ «إن مَنْ يسمع كلامي ويؤمن بالذي أرسلني فله حياة أبدية ولا يأتي إلى دينونة بل **قد انتقل من الموت إلى الحياة.**» (يو٥:٢٤)

٢ ــ الناموس

ليعلم القارىء أن الناموس، بسلطانه الذي تغلغل في وعي الشعب اليهودي وفي حياته وأخلاقه وسلوكه ومعاملاته وعبادته ١٥٠٠ سنة، كان أعقد مشكلة واجهت اليهودي الداخل إلى المسيحية، كما كان أصعب عقبة بالنسبة للأممي الذي بدأ يتعرَّف على المسيح بواسطة الرسل اليهود أصلاً والذين أرادوا بتهويده أولاً!

أما بالنسبة لليهود الداخلين إلى المسيحية، فظل الناموس محتفظاً بهيبته وسلطانه في تقديس السبت والختان وحفظ المواسم والأعياد والعادات اليهودية كما هي وأُضيفت المسيحية إليها.

وبولس الرسول هو الوحيد من بين الرسل الذي أدرك انتهاء سلطان الناموس بمجيء المسيح وموته على الصليب، **وذلك حينما دعاه الله لبشارة الإنجيل بين الأمم**، فكرز بإنجيل المسيح بدون ناموس ولا سبت ولا ختان ولا أعياد يهودية ولا عادات ولا تعاليم فرِّيسية، هي من وصايا الناس، وإليك تعاليمه:

احترام بولس الرسول للناموس:

لم يكن موقف بولس الرسول من الناموس في حد ذاته يشوبه أي ازدراء أو تحدٍّ، بل كان يقيِّمه من واقع حدود ضرورته وصلاحيته ومدى فاعليته. فهو يعلن أولاً مدى احترامه له:

+ «إذاً الناموس مقدَّس والوصية مقدسة وعادلة وصالحة.» (رو٧: ١٢)
+ «فإننا نعلم أن الناموس روحيٌّ، وأما أنا فجسديٌّ مَبيعٌ تحت الخطية.» (رو٧: ١٤)
+ «فإن كنت أفعل ما لست أريده فإني أُصادق الناموس أنه حسن.» (رو٧: ١٦)
+ «فإني أُسَرُّ بناموس الله بحسب الإنسان الباطن.» (رو٧: ٢٢)

وأقوال بولس الرسول هذه تأتي مُطابقة لأقوال المسيح:

+ «لا تظنوا أني جئت لأنقض الناموس أو الأنبياء، ما جئت لأنقض بل لأُكمِّل، فإني الحق أقول لكم: إلى أن تزول السماء والأرض لا يزول حرف واحد أو نقطة واحدة من الناموس **حتى يكون الكل.**» (مت٥: ١٧و١٨)
+ «وإذا ناموسيٌّ قام يجرِّبه (المسيح) قائلاً: يا معلم ماذا أعمل لأرث الحياة الأبدية؟ فقال له: ما هو مكتوب في الناموس كيف تقرأ؟ فأجاب وقال: تحب الرب إلهك من كل قلبك ومن كل نفسك ومن كل قدرتك ومن كل فكرك وقريبك مثل نفسك. فقال له بالصواب

أجبت، افعل هذا فتحيا.» (لو١٠: ٢٥—٢٨)

+ «على كرسي موسى جلس الكتبة والفريسيون، فكلُّ ما قالوا لكم أن تحفظوه وافعلوه، ولكن حسب أعمالهم لا تعملوا لأنهم يقولون ولا يفعلون.» (مت٢٣: ٢و٣)

هكذا نرى أن عقيدة بولس الرسول متوافقة مع نظرة المسيح للناموس من جهة أنه يوفي بالغرض الذي وُضع من أجله. ولكن نجد المسيح يعود ويقطع بأن الناموس وُضع لزمن محدود كان فيه الناموس كافياً لتأديب الشعب، ولكن حينما بدأ المسيح يعلِّم انتهى هذا الزمن وبدأ الزمن الجديد الذي لم يَعُدْ الناموس يصلح له، بل يتحتم على الناموس أن ينسحب كما انسحب المعمدان ممثِّلاً للنبوة بأكملها. ويقول المسيح في إنجيل القديس متى (الأصحاح الخامس):

+ «قد سمعتم أنه قيل للقدماء (الناموس) لا تقتل ... وأما أنا فأقول لكم ...»
+ «قد سمعتم أنه قيل للقدماء (الناموس) لا تزْنِ ... وأما أنا فأقول لكم ...»
+ «أيضاً سمعتم أنه قيل للقدماء (الناموس) لا تحنث ... وأما أنا فأقول لكم ...»
+ «سمعتم أنه قيل (في الناموس) عينٌ بعين وسنٌّ بسنٍّ ... وأما أنا فأقول لكم ...»
+ «سمعتم أنه قيل (في الناموس) تحب قريبك وتبغض عدوَّك ... وأما أنا فأقول لكم ...»

ثم بدأ المسيح يضع في مقابل كل وصايا الناموس وصايا جديدة كلها على أعلى مستوى من الروحانية لتتناسب مع الحياة الجديدة التي زرعها الرب في طبيعتنا والتي بها نؤهَّل لميراث السموات. وبذلك يكون المسيح قد أكمل عجز الناموس وجَبَرَ نقصانه، **ثم استودعه لماضيه، وحبسه في دائرة القدماء الذين وُضع لأجلهم.**

وكان هذا هو عين التعليم الذي علَّم به بولس الرسول.

ولكن بولس الرسول ابتدأ أولاً يشرح الأسباب التي من أجلها وضع الله الناموس بيد موسى، ومن واقع هذه الأسباب انتهى إلى أن الناموس أكمل مهمته التي وُضع من أجلها، ولكن بولس الرسول برّهن بما لا يدعو للجدل أن الناموس عجز عجزاً كاملاً عن معالجة خطية الإنسان.

ولأن المسيح جاء خصيصاً لمعالجة خطية الإنسان وإبطال مفعولها، تحتَّم على الناموس أن يعطي مكانه للمسيح وينسحب. وإليك هذه الخطوات:

لماذا وضع الله الناموس بيد موسى؟

أوضح بولس الرسول أن الناموس وُضع بالأساس لكي ينبه حاسة الضمير عند الإنسان بوجود حدود حاسمة وفاصلة لله في حياته يتوجب عليه أن لا يتعدَّاها، فوضع له الوصايا العشر وما تفرَّع

منها، باعتبارها الحدود الفاصلة بينه وبين الله لا يتعدَّاها، فإذا تعدَّاها وَجَب عقابه. وهكذا باختصار، بدأ الناموس يوقظ ضمير الإنسان من جهة التعدِّي، وسَمَّى الله التعدِّي «خطية» بمعنى أنه أخطأ السلوك وتعدَّى حدود الله:

+ «لم أعرف الخطية إلاَّ بالناموس، فإنني لم أعرف الشهوة لو لم يقل الناموس لا تشتهِ.» (رو٧:٧)

+ «فلماذا الناموس؟ قد زيدَ (زيد على الموعد الأول لإبراهيم) بسبب التعديات (الخطايا).» (غل٣:١٩)

+ «وأما الناموس فدخل لكي تكثر (معرفة) الخطية ...» (رو٥:٢٠)

وبولس الرسول يصوِّر نفسه كإنسان فيما قبل مجيء الناموس، أو كصبي قبل أن يتعرف على الناموس هكذا:

«أما أنا فكنت بدون الناموس عائشاً قبلاً، ولكن لما جاءت الوصية (التي حددت أنواع الخطايا التي لم تكن تُعرف سابقاً أنها خطايا، وقالت أن هذه الخطايا إن فعلتها يُحكم عليك بالموت)، عاشت الخطية (التي لم تكن قبلاً معروفة) فمُتُّ أنا (الذي كنت قبلاً عائشاً).» (رو٧:٩)

وهكذا ينتهي بولس الرسول بالقول بأن جهاده في تكميل أعمال الناموس الذي يبغي من ورائه الحياة كما يقول الناموس: «الذي يفعلها سيحيا بها» (رو١٠:٥)، انتهى به إلى أن الذي لا يعملها يموت!! فقال قولته المرَّة: «فوُجدت الوصية التي للحياة هي نفسها لي للموت» (رو٧:١٠). وطبعاً لم يلتقط بولس الرسول السبب مباشرة، فالسبب ليس الخطية، كما يقول، ولكن غياب النعمة، لأن بغياب النعمة فينا وفي الناموس يصير الصالح لنا طالحاً، وهذا لكي تنفتح أعيننا ونطلب النعمة وننتظرها، التي جاء المسيح وأعطاها، فكمَّل بها الناموس الذي كان ينقصها: «لأنكم بالنعمة مُخلَّصون (قد خَلُصْتُم) بالإيمان، وذلك ليس منكم هو عطية الله ليس من أعمال ...» (أف٢: ٨و٩). وينتهي بولس الرسول إلى حقيقة مُبْكية حقاً، وهي كيف استخدمت الخطية الناموس الإلهي لموتي!! «لأن الخطية وهي متخذة فرصة بالوصية خدعتني بها (بالوصية) وقتلتني»!! (رو٧:١١) مع أن الناموس إلهيٌّ والوصية روحية ومقدسة. والمعنى واضح أن الخطية قبل الناموس وقبل الوصية لم يكن لها وجود ولا أي سلطان عليَّ، ولكن لما ظهر الناموس تسلَّحت الخطية بالناموس ورفعت سيفه على رقبتي!

كل هذا بعلم الله وتدبيره حتى يكتشف الإنسان الخطية ويكتشف أن الناموس الذي وضعه

الله كان لتأديب الإنسان وتعريفه بضعفه الشديد وحاجته إلى مخلِّص حقيقي: «**إذاً، قد كان الناموسُ مؤدِّبنا إلى المسيح** لكي نتبرر بالإيمان، ولكن بعد ما جاء الإيمان لسنا بعد تحت مؤدِّب، لأنكم جميعاً (يهوداً وأمماً مؤمنين) أبناء الله بالإيمان بالمسيح يسوع.» (غل٣: ٢٤—٢٦)

وبولس الرسول في تقييمه للناموس كمؤدِّب بواسطة الأحكام التي يضعها على الخاطىء وفي نفس الوقت لا يستطيع أن يُبَرِّىء، يوضح أن أعمال الناموس ليست كافية أن تبرر الإنسان أمام الله. وهو في هذا لا يعارض نفسه حينما يقول عن نفسه بخصوص سيرته في اليهودية: «من جهة البر الذي في الناموس بلا لوم» (في٣:٦)، لأن بولس الرسول بعد أن دخل الحياة الروحية التي في المسيح أدرك أن ترضية الناموس بالأعمال لنوال برِّ الناموس إنما هي بحسب ظاهر الأعمال بمجرد تتميمها حرفياً، ولكن يبقى الضمير يصرخ ويئن بسبب أن للخطية قدرة على تلويث الضمير وليس الجسد فقط. والناموس لا يطهِّر الضمير ولا يتعامل معه، إنما يتعامل مع الأعمال وتتميمها لطهارة الجسد وحسب.

لذلك يقول، بعد أن أدرك عمق نعمة المسيح وقدرة دمه لرفع الخطية وكل آثارها الداخلية في النفس والضمير بدون أعمال: «لأنه إن كان دم ثيران وتيوس ورماد عِجْلَةٍ مرشوشٍ على المنجَّسين يقدِّس إلى طهارة الجسد، فكم بالحري يكون دم المسيح الذي بروح أزلي (لاهوت) قدَّم نفسه لله بلا عيب **يطهِّر ضمائركم من أعمال ميتة** (أعمال الخطية) لتخدموا الله الحي.» (عب٩: ١٣و١٤)

الناموس أكمل مهمته:

وبذلك يكون الناموس قد وُضع ليكشف طبيعة الخطية وأصنافها ويوقظ ضمير الإنسان تجاهها حتى إلى درجة الرعبة، لأن وراء الخطية وَضَعَ الناموس عقوبات بلا رحمة: «مَنْ خالف ناموس موسى فعلى شاهدين أو ثلاثة شهود يموت بدون رأفة» (عب١٠:٢٨). وبناءً على ذلك يكون الناموس قد أدَّى مهمته خير أداء، فبالوصايا وضع الحدود، ليكشف عنصر التمرد والخطية في الإنسان، ثم وقَّع العقوبة بأعنف شدَّة حتى تخطَّ الخطية في شعور الإنسان وضميره خطوطها المرعبة: «لكي تصير الخطية خاطئة جداً بالوصية» (رو٧:١٣)، ويستصرخ من سطوة الخطية في جسده وأعضائه:

+ «لست أفعل ما أُريده، بل ما أُبغضه فإياه أفعل. فإن كنت أفعل ما لست أريده، فإني أُصادق الناموس (الوصية) أنه حسن. فالآن لست بعد أفعل ذلك أنا بل الخطية الساكنة فيَّ...

ويحي أنا الإنسان الشقي! مَنْ ينقذني من جسد هذا الموت.» (رو٧: ١٥—١٧و٢٤)

عجز الناموس:

واضح أنه إلى هنا، أي إلى حد كشف الخطية ومحاصرتها في ضمير الإنسان، وقف الناموس عاجزاً عجزاً فاضحاً لا يستطيع أن يعطي أي علاج للخطية؛ بل يرفع سيف القصاص والموت وحسب!

والسبب في ذلك كنا قد ألمحنا إليه (ص٢٣٣—٢٣٥)، وهو أن آدم ورّثنا طبيعة عارفة للخير والشر، ولكن غير قادرة للإنحياز للخير، لأنها فاقدة لنعمة الله ومحرومة من برّه وبالتالي مهيأة تماماً لإيحاءات الشيطان لاقتراف أي خطية، وحاملة حكم الموت بالضرورة. وهكذا عاش الإنسان من آدم إلى موسى بدون ناموس أي بدون وصايا، لذلك لم يُحسَب أنه أخطأ بشبه تعدِّي آدم إذ لم يكن عليه وصايا فيتعداها أو يكسرها: «إذ حيث ليس ناموسٌ ليس أيضاً تعدٍّ» (رو٤: ١٥)، ولكنه لم يكن مبرَّراً؛ بل واقعاً تحت حكم الموت. فلما أعطى الله موسى التوراة، أي الناموس والوصايا، واجهها الإنسان لشديد الأسف بدون أسلحة، فهو كائن في طبيعة فاقدة للنعمة ومحرومة من برِّ الله. فكان عليه أن يجاهد ويعمل بمقتضى وصايا الناموس حتى يتبرر بأعمال الناموس. ولكن عجز الإنسان عن أن يكمل الناموس أو أن يثبت فيه أو يتمم وصاياه: «لأن جميع الذين هم من أعمال الناموس هم تحت لعنة، لأنه مكتوب **ملعون كل مَنْ لا يثبت في جميع** ما هو مكتوب في كتاب الناموس ليعمل به.» (غل٣: ١٠)

وبطرس الرسول يعترف عن نفسه وعن آبائه أنهم فشلوا في تتميم وصايا الناموس وبالتالي صاروا بلا رجاء؛ بل وتحت لعنة بانتظار الخلاص:

+ «لماذا تجرِّبون الله بوضع نير (الناموس) على عنق التلاميذ (المؤمنين من الأمم) لم يستطع آباؤنا ولا نحن أن نحمله.» (أع١٥: ١٠)

+ «ولكن إسرائيل وهو يسعى في أثر ناموس البر لم يدرك ناموس البر. لماذا؟ لأنه فعل ذلك ليس بالإيمان؛ بل كأنه بأعمال الناموس...» (رو٩: ٣١و٣٢)

+ «لأنه بأعمال الناموس، كلُّ ذي جسد لا يتبرر أمامه لأن بالناموس معرفة الخطية.» (رو٣: ٢٠)

وقول المسيح يؤكد ذلك:

+ «كذلك أنتم أيضاً متى فعلتم كل ما أُمرتم به (من الناموس) فقولوا إننا عبيد بطالون لأننا إنما عملنا ما كان يجب علينا.» (لو١٧: ١٠)

+ «لأنه ما كان الناموس عاجزاً عنه في ما كان ضعيفاً بالجسد ... لأجل الخطية ...» (رو٨: ٣)

وبذلك ننتهي إلى حقيقة مذهلة، وهي أن الناموس جعل الوصايا محكاً لكبرياء الإنسان وعتوّه، وكشف محاولته تأليه نفسه وهي الخطية الأُولى التي جرَّت على آدم الشقاء والبلاء والفناء بحسب مشورة الشيطان:

+ «فقالت الحية للمرأة: لن تموتا بل الله عالم أنه يوم تأكلان منه تنفتح أعينكما **"وتكونان كالله"** عارفَيْن الخير والشر. فرأت المرأة أن الشجرة (الفكرة) جيدة.» (تك٣: ٤-٦)

وبولس الرسول في قوله عن المسيح: «الذي إذ كان في صورة الله **لم يحسب خلسة أن يكون معادلاً لله**» (في٢: ٦)، إنما يضع المقابلة مع آدم الذي قَبِلَ مشورة الشيطان أن يكون **«كالله»** على وجه السرقة والاختطاف وعن طريق التعدي ليحصل على ما للاهوت، مكملاً القول: «... لكنه أخلى نفسه آخذاً صورة عبد صائراً في شبه الناس. وإذ وُجِدَ في الهيئة كانسان وضع نفسه وأطاع حتى الموت موت الصليب» (في٢: ٧و٨). ثم يضع بولس الرسول المقابلة النهائية كيف سقط آدم وفقد درجته أمام الله وانطرح على الأرض ينحني ويعبد الحيوانات والحجر والشجر، وبين المسيح الذي: «رفَّعه الله أيضاً وأعطاه اسماً فوق كل اسم لكي تجثو باسم يسوع كل ركبة ممَّن في السماء ومَنْ على الأرض ومن تحت الأرض.» (في٢: ٩و١٠)

وهذا العنصر الذي هو التأليه الذاتي الذي انبثَّ في طبيعة الإنسان، أذلّته الوصايا التي أشعرته بعجزه، وحطّمه الناموس الذي أدّبه بعصا من حديد، حتى شعر الإنسان بحقيقة وضعه بالنسبة لله كمتعدٍّ، وكيف أن الخطية سادت عليه واستعبدته وصار بالحقيقة عبداً للخطية. هكذا نجح الناموس في أن يغلق على الجميع في دائرة العصيان.

+ «لأنه بأعمال الناموس، **كلُّ ذي جسد لا يتبرر أمامه** لأن بالناموس معرفة الخطية.» (رو٣: ٢٠)

+ «لكن الكتاب (الناموس) **أغلق على الكل تحت الخطية**، ليُعطى الموعد من إيمان يسوع المسيح للذين يؤمنون.» (غل٣: ٢٢)

+ «**لأن جميع الذين هم من أعمال الناموس هم تحت لعنة**. لأن مكتوب: ملعون كل مَنْ لا يثبت في جميع ما هو مكتوب في كتاب الناموس ليعمل به.» (غل٣: ١٠)

وواضح أنه ما من إنسان قط استطاع أن يعمل كل الناموس، خاصة وأنه قال بأن مَنْ أخطأ

في واحدة فقد أخطأ في الكل: «لأن مَنْ حَفِظ كل الناموس وإنما عثر في واحدة فقد صار مجرماً في الكل.» (يع ٢: ١٠)

وهكذا ثبت ثبوتاً قاطعاً أنه لا رجاءَ في الخلاص من الخطية، ولا شفاءَ من سُمِّها القاتل، ولا حياة من وراء الناموس؛ بل الحكم بالدينونة واللعنة والموت بلا رجاء:

+ «في الإيمان مات هؤلاء أجمعون، وهم لم ينالوا المواعيد بل من بعيد نظروها وصدَّقوها وحيَّوها.» (عب ١١: ١٣)

والآن وقد ثبت أن الناموس عجز عن أن يبرر الإنسان أمام الله، تحتم أن يأتي برُّ الله من فوق:

+ «وأما الآن فقد ظهر برُّ الله (بالمسيح) بدون الناموس (الإنجيل) مشهوداً له من الناموس والأنبياء، برُّ الله بالإيمان بيسوع المسيح إلى كل وعلى كل الذين يؤمنون، لأنه لا فرق، إذ الجميع أخطأوا (يهودٌ وأُممٌ) وأعوزهم مجد الله.» (رو ٣: ٢١–٢٣)

وأخيراً، ظهرت النعمة التي فقدها آدم، وعاد إليه برُّ الله مجاناً إنما برحمة الله وبثمن باهظ كلَّف الله دم ابنه على صليب العار ليمحو عار الإنسان ويصفح عن كل الخطايا السالفة:

+ «متبرِّرين مجاناً بنعمته بالفداء الذي في يسوع المسيح ἐν Χριστῷ ، الذي قدَّمه الله كفَّارة بالإيمان بدمه **وذلك** لإظهار برِّه من أجل الصفح عن الخطايا السالفة بإمهال الله، **لإظهار برِّه** في الزمان الحاضر **ليكون باراً، ويبرِّر مَنْ** هو من الإيمان بيسوع.» (رو ٣: ٢٤–٢٦)

مجيء المسيح يكمِّل ما عجز عنه الناموس:

+ «ما جئت لأنقض بل لأُكمِّل.» (مت ٥: ١٧)

المسيح لم ينقض الناموس؛ بل أكمله بالفعل، فالمسيح جعل للناموس معنى بل وقيمة بموته لما أكمل عقوبته. والذي أصبح يفصل بولس الرسول وهو في المسيح عن باقي اليهود هو أن بولس الرسول وجد في المسيح وحده منتهى كمال الناموس، حتى أصبح لا قيمة للناموس بدون المسيح. إذ بينما ينتهي الناموس عند عقوبة الموت، وجد بولس الرسول أن المسيح بعد أن أكمل عقوبة الموت قام من الموت وأعطى الحياة. لهذا انتهى قصد الله من الناموس ـــ من جهة تأديب الإنسان ـــ بموت المسيح ليبدأ قصد الله بالمسيح لإعطاء الحياة.

ولقد اكتشف بولس أنه بمجرد أن استُعلِنَ له المسيح ـــ وهو في طريقه إلى دمشق ليقتل المؤمنين بالمسيح هناك ـــ أن غيرته للناموس قد أوقعته في أخطر جريمة، وأن صوت المسيح من السماء: «أنا

يسوع الذي أنت تضطهده» (أع٩: ٥) قد أيقظ الضمير الذي لم يستطع الناموس أن يوقظه بل بالعكس كان قد طمس معالم الحق فيه؛ إلى هنا انتهى الناموس عند بولس. وحينئذ استُعلِنَ له بأجلى صورة أن دور الناموس قد انتهى بمجيء المسيح، وأن أي تمسُّكٍ بالناموس بعد مجيء المسيح هو التجديف بعينه؛ بل ويصير علة لقتل المسيح نفسه كما حدث على الصليب أو كما حدث بيدي بولس نفسه!

+ «لأنه لو أُعطي ناموس قادر أن يُحْيي، لكان بالحقيقة البرُّ بالناموس. لكن الكتاب (الناموس) قد أغلق على الكل تحت الخطية ليُعطى الموعد من إيمان يسوع المسيح للذين يؤمنون.» (غل٣: ٢١و٢٢)

+ «ولكن قبلما جاء الإيمان (بالمسيح)، كنا محروسين تحت الناموس مُغْلَقاً علينا إلى الإيمان العتيد أن يُعْلَن، إذاً قد كان الناموس مؤدِّبنا إلى المسيح لكي نتبرر بالإيمان، ولكن بعد ما جاء الإيمان لسنا بعد تحت مؤدِّب.» (غل٣: ٢٣—٢٥)

+ «لأن الله أغلق على الجميع معاً في العصيان لكي يرحم الجميع.» (رو١١: ٣٢)

يخرج القديس بولس من هذا كله بأن الناموس كان داخلاً في خطة الخلاص، وأن دوره كان لتأديب وتهذيب ضمير الإنسان ليعدّه للنقْلة الكبرى لتجديد خِلْقة الإنسان من فوق ونوال حرية أولاد الله.

وهكذا، فالناموس لم يوضع كواسطة مباشرة لتبرير الإنسان أمام الله كما كان يتصوَّر اليهود!! بل على النقيض كان واسطة لكشف وفضح عدم برِّ الإنسان: «أنه ليس بارٌّ ولا واحد» (رو٣: ١٠)!! مهما أدَّى الإنسان من أعمال ومجهودات وتكفيرات، فالناموس يَعُدُّ خطايا الإنسان عدًّا ويكيل لها العقوبات كيلاً.

كيف انتهى الناموس:

+ «إذاً يا إخوتي أنتم أيضاً **قد مُتّم للناموس بجسد المسيح** لكي تصيروا لآخر للذي قد أُقيم من الأموات لنثمر لله... **وأما الآن فقد تحررنا من الناموس إذ مات الذي كنا مُمسكين فيه** حتى نعبد بجدة الروح لا بعتق الحرف (الناموس).» (رو٧: ٤و٦)

هذا يعني أن الناموس حيٌّ طالما نحن كنا أحياء بالجسد يحكم فينا الناموس و يهدِّد ويميت، ولكن الآن وقد مُتنا في المسيح، والجسد العتيق الذي كان تحت حكم الناموس قد وقع عليه حكم الناموس الذي أخذه المسيح ومات به ومتنا نحن أيضاً معه، فقد انتهى الناموس بالنسبة لنا لأننا

لسنا أحياء بعد بالجسد الذي كان تحت قبضة الناموس. وطالما نحن أموات مع المسيح، فالناموس ميت بالنسبة لنا.

هذا بمفهوم فعل الفداء على الصليب وبفعل المعمودية الذي يوثِّق ويحقِّق فعل الفداء فينا، لأننا بالمعمودية نموت ونُدفَن مع المسيح. وبولس الرسول يضعها مرة أخرى محصورة هكذا:

+ «لأني **مُتُّ بالناموس للناموس** لأحيا لله. مع المسيح صُلِبتُ، فأحيا، لا أنا، بل المسيح يحيا فيَّ. فما أحياه الآن في الجسد فإنما أحياه في الإيمان إيمان ابن الله الذي أحبني وأسلَم نفسه لأجلي.» (غل٢: ١٩و٢٠)

هنا أيضاً يؤكد بولس الرسول أننا مع المسيح صُلِبنا، وبالتالي نكون قد مُتنا للناموس، لأن المسيح صُلِبَ بناءً على حكم الناموس ــ أنه فاعل شر ــ سواء ما نطقه رئيس الكهنة ومجمع السنهدريم أو الذي استحقه المسيح بالفعل كونه حَمَل «الخطية» في جسد بشريتنا على الصليب. فطالما أن الناموس **أماتنا** كآخر عقوبة عنده، فليس للناموس بعدُ أيُّ شيء علينا «**بالناموس مُتنا للناموس**»، وحياتي الآن هي حياة المسيح فيَّ، فبالتالي ليس للناموس أية صلة بي.

ولكن كل هذا الكلام عن الناموس يخص اليهود، لكي يدركوا أن بالمسيح وعلى الصليب قد خرجوا من طَوْق الناموس؛ بل ومن التبعية للناموس إذ صاروا لآخَرَ، أي المسيح. **ولكن ماذا عن الأمم؟** ثم ماذا عن علاقة اليهود، يهود الناموس والختان، بالأمم أهل الغُرْلة؟

+ « ولكن الآن في المسيح يسوع، أنتم الذين كنتم قبلاً بعيدين (عن إسرائيل والمواعيد) صرتم قريبين بدم المسيح،

لأنه هو سلامنا الذي جعل الاثنين (الأمم واليهود) واحداً

ونقض حائط السياج المتوسط، أي العداوة،

مُبْطِلاً بجسده ناموس الوصايا في فرائضَ،

لكي يخلق الاثنين في نفسه إنساناً واحداً جديداً صانعاً سلاماً.

ويصالح الاثنين في جسد واحد مع الله بالصليب، قاتلاً العداوة به.» (أف٢: ١٣ــ١٦)

«كنتم بعيدين»:

كلمة مملوءة بالمعاني، فالأمم لم يكونوا فقط بعيدين عن اليهود، بل ومكروهين ومحتقَرين مُزدَرى بهم، غير موجودين!! بل وللأسف ــ على هذا التعبير ــ كانوا بالنسبة لإسرائيل «كالكلاب» يأكلون من فتات أربابها الساقط تحت موائدهم (بالمعنى الروحي طبعاً أي يلتقطون من بعيد أخبار الله).

وليـنتبه القارىء، فالسبب في ذلك هو الناموس وتعاليمه التي تحضُّ على كرههم والبعد عنهم باعتبارهم غُلْفاً أنجاساً مناكيد، لا يجسر يهودي أن يدخل إليهم أو يأكل عندهم وإلاَّ يتنجَّس.

والآن، وقد ذُبح المسيح بجسد بشريته على الصليب ذبيحة خطية ومات، وماتت البشرية كلها بموته وانتهى الناموس وأُبطل وأُبطلت وصاياه، فالبعيد بسبب الناموس تحتم أن يصير قريباً!! وليس فقط قريبين مع إسرائيل؛ بل وقائمين في جسد بشرية المسيح بالإيمان:

+ «إن كان واحد قد مات لأجل الجميع، فالجميع إذاً ماتوا.» (٢كو٥: ١٤)

إذاً فقد صار الأمم المؤمنون واحداً بذات الجسد مع اليهود المؤمنين. والجسد المبذول والمُقام قد استُعْلِنَ أنه الكنيسة الجامعة، وصارت الأمم فيها: «فلستم إذاً بَعْدُ غرباءَ ونُزُلاً؛ بل رعية مع القديسين وأهل بيت الله.» (أف٢: ١٩)

وتآخى الأمم واليهود في سلام معاً، وفي سلام واحد مع الله، بعد أن كان اليهود أعداءً بسبب التعدِّي، والأمم غرباءَ وبلا ناموس وبلا إله في العالم! نعم، لقد صار المسيح سلاماً للبعيدين والقريبين معاً.

وكان يستحيل على اليهودي أن يتآخى مع الأمميِّ في سلام واحد طالما كان الناموس قائماً يضع أساس حائط الانقسام، ويسيِّج على اليهود ويحرِّضهم على العداء الفكري والعقيدي والجنسي بآن واحد. وهكذا تم تحطيم السور الفاصل ــ أي الناموس ــ الذي كان هو أساس العداوة، لكي يجمع المسيح في نفسه من الاثنين إنساناً واحداً صانعاً سلاماً.

وهكذا، وبمقدار ما كانت الوصايا والفرائض في الناموس هي علة العداوة، صار دم المسيح مصدر الوحدة والسلام.

وفي قول آخر يجمع بولس الرسول اليهود والأمم تحت راية الصليب على أساس تسمير الناموس على الصليب، وهو ما أسماه وثيقة ديون خطايا البشرية، بنفس المسامير التي سَمَّر بها الناموس ــ على يدي رؤساء الكهنة ــ جسد المسيح!

+ «وإذ كنتم (الأمم) **أمواتاً في الخطايا وغَلَفِ جسدكم**، أحياكم معه مُسامحاً لكم بجميع الخطايا، **إذ محا الصك الذي علينا (نحن اليهود) في الفرائض الذي كان ضداً لنا، وقد رفعه من الوسط مسمِّراً إياه بالصليب.**» (كو٢: ١٣و١٤)

واضح هنا أن بواسطة الصليب رفع كل ديون اليهود بإلغاء الناموس على الصليب. ثم، بآن واحد **وعلى نفس المستوى، تمَّ الصفح عن كل خطايا الأمم التي صنعوها وهم بلا ناموس!**

ولكن نود لو انتبه القارىء لعظمة التشبيه البالغ الحبك والدقة في قول بولس الرسول أن بالمسامير التي سمَّر بها الناموس ــ عن جهالة ــ جسد المسيح، سمَّر المسيح ــ بالحكمة ــ الناموس على ذات الصليب!

صراع بولس الرسول مع اليهود المسيحيين (المتنصرين) من أجل الناموس:

مقدمة:

نحن لا نأسف على أنه على مدى الأربع الرسائل الكبرى إلى غلاطية وكورنثوس الأولى والثانية ورومية استغرق بولس الرسول في مشكلة الناموس من جهة محاولة فرضه بالقوة من جانب اليهود المتنصِّرين على المسيحيين الجدد من الوثنيين، لأن في هذا الجدل المحتدم ربحنا التعرف على أصول ومنابع القضايا المسيحية الكبرى، حينما حلَّق بولس الرسول فوق المشاكل المعروضة ليكشف لنا عن أسرار كان من النادر أو حتى من الصعب أن يتعرض لها لولا الانفعالات المحتدمة من جراء جرأة وخِسَّة العناصر اليهودية المتنصِّرة في مهاجمتها لتعاليم بولس الرسول والتعرض لشخصيته والحطّ من رسوليته.

فقد عاد إلى الوراء ليكشف، بل ليفضح الخطية وكيف دخلت واستوطنت أعضاء الإنسان، كما أمسك بأيدينا وأدخلنا إلى منابع النعمة، وحلل طبيعة «التبرير» وكيف أن هذا الاسم أتاه شعب إسرائيل حينما سعى وراءه كالسراب.

وقدم لنا الإيمان المسيحي كأغلى عطية يمكن أن ينالها الإنسان على الأرض، وفتح أمامنا ملفات قضايا الناموس بدراسة فريسيٍّ واعٍ، وتقصَّى أسبابه وحدود إمكانياته وعجزه، وحدَّد زمان انتهائه.

وفتح لنا باب الفداء لنطَّلع على سر الجسد، السر المخفى منذ الدهور، كيف أن الأمم هم شركاء فيه حسب قصد الله الأزلي.

وبهذا وبذلك صنع حلولاً، وقدَّم مخارجَ، وسجَّل مواعيد، وسلَّم وثائق، صارت كلها مذخرات للكنيسة ولاهوتها.

وفي مواجهة مكايد اليهود المتنصرين واستعلائهم بناموسهم وتوراتهم، حلَّق بولس الرسول وارتفع، وقدَّم لنا قواعدَ راسية توضح التناسق بين العهدين وارتفاقهما معاً، ولكن في سهولة وإقناع، بحيث جعل العهد القديم بنظامه الكامل الشامل يخضع للإنجيل ويخدم صِدْقَه واستعلانه، متعرضاً للأسرار إنْ المعمودية أو الإفخارستيا (١كو١٠: ٢ــ٤)، كشركة فعلية في موت الرب وفي الالتحام

بجسده، واضعاً إياها في أقدس المواضع من الإيمان في حياة الإنسان، وأحاطها بهيبة مع تحذيرات فتحت أمامنا بمفهومها الحقيقي طريق القداسة وأنارت لنا الحياة والخلود.

وهو لم يهمل اليهود المتمسكين بيهوديتهم، بل أعطاهم ما يكفل تحررهم من عهدهم البائد. واختصَّ الأمميين بأصدق تعاليمه، ليُحضرهم مع اليهود المؤمنين في وحدة الروح واتحاد المحبة، ليتراءوا أمام وجه الله بالتساوي، بلا لوم في القداسة والأُلفة والمحبة. وهكذا صنع المسيح كنيسة الدهور. أما الذين ارتأوا التمسك بالناموس بكبرياء التعالي وهددوا صحة الإنجيل وبساطة حريته، فقد شهر في وجه تحدِّياتهم أسلحة رادعة اصطنعها من الناموس ذاته والتوراة، فما فتئت حتى أخمدت تحدياتهم واستُظْهِر الإنجيل.

بدء الصراع ومجمع أورشليم:

ظل الصراع بين بولس الرسول واليهود المسيحيين ما يقرب من أربع عشرة سنة أثناء خدمته في نواحي سوريا وكيليكية.

أما علاقة بولس بالكنيسة الأم، كنيسة الرسل، من جهة خدمة الأمم فكانت كما يصفها هو: «ولكنني كنت غير معروف بالوجه عند كنائس اليهودية التي في المسيح، غير أنهم كانوا يسمعون أن الذي كان يضطهدنا قبلاً يبشر الآن بالإيمان الذي كان قبلاً يُتلفه، فكانوا يمجدون الله فيَّ.» (غل ١: ٢٢—٢٤)

هذا في البداية قبل أن يستفحل نجاح بولس الرسول في إنشاء الكنائس المتوالية في الأمم. غير أنه لما امتدت خدمة بولس في أنطاكية عاصمة سوريا وازداد عدد الوثنيين الذين قبلوا الإيمان وملأوا الكنائس هناك، أحسَّت كنيسة أورشليم أن نسبة الأمميين فاقت أعداد اليهود المؤمنين بكثير، فبدأ القلق يهز قلوب الرسل من جراء مستقبل الانضباط والتبعية والخوف من تأثير الوثنيين المسيحيين غير المختونين على الانضباط الناموسي والتقاليد اليهودية، وكانت اليهودية في أعماق قلوبهم لا تزال ذات جلال، ولم يكونوا قد استوعبوا بعد «أن ملكوت الله يُنْزَعُ منكم ويُعطَى لأمة تعمل أثماره» (مت ٢١: ٤٣)، بمعنى دخول الأمم في حظيرة المسيح الواحدة.

فبدأ اليهود المؤمنون بالمسيح **الغيورون على الناموس** — بعلم وبدون علم الرسل — يتحركون، فذهبوا إلى أنطاكية للتجسس والمقاومة:

+ «وانحدر قوم من اليهودية (أورشليم) وجعلوا يعلِّمون الإخوة (المسيحيين من أصل وثني) أنه إن لم تختتنوا حسب عادة موسى لا يمكنكم أن تخلصوا. فلما حصل لبولس وبرنابا منازعة

ومباحثة ليست بقليلة معهم رتّبوا أن يصعد بولس وبرنابا وأُناس آخرون منهم إلى الرسل والمشايخ إلى أورشليم من أجل هذه المسألة.» (أع١٥: ٢و١)

هذا نسمعه من بولس الرسول هكذا:

+ «ولكن بسبب الإخوة (المسيحيين اليهود) الكذبة المُدْخَلين خفية الذين دخلوا اختلاساً ليتجسّسوا حريتنا التي لنا في المسيح (من الناموس وأحكامه) كي يستعبدونا (للناموس وسلطانهم اليهودي)، الذين لم نذعن لهم بالخضوع ولا ساعة ليبقى عندكم حق الإنجيل.» (غل٢: ٤و٥)

وهكذا بدأ عمل القديس بولس في محيط الأمم منذ أول يوم يتزعزع بالتهديدات الكفيلة أن توقفه نهائياً لو كان قد نجح هؤلاء الإخوة (الكذبة) هكذا واستمالوا بسلطانهم المؤمنين الجدد من الأمم! لذلك يقول بولس الرسول نفسه: «إنه لم نخضع لهم». أما إذا لم يكن بولس قد أسرع هكذا بحكمة النعمة إلى الرسل ليأخذ موافقتهم على خدمته لإنجيل المسيح بين الأمم بدون ناموس ولا ختان، لكان قد تسبَّب في فصل كنيسة الرسل عن الكنائس التي أسسها بولس الرسول في الأمم، ولأصبحت كنيسة الأمم بقيادة بولس الرسول مجرد شيعة يهودية منشقة(٣).

أما نجاح بولس الرسول في إقناع الرسل بالموافقة على دخول الأمم إلى المسيح بدون ناموس ولا ختان فكان يعتمد بالأساس على النجاح الذي أحرزه في الخدمة بين الأمم، والتي بدأت تكتسح البلاد حول أورشليم في سوريا وكيليكية، بالإضافة إلى موهبة بولس في الإقناع وفهم رسالة المسيح بعمق لا يُجارَى بنعمة الله التي ظهرت عليه، مع الآيات التي صنعها المسيح بواسطته. هذا كلُّه أقنع الرسل بالموافقة وبإعطاء بولس الرسول يمين الشركة مع برنابا في مواجهة ضغط الغيورين من اليهود المتنصِّرين الذين لم يكن عندهم أي تعاطف تجاه الأمم، والذين حاولوا مستميتين أن يجبروا تيطس زميل بولس في الأسفار على أن يختتن أمامهم، فلم يخضع لهم بولس الرسول قط. علماً بأن الرسل أنفسهم أحسُّوا، بالنعمة التي فيهم، بمقدار خطورة رفض الأمم من الدخول إلى المسيحية لأن ذلك كان معناه توقُّف نمو الكنيسة خارج حدود اليهودية. هذا بالإضافة إلى تذكُّرهم أمر المسيح الصريح لهم بأن يذهبوا إلى كل الأمم ويبشروهم بالإنجيل ويعمدوهم. لهذا كان نجاح بولس الرسول في المجمع الأول للرسل في أورشليم هو نقطة انطلاق الكنيسة في الأمم، مؤازَرَةً بنعمة الله

---

3. O. Pfleiderer, *The Influence of the Apostle Paul on the developement of Christianity,* London, 1885 (Hibbert Lectures).

وبركة الرسل القديسين الأطهار.

وواضح غاية الوضوح أن القديس بطرس كان العامل الأساسي وربما الوحيد في ترجيح كفة بولس ضد المتعصبين للناموس. وواضح أن الاجتماع بدأ صاخباً وأن صوت الغيورين على الناموس ارتفع عالياً، ومن الرسل كان هناك مَنْ انحاز إليهم، لأن سفر الأعمال يقول في وصف بداية الجلسة هكذا: «فبعد ما حصلت مباحثة كثيرة» (أع١٥: ٧). أخيراً وقف بطرس وحسم النزاع بجرأة وشجاعة نادرة التي كانت دائماً هي أعظم صفاته:

+ «أيها الرجال الإخوة، أنتم تعلمون أنه منذ أيام قديمة اختار الله بيننا أنه بفمي يسمع الأمم كلمة الإنجيل ويؤمنون. والله العارف القلوب شهد لهم مُعطياً لهم الروح القدس كما لنا أيضاً. ولم يميِّز بيننا وبينهم بشيء إذ طهَّر بالإيمان قلوبهم. فالآن لماذا تجرِّبون الله بوضع نير على عنق التلاميذ لم يستطع آباؤنا ولا نحن أن نحمله. لكن بنعمة الرب يسوع المسيح نؤمن أن نخلص كما أولئك أيضاً. فسكت الجمهور كله.» (أع١٥: ٧-١٢)

لقد غلبت محبة المسيح التي كان يحترق بها قلب القديس بطرس [«يا رب أنت تعلم إني أحبك» (يو٢١: ١٥)] فوق كل المعارضات والتحفظات والترددات التي أتت من كل الأصوات، حتى صوت يهوديته داخل ضميره الذي أخمده بصعوبة، بينما بولس الرسول جالس يرقب مسار الروح وفعل النعمة في قلوب من أحبوا المسيح وأحبهم، ويصلي!

لقد صنع بطرس الرسول للكنيسة صنيعه الذي لن يُنسى له أبد الدهور عندما زكَّى كرازة بولس الرسول. لقد ضمن للكنيسة مستقبلها في العالم كله وعبر آلاف السنين بموقفه الحاسم الشجاع، وفتح الطريق أمام باقي الرسل يعقوب ويوحنا ليعطوا بولس يمين الشركة.

ولكن واضح أنهم رفعوا النير (نير الناموس وأحكامه وبرّه) عن أعناق الأمم ولم يرفعوه عن أعناقهم هم أنفسهم، لكنهم صنعوا ذلك ليس عن عقيدة ولكن عن اضطرار ظروفهم التي فرضت عليهم ذلك، ـــ حسناً ـــ، لكي يُظهر لنا المسيح مدى سخاء دعوته لنا نحن الأمم!!

وانتهى المجمع بأن تبرأ الرسل في أورشليم رسمياً من أعمال اليهود المتعصِّبين للناموس (الغيورين) هكذا: «**إذ قد سمعنا أن أناساً خارجين من عندنا أزعجوكم بأقوال، مُقلِّبين أنفسكم وقائلين أن تختتنوا وتحفظوا الناموس، الذين نحن لم نأمرهم**» (أع١٥: ٢٤). ثم أمضوا وثيقة الدهور بمقتضى محضر مجمع الكنيسة الرسولية الأولى في التاريخ: «لأنه قد رأى الروح القدس ونحن أن لا نضع عليكم ثقلاً أكثر غير هذه الأشياء الواجبة أن تمتنعوا عما ذُبح للأصنام وعن الدم

والمخنوق والزنا، التي إن حفظتم أنفسكم منها، فَنِعِمَّا تفعلون. كونوا معافين.» (أع ١٥: ٢٨و٢٩)

وعلى القارىء أن يفهم من كلمة الامتناع عن «أكل المخنوق **والدم**» أن هذا يعني الامتناع عن أكل اللحم الذي لم يُصفَّى دمه تماماً أثناء الذبح، وهذا أمر لا يزال متبعاً عند المسيحيين في الشرق حتى اليوم. أما قوله الامتناع عن الزنا فيعني الامتناع عن زواج الأقارب المحرم الاقتران بهم وهو أمر أيضاً لا يزال متبعاً في شرقنا المسيحي ولربما في كل الغرب أيضاً؛ حيث هذه الوصايا لا تُحسَبُ بعد أنها أحكام للناموس؛ بل مجرد وصايا الرسل. وعلى هذا الأساس وغيره من المبادىء نصرخ الآن ونقول: «نؤمن بكنيسة رسولية واحدة».

كانت هذه الوثيقة بالنسبة لبولس الرسول أمضى سلاح في عراكه مع الغيورين من اليهود، أمَّا لنا ولكل شعوب الأرض فهي صك انعتاق من عبودية الناموس وكل أحكامه. والفضل يُنسب لبولس الرسول أول ما يُنسَب. أما ما أضافه القديس يعقوب بخصوص جمع المساعدات لفقراء أورشليم كما جاء في الرسالة إلى غلاطية (٢: ١٠)، فوإن ظهرت وكأنها ضريبة إيمان، ولكنها كانت أعظم ضمان لربط كنائس الأمم بالكنيسة الأم بشعور الكنيسة الواحدة والإيمان الواحد والحب الواحد. والعجب أنه لا تزال هذه العادة في كل كنائس العالم أن يُجمع بعد كل خدمة ما يتقدم به كل إنسان عن نفسه وعن بيته لخدمة الفقراء وربما لإعالة خدام الرب أيضاً.

ولكن من حيث المضمون الروحي لوثيقة مجمع الرسل الأول، نستطيع بوضوح أن نستشف ارتفاع الإيمان المسيحي للأمم روحياً فوق إيمان اليهود الذين قبلوا الإيمان بالمسيح واحتفظوا بآن واحد بالناموس وفعل الختان. وهكذا وقفت المسيحية لأول مرة على رجليها حُرَّة من عكاز الناموس الذي بلى في أيدي أصحابه، ومستقلة عن اليهودية وإلى الأبد! ومنذ ذلك اليوم، والكنيسة المسيحية بدأت ترسي لنفسها قواعد إيمانها وتقنن لنفسها واجباتها.

عودة للمقاومين:

ولكن لم يَنْتَهِ صراع بولس الرسول مع الغيورين للناموس بهذه الوثيقة، لأنها كُتِبَتْ ــ كما قلنا ــ ليس عن اقتناع عقائدي بعدم أهمية الناموس للإيمان بالمسيح، ولكن من واقع الضغط الذي مارسه بولس الرسول من واقع عمل النعمة والنجاح الذي أحرزه بين الأمم، مع إحساس الرسل بالعامل الإلهي في الموضوع. فلم تكن الوثيقة إلاَّ مجرد ترضية أو معاهدة سلام.

وإذ نسمع بعد هذا عن رجال من هؤلاء اليهود الغيورين على الناموس جاءوا من عند القديس

يعقوب للتجسس أيضاً على مؤمني أنطاكية؛ وكان القديس بطرس(٤) هناك، فسلك أمامهم بغير ما كان يسلك في غيابهم، وذلك خوفاً منهم. وهذا في الحقيقة يوضح خطورة المعركة وسطوة هؤلاء الغيورين وإرهابهم: «... ولكن لما أتى بطرس إلى أنطاكية قاومتُه مواجهة لأنه كان ملوماً. لأنه قبلما أتى قوم من عند يعقوب كان يأكل مع الأمم، ولكن لما أتوا كان يؤخِّر ويفرز نفسه خائفاً من الذين هم من الختان، وراءى معه باقي اليهود أيضاً حتى إن برنابا أيضاً انقاد إلى ريائهم.» (غل ٢: ١١-١٣)

وكان بولس الرسول حادًّا قاطعاً مع بطرس: «قلت لبطرس قدام الجميع: إن كنتَ وأنت يهودي تعيش أُممياً (يأكل معهم) لا يهودياً فلماذا (الآن) تُلزِم الأمم (بامتناعه عن الأكل معهم) أن يتهوَّدوا.» (غل ٢: ١٤)

يقول القديس ذهبي الفم هنا أن خوف بطرس من اليهود المتنصِّرين كان في الحقيقة خوفاً عليهم لئلا يرتدوا عن الإيمان، أما القديس إيرينيئوس فيسند خوفه منهم على أساس احتراسه من مكائدهم ووشايتهم(٥) ... أعذار...

ولكن الواضح من النص أن بطرس الرسول كان من الداخل مقتنعاً بمنهج بولس الرسول تمام الاقتناع، ولكنه لم يَقْوَ على ما قوي عليه بولس الرسول، ربما بسبب تخصص الدعوة وغياب عنصر التشجيع الإلهي مثل ما ناله بولس الرسول من الرب مباشرة. ولكن عثرة بطرس الرسول بسبب ثقله الرسولي كانت أكثر مما كان يُظَنُّ، لأنها جرفت القديس برنابا ليسلك على منواله وكذلك كل اليهود المتنصِّرين عن قناعة وحماس وليس كمجاراة كما كان لدى بطرس في الأصل. كما أن حركة القديس بطرس هذه خلخلت إيمان الأمم المتنصِّرين في أنطاكية بإحساس النقص، كما أشعرتهم بالعزلة. وهذا أخطر، إذ وجدوا أنفسهم محرومين من الشركة مع الرسل ومن التعامل معهم؛ إنها كارثة!! عبَّر عنها بولس الرسول أنها كانت بسبب «أنهم لا يسلكون باستقامة حسب حق الإنجيل» (غل ٢: ١٤). لقد استكثرها بولس الرسول على بطرس الرسول ذي القلب الكبير

(٤) يقول العلَّامة كلمندس الإسكندري، ويشترك معه آخرون مثل القديس ذهبي الفم والقديس جيروم واغريغوريوس الكبير (بابا روما)، أن «كيفا» الذي أخذه الجميع على أنه هو «صفا» أي «بطرس»، أخذوه هم على أنه شخص آخر غير بطرس أو أنه بطرس آخر غير بطرس الرسول. ولكن من واقع النص يظهر بوضوح أنه هو بطرس الرسول، إذ أن برنابا، وهو على مستوى بولس الرسول في الخدمة والكرامة، راءى معه. وقد نفى القديس أغسطينوس احتمال هذا الرأي وشدَّد على أنه هو بطرس الرسول.

F. Prat, *op. cit.*, Vol. I, p. 51.
5. Ibid., p. 52.

والروح المتسعة والإيمان الملتهب بحب المسيح، لذلك راجعه بشدَّة وهو عالم بعظمة نفسيته وحبه الذي لا يمكن أن يهتز. إنها لم تكن خطية من طرف بطرس، ولكن خطورتها كامنة باعتبارها نموذجاً قدَّمه ليحتذي به غيره(٦).

أما التعليم اللاهوتي الذي خرجت به الكنيسة من هذه الواقعة فهو قول بولس الرسول:

+ «الإنسان لا يتبرر بأعمال الناموس بل بإيمان يسوع المسيح.» (غل٢: ١٦)
+ **«لأني مُتُّ (بموت المسيح) بالناموس للناموس لأحيا لله.»** (غل٢: ١٩)
+ «مع المسيح صُلبتُ، فأحيا، لا أنا؛ بل المسيح يحيا فيَّ. فما أحياه الآن في الجسد (أكل ــ شرب ــ علاقات مع الناس) فإنما أحياه في الإيمان، إيمان ابن الله الذي أحبني وأسلم نفسه لأجلي ... **إن كان بالناموس برٌّ، فالمسيح إذاً مات بلا سبب.»** (غل٢: ٢٠و٢١)

هنا بولس الرسول يجعل الجمع بين الناموس والمسيح أمراً مستحيلاً!!

ونتيجة لذلك، بقيت كنيسة أنطاكية منقسمة إلى يهود غيورين على الناموس ومسيحيِّين من أصل أممي لا يؤمنون بالناموس، حيث لا يتعامل الأولون مع الآخرين. فكيف تُقام الخدمة وكيف يشترك الجميع في الأسرار المقدسة؟ لقد كان هذا نذيراً بأن عنصر النَّخر في عظام الكنيسة الفتيَّة لا يزال كامناً. وبدأ اليهود الغيورون يصبُّون نقمتهم على بولس الرسول مترفِّعين عن تعليمه(٧).

وهكذا بدأت العلاقات بين بولس الرسول والكنيسة الأم يحكمها التحفظ من الجانبين، بالرغم من اعتراف الرسل برسولية بولس وتفوقه في المعرفة، ولكن مع التحفظ أيضاً، كما يكتب بطرس الرسول بنفسه: «واحسبوا أناة ربنا خلاصاً، كما كتب إليكم أخونا الحبيب بولس أيضاً بحسب الحكمة المعطاة له، كما في الرسائل كلها أيضاً متكلماً فيها عن هذه الأمور، التي فيها أشياء عسرة الفهم يحرِّفها غير العلماء وغير الثابتين كباقي الكتب أيضاً لهلاك أنفسهم.» (٢بط٣: ١٥و١٦)

الزيارة الثانية التي قام بها بولس الرسول لغلاطية:

كان قد استطاع الغيورون للناموس من مسيحيي اليهود أن يصلوا إلى غلاطية بآسيا الصغرى ويقلبوا الموازين ضد بولس الرسول ويحرِّضوا المؤمنين معهم في تيار اليهودية والناموس والختان والأصوام مرة أخرى كضرورة حتمية للخلاص، مستندين على برنابا الرسول الذي يُعتبر أول من أنشأ الكنيسة هناك، وعلى الرسل في أورشليم. ولم يكتفوا بذلك بل أحطُّوا من قدر بولس الرسول

---

6. Ibidem.
7. Pfleiderer, *op. cit.*, p. 121.

جاعلين منه مجرد تلميذ للرسل ومحاولين النّيل من كرامته الشخصية أيضاً. وحاول بولس الرسول في زيارته هذه أن يوقف هذا التيار الجارف، ولكن بمجرد مغادرته لغلاطية، انفجرت المكائد والدسائس المعادية تعمل عملها بينهم. وحينئذ كتب بولس الرسول رسالته إلى غلاطية، التي تُعتَبر حتى اليوم وإلى أجيال قادمة أروع تحقيق عن حرية المسيحية كأثر خالد، شاهداً بقوة نعمة المسيح على تحرير الإيمان المسيحي من براثن الناموس.

وهو يدافع أولاً عن استقلال سلطانه الرسولي، وأنه لم يُدعَ من إنسان ليكون رسولاً: «بولس رسول لا من الناس ولا بإنسان، بل بيسوع المسيح والله الآب الذي أقامه من الأموات» (غل ١:١)؛ وأنه ليس من تقليد بشري سابق تعلّم الإنجيل وإنما بإعلان مباشر من المسيح، وأن إنجيله يحمل في داخله ختم صِدْقه والحق الإلهي الذي استلمه في نفسه باتصاله السري الإلهي بالروح القدس. وهذا الاختبار عينه الذي أخذه باستعلان داخلي من الروح الذي يتعلق عليه وحده معرفة الإنجيل، يتمنى بولس الرسول أن يكون في قلوب من يقرأون له.

وهنا يسأل أهلَ غلاطية الذين سلّمهم هذا الحق وهذا الروح قائلاً: «أريد أن أتعلم منكم هذا فقط: أبأعمال الناموس أخذتم الروح أم بخبر الإيمان؟ أهكذا أنتم أغبياء، أبعدما ابتدأتم بالروح تُكمّلون الآن بالجسد؟» (غل ٣: ٢و٣)، ثم أيضاً الذي سلّمكم هذا الروح (بولس الرسول): «فالذي يمنحكم الروح (بولس) ويعمل قوات فيكم، أبأعمال الناموس أم بخبر الإيمان؟» (غل ٣:٥)

ولكي يرفع بولس الرسول هذا القانون الروحي، أي أن الإيمان بالخبر وليس بالأعمال، وأن هذا القانون أعلى من الناموس والزمن، رفعه إلى إبراهيم المحسوب أنه أبو الإيمان نفسه: أن إبراهيم آمن بالله فحُسب إيمانه هذا برًّا!! لهذا يحسب أن المؤمنين هم بالضرورة أولاد إبراهيم.

ولأن الوعد أن بنسله (بالمفرد أي ولد واحد = أي المسيح) تتبارك أمم الأرض، كان لحساب الأمم وليس اليهود، لذلك فكل المؤمنين من الأمم هم الورثة الحقيقيون لإيمان إبراهيم ولإبراهيم نفسه وللوعد الذي أخذ.

ولما اعترض اليهود المسيحيون الغيورون على الناموس أن الناموس أُضيف على الوعد وأنه بدون الناموس إيمان المسيح لا يكفي. رد بولس الرسول هكذا:

أولاً: من علاقة الوعد بالناموس:

أن الناموس يتعارض مع الوعد، فالواحد ضد الآخر، والله جعل الذين يعملون بأعمال الناموس

إن هم لم يعملوا به كله ــ وهم لم يعملوا به أبداً: «لأن من حفظ كل الناموس وإنما عثر في واحدة فقد صار مجرماً في الكل» (يع٢: ١٠) ــ جعلهم تحت لعنة: «لأن جميع الذين هم من أعمال الناموس هم تحت لعنة لأنه مكتوب ملعون كل مَنْ لا يثبت في جميع ما هو مكتوب في كتاب الناموس ليعمل به.» (غل٣: ١٠)

والله نفسه جعل الذين يعيشون بالإيمان ــ ولو بدون استحقاق الأعمال: «وأما الذي لا يعمل ولكن يؤمن بالذي يبرر الفاجر فإيمانه يُحسب له برًّا» (رو٤: ٥) ــ ولكن بعطية النعمة، فإن بركة الله بحسب الوعد تحل عليهم: «ولكن أن ليس أحد يتبرر بالناموس عند الله فظاهر، لأن البارَّ بالإيمان يحيا» (غل٣: ١١). ويختم بولس الرسول هذه المناقضة الشديدة بين أعمال الناموس والإيمان بالوعد هكذا: «ولكن الناموس ليس من الإيمان ــ بل الإنسان الذي يفعلها (الأعمال) ــ سيحيا بها، المسيح افتدانا من لعنة الناموس، إذ صار لعنة لأجلنا، لأنه مكتوب ملعون كل من عُلِّق على خشبة ــ لتصير بركة إبراهيم للأمم في المسيح يسوع لننال بالإيمان موعد الروح.» (غل٣: ١٢ــ١٤)

ثانياً: من واقع تاريخ العلاقة بين الوعد والناموس:

لأن **الوعد** وهو كامل في ذاته ومقتدر أن يحقق نفسه تماماً بدون أي وسيط أو جهد إنساني، فلا يمكن أن يأتي الناموس بعد مدة طويلة جداً ــ ٤٣٠ سنة منذ أن نطق الله بالوعد لإبراهيم ــ ليُضاف إلى الوعد كضرورة إضافية[٨]. هذا بحد ذاته ليس فقط يُضعف قوة الوعد فحسب، بل يُلغيه، إذ يفقد العامل الأساسي فيه وهو النعمة كعطية موهوبة.

+ «إن الناموس الذي صار (بعد وعد الله لإبراهيم) بعد أربعمائة وثلاثين سنة لا ينسخ (يلغي) عهداً (الموعد) قد سبق فتمكَّن من الله نحو المسيح حتى يبطل الموعد. لأنه إن كانت الوراثة (وراثة بركة إبراهيم) من الناموس، فلم تكن أيضاً من موعد ولكن الله وهبها (البركة كوراثة) لإبراهيم بموعد.» (غل٣: ١٧و١٨)

ثالثاً: علاقة الوعد بالناموس من جهة مصدره ومعطيه:

+ الوعد استلمه إبراهيم من الله شخصياً بقسم: «أقسمت بذاتي».
+ والناموس استلمه موسى بيد ملائكة.
+ بمعنى أن الأول قيِّم على الثاني وأقيَم.

---

(٨) من إبراهيم إلى موسى ٤٣٠ سنة.

+ ولكن ليس بمعنى أن الناموس يتعارض مع الوعد: «فهل الناموس ضد مواعيد الله» (غل٣: ٢١). وإنما الناموس وُضِعَ ليكون أداة لتكميل الوعد.

+ لأن الناموس عاجز من ذاته أن يعطي حياة، لذلك حُبس الناس تحت عبودية الخطية حتى مجيء الوعد بالبركة ليحقق الإيمان بالمسيح لحساب أولاد إبراهيم الروحيين: «لأنه لو أُعطيَ ناموس قادر أن يُحيي لكان بالحقيقة البرُّ بالناموس. لكن الكتاب أغلق على الكل تحت الخطية ليُعطى الموعدُ من إيمان يسوع المسيح للذين يؤمنون.» (غل٣: ٢١و٢٢)

هنا انتصر بولس الرسول بدفاع كتابي رائع ليحفظ حق الإيمان بالمسيح أو بالحري حق الإنجيل طاهراً نقياً.

وحينئذ يتحول بولس الرسول بعد ذلك من الدفاع إلى الهجوم:

+ كيف بعد أن عرفتم الله والله عرفكم بعد أن كنتم تعبدون آلهة هي أصنام، كيف تعودون إلى الخدمة بأمور أركان العالم الضعيفة (غل٤: ٨–١٠).

+ وهنا يضرب بولس الرسول باليمين واليسار، لأن المقصود بأركان العالم الضعيفة أيضاً هي أعمال الناموس من أعياد وأصوام وتطهيرات وإعداد وهلال وسبت. وهكذا إذ يستكثر بولس الرسول على **الوثنيين** بعد أن عرفوا الله بالروح وابتدأوا يخدمونه بالروح والإيمان القلبي، أن يعودوا ليخدموا تحت هذه الأمور؛ فكم يكون التوبيخ بالنسبة لليهود الذين كانوا يعرفون الله والله يعرفهم ولهم الوعد والإيمان والروح الذي وعد أن ينسكب عليهم في هذه الأيام.

+ لقد اعتبر بولس الرسول اللجوء إلى الناموس بعد أخذ الإيمان بالمسيح، **أن ذلك يُبْطِلُ الإيمان بالمسيح: «قد تبطَّلتم** κατηργήθητε **(= انفصل) عن المسيح أيها الذين تتبررون بالناموس، سقطتم من النعمة»** (غل٥: ٤). وهكذا وضع بولس الرسول الفاصل والقاطع الأبدي بين الناموس والإيمان بالمسيح. وجعل التعارض والتضاد بينهما ما لا يمكن التساهل فيه أو تخطيه.

● **الضربة القاضية للفصل بين المسيحية واليهودية:**

النتيجة: أنه بمجيء المسيح انخفضت قيمة الناموس وكبرياؤه إلى الصفر، أي انتهى عهده. فلم تعُدْ فيه أية فائدة أو قيمة إزاء حرية أولاد الله والبر بالإيمان، بل وبمجيء الوعد الكامل، أصبح الناموس في توصياته الجسدية على قدم المساواة مع الوثنيين في عبادتهم لأركان العالم الضعيفة.

وقوله أن أولاد الناموس (ابن الجسد) يضطهدون أولاد الروح (ابن الحرة) هو مطابقة لما صنعته

اليهودية في بولس الرسول وفي الكنيسة الأُولى (غل ٤: ٢٢-٣١). وكان هذا التشبيه المتجاسر الحاد والقاطع كفيلاً بأن يضع الفاصل النهائي بين اليهودية والمسيحية وينبِّه بالفعل إلى أساس العداوة، وليس العداوة فقط، بل والاضطهاد من الجانبين.

وإذ أدرك بولس الرسول خطورة هذا القرار، حاول تلطيفه بقدر الإمكان، وكأنها نوع من المصالحة أو طرح مهادنة سلامية، ولكن عبثاً.

ظهور اليهود الغيورين في كورنثوس وتجديد المقاومة بشكل آخر:

سلاح المتعصبين للناموس هذه المرة ليس الناموس ولا الختان. لكنهم غيَّروا «التكتيك» (أي حركة الحرب في الهجوم والدفاع)، فانصبَّ هجومهم هذه المرة على هدفين: «**إنجيل**» بولس، ثم **بولس نفسه**.

فإنجيل بولس قالوا عنه أنه ليس هو إنجيل المسيح بل هو «إنجيل آخر»، وبرهانهم على ذلك أن بولس الرسول نفسه لم يرَ المسيح (مسيح التاريخ)، ولا المسيح أرسله بواقعة تاريخية مسجَّلة. أما إنجيلهم هم فهو الإنجيل الحقيقي ــ لمسيًّا الملكوت ــ لأنهم عرفوا المسيح وخدموا معه (هكذا)، فهم رُسُل حقيقيون، وكان رد بولس الرسول على ذلك:

+ «ليكون لكم جواب على الذين يفتخرون بالوجه لا بالقلب.» (٢كو٥: ١٢)
+ «فإنه إن كان الآتي يكرز بيسوع آخر لم نكرز به أو كنتم تأخذون روحاً آخر لم تأخذوه أو إنجيلاً آخر لم تقبلوه، فحسناً كنتم تحتملون.» (٢كو١١: ٤)
+ «لأني أحسب أني لم أنقص شيئاً عن فائقي الرسل.» (٢كو١١: ٥)
+ «ولكن ما أفعله سأفعله (سيَقطع هؤلاء الرسل المزعومين بالحرم) لأقطع فرصة الذين يريدون فرصة ... مثل هؤلاء هم رسل كذبة، فعلة ماكرون مُغيِّرون شكلهم إلى شبه رسل المسيح، ولا عجب لأن الشيطان نفسه يغيِّر شكله إلى شبه ملاك نور. فليس عظيماً إن كان خُدَّامه [«القائلين إنهم يهود وليس يهوداً بل هم مجمع الشيطان» (رؤ٢: ٩)] أيضاً يُغيِّرون شكلهم كخُدَّام للبر، الذين نهايتهم تكون حسب أعمالهم.» (٢كو١١: ١٢-١٥)

ولكنهم ــ وكيهود ــ اتضح لبولس الرسول أنهم يتمسَّكون ويكرزون بالمسيح **حسب الجسد فقط**، وليس المسيح حسب الروح كابن الله. من هنا ظهر فعلاً وبالتالي أنه إنجيل آخر، وهو حتماً وبالضرورة إنجيل لا يُحْيي ولا يُقيم من موت، وإنما إنجيل يتبع الناموس والحرف، **فهو** إنجيل قاتل. وحينما يحاولون تزييف الصورة، يقولون إن لهم «**الروح**» أيضاً ولكنه **في الحقيقة هو** روح العهد القديم ذي المجد الزائل كالنور على وجه موسى وهو للخوف للعبودية.

ومن هذا المنهج الحربي لليهود المتنصِّرين المختفين وراء الناموس، يتضح أن الحرب موجَّهة أساساً نحو بولس الرسول وبالتالي نحو إنجيله. وبهذا تظهر خطورتها ويظهر تأثيرها المدمِّر للكنيسة ولروح بولس الرسول نفسه، لأنهم لم يدّخروا وسعاً في النيل من شخصه بأساليب دنيئة: «لأننا إن صرنا مختلِّين فلله، أو كنا عاقلين فلكم.» (٢كو٥: ١٣)

إن بولس الرسول، ولشدة حساسيته، لم يستخدم حقه الرسولي في حياة مكرمة يُصْرَف عليها من الأموال المتحصلة من الجمع الأسبوعي، حتى لا يثقل عليهم ــ هذا كان شعوره الرهيف، فأخذ يمارس مهنته القديمة في صنع الخيام بيديه بالليل والنهار لينفق على نفسه:

+ «أم أخطأتُ خطية إذ أذللت نفسي كي ترتفعوا أنتم، لأني بشَّرتكم مجاناً بإنجيل الله، سلبتُ كنائس أخرى آخذاً أجرة لأجل خدمتكم. وإذ كنت حاضراً عندكم واحتجتُ لم أُثَقِّل على أحد ... وفي كل شيء حفظت نفسي غير ثقيل عليكم وسأحفظها.» (٢كو١١: ٧ــ٩)

فبدا أمامهم، وللأسف، في وضع متواضع أو حقير شجَّعهم على الظن به أنه ليست له كرامة الرسول وأنه ليس له الحق في السيادة عليهم كرسول!!!

+ «كان ينبغي أن أُمدح منكم، إذ لم أنقص شيئاً عن فائقي الرسل، وإن كنت لست شيئاً. إن علامات الرسول صُنِعَتْ بينكم، في كل صبر بآيات وعجائب وقوات. لأنه ما هو الذي نقصتم عن سائر الكنائس إلاَّ أني أنا لم أُثَقِّل عليكم ...، هوذا المرة الثالثة أنا مستعد أن آتي إليكم ولا أُثَقِّل عليكم لأني لست أطلب ما هو لكم بل إياكم. لأنه لا ينبغي أن الأولاد يذْخرون للوالدين بل الوالدون للأولاد، وأما أنا فبكل سرور أُنفِق وأُنفَق لأجل أنفسكم.» (٢كو١٢: ١١ــ١٥)

والأدهى من ذلك وأمرّ، أنهم اتهموه باختلاس الأموال المجموعة لفقراء أورشليم ليصرف على نفسه.

وقد رأى القديس بولس أن يكشف لهم عن حقيقة علاقته بالله كرسول وعن مواهب الله له بكل حزن وأسف وشعور بالخطأ، لأنه يظهر وكأنه يفتخر وهو لا يفتخر. فكرَّس لذلك الأصحاح الحادي عشر (٢١ــ٣٣) والأصحاح الثاني عشر (١ــ١٢) من رسالته الثانية لهم.

وهو يفتتح رسالته الثانية لهم وهو في غاية التأثر والحزن والضيق بسبب ما حدث بينهم وما صدر منهم، ولكن في صورة عزاء، حيث تكررت هذه الكلمة عشر مرات في خمسة أعداد:

+ «مبارك الله أبو ربنا يسوع المسيح أبو الرأفة وإله **كل تعزية**، الذي **يعزِّينا** في كل ضيقتنا، حتى نستطيع أن **نُعزِّي** الذين هم في كل ضيقة **بالتعزية** التي **نتعزَّى** نحن بها من الله. لأنه كما تكثر آلام المسيح فينا كذلك بالمسيح **تكثر تعزيتنا** أيضاً. فإن كنا نتضايق فلأجل **تعزيتكم** وخلاصكم العامل في احتمال نفس الآلام التي نتألم بها نحن أيضاً، **أو نتعزى** فلأجل **تعزيتكم** وخلاصكم. فرجاؤنا من أجلكم ثابت عالمين أنكم كما أنتم شركاء في الآلام كذلك في **التعزية** أيضاً.» (٢كو١: ٣-٧)

ثم يعود ويطفح به الكيل فيحكي عن آلامه النفسية التي برَّحت به حتى الموت ولكن الله كان يُحْيي:

+ «مكتئبين في كل شيء لكن غير متضايقين (حرفياً: "مضيَّق علينا من كل الجهات ولكن غير مسحوقين")، متحيِّرين لكن غير يائسين، مُضطهدين لكن غير متروكين، مطروحين لكن غير هالكين. حاملين في الجسد كل حين إماتة الرب يسوع، لكي تُظهر حياة يسوع أيضاً في جسدنا، لأننا نحن الأحياء نُسلَّم دائماً للموت من أجل يسوع، لكي تَظْهر حياة يسوع أيضاً في جسدنا المائت. إذاً، الموت يعمل فينا ولكن الحياة فيكم.» (٢كو٤: ٨-١٢)

وهو إذ يُثبِّت وقفته التي لا تتزحزح عن الحق وإنجيل الحق وكلمة الحق، لا يبالي إن كان إنجيله يصير إلى حين مكتوماً، أو إذا كان يفسِّره المقاومون ضد بولس وضد الحق، وهم الذين تسرَّبوا من أورشليم ومعهم جوابات توصية من الرسل. وإذ لم يكن له شهادة من أحد اعتمد على شهادة ضميره وضمير الذي يقرأ إنجيله:

+ «أفنبتدىء نمدح أنفسنا أم لعلنا نحتاج - كقوم - رسائل توصية إليكم؟ أو رسائل توصية منكم؟ أنتم رسالتنا مكتوبة في قلوبنا معروفة ومقروءة من جميع الناس، ظاهرين أنكم رسالة المسيح مخدومة منا، مكتوبة لا بحبر بل بروح الله الحي، لا في ألواح حجرية (ناموس) بل في ألواح قلب لحمية.» (٢كو٣: ١-٣)

+ «من أجل ذلك إذ لنا هذه الخدمة، كما رُحمنا لا نفشل. بل قد رفضنا خفايا الخزي غير سالكين في **مكر، ولا غاشِّين كلمة الله**، بل **بإظهار الحق مادحين أنفسنا لدى ضمير كل إنسان قدام الله**. ولكن إن كان **إنجيلنا مكتوماً، فإنما هو مكتوم في الهالكين الذين فيهم - إله هذا الدهر- قد أعمى أذهان** غير المؤمنين لئلا تضيء لهم إنارة إنجيل مجد المسيح، الذي هو صورة الله. فإننا لسنا نكرز بأنفسنا بل بالمسيح يسوع رباً، ولكن بأنفسنا عبيداً لكم من أجل يسوع.» (٢كو٤: ١-٥)

ثم تعود إلى بولس روحه الوثابة واعتداده بقوة المسيح العاملة فيه للخدمة فيقول لهم:

+ «فإذ نحن عاملون معه (المسيح)، نطلب أن لا تقبلوا نعمة الله باطلاً (بخلطها بتزييفات ناموسية) ... ولسنا نجعل عثرة في شيء لئلا تُلاَمَ الخدمة. بل في كل شيء نُظْهِرُ أنفسنا كخُدام الله، في صبر كثير، في شدائد، في ضرورات، في ضيقات، في ضربات، في سجون، في اضطرابات، في أتعاب، في أسهار، في أصوام، في طهارة، في علم، في أناة، في لطف في الروح القدس، في محبة بلا رياء، في كلام الحق، في قوة الله بسلاح البر لليمين ولليسار، بمجد وهوان، بصيت رديء وصيت حسن. كمُضِلِّين ونحن صادقون، كمجهولين ونحن معروفون، كمائتين وها نحن نحيا، كمؤدَّبين ونحن غير مقتولين. كحزانى ونحن دائماً فرحون، كفقراء ونحن نغني كثيرين، كأن لا شيء لنا ونحن نملك كل شيء. فمنا مفتوح إليكم، أيها الكورنثيون، قلبنا متسع، لستم مُتضيِّقين فينا بل متضيقين في أحشائكم. فجزاءً لذلك أقول كما لأولادي، كونوا أنتم أيضاً متسعين.» (٢ كو ٦: ١—١٣)

لقد قبل الكورنثيون توبيخ بولس الرسول بفرح، وارتدُّوا إليه بكل قلوبهم، وبينما هو ذاهب إليهم أتته الأخبار بواسطة تيطس الذي كان أرسله إليهم ليستطلع أحوالهم أنهم بفرح الروح ينتظرونه:

+ «لكن الله الذي يعزِّي المتضعين، عزَّانا بمجيء تيطس، وليس بمجيئه فقط، بل أيضاً بالتعزية التي تعزَّى بها بسببكم، وهو يخبرنا بشوقكم ونَوْحِكم وغيرتكم لأجلي، حتى إني فرحت أكثر لأني وإن كنت قد أحزنتكم بالرسالة، لست أندم مع إني ندمت. فإني أرى أن تلك الرسالة أحزنتْكُم ولو إلى ساعة. الآن أنا أفرح لا لأنكم حزنتم، بل لأنكم حزنتم للتوبة.» (٢ كو ٧: ٦—٩)

والملاحظ أن روح بولس ارتاحت لهذه العودة ولانسحاب العناصر المقلقة، وهذا يتضح من رسالته إلى رومية التي كتبها أثناء وجوده في كورنثوس للمرة الثالثة، وهي تفيح برائحة السلام وتتميز بروح الموضوعية والهدوء.

تصفية حساب الناموس في رسالته إلى روما وإنما في هدوء!

لم يذهب بولس الرسول إلى روما قبل أن يكتب رسالته إليها والمسيحية كانت دخلتها، ولم يكن له أعداء أو مقاومون هناك. هذا نعلمه من يهود المجمع هناك عندما استقبلوه في أول زيارة له وهو مكبَّل بالسلاسل: «فقالوا له نحن لم نقبل كتابات فيك من اليهودية، ولا أحد من الإخوة جاء فأخبرنا أو تكلم عنك بشيء رديء، ولكننا نستحسن أن نسمع منك ماذا ترى؟ لأنه معلوم

عندنا من جهة هذا المذهب أنه يقاوَمُ في كل مكان.» (أع٢٨: ٢١و٢٢)

لكن الرسالة مكتوبة ليس ليهود المجمع الأصليين، إنما للكنيسة في روما بعنصريها من اليهود المسيحيين الذين كانوا يتبعون منهج بطرس الرسول غالباً(٩)، ومسيحيي الوثنية الداخلين في الإيمان وكانوا معاً ليسوا على اتفاق، فكان التوتر عنصراً لا مفرَّ منه.

لقد كان الإيمان السائد في روما هو الإيمان المنحدر من أُورشليم: «أن إيمانكم يُنادَى به في كل العالم» (رو١: ٨)، «لأني مشتاق أن أراكم ... لنتعزى بينكم "بالإيمان" الذي فينا جميعاً، إيمانكم وإيماني» (رو١: ١١و١٢). وبولس الرسول يبدأ منذ أول رسالته بروح المهادنة لليهود المسيحيين: «لأني لست أستحي بإنجيل المسيح لأنه قوة الله للخلاص لكل من يؤمن، لليهودي أولاً ثم لليوناني.» (رو١: ١٦)، لأن نمو عدد الوثنيين الداخلين في الإيمان المسيحي كل يوم جعل العنصر اليهودي يتقلّص يوماً بعد يوم، حتى صاروا أقلية ضعيفة لا حول لها ولا قوة بعد أن كانوا العنصر الأساسي والمؤسس للكنيسة هناك.

والغطرسة الرومانية، وهي معروفة بما فيها من حب السيادة واحتقار الشعوب (غير الرومانية) وذلك بحكم العنصرية، كانت ما زالت لاصقة ببعض المتنصِّرين من الأمم. وعلى مَنْ كان حبُّ السيادة؟ على «اليهود» المصبوغين بالإحساس بالسيادة الإلهية فوق الأمم. هذا بالإضافة إلى حياتهم التي لم تكن تخلو بعد من عنصر الاستهتار الأخلاقي في عاداتهم اليومية. وكان بطء تكيُّفهم على الأوضاع المسيحية الجديدة بالتواضع والإخاء والمحبة وتقديم الآخرين، كل هذه كانت تحيِّر فكر اليهود المتنصِّرين وتُربكهم، الذين انطبع ملكوت الله والمسيَّا في قلوبهم بطابع اليهودية وسيادتها، الأمر الذي لم يَطقْهُ كثرة منهم فاضطروا للعودة إلى يهودية المجمع وأصبحت وحدة الكنيسة مهدَّدة. كل هذا توحي به عناصر الرسالة إذا دققنا في تحليلها.

وبولس الرسول يركز على إيضاح موقفه في طرح أسباب هذا التوتر وتوجيهه نحو **الاتجاه السلامي**، ولكن مع إبراز رأيه الذي لا يمكن أن تغيب حقيقته عن ذهن القارىء، **محاولاً بذلك بكل الجهد أن ينشىء عقيدة واحدة جامعة متحدة**. وهو يلتجىء إلى هذه الخطوات:

أولاً: ربط إنجيله الذي أخذه بإعلان المسيح بالعهد القديم باعتبار أن المسيحية هي تكميل وعد الله بالأنبياء:

+ «بولس عبدٌ ليسوع المسيح، المدعوُّ رسولاً، المفرَزُ لإنجيل الله الذي سبق فوعد به بأنبيائه في

9. Pfleiderer, *op. cit.*, p. 145.

الكتب المقدسة عن ابنه الذي صار من نسل داود من جهة الجسد.» (رو١: ١ــ٣)

+ «لأني لست أستحي بإنجيل المسيح، لأنه قوة الله للخلاص لكل مَنْ يؤمن، لليهودي أولاً ثم لليوناني، لأنْ فيه مُعْلَنٌ برُّ الله بإيمان لإيمان، كما هو مكتوب، أما البار فبالإيمان يحيا.» (رو١: ١٦و١٧)

وهو هنا يستعير قول حبقوق النبي: «لأن الرؤيا بعد إلى الميعاد، وفي النهاية تتكلم ولا تكذب، إن توانَتْ فانتظرها لأنها ستأتي إتياناً ولا تتأخر... **والبارُّ بإيمانه يحيا.**» (حب٢: ٣و٤)

+ «وأما الآن فقد **ظهر برُّ الله** بدون الناموس **مشهوداً له من الناموس والأنبياء،** برُّ الله بالإيمان بيسوع المسيح إلى كل وعلى كل الذين يؤمنون لأنه لا فرق.» (رو٣: ٢١و٢٢)

+ «أم الله لليهود فقط، أليس للأمم أيضاً؟ بلى للأمم أيضاً، لأن الله واحد هو الذي سيبرِّر الختان بالإيمان والغُرْلة بالإيمان. أفنُبْطل (العهد القديم) الناموس بالإيمان؟ حاشا بل نُثَبِّت الناموس (ونكمِّله).» (رو٣: ٢٩ــ٣١)

موضوع إبراهيم: «لأنه ماذا يقول الكتاب؟ فآمن إبراهيم بالله فحُسِبَ له برًّا ... ولكن لم يُكْتب من أجله وحده أنه حُسِبَ له بل من أجلنا نحن أيضاً ــ الذين سيُحْسَب لنا ــ الذين نؤمن بمن أقام يسوع ربنا من الأموات الذي أُسْلِمَ من أجل خطايانا وأُقيم لأجل تبريرنا.» (رو٤: ١ــ٢٥)

الكلام لليهود المتنصرين:

+ «أم تجهلون أيها الإخوة لأني أُكلِّم العارفين بالناموس.» (رو٧: ١)

+ «ولكن ليس هكذا، حتى إن كلمة الله قد سقطت، لأن ليس جميع الذين من إسرائيل هم إسرائيليون.» (رو٩: ٦)

+ «كما يقول في هوشع أيضاً سأدعو الذي ليس شعبي شعبي والتي ليست محبوبة محبوبة، ويكون في الموضع الذي قيل لهم فيه لستم شعبي أن هناك يُدْعَوْن أبناء الله الحي.» (رو٩: ٢٥و٢٦)

+ «وإشعياء يصرخ من جهة إسرائيل وإن كان عدد بني إسرائيل كرمل البحر فالبقية ستخلص.» (رو٩: ٢٧)

+ «وكما سبق إشعياء فقال لولا أن رب الجنود أبقى لنا نسلاً (الجزء من اليهود الذي قَبِلَ المسيح وصار مسيحياً) لصرنا مثل سدوم وشابهنا عمورة.» (رو٩: ٢٩)

+ «كما هو مكتوب ها أنا أضع في صهيون حجر صدمة (يسوع المسيح) وصخرة عثرة، **وكلُّ مَنْ يؤمن به لا يُخزَى.**» (رو٩: ٣٣)

+ «لأن الكتاب يقول كل مَنْ يؤمن به لا يخزى، لأنه لا فرق بين اليهودي واليوناني، لأن رباً واحداً للجميع، غنيًّا لجميع الذين يَدْعُون به، لأن كل مَنْ يدعو باسم الرب يخلص.» (رو١٠: ١١—١٣)

+ «وأقول إن يسوع المسيح قد صار خادم الختان [اخْتُتِن في اليوم الثامن، وكرَّز لليهود: "لم أُرْسَل إلاَّ إلى خراف بيت إسرائيل الضالة." (مت١٥: ٢٤)] من أجل صدق الله حتى يُثبِّت مواعيد الآباء.» (رو١٥: ٨)

الكلام للأمم المتنصِّرين:

+ «وأما الأمم فمجَّدوا الله من أجل الرحمة، كما هو مكتوب، من أجل ذلك سأحمدك في الأمم وأرتِّل لاسمك. ويقول أيضاً: **تهللوا أيها الأمم مع شعبه**، وأيضاً سبحوا الرب يا جميع الأمم وامدحوه يا جميع الشعوب، وأيضاً يقول إشعياء: سيكون أصل يَسَّى، والقائم ليسود على الأمم، عليه سيكون رجاء الأمم.» (رو١٥: ٩—١٢)

ثانياً: جمع في شخص يسوع المسيح: مسيح التاريخ بحسب التوراة ومسيح الروح من السماء، بحسب الاستعلان الذي ناله لحساب الأمم:

+ «الذي سبق فوعد به، بأنبيائه، في الكتب المقدسة عن ابنه، الذي صار من نسل داود من جهة الجسد (اليهود) وتعيَّن ابن الله بقوة من جهة روح القداسة بالقيامة من الأموات (لكل من اليهود والأمم).» (رو١: ٢—٤)

+ «الذين هم إسرائيليون ... ولهم الآباء ومنهم **المسيح حسب الجسد، الكائن على الكلِّ** (يهودٍ وأممٍ)، **إلهاً مباركاً** إلى الأبد آمين.» (رو٩: ٤و٥)

ثالثاً: عاد هنا في رسالته إلى أهل روما يعادل ويوفق بين وَجْهَي الناموس. ففي رسالته إلى غلاطية، وبسبب خطورة الأزمة التي خلَّفها اليهود المتعصبون للناموس، **كشف عن وجه الناموس الطقسي بحسب الجسد** الذي أوْرَثَ اللعنة عِوَض البرِّ للإنسان الذي يعمل به:

«لأن جميع الذين هم من أعمال الناموس هم تحت لعنة، لأنه مكتوب: ملعونٌ كل مَنْ لا يَثْبُت في جميع ما هو مكتوب في كتاب الناموس ليعمل به.» (غل٣: ١٠)

أما هنا في رسالته إلى رومية، فركَّز على الوجه الروحي للناموس كَوْنَه يحضُّ على الصلاح والتقوى والطهارة حتى ولو كان لا يؤازِر مَنْ يعمل بها، فإنْ أخفق الإنسان، فهذا لكونه يعتمد

على الجسد وطبيعته العاجزة:

+ «إذاً الناموس مقدس والوصية مقدسة وعادلة وصالحة ... فإننا نعلم أن الناموس روحيٌّ وأما أنا فجسديٌّ مَبِيعٌ تحت الخطية ... فإن كنت أفعل ما لست أُريده (الخطية)، فإني أُصادق الناموس أنه حسن.» (رو٧: ١٢و١٤و١٦)

+ «لأنه ما كان الناموس عاجزاً عنه في ما كان (الإنسان) ضعيفاً بالجسد، فالله إذ أرسل ابنه في شبه جسد الخطية، ولأجل الخطية، دان الخطية في الجسد. لكي يتم حكم الناموس فينا نحن السالكين ليس حسب الجسد (بناموس الجسد)؛ بل حسب الروح (روح الحياة في المسيح).» (رو٨: ٣و٤)

رابعاً: ثم عاد هنا في الرسالة إلى أهل رومية ليراجع عمومية الحكم الذي أطلقه في رسالته إلى أهل غلاطية، على أن الرجوع إلى الأركان الضعيفة (أي وصايا الناموس الطقسية) يحرم الإنسان من المسيح:

+ «قد تَبَطَّلتم عن المسيح، أيها الذين تتبررون بالناموس، سقطتم من النعمة.» (غل٥: ٤)

هنا في الرسالة إلى رومية أجاز للضعفاء هنا بنوع من الاستثناء:

+ «ومَنْ هو ضعيف في الإيمان، فاقبلوه لا لمحاكمة الأفكار. واحد يؤمن أن يأكل كل شيء وأما الضعيف فيأكل بقولاً، لا يزدرِ مَنْ يأكل بمَنْ لا يأكل، ولا يَدِنْ مَنْ لا يأكل مَنْ يأكل لأن الله قَبِلَهُ. مَنْ أنت الذي تدين عبد غيرك؟ هو لمولاه يثبت أو يسقط، ولكنه سيثبت لأن الله قادر أن يثبِّته.» (رو١٤: ١-٤)

+ «إني عالم ومتيقن في الرب يسوع أن ليس شيءٌ نجساً بذاته، إلاَّ مَنْ يحسب شيئاً نجساً فله هو نجس.» (رو١٤: ١٤)

هنا حصر القديس بولس النظرة العامة والحكم العام على الأعمال والسلوك والأكل والطعام في النظرة الشخصية لكل واحد بمفرده حسب ضميره. وأضاف نوعاً من الحماية للإنسان (اليهودي الأصل) الذي له ضمير يُعثره من نحو سلوك الآخرين، فهذا يَلْزم أن لا نعثره بحريتنا في المسيح:

+ «فإن كان أخوك بسبب طعامك يُحْزَنَ، فلست تسلك بعد حسب المحبة. لا تُهْلِك بطعامك ذلك الذي مات المسيح لأجله ... فيجب علينا نحن الأقوياء أن نحتمل أضعاف الضعفاء، ولا نُرضي أنفسنا. فلْيُرضِ كل واحد منا قريبه للخير لأجل البنيان.» (رو١٤: ١٥؛ ١٥: ١و٢)

هنا الضعيف والذي يعثره ضميره هو المسيحي اليهودي الأصل الذي لا يزال الناموس عالقاً به، الذي تربى ضميره على النجس والطاهر حينما يأكل المسيحي الوثني الأصل أشياءَ ليست طاهرة أمام اليهودي.

وهذا التوجيه الجديد الذي يقدمه بولس الرسول لأهل رومية هو:

١ — من واقع تغيير الحال بالنسبة لليهود المتنصرين، إذ أصبحوا أقلية ضعيفة بعد أن كانوا في الكنائس الأخرى في البداية أكثرية متجبِّرة ومستبدة. وهكذا بعد أن كان المسيحيون من ذوي الأصل الوثني واقعين تحت ضغطهم واضطهادهم وتعييرهم، انقلب الحال وصاروا — أي اليهود المتنصرون — هم الأضعف والواقعون تحت إعثار من الوثنيين المتنصِّرين، وذلك عندما يأكلون، أي يأكل هؤلاء أشياء نجسة في عُرْف اليهود أو يسلكون بحرية غير مقبولة ولا جائزة عند اليهود.

٢ — من واقع تقارب الخبرات واقتراب كل فريق من الآخر من كلا الطرفين مما شجع بولس الرسول على التلطيف في مهاجمة اليهود والناموس، بُغْيَة الوصول إلى الوحدة في الكنيسة الجامعة.

خامساً: عوض التفرقة العنيفة القاطعة بين اليهود والمسيحيين التي **قدَّمها** بولس الرسول في رسالة غلاطية بجعل المسيحيين الأمميين هم أولاد سارة (الكنيسة)، والورثة الحقيقيين لإبراهيم وللوعد لأنهم آمنوا بالمسيح؛ في مقابل اليهود الذين لم يؤمنوا وكأنهم أولاد هاجر (الناموس وسيناء)، **الذين بالنهاية هم مطرودون** من البيت: «اطرد الجارية وابنها لأنه لا يرث ابن الجارية مع ابن الحرة» (غل٤: ٣٠) (ارجع إلى ص٣٤٠) — عاد هنا بولس الرسول في رسالته إلى رومية ليلطف كثيراً من هذا الحكم استرضاءً لليهود المتنصِّرين الواقعين تحت ألم الإحساس بالأقلية، في حين أن كل المواعيد بالمسيَّا هي لهم بالدرجة الأُولى، عاد يطرق علاقته الشخصية باليهود بكل اللطف والمشاعر الرقيقة؛ بل والمديح في الأصحاح التاسع من رسالته إلى رومية على هذا المنوال:

«إن لي حزناً عظيماً ووجعاً في قلبي لا ينقطع، فإني كنت أودُّ لو أكون أنا نفسي محروماً من المسيح لأجل إخوتي أنسبائي حسب الجسد، الذين هم إسرائيليون ولهم التبني والمجد والعهود والاشتراع والعبادة والمواعيد، ولهم الآباء، ومنهم المسيح حسب الجسد الكائن على الكل إلهاً مباركاً إلى الأبد آمين.» (رو٩: ٢ — ٥)

وعاد يلتمس الخير ويرجو الحياة لليهود حتى الذين رفضوا المسيح والإيمان هكذا:

+ «فأقول ألعلَّ الله رفض شعبه؟ حاشا! لأني أنا أيضاً إسرائيلي من نسل إبراهيم ... لم يرفض الله شعبه الذي سبق فعرفه ... فأقول ألعلهم عثروا لكي يسقطوا؟ حاشا! بل بزلَّتهم صار الخلاص للأمم لإغارتهم، فإن كانت زلَّتهم غِنًى للعالم ونقصانهم غِنًى للأمم فكم بالحري ملؤُهم ... لأنه إن كان رفضهم هو مصالحة للعالم فماذا يكون اقتبالهم إلا حياة من الأموات.» (رو١١: ١و٢و١١و١٢و١٥)

بمعنى أن عثرة اليهود بصليب المسيح لا تعني رفضهم إلى الأبد؛ بل هو مجرد تنحِّيهم من الطريق فقط ليدخل ملؤ الأمم لتكميل خطة خلاص الله العظمى، وحينئذ يدخلون ليكمل الخلاص بهم. وهكذا يصير الأولون آخرين والآخرون أولين، ولكن بالنهاية الكل يدخلون. وهكذا تنتهي الشمولية عند بولس الرسول بأن اليهودي واليوناني واحد في المسيح، والكل يجمعهم ملكوت الله.

وبهذا وفي رسالة رومية ينتهي صراع الأُممية عند بولس الرسول مع اليهودية والناموس، ولكن لا تزال المسيحية متفوقة عن اليهودية بما لا يُقاس.

وسائط الفداء

الباب الثالث: الإيمان.

الباب الرابع: الأسرار.

الباب الخامس: الكنيسة.

الباب الثالث
الإيمان والتبرير والتقديس
في لاهوت بولس الرسول

الفصل الأول

الإيمـــان

لا نريد أن نخوض في المفهومات التي خرجت عن أصالة استخدام هذه الكلمة، لأن غايتنا الأساسية من الشرح والتوضيح هو الوصول إلى بناء الفكر والقلب بالمعرفة الروحية الصحيحة حسب الإنجيل، وخلاصة خبرة وتعاليم الآباء القديسين المشهود لهم.

أصل الإيمان في العهد القديم:

أصل «الإيمان» ومنشأه كان مع إبراهيم أب الآباء، ولكن إبراهيم لم يبدأ مع الله بالإيمان ولا الله بدأ مع إبراهيم بعمل يجعله مؤمناً، فالإيمان جاء كعلاقة بين إبراهيم والله بعد أن سمع إبراهيم صوت الله وهو في أور الكلدانيين، ورحل تاركاً عشيرته إطاعة لدعوة الله؛ بل وأظهر إبراهيم خضوعاً لله وتكريماً لوجه الله في مواقف كثيرة قبل أن يأتي ذكر الإيمان، بل وكان إبراهيم يدرك في قلبه أن الله هو خالق السموات والأرض قبل أن يؤمن إبراهيم بالله؟!! «فقال أبرام لملك سدوم: رفعتُ يديَّ (علامة شهادة) إلى الرب الإله العلي مالك السماء والأرض، لا آخذن لا خيطاً ولا شِراكَ نعلٍ ولا من كل ما هو لك، فلا تقول أنا أغنيتُ أبرام» (تك١٤: ٢٢و٢٣). وأخيراً لما ظهر له الرب ووعده بأن لا يخاف وأنه تُرْسٌ له وأنه سيعطيه أجراً كثيراً، اعترض إبراهيم على الله قائلاً: «فقال أبرام أيها السيد الرب ماذا تعطيني وأنا ماضٍ عقيماً، ومالكُ بيتي هو أليعازر الدمشقي ...» (تك١٥: ٢). وهنا وعده الله، وهو ابن حوالي مائة سنة وامرأته عاقر وتقدمت في الأيام جداً ولم يَعُدْ لها طبيعة الإنجاب، وبالرغم من ذلك وعده الله بأنه سينجب ولداً. هنا آمن إبراهيم: «ثم أخرجه إلى خارج (الخيمة) وقال: انظر إلى السماء (ليلاً) وعُدَّ النجوم إن استطعت أن تعدَّها. وقال له هكذا يكون نسلك، **فآمن بالرب فحسبه له براً**.» (تك١٥: ٥و٦)

يلاحظ هنا أن الإيمان كان نتيجة وعد بأمر غير معقول وفوق قدرة التصديق. هذا هو أول عنصر من عناصر معنى «الإيمان» وقوته عند بولس الرسول:

(أ) «فهو (أي إبراهيم) على خلاف الرجاء آمن على الرجاء ...،

(ب) وإذ لم يكن ضعيفاً في الإيمان، لم يعتبر جسده، وهو قد صار مُماتاً إذ كان ابن نحو مائة سنة ولا مماتية مستودع (رحم) سارة،

(ج) ولا بعدم إيمان ارتاب في وعد الله،

(د) بل تقوَّى بالإيمان مُعطياً مجداً لله،

(هـ) وتيقن أن ما وعد به هو قادر أن يفعله أيضاً،

(و) لذلك أيضاً حُسِبَ له براً.» (رو٤: ١٨-٢٢)

هذا هو نموذج الإيمان، وهذا هو شرط الإيمان الذي يُحسَبُ له براً:

(أ) إيمان على خلاف الرجاء أنشأ لنفسه رجاءً فوق معقولية الرجاء.

(ب) إيمان لا يعتبر الأمور الواقعة الملموسة المضادة للعقل.

(ج) إيمان يجعل وعد الله لا يقترب منه الارتياب.

(د) إيمان قوي هو بحد ذاته تمجيد لله.

(هـ) إيمان يضع وعد الله على مستوى التنفيذ الحتمي.

من هذا نفهم معنى ومضمون الإيمان في الوحي الإلهي من واقع إيمان إبراهيم في العهد القديم، فهو منحصر انحصاراً شخصياً للغاية، جاء كتاج فوق العلاقات العامة، فإبراهيم أطاع الله وخرج من أور، وخرج وهو لا يعلم إلى أين يذهب.

واعتبر الله أنه خالق السماء والأرض،

وأن الله ذو اعتبار عالٍ وكرامة حتى يحلف به.

كل هذه العلاقات العامة جاءت قبل أن يؤمن إبراهيم بالله!

فلما مسَّ الله واقع إبراهيم الميت وأعطاه وعداً بالحياة، هنا حدث الاتصال السري الذاتي والتعلُّق الحياتي بالله عند إبراهيم، فجاء الإيمان!! هنا يمكن أن نقول إن الإيمان هو ارتباط داخلي، حياة بحياة، ذاتاً بذات، ارتباط الإنسان بالله، ليحدث الانتماء الفائق للطبيعة فيصير الإنسان لله ويصير الله للإنسان.

صور ونماذج مبسطة للإيمان في العهد القديم في لاهوت بولس الرسول (عب ١١):

(أ) **بالإيمان** نفهم أن العالمين أُتقنت بكلمة الله حتى لم يتكون ما يُرى مما هو ظاهر = (الخليقة من لا شيء بقوة الكلمة).

(ب) **بالإيمان** نُقل أخنوخ لكي لا يرى الموت ولم يوجد لأن الله نقله. إذ قبل نقله شُهد له بأنه قد أرضى الله.

(ج) **بالإيمان** نوح لما أُوحي إليه عن أمور لم تُر بعد خاف فبنى فلكاً ... صار وارثاً للبر الذي حسب الإيمان.

(د) **بالإيمان** إبراهيم لما دُعي أطاع أن يخرج ...، فخرج وهو لا يعلم إلى أين يأتي.

(هـ) **بالإيمان** قدَّم إبراهيم إسحق وهو مُجرَّب، ... إذ حسب أن الله قادر على الإقامة من الأموات.

(و) **بالإيمان** صنع (موسى) الفصح،

(ز) **بالإيمان** اجتازوا في البحر،

(ح) **بالإيمان** سقطت أسوار أريحا.

ثم أجمل بولس الرسول أعمال كل جبابرة الإيمان في العهد القديم، جدعون و باراق وشمشون ويَفْتاح وداود وصموئيل والأنبياء هكذا:

(ط) **بالإيمان** قهروا ممالك، صنعوا براً، نالوا مواعيد، سدوا أفواه أسود، أطفأوا قوة النار، نجوا من حد السيف، تقووا من ضعف، صاروا أشداء في الحرب، هزموا جيوش غرباء.

(ي) **بالإيمان** (كل هؤلاء) لم ينالوا الموعد ... لكي لا يُكملوا بدوننا.

ثم يقف بولس الرسول على أمثلة الإيمان كما جاءت عاليه هكذا:

+ «ولكن بدون إيمان لا يمكن إرضاؤه،

لأنه يجب أن الذي يأتي إلى الله يؤمن بأنه موجود وأنه يجازي الذين يطلبونه.» (عب١١:٦)

+ «في الإيمان مات هؤلاء أجمعون وهم لم ينالوا المواعيد، بل من بعيد نظروها وصدقوها وحيُّوها.» (عب١١:١٣)

ولكي نأخذ صورة متكاملة مبسَّطة عن نماذج عمل الإيمان في العهد القديم التي قدَّمها بولس الرسول، نرى أنه حصر عمل الإيمان في الآتي:

(أ) ربط خلقة العالم بكلمة الله، وخلقة ما يُرى مما لا يُرى، أي من لا شيء.

(ب) ربط **الإيمان بإرضاء الله**. والنتيجة تجاوُز الموت.

(ج) ربط **الإيمان بتصديق أمور موحاة غير منظورة** وتنفيذ أمر الله. والنتيجة نوال البر والخلاص من الهلاك.

(د) ربط **الإيمان بالطاعة** والسير في طريق لا تُعرف نهايته.

(هـ) ربط **الإيمان بالبذل حتى الموت** على أساس قدرة الله على الإقامة من الأموات.

(و) ربط **الإيمان بعمل طقسي** كوسيلة للخروج من العبودية.

(ز) ربط **الإيمان بالدخول في مخاطرة** غير محسوبة العواقب.

(ح) ربط **الإيمان بتدخُّل قوات غير منظورة** لرفع عوائق منظورة.

(ط) ربط **الإيمان بعمل المعجزات** الخارقة اعتماداً على الله.

(ي) وأخيراً ربط بولس الرسول كل أعمال الإيمان في العهد القديم بالرجاء غير المنظور **دون انتظار تحقيق الوعود.**

أساس الإيمان في العهد الجديد:

بولس الرسول لم يضع فاصلاً بين إيمان العهد القديم وإيمان العهد الجديد، ولا وضع تغييراً أو تمييزاً في أي شيء؛ بل أخذ إيمان العهد القديم كنموذج واجب التطبيق. فالإيمان بالله هو الإيمان قديماً وجديداً. وقد اتخذ بولس الرسول إيمان إبراهيم نموذجاً، باعتبار أن تقديمه لابنه حبيبه إسحق، الذي أخذ عنه المواعيد، كذبيحة طاعة لأمر الله دون تفكير أو شك أو أي اهتزاز، كان على أساس إيمانه بأن الله قادر أن يقيمه من الموت ـــ بعد ذبحه ـــ فهو إيمان بالقيامة من الموت، إيمان بالحياة من بعد موت!! إيمان بالله المحيي!!

وإنه وإن بدا لنا أن هذا تخريج من بولس الرسول لأن الكتاب لم يذكر ذلك، إلَّا أن إبراهيم، وقبل أن يطلب منه الله تقديم ابنه ذبيحة له، سبق له أن آمن بمواعيد الله وهو ابن مائة عام وامرأته كذلك وقد فقدت القدرة على النسل، لما وعده الله بأنه سيكون له ابن وامرأته ستلد له ولداً، فـ «آمن بالله»؛ فميلاد إسحق يعني بحد ذاته **إقامة من الموت** بمعنى **إعطاء حياة من بعد موت!!**

على هذا الأساس قال بولس الرسول إننا عندما نؤمن بقيامة المسيح من الموت وبأن الله أقامه من الموت من أجلنا، فهذا هو إيمان العهد الجديد الذي يُحسَبُ لنا برًّا. هذا الإيمان بقيامة المسيح من الموت يُحسَبُ لنا برًّا على نفس الأساس الذي حُسِبَ به البر لإيمان إبراهيم كما قرأناه:

أ ـــ إيمان على خلاف الرجاء: وهذا من واقع اعتراف تلميذي عمواس: «ونحن كنا نرجو أنه هو المزمع أن يفدي إسرائيل، ولكن مع هذا كله اليوم له ثلاثة أيام منذ حدث ذلك (منذ صلبه).» (لو٢٤: ٢١)

ب ـــ إيمان لا يعتبر الأمور الواقعة الملموسة المضادة للعقل: مات وقُبِرَ لثلاثة أيام.

ج ـــ إيمان يجعل وعد الله لا يقترب منه الارتياب: ونحن شهود لذلك «الاعتراف الحسن» قام حقاً!!

د ــ **إيمان هو بحد ذاته تمجيدٌ لله:** قام بمجد الآب.

هـ ــ **إيمان يضع وعد الله موضع التنفيذ:** العماد.

إذا انتبهنا إلى هذه العناصر التي يتحتم أن توجد في الإيمان بالمسيح لكي يُحسَبَ لنا براً على أساس البر الذي حُسِبَ لإبراهيم لما آمن بالرب، فإننا نجد أن تعريف الإيمان يشمل هذه العناصر تماماً:

الإيمان هو بخصوص حقيقة فائقة للطبيعة،

وبمساعدة النعمة نحن نؤمن أن **كل الأمور التي استُعْلنت في الإنجيل هي حق!** ليس كأنها في متناول قوى العقل الطبيعي الذي ندرك به المعقولات المادية، ولكن على أساس أن إيماننا هو اعتمادٌ على **سلطان وصدق الله الذي أعلنها.**

أما في تعريف البرِّ بالإيمان:

فنحن نتبرَّر بالإيمان بالله، لأن الإيمان بالله هو أساس كل فعل وتصرف. والتبرير بالإيمان مجاني، لأن لا شيء يساوي الإيمان مهما كان هذا الشيء. فإن كان ليس شيء يفوق الإيمان، فالتبرير بالإيمان يتحتم أن يسبق التبرير بالأعمال ويتفوق عليه.

ولأن التبرير أكمله المسيح عنا مجاناً قبل أن نؤمن أو نعمل، **فالبر المجاني** يسبق كل شيء. فما علينا إلاَّ أن نؤمن بالبر ــ أو بالبارِّ ــ لكي نتبرر ثم نعمل أعمال البر فنؤهَّل للحياة فيه؛ بمعنى أن البر قائم قبل الإيمان، ولكن يتحتم أن نؤمن به لنناله، فإذا نلناه بالإيمان فلا بد أن نسلك ونعمل به لنحيا فيه.

معنى «الإيمان في المسيح»
و«إيمان المسيح» باعتباره هبة

هذا المعيار اللاهوتي: «في المسيح»(١) الذي يتكرر كثيراً في لاهوت بولس الرسول هو في الحقيقة تعبير عن **خبرة الخلاص المجاني التي وُهِبَت له والتي جازها.** فهي خبرة مُنِحَت له دون أن يسعى إليها، ولكنها بقيت «فيه» تعمل على كافة المستويات، وكان يعبِّر عنها دائماً بأن «المسيح فيه». وعلى نفس المستوى في التعبير عن الخلاص الذي فيه، فهو أيضاً «في المسيح» يعيش.

(١) أنظر صفحات ٢٦٤ــ٢٦٦.

هذه الخبرة الخلاصية — كموهبة حصل عليها مجاناً — بقيت فيه وأصبحت طاقة مختزنة تعمل فيه ولا تفرغ؛ أحسَّها بولس الرسول وعبَّر عنها بأنها **قوة** تعمل فيه ويعمل بها.

+ «فبكل سرور أفتخر بالحري في ضعفاتي لكي تحل عليَّ **قوة المسيح** ἡ δύναμις τοῦ Χριστοῦ ... لأني حينما أنا ضعيف فحينئذ "أنا قوي"» (٢كو١٢: ٩و١٠).

واضح هنا أن بولس الرسول يفرز ضعفه عن قوة المسيح فيه. فهو ضعيف بنفسه، قويٌّ بالمسيح.

+ «باسم ربنا يسوع المسيح، إذ أنتم وروحي مجتمعون مع **قوة ربنا يسوع المسيح**...» (١كو٥: ٤). فالمسيح في بولس قوة تعمل: «بحسب **القوة** التي تعمل فينا.» (أف٣: ٢٠)

+ هكذا أحس «**بغنى المسيح**» πλοῦτος τοῦ Χριστοῦ أيضاً يفيض فيه:

«أُعطِيتْ هذه النعمة أن أُبشِّر بين الأمم **بغنى المسيح** الذي لا يُستقصى.» (أف٣: ٨)

«وأقامنا معه، وأجلسنا معه في السماويات في المسيح يسوع، لِيُظْهِرَ في الدهور الآتية **غنى نعمته** الفائق باللطف علينا **في المسيح يسوع**.» (أف٢: ٦و٧)

+ كذلك كان يحس «**ببركة (إنجيل) المسيح**»: εὐλογίας τοῦ Χριστοῦ

الترجمة العربية هنا غير دقيقة فهي يجب أن تكون «بركة المسيح» مباشرة، وذلك بحسب أوثق النصوص، وليس «بركة إنجيل المسيح»، فكلمة «الإنجيل» هنا مُزادة: «وأنا أعلم أني إذا جئت إليكم سأجيء في ملء بركة (إنجيل) المسيح.» (رو١٥: ٢٩)

+ وكان يحس أيضاً أن المسيح لما حلَّ في قلبه بالإيمان، حلَّ بملئه — أي **بملء المسيح** πλήρωμα τοῦ Χριστοῦ: «إلى قياس قامة ملء المسيح» (أف٤: ١٣)، «وأنتم مملوؤون فيه.» (كو٢: ١٠)

كل هذه التعبيرات: **القوة، والغنى، والبركة، والملء** التي للمسيح والتي يحسُّها بولس أنها متدفقة من المسيح، هي كلها بحد ذاتها تعبِّر عن «**إيمانه في المسيح**»، وهذه هي تعبيراته عن «الإيمان في المسيح»:

+ «آمنا نحن أيضاً بيسوع المسيح (صحتها: **في المسيح يسوع** εἰς Χριστὸν Ἰησοῦν) لنتبرر بإيمان يسوع لا بأعمال الناموس.» (غل٢: ١٦)

+ «لأنكم جميعاً أبناء الله بالإيمان **في المسيح يسوع** ἐν Χριστῷ Ἰησοῦ.» (غل٣: ٢٦)

+ «سمعت بإيمانكم **في الرب يسوع** ἐν τῷ Κυρίῳ Ἰησοῦ ومحبتكم نحو جميع القديسين.» (أف١: ١٥)

+ «قد وُهب لكم لأجل المسيح لا أن تؤمنوا فيه εἰς αὐτὸν πιστεύειν فقط بل أيضاً أن تتألموا لأجله.» (في١: ٢٩)

+ «سمعنا **إيمانكم في المسيح يسوع** = τὴν πίστιν ὑμῶν ἐν Χριστῷ Ἰησοῦ ومحبتكم لجميع القديسين.» (كو١: ٤)

+ «ناظراً ترتيبكم ومتانة **إيمانكم في المسيح** εἰς Χριστόν.» (كو٢: ٥)

+ «لأن الذين تشمَّسُوا حسناً يقتنون لأنفسهم درجة حسنة وثقة كثيرة **في الإيمان الذي في المسيح يسوع** ἐν πίστει τῇ ἐν Χριστῷ Ἰησοῦ.» (١تي٣: ١٣)

+ «تمسَّك بصورة الكلام الصحيح الذي سمعته مني في الإيمان والمحبة التي **في المسيح يسوع** ἐν Χριστῷ Ἰησοῦ.» (٢تي١: ١٣)

+ «وإنك منذ الطفولية تعرف الكتب المقدسة القادرة أن تُحكِّمك للخلاص **بالإيمان الذي في المسيح يسوع** ἐν Χριστῷ Ἰησοῦ.» (٢تي٣: ١٥)

كما نجده يستخدم لوصف إيمانه أنه:

«**إيمان المسيح** πίστις Ἰησοῦ Χριστοῦ»:

+ «إذ نعلم أن الإنسان لا يتبرر بأعمال الناموس بل **بإيمان يسوع المسيح**، آمنّا نحن أيضاً بيسوع المسيح لنتبرر **بإيمان يسوع**.» (غل٢: ١٦)

+ «فما أحياه الآن في الجسد، فإنما أحياه في الإيمان **إيمان ابن الله** الذي أحبني وأسلم نفسه لأجلي.» (غل٢: ٢٠)

+ «لكن الكتاب أغلق على الكل تحت الخطية ليُعطى الموعد من **إيمان يسوع المسيح** للذين يؤمنون.» (غل٣: ٢٢)

+ «الذي به لنا جراءة وقدوم **بإيمانه** عن ثقة.» (أف٣: ١٢)

+ «وليس لي برِّي الذي من الناموس بل الذي **بإيمان المسيح**، البر الذي من الله بالإيمان.» (في٣: ٩)

وهذه التعبيرات جميعاً بخصوص الإيمان، عند بولس الرسول، **توضح أن الإيمان عنده هو قوة تكونت فيه نتيجة اتحاده بالمسيح ــ الرب الروح من السماء ــ كما رآه وسمعه واختبره في القلب، وهذا هو سر قوله دائماً «في المسيح»**، كحقيقة عامة إيمانية يطرحها للممارسة العامة وللجميع بلا استثناء.

فإيمانه بالمسيح هو في الحقيقة «اتحاده الدائم بالمسيح»، اتحاده بموته واتحاده بقيامته، لأن

المسيح مات بنا وقام بنا. وليس الإيمان وحسب، بل وكل الصفات ذات المعيار المسيحي هي مستمدة من المسيح بالشركة معه أو الاتحاد به أو الإيمان به، فهي حتماً حصيلة إيمان، لأن الإيمان هو أصل ورأس الاتحاد بالمسيح الرب الروح من السماء.

ومن هذه الصفات التي نستمدها من المسيح بالإيمان به:

محبة المسيح:

+ «لأن محبة المسيح تحصرنا ἡ ἀγάπη τοῦ...Χριστοῦ .» (٢كو٥: ١٤)

هنا محبة المسيح قوة رابطة عامة!

+ «... وتعرفوا محبة المسيح الفائقة المعرفة.» (أف٣: ١٩)

وهنا محبة المسيح هي استنارة روحية عامة فائقة على إدراك العقل.

+ «من سيفصلنا عن محبة المسيح أشدة؟ ...» (رو٨: ٣٥)

هنا الرباط في المسيح جاء بصيغة الجمع وليس خبرة شخصية.

رجاء المسيح:

وأيضاً رجاء المسيح عند بولس الرسول، وحينما يعبِّر أيضاً عن الرجاء الذي فيه، فهو هو **رجاء المسيح** بمعنى الرجاء الذي يناله الإنسان، كل إنسان، من جراء الشركة مع المسيح أو فيه. فهو «**رجاء المسيح** τῆς ἐλπίδος τοῦ...Χριστοῦ» العام وليس رجاء بولس الشخصي.

+ «متذكرين بلا انقطاع عمل إيمانكم، وتعب محبتكم، **وصبر رجائكم** ربنا يسوع المسيح أمام الله وأبينا» (١تس١: ٣)، كله بالجمع.

سلام المسيح:

وكذلك السلام، فهو «**سلام المسيح** ἡ εἰρήνη τοῦ Χριστοῦ» حيث السلام يملك على القلوب ويربطها برجاء واحد ولا يقتصر على قلب واحد:

+ «وليملك في **قلوبكم سلام (المسيح)** الذي إليه دُعيتم في جسد واحد.» (كو٣: ١٥)

والترجمة العربية البيروتية غير دقيقة هنا، فهو «سلام المسيح» وليس «سلام الله»، وذلك حسب أوثق النصوص.

كذلك وداعة المسيح وحلمه ἡ πρᾳότης καὶ ἐπιεικεία τοῦ Χριστοῦ :

+ «ثم أطلب إليكم **بوداعة المسيح وحِلْمِه** أنا نفسي بولس ...» (٢كو١٠: ١)

هنا وداعة المسيح وحِلْمه هبة مطروحة على الكنيسة ككل.

كذلك رقة تعطفات المسيح: «أحشاء المسيح Tender mercies » = σπλάγχνα Χριστοῦ

+ «أشتاق إلى جميعكم في **رقة تعطفات (أحشاء) يسوع المسيح**.» (في ١:٨)

هنا «رقة تعطفات» المسيح تملأ اشتياقات الأفراد نحو الأفراد وتوحِّدها.

كذلك «**صبر المسيح** ἡ ὑπομονὴ τοῦ Χριστοῦ »، حيث صبر المسيح ممنوح لقلوب الجماعة كمحبة الله العامة:

+ «والرب يهدي قلوبكم إلى محبة الله وإلى **صبر المسيح**.» (٢تس٣:٥)

كذلك «**طاعة المسيح** ἡ ὑπακοὴ τοῦ Χριστοῦ »:

+ «مستأسرين كل فكر إلى "**طاعة المسيح**."» (٢كو١٠:٥)

هنا طاعة المسيح تأسر الأفكار الشاردة لتوحدها في أسر حق المسيح.

كذلك «**حق المسيح** ἀλήθεια τοῦ Χριστοῦ »:

+ «حق المسيح فيَّ ...» (٢كو١١:١٠)

هنا «حق المسيح» ينطق في أولاد الله النطق الصادق الواحد.

كذلك «**مخافة المسيح** φόβος Χριστοῦ »:

الترجمة البيروتية هنا أيضاً غير دقيقة فهي «مخافة المسيح» وليس «مخافة الله»، وذلك حسب أوثق النصوص.

+ «خاضعين بعضكم لبعض في **خوف المسيح**.» (أف٥:٢١)

هنا خوف المسيح يحني الرؤوس المتكبرة، لتخضع الجماعة معاً بعضها لبعض.

كذلك «**ختانة المسيح** ἡ περιτομὴ τοῦ Χριστοῦ »:

هنا ختانة المسيح خرجت عن مفهومها الفردي لتعطي قوة خلع جسم خطايا البشرية.

+ «**وبه أيضاً خُتِنتم** ختاناً غير مصنوع بيدٍ، بخلع جسم خطايا البشرية، **بختان المسيح**.» (كو٢:١١)

كذلك «**آلام المسيح** τὰ παθήματα τοῦ Χριστοῦ »:

هنا الآلام ليست خبرة شخصية مميَّزة، بل هي خبرة شركة يشترك فيها الجميع لينالوا منها تعزيات تجمع قلوبهم وأرواحهم.

+ «لأعرفه وقوة قيامته **وشركة آلامه** متشبِّهاً بموته.» (في٣:١٠)

+ «لأنه كما تكثر **آلام المسيح** فينا كذلك بالمسيح تكثر تعزيتنا أيضاً.» (٢كو١:٥)

كذلك «شدائد (أحزان) المسيح αἱ θλίψεις τοῦ Χριστοῦ» :

+ «الآن أفرح في آلامي لأجلكم وأُكمِّل نقائص شدائد المسيح في جسمي لأجل جسده الذي هو الكنيسة.» (كو١: ٢٤)

ويضاف إلى ذلك ما سبق أن أوضحنا في:

«قوة المسيح» ἡ δύναμις τοῦ Χριστοῦ

«غنى المسيح» τὸ πλοῦτος τοῦ Χριστοῦ

«بركة المسيح» ἡ εὐλογία τοῦ Χριστοῦ

«ملء المسيح» τὸ πλήρωμα τοῦ Χριστοῦ

وكلها تحمل معنى توزيع هبات المسيح لتجمع وتوحِّد وتقدِّس.

كل هذه الاصطلاحات أوردها القديس بولس، لا من تفكيره ولا من تصوُّره، لأنها كلها تنافي التصوُّر والتفكير، ولأن صفات المسيح هي للمسيح ولا يمكن بالعقل أن يكون قد وهبها لبولس لتصير صفاتٍ فيه، أي في بولس، ولكن بولس الرسول يوردها بحالها، في المسيح وله بآنٍ واحد، وهذا لا يمكن أن يتأتى إلاَّ إذا كان بولس قد أصبح شريكاً أو مُشترِكاً في كل ما للمسيح بالاتحاد الذي أعطاه «الإيمان» الحي بالمسيح، والذي جعله شريكاً في صفات المسيح واختباراته وأعماله. فهو مات معه وقام معه وجلس معه في السماوات، وتألم وصبر وتقوَّى، واغتنى وتبارك وامتلأ بما للمسيح. كل هذا لينتهي إلى القول بأننا «مملوؤون فيه.» (كو٢: ١٠)

هذا التعبير عن الإيمان وبهذا الوصف، وعن شركة صفات المسيح وبهذا الوصف أيضاً، لا يمكن أن يُحتسب أنه لاهوت عقلي أو تحليلي ولا جدلي ــ كما يقول العلماء ــ بل ولا هو تصوُّفيٌّ كأنه خبرة شخصية فردية، ولكنه لاهوت الخلاص العام الذي انفتح على الإنسان كهبة إلهية حية وعملية ليحياها الإنسان بالإيمان ويذوق كل مفاعيلها؛ يقدمها القديس بولس بعد أن أدركها وذاقها كنموذج عام للكنيسة ككل.

يُفهم من هذا أن هذا الاصطلاح اللاهوتي المحبَّب جداً عند بولس: «في المسيح»، هو بالنهاية يخدم قضية الكنيسة ككل. فإن كان هو «فردياً» فذلك ليكون «جماعياً»، إذ لا يمكن أن يكون فردياً ليبقى فردياً. فبولس صار «في المسيح» كنموذج يوضح كيف تصير الكنيسة كلها في المسيح وليس ليبقى بولس وحده في المسيح وحسب. نحن هنا أمام «أنا الكرمة وأنتم الأغصان» (يو١٥: ٥)، فالغصن يتحتم أن يثبت في الكرمة وإلاَّ فهو لن يثمر ومصيره يكون للقطع ثم للحريق، والكرمة (الكنيسة) لا تقوم ولا تحيا على غصن واحد يثبت فيها؛ بل على الأغصان، كل

الأغصان، مجتمعة ومتحدة معاً ومُشتركة في ثمر واحد!

وبوضوح أكثر، فنحن هنا أمام جسد المسيح وأعضائه، وخبرة العضو وحياته هنا «في المسيح». ولكنها ليست خبرة فردية وحسب؛ بل وخبرة جماعية: «نحن الكثيرين جسد واحد في المسيح وأعضاء بعضاً لبعض» (رو١٢:٥)؛ بمعنى أنه مستحيل أن يوجد عضو في جسد المسيح بمفرده دون بقية الأعضاء، فخبرة كل عضو «في المسيح» تمتد وتلتحم بكل خبرة لكل عضو «في المسيح»، وهكذا لا تقوم الكنيسة بدون الفرد ولا يقوم الفرد بدون الكنيسة.

معنى الإيمان «على» المسيح:

كذلك فـ«**الإيمان**» عند بولس قد عبَّر عنه مراراً أنه «إيمان» ليس «**في المسيح**» فقط الذي ترجمته اليونانية εν Χριστῷ أو εἰς Χριστόν ؛ بل إيمان «**على**» المسيح ἐπὶ Χριστῷ .

+ «وأما الذي لا يعمل ولكن يؤمن بالذي (صحتها «ولكنه مؤمن على الذي» πιστεύοντι δὲ ἐπὶ τόν) يبرر الفاجر فإيمانه يُحسَبُ له برًّا.» (رو٤: ٥)
+ «بل من أجلنا نحن أيضاً الذين سيُحْسَبُ لنا الذين نؤمن بمن (صحتها «نحن المؤمنين على الذي» πιστεύουσιν ἐπὶ τόν) أقام يسوع ربنا من الأموات.» (رو٤: ٢٤)
+ «وكل مَنْ يؤمن به (وصحتها «**والذي هو عليه مؤمنٌ**» ὁ πιστεύων ἐπ' αὐτῷ) لا يخزى.» (رو٩: ٣٣ و١٠: ١١)
+ «... لكنني لهذا رُحِمْتُ، ليُظهر يسوع المسيح فيَّ أنا أولاً كل أناة مثالاً للعتيدين أن يؤمنوا به (وصحتها «لكل مَنْ سيأتي مؤمناً عليه» μελλόντων πιστεύειν ἐπ' αὐτῷ) للحياة الأبدية.» (١تي١: ١٦)

هنا الإيمان الذي يوضحه بولس بحرف ἐπὶ أي «**على**» هو مثيل إيمان إبراهيم الذي آمن بالله «**متكلاً عليه**». فإيمان بولس هنا هو إيمان الاتكال «**على**» المسيح اتكالاً كاملاً غير مشروط وبلا حدود، ليستظهر على كل التجارب والمحن التي تصدم هذا الإيمان في محاولة لاختباره، مثال الأمر الصادر من الله لإبراهيم ليقدِّم ابنه وحيده الذي يحبُّه ذبيحة! فقدَّمه إبراهيم باتكال كامل **على الله** الذي هو قادر أن يقيم من الموت أيضاً، في مواجهة كل ضعف نفساني أو عاطفي!! هذا النوع من الإيمان **على الله** هو الذي ورَّث إبراهيم البرَّ. وبولس الرسول يطبِّق تمام التطبيق وبكل دقة الإيمان بالمسيح على مستوى هذا الإيمان بالله باعتبار الله أنه هو الذي أقام المسيح من الأموات بالفعل. لهذا اعتبره بولس الرسول أنه يتساوى تماماً مع إيمان واتكال إبراهيم

على الله في تقديم ابنه للموت وهو موقن أن الله حتماً سيُقيمه، ليبقى على وعده. هذا الإيمان المسيحي هو في اعتبار بولس الرسول إيمان «على المسيح»: **بمعنى الاتكال الكامل على صدق مواعيد الله فيه التي لن يُخْلفها، لذلك فإن كان إيماننا حقاً هكذا فهو يبرِّر حتماً ويورِّث المواعيد الصادقة والأمينة!**

هنا ينكشف، عزيزي القارىء، أحد أسرار معنى الإيمان العملي المتناهي في الثقة بالمسيح والله عند بولس الرسول، والذي هو حقاً يبرِّر على مستوى إيمان إبراهيم، أي **الإيمان المتكل على المسيح اتكالاً لا يتدخل فيه المنطق والعقل أو الاستحقاق الشخصي.**

بهذا نعود فنفهم كيف ولماذا يقول بولس الرسول إننا نحن «الذي به (بالمسيح) لنا جراءة وقدوم (إلى الله) **بإيمانه** عن ثقة» (أف ٣: ١٢). لأننا إن كان «**إيماننا على المسيح**» هو على مستوى إيمان إبراهيم ــ الذي ألقى **كل اتكاله على الله**، فأصبحت نفسه غير محسوبة عنده: «فألقوا رجاءكم بالتمام **على النعمة**» (١بط ١: ١٣)، فحينئذ **نكون محمولين بالإيمان على المسيح**، فلا يعود ينظر الله إلى ما هو فينا ولنا أو علينا؛ **بل ينظر إلى ابنه الذي يحملنا ونحن عليه** محمولين بالإيمان، من هنا تكون جرأتنا وقدومنا إلى الله عن ثقة، وهي أصلاً ثقة المسيح في الله.

ثم انظر، أيها القارىء، كيف يجتاز بولس الرسول الزمن السالف كله في لمحة بصر ويختزله ليربط إيمان إبراهيم بإيماننا بمنتهى الوضوح واليقينية.

وإيمان إبراهيم كان فائقاً أو مستحيلاً على العقل هكذا:

+ «**ولا بعدم إيمان ارتاب** في وعد الله (سواء بميلاد إسحق في شيخوخته أو عندما قال له: قدِّم ابنك ذبيحة)؛ **بل تَقَوَّى بالإيمان مُعْطياً مجداً لله** (ثقة مطلقة)، وتيقَّن أن ما وعد به [«بإسحق (ابنك) يدعى لك نسل» (تك ٢١: ١٢)، و«بنسلك تتبارك جميع قبائل الأرض» (أع ٣: ٢٥)] هو قادر أن يفعله أيضاً (بأن يقيم إسحق من الموت)، لذلك أيضاً حُسِبَ له برًّا.» (رو ٤: ٢٠ــ٢٢)

ثم جاء الناموس غير قادر أن يبرِّر، فتوقف إيمان إبراهيم عن العمل وصار مستحيلاً أن يتبرر أحد أمام الله. **وأخيراً جاء المسيح، فأتاح الله الفرصة للإنسان عامة أن يؤمن بمَنْ هو قادر أن يقيم من الموت أيضاً؛ بل بالذي أقام المسيح من الموت حقاً وفعلاً. حتى إن كلَّ مَنْ يؤمن بالمسيح المُقام من الموت، يكون إيمانه بالله والمسيح على مستوى إيمان إبراهيم!!**

+ «ولكن لم يُكتب من أجله (إبراهيم) وحده أنه حُسب له؛ بل من أجلنا نحن أيضاً الذين

سيُحسَبُ لنا، الذين نؤمن بمَنْ أقام يسوع ربنا من الأموات.» (رو٤: ٢٣و٢٤)

+ «اعلموا إذاً أن الذين هم من الإيمان (بالمسيح)، أولئك هم بنو إبراهيم. والكتاب إذ سبق فرأى أن الله بالإيمان (بالمسيح) يبرِّر الأمم، سبق فبشَّر إبراهيم أن فيك تتبارك جميع الأمم. إذاً، الذين هم من الإيمان (بالمسيح) يتباركون مع إبراهيم المؤمن.» (غل٣: ٧—٩)

+ «فإن كنتم للمسيح، فأنتم إذاً نسل إبراهيم، وحسب الموعد ورثة.» (غل٣: ٢٩)

إذاً، فالمسيح أعادنا مرة أخرى إلى مستوى حياة إبراهيم مع الله، ولكن حياة إبراهيم مع الله كانت نموذجاً كتمهيد لكي نبلغه نحن بالمسيح ونعيشه. وذلك على أساس **ذات الإيمان الفائق** الذي وهبه الله لإبراهيم **بالنعمة الفائقة** وكان هذا أيضاً كنموذج، أعطانا المسيح إمكانياته وكل عناصره بموته وقيامته مع نعمة الروح القدس. ولكن **«إيمان المسيح»** يتفوق لأنه **«إيمان ابن الله»**، كونه يقدمنا إلى الله أبيه متحدين بالمسيح: «لأنكم قد مُتُّم (مع المسيح وفيه) وحياتكم (الآن) مستترة مع المسيح في الله.» (كو٣: ٣)

ونعود ونكرر أن هذا الإيمان ليس هو خبرة تصوُّفية لبولس؛ بل هو خبرة قبولِ هبةٍ عامة مجاناً للجميع بانفتاح الوعي المسيحي على عطايا المسيح وهباته وبركاته وكل مواعيده. ليس لبولس الرسول فيها أي دور سوى أن الله اختاره ليُظْهِرَ ابنه فيه، ليعلنه هو للجميع، وقد اختاره الله ليس لامتياز فيه؛ بل وهو في أسوأ حالاته:

+ «... ولكن لما سَرَّ الله الذي أفرزني من بطن أمي ودعاني بنعمته أن يعلن ابنه فيَّ لأُبشِّر به بين الأمم...» (غل١: ١٥و١٦)

+ «وأنا أشكر المسيح يسوع ربنا الذي قوَّاني، أنه حسبني أميناً إذ جعلني للخدمة، **أنا الذي كنت قبلاً مُجدِّفاً ومُضطهِداً ومفترياً، ولكنني رُحِمتُ لأني فعلت بجهل في عدم إيمان. وتفاضلتْ** نعمة ربنا جداً مع الإيمان والمحبة التي في المسيح يسوع. صادقة هي الكلمة ومستحقة كل قبول **أن المسيح يسوع جاء إلى العالم ليُخلِّص الخطاة الذين أولهم أنا**، لكنني لهذا رُحِمْتُ ليُظْهِرَ يسوع المسيح فيَّ أنا أولاً كل أناة **مثالاً للعتيدين أن يؤمنوا به للحياة الأبدية.**» (١تي١: ١٢—١٦)

الإيمان كمصدر لنوال كل مفاعيل الخلاص والفداء:

إيمان بولس — كما قلنا — لا يصدر عن فكر فيكون له خط مسارٍ محسوب؛ بل هو خبرة حية ذات انفعالات متعددة. لذلك، فالخلاص عند بولس الرسول ليس نظرية ذات شكل محدد بزوايا تحيط بها، أو هو محدد بدرجات نتسلق عليها؛ بل الخلاص أشعة ذات ألوان متعددة بتعدد الرؤى

والتطلع في وجه المسيح الرب الروح المُطلّ علينا في القلب من السماء وجروحه عليه.

لقد اعتاد اللاهوتيون أن يقسموا تعاليم بولس الرسول إلى نظريات محددة تكاد تنفصل الواحدة عن الأخرى، فنظرية «**الخلاص**» ونظرية «**الفداء**» ونظرية «**التبرير**» ونظرية «**المصالحة**»، إلخ...، وجعلوها معركة عقائد. ولكن هذه «النظريات» المرسومة كمنهج والمُغلَقة كدوائر باردة تكاد لا تمس الواحدة الأخرى، لم تخرج من فكر بولس الرسول هكذا؛ بل لم تخرج من فكره إطلاقاً؛ بل هي من قلبه وروحه ونفسه خرجت مُفْعَمة بالمشاعر الحية الفياضة وبانفعال النعمة، يُزكّيها روح المسيح الذي فيه ويشهد لها، ويُلْهبها فرحه وانبهاره وتأثُّره بها.

فحينما يتطلع القديس بولس في وجه المسيح الذي أَعْتَقَنا من عبودية ناموس الخطية واللعنة، يراه بالإيمان فصح «**خلاصنا**» الذي ذُبِحَ لأجلنا ويهيب بنا في تهليل أن نُعيِّد بفطير **الإخلاص**.

وحينما يراه مذبوحاً على الصليب كذبيحة خطية وذبيحة بذل المحبة بآن واحد، فإنما يراه بالإيمان وقد أكمل «**الفداء**» وصار دمه ينضح علينا وفينا «**للتقديس**» و«**التطهير**».

وحينما رآه مُطلًّا عليه من السماء بمجدٍ، وهو الذي صُلِبَ ومات، فقد كان يرى أمامه الفرصة العظمى لنوال «**التبرير**» **بالإيمان** الذي ناله إبراهيم سواءً بسواء لما قدَّم ابنه إسحق، مؤمناً بأن الله قادر أن يقيمه من الأموات: «إذ حَسِبَ أن الله قادر على الإقامة من الأموات.» (عب١١: ١٩)

وحينما يتطلع بولس الرسول في الوجه اللامع بنور الله **فهو يدرك** بالإيمان أنه هو هو ابن الله الذي أكمل رسالة حب الله لنا بموته وقيامته، فيراه بعين الإيمان وسيط «**المصالحة العظمى**» التي أُكْمِلَتْ مع الإنسان. وهو بالإيمان أيضاً يراه رئيس «**السلام**» الذي أعطى لنا سلامه نحياه في القلب بالروح؛ بل ويرى بولس الرسول نفسه أنه سفير المسيح الذي دَفَعه للأمم ليدعوهم: «تصالحوا مع الله!!» (٢كو٥: ٢٠)

وليدرك القارىء هنا مقدار البساطة التي كان بولس يعلِّم بها لاهوته للأُميين البسطاء الراجعين من الأوثان الحجرية، ومقدار الاهتمام الذي يبذله ليعطيهم قلوباً لحمية تنبض بحب الله الذي وهب لهم أن يعبدوه، لا ليحشوا عقولهم بمناهج فلسفية تقوم على المنطق والجدل وأصول الحوار.

بولس الرسول في لاهوته ليس معلِّماً لأصول لاهوت الخلاص، تبريراً كان أو فداءً أو غفراناً أو

مصالحة أو تبنّياً أو سلاماً، بل إن بولس يقدّم نفسه في لاهوته كمَنْ يعترف ويشهد ويبرهن على حقيقة مَنْ آمن به ومَنْ أحبه وأسلم ذاته من أجله: «أحبني وأسْلَم نفسه لأجلي.» (غل ٢: ٢٠)

إنه يسعى كسفير نشيط ومُخْلص، منفعلاً للمصالحة التي صالحه بها المسيح مع الله: «نسعى كسفراء... نطلب عن المسيح تصالحوا مع الله.» (٢ كو٥: ٢٠)، ويكاد يصرخ من فرط انذهاله كيف سقط عنه سلطان الناموس وجبروته لما تطلع في وجه المسيح فعرفه وآمن به!

والصليب الذي كان يثير غضبه وحقده إلى درجة القتل بجهالة، الآن هو يتأوه لما تحقق أن المصلوب عليه صُلِبَ لأجله!! كيف أصابت كلمة الصليب عنده جسم خطيته فأفرغته من سُمِّ الخطية القاتل وأوقفته أمام الله في المسيح كأنه بلا لوم في القداسة والبر، فصار الصليب قوة إيمان بحد ذاتها تعمل فيه، لينادي بها بكل شجاعة ويكرز ويشهد باستعداد الموت لينال الناس، كل الناس، ما ناله هو بالإيمان بالصليب!

كانت رؤية المسيح عنده ليست مجرد صورة انطبعت فيه بمعالم ثابتة؛ بل صورة حية بحياة المسيح ذات تعدُّد بلا عدد، وتمايز بلا تَغَايُر؛ وكلما أصابت روحه وضعاً منها انطلقت منه الأوصاف تتوالى بالتمايز عينه، والتعدد ذاته، بكلمات واصطلاحات ذات أصول نبوية تظهر على التوالي، ولكنها إذا وُضِعت جنباً إلى جنب، فهي على التوازي بل التساوي بل الانطباق، كأنوار تنطلق من مصدر واحد تتمايز في الفعل وتتحد في المضمون والجوهر: تبرير، فداء، غفران، مصالحة، تبنّي، والكل هو خبرة من الإيمان و بالإيمان بالمسيح الميت المقام!

كلٌّ من هذه الأعمال الإلهية المضيئة للمسيح هي، في واقعها عند بولس الرسول، تعكس صورة الإنسان وهو واقف أمام الديّان، متهماً محكوماً عليه، واقعاً تحت الأسْر في يد عدو لا يرحم، وبآن واحد هو مديون بديون ثقيلة لا قِبَلَ له بدفعها، محاطٌ بالعداوة من جراء تعدياته على حقوق الله وكرامته، يئن تحت العبودية، عبودية الجهل بسبب البُعد عن الله، عبودية الطبيعة الميَّالة للشر، عبودية الخطية المُثْلِقَة للجسد، عبودية قوانين العدالة التي تطالب ولا تعطي.

الإيمان المسيحي تسليم بالخبر وليس اجتهاداً فكرياً:

الله لما كلّم إبراهيم، انتهى به إلى الإيمان، والله كلّمنا في المسيح: «الابن الوحيد الذي هو في حضن الآب هو خبَّر» (يو١: ١٨)، فصار المسيح بحد ذاته كلمة الله لنا للإيمان. الرسل قَبِلوا المسيح ذاته ــ باعتباره كلمة الله ــ وأعطوها لنا بالإنجيل، فصارت كلمة الإنجيل هي المسيح متكلّماً، أو هي الله متكلماً في المسيح: «من أجل ذلك نحن أيضاً نشكر الله بلا انقطاع، لأنكم

إذ تسلَّمتم منَّا كلمة خبر من الله قبلتموها، لا ككلمة أناسٍ بل كما هي بالحقيقة ككلمة الله، التي تعمل أيضاً فيكم أنتم المؤمنين.» (١تس٢:١٣)

والذي يهمنا جداً هنا، هو أن نوضح أن الإيمان ليس اجتهاداً شخصياً نبلغه بالعقل أو بالإلهام الفكري، بل هو «تسليم»، تسليم من واقع منطوق كلمة الله لا دخل للإنسان فيها، فإذا قَبِلها باعتبارها كلمة الله بالحقيقة فإنها تعمل عملها الإيماني وتُبرِّر!

الإيمان كخبر، قبوله يرافقه قبول الروح:

+ «أريد أن أتعلم منكم هذا فقط، أبأعمال الناموس أخذتم الروح أم بخبر الإيمان.» (غل٣:٢)

هنا يتضح لنا أن انفتاح الوعي لقبول الإيمان المسيحي بسماع الخبر الإنجيلي، سواء كان ذلك عن قراءة أو سَمَع، يرافقه دخول الروح القدس كعامل أساسي يفتح الذهن لإدراك أعماق الإيمان.

+ «فالذي يمنحكم الروح ويعمل قوات فيكم أبأعمال الناموس أم بخبر الإيمان؟» (غل٣:٥)

هنا يضيف بولس الرسول عمل القوات مع قبول الإيمان ومعه الروح القدس. من هذا نفهم أن الإيمان المسيحي ليس نظرية أو قانوناً، بل هو طاقة روحية واعية ذات عمل فائق في قلب المؤمن وحياته.

قيمة الإيمان عند الله:

● **الإيمان يُرْضي قلب الله ويدعِّم عمل الإنسان بالمجازاة:**

+ « بدون إيمان لا يمكن إرضاؤه،

لأنه يجب أن الذي يأتي إلى الله يؤمن **بأنه موجود** وأنه **يجازي الذين يطلبونه.**» (عب١١:٦)

عنصران أساسيان يجعلان الإيمان فعَّالاً ومثمراً وقادراً أن يبلغ بالإنسان إلى استرضاء وجه الله:

+ العنصر الأول: **أن الله موجود،**

+ العنصر الثاني: **أنه يجازي الذين يطلبونه.**

إذا خَلَتْ الصلاة من هذين العنصرين، توقفت الصلاة في فمنا وجَفَّ لساننا، ولا تعود تصل إلى أُذُنَي الله.

إذا خلت أعمال المحبة التي نعملها من هذين العنصرين، فهي لا تبلغ قلب مَنْ نحبه ولا تبلغ

قلب الله.

إذا خلت أصوامنا وعبادتنا وأعمال نسكنا من هذين العنصرين، ضعفت وارتدت فارغة.

● الإيمان مصدر حياة:

+ « فأجابني الرب وقال: اكتب الرؤيا،
وانْقُشْها على الألواح لكي يركض قارئها،
لأن الرؤيا بعدُ إلى الميعاد، في النهاية تتكلم ولا تكذب،
إن توانى فانتظره (المسيَّا) لأنه يأتي إتياناً ولا يتأخر،
و (الإنسان) إن ارتدّ لا تُسَرُّ به نفسي،
والبار بإيماني يحيا.» (حب٢: ٢-٤ عن الترجمة السبعينية).

هذه الآية ذات شأن عظيم عند البروتستانت، ولكنهم يتمادون في تعميمها، والمعنى فيها واضح ويدور حول مجيء المسيح ــ وهو مضمون الرؤيا أو النبوة ــ حيث يقف الإنسان تجاه هذا المجيء أو هذه الرؤيا موقفين، موقف الإنسان المرتد عن هذا الانتظار لا يؤمن به، ويسميه المترجم عن النسخة العبرية الإنسان المنتفخ الذي نفسه غير مستقيمة؛ وموقف الإنسان البار الذي ينتظر الرؤيا أي الوعد بإيمان، و بهذا الإيمان ينال الحياة!

القديس بولس يقرأ هذه الآية التي لحبقوق النبي عن السبعينية في ثلاث مواضع:

+ «لست أستحي بإنجيل المسيح، لأنه قوة الله للخلاص لكل من يؤمن ...،
لأنه فيه مُعْلَنٌ برُّ الله (مجيء المسيح) بإيمان لإيمان،
كما هو مكتوب **أما البار فبالإيمان يحيا.**» (رو١: ١٦و١٧)

+ «ولكن أن ليس أحد يتبرر بالناموس عند الله، فظاهرٌ،
لأن البار بالإيمان يحيا.» (غل٣: ١١)

+ «لأنه بعد قليل جداً سيأتي الآتي ولا يبطىء،
أما البار فبالإيمان يحيا، وإن ارتد لا تُسَرُّ به نفسي» (عب١٠: ٣٧و٣٨)، وهي مقروءة نصاً على السبعينية.

● الإيمان يستمد قيمته الفائقة من الله:

+ « لأنكم بالنعمة مخلَّصون بالإيمان،
وذلك ليس منكم هو عطية الله،
وليس من أعمال كي لا يفتخر أحد.» (أف٢: ٨و٩)

هنا «**مخلَّصون**» تأتي في اليونانية لتفيد أنكم قد خلصتم بالفعل والآن أنتم سائرون في طريق الخلاص، أو تكمِّلون الخلاص، لأن الخلاص عملية تمت لنا لما قَبِلْنا العماد والروح القدس:

+ «لا بأعمال في برٍّ عملناها نحن، بل بمقتضى رحمته **خلَّصنا** بغسل الميلاد الثاني وتجديد الروح القدس.» (تي٣: ٥)

كذلك فالخلاص هو عمل المستقبل الدائم:

+ «لأنه إن كنا ونحن أعداء قد صولحنا مع الله بموت ابنه، فبالأَوْلَى كثيراً ونحن مُصالَحون **نخلص** بحياته.» (رو٥: ١٠)

ومعنى الآية الأُولى (أف٢: ٨و٩) ينصَبُّ على أن الخلاص هو من عمل النعمة، ولكن بالإيمان الذي جَعَلَتْه النعمة وسيلتنا للحصول عليه. **لأن الإيمان أيضاً هو بحد ذاته من عمل النعمة الإلهية.**

والله جعل الخلاص عطية أو هبة من عنده، بسبب عدم قدرة الإنسان في ذاته، وقصور أعماله عن أن تبلغ هذا الخلاص. وإذا أردنا اختزال الآية وتركيز المعنى فيها، فهي تكون كالآتي: **الخلاص بالإيمان ليس منا ولكنه هبة من الله!** وهذا يستلزم حتماً أن يكون الإيمان أيضاً هو هبة أيضاً من الله: **فالإيمان هبة النعمة الإلهية لنا.**

والآن يتبقى الجملة الأخيرة من الآية، وقد حيَّرت العلماء: «كي لا يفتخر أحد»، فهل جاءت كنتيجة للخلاص بالهبة والإيمان بالنعمة؟ أم أنها جاءت كقصدٍ مبدأي قصده الله؟ ونحن نعتقد أن هذه الجملة: «كي لا يفتخر أحد» هي التأمين للهبة والنعمة. لهذا، فإن هذه الجملة هي من صميم فعل الهبة ومن صميم فعل النعمة أيضاً، أي من صميم الخلاص بالإيمان الذي دبَّره الله للإنسان. فالله لم يترك لمجهودات الإنسان فرصة حتى لا يلوِّث عطية الله بافتخاره، فجعل خلاصه وحتى إيمانه ينبع من فوقه ــ فوق الطبيعة ــ وليس من داخله.

ومعروف أن الإيمان هو ثمرة الروح القدس:

+ «وأما ثمر الروح فهو محبة فرح سلام طول أناة لطف صلاح **إيمان**.» (غل٥: ٢٢)

ولكن الإيمان يحتاج إلى مَنْ يستقبله، ويكرِّمه، ويُعلِّيه، ويشهد له وبه، ويعمل عمله ليدوم!

الفصل الثاني

التبرير

البرُّ δικαιοσύνη التبرير δικαίωσις

مفهوم البرِّ في العهد القديم(١):

في التوراة السبعينية (العهد القديم) حُصِرَتْ الكلمة في دائرة المعاملات مع الله وفيما يخص عدله وأحكامه. فالبر هو الميزان الذي يُوزَن به الإنسان في كل أعماله تجاه عدل الله على أساس قياس الناموس.

لذلك يكون **البارُّ** هو الإنسان الذي يكمل الواجبات تجاه الله والدين بمقتضى الناموس، وبهذا يمكن أن يتواجه مع مطالب الله، حيث يصير معنى «البار» أنه هو الذي يكمل واجبات الله فيصبح في جانب الحق (في الجانب اليمين) أمام الله. حيث «البر» righteousness تعني «يمين» وتعني أيضاً «حق». والذي يوضح معنى «البر» و«البار» في العهد القديم هو معنى الكلمة المستخدمة لما هو ضد «البر» و«البار»:

+ «الرجل **البار** δίκαιος يعلن الحق، والذي يشهد **للظالمين** ἀδίκων غشاش.» (أم١٢: ١٧ حسب الترجمة السبعينية)

+ «عصا **الأشرار** ἁμαρτωλῶν لا تستقر على نصيب **الصدِّيقين** (**الأبرار**) δικαίων.» (مز١٢٤: ٣)

+ «الفرح يلازم **الصدِّيقين** δικαίοις أما رجاء **الأشرار** ἀσεβῶν فيبيد.» (أم١٠: ٢٨ حسب الترجمة السبعينية)

+ «يتعجب المستقيمون، **والبريء** δίκαιος ينتهض على **الفاجر** παρανόμῳ.» (أي١٧: ٨)

هكذا نرى أنه في مقابل البار δίκαιος جاءت ثلاث صفات هي: **الظالم** ἄδικος، **والشرير** ἁμαρτωλός، **والفاجر** παράνομος.

1. Kittel, G., *TDNT*.

الله بارٌّ:

هكذا تأتي صفة البار لله في كل العهد القديم بمعنى **المعصوم عن الخطأ؛ فيما له من كل المعايير والصفات الخاصة به في طبيعته**، وأنه يقيم وعوده ومواعيده وعهوده بلا أي خلل.

وتأتي صفة البرّ عند الله مربوطة بالرحمة: «الرب بار δίκαιος في كل طرقه ورحيم ὅσιος في كل أعماله.» (مز١٤٤: ١٧)

كذلك لا تقف حدود البر عند الله في محيط العدل فقط بل تمتد لتشمل الخلاص. على أن «البر» يُعْتَبَر معياراً إلهياً، فالله هو معيار للبر كما هو مصدره. فلا يمكن أن يقع الله تحت قياس، إذ يستحيل علينا أن نقيس برّ الله، مهما أوتينا من سعة فكر وإدراك ورجعنا إلى نصوص وآيات.

فكل الذي نعرفه عن برّ الله هو ما جاء في عروض معاملاته مع شعبه على أساس مواعيده، فلا تزيد معرفتنا عن برّ الله خارج حدود العلاقات التي يتعامل بها مع شعبه. لذلك فإن من أخص خصائص بر الله هو أعمال الخلاص التي يصنعها مع شعبه:

+ «قريبٌ هو الذي يبرِّرني ὁ δικαιώσας με مَنْ يخاصمني لنتواقف. مَنْ هو صاحب دعوى معي، ليتقدم إليَّ.» (إش ٥٠: ٨)

تأتي كلمة «يبررني» هنا بمعنى: «يخلصني من يد خصومي واتهاماتهم». وعلى العموم فبرُّ الله موصوف دائماً بأنه برٌ خلاصيٌّ بالنسبة للإنسان(٢).

وبناء على هذا المعيار الإلهي، **يصبح برُّ الإنسان حالة يستمدها الإنسان من تكميله مَسَرَّة إرادة وأحكام برّ الله، وذلك في نظر الله فقط وليس في نظر الإنسان.**

البر في لاهوت بولس الرسول:

يلزم أن نتنبه جداً أن «البر» يبرز كقضية لاهوتية في لاهوت بولس الرسول، فهو لا يبرز من خلال تعاليمه كمنهج واحد مدروس، فقد تعرَّض له أولاً أثناء دفاعه ضد اليهود المتنصِّرين المتمسكين بالناموس، ولكي يبرىء نفسه أمام نفسه من جهة تمسكه السابق بالناموس ضد المسيح وكيف دفعه الناموس لارتكاب أشنع الجرائم.

ولكن قضية البر بالناموس بلغت إلى أقصى عنفها السلبي بسبب وضع الناموس في مقابل البر

2. Ibid., Vol. 3, p. 196.

بالإيمان بالمسيح. فلو انتبهنا أن بولس الرسول أخذ أقدس معيار لاهوتي عند اليهود ــ وهو البرُّ بالناموس ــ وطرحه تحت أقدام المسيح ليفقد قيمته، لأدركنا سر هذا الالتهاب الذي تخلل كل رسائل بولس، بل وسر كل المآسي التي واجهها في كرازته من اليهود. ولكن يلزم أن ننتبه أن البرَّ **بإيمان المسيح** كان هو نقطة التحوُّل الكبرى من اليهودية إلى المسيحية.

برُّ الله عند بولس الرسول يبدأ من الناموس ثم ينتهي بالمسيح، وذلك على أساس أن الله «قاضٍ بالبر» (رو٩: ٢٨). فالناموس أصلاً هو الذي كان يعلن عن برِّ الله. ولكن هذا المعيار انتهى بمجيء المسيح، فصار الإيمان به هو الذي يعطي بر الله وليس الناموس.

+ «الأمم الذين لم يسعوا في أثر البر أدركوا البر (بر الله)، البر الذي بالإيمان، ولكن إسرائيل وهو يسعى في أثر **ناموس البر** لم يدرك ناموس البر. لماذا؟ لأنه فعل ذلك ليس بالإيمان، بل كأنه بأعمال الناموس.» (رو٩: ٣٠ــ٣٢)

وينحصر البرُّ بالناموس عند بولس الرسول في محيط السلوك، بمعنى أن يكون الإنسان **بلا لوم** بمقتضى أوامر الناموس تجاه الناموس وليس تجاه الله: «من جهة البر الذي في الناموس بلا لوم» (في٣: ٦). ولكن حتى هذا الموقف «بلا لوم» ظهر لبولس الرسول أنه كذب وخداع، لأن هذا الموقف الذي بلا لوم بحسب بر الناموس هو الذي دفعه لقتل المؤمنين وتعذيبهم واضطهاد الكنيسة بجنون!

لهذا انتهى بولس الرسول إلى حقيقة ثابتة ومؤكدة: أنه لا برَّ على وجه الإطلاق في الناموس، والبرُّ الوحيد هو بالإيمان بالمسيح:

+ «لأنه لو أُعطِي ناموسٌ قادر أن يُحْيي، لكان بالحقيقة البرُّ بالناموس. لكن الكتاب ــ الناموس ــ أغلق على الكل تحت الخطية (بحسب أعمال الناموس) ليُعطى الموعد من إيمان يسوع المسيح للذين يؤمنون.» (غل٣: ٢١و٢٢)

والآن هيَّا بنا، أيها القارىء العزيز، نتعقب استقصاء حقيقة «البر» عند بولس الرسول خطوة خطوة، برجاء أن يتمعن القارىء كل خطوة ولا ينتقل منها إلاَّ بعد أن يستوعبها، لا فهماً بل بإحساس من يتصوَّر نفسه في داخل هذه القضية لأنها قضية كل إنسان:

+ أول خطوة اتخذها بولس الرسول في الانتقال من بر الناموس إلى بر الإيمان بالمسيح هي تحويله كلمة «**البر**» التي كانت تُستخدم بمفردها ثم مع الناموس، ثم ردُّها إلى أصولها الثابتة «**برُّ الله**»، أي أن برَّ الله هو برُّه له وحده: «إنه ليس بارٌّ ولا واحد.» (رو٣: ١٠)

+ الخطوة الثانية أوضحها في إظهار الله لبرِّه الخاص في شخص يسوع المسيح تجاه البشرية كلها (رو٣: ٢١—٢٦). فظهر برُّ الله لأول مرة أنه قائم على المحبة بعد أن كان قائماً على القضاء بالناموس.

+ ثم استعلان برِّ الله أنه ليس مجرد صفة في الله بل قوة فعَّالة باذلة!

+ قوة برِّ الله الفعَّالة تركزت وأُظهرت بصورة عملية بالنسبة للبشرية في صليب المسيح.

«الذي قدَّمه الله كفَّارة، بالإيمان بدمه، **لإظهار برِّه** من أجل الصفح عن الخطايا السالفة بإمهال الله.» (رو٣:٢٥)

«فبالأَوْلَى كثيراً ونحن متبررون الآن بدمه، نخلُصُ به من الغضب.» (رو٥:٩)

لاحظ كلمة **«الآن»** فهي تفيد الانتقال الزمني من تحت برِّ الناموس إلى البر بدم المسيح.

+ استعلان **«بر الله»** كاملاً في شخص يسوع المسيح بالقيامة من الأموات:

«بالمسيح يسوع الذي صار لنا حكمة من الله وبرًّا وقداسة وفداء.» (١كو١: ٣٠)

+ استعلان عنصر قضاء عدل الله جنباً إلى جنب مع استعلان برِّه عملياً في المسيح لفتح باب تبرير الإنسان.

«لأنه جعل الذي لم يعرف خطية خطية (بحمل خطايانا على الصليب) لأجلنا، **لنصير نحن برَّ الله فيه.**» (٢كو٥: ٢١)

+ ابتداء دخول الإنسان في فاعلية بر الله أو عمل تبريره على أساس عمل المسيح الذي جعلنا نقف أمامه بلا لوم، من واقع الصفح عن الخطايا بمقتضى سلطانه الأساسي كقاضٍ مطلق الإرادة:

«مَنْ سيشتكي على مختاري الله، الله هو الذي يبرر... المسيح هو الذي مات بل بالحري قام... يشفع فينا.» (رو٨: ٣٣و٣٤)

هنا الإنسان، ولأول مرة، يقف أمام برِّ الله مبرَّراً[٣] **عن حكم عدالة من فم الله كقاضٍ لا يُردُّ قضاؤه!!!** وهو ليس عملاً عفوياً، بل حيث يكون الله في موقف القاضي العادل في حكمه، هو أيضاً الأب الرحيم برحمته، والملك المُنعِم بنعمته، هذه الثلاثة معاً. وبالمقابل يقف الإنسان أمامه مبرَّراً وبلا شكوى عليه، بل ومتبنًّى بالرحمة، ومُنعَماً عليه كواحد من الرعية المكرَّمة عنده.

+ إعطاء التبرير للإنسان **«الآن»** في هذا الزمان عِوَض أن كان في مفهوم العهد القديم مؤجَّلاً للآخرة.

---

(٣) لاحظ أن كلمة «البر» تعني ثلاثة معانٍ متداخلة معاً: صح، يمين، حق. لذلك فقول الإنجيل: «اجلس عن يميني» (مز١١٠: ١) معناه في موقع الحق والبرِّ المساوي لله. وقوله للمختارين أن يقفوا عن يمينه والأشرار عن يساره (مت٢٥: ٣٣و٣٤)، معناه تبرير المختارين ببر المسيح ودينونة الأشرار.

«فبالأولى كثيراً ونحن متبرِّرون ("الآن") بدمه نخلص به من الغضب ("الآتي").»
(رو٥: ٩)

«فإذ قد تبرَّرنا بالإيمان، لنا سلام مع الله بربنا يسوع المسيح، الذي به أيضاً قد صار لنا الدخول بالإيمان إلى هذه النعمة التي نحن فيها مقيمون، ونفتخر على رجاء مجد الله.»
(رو٥: ١و٢)

+ ولكن من طرف الإنسان، نجد أن حالة التبرير التي حصل عليها تبقى عطية خالصة وهبة مجانية لم يقدِّم فيها جهداً قيد شعرة، بل إن النعمة داهمته وهو في موت الخطية، والعطيَّة اقتحمته وهو في أسْر الظلمة، لكي يعيش بها ليس فقط «الآن»، بل هي وثيقة ميراث أبدي يملك بها في الحياة الأبدية:

«الذين ينالون فيض النعمة وعطية البر سيملكون في الحياة بالواحد يسوع المسيح.»
(رو٥: ١٧)

+ والبرُّ الذي نِلْناه كعطية في المسيح لا يستطيع الجسد أن يُنْقِصَ عمله، لأنه بالروح، فهو مؤمَّنٌ عليه ضد الموت!!

«وإن كان المسيح فيكم فالجسد ميت بسبب الخطية، وأما الروح فحياة بسبب البر.»
(رو٨: ١٠)

+ ولكن يظل بولس الرسول وعينهُ مثبتة على البرِّ في أصله وفي منبعه، "بر الله"، أولاً وأخيراً، في مقابل البرِّ الشخصي الكاذب بالناموس.

«لكي أربح المسيح وأُوجَد فيه، وليس لي برِّي الذي من الناموس، بل الذي بإيمان المسيح، البرُّ الذي من الله بالإيمان.» (في٣: ٨و٩)

+ الدخول من جهة الإنسان إلى برِّ الله لنوال قوة عمله وفعل نعمته كعطية، هو الإيمان بالمسيح.

علاقة البرِّ بالإيمان:

في لاهوت بولس الرسول، نجد البرَّ مربوطاً بالإيمان في كل مواقفه:

+ «برُّ الله (بواسطة) بالإيمان بيسوع المسيح إلى كل وعلى كل الذين يؤمنون.» (رو٣: ٢٢)
هنا البر بواسطة الإيمان διά.

+ «الأمم الذين لم يسْعَوْا في أثر البرِّ، أدركوا البرَّ، البرَّ الذي (من) بالإيمان» (رو٩: ٣٠). هنا البر من الإيمان ἐκ.

+ «وليس لي برِّي الذي من الناموس، بل الذي بإيمان المسيح (διά) البر الذي من الله (على) بالإيمان» (في٣: ٩). هنا البرُّ على الإيمان ἐπί.

+ «وأخذ علامة الختان **ختماً لبرِّ الإيمان**» (رو٤: ١١). هنا البرُّ للإيمان (مضافاً له أي بتاع τῆς).

+ «إذاً نحسب أن الإنسان **يتبرر بالإيمان** بدون أعمال الناموس.» (رو٣: ٢٨)

+ «لأن الله واحد هو الذي **سيبرِّر... بالإيمان.**» (رو٣: ٣٠) ἐκ...διά

+ «الإنسان لا يتبرر بأعمال الناموس، بل **بإيمان يسوع المسيح.**» (غل٢: ١٦) διά

+ «فرأى أن الله **بالإيمان يُبرِّر** الأمم.» (غل٣: ٨) ἐκ

+ «كان الناموس مؤدِّبنا إلى المسيح لكي **نتبرر بالإيمان.**» (غل٣: ٢٤) ἐκ

+ «**لإظهار برِّه** في الزمان الحاضر، ليكون باراً **ويبرر مَنْ هو من الإيمان** بيسوع المسيح.» (رو٣: ٢٦) ἐκ

+ «وأما الذي لا يعمل ولكن يؤمن بالذي يبرِّر الفاجر، فإيمانه يُحسَبُ له برّاً.» (رو٤: ٥)

معنى الدخول في برِّ الله بالإيمان بيسوع المسيح:

حينما يتبرر الإنسان بالإيمان بيسوع المسيح يصير مُعداً ومُهيَّئاً ليكون عضواً مُكرَّماً في جسد المسيح (الكنيسة)، في مقابل اليهودي الذي كان يتبرر بالناموس ليَثْبت كعضو في شعب إسرائيل.

هنا التبرير بإيمان المسيح عمل فردي ولا يمكن أن يتم على مستوى الجماعة. فالمعمودية لا تجوز على الجماعة بل هي إجراء فردي خالص حيث يغتسل الفرد من خطاياه ويتقدَّس بالروح ويتبرَّر بهذا الفعل الإيماني، فيصير لائقاً لأن يكون عضواً في جسد المسيح.

+ «وهكذا كان أناس منكم، لكن **اغتسلتم**، بل **تقدَّستم**، بل تبررتم باسم **الرب يسوع المسيح وبروح إلهنا.**» (١كو٦: ١١)

+ «وفيما هما سائران في الطريق أقبلا على ماء فقال الخصيُّ: هوذا ماءٌ **ماذا يمنع أن اعتمد؟** فقال فيلبس: **إن كنت تؤمن من كل قلبك يجوز.** فأجاب وقال: **أنا أؤمن أن يسوع المسيح هو ابن الله.**» (أع٨: ٣٦و٣٧)

○ في لاهوت بولس الرسول **المؤمنون يتبررون حينما يعتمدون** و**يقبلون الروح القدس** بحسب الآية قبل السابقة (١كو٦: ١١).

○ ولكن التبرير عند بولس الرسول لا يُنْظَر إليه كعطية إختيارية، بل **هو مطالبة إلهية والتزام** بمقتضى سلطان الله **الذي يودُّ أن الجميع يخلصون** (١تي٢: ٤).

+ «لأنهم إذ كانوا يجهلون بر الله ويطلبون أن يُثْبتوا برَّ أنفسهم، **لم يخضعوا لبرِّ الله**، لأن

غاية الناموس هي (يلزم أن تنتهي عند) المسيح.» (رو١٠: ٣و٤)

هذا البرُّ كالتزام مطروح وكأمر مُلحّ من قِبَلِ الله بمجيء المسيح، يأخذ صفة المطالبة والالتزام بسبب الثمن الباهظ المدفوع لأجله من قِبَلِ الله.

+ **«الذي لم يُشفق على ابنه، بل بذله لأجلنا أجمعين، "كيف" لا يهبنا أيضاً معه كل شيء.»** (رو٨: ٣٢)

فإذا كان الناموس وبرُّه لهما صفة المطالبة والالتزام على اليهودي الذي يؤمن بالله، واليهودي لم يكن حُرًّا أن يقبل الناموس أو لا يقبله، فهكذا دخل الإيمان بالمسيح والتبرير على نفس المستوى من السلطان: «إن لم يَزِدْ برُّكم على الكتبة والفريسيين، لن تدخلوا ملكوت السموات» (مت٥: ٢٠). خصوصاً وأن بر الإيمان بالمسيح ظهر مشهوداً له من الناموس والأنبياء.

+ **«وأما الآن فقد ظهر برُّ الله بدون الناموس، مشهوداً له من الناموس والأنبياء، برُّ الله** بالإيمان بيسوع المسيح، إلى كل وعلى كل الذين يؤمنون، لأنه لا فرق.» (رو٣: ٢١و٢٢)

+ ومن أهم عناصر العلاقة بين الإيمان والبر، أن البرَّ لا يأتي كهبة للإيمان أو يتولّد منه، لأن الإيمان نفسه هبة وعطية من الله. ولكن الإيمان بالمسيح أو **إيمان المسيح يؤهّلنا لبر الله:**

+ **«وليس لي برّي الذي من الناموس، بل الذي بإيمان المسيح، البر الذي من الله** بالإيمان.» (في٣: ٩)

فالإيمان ليس عملاً بحد ذاته حتى يكون له استحقاق، ولكنه هبة توصلنا إلى هبة. فالله هو الذي يبرّرنا بالإيمان.

فالإيمان هو بدء الطريق الموصّل إلى التبرير، والله يبرِّر على أساس الإيمان أو في حضوره أو اعتباراً له. فكما وجدنا حروف الجر التي تربط البر بالإيمان إما «عليه» ἐπι أو «منه» ἐκ أو «به» διά ، هكذا الإيمان أداة البر أو كأساس يُبنى عليه. ولكن الإيمان من ذاته لا يُنشيء البرَّ بدون تدخُّل الله. وهذا الأمر واضح في القول: "آمن إبراهيم بالله فحُسِبَ له برًّا" (رو٤: ٣). فالبرُّ هنا جاء محمولاً على الإيمان. هنا الإيمان وُضع في الحسبان ــ بمعنى حُسب له الإيمان برًّا ــ ليقوم عليه البرُّ. **فهنا يستحيل أن يكون الإيمان مساوياً للبر، لأن الإيمان هو من طرف الإنسان، ولكن البرَّ هو من طرف الله. ويستحيل أن ما يقدِّمه الإنسان يساوي ما يقدِّمه الله، وإلاّ يصبح البرُّ حقاً للإنسان، إذ يكون الإنسان قد قدَّم ما يساويه!! لهذا فالبرُّ يبقى**

نعمة!! لأن رحمة الله تداركت عدم البر في إبراهيم، فأخذت الإيمان فرصة وتُكأة ليغدق الله عليه البرَّ. علماً بأن عطية الله لا يستردها الله ولا يندم عليها، لذلك أصبحت مِلْكاً لإبراهيم، فحُسِبَ إبراهيم باراً ولكن بنعمة الله.

وهنا تأتي القضية التي انحرف بخصوصها كثيرٌ من اللاهوتيين، وهي وضع الفاجر بعد أن برَّره الله في الآية: «وأما الذي لا يعمل ولكن يؤمن بالذي يبرر الفاجر فإيمانه يُحْسَبُ له برًّا» (رو٤: ٥). هنا يقول هؤلاء اللاهوتيون إن الله بعد ما برَّر الفاجر بقي الفاجر كما هو ولكن مُبرَّراً بنعمة الله.

هذا شطط! فالتبرير الذي وهبه الله للفاجر بسبب إيمانه وهبه له لكي يرفع عجزه ويجبر فجوره، فهبة البرِّ من عند الله فعَّالة ديناميكية لا تهدأ حتى تأتي إلى كمال عملها. والله يهبها كلية من عنده لتصير مِلكاً للفاجر، فكيف يصير الفاجر باراً ويبقى فاجراً؟؟ كيف يعلن الله عن إنسان أنه قد تبرَّر وهو باقٍ فاجراً كما هو؟؟ ثم ما قيمة إيمان هذا الفاجر؟ وكيف قيَّمه الله أنه لائق للبر؟ أليس هذا يُعْتَبَر ضد الأخلاق وتحريضاً على الفجور؟ كما يُحسب أنه تهاون واستهتار من الله في إعطاء أقدس وأثمن مخصصاته لإنسان غير قادر أن يحملها أو ينتفع بها.

ولكن الحقيقة أن الإيمان الذي صرخ به الفاجر من نحو الله اعتبره الله قلباً جيداً يصلح لإلقاء بذرة الحياة في تُرْبته، فألقاها لتنبت: «ونحن **أموات بالخطايا، أحيانا مع المسيح**» (أف٢: ٥). فالله ليس عاجزاً حتى يبرر الفاجر نظرياً ليبقى الفاجر ميتاً بعد تبريره.

والآن يمكن أن نلخص التبرير بالإيمان على هذه الخطوات:

أولاً: الله صاحب المبادرة في كل ما يخص خلاص الإنسان. فهو يبدأ من الداخل ليدعو في القلب والضمير قبل أن يدعو في الخارج بالكلمة المكتوبة أو المسموعة، هذا عمل نعمة الله السبَّاقة.

ثانياً: إذا قَبِلَ الإنسان الدعوة التي تأتيه من الخارج وأطاع الدعوة التي أتته من الداخل، فإن النعمة تسانده في الحال وتعطيه شجاعة نادرة للاستمرار في قبول الصوت. ويُحسَبُ قبوله للدعوة تمجيداً لله لأن الدعوة في حقيقتها هي شهادة مباشرة لله.

ثالثاً: يتدخل الله بنعمة أوفر وبقوة ويَهَبُ الإنسان عنصر الإيمان كعلاقة روحية تربطه بالله مباشرة، وحينئذ يتقوى الإنسان بقوة الإيمان الذي يهيىء له هبة التبرير كمقابلٍ لشهادة الإيمان التي يجاهر بها. وهنا ولو أن الإيمان والشهادة هما من عمل الإنسان إلا أنهما لا يزالان عطية الله. وإذ ينال الإنسان البرَّ كعطية أخرى من الله من داخل عطية الإيمان يبدأ

الإنسان يشعر بقوة الانتصار على كل أنواع الخطايا والضعفات السالفة.

رابعاً: يدخل الإنسان في سباق الأعمال الصالحة بقوة خفية هي قوة الإيمان مضافاً إليها قوة التبرير، وبهذا تسكن النعمة الإنسان وتتآخى معه لتُدخِله في الفضائل المسيحية الواحدة بعد الأخرى.

عمل الروح القدس في التبرير:

الروح القدس يعطي «رجاء البر» في المستقبل الأبدي:

التبرير في الحاضر ـ الذي يوقفنا في سلام مع الله وبلا لوم في المحبة ـ يحمل قوة التبرير في المستقبل، فالرجاء عنصر جوهري في البرِّ الخلاصي: «الله واحد هو الذي سيبرِّر» (رو٣: ٣٠). فالتبرير يتجاوز الزمن الذي نعيشه في الحاضر، لأنه يسلب من الزمن أقوى ما في سلطانه وهو الخطية والموت. فالتبرير بالمسيح ينقلنا من ماضي برِّ الناموس المشكوك فيه بسبب الخطية المتسلِّطة والذي لم يصلح حتى لزمانه، ينقلنا بالانتصار على العالم الحاضر المؤلم، ليضعنا على عتبة الخلود وقد تجاوزنا الدينونة!! حقاً!

+ «**فإننا بالروح من الإيمان نتوقع رجاء برٍّ!!**» (غل٥: ٥)

إذاً، فالرجاء في البرِّ بالإيمان بالمسيح في الحاضر ليس عقيدة ذات فكرة مهدئة، ولكنه قوة متحركة تتأجج **بالروح** في أعماقنا لننظر إلى فوق حيث المسيح جالس، مُترقِّبين خلاصاً قادماً هذا مقداره، وننظر نصيباً مقدساً محفوظاً لنا في السموات، ونتشبث بالروح وكأننا نقف على أطراف أقدامنا نستطلع الأمجاد المعدَّة، بل ونحصل من الآن على عزاء بما هو آتٍ يفوق العقل: «ماران أثا»!! تعالَ يا رب: «وهكذا نكون كل حين مع الرب، لذلك عزُّوا بعضكم بعضاً بهذا الكلام.» (١تس٤: ١٧و١٨)

الروح القدس عامل أساسي في التبرير:

+ «لكن اغتسلتم، بل تقدستم، بل تبررتم، **باسم الرب يسوع وبروح إلهنا.**» (١كو٦: ١١)

الروح القدس هنا عامل أساسي في التبرير، فهو يكمل فعل التبرير الذي يبدأ بالإيمان باعتبار الإيمان رباطاً روحياً فائقاً للطبيعة يربط روح المؤمن بالله كروح، فهو رباط روح بروح بعد ما مسَّ المسيح موتنا بموته. هنا يعمل الروح القدس من خلال الإيمان لتوصيل برِّ الله الذي اكتسبه المسيح لنا بدمه لنصير في النهاية متحدين ببر الله والمسيح. علماً بأن دم المسيح هو بروح أزلي (عب٩: ١٤)

يطهر ويقدِّس ويبرِّر. لأن البرَّ بالنهاية هو حالة روحية للإنسان يتسربل بها عندما يلبس المسيح في المعمودية ويحيا فيه المسيح بالإيمان.

كذلك الروح هنا يمتد بالتبرير ويطرحه إلى الأمام وإلى فوق بآن واحد ليكون رجاء المستقبل، نتوقعه في يقين الإيمان، لذلك يقول بولس الرسول إننا «بالرجاء خَلَصْنا» (رو٨: ٢٤). فالخلاص بالتبرير، وهو فعلٌ ماضٍ أكمله المسيح على الصليب مرة واحدة، أصبح بالإيمان الحي واقعاً حياً الآن، وهو بالروح رجاء المستقبل (غل٥: ٥). وهكذا نعيش البر والخلاص الآن ونتوقعه بالروح ليكون حياة المستقبل:

+ «هكذا المسيح أيضاً بعد ما قُدِّم مرة لكي يحمل خطايا كثيرين، سيظهر ثانية بلا خطية للخلاص للذين ينتظرونه.» (عب٩: ٢٨)

علماً بأن الروح القدس دائماً هو الذي يكمل كل ما نطلبه وكل ما نرجو أن نحققه. لأننا إن كنا لا نعلم ما ينبغي أن نصلي من أجله الآن، والروح يعلمنا ويشفع فينا، فكم ينبغي بالأَوْلَى والأهم أن نصلي ونطلب لكي يُكمِّل لنا الروح القدس أن نحيا البر في المسيح ونوجَد أمام الله بالنهاية في حالة البر، لكي نكون بلا لوم وقديسين أمامه في المحبة حسب وعد الله، بل حسب سَبْق تدبيره لنا!

فإن كنا في المعمودية نلبس المسيح حقاً ونصير بني الملكوت وعلينا بدلة العرس، فبالمسحة المقدسة نلبس البر بالروح القدس:

+ «لأن ليس ملكوت الله أكلاً وشرباً. بل هو **برٌّ وسلام وفرح في الروح القدس.**» (رو١٤: ١٧)

وانظر، أيها القارىء العزيز، أن البرَّ ليس فكرة أو مجرد نظرية، بل هو طاقة روحية عمَّالة ونشيطة، فلا يوجد البر وحده أبداً بل يأتي ومعه **السلام والفرح**. ولا ينبغي أن يوجد بار وليس له ملء السلام والثبوت الكامل في الفرح والابتهاج!

التبرير والملكوت في لاهوت بولس الرسول:

يضع القديس بولس مقابَلَة بين خطية آدم للدينونة، وهبة المسيح للتبرير، ليوضح كيف أن الخطية سادت في مملكة العالم الحاضر «قد مَلَكَ الموت» (رو٥: ١٤). فدخل الموت تحت الدينونة؛ يقابل ذلك سيادة هبة برِّ المسيح لنملك في الحياة الأبدية. فمقابل الخطية في مُلْكِ العالم، تقف نعمة المسيح في مملكة الحياة الأبدية بالتبرير:

+ « وأما الهبة فمن جرّى خطايا كثيرة للتبرير،

لأنه إن كان بخطية الواحد قد ملك الموت بالواحد،

فبالأَوْلَى كثيراً الذين ينالون فيض النعمة **وعطية البر سيملكون في الحياة (الأبدية)** بالواحد يسوع المسيح. » (رو ٥: ١٦و١٧)

هذا هو «مُلْكُ البرّ» أو مملكة البرّ. فالتبرير ليس حالة مجيدة نعيشها الآن وحسب، بل هي قوة ودوام وجودنا وحياتنا في ملكوت الله وإلى الأبد. لقد صاغ الله قوانين مملكته السماوية على أساس أن عنصر التبرير بالمسيح وفيه هو المظلّة التي يعيش تحتها الإنسان في مُلْكِهِ الأبدي:

+ « كما اختارنا فيه قبل تأسيس العالم لنكون قديسين وبلا لوم قُدّامه في المحبة. » (أف ١: ٤)

سلطان قوة التبرير على جسد الإنسان وفكره في لاهوت بولس الرسول:

+ « ألستم تعلمون أن الذي تقدمون ذواتكم له عبيداً للطاعة،

أنتم **عبيد للذي تطيعونه**، إما للخطية للموت أو للطاعة للبر،

وإذ أُعتِقتُم من الخطية، صرتم **عبيداً للبر**،

لأنه كما قدّمتم أعضاءكم عبيداً للنجاسة والإثم للإثم،

هكذا الآن **قدّموا أعضاءكم عبيداً للبر...**

لأنكم لما كنتم عبيد الخطية كنتم أحراراً من البر،

فأي ثمر كان لكم حينئذ من الأمور التي تستحون بها الآن، لأن نهاية تلك الأمور هي الموت،

وأما الآن إذ أُعتِقتُم من الخطية **وصرتم عبيداً لله، فلكم ثمركم للقداسة والنهاية حياة أبدية.** » (رو٦: ١٦–٢٢)

ألف ألف شكر لله! لأنه إن كان للخطية سلطان على الغرائز لتستخدمها فتستعبد الإنسان لقانون سطوتها في كل نواحي الخطايا، فيصبح الإنسان أسيراً مذلولاً لسلطان الخطية؛ فإن الله أقام لنا بواسطة المسيح وقوة الدم سلطة جديدة روحانية فائقة على الطبيعة، إذا تمسّك بها الإنسان وأطاع تدبيرها وخضع لصوت إيحاءاتها الخيّرة في القلب فإنه يدخل بإرادته الحرّة تحت سلطانها وسطوتها وبأسها بقوة أعلى وأشدّ من سلطان الخطية التي ينفضها عنه ويلقيها أرضاً. وحينئذ يدخل الإنسان في عبودية البرّ، أي في خدمة البرّ والقداسة، أي عبودية خدمة الله التي هي أعظم حرّية عرفها الإنسان، إذ يتحرر من كل قيود واضطرارات وسلطان الجسد بغرائزه الجسدية والنفسية وعاداته التي

قد تكون ملكت واستعبدت الإنسان لتُحْدِره في يأسه إلى الموت والهاوية.

إن ما يريد بولس الرسول أن يقوله لنا هو أن لتبرير الله لنا بدم المسيح قوةً وطاقةً وسلطاناً، وَهَبَها الله لنا لنسود على الخطية مهما تكون قد سادت علينا. فإذا أطعنا تدبير الله وخضعنا لبرِّه، فالله سيملك علينا ببرِّه عِوَضَ الخطية التي تكون قد ملكت علينا غشاً وخداعاً.

وفي مقابل أعمال الخطية الفاضحة وثمرتها المرَّة التي فيها مذاقة الموت، يبدأ الإنسان يثمر للقداسة بأعمال نشيطة تُزيده قُرْباً من الله، فيتذوق الحياة الجديدة.

وباختصار، فالتبرير قوَّة محرِّرة من سلطان الخطية.
لأنها قوة دم لتبرئةٍ إلهية، لا تقدر الخطية أن تقف أمامها.
قوة فكٍّ وربطٍ،
فهي تفكنا من عبودية ظالمة شريرة، لتربطنا بمصدر البر: بالمسيح والآب!
فهي «قوة الله بسلاح البرِّ لليمين واليسار!!» (٢ كو٦: ٧)

البر والأخلاق في المسيحية عند بولس الرسول:

بولس الرسول يضع البر أساس حياة الإنسان الجديدة من جهة السلوك والأخلاق:

+ «... أن **تخلعوا** من جهة التصرف السابق الإنسان العتيق الفاسد بحسب شهوات الغرور،
وتتجددوا بروح ذهنكم،
وتلبسوا الإنسان الجديد المخلوق بحسب الله في البر وقداسة الحق.»
(أف٤: ٢٢-٢٤)

أما مصدر تجديد الذهن فهو كلمة الإنجيل لأنها القوة الإلهية الأولى التي ينبعث منها عمل الله:

+ «كل الكتاب هو موحى به من الله، ونافع **للتعليم والتوبيخ للتقويم والتأديب** الذي في البرّ.» (٢تي٣: ١٦)

والإكليل النهائي الذي سيخرج به الإنسان من سلوكه وأخلاقه وممارسة التقوى بكل صنوف التعليم والتوبيخ والتوبة، هو «إكليل البر» أي إكليل الشهادة بأنه خدم بر الله وتبرأ من هذا العالم:

+ «**قد جاهدتُ الجهاد الحسن، أكملتُ السعي، حفظتُ الإيمان، وأخيراً قد وُضِعَ لي إكليل البر الذي يَهَبه لي في ذلك اليوم الرب الديَّان العادل.**» (٢تي٤: ٧و٨)

الفصل الثالث

التقديس

في العهد القديم:

«اسم» الله أو «كلمته» أو «روحه» كلها استعلانات شخصية خاصة به. ولكن حينما نقول: «**الله القدوس**»، فهذه الصفة تختص بعلاقة الله بكل ما عداه من مخلوقات، أي تفيد دائرته الخاصة في مقابل دائرة العالم المخلوق سواء في السماء أو على الأرض.

يأتي بعد ذلك كل ما يختص بحلول الله في الخليقة. فالمكان الذي يحل فيه يصير مقدَّساً بمعنى خاص بأن لا يُقترب منه إلا بشروط، كما حلَّ في العُلَّيقة. فعند اقتراب موسى من العُلَّيقة حذره الرب قائلاً: «لا تقترب إلى ههنا، اخلع حذاءك من رجليك لأن الموضع الذي أنت واقف عليه أرض مقدسة» (خر٣: ٥). ومنذ ذلك الحين وكل مكان يحلُّ فيه الرب يُسمَّى «**بالموضع**». وحتى الآن يذكر الكاهن موضع حلول الله، وذلك في القداس وقت تلاوة سر الإنجيل: «اذكر يارب خلاص هذا **الموضع المقدَّس**[1] الذي لك ...» وهو يعني بذلك بنوع خاص «الهيكل» حيث يحلُّ الرب.

وهكذا ابتدأت تتسحب القداسة على كل ما يخص الله على الأرض، فالهيكل مقدَّس وكل أدواته والأشياء التي فيه، والكهنة الذين يخدمون الهيكل مقدَّسون، والذبائح التي تُقدَّم في الهيكل مقدسة، وأيام الأعياد مقدسة، والسبت مقدس. وبعد ذلك يجيء دور الشعب بأجمعه لأن الله اختاره لنفسه وأحبَّه، فصار له أيضاً خاصَّةً، وبذلك صار شعباً مقدساً، بل وأورشليم كلها ثم فلسطين كلها صارت أرضاً مقدسة لأن الله دعاها أرضه.

---

(١) المسيح نفسه استخدم هذا الاصطلاح: «متى نظرتم رجسة الخراب ... قائمة في **المكان المقدس**.» (مت٢٤: ١٥)

ἐν τοπῷ ἁγίῳ

وبعد ذلك تسحَّبت القداسة لتشمل حتى الجسد وأعضاءه حينما يُنذَر للرب ويتطهر بالبعد عن كل ما ينجسه: «إنه كل أيام انتذاره مقدس للرب.» (عد٦:٨)

وما يُقال عن كل ما يخص الله على الأرض، يُقال على كل ما يخصه في السماء، فالسماء وكل خلائقها التي تعبده هي مقدسة. والعكس قائم، فكل ما لا يمتُّ إلى قداسة الله ليس مقدساً، أما الذي يتعارض مع قداسة الله فهو النجس.

في العهد الجديد:

تسحَّبت قداسة الله من علاقته بالمخلوقات لتدخل في صميم التعبير عن طبيعته الخاصة، ولكن في إطار مفهوم العهد القديم، وذلك بمعنى الابتعاد والسُّموّ. فالعهد الجديد يعتبر أن تسبحة الشاروبيم التي وردت في إشعياء النبي تخصُّ طبيعة الله في ذاته، بل وتُعبِّر عن الثالوث الأقدس: «وهذا نادى ذاك وقال: **قدوس قدوس قدوس** رب الجنود، مجدُه مِلءُ كل الأرض» (إش٦:٣). لذلك نسمع هذه التسبحة في سفر الرؤيا أيضاً (رؤ٤:٨).

ومن مضمون تسبحة الشاروبيم في إشعياء النبي التي تمت في سفر الرؤيا والتي فيها يأخذ المسيح صفة «**القدوس**» باعتباره «**رب القوات**»، تسحبت القداسة إلى معنى «كُليّ القوة أو القدرة». «بانتوكراتور» Pantocrator = παντοκράτωρ. وبهذا صارت صفة «كُليّ القدرة» هي الصفة الظاهرة الفعَّالة لصفة القداسة في طبيعة الله؛ وانتهى هذا بالتحام صفة «القدوس» بصفة «كُليّ القدرة» لتعبِّر عن جوهر الله أو الجوهر الإلهي الفعَّال والمستعلن الآن وكل أوان وإلى دهر الدهور.

ونجد في إنجيل القديس يوحنا أن هذا التعبير عن قداسة طبيعة الله واضح في صلاة المسيح لله الآب: «**أيها الآب القدوس**» (يو١٧:١١)، تعبيراً عن طبيعة **الأبُوَّة القدوسة**، ومن هنا تسحبت على **طبيعة الابن بالضرورة**. كذلك في الصلاة الربانية يقول المسيح بتقديس **اسم الله**: «**ليتقدَّس اسمك**.» (مت٦:٩)

وأخيراً يضم المسيح الآب والابن والروح القدس تحت هذا **الاسم**: «فاذهبوا وتلمذوا جميع الأمم وعمدوهم باسم **الآب والابن والروح القدس**» (مت٢٨:١٩). وبهذا تحددت عبادة الله في الآب والابن والروح القدس على أساس جوهر الله الواحد المقدس الواجب التقديس، بمعنى التخصُّص من جانب الكنيسة عن العالم، والتطهير والتسامي عن كل ما لا يتناسب مع طبيعة الله المخدومة.

المسيح القدُّوس:

+ «**القدوس** المولود منكِ يُدعى ابن الله.» (لو١: ٣٥)
+ «ما لنا ولك يا يسوع الناصري، أتيت لتُهلكنا، أنا أعرفك مَنْ أنت **قدوس الله**.» (مر١: ٢٤)
+ «فالذي **قدَّسه** الآب وأرسله إلى العالم أتقولون له إنك تُجدِّف لأني قلت إني ابن الله.» (يو١٠: ٣٦)
+ «وأما أنتم فلكم مسحة من "**القدوس**" وتعلمون كل شيء.» (١يو٢: ٢٠)
+ «ولكن أنتم أنكرتم "**القدوس**" البار وطلبتم أن يوهب لكم رجل قاتل.» (أع٣: ١٤)
+ «لأنه بالحقيقة اجتمع على فتاك "**القدوس**" يسوع الذي مسحته، هيرودُس وبيلاطس البنطي مع أمم وشعوب إسرائيل.» (أع٤: ٢٧)

ثم تبدأ حلقة الاتصال بين المسيح «**القدوس**» والآب القدوس لتقديس شعب الله الجديد، وذلك في سفر العبرانيين، باعتبار المسيح هو رئيس الكهنة العظيم **الذي دخل الأقداس العليا في السماء بدم نفسه لينضح علينا من السماء. فوجد أو أَوْجَدَ لنا فداءً أبدياً، حيث الفداء هنا يأخذ صورة التقديس بالدم المقدَّم على عرش الله في السماء بصفته الفصح الأبدي الذي خرج بنا من العالم ليوصِّلنا إلى كنعان السماوية، وبقي أمام الله كخروف الفصح المذبوح ينضح علينا بدمه ليظل يكمِّل خروجنا حتى نهاية الدهور كلها:**

+ «لأنه كان يليق بنا رئيس كهنة مثل هذا **قدوس بلا شر ولا دنس قد انفصل عن الخطاة** وصار أعلى من السموات.» (عب٧: ٢٦)
+ «...بدم نفسه دخل مرة واحدة إلى **الأقداس** فوجد فداءً أبدياً.» (عب٩: ١٢)
+ «...دم المسيح، الذي بروح أزلي قدَّم نفسه لله بلا عيب **يطهِّر** ضمائركم من أعمال ميتة لتخدموا الله الحي.» (عب٩: ١٤)
+ «لأن المسيح لم يدخل إلى **أقداس** مصنوعة بيدٍ أشباهِ الحقيقية، بل إلى السماء عينها ليظهر الآن أمام وجه الله لأجلنا.» (عب٩: ٢٤)
+ «فبهذه المشيئة نحن **مقدسون** بتقديم جسد يسوع المسيح مرة واحدة.» (عب١٠: ١٠)
+ «**...لنا أيها الإخوة ثقة بالدخول إلى الأقداس بدم يسوع.**» (عب١٠: ١٩)
+ «فكم عقاباً أشرَّ تظنون أنه يُحسَبُ مستحقاً مَنْ داس ابن الله **وحَسِبَ دم العهد الذي قُدِّس به** دنساً وازدرى بروح النعمة.» (عب١٠: ٢٩)
+ «لذلك، يسوع أيضاً لكي **يقدِّس الشعب بدم نفسه** تألم خارج الباب» (عب١٣: ١٢).

والأصل اليوناني للتعبير «دم نفسه» يجيء τοῦ ἰδίου αἵματος بمعنى دمه الشخصي = his own . هنا انتساب الدم له يأتي مضاعفاً للتأكيد.

واضح هنا التسلسل المتدرج عَبْر الزمن والاستعلان: من الله القدوس إلى الآب القدوس إلى الابن القدوس، إلى المسيح القدوس، إلى الدم المقدس، إلى الدخول إلى الأقداس بالدم المقدس، إلى التقديس بالدم المقدس.

علاقة التقديس بالتبرير:

التبرير: واضح أنه يستمد وجوده وكيانه من **عمليات سلبية** بالدرجة الأُولى. فهو قائم على أساس **غفران الخطايا، والصفح عنها، والتحرير من العبودية تحت الخطية، والتخليص من ديون ثقيلة، والخروج من حالة العداوة إلى حالة تصالح**. فالتبرير يتطلب أولاً عمليات متلاحقة تجريدية من ماضٍ أثيم وجهالة.

التقديس: هو الحالة الإيجابية التي يدخلها المؤمن بعد التبرير، فهو عبارة عن عمليات إيجابية متلاحقة تعدُّه للحياة والشركة بالروح مع الله. والتقديس لا بد أن يكون قد استوفى التبرير لأنه يستحيل تماماً أن يُقَالَ أن القديس لم تُغْفَر خطاياه بعد. لأن العمليتين لا يمكن فصلهما، فهما يبدآن معاً وينتهيان معاً.

فالتقديس لا يمكن أن يوجد بدون تبرير، كذلك التبرير لا يمكن أن يكون بلا تقديس، فالتبرير والتقديس حالتان متلازمتان. وبولس الرسول يقدم لنا تعليماً يشمل هذه الحقيقة الإيمانية:

+ « أم لستم تعلمون أن الظالمين لا يرثون ملكوت الله؟،

لا تضلوا، لا زناة ولا عبدة أوثان ولا فاسقون ولا مأبونون ولا مضاجعو ذكور، ولا سارقون ولا طماعون ولا سكيرون ولا شتامون ولا خاطفون يرثون ملكوت الله،

وهكذا كان أُناس منكم،

لكن اغتسلتم، بل **تقدَّستم**، بل تبررتم باسم الرب يسوع وبروح إلهنا.»

(١كو٦: ٩—١١)

هنا في هذه الآيات ثلاث دوائر للخطية غير مقبولة لدى الله على وجه الإطلاق وأجرتها الرفض واللعنة:

الدائرة الأُولى: هي الدائرة الاجتماعية العامة التي يترأس فيها الإنسان على الإنسان ويقترف الظلم بكل أنواعه.

الدائرة الثانية: هي الدائرة ذات التعامل السري الفردي، إنسان مع إنسان، وتشمل جميع أصناف الزنا.

الدائرة الثالثة: هي دائرة الإنسان النفسية الداخلية التي يصدر منها التعدّي.

كل هذه الخطايا التي اشتهر بها الوثنيون في كورنثوس في القرن الأول المسيحي ـــ وللأسف لا تزال لاصقة حتى الآن وحتى بالمسيحيين في القرن العشرين، فهذه كلها تُغسل اغتسالاً ـــ وكأنها وسخ الجسد ـــ في المعمودية المقدسة التي نأخذ منها بدءاً جديداً لخلقة جديدة لحياة جديدة طاهرة، مبرَّرة ومقدَّسة، وكأن الإنسان وُلِدَ ولادة أخرى من الله.

فبالمعمودية وبثلاث غطسات في الماء على اسم الثالوث الأقدس، وعلى خلفية من إيمان حيٍّ، يكون المؤمن بالمسيح قد ارتبط فيها موتاً مع موت وحياة مع حياة وتَلامُس الروح بالروح والقلب بالقلب، استعداداً ليسري الدم الأقدس في جسد الخطية فيطهره ويقدسه ليصير الإنسان هيكلاً مقدَّساً لله، ويخرج المؤمن من المعمودية ليتناول جسد الرب ودمه شهادة علنية بما تم بالقوة في السرِّ غير المنظور.

والذي يستوقفنا هنا في عمليات التخليق الجديد للإنسان في المعمودية، هو موضوع **التقديس**. فالإنسان بعد أن كان في نقع الخطايا والنجاسة ينتقل ليبلغ حالة جديدة بالدخول في دائرة مخصَّصات الله ليصير من خاصته، من محبيه، رعيَّة مع القديسين، قديساً من القديسين وأهل بيت الله (أف ٢:١٩).

هنا تحددت إقامة الإنسان من العَبَث في شوارع العالم، إلى الانغراس في بيت الله: «مغروسين في بيت الرب في ديار إلهنا يُزهرون» (مز٩٢:١٣)، لقد حُكِّر عليه بعيداً عن ماضي الظلمة وبيتها، صار حِكْراً لله لا ينازعه فيه أحد. يُسيَّج عليه الروح القدس فما يستطيع الإفلات: «لأن محبة المسيح تحصرنا» (٢كو٥:١٤)، «ينقادون بروح الله» (رو٨:١٤)، «مُقيَّداً بالروح» (أع٢٠:٢٢)، «مَنَعهم الروح القدس» (أع١٦:٦)، «يقودنا في موكب نصرته» (٢كو٢:١٤). كل هذا يفيد أن القديسين أصبحوا تحت قيادة خاصة مباشرة من الله كجيش خلاص: «كجندي صالح ليسوع المسيح.» (٢تي٢:٣)

ثم يعود بولس الرسول ليُضفي صفة التقديس على الكنيسة بنفس مستوى التقديس للفرد، حيث يُفهَمُ من هذا أن المؤمن الذي يتقدس بالمعمودية والروح والدم إنما يتقدس لحساب الكنيسة وليس لحساب نفسه؛ وعلى القارىء أن ينتبه للنموذج الفردي كيف يطبِّقه بولس الرسول عليه ثم

لنموذج الكنيسة:

+ «أحبني وأسلَم نفسه لأجلي.» (غل ٢: ٢٠)
+ «اغتسلتم بل تقدستم ...» (١ كو ٦: ١١)
+ **«كما أحب المسيح أيضاً الكنيسة، وأسلم نفسه لأجلها، لكي يقدسها مُطهِّراً إياها بغسل الماء بالكلمة ... بل تكون مقدسة وبلا عيب.»**

(أف ٥: ٢٥–٢٧)

الباب الرابع

الأسرار في لاهوت بولس الرسول

تمهيد

كلمة «سر» sacramentum — μυστήριον هنا هي محاولة لشرح عمل النعمة الخفي بأعمال ظاهرية.

وكلمة «سِرٌّ» باليونانية μυστήριον تفيد «العمل الخفي»، والكلمة المقابلة باللاتينية sacramentum تفيد «العمل المقدس».

وهنا نحن نبتدىء في شرح الأسرار فيما يختص بالثلاثة الأعمال الأُولى التي يتحتم على المؤمن المسيحي أن يؤديها، بأن تجرى عليه لكي يصير عضواً في الكنيسة، أي في جسد المسيح وهي:

(أ) المعمودية. (ب) وضع اليد. (ج) شركة التناول من جسد الرب ودمه. وهذه الثلاثة الأعمال تأتي متعلقة بالإيمان، فهي تحققه عملياً بالسر وتنطقه علنياً بالشهادة، وذلك بحسب لاهوت بولس الرسول:

+ «فإنكم كلما أكلتم هذا الخبز وشربتم هذه الكأس، تخبرون بموت الرب إلى أن يجيء.» (١كو١١: ٢٦)

أي أن هذه الثلاثة الأسرار: المعمودية، مع وضع اليد، والإفخارستيا، المرتبطة بالإيمان، هي أيضاً منبثقة من عمل الفداء الذي أكمله المسيح على الصليب بالموت ثم القيامة، ومنتهية إليه.

أما بقية الأسرار فستأتي بعد هذه الأسرار الثلاثة الأُولى الأساسية. على أننا لسنا هنا بصدد

شرح طقوس وأسرار الكنيسة بنوع عام شمولي ولكننا ملتزمون بتتبع ما جاء في رسائل بولس الرسول فقط، كالنظام الكنسي أي الرئاسات الكهنوتية، والزواج، وربما التوبة باعتبارها صورة من عمل المصالحة.

الفصل الأول

المعمودية Βάπτισμα

معنى «المعمودية»:

كلمة «المعمودية βάπτισμα » لم تَرِدْ كثيراً في رسائل القديس بولس، فقد وردت ثلاث مرات، ولكنه يستعمل أكثر منها كلمة «يعمِّد» βαπτίζειν ، وهي صيغة التكثير من كلمة يغطِّس في الماء βάπτειν .

كلمة «يغطِّس» βάπτειν وردت كثيراً في العهد القديم، بعكس كلمة «يعمِّد» بمعنى «غطَّس كثيراً» التي لم تَرِدْ في كل العهد القديم إلاَّ مرتين:

+ «فنزل وغَطَسَ سبع مرات (βαπτίζειν) في الأُردن.» (٢مل٥: ١٤)

+ «تاه قلبي وفي الخطية غَطِسْتُ مرات (تعمَّدت) βαπτίζειν ، وغَشِيتْ الرعبة نفسي.» (إش٢١: ٤ السبعينية)

فكلمة «عمَّد» βαπτίζειν في العهد الجديد تفيد تفيد «غطَّس عدة مرات»، سواء في معمودية يوحنا أو في معمودية المسيح، أو في الطقس الكنسي: ثلاث مرات. وقد بدأت تأخذ الكلمة «يعمِّد» معاني جديدة بجوار الغَطْس عدة مرات، فهي تعني التطهير بالماء أو الاغتسال.

و «**المعمودية**» وردت في رسائل بولس الرسول، كما سبق وقلنا، ثلاث مرات: اثنتان منها بمعنى الدفن السرِّي، والثالثة بمعنى وحدة الكنيسة:

١ — «فدُفِنَّا معه **بالمعمودية** للموت ...» (رو٦: ٤)

٢ — «مدفونين معه في **المعمودية** التي فيها أُقِمْتُم أيضاً معه بإيمان عمل الله الذي أقامه من الأموات.» (كو٢: ١٢)

٣ — «ربٌّ واحد، إيمان واحد، **معمودية واحدة**.» (أف٤: ٥)

أما كلمة «يعمَّد» فقد وردت في رسائل بولس الرسول ثلاث عشرة مرة.

وهي إما تأتي بصيغة يعمَّد في المسيح εἰς Χριστόν .

أو يعمَّد في موت المسيح εἰς τὸν θάνατον .

أو يعمَّد في جسد واحد εἰς ἓν σῶμα .

أو يعمَّد في اسم ... εἰς τὸ ὄνομα .

وبهذا يكون التعميد إما في المسيح أو في موته أو في جسده، وإما في اسم المسيح. وهذه سنأتي على شرحها فيما بعد.

والأصل والأساس في المعمودية في المسيحية عند بولس الرسول لا يمتُّ إلى معمودية يوحنا لا من قريب ولا من بعيد، بل هو صليب ربنا يسوع المسيح. فموت المسيح على الصليب هو في تعبير المسيح السري «**صبغة المسيح**» βάπτισμα **أي معموديته**، كما جاءت في إنجيل القديس مرقس: «فقال لهما يسوع لستما تعلمان ما تطلبان. أتستطيعان أن تشربا الكأس التي أشربها أنا وأن تصطبغا **بالصبغة** βάπτισμα التي **أصطبغ** βαπτίζομαι بها أنا» (مر١٠:٣٨). وأيضاً في إنجيل القديس لوقا: «لي **صبغة** βάπτισμα **أصطبغها** وكيف أنحصر حتى تُكمَل.» (لو١٢:٥٠)

فسِرُّ المعمودية في المسيحية هو موت بالدرجة الأُولى حيث ينال الجسد العتيق فعل موت حقيقي. لأن المعمودية عند بولس الرسول هي موت ودفن، هي موت ودفن في المسيح. فالمعمودية هي فعل موت في εἰς موت المسيح لنوال قوة الموت «مع σύν» المسيح لبلوغ غاية موت المسيح وهي الحياة من الموت. فالمعمودية فعلٌ سرِّي إلهي يحمل سر الجلجثة وفعلها ونتائجها.

والمسيح أسس سِرَّ المعمودية المقدسة لهذا الغرض لننال به الاتحاد في موته، ومن خلال صبغة الماء ننال صبغة الدم! وهذا واضح أشد الوضوح في كلام المسيح الذي يتقطَّر سرًّا: «أما الكأس التي أشربها أنا (دم الصليب) **فتشربانها**، وبالصبغة التي أصطبغ بها أنا **تصطبغان** (دم الصليب).» (مر١٠:٣٩)

المعمودية هنا تحقق وعد الرب: «وأنا إن ارتفعتُ عن الأرض أجذب إليَّ الجميع» (يو١٢:٣٢)، هكذا في المعمودية يجذب المسيح كل المعتمدين في موته ليوحِّدهم فيه بصليبه ودمه.

واضح من تعبير بولس الرسول عن المعمودية أنها بالتغطيس الكلي تحت الماء وذلك من قوله

مدفونين معه: «**مدفونين معه في المعمودية**» (كو٢: ١٢)، «أنه دُفِنَ وأنه قام» (١ كو١٥: ٤).
وكان هذا هو الطقس الرسمي للكنيسة منذ أول تأسيس هذا السر.

اصطلاحات أخرى للتعبير عن سر المعمودية:

وقد عبّرت الكنيسة عن هذا السر باصطلاحات أربعة أساسية:

١ ـــ **حميم مقدس:** وهو يرمز إلى التطهير الداخلي بالروح القدس.

٢ ـــ **الاستنارة:** وهو يرمز إلى انفتاح الوعي الروحي على الحق الإلهي في المسيح النور الحقيقي، بعد العمى الروحي في ظلمة العالم.

٣ ـــ **الدفن السري:** وهو يرمز إلى الموت للإنسان العتيق والاتحاد بموت الرب.

٤ ـــ **القيامة السرية:** وترمز إلى إعادة الخلقة والحياة الجديدة.

ثم أُضيف إلى هذه التعبيرات السرية عن العماد تعبيران جديدان من صميم الإنجيل:

٥ ـــ **المسحة بزيت الزيتون:** وهي ترمز إلى تطعيم المولود الجديد في شجرة الزيتون الأصلية.

٦ ـــ **ثوب المعمودية الأبيض:** وهو يرمز إلى خلع العتيق مع أعماله ولبْس الجديد، أي التحول الأخلاقي.

وهذه التعبيرات كلها واضح أن الكنيسة أخذتها مباشرة من تعاليم بولس الرسول من نصوص الآيات.

واستخدام هذه التعبيرات كلها مبكّر جداً في الكنيسة، وقد أوردها بتدقيق القديس كيرلس الأُورشليمي (٣١٥ ـــ ٣٨٦م) في عظاته للمعمَّدين الجدد والتي ألقاها في ١٨ مارس سنة ٣٤٧م. وهذه العظات هي أهم ما بقي لنا من أعماله. وقد جاءت بالترتيب كالآتي:

(أ) خلع الثوب تماماً من على الجسد بمعنى رفض الإنسان العتيق(١).

(ب) المسْح المبدئي بزيت مقدس (ἐλαίῳ ἐπορκιστῷ) كتطعيم في شجرة الزيتون الأصلية(٢). وهي تختلف عن المسحة المقدسة التي تأتي بعد العماد (μῦρον χρίσμα) التي للتثبيت(٣).

---

1. *Catech. Mystag.*, II:2; PG XXXIV,1077.
2. Ibid., 1080.
3. *Catech. Mystag.*, III.

(ج) التغطيس تحت الماء ثلاث مرات للموت والدفن(٤).

(د) الخروج من الدفن فوق الماء للتعبير عن القيامة والدخول في الاستنارة(٥).

(هـ) لِبْس الثوب الأبيض للتعبير عن تقديس النعمة(٦): «اللابس النور كثوب.» (مز١٠٤: ٢)

المعمودية استنارة: φωτισμός

يُعتبَر القديس يوستين الشهيد أول مَنْ ذكر الاستنارة في شرح طقس العماد(٧)، ولكن من كلامه يُستَفَاد أنه كان اصطلاحاً شائعاً في الكنيسة ولم يستحدثه.

والكنيسة أخذت الاستنارة كفعل سري في المعمودية من القديس بولس رأساً في قوله: «**مستنيرة عيون أذهانكم** لتعلموا ما هو رجاء دعوته وما هو غنى مجد ميراثه في القديسين.» (أف١: ١٨)

علماً بأن لحظة العماد هي في الحقيقة إدراك واقعي للدعوة ولغنى مجد ميراث المسيح في القديسين.

كذلك فبالتعميد يصير المعمَّدون أبناءً للنور، وقد دخلوا في نهار المسيح بعد ظلمة ليل العالم.

+ «وأما أنتم أيها الإخوة **فلستم في ظلمة**، حتى يدرككم ذلك اليوم كلصٍّ، جميعكم **أبناء نور وأبناء نهار**، لسنا من ليل ولا ظلمة.» (١تس٥: ٤و٥)

وأبناء المعمودية، وإذ صاروا أبناء النور، أصبح نورهم يضيء العالم كانعكاس من نور وجه المسيح الذي يسطع في قلوبهم حباً وبساطة وقداسة:

+ «لكي تكونوا بلا لوم **وبسطاء أولاداً لله** بلا عيب في وسط جيل معوج وملتوٍ **تضيئون بينهم كأنوار في العالم.**» (في٢: ١٥)

+ «لأنكم كنتم قبلاً ظُلمة وأما الآن **فنور في الرب**. اسلكوا **كأولاد نور.**» (أف٥: ٨)

والمعمودية عند بولس الرسول ملتحمة بلاهوت التبرير والفداء والخلاص:

+ «لا بأعمال في برٍّ عملناها نحن بل بمقتضى رحمته **خلَّصنا** بغسل الميلاد الثاني **وتجديد الروح**

---

4. Ibid., II,2; PG XXXIV,1080,1081.
5. Ibid.
6. Ibid., IV,8; PG XXXIV,1104.
7. St. Just., *Apol.* I.61.

القدس.» (تي٣: ٥)

+ «وهكذا كان أناس منكم، لكن اغتسلتم (المعمودية): ἀπελούσασθε،

بل تقدستم: ἡγιάσθητε،

بل تبررتم: ἐδικαιώθητε،

باسم الرب يسوع وبروح إلهنا.» (١كو٦: ١١)

معمودية الكنيسة:

+ «كما أحب المسيح أيضاً الكنيسة وأسلم نفسه لأجلها **لكي يقدسها، مُطهِّراً إياها بغسل الماء بالكلمة،** لكي يُحضرها لنفسه كنيسة مجيدة لا دنس فيها ولا غضن أو شيء من مثل ذلك بل تكون مقدسة وبلا عيب.» (أف٥: ٢٥-٢٧)

كذلك يرى القديس بولس الكنيسة وقد تعمَّدت بالكامل في أشخاص أعضائها ــ وكل يوم بالكلمة بالإنجيل المقروء ــ فصارت مقدَّسة بأولادها القديسين وبإنجيلها المقدس، مجيدة بمجد حضرة المسيح وحلوله فيها كجسده الخاص، لا دنس فيها بسبب كلمة الحياة بالإنجيل وقوة الروح في العماد لبلوغ التقديس: «أنتم الآن أنقياء لسبب الكلام الذي كلمتُكُم به.» (يو١٥: ٣)

و«لا غضن»، أي لا آثار عتق الأيام وبلاء الخطية، فهي عروس باقية في أوَج جمال غُرْسها لا يمحوه الزمن.

«مقدَّسة» بسبب حضرة المسيح وملء الروح فيها مع ربوات ملائكة وأرواح القديسين المكمَّلين في المجد الذين لا يفارقونها ليلَ نهارَ وهم في سماء مجد الله بآن واحد.

بولس الرسول يصف هنا الكنيسة هكذا:

+ «**أتيتم إلى جبل صهيون، وإلى مدينة الله الحي، أورشليم السماوية، وإلى ربوات هم محفل ملائكة وكنيسة أبكار مكتوبين في السموات، وإلى الله ديَّان الجميع، وإلى أرواح أبرار مكمَّلين، وإلى وسيط العهد الجديد يسوع، وإلى دم رش يتكلم أفضل من هابيل.**» (عب١٢: ٢٢-٢٤)

ولينتبه القارىء أن كل هذه الصفات التي اكتسبها المؤمن بالمعمودية بالماء والروح والتي نالتها الكنيسة بعماد آخر إضافي بالكلمة، هذا كله قائم على أساس لاهوتي ثابت:

+ «أحبني وأسلم نفسه لأجلي.» (غل٢: ٢٠)

+ «كما أحب المسيح أيضاً الكنيسة وأسلم نفسه لأجلها.» (أف٥: ٢٥)

هنا الفداء هو القوة الفعَّالة في عماد الفرد والكنيسة.

هنا **الدم** سرُّ الثوب الأبيض الذي يدَّثر به المعمَّد الخارج من بطن المعمودية: «وقد غسَّلوا ثيابهم وبيَّضوا ثيابهم في دم الخروف.» (رؤ٧:١٤)

هنا الدم هو أساس تطهير الكنيسة بالكلمة وغسلها، لأنه دم الكلمة الابن الوحيد. بهذا يلزم أن نربط ربطاً محكماً بين ما يجري في سر المعمودية وما جرى للمسيح على الصليب والقبر والقيامة، حيث يتم للفرد والكنيسة الشركة في الموت والقيامة ونتائجهما.

في مفهوم بولس الرسول عن معمودية الكنيسة يقول: «كما أحب المسيح أيضاً الكنيسة وأسلم نفسه لأجلها لكي يقدِّسها مُطهِّراً إياها بغسل الماء بالكلمة» (أف٥:٢٥و٢٦)، وهو يضع هنا كلمة «**لكي**» حتى يربط بها بين حب المسيح للكنيسة وموته على الصليب من أجلها لكي يقدِّسها، وذلك بتطهير كل عضو فيها. والقصد النهائي أن «يُحضِرها» بمعنى يُعدُّها لنفسه عروساً طاهرة تماماً ومقدَّسة تماماً. هنا «يحضرها» باليونانية παραστήση تحمل الغرض البعيد النهائي بعد أن تستكمل الكنيسة غسل كل أعضائها على مدى الزمن كله، لكي تبقى له بالنهاية.

لاحظ هنا أن التقديس بالنسبة للكنيسة يأتي باكتمال أعمال المعمودية للأفراد، مضافاً إليها التقديس بالكلمة على الكل في الكنيسة المجتمعة. يقول بعض اللاهوتيين بكلمة الإنجيل فقط، والبعض كالقديس ذهبي الفم يكتفي بنطق الثالوث في التعميد، ولكن الواضح أن تقديس الفرد هو الذي يتم بالعماد بالماء بنطق اسم الثالوث فقط، أما تقديس الكنيسة كجماعة فيضاف إليه التقديس بكلمة الإنجيل: «أنتم الآن أنقياء لسبب الكلام الذي كلمتكم به.» (يو١٥:٣)

سر الموت والقيامة في المعمودية:

إن كانت المعمودية ميلاداً ثانياً جديداً فلا بد أن يسبقه موتٌ، فالخلاص بالمسيح هو عن طريق الصليب والموت، وهو يخلِّصنا بأن يُشركنا في موته. علماً بأن الموت الذي ماته، ماته في بشريتنا، فليس عسيراً عليه أن يُجريه علينا، وهذا ما يتم في المعمودية:

+ «أم تجهلون أننا كل مَنْ اعتمد ليسوع المسيح اعتمدنا لموته،
فدُفنَّا معه بالمعمودية للموت،
حتى كما أُقيم المسيح من الأموات بمجد الآب هكذا نسلك نحن أيضاً في جدة الحياة،
لأنه إن كنا قد صرنا متحدين معه بشبه موته،
نصير أيضاً بقيامته،

عالمين هذا أن إنساننا العتيق قد صُلب معه،

لِيُبْطَلَ جسد الخطية كي لا نعود نُستعبد أيضاً للخطية،

لأن الذي مات قد تبرَّأ من الخطية.» (رو٦: ٣ــ٧)

في هذا الوصف اللاهوتي للمعمودية نلمح ثلاثة محاور أساسية:

(أ) التأثير المباشر للمعمودية.

(ب) مكاسب المعمودية الآن وفي المستقبل.

(ج) الواجبات التي تلقيها علينا المعمودية.

بادىء ذي بدء نُذكِّر القارىء **بانحراف** معظم اللاهوتيين المحدثين ــ إن لم يكن كلهم ــ في اعتبار موت المسيح الكفاري في نظرهم أنه نوع من الإنابة أو الإحلال محلّنا، فهو في عُرْفهم **مات عوضاً عنا** (أنظر صفحة ٢٨٥)، وبذلك يكون التبرير الذي نلناه ــ حسب رأيهم ــ هو منحة والموت الذي جُزْناه مع المسيح هو اعتباريٌّ، أي أن الله بمقتضى إيماننا بالمسيح اعتبرنا أمواتاً كما اعتبر أننا تبرَّرنا، وطبعاً يكون ذلك على أساس أنه لم يحدث شيء داخلنا إنما مجرد أن طوق الخطية انكسر عنا على قدر ثقة الإيمان بالمسيح ويقين الإرادة المتجددة بقوة الإيمان أن المسيح مات من أجل رفع الخطية.

هذا الشرح الذي قدمه آلاف الوعَّاظ ويجاهد الملايين ليعيشوا بمقتضاه هو شرح ينقصه يقينية الواقع الداخلي الشخصي الذي يحسُّه المؤمن المعتمد الذي مات مع المسيح حقاً.

ونحن نصحح المفهوم فنقول: الموت الذي ماته المسيح ماته من **أجلنا** وليس عنّا! لأن المسيح إن كان **مات عني** فأنا غير مُطآلَبٌ ــ بعد ــ أن أموت، ولا أكون قد مُتُّ معه، لأنه كفاني شر الموت إذ مات هو عني! ولكن الحقيقة أنه مات **من أجلي**، فالموت الذي ماته ماته لي خاصة وباسمي «أحبني وأسلم نفسه **لأجلي**» (غل٢: ٢٠). فهو موتي أنا بالدرجة الأولى، وأنا متُّ لما مات المسيح **من أجلي**، بل وأكملتُ الموت بكل كمال أسباب الموت الذي ماته، ماته عن الخطية الأصلية التي فيَّ وخطية أجدادي التي استقرت في ميراثي، وخطية أمسي ويومي وخطية مستقبلي بل وخطايا العالم كله!! هنا واقع الموت في داخلي، وتأثيره يعمل في كل كياني.

ليس هذا فقط بل إن الموت الذي ماته المسيح من أجلي لم يَمُتْه بعيداً عني، لأنه مات في **بشريتنا** التي أخذها منا ليموت فيها، في جسد كل إنسان، أي مات في جسدي، في إنساني الخاطىء. فالموت الذي جازه المسيح جازه فيَّ، فجُزْتُه أنا حتماً معه، فموتي مع المسيح هو موتٌ

يقينيٌّ، هو واقع حياتي أكثر مما هو واقع إيماني، على هذا يقول بولس الرسول بكل يقين الواقع والإيمان معاً:

+ «عالمين هذا أن إنساننا العتيق قد صُلب معه، ليُبْطَلَ جسد الخطية، كي لا نعود نُسْتعبَد أيضاً للخطية.» (رو٦:٦)

+ «ولكن الذين هم للمسيح قد صلبوا الجسد مع الأهواء والشهوات.» (غل٥: ٢٤)

لينتبه القارىء: فهناك فارق كبير وخطير بين أن يكون المسيح **مات عني**، فأكون في حاجة لمن ينقل **موت المسيح إليَّ**، وبين أن يكون المسيح مات **من أجلي**، **فهو موتي الخاص وليس موته فقط**. ولأنه مات في بشريتنا فنحن أصحاب هذا الموت الفدائي بالملكية معه.

نحن في المعمودية نسترجع شركتنا في موت المسيح على الصليب في أجسادنا، ونتيجة موت المسيح لأجلنا هي بالضرورة نتيجة موتنا مع المسيح، لقد أبطل المسيح الخطية بموته. هكذا يهتف بنا بولس الرسول أن ننتبه:

+ «**احسبوا أنفسكم أمواتاً عن الخطية**، ولكن أحياءً لله بالمسيح يسوع ربنا.» (رو٦:١١)

فالخارج من جرن المعمودية هو خارج مع المسيح من دفن القبر بعد موت الصليب: «عالمين أن المسيح بعد ما أُقيم من الأموات لا يموت أيضاً، لا يسود عليه الموت بعد، لأن الموت الذي ماته قد ماته للخطية مرة واحدة والحياة التي يحياها فيحياها لله. **كذلك أنتم...**» (رو٦: ٩-١١).

وبولس الرسول يقولها صراحة: «لأن الذي مات قد تبرأ من الخطية.» (رو٦:٧)

المعمودية لا تعدُّنا للطهارة بل قد طهَّرتنا، وهي لا تعدُّنا للقداسة بل قدَّستنا، ولا تعدُّنا للتبرير بل بررَّتنا. فمهما كانت الخطايا، وليس أشنع سجلاً للخطايا من الخطايا التي سردها بولس الرسول على مسامع أهل كورنثوس وفي نهايتها يقول:

+ «وهكذا كان أُناس منكم **لكن اغتسلتم**، بل تقدَّستم، بل تبرَّرتم باسم الرب يسوع وبروح إلهنا.» (١كو٦:١١)

المعيار الروحي للإنسان المسيحي المؤمن الخارج من جرن المعمودية أو العائش في سرِّها هو:

+ «لا شيء من الدينونة الآن على الذين هم في المسيح يسوع السالكين ليس حسب الجسد بل حسب الروح.» (رو٨:١)

حيث «السالكين ليس حسب الجسد» يعني بهم الذين يعيشون ليس بالناموس بل بالمسيح.

لأن العائش حسب الجسد هو الذي يتبع الناموس، والعائش حسب الروح هو الذي يتبع المسيح.

+ «إن كنتم بالروح تميتون أعمال الجسد فستحيون.» (رو٨: ١٣)

ويستحيل أن نقوى بالإرادة على إماتة أعمال الجسد والشهوات، إذا لم نلتفت إلى أننا أخذنا قوة الإماتة بالروح. **فالجسد ميت إزاء الروح وبسلطان الروح:**

+ «إن كان المسيح فيكم فالجسد ميِّت بسبب الخطية، وأما الروح فحياة بسبب البر.» (رو٨: ١٠)

لذلك فأخطر جهالة يقع فيها الإنسان هو أن يملِّك الخطية من جديد في جسده الميت، بأن يظل يخضع للخطية مرَّة تلو المرة حتى تملك عليه إرادته وتستنفر غرائزه ليسوقها الشيطان كيفما يشاء:

+ «إذاً لا تَمْلِكَنَّ الخطية في جسدكم المائت لكي تطيعوها في شهواته.» (رو٦: ١٢)

المعمودية ليست في حقيقتها فعلاً زمانياً، صحيح أنها تحدث في زمن ما، يؤرخ له الإنسان كبدء حياة ونور، ولكنها هي فعلٌ سرِّي روحي فائق للطبيعة من جهة واقعه وآثاره، فالموت في المعمودية يلازمه في الحال حياة:

+ «إن كنا قد مُتْنا مع المسيح نؤمن أننا سنحيا أيضاً معه.» (رو٦: ٨)

+ «إن كنا قد مُتْنا معه فسنحيا أيضاً معه.» (٢تي٢: ١١)

إذاً، الحياة التي أستمدُّها من المسيح هي بقدر ما أستمدُّه من قوة الشركة في موته: «لأعرفه وقوة قيامته وشركة آلامه متشبهاً بموته.» (في٣: ١٠)

وهكذا بقدر ما نمتد في شركة موت المسيح، بقدر ما نمتد في شركة حياته. الموت هنا في حقيقته فعلٌ حياتيٌّ، فعل روحيٌّ فائق يحمل سر قيامة المسيح وسر حياة الإنسان في المسيح، فهو فعل ديمومة فائق على الزمن والتاريخ والمادة.

ويلاحظ القارىء أنه كما أن الحياة الجديدة لا تكون منظورة من الخارج، كذلك الموت الذي يرافقها في الإنسان العتيق غير منظور أيضاً. «فالموت والحياة» اللذان هما ثمرة المعمودية هما عملٌ سرِّيٌّ فائق غير منظور ولكنه فعل واحد قائم ومستمر بطول حياة الإنسان:

+ «لأنكم قد مُتُّم وحياتكم **مستترة** مع المسيح في الله. متى أُظْهِرَ المسيح حياتنا فحينئذ تُظْهَرون أنتم أيضاً معه في المجد.» (كو٣: ٣و٤)

عجيبٌ حقاً أن الموت والحياة هكذا يجتمعان، الواحد ينبثق من الآخر، فالموت في المعمودية هو الرحم الذي تولد منه الحياة، وهو المهد الذي تأخذ منه الحياة الجديدة ظهورها ونموها:

+ «مدفونين معه في المعمودية التي فيها أُقِمْتُم أيضاً معه، بإيمان عمل الله الذي أقامهُ من الأموات.» (كو٢: ١٢)

يلزم أن نفهم هنا أن المسيح لا يزال هو كما هو قائم بفاعلية موته وقيامته، فهو الشخصية السرِّية القائمة بالحقيقة في صميم إيماننا وواقعنا الروحي. فحينما نعتمد له نعتمد فيه، نحن نُغْمَر في كيانه الفعلي والواقعي الحي، نُغْمَر في شخصه السري، نُغْمَر في قُوى الموت الذي ماته فأمات به الموت وسلطانه. **فموته مجال حي قائم فيه لا يزال له قوة إبادة الموت والخطية، وبالمثل قيامته فهي المجال الحي القائم فيه والمنبعث منه الذي له سلطان الإقامة من الموت وإعطاء الحياة الأبدية.**

المعمودية «في المسيح»:

+ «لأن كلكم الذي **اعتمدتم بالمسيح** εἰς Χριστὸν ἐβαπτίσθητε قد لَبِستم المسيح.» (غل٣: ٢٧)

هنا اللغة العربية قاصرة جداً في ترجمة المعنى الأصيل، فهنا التعميد ليس بالمسيح بل في المسيح εἰς.

كذلك: «أم تجهلون أننا كل مَنْ اعتمد ليسوع المسيح اعتمدنا لموته.» (رو٦: ٣)

هنا أيضاً الخروج عن المعنى مرتين بسبب عدم الالتفات للحرف εἰς، فهو لا يعني: «بالمسيح» ولا «لموته» بل «في المسيح» و«في موته»، والترجمة تأتي في الإنجليزية: into أي **«في داخل».**

لذلك فقول بولس الرسول: «اعتمدتم في المسيح» و «اعتمدتم في موته» **يفيد الدخول الحقيقي في المسيح دخولاً سرياً غير منظور. والدخول في موته هو دخول واقعي في مجال قوة موته دخولاً روحياً حقيقياً إنما سرياً وغير منظور. وهذا هو في الحقيقة صُلْبُ المعنى في «المعمودية»، فالمعمودية المسيحية هي معمودية تغطيس ودفن بمعنى التداخل والاتحاد غير المنظور.**

فالمعمودية في المسيح وفي موت المسيح وفي جسد المسيح هي اتحاد سري في المسيح وفي موت المسيح وفي جسد المسيح، بصورة غير منظورة ولكن في واقع روحي.

لهذا، فإن تكملة القول تُكمِّل المعنى، فقوله: «كلكم الذين اعتمدتم في المسيح **قد لَبِستُم المسيح**» ــ Χριστὸν ἐνεδύσασθε ــ هو تحصيل حاصل. **فالذي بالمعمودية والدفن دخل في المسيح في موته، في جسده، لا يخرج بدونه، فهو يكون قد اتحد بالمسيح في جسده وقوة موته، بمعنى أن المسيح قد احتواه، وأنه باقٍ يحيا في داخل المسيح ومن داخل موته، لذلك يقول بولس الرسول: «فأحيا، لا أنا، بل المسيح يحيا فيَّ»** (غل٢: ٢٠)؛ وإن ظهر هذا في شكل معكوس، لأن بولس الرسول هو الذي يحيا في داخل المسيح وفي داخل موته وحياته.

ولا يتطرق المعنى إلى أن المسيح يُلبَس كثوب فوق إنساننا العتيق، بل لأننا في المعمودية خلعنا الإنسان العتيق بسبب موتنا واتحادنا بجسد المسيح الروحي الحي القائم من الأموات، فحقَّ لنا أن نلبس المسيح فوق ذاتنا ــ وليس فوق جسدنا ــ وحينئذ يستطيع المسيح أن يلغي أعمال الجسد وإنسانه العتيق الميتة بموته، ويعطينا جسده السري الروحي الحقيقي لنحيا به: «مع المسيح صُلِبتُ (اعتمدتُ)، فأحيا، لا أنا، بل المسيح ــ بجسده الروحي ــ يحيا فيَّ» (غل٢: ٢٠) = «ليحل المسيح بالإيمان في قلوبكم» (أف٣: ١٧) فلا نعود نحيا نحن من ذاتنا بل هو الذي يُحْيي ذواتنا. فقول بولس الرسول قد «لبسنا المسيح» هو كمن يقول لبسنا النور الذي بدَّد الظلمة من كياننا الداخلي. فلا يعود النور خارجنا وكأنه بمعزل عنّا بل يكون في داخلنا ــ في الإنسان الباطن ــ ليضيء قلبنا وفكرنا بنوره الفائق، فنرى ونفهم ونعيش فيما هو فوق طبيعتنا، فقول بولس الرسول:

+ «لأنكم جميعاً أبناء الله بالإيمان بالمسيح يسوع، لأن كلكم الذين اعتمدتم (في) المسيح **قد لبستم المسيح**، ليس يهودي ولا يوناني، ليس عبد ولا حرٌّ، ليس ذكر وأنثى، **لأنكم جميعاً واحد "في" المسيح يسوع.**» (غل٣: ٢٦ــ٢٨)

وكذلك قوله:

+ «إذ خلعتم الإنسان العتيق مع أعماله (بالمعمودية) **ولبستم الجديد** الذي يتجدد للمعرفة حسب صورة خالقه ...» (كو٣: ٩و١٠)

+ «البسوا المحبة التي هي رباط الكمال، وليملك في قلوبكم سلام "المسيح" الذي إليه دعيتم **في جسد واحد.**» (كو٣: ١٤و١٥)

واضح هنا أن المسيح ليس ثوباً يلبسه كل فرد بمفرده وحسب، فهذا الثوب هو جسده الإلهي الذي يغمر الكل ويغطي خزي الجميع ويبتلع موتنا فنصير جميعنا فيه واحداً. هذا هو ثوب المعمودية الأبيض بكل معانيه العجيبة والجميلة واللانهائية:

+ «لأنك تقول إني أنا غني وقد استغنيتُ ولا حاجة لي إلى شيء، ولست تعلم أنك أنت

الشقي والبائس وفقير وأعمى وعريان. أُشير عليك أن تشتري مني ذهباً مصفًّى بالنار (الإيمان الحقيقي المختبر) لكي تستغني، **وثياباً بيضاً لكي تلبس فلا يظهر خزي عُرْيتك** (ما قبل المعمودية) ...» (رؤ٣: ١٧و١٨)

هذا يبدو أكثر وضوحاً في قول بولس الرسول لأهل كورنثوس:

+ «لأننا جميعاً بروح واحد أيضاً **اعتمدنا** (في = εἰς) **إلى جسد واحد،** يهوداً كنا أم يونانيين عبيداً أم أحرار، **وجميعنا سُقِينا روحاً واحداً.**» (١ كو١٢: ١٣)

هنا التحام كلّ مَنْ اعتمد في المسيح، في جسده، في موته، في حياته، قد صيَّره واحداً في المسيح. ولكن كل واحد من الذين اعتمدوا في المسيح اتحد هكذا، والمسيح واحد وجسده واحد وموته واحد، فالكل اتحد بالواحد فصار الكل إلى واحد في الواحد.

هنا نعيد الرجاء بأن ينتبه القارىء إلى أن عاملين أساسيين هما اللذان يوثقان الاتحاد السري في جسد المسيح بالمعمودية:

الأول عمل **«المعمودية»** ـــ بحد ذاته ـــ من حيث أنه تغطيس ودفن، فعليٌّ سري بقوة الروح القدس.

والثاني مفهوم المعمودية أنها **«في المسيح»** εἰς أي «في داخل» المسيح بمفهومها السري أن المسيح القائم من الأموات حاضر وهو الذي يعمد!

المعمودية «في اسم» المسيح:

هنا نأتي إلى مفهوم التعميد في الاسم وعلى الاسم و بواسطة الاسم.

والمواضع التي جاء فيها هذا الاصطلاح هي كالآتي:

في الاسم ἐν τῷ ὀνόματι :

«وهكذا كان أناس منكم. لكن **اغتسلتم،** بل تقدستم، بل تبرَّرتم، **باسم الرب يسوع** وبروح إلهنا» (١ كو٦: ١١). وتترجم على صحتها «في اسم» و «في روح».

في داخل الاسم εἰς τὸ ὄνομα وتأتي في الإنجليزية **Into.**

«... أم باسم بولس اعتمدتم» (١ كو١: ١٣) و يتبعها (١ كو١: ١٥)

ويكون المعنى متوقفاً على مفهوم **«الاسم»** عند بولس الرسول وعند الكنيسة المسيحية، وهو

متوارث من العهد القديم[٨] ويفيد وجود الشخص، أي حضرته بكامل سلطانها.

فيكون معنى أن يعمَّد في اسم المسيح وبه أو بواسطته أو عليه[٩] متوقفاً على معنى الحضور الإلهي لصاحب الاسم أي المسيح وبسلطانه وقوته. ويكون ما جاء في إنجيل القديس متى: «فاذهبوا وتلمذوا جميع الأمم وعمدوهم باسم (في اسم εἰς τὸ ὄνομα) الآب والابن والروح القدس» (مت٢٨: ١٩) يفيد: تلمذوهم بحضرة ووجود الثالوث وذلك بتعميدهم بالدعاء باسم الثالوث، لأن المسيح يؤيد ذلك بتكميل قوله هكذا:

+ **«ها أنا معكم كل الأيام إلى انقضاء الدهر آمين.»** (مت٢٨: ٢٠)

فحضرة المسيح ــ التي هي دائماً مع حضرة الآب والروح القدس ــ مضمونة ومضمون دوامها في الكنيسة بسبب هذا الوعد، كما أنه في هذه الحضرة التي تتم بالدعاء تحدث التلمذة بحدوث العماد. وهذا يعني أنه بالعماد تتم التلمذة، وهذا بدوره يعني أن المعمَّد صار تابعاً خادماً للمسيح، أو على الأصح صار مِلْكاً للمسيح لأنه صار حيًّا فيه وبه.

فالتعميد في الاسم ينتهي إلى انتقال المعمَّد من تحت ملكية العالم إلى ملكية المسيح ــ من خدمة عبودية الخطية إلى خدمة عبودية البرِّ ــ من هنا يأتي وضعه كعضو في الكنيسة لأنه صار عضواً في جسد المسيح السري. هذا يُفهم ضمناً من قول بولس الرسول:

+ «فأنا أعني هذا أن كل واحد منكم يقول **أنا لبولس وأنا لأبلوس** وأنا لصفا وأنا للمسيح. هل انقسم المسيح؟ ... **أم باسم بولس اعتمدتم ...**» (١كو١: ١٢و١٣)

واضح هنا أن الذي يعتمد لبولس يعني أنه يتبع بولس، أو يمتلكه بولس وهذا مستحيل. فهم اعتمدوا للمسيح وصاروا له، والمسيح أصبح هو الذي يمتلكهم والمسيح لم ينقسم لكي يكون جزءٌ منه لي وجزءٌ لك. لذلك كل الذين اعتمدوا في المسيح هم واحد بالضرورة وهم خاصته. إذاً، فالاعتماد للاسم أو بالاسم بالنسبة للمسيح يفيد إقامة صلة تبعية ذاتية أي امتلاك كلي.

وحيث الدعاء بالاسم، فالحضرة الإلهية للمسيح تكون عاملة. لذلك تقول الكنيسة الأرثوذكسية إن المسيح هو الذي يُجري سر العماد وهو الذي يعطي جسده ودمه بيده، أما

---

(٨) رجاء الرجوع إلى كتاب «المدخل لشرح إنجيل يوحنا»، ص٢٢٠.

(٩) المعمودية «**على** اسم المسيح» جاءت في سفر الأعمال هكذا:

«توبوا وليعتمد كل واحد منكم **على** ἐπὶ اسم يسوع المسيح.» (أع٢: ٣٨)

الكاهن فهو خادم السرّ المنظور.

وتنتقل قوة الاسم ــ أي الحضرة الإلهية ــ من عملية التعميد بكل اجراءاتها الداخلية في طبيعة المعتمد من تطهير وتقديس وتبرير، إلى شخص المعتمد ذاته حيث يتقبل بعد العماد **صاحب الاسم** شخصياً أي المسيح ليكون سيداً له.

فإذا عدنا لمنطوق وصية المسيح بتلمذة الأمم بتعميدهم باسم الآب والابن والروح القدس، نفهم كيف ولماذا أعطى المسيح للكاهن السلطان أن يدعو باسم الثالوث. فبحسب الوعد الذي أعطاه المسيح للرسل والكنيسة من بعدهم، فإنه بمجرد الدعاء بالاسم تحل الحضرة الإلهية ويعمل الثالوث. والكاهن يبدأ يخدم السر بسلطان الاسم أي من واقع حضور الثالوث.

ويلزم أن ننتبه أن المُعمَّد نفسه يتحتم عليه (أو على إشبينه) أن يعترف علناً كشهادة بالإيمان باسم الآب والابن والروح القدس، وفي نفس الوقت لا يقرب الكاهن السِرَّ إلاَّ إذا نطق هو أيضاً الشهادة والاعتراف باسم الآب والابن والروح القدس، وهذا يُحْسَب أنه التحضير اللازم للحضرة الإلهية لتكميل السر.

من هنا نفهم أن التعميد بالاسم هو التغطيس والدفن في المسيح، المسيح الحاضر بشخصه، المسيح المصلوب والميت والمدفون بآن واحد:

+ «أنا هو الأول والآخر، والحي وكنت ميتاً، وها أنا حي إلى أبد الآبدين آمين.» (رؤ١: ١٧و١٨)

الفصل الثاني

سرُّ المسحة أو التثبيت

+ «لا بأعمالٍ في برٍّ عملناها نحن؛ بل بمقتضى رحمته خلَّصنا **بغسل الميلاد الثاني، وتجديد الروح القدس** الذي سكبه بغنى علينا بيسوع المسيح مخلصنا.» (تي٣:٥)

بولس الرسول هنا يوضح باختصار بالغ أن عملية «**الخلاص**» تتم بعملين:

الأول: المعمودية التي اعتبرها غسل الميلاد الثاني.

والثاني: تجديد الروح القدس بمعنى إعطاء الحياة الجديدة في سر وضع اليد أو المسحة المقدسة.

وأصل السر كان بوضع اليد على المعمَّد لقبول الروح القدس.

وهذا السر لا يقوم بمفرده، ولا يمكن تتميمه إلاَّ بعد المعمودية، ولو أنه محسوب في الكنيسة أنه سرٌّ قائم بذاته، إلاَّ أنه هو وسرُّ العماد هما إجراء واحد. فكلُّ مَنْ يعتمد يكون مؤهَّلاً لقبول الروح القدس في الحال. لذلك كان سرُّ وضع اليد يُجرى مباشرة على الخارجين من المعمودية، فكان يحل الروح القدس مباشرة وبعلامات واضحة تشهد للحياة الجديدة التي نالها المعمَّد في المسيح.

+ «لكن الذي **يُثبِّتنا** معكم في المسيح وقد **مَسَحَنا** هو الله، الذي ختمنا أيضاً وأعطى **عربون الروح** في قلوبنا.» (٢كو١: ٢١و٢٢)

هنا تتركز أوصاف «**المسحة**» χρίσμα كون فعلها هو «**التثبيت**» βεβαιόω، وهي بعمل «**الروح القدس**» المعتَبَر أنه خَتْم σφραγίς الحياة الأبدية والتبعية لله، وأنه «**عربون**» ἀρραβών الميراث الأبدي. هذه هي كل أوصاف مسحة التثبيت بالروح، وهي المحسوبة أنها عناصر المسحة المقدسة حتى اليوم:

عربي	لاتيني	يوناني
يُثَبِّتنا	qui confirmat	βεβαιῶν
خَتَمَنا	qui signavit	σφραγισάμενος
مَسَحَنا	qui unxit	χρίσας

+ **«الذي فيه أيضاً إذ آمنتم خُتمتم بروح الموعد القدوس الذي هو عربون ميراثنا.»** (أف ١: ١٣و١٤)

وهو يخاطب بها أهل أفسس باعتبارهم نالوا جميعاً المعمودية، وكونه لا يذكر المعمودية هنا معناه أن السرَّين منفصلان وأن المعمودية هي السابقة على التثبيت بالمسحة. وهذا يتضح بالأكثر في سفر الأعمال:

+ « فإذ وجد تلاميذ قال لهم: هل قبلتم الروح القدس لما آمنتم؟
قالوا له: ولا سمعنا أنه يوجد الروح القدس!
فقال لهم: فبماذا اعتمدتم؟ فقالوا: بمعمودية يوحنا!
فقال بولس: إن يوحنا عمَّد بمعمودية التوبة قائلاً للشعب أن يؤمنوا بالذي يأتي بعده أي بالمسيح يسوع،
فلما سمعوا اعتمدوا باسم الرب يسوع،
ولما وضع بولس يديه عليهم حلَّ الروح القدس عليهم،
فطفقوا يتكلمون بلغات ويتنبأون. وكان جميع الرجال نحو اثني عشر.» (أع١٩: ١—٧)

كذلك يتضح من سفر الأعمال (٨: ١٧و١٨) أن السامريين قبلوا الروح القدس بعد العماد. ولكن في كل هذه الحالات التي تأخر فيها حلول الروح القدس عن العماد، كان ذلك بسبب غياب خادم السر المعيَّن من الله والكنيسة. لأن السائد أن المعمودية يتبعها مباشرة وضع اليد لحلول الروح القدس كعنصرين أساسيين في تكميل التلمذة للمسيح.

ويلاحظ في الآية الرئيسية السابقة أن أوصاف التثبيت بالمسحة التي اعتبرها بولس الرسول مشتركة بينه وبين المؤمنين عامة هي نفسها التي أهَّلته للقيام بالخدمة الرسولية فيما بينهم.

كذلك يعطي بولس الرسول تعليماً آخر يوضح فيه عمل الروح القدس الأساسي في المعمودية معطياً عمل وظيفته بصورة قوية وواضحة، كونه يكمل اتحاد المعمَّد بجسد المسيح الواحد، و بذلك

يصنع من المعمَّدين جميعاً وحدة عضوية بالروح تتلاشى فيها العنصرية واختلاف الأجناس الشعوبية واختلاف الجنس الذكر والأنثى، واضعاً دخول الروح القدس في المعمَّد على مستوى السقْي أو الشرب.

+ «لأنه كما أن الجسد هو واحد وله أعضاء كثيرة وكل أعضاء الجسد الواحد إذا كانت كثيرة هي جسد واحد، كذلك المسيح أيضاً. لأننا جميعنا بروح واحد أيضاً (صحتها في روح واحد) اعتمدنا إلى جسد (صحتها في جسد) واحد، يهوداً كنا أم يونانيين، عبيداً أم أحراراً، وجميعنا سُقينا روحاً واحداً.» (١كو١٢: ١٢و١٣)

والجملة: «سُقِينا روحاً واحداً» جاءت في كثير من المخطوطات القديمة القبطية والأرمنية والحبشية والقوطية، وحتى في الفولجاتا الأصلية[1]: **«سُقينا واستنشقنا روحاً واحداً»**. وهنا كلمة «استنشقنا الروح» لها أصل طقسي تقليدي قديم مطابق لما جاء في هذه المخطوطات. فالخارج من المعمودية ينفخ الكاهن المعمِّد في أنفه نفخة الروح القدس قائلاً: اقبل الروح القدس. وهذا هو نفس الإجراء الذي قام به المسيح بعد القيامة: «ولما قال هذا **نفخ وقال لهم اقبلوا الروح القدس، مَنْ غفرتم خطاياه تُغفَر له** ومَنْ أمسكتُم خطاياه أُمسكت.» (يو٢٠: ٢٢و٢٣)

بهذا يبدو أمامنا الآن طقس المسحة المقدسة ــ سواء بوضع اليد أو بنفخة الروح القدس ــ أنه ينحدر من المسيح رأساً كتسليم رسولي عالي القيمة، حيث يُعتبر أيضاً ــ وعلى مستوى السر المقدس ــ أن المسيح نفسه هو الذي ينفخ الروح القدس لقبول التلمذة ولمغفرة الخطايا.

ولكن لينتبه القارىء، فكلمة «سُقِينا» التي وردت في المخطوطات بمفهوم «سُقينا واستنشقنا» جاءت في المبني للمجهول ἐποτίσθημεν بمفهوم أن الكنيسة هي التي بالروح القدس **الذي فيها** وهبت السقْي واستنشاق الروح للحياة الجديدة في العضو الجديد أي في الجسد أي فيها.

في هذه الآية يصف بولس الرسول كيف يتكون **«الجسد السري»** للمسيح أي الكنيسة. فبالمعمودية يتحد العضو الجديد بجسد المسيح حينما يُدفَنُ معه ليموت بذات الجرن، وحينئذ يأتي دور الروح القدس وهو الآن الروح الساكن في الكنيسة، فهو روح الكنيسة، لتعطيه الكنيسة لإعطاء الحياة الجديدة للعضو. حيث الروح القدس هنا يكمل عمل المعمودية، يكمل اتحاد العضو بالجسد بإعطائه الروح للحياة.

1. F. Prat, II,263 n.1.

وهذا التعليم الذي يقدمه بولس الرسول يأتي مطابقاً لما قاله الرب: «إن كان أحدٌ لا يولد من الماء والروح لا يقدر أن يدخل ملكوت الله.» (يو٣:٥)

ويُلاحَظ كذلك أن إعطاء الروح القدس بصورة السقي و بصورة الاستنشاق هو من واقع العهد القديم والجديد أيضاً:

+ «**فتستقون** مياهاً بفرح من ينابيع الخلاص (المعمودية).» (إش١٢:٣)
+ «إلى أن **يُسكَب علينا روحٌ** من العلاء، فتصير البرية (البشرية العتيقة) بستاناً (الإنسان الجديد).» (إش٣٢:١٥)
+ «**أسكب روحي** على نسلك و بركتي على ذُرِّيَّتك.» (إش٤٤:٣)
+ «**وأفيض** على بيت داود وعلى سكان أورشليم روح النعمة والتضرعات.» (زك١٢:١٠)
+ «ويكون بعد ذلك أني **أسكب** روحي على كل بشر...» (يوئيل٢:٢٨)
+ «مَنْ آمن بي، كما قال الكتاب، **تجري من بطنه** أنهارُ ماء حي. **قال هذا عن الروح** الذي كان المؤمنون به مزمعين أن يقبلوه.» (يو٧: ٣٨و٣٩)
+ «وإذ ارتفع بيمين الله وأخذ موعد الروح القدس من الآب، **سَكَبَ** هذا الذي أنتم الآن تبصرونه وتسمعونه.» (أع٢:٣٣)
+ «لا بأعمال في برٍّ عملناها نحن، بل بمقتضى رحمته خلَّصنا بغسل الميلاد الثاني وتجديد الروح القدس، الذي **سكبه** بغنىً علينا بيسوع المسيح مخلصنا.» (تي٣: ٥و٦)

وأما كيف **يُعْطَى** الروح بالنفخة ويؤخذ حتماً بالاستنشاق فتأتي هكذا:

+ «**ونفخ** (الله) في أنفه (آدم) نسمة حياة **فصار آدم نفساً حية**.» (تك٢:٧)
+ «نفخ (المسيح) وقال لهم اقبلوا الروح القدس.» (يو٢٠:٢٢)
+ «**الريح تهبُّ** حيث تشاء وتسمع صوتها لكنك لا تعلم من أين تأتي ولا إلى أين تذهب **هكذا كل مَنْ وُلِدَ من الروح**.» (يو٣:٨)
+ «ولما حضر يوم الخمسين كان الجميع معاً بنفس واحدة وصار بغتة من السماء صوت كما من **هبوب ريح** عاصفة **وملأ كل البيت** حيث كانوا جالسين. وظهرت لهم ألسنة منقسمة كأنها من نار واستقرت على كل واحد منهم **وامتلأ الجميع من الروح القدس**.» (أع٢: ١ــ٤)

وهكذا يشترك كلٌّ من العهد القديم والجديد في وصف الروح القدس في الإنسان بوصف **انسكاب الماء** و بوصف **النفخ** أو الاثنين معاً كما جاء في هذه الكلمة: «**سُقِينَا واستنشقنا**».

ولو يلاحظ القارىء، يجد أن حلول الروح القدس يوم الخمسين على التلاميذ كان على صورة هبوب ريح عاصف وألسنة كأنها من نار. وهو بحد ذاته كان بدء عملية مسح الكنيسة ككل وتثبيتها علناً واستعلانها ملء جسد المسيح للقيام بنفس الدور الكرازي الذي افتتحه المسيح لما حلَّ عليه الروح القدس:

+ «**روح الرب عليَّ لأنه مَسَحَني لأبُشر** المساكين، أرسلني لأشفي المنكسري القلوب، لأنادي للمأسورين بالإطلاق، وللعُمْي بالبصر، وأُرسل المنسحقين في الحرية، وأكرزَ بسنة الرب المقبولة. ثم طوى السفر وسلَّمه إلى الخادم وجلس. وجميع الذين في المجمع كانت عيونهم شاخصة إليه. فابتدأ يقول لهم: إنه اليوم قد تم هذا المكتوب في مسامعكم.» (لو٤: ١٨—٢١)

بهذا نرى في سر المسحة الذي تمنحه الكنيسة بعد العماد مباشرة للمعمَّدين أنه هو امتداد لعمل المسيح:

+ «الذي يُثبِّتنا معكم في المسيح وقد مَسَحَنا هو الله.» (٢كو١: ٢١)

الفصل الثالث

الإفخارستيا

النص الإفخارستي في الرسالة الأولى إلى أهل كورنثوس:

في المعمودية بالماء والروح ــ كدفن وقيامة ــ نأخذ الميلاد الجديد للإنسان الجديد. **ونشرب الروح القدس ونستنشقه.**

و بالإفخارستيا، أي بالتناول من جسد الرب ودمه، **نأكل المسيح** «خبز الحياة» كطعام الحق مأكلاً ومشرباً.

تصوير السرَّين معاً في العهد القديم في رسالة بولس الأولى لأهل كورنثوس:

+ « فإني لست أُريد أيها الإخوة أن تجهلوا أن آباءنا جميعهم كانوا تحت السحابة
وجميعهم اجتازوا في البحر،
وجميعهم اعتمدوا لموسى في السحابة وفي البحر،
وجميعهم أكلوا **طعاماً** واحداً **روحياً**،
وجميعهم شربوا **شراباً** واحداً **روحياً**،
لأنهم كانوا يشربون من صخرة روحية تابعتهم والصخرة كانت المسيح.»

(١كو١٠: ١ــ٤)

هكذا الشعب القديم اعتمد على مستوى الرمز واشترك في إفخارستيا على مستوى الرمز. وهنا يجدر بنا الانتباه إلى تركيز بولس الرسول على سر الإفخارستيا في رمزه الأول بقوله:

طعاماً روحياً = πνευματικὸν βρῶμα
وشراباً روحياً = πνευματικὸν πόμα

ثم يعود بولس الرسول ليربط بين هذا الرمز القديم كونه بمستوى روحي، وبين ما حققه لنا

العهد الجديد بالواقع الحقيقي لا الرمزي وذلك بقوله: «وهذه الأمور حدثت **مثالاً** لنا» (١كو١٠:٦)؛ بمعنى أن هذا الذي حدث من جهة الأكل الروحي والشراب الروحي، كان هو «المثل» τύπος أو «الأصل الروحي».

ولكن من أين جاء بولس الرسول بالصفة «الروحية» للطعام والشراب الذي باشره الشعب قديماً في «المنّ» و«الماء»؟ الجواب واضح **لأن هذا المنّ كان خبزاً إعجازياً** جاء من السماء بمعجزة، فهو روحي خالص ومادي خالص بآن واحد، فهو مُسمّى بالخبز السمائي وخبز الملائكة من جهة، ومن جهة أخرى أكله الإنسان أكلاً، **كذلك «الماء»، فقد خرج من الصخرة بصورة إعجازية**، وزاد بولس الرسول على هذه الصورة الإعجازية لمسة روحية بقوله: «صخرة روحية»، وبقوله: «والصخرة كانت المسيح»، **ليكشف مرة واحدة مفهوم السر في منبعه.**

وقد امتد القديس بطرس من الصخرة الروحية التي كانت المسيح إلى الحجارة الروحية التي نحتت من ذات الصخرة الروحية بقوله:

+ «الذي إذ تأتون إليه **"حجراً حياً"** مرفوضاً من الناس ولكن مختار من الله كريم، كونوا أنتم أيضاً مبنيين **"كحجارة حية"** بيتاً روحياً كهنوتاً مقدساً لتقديم ذبائح روحية مقبولة عند الله بيسوع المسيح.» (١بط٢: ٤و٥)

ثم لاحظ كيف جاء المثال τύπος محبوكاً في العهد القديم، إذ بعد ما اعتمدوا في البحر، شربوا الماء السرّي وأكلوا المن السري.

ثم عاد بولس الرسول ليشرح لأهل كورنثوس، بعد أن أعطاهم المثل القديم للإفخارستيا **مُطَبّقاً** روحياً على المن والصخرة، ليقول لهم ما استلمه شخصياً من المسيح نفسه بإعلان عن سر الإفخارستيا الذي قبله الرسل سابقاً هكذا: **«لأنني تسلمت من الرب ما سلّمتُكم أيضاً»** (١كو١١:٢٣أ). ثم ابتدأ يوضح لهم الزمن والظروف التي أسس فيها المسيح سر الإفخارستيا: **«إن الرب يسوع في الليلة التي أُسْلِم فيها...»** (١كو١١:٢٣ب)

وبهذا يقصد بولس الرسول أن يربط ربطاً زمنياً وموضوعياً بآن واحد بين **الإفخارستيا والموت: «في الليلة التي أُسلم فيها»**. ومن هذا المنطلق، أي الربط بين تأسيس الإفخارستيا وبين موت الرب، أخذ مطلع الإفخارستيا هذا المعيار اللاهوتي عينه أي «الجسد المكسور»: «في الليلة التي **أُسلم فيها**، أخذ خبزاً، وشكر **فكسر**»، ثم ربط بين **الجسد المكسور على الصليب وبين السبب المباشر أو الغاية العُظمى من الإفخارستيا ودَيمومتها**: «وقال خذوا كلوا هذا هو

جسدي "المكسور لأجلكم" اصنعوا هذا لذكري.» (١ كو١١: ٢٣و٢٤)

أما **سبب** الجسد المكسور على الصليب فهو «**لأجلكم**».

أما **الغاية العظمى** من الإفخارستيا فهي «**خذوا كلوا**»، أي ليصير المسيح المذبوح على الصليب طعامنا الروحي الشافي.

أما **الديمومة** فهي الأمر بتكرار هذا السر الإفخارستي وتكرار الأكل منه. هنا الديمومة تأخذ اكتمالها على مستوى الفعل الظاهري والفعل السري، على مستوى الزمن والروح.

هذا هو جسدي:

ولكن لننتبه، لأن المعروض على التلاميذ هنا هو «سرٌّ» وليس واقعاً مادياً، فالذي يقدمه بيده شيء والذي يقوله شيء آخر. الذي في يده مادة والذي يصفه بها روح. ففي اعتبار المسيح وحسب نُطقه الإلهي، لا الخبز المكسور هو خبز مادي ولا الجسد الذي يشير إليه الرب هنا هو جسد مادي!!

وإلاَّ نقع فيما وقع فيه التلاميذ في رواية إنجيل يوحنا الذين عثروا في القول وتخلَّوا عن الرب ولم يعودوا يسيرون وراءه: «فقال كثيرون من تلاميذه إذ سمعوا إن هذا الكلام صعب مَنْ يقدر أن يسمعه» (يو٦: ٦٠)؛ «من هذا الوقت رجع كثيرون من تلاميذه إلى الوراء ولم يعودوا يمشون معه» (يو٦: ٦٦)، بل وكان احتجاج اليهود شديداً، حتى خاصم بعضهم بعضاً: «فخاصم اليهود بعضهم بعضاً قائلين: **كيف يقدر هذا أن يعطينا جسده لنأكل؟**» (يو٦: ٥٢)

ولكن المسيح كشف الغطاء عن مفهوم هذه المقولة الإفخارستية بقوله: «الروح هو الذي يُحْيي أما الجسد فلا يفيد شيئاً» (يو٦: ٦٣). المسيح هنا يستثني المادة ويتجاوزها إلى السر الإلهي غير المنظور في الخبز والخمر المقدسين: «**الكلام الذي أُكلمكم به هو روح وحياة** ولكن منكم قوم لا يؤمنون» (يو٦: ٦٣و٦٤). بهذا يكشف المسيح أن الخبز الذي كسره بالروح يحمل سرَّ قوة الخبز الحقيقي النازل من السماء، هذا هو مفهوم الكلام روحياً أو كلام الروح الذي يحمل سر الروح والحياة: «الكلام الذي أُكلمكم به هو روح وحياة».

كذلك يكشف المسيح أن قوله: «هذا هو جسدي»، يُقْصَدُ به الجسد على مستوى الروح والحياة أيضاً: «الجسد الحقيقي» بجوهره الحقيقي المُستَعلن بالقيامة، «الجسد السري» غير المنظور وغير المحسوس الذي لا تحدُّه الحواس، الذي كانت تراه العين شيئاً وهو في حقيقته شيءٌ آخر. فإذا كان لنا الإيمان بأن قول الرب هنا بالنسبة للخبز المكسور، وبالنسبة للجسد الذي يشير إليه الرب هو على مستوى الروح والحياة في سر القيامة، فإننا نأكل في الخبز المادي الخبز الحقيقي النازل من السماء والصاعد إلى السماء، ويكون أكْلُنا بالفم مطابقاً لأكلِنا بالروح حيث يكون «مأكلاً حقاً» ويكون

هذا هو أكل جسد المسيح السرِّي، أو الأكل السري للمسيح بالروح: «فمن يأكلني فهو يحيا بي.» (يو٦:٥٧)

ولكن هذا المفهوم السري الروحي لأكل الحق في الخبز، وأكل الجسد بالروح، يحتاج إلى وعي مسيحي **بإيمان** يفرِّق بين المنظور المادي والحق الإلهي غير المنظور القائم بالكلمة في السر. لذلك قال المسيح بعد هذا الشرح: «ولكن منكم قوم **لا يؤمنون**»، أي لا يؤمنون أن الجسد **إلهيٌّ** هو، روح في مادة، ملءُ اللاهوت في جسد ملموس ومنظور، لا يؤمنون أن الكلام يختص بالحياة الأبدية الذي أدركه بطرس الرسول حينما عرضه الرب على بقية التلاميذ: «ألعلَّكم أنتم أيضاً تريدون أن تمضوا، فأجابه سمعان بطرس يا رب إلى مَنْ نذهب. **كلام الحياة الأبدية عندك**.» (يو٦: ٦٧و٦٨)

كذلك يلزم أن نقف طويلاً أمام قول الرب على لسان بولس الرسول في رسالة كورنثوس كما في بقية الأناجيل:

«هذا هو جسدي»:

إنجيل متى	**إنجيل مرقس**	**إنجيل لوقا**	**الرسالة الأولى لأهل كورنثوس**
(٢٦:٢٦)	(٢٢:١٤)	(١٩:٢٢)	(٢٤:١١)
τοῦτό ἐστιν	τοῦτό ἐστιν	τοῦτό ἐστιν	τοῦτό μού ἐστιν
هذا هو	هذا هو	هذا هو	هذا هو
τὸ σῶμά μου	τὸ σῶμά μου	τὸ σῶμά μου	τὸ σῶμα
جسدي	جسدي	جسدي	جسدي
		τὸ ὑπὲρ ὑμῶν	τὸ ὑπὲρ ὑμῶν
		لأجلكم	لأجلكم
		διδόμενον	(المكسور) مضافة في
		المبذول	الترجمة العربية.

فالمعنى يزداد حينما نرجع للنص اليوناني الذي يضع فعل الكينونة الغائب إلزاماً. وهو في الترجمة العربية هكذا:

«هذا هو جسدي»: τοῦτό μου «ἐστιν» τὸ σῶμα

وحرفياً: «جسدي هذا هو **"الكائن"** أمامكم»، وهو يشير إلى الخبز المكسور. وهذا ينفي أي التباس في أن يكون الخبز المكسور أمامهم هو مجرد **رمز** أو شبَه للجسد، بل هو هو نفس الجسد،

جسد ابن الله الوحيد بذاته وكيانه، على أساس أن الخبز المادي المكسور المنظور أمامهم والملموس هو أيضاً بعينه «خبز الحق» النازل من السماء والذي سيصعد كما هو. بمعنى أن المسيح استودع في الخبز والخمر قوة وفعل الجسد السرِّي الإلهي، «ملء اللاهوت» جسدياً.

هذه الكأس هي العهد الجديد بدمي:

إنجيل متى	إنجيل مرقس	إنجيل لوقا	الرسالة الأُولى لأهل كورنثوس
(٢٨:٢٦)	(٢٤:١٤)	(٢٠:٢٢)	(٢٥:١١)
τοῦτο γάρ ἐστιν	τοῦτό ἐστιν	τοῦτο τὸ	τοῦτο τὸ
هذا هو	هذا هو	هذه هي	هذه
τὸ αἷμά μου	τὸ αἷμά μου	ποτήριον	ποτήριον
دمي	دمي	الكأس	الكأس
τῆς καινῆς	τῆς καινῆς	ἡ καινὴ	ἡ καινὴ
διαθήκης	διαθήκης	διαθήκη	διαθήκη ἐστὶν
الذي للعهد الجديد	الذي للعهد الجديد	العهد الجديد	هي العهد الجديد
		ἐν τῷ αἵματί μου	ἐν τῷ ἐμῷ αἵματι
		بدمي	بدمي
τὸ περὶ πολλῶν	τὸ ἐκχυννόμενον	τὸ ὑπὲρ ὑμῶν	
ἐκχυννόμενον	ὑπὲρ πολλῶν	ἐκχυννόμενον	
الذي يُسفك من	الذي يسفك من	الذي عنكم	
أجل كثيرين	أجل كثيرين	يسفك	
εἰς ἄφεσιν			
ἁμαρτιῶν			
لمغفرة الخطايا			

بولس الرسول ينقلنا هنا من الجسد إلى الدم. والفرق في رواية الثلاثة الأناجيل ورسالة بولس الرسول ينحصر في حذف «يُسْفَكُ عنكم». ولكن يلزم أن ننتبه إلى المضمون السرِّي في ترتيب تقديم الجسد والدم:

أولاً: ذكر كلمة **«دم»** بحد ذاتها تفيد مباشرة أن هنا عملية **«سفك»** حتمية، فيها خرج

الدم خارج الجسد ـــ بعامل الذبح ـــ وصار الدم عاملاً قائماً بذاته بجوار الجسد.

ثانياً: ذكر «**الدم في كأس**» يعطي في الحال مفهوم «**الشرب**». فهنا الدم المسفوك صار في وضع إفخارستي قابل للشرب. هنا انتقال من واقع فعلي غير منظور **مستقبلي** وهو ذبح يفضي إلى سفك دم، إلى واقع **حاضر** منظور سري وهو خمر في كأس.

ثالثاً: ذكر «**الدم في الكأس "كعهد" جديد**» يعطي في الحال مفهوم **صلة سرِّية عظمى** بين الله والإنسان تقوم على سفك دم المسيح الذي سيحدث في المستقبل، منقولاً إلى واقع وحاضر سرِّي في صورة خمر في كأس وهو في حقيقته السرِّية دم المسيح، ليصير «**العهد**» الجديد بين الله والإنسان قائماً على مستويين:

مستوى واقعي مأساوي، سيتم فيه ذبح المسيح وسفك دمه فيصير دمه قائماً لعهد جديد بين الله والإنسان في السماء،

ومستوى واقعي سرِّي، فيه يشرب الإنسان كأساً من يد المسيح فيها خمر قد صيَّره المسيح دماً له بسرِّ الخلق (١)، لكي ينال الإنسان دم المسيح بالسر الروحي مما كان يعسر ويستحيل أن يناله بالواقع المادي الحسي.

وبتحويل المسيح الخمر الممزوج في الكأس بكلمة واحدة خالقة إلى دمه المسفوك بصورة غير حسِّية جعل قوة الخمر المتحوِّل إلى دم في الكأس على مستوى قوة الدم المسفوك على الصليب سواء بسواء. **المسيح رَبَط بهذه المقولة «هذا هو دمي المسفوك» بين الواقع السري والواقع التاريخي بلا أي فارق أو خلاف**. وبهذا صار الدم الذي نشربه مجدَّداً على المذبح الأرضي هو هو بعينه الدم الذي دخل به المسيح إلى الأقداس العليا على المذبح الناطق السمائي، فأوجَدَ لنا الفداء الأبدي. **أي أننا نشرب من كأس الإفخارستيا فداءنا مجدداً، تم على الأرض ولا يزال قائماً في السماء.**

رابعاً: فصل تقديم الجسد زمنياً عن تقديم الدم فصلاً بيِّناً واضحاً على مستوى التوقيع الإفخارستي الزمني، حينما قدم المسيح جسده مكسوراً في بدء العشاء ثم هناك بعد العشاء قدم دمه المسفوك في كأس، هذا الفاصل الزمني بحد ذاته يعلن في الحال عن مأساة مروِّعة ستفصل الدم عن الجسد فصلاً، وذلك تعبيراً عن عنف التعذيب الذي سيتم على الصليب الذي ينتهي حتماً بعد نزاع ونزيف بالموت.

---

(١) وهنا يليق أن نُحيل القارىء إلى عرس قانا الجليل في إنجيل القديس يوحنا وكيف تحوَّل الماء خمراً بكلمة.

خامساً: أكْلُنا كلنا من الجسد، ثم بعد ذلك شُرْبنا كلنا من الدم يحقق فينا ــ أي يجعلنا نشترك معاً في ــ هذا الفصل المأساوي العنيف بين الجسد والدم الذي حدث على الصليب، أي نصير شُرَكَاءَ صليبه.

وكأننا نشترك تاريخياً وعملياً بآن واحد في عملية التعذيب حينما نأكل الجسد مكسوراً ثم بعد ذلك نشترك أخيراً بشرب الدم من الكأس فنشترك في الموت!!

لذلك فإن من أعمق التعبيرات ذات الدلالة الموضوعية للإفخارستيا هي تسميته بـ «سر الشركة» κοινωνία = Communion (١كو١٠: ١٦). ففي الإفخارستيا تتم الشركة فعلاً وعلى مستوى حقيقي سرّي في المسيح، في آلامه وموته. فنحن نأكل ونشرب الحَدَث الذبحي الألمي في عمقه الإلهي وهدفه الفدائي.

فموت الرب الذي ماته، يعطينا إياه سرًّا في جسده المكسور ودمه المسفوك، أي على مستوى الحقيقة والواقع بالكسر وبالسفك. فنحن لا نتناول «خبزاً» بل **«جسداً مكسوراً»** فيه كل أوجاع وآلام وتعذيب الصليب، ولا نتناول «خمراً» بل **«دماً مسفوكاً» فيه قوة الموت الفائق على الموت!**

والموت الذي ماته الرب والذي غلب به الموت والخطية والهاوية وضعف الجسد هو **«موت الغلبة»**. ليس هو موت إنسان بل **موت ابن الله** الذي قيّد به من كان له سلطان الموت أي إبليس، هو موت البأس والقوة، موت ابن الله الذي فضح به الرئاسات المعادية وسلاطين الشر إذ أشهرهم جهاراً:

+ «إذ جرَّد الرياسات والسلاطين أشهرهم جهاراً ظافراً بهم فيه (أي في الصليب).» (كو٢: ١٥)

نفهم من هذا أن كل أعمال الشر وكل ما يحرّض على الخطية والإثم والتعدي سواء من داخلنا أو خارجنا أصبح محكوماً عليه ومفضوحاً ومنهزماً بقوة موت الرب على الصليب: «هذا هو دمي ... لمغفرة الخطايا» (مت٢٦: ٢٨). الرب يسلمنا قوة احتماله لآلام التعذيب حينما يعطينا جسده «مكسوراً»، **بل ويعطينا قدرة أن نؤلّم الجسد بإرادتنا لنحظى بالنصرة على الخطية على مثال ما تألم به هو بإرادته ليُبْطل الخطية:**

+ «فإذ قد تألم المسيح لأجلنا بالجسد، تسلّحوا أنتم أيضاً بهذه النية، فإنّ مَنْ تألم في الجسد كُفّ عن الخطية، لكي لا يعيش أيضاً الزمان الباقي في الجسد لشهوات الناس بل لإرادة الله.» (١بط٤: ١و٢)

كذلك فإن الرب حينما يعطينا دمه مسفوكاً، يسلِّمنا **قوة** موته التي فيها أبطل الخطية والموت معاً. فقوة موته قوة فائقة على الطبيعة الجسدية بكل ضعفاتها تخضع تحتها كل أعمال الجسد وحركاته. فالشركة في موت الرب هي غلبة ونصرة فوق كل خطية مهما ملكت وكل ضعف جسدي مهما كان:

+ «أين شوكتك ياموت **أين غلبتكِ** يا هاوية، أما شوكة الموت **فهي الخطية**.» (١ كو١٥: ٥٥و٥٦)

هذا هو موت الرب الكائن في دمه المسفوك الذي نناله بالإيمان بالسر ليكون أساساً لجهادنا ضد الخطية بل ولإبطال سلطانها في الجسد: «فأميتوا أعضاءكم التي على الأرض» (كو٣: ٥)، «إذاً لا تملكنَّ الخطية في جسدكم المائت.» (رو٦: ١٢)

بولس الرسول يركِّز على قيمة هذا الموت الفائق على الطبيعة الذي ماته الرب كمحور أساسي، وكحصيلة نهائية من مفهوم أكل الجسد وشرب الدم هكذا:

«فإنكم كلما أكلتم هذا الخبز وشربتم هذه الكأس، **تخبرون بموت الرب إلى أن يجيء**» (١ كو١١: ٢٦). ومَنْ ذا الذي يُبَشِّر بالموت إلاَّ الذي ناله!؟

بولس الرسول هنا لا يذكر القيامة على فم المسيح لأنه لا يزال مستغرقاً في مفهوم كسر الجسد وسفك الدم الذي يقف عند حد الموت[٢]! فقوة الإفخارستيا متركزة أصلاً في قوة الموت الفائق الذي يسلِّمه المسيح لنا كقوة سرِّية لنغلب بها الجسد والخطية والعالم، ولكن في تكميل الموت تكون القيامة حتماً. ولكن يلزم أولاً أن نموت معه لكي نقوم أيضاً معه!! فإذا لم نَمُتْ، فكيف نقوم؟ فإن مُتْنا حقاً معه، فنحن حتماً قائمون. وبقدر ما نموت، بقدر ما نمارس حياة القيامة: «لأنه إن كنا قد صرنا متحدين معه بشبه موته، نصير أيضاً بقيامته.» (رو٦: ٥)

الإفخارستيا ذبيحة بحد ذاتها:

حينما سجَّل القديس بولس الرسول عن الرب القول بعد تكريس الخبز جسداً والخمر دماً أن **يخبروا** بموت الرب إلى أن يجيء، ظهرت الإفخارستيا باعتبارها **شهادة** عملية لذبيحة الرب.

كذلك حينما قال الرب: «اصنعوا هذا **لذكري**»، ظهرت الإفخارستيا وكأنها **فعل تذكاري**

---

(٢) لقد أضافت الكنيسة في ليتورجيتها «القيامة»: «تبشرون بموتي وتعترفون بقيامتي». وأول من أضافها هو هيبوليتس: «تذكرون الموت والقيامة» = «memoris igitur mortis et resurrectionis». عن:
Hipp. Church Ord. IV.11, cited by C.K. Barrett, op. cit., p. 271.

لذبيحة الرب، ولكنها في الحقيقة هي استحضار **لذبيحة الرب** نفسها على المستوى السري لتمتد كما في الواقع الإلهي كذلك تمتد لتغطي الزمن، لأنها بالأصل ذبيحة فائقة للطبيعة، إلهية في واقعها الروحي، لا تخضع للزمن ولا تنحصر في الماضي ليحجزها التاريخ عن واقعها الدائم، فالتذكار هنا هو استمرار للفعل الفصحي على المستوى الإفخارستي الكنسي، هو استحضارها من الديمومة الروحية الإلهية إلى الامتداد الزمني كشهادة لحقيقة قائمة.

والدليل القاطع على أن الإفخارستيا هي ذبيحة حية فصحية دائمة وممتدة على مدى الزمن، هو قول الرب على العشاء وهو يقدم لهم دمه الإفخارستي في الكأس: **«هذه الكأس هي العهد الجديد بدمي»** (لو٢٢: ٢٠). فالكأس الإفخارستي بما يحوي من دم الابن الحقيقي المهراق هو هو العهد الجديد القائم الدائم بين الله وبيننا، لا فرق ولا اهتزاز بين دم كأس الإفخارستيا ودم الصليب!! **الزمن** هنا مُلغىً في مواجهة اللازمني!! **والشكل** هنا متجاوز بالعين الروحية، بالإيمان. فساعة الإفخارستيا هي بعينها ساعة عشاء الخميس، وهي هي الساعة السادسة من الجمعة العظيمة.

فالرب لم يقل: «هذه الكأس هي تذكار للعهد الجديد بالدم المسفوك على الصليب»، بل **«هذه الكأس، هي العهد** الجديد بدمي» (١كو١١: ٢٥). هذا معناه أن دم المسيح في كأس الإفخارستيا يصير في أحشائنا ختم العهد الجديد. هنا دم الكأس هو دم ذبيحة حقيقية حية مقدمة على مذبح الله، يسفكه الطقس سراً في ظل المسامير، ونحن هنا لا نأتي جديداً في تأملاتنا، فالقديس لوقا يسجِّل هذا المعنى من فم الرب: «هذه الكأس هي العهد الجديد بدمي الذي يُسْفَكُ **(صحتها المسفوك** ἐκχυννόμενον) عنكم (وصحتها **لأجلكم**).» (لو٢٢: ٢٠)

فالدم الإلهي في كأس الإفخارستيا دم مُهْرَاق، دم ذبيحة حية سُفِكَ سرًّا في الكأس بالكلمة والتقديس، **والمسيح يقدمه مسفوكاً!! كحالة واقعة فائقة على الزمن!**

القديس لوقا لا يقول على فم المسيح «الدم الذي سَيُسْفَك غداً على الصليب» بل قالها **كواقع حاضر**. فالرب استحضر دمه الذي تخضَّب به يوم الجمعة في كأس!! ويزيد المسيح في الإمعان لتحقيق سفك الدم الذي وقع يوم الجمعة ليكون هو هو الواقع في الكأس يوم الخميس، بأن أعطى للسفك الذي سيتم يوم الجمعة سببه في الحاضر، وهو جالس بين تلاميذه يوم الخميس، وغايته أيضاً في الواقع المنظور **«لأجلكم»**. فالتلاميذ أكلوا وشربوا يوم الخميس كل وقائع يوم الجمعة بكل نتائجها!!

أما قول المسيح «**لأجلكم**» وهو يشير إلى الكأس والدم مسفوك فيه، **ثم إلى التلاميذ** الذين سُفك الدم **من أجلهم**، فهو يعطي بهذا للإفخارستيا المحلية الإحساس بأنها، ولو أنها ذبيحة خاصة بالمتناولين منها، إلاَّ أن لها كل مخصصات وطبيعة ذبيحة الصليب العامة، وكأن كل إفخارستيا تقدمها الكنيسة هي بعينها **ذبيحة المسيح المذبوحة حالاً في وقتها على يد خدامها، كهنة وشمامسة ـ بل وعلى وجه الصحة اللاهوتية ـ على يد المسيح نفسه والكاهن خادم للسر وعلى قدر المتناولين منها تماماً كخروف الفصح الذي تذبحه كل عائلة ـ خروفاً على قدر عددها ـ لتأكله كله ولا تُبقي منه شيئاً، يأكلونه وقوفاً وعلى عجلة: «لأن فصحنا أيضاً المسيح قد ذُبِحَ لأجلنا.»** (١كو٥: ٧)

دم المسيح دم **فصح** متواصل، **خروج مستمر**، سيان منذ أن دفعه الرب في الكأس ليشربوا منه أو منذ أن خرج من عروق المسيح ليجري وإلى الأبد، يضخُّه القلب بالإيمان في شرايين مفديه، ليسكروا منه بخمر الحياة الحقيقية، التي لا تؤول إلى موت بل إلى شهادة وذِكْرٍ دائمين.

آه يا سيد! أعطنا هذا الكأس على الدوام حتى نقوم من رقاد الموت لنحيا بحياتك، لننسى أنفسنا والعالم، ولا نعود نذكر سواك.

متى ينفتح لنا باب سرِّك، وتنكشف لأعيننا قوة الروح في كأسك، نمسكه بكلتا يدينا، بل نحتضنه بكل قوتنا ونظل نشرب دم فصحنا وقوفاً وعلى عجلة، حتى نخرج خروجنا العتيد، وتخرج من بطوننا أنهار الحياة.

من هنا جاء التذكار: «اصنعوا هذا لذكري» ـ أنه تذكار فصحي لا يتم إلاَّ بالذبح، بمعنى تقديم ذبيحة الإفخارستيا بكل معانيها وفعلها وأهدافها متواتراً **كعيد فصحي** تقيمه كل كنيسة، لا للذكرى الفكرية، بل ذكر حياة بل وتثبيتاً لبقاء موت الرب الفصحي حقيقة وفعلاً وواقعاً على امتداد الزمن، وذلك لأن موت الرب على الصليب كان عملاً فائقاً على الطبيعة قائماً دائماً يفوق التاريخ ويتعدى الزمن كفعل إلهي، كالمسيح: «**ها أنا معكم كل الأيام إلى انقضاء الدهر**» (مت٢٨: ٢٠). وهنا يمكن أن نفهم من وصية الرب: «فإنكم كلما أكلتم هذا الخبز وشربتم هذه الكأس **تخبرون بموت الرب إلى أن يجيء**»، أن **الإفخارستيا هي ذبيحة موت الرب على الصليب، بعينها، ممتدة ومُعَاشَة وفعَّالة، فيها يقدم المسيح ذاته على المذبح حاملاً خطيتنا في جسده المكسور وغاسلاً خطايانا بدمه المسفوك في الكأس، يقدمها متواتراً، إلى أن يجيء، وحينئذ لما يجيء سيجيء بلا خطية!**

+ «**هكذا المسيح أيضاً بعد ما قُدِّم مرةً لكي يحمل خطايا كثيرين، سيظهر ثانية بلا**

خطية للخلاص للذين ينتظرونه.» (عب ٩: ٢٨)

هذا هو التذكار الذبائحي المتواصل، فهو بعينه هذا الانتظار الحي!

ويلاحظ هنا في هذا التوجيه الإفخارستي بأن يظل التذكار بذبيحة الإفخارستيا قائماً مع الإخبار بموت الرب إلى أن يجيء، أنه مرادف لنص نهاية الاحتفال بالإفخارستيا في الديداخي حينما يصرخ الجميع: «ماران آثا» أي «تعال أيها الرب»، وكأن المحتفلين بالإفخارستيا يقولون: لتكن هذه الذبيحة التذكارية هي الأخيرة وقد انتهت الخطية، فتعالَ يا رب!

سر الإفخارستيا يحمل هيبة الصليب وقداسة جسد الكلمة وكرامة دم ابن الله:

(أ) «إذاً أيُّ مَنْ أكَلَ هذا الخبز أو شرب **كأس الرب** بدون **استحقاق**،

(ب) يكون مجرماً في «**جسد**» الرب «**ودمه**»،

(ج) **ولكن ليمتحن الإنسان نفسه**،

وهكذا يأكل من «الخبز» ويشرب من «**الكأس**»،

لأن الذي يأكل ويشرب بدون استحقاق،

(د) يأكل ويشرب **دينونة** لنفسه،

(هـ) غير **مميِّز** جسد الرب.

من أجل هذا فيكم كثيرون ضعفاء ومرضى، وكثيرون يرقدون،

(و) لأننا لو كنا **حكمنا** على أنفسنا،

(ز) لما **حُكِمَ علينا**.» (١كو١١: ٢٧–٣١)

لم يكتب أي كاتب في كل أسفار العهد الجديد، ولا القديس بولس في كل رسائله، تعبيرات تتزلزل أمامها النفس البشرية في مواجهتها لسر المسيح في الإفخارستيا باعتبارها ذبيحته المقدسة، فتخشع أمامها الروح وتنحني ـــ بمثل هذه التعبيرات! وكأننا أمام الصليب مرة أخرى وفي مواجهة الجسد المذبوح على الصليب والدم المسفوك يجري منه مدراراً. لقد صبَّ بولس كل مشاعر التجلّة والرهبة والوقار على سر الإفخارستيا محمِّلاً الجسد الإلهي قداسة المسيح، والدم الإلهي كرامة ابن الله. ومَنْ يريد أن يتقدم فليتقدم!

أ ـــ بدون استحقاق: ἀναξίως

الاستحقاق هو ما يهيىء الإنسان لقبول عطايا الله لأن كلمة «باستحقاق» ἀξίως في

معناها الأصلي تفيد «التوازن» بين ذراعي الميزان أو تعادل الكفتين للميزان(*). فالاستحقاق يكون بحصول الإنسان على ما يوازي العطية، والعكس صحيح كقول الابن الضال: «لست **مستحقاً بعد** οὐκ ἔτι εἰμί ἄξιος أن أُدْعَى لك ابناً» (لو١٥: ١٩)، وكقول يوحنا المعمدان: «لست بمستحق οὐκ εἰμὶ ἄξιος أن أحلّ سيور حذائه.» (يو١: ٢٧)

ويعطي العهد الجديد انطباعاً بأن أول استحقاق يمكن أن يحوزه الإنسان يكون بقبوله **«الإنجيل»**، فإذا قَبِلَ الإنجيل صار مستحقاً لعطايا الله فيه: «وأية مدينة أو قرية دخلتموها، فافحصوا مَنْ فيها **مستحق** ἄξιος وأقيموا هناك حتى تخرجوا. وحين تدخلون البيت سلّموا عليه. فإن كان البيت **مستحقاً** فلْيأتِ سلامكم عليه، ولكن إن لم يكن **مستحقاً** فليرجع إليكم.» (مت١٠: ١١–١٣)

فإذا رفض الإنسان «الإنجيل» أي «كلمة الحياة»، يكون قد حكم على نفسه أنه **«غير مستحق»** للحياة الأبدية:

+ «كان يجب أن تُكَلَّموا أنتم أولاً **بكلمة الله**، ولكن إذ دفعتموها عنكم وحكمتم أنكم **غير مستحقين** للحياة الأبدية هوذا نتوجه إلى الأمم.» (أع١٣: ٤٦)

ويوضح بولس الرسول صلة **«قبول الإنجيل»** بـ**«الاستحقاق»** بصورة واضحة في رسالته إلى فيلبي:

+ «**فقط عيشوا كما يحق لإنجيل المسيح** (أو كما يستحق الإنجيل من الحياة)، ἀξίως τοῦ εὐαγγελίου τοῦ Χριστοῦ حتى إذا جئت ورأيتكم أو كنت غائباً أسمع أموركم أنكم تثبتون في روح واحد، مجاهدين معاً بنفس واحدة **لإيمان الإنجيل**.» (في١: ٢٧)

كذلك يعبِّر بولس الرسول عن قبول الإنجيل بقبول الدعوة هكذا: «فأطلب إليكم أنا الأسير في الرب أن تسلكوا كما **يحق للدعوة** ἀξίως τῆς κλήσεως التي دُعيتم بها.» (أف٤: ١)

هنا لو يأذن لنا بولس الرسول لنستمد من سفر الرؤيا معنى شاملاً **للاستحقاق** مصيره أن يستعلن في السماء، نقول:

+ «عندك أسماء قليلة في ساردس **لم ينجِّسوا ثيابهم**، فسيمشون معي **في ثياب بيض** لأنهم **مستحقون**.» (رؤ٣: ٤)

(*) وواضح أن من مشتقاتها كلمة «الأكس» بالعربية، وهما الذراعان اللذان يحملان حلين متساويين أو يرتكز تحتهما عجلتان، وهي باليونانية ἄξων.

والمعنى هنا مستتر، فالذين لم ينجسوا ثيابهم هم الذين احتفظوا بثوب المعمودية الجديد: «لأن كلكم الذين اعتمدتم في المسيح، **قد لبستم المسيح**» (غل٣: ٢٧). والثياب البيض هي ثياب الملكوت، بمعنى الطبيعة البشرية التي استمدت من مجد المسيح مجداً ومن بهاء المسيح بهاءً. هنا الاستحقاق هو من واقع المحافظة على التطهير والتقديس الذي يناله الإنسان في **المعمودية ليعيشه في إنجيل المسيح**.

وبهذا الوضوح في فهم كلمة «مستحق» وهي هكذا مستمدة دائماً من قبول الإنجيل والحياة بمقتضاه، يكون **«الاستحقاق»** في أكل وشرب جسد الرب ودمه قائماً على أساس **«قبول الإنجيل»** على مستوى الحياة، فيكون لضمير الإنسان شهادة داخلية بذلك، لذلك يأتي بعد هذا القول **ليمتحن الإنسان نفسه!!**

ب ــ يكون مجرماً في جسد الرب ودمه:

كلمة «مجرم» ἔνοχος تعبير شرعي قضائي، فهي تحمل إتهاماً يفضي إلى القتل، كتعدٍّ موجَّه لجسد الرب ودمه!

والكلمة أصلها العبري hyyab[3] (خيَّاب). والمعنى هنا ينسحب على الذين صلبوا الرب يسوع وأشهروا جسده على الصليب وازدروا بدمه ليُهْرَق على الأرض. لأنه يلزم لنا جداً أن نفهم ونحس أن الإفخارستيا ذبيحة تُقدَّم في ظل الصليب وعلى مرمى من الصالبين والمستهزئين، ليغشاها الاحساس بالمهانة التي من عمقها انكسر الجسد وسُفِكَ الدم، فالجو مشحون بعواطف الصليب ولكن على خلفية الرجاء بالقيامة والفرح القادم، على وزن: «... يسوع الذي من أجل السرور الموضوع أمامه احتمل الصليب» (عب١٢: ٢). فذبيحة الإفخارستيا تبتدىء بمشهد الصليب، برنة الحزن وعواطف الانسحاق، تستمر حتى التناول حيث يستعلن المسيح قائماً. حينئذ يبدأ التسبيح بالشكر في ملء بهجة القيامة. الإنسان في الإفخارستيا ليس له أن يخلط بين تهليل القيامة وأحزان الصليب؛ يلزم أن نستوفي أحزان الصليب بوقار حتى نبلغ فرح القيامة.

فالإجرام والجناية هنا تكون بالاستهانة بجلال الحَدَث وقداسة الجسد وكرامة الدم! سواء من داخل القلب بالازدراء، أو بالسلوك الخارجي بالاستهتار والانحلال، بمعنى أن الذي يتقرَّب إلى الجسد والدم وهو على غير مستوى الإنجيل القائم على قداسة الجسد وكرامة الدم، **إيماناً وتصديقاً بكلمة الإنجيل، وهيبةً ووقاراً ومجداً وإكراماً للصليب والموت المقدس، وطهارة بشهادة الضمير**، يكون قد تساوى مع الذين استهزأوا بصليبه!

---

3. C.K.Barrett, *First Epistle to the Corinthians*, p. 272.

الكنيسة تحيا هذا الجو الرهيب وتدخل المؤمنين فيه لحظة أن يرفع الكاهن القربان على رأسه منادياً في بدء رفع القرابين: [مجداً وإكراماً، إكراماً ومجداً للثالوث الأقدس، الآب والابن والروح القدس ...].

وهنا أيضاً يلزمنا أن نفهم ونحس أن الإفخارستيا هي أيضاً وفي الحقيقة وليمة الملكوت، تَحْضَرها كل الأجناد السماوية ملتفَّة حول الرب:

[فلنقف حسناً، لنقف بتقوى، نقف باتصال، نقف بسلام
نقف بخوف الله ورعدة وخشوع،
أيها الإكليروس وكل الشعب، بطلبة وشكر **بهدوء وسكوت،**
ارفعوا أعينكم إلى ناحية المشرق،
لتنظروا المذبح وجسد ودم عمانوئيل إلهنا موضوعَين عليه،
والملائكة ورؤساء الملائكة قيام،
الساروفيم ذوو الستة الأجنحة **والشاروبيم** الممتلئون أعيناً،
يسترون وجوههم من بهاء عظمة مجده غير المنظور ولا منطوق به،
يسبِّحون بصوت واحد صارخين قائلين:
قدوس قدوس قدوس رب الصباؤوت السماء والأرض مملوءتان من مجدك الأقدس].

هذا هو هتاف الشماس عند رفع الغطاء من فوق الجسد والدم (عن كتاب: «خدمة الشماس والألحان»، ١٩٨٨، ص ٨٢).

ثم لا يغيب عن البال قول المسيح على العشاء التقديسي للسر وهو ممسك بالكأس: «هذه الكأس هي العهد الجديد بدمي». فالإفخارستيا بحد ذاتها وثيقة وعقد للعهد الجديد ــ من داخل جسد مكسور ودم مسفوك للابن الوحيد ــ بين الله والإنسان. فهي بحد ذاتها تحمل هيبة عهد الله الجديد مع الإنسان.

وإليك أيها القارىء العزيز صورة واقعية لقيام أول عهد لله مع الإنسان، حينما قطعه الله مع إبراهيم من وسط الذبيحة المقدَّمة هكذا:

+ «فقال له خذ لي عِجْلَة ثلاثية وعنزة ثلاثية وكبشاً ثلاثياً ويمامة وحمامة. فأخذ هذه كلها وشقها من الوسط وجعل شق كل واحد مقابل صاحبه ... ولما صارت الشمس إلى المغيب (ساعة الفصح وساعة العشاء الأخير وساعة انزال الجسد من على الصليب) **وقع على**

أبرام سُبات وإذا رعبة مظلمة عظيمة واقعة عليه، فقال لأبرام اعلم يقيناً أن نسلك سيكون غريباً في أرض ليست لهم ... ثم غابت الشمس **فصارت العتمة وإذا تنور (فرن) دخان ومصباح نار يجوز بين تلك القطع، في ذلك اليوم قطع الرب مع أبرام ميثاقاً...»**

(تك١٥: ٩ــ١٨)

ولا يغيب عن البال أن المسيح لم يقل: العهد الجديد بدمي الذي سيُسفك على الصليب، بل «هذه الكأس» أي أن العهد الجديد قائم حاضر الآن في هذه الكأس، كأس الإفخارستيا والدم فيها «مسفوك» جاهزٌ، دم ابن الله، دم الصليب بعينه. كل هذا ليس على مستوى التاريخ والمادة واللمس والحس، بل على مستوى الروح والواقع الإلهي السرِّي غير المنظور والذي هو الحق عينه.

ج ــ ليمتحن الإنسان نفسه:

«ليمتحن»: δοκιμαζέτω وتأتي بمعنى الامتحان أي محاكمة الضمير والتحقق منه أن يكون طاهراً.

هذا يوضحه بولس الرسول في رسالته الثانية لأهل كورنثوس أيضاً:

+ «جرِّبوا أنفسكم **هل أنتم في الإيمان، امتحنوا أنفسكم** δοκιμάζετε ، أم لستم تعرفون أنفسكم **أن يسوع المسيح هو فيكم** إن لم تكونوا مرفوضين؟» (٢كو١٣: ٥)

هنا واضح أن بولس الرسول لا يقصد أن يراجع الإنسان نفسه من جهة سلوكه الظاهري أو حالته الجسدية الظاهرية، بل يتجه مباشرة إلى وجود المسيح في القلب، فإن كان المسيح حالاًّ بالإيمان بالروح في القلب والفكر ــ وهذا يكون له شهادة داخلية في الضمير لا تخطىء: «لأن مَنْ من الناس يعرف أمور الإنسان إلا روح الإنسان الذي فيه» (١كو٢: ١١) ــ فهنا التقدم للجسد والدم للأكل والشرب يكون له واقع وشهادة مماثلة في الداخل. فالمسيح في الداخل يستقبل المسيح الذي في الخارج. الإيمان بالروح في الداخل يتعانق مع العطية الإلهية القادمة من الخارج. أكل الكلمة بالروح يسبق ليحتضن أكل جسد الكلمة بالفم.

د ــ يأكل ويشرب دينونة لنفسه:

دينونة: κρίμα

يلاحظ هنا أن الدينونة لا تقع من الخارج على الذي أجرم في قداسة الجسد وكرامة الدم ــ إذ هو أكل وشرب بدون استحقاق ــ بل تدخله الدينونة مع أخذه الجسد وشربه الدم!! هنا يأخذنا

الهلع والرعدة، فهذا هو ما حدث بالحرف الواحد مع يهوذا الإسخريوطي الذي خنق نفسه: «فغمس (المسيح) اللقمة وأعطاها ليهوذا سمعان الإسخريوطي. فبعد اللقمة دخله الشيطان ... فذاك لما أخذ اللقمة خرج للوقت وكان ليلاً.» (يو١٣: ٢٦—٣٠)

هذا الواقع الخطير يكشف لنا ما هو هذا الجسد المكسور، وما هو هذا الدم المسفوك!! الدينونة دخلت يهوذا بدخول لقمة الإفخارستيا من يد الرب!! فالاقتراب من الرب إما يقدّس وإما يصعق. هذه حقيقة ظهرت منذ فجر العلاقات مع الله، مثل قصة ابني هرون اللذين قرَّبا بخوراً أمام الله بدون استحقاق فماتا في الحال:

+ «وأخذ ابنا هرون ناداب وأبيهو، كلٌّ منهما مجمرته وجعلا فيهما ناراً ووضعا عليها بخوراً وقرَّبا أمام الرب ناراً غريبة لم يأمرهما بها. فخرجت نار من عند الرب وأكلتهما فماتا أمام الرب.» (لا١٠: ١و٢)

وكان تعليق الرب على هذا التعدي هكذا:

+ «فقال موسى لهرون هذا ما تكلم به الرب قائلاً: **في القريبين مني أتقدّس** وأمام جميع الشعب أتمجّد.» (لا١٠: ٣)

وواضح من موت وَلَدَيْ هرون ومن قول الرب أن الاقتراب من الرب يقدّس إن كان بالحق وبحسب الترتيب والاستحقاق، وإلاَّ فعوض التقديس سَحْقٌ وصَعْق. كذلك أيضاً لنا في قصة رجوع التابوت بعد أسره عظة:

+ «وداود وكل بيت إسرائيل يلعبون أمام الرب (رقص ديني توقيعي) بكل أنواع الآلات ... ولما انتهوا إلى بيدر ناخون، مدَّ عُزَّة يده إلى تابوت الله وأمسكه لأن الثيران انشمصت. فحمي غضب الرب على عُزَّة وضربه الله هناك لأجل غَفَلِه. فمات هناك لدى تابوت الله ... وخاف داود من الرب في ذلك اليوم وقال كيف يأتي إليَّ تابوت الرب.» (٢صم٦: ٥—٩)

بهذا المعنى صار الاقتراب من الرب يحتاج إلى امتحان النفس وتفتيش الضمير، لأن الاقتراب منه بغير استحقاق هو الموت بعينه، وبنفس المعيار صار الاقتراب من مقدسات الرب كتقديم البخور بغير استحقاق وترتيب، أو الاقتراب من تابوت الله الذي يحمل قسط **المن** (الخبز من السماء) وعصا هرون (الكهنوت) **وغطاء التابوت** = الإيلاستيريون (الكَبّوراه) أو «الكفّارة»، حيث ينضح دم الذبائح للتكفير، وحيث يعلوه حضرة الله وقت الخدمة. هذا في مجمله هو محتوى قدس

الأقداس! هذا تصوير مهيب لمعنى الاقتراب من المقدسات في العهد القديم مع أنها كانت كلها مادية رمزية!!

ثم عودة مرة أخرى إلى أكل الجسد وشرب الدم بدون استحقاق كيف ينشىء دينونة أي قضاءً ومحاكمة لا يتبرأ منها الإنسان، لأن الذي أخطأ الإنسان في حقه هو الرب ممثلاً بالجسد والدم، اللذان هما في الأصل وبحد ذاتهما مصدر الغفران!!

هـ ــ غير مميِّز جسد الرب:

«مميِّز»: διακρίνων ، وباللاتينية discernere . والجملة تعني لا يميِّز بين شيئين أو شخصين أو لم يفرِّق بينهما. هنا المعنى ينصبُّ بقوة على عدم تفريق المتناول من الجسد والدم بين الواقع المادي المنظور أمامه خبز وخمر ممزوج في الكأس، وبين واقع السِرِّ الإلهي غير المنظور، حيث الخبز هو في واقعه الإلهي السري جسد الرب، والمزيج في الكأس هو دمه الأقدس: المسيح بذاته!!

فلأنه لم يميز بين الخبز وحقيقة الجسد وبين الخمر وحقيقة الدم، فإنه إذ يُهيَّأ له أنه يتناول خبزاً وخمراً ويستهين بما أكل وبما شرب، يكون في الحقيقة قد أكل مُقدَّسات هي بعينها حضرة إلهية، ولكنها إذ لا تجد فيه فرصة للتقديس، توجد له فرصة للمحاكمة.

و ــ لأنه لو حكمنا على أنفسنا:

«حكمنا»: διεκρίνομεν هي نفس الكلمة التي تُرْجمَت «مميزاً» ولكن في موقعها هنا تفيد الامتحان بالتدقيق الذي يحمل معنى الحكم والإدانة معاً. وذلك من جهة الاستحقاق للتقدُّم للجسد والدم، حيث كما سبق وأوضحنا أن الاستحقاق يتوقف بالدرجة الأُولى على الصلة بالمسيح، الصلة الداخلية بالتصالح معه من جهة الضمير، ووجوده الفعَّال في الداخل بشهادة الحياة اليومية، وبالصلاة.

ز ــ لما حُكِمَ علينا:

هنا الحكم وقع بالأكل والشرب من الجسد والدم بدون استحقاق وحسب، أي لا ينصبُّ المعنى على الاستهانة أو الخيانة، لذلك أنشأ فقط حسب الآية (١كو١١: ٣٠) مجرد حالة ضعف ومرض، أو الموت المعجَّل قبل الميعاد. هذا الحكم لا يُطبَّق بصورته التي جاءت في العهد القديم أو كما حدث على يهوذا، فهو لا يشمل القصاص الحرماني من الله أو الهلاك الأبدي، لأن الدم المسفوك نفسه يقف حاجزاً مانعاً من الهلاك. فالخطية مهما تعاظمت، لا تستطيع أن تبتلع الدم الإلهي. ولكن هنا الحكم والدينونة ينصبَّان على جسد الإنسان لا على روحه، فيتعرض **الجسد**

للتأديب سواء بالضعف أو المرض أو حتى الموت لكي تخلص النفس في يوم الرب، كما حكم بولس الرسول على الذي زنى مع امرأة أبيه: «باسم ربنا يسوع المسيح، إذ أنتم وروحي مجتمعون مع قوة ربنا يسوع المسيح، أن يسلَّم مثل هذا للشيطان لهلاك الجسد، لكي تخلص الروح في يوم الرب يسوع.» (١ كو٥: ٤و٥)

وهذا هو القرار الأخير الذي انتهى إليه بولس الرسول بالنسبة للذين استهانوا بالمقدَّسات ووقعوا تحت تأديبات الله:

+ «ولكن إذ قد حُكِمَ علينا، نؤدَّب من الرب، لكي لا نُدان مع العالم.» (١ كو١١: ٣٢)

فالرجاء بالخلاص القائم لم يتوقف بسبب التأديب، إن بالمرض أو حتى بالموت المعجَّل.

وقفة قصيرة في نهاية الإفخارستيا:

إذا كانت الإفخارستيا هكذا ذات واقع إلهي سرِّي يُحسَبُ له ألف حساب، وإن كان المتقرِّب من الجسد والدم بغير استحقاق هكذا يجلب على نفسه عقوبة ومضرة، فكم بالحري يكون التقرُّب إليهما باستحقاق صلة الحب والتقوى والصلاة والخشوع لله؟ كم يجلب من «شِبَع سرور»، **وملء** الروح، **ونعيم** حياة، **وثبوت** إيمان، **وشركة** في الروح القدس، **وتقديس** سيرة لله الحي مكتوبة في السماويات!!

الفصل الرابع

سِرُّ وضع اليد

للرسامات

وضع اليد في العهد القديم:

أول ما نسمع عن وضع اليد، في العهد القديم، حينما أمر الرب موسى أن يضع يده على يشوع بناءً على طلب كريم من موسى لله، نصُّه الجميل كالآتي:

+ «فكلَّم موسى الرب قائلاً ليوكِّل الرب إله أرواح جميع البشر رجلاً على الجماعة، يخرج أمامهم ويدخل أمامهم ويُخرجهم ويُدْخِلهُم لكيلا تكون جماعة الرب كالغنم التي لا راعي لها. فقال الرب لموسى: خذ يشوع بن نون رجلاً فيه روحٌ، وضَعْ يدك عليه وأوقفْه قدام أَلِعازار الكاهن وقدام كل الجماعة وأَوْصِهِ أمام أعينهم، واجعل من هيبتك عليه لكي يسمع له كل جماعة بني إسرائيل ... ففعل موسى كما أمره الرب.» (عد٢٧: ١٥—٢٢)

ويعود سفر التثنية يعقِّب على هذه الحادثة مؤكداً أن يشوع امتلأ من روح الحكمة بسبب وضع اليد: «ويشوع بن نون كان قد امتلأ روح حكمة إذ وضع موسى عليه يديه، فسمع له بنو إسرائيل...» (تث٣٤: ٩)

هنا يستلفت نظرنا الآتي:

١ — وضع يد موسى على يشوع كان لتسليم الرئاسة والرعاية على جماعة الرب.

٢ — أن يشوع اختير ليوضع عليه اليد على أساس أنه رجل فيه روح.

٣ — أن طقس وضع اليد للرئاسة كان أمام أَلِعازار الكاهن لأن يشوع صار في درجة أعلى من درجة الكاهن.

٤ — أن وضع اليد كان أمام كل الشعب، وأنه أمام أعين الشعب وأسماعهم تمت التوصية لنقل الرئاسة.

٥ — أن وضع اليد نقل من هيبة موسى إلى يشوع ليصير مُهَاباً وليستمع إليه الشعب.
٦ — أن وضع اليد كان بيد واحدة.

ولكننا لا نعثر في كل العهد القديم على «وضع يدٍ» للشفاء، إلاَّ أننا نعثر على وضع يد للبركة، بمعنى تسليم بركة الآباء للأبناء، وهذا ما صنعه يعقوب لابنَيْ يوسف في مصر، بصورة مؤثرة وبكلمات جميلة، إذ جعل ابنَيْ يوسف يَرِثان البركة التي ليعقوب ليُحْسَبَا كابنَيْ يعقوب فيكون لهما أنْصِبَة مع الأسباط الاثني عشر في تقسيم أرض كنعان. وقد تم هذا بالفعل:

+ «وقال يعقوب ليوسف: الله القادر على كل شيء ظهر لي في لوز في أرض كنعان وباركني...، والآن ابناك المولودان لك في أرض مصر قبلما أتيت إليك إلى مصر هما لي ...، فقال قدمهما إليَّ ...، فقرَّبهما إليه **فقبَّلهما واحتضنهما** ... وسجد أمام وجهه إلى الأرض...، فمدَّ إسرائيل يمينه ووضعها على رأس أفرايم وهو الصغير ويساره على رأس مَنَسَّى (وهو البكر) ... ولكن أخاه الصغير يكون أكبر منه، ونسله يكون جمهوراً من الأمم (نبوة عن أفرايم). وباركهما في ذلك اليوم قائلاً، بِكَ يُبَارِكُ إسرائيلُ قائلاً: يجعلك الله كأفرايم وكمنسَّى، فقدَّم أفرايم على منسَّى.» (تك٤٨: ٣—٢٠)

ونلاحظ في وضع اليد للبركة هنا الآتي:
١ — يعقوب إسرائيل ينقل بركة الله له إلى ابنَيْ يوسف بوضع اليد اليمنى واليسرى.
٢ — ولكن «وضع اليد اليمنى» كان ذا دلالة على البركة الأكثر!
٣ — إسرائيل احتضن الولدين وقبَّلهما قبل أن يضع يديه.
٤ — إسرائيل سجد على الأرض قبل أن يضع يديه.
٥ — إسرائيل نطق بالبركة وسلَّمها للنسل من بعده.

وضع اليد في العهد الجديد:

○ للبركة:

بدأ «وضع اليد» في العهد الجديد بالمسيح نفسه، حينما طُلِبَ منه أن يضع يديه على الأولاد ليباركهم.

+ «حينئذ قُدِّم إليه أولادٌ لكي يضع يديه عليهم ويصلي، فانتهرهم التلاميذ، أما يسوع فقال دَعُوا الأولاد يأتون إليَّ ولا تمنعوهم، لأن لمثل هؤلاء ملكوت السموات. **فوضع يديه عليهم** ومضى من هناك.» (مت١٩: ١٣—١٥)

+ «**فاحتضنهم ووضع يديه عليهم وباركهم.**» (مر١٠: ١٦)

o **للشفاء**(١):

كذلك طُلِبَ منه أن يضع يديه على المرضى ليُشْفوا، وهناك أمثلة كثيرة على مدى الإنجيل:

+ «وعند غروب الشمس جميع الذين كان عندهم **سقماء بأمراض مختلفة قدموهم إليه، فوضع يديه على كل واحد منهم وشفاهم.**» (لو٤: ٤٠)

o **للإقامة من الموت:**

كذلك بإيمان كبير تقدم إليه رئيس وطلب من المسيح أن يضع يده على ابنته لتحيا إذ كانت قد ماتت.

+ «إذا رئيس قد جاء فسجد له قائلاً: إن ابنتي الآن ماتت، **لكن تعالَ وضَعْ يدك عليها فتحيا** ... وأمسك بيدها فقامت الصبية.» (مت٩: ١٨و٢٥)

o **آية للمؤمنين:**

ثم في نهاية الإنجيل نسمع أن الرب قبل صعوده أوصى تلاميذه أن يشفُوا المرضى، على أن شفاء المرضى بعد ذلك تكون آية يصنعها المؤمنون أنفسهم:

+ «وقال لهم: اذهبوا إلى العالم أجمع واكرزوا بالإنجيل للخليقة كلها ... وهذه الآيات تتبع المؤمنين ... **يضعون أيديهم على المرضى فيبرأون.**» (مر١٦: ١٥و١٧و١٨)

والأمثلة كثيرة على مدى الأسفار كلها.

وتفسير وضع اليد للإبراء من الأمراض المختلفة تشرحه قصة المرأة نازفة الدم حينما لمست أهداب ثوب المسيح فشُفِيَتْ، فكان تعليل الرب المحسوس هو: «**فقال يسوع قد لمسني واحد لأني علمت أن قوة قد خرجت مني**» (لو٨: ٤٦)، علماً بأن قوة المسيح على الشفاء لم تتوقف على وضع اليد بل إن مجرد كلمة منه ومن على بُعْدٍ كانت كافية لتشفي وتُحْيي (يو٤: ٤٣—٥٤).

o **حلول الروح القدس:**

في كل حالات العماد في زمن الرسل، كان وضع اليد بعد المعمودية هو واسطة لحلول الروح القدس:

+ «أرسلوا إليهم بطرس ويوحنا، اللذين لما نزلا صلّيا لأجلهم لكي يقبلوا الروح القدس ... حينئذ وضعا الأيادي عليهم فقبلوا الروح القدس.» (أع٨: ١٤—١٧)

---

(١) وقد رسخ هذا السر في الكنيسة منذ أيام الرسل، وسُمِّي بعد ذلك بـ «سر مسحة المرضى»، وكان له زيتٌ خاص مُصَلّى عليه في مجمع الأساقفة يسمى «زيت الغاليلاون»، ولكن أهمل هذا الشرط وصارت الكنيسة تُجْرِيه بأي زيت كان. وهذا خطأ بحسب التقليد، فعلى الأقل يتحتم أن يكون زيت زيتون.

○ **إعطاء قوة إضافية للخدمة والإرسالية:**

وهي حالات نـادرة ولكـن هـامة للغاية، وتفيد ضرورة احترام موهبة الخدمة لتجديد القوة ومواهب الخدمة بالنسبة للمرسومين سابقاً بوضع اليد:

+ «**وبينمـا هـم يخدمـون** الرب **ويصومون، قال الروح القدس:** أفرزوا لي برنابا وشاول (مرسومين سابقاً) **للعمل الذي دعوتهما إليه. فصاموا** حينئذ **وصلَّوْا، ووضعوا عليهما الأيادي** ثم أطلقوهما، فهذان إذ أُرسلا من الروح القدس ...» (أع١٣: ٢-٤)

فهنا تكرارٌ لوضع اليد، ولكن ليس للرسامة، بل للعمل الذي دعاهم الروح القدس أن يعملاه بعد الرسامة وهو المبادرة بالسياحة للتبشير خارج مقر وجودهم، وهذا يُعتبَر إرسالية فوق العادة بالنسبة للأسقف، وهي تحتاج بالفعل إلى قوة روحية إضافية من الروح القدس، بل وتحتاج أصلاً إلى دعوة صريحة من الروح القدس يمكن أن تُسْمَع تحت الأصوام والصلوات الكثيرة واستلهام مشورة الروح القدس: «وبينما هم **يخدمون** الرب **ويصومون**». وحتى بعد أن تلقوا صوت الروح القدس عادوا فصاموا وصلوا قبل وضع اليد. وهذا يوضح عظم شأن الإرسالية في الكنيسة وأنها تحتاج إلى وضع يد للحصول على موهبة χάρισμα إضافية فوق مؤهلات الأسقف العادي. وهذا نسمعه بوضوح في وصية بولس الرسول إلى تيموثاوس إذ استودعه الله نعمة خاصة مع موهبة وضع اليد، بمقتضاها دعاه بولس الرسول ليقوم بالتبشير: «اعمَلْ عمل المبشِّر.» (٢تي٤: ٥)

وضع اليد للرسامة:

إن أول وأهم إجراء لطقس وضع اليد للرسامة في العهد الجديد، تم بواسطة الرسل مجتمعين لرسامة سبعة شمامسة، أي خدام διάκονοι، وإن كان الغرض الأساسي من وضع اليد قد انحصر في موضوع خدمة الاحتياجات المادية من مال وطعام وتوزيع، إلاَّ أنه بمجرد أن تم وضع يد الرسولية ظهر انسكاب الروح القدس للكرازة والتعليم بصورة قوية وعالية ونشطة، باتجاه تحرُّري واضح من التقاليد الناموسية العتيقة، وباتجاه مباشر وبجرأة للمناداة بالإيمان بالمسيح بدون الالتزام بوصايا الناموس وطقوسه. وإن كان هذا الاتجاه يُعْزَى بنوع ما إلى أن السبعة الشمامسة كانوا من اليهود الذين في الشتات، أي اليهود الذين استوطنوا بلاد اليونان:

+ «وفي تلك الأيام إذ تكاثر التلاميذ حدث تذمُّر من اليونانيين على العبرانيين أن أراملهم كُنَّ يُغفَل عنهنَّ في الخدمة اليومية. فدعا الاثنا عشر جمهور التلاميذ وقالوا: لا يُرضي أن نترك نحن كلمة الله ونخدم موائد، فانتخبوا أيها الإخوة سبعة رجال منكم مشهوداً لهم ومملوئين من

الروح القدس وحكمة فنقيمهم على هذه الحاجة، وأما نحن فنواظب على الصلاة وخدمة الكلمة. فحسن هذا القول أمام كل الجمهور فاختاروا إستفانوس رجلاً مملوءاً من الإيمان والروح القدس،

وفيلبس و برخوروس ونيكانور وتيمون و برميناس،

ونيقولاوس دخيلاً أنطاكياً (من أصل وثني).

الذين أقاموهم أمام الرسل فصلّوا **ووضعوا عليهم الأيادي**. وكانت كلمة الله تنمو ...»

(أع٦: ١—٧)

ولينتبه القارىء، فهنا مطابقة ذات أصالة وفهم وتدقيق مع ما حدث في إقامة يشوع في العهد القديم ووضع موسى اليد عليه، وهذا يُنبىء بأن هذا الطقس ظل محفوظاً في الوعي اليهودي بدقة. والمعروف أن جماعة الربيين كانوا يقيمون هذا الطقس منذ زمن بعيد قبل الميلاد، ووصلت بعض المخطوطات التي توضح بالأسماء أنه أُجريَ على الكتبة عند إقامتهم بوضع اليد(٢).

وإليك أيها القارىء العزيز مقارنة توضيحية:

وضع اليد في العهد القديم	**وضع اليد في العهد الجديد**
١ — «ليوكِّل الرب إلٰه أرواح جميع البشر **رجلاً على الجماعة** يخرج أمامهم ويدخل ... **لكيلا تكون جماعة الرب كالغنم التي لا راعي لها**».	١ — «**فانتخبوا أيها الإخوة سبعة رجال منكم** مشهوداً لهم ومملوئين من الروح القدس وحكمة **فنقيمهم على هذه الحاجة**».
٢ — «فقال الرب لموسى خذ يشوع بن نون **رجلاً فيه روح**».	٢ — «**فاختاروا إستفانوس رجلاً مملوءاً من الإيمان والروح القدس ...**»
٣ — «**وضَعْ يدك عليه وأَوْقِفه قُدَّام أَلِعازر الكاهن** وقدام كل الجماعة ... **واجعل من هيبتك عليه لكي يسمع له كل جماعة بني إسرائيل**».	٣ — «الذين أقاموهم **أمام الرسل فصلوا ووضعوا عليهم الأيادي، وكانت كلمة الله تنمو** ... وأما إستفانوس فإذ كان مملوءاً إيماناً وقوة **كان يصنع عجائب وآيات عظيمة في الشعب**».

2. Kittel, G., *TDNT*, vol. IX, p. 433.

أولاً: المطابقة هنا في شرط الرسامة الأول أن يكون بالانتخاب:

«انتخبوا أيها الإخوة»	«ليوكل» الرب الإله (وصحتها ينتخب)
ἐπισκεψάσθω	ἐπισκέψασθε

ثانياً: الرجل المنتَخب يلزم أن يكون مشهوداً له:

في القديم كانت الشهادة من الله رأساً: «خذ يشوع بن نون رجل فيه روح وضَعْ يدك عليه». / ٣:١٤

في العهد الجديد أُعطي الشعب وحده الانتخاب مع بيان الشرط المُلْزِم: **أن يكون رجلاً مملوءاً من الإيمان والروح القدس.**

ثالثاً: وضع اليد يلزم أن يكون **بحضور الكاهن** الرئيس **وأمام كل الشعب**، في الحالتين في القديم والجديد، حيث في الجديد لزم حضور الرسل الاثني عشر.

رابعاً:

تخصيص وضع اليد في رسامة يشوع بن نون، لم تكن لممارسة الكهنوت بل الرئاسة على كل الشعب وقيادته.

تخصيص وضع اليد على السبعة الشمامسة ولو أنه لم يكن للقيام بأعباء الرسولية بل كان على خدمة الموائد، إلَّا أنه امتد إلى الكرازة وإتيان المعجزات. فممكن تقييد الاختصاص ولكن لا يمكن تقييد عمل الروح القدس.

بهذا نستخلص أن رسامة السبعة الشمامسة كانت بمثابة وضع أول نموذج لطقس الرسامة بوضع اليد في المسيحية، إنما على مستوى نفس شروط ونمط الطقس القديم. والذي زاد في العهد الجديد هو انسكاب الروح الرسولية لخدمة البشارة بالإنجيل، في مقابل هيبة القيادة للجماعة في القديم.

اشتراك الشعب في الاختيار:

واضح منذ البدء في العهد القديم أن الله أعطى لموسى الحرية أن يختار من الشعب من يراه صالحاً ليكون مساعداً له وتحل عليه روح التدبير التي نالها موسى (أنظر عد ١١:١٦)، وذلك باعتبار أن الشعب يستطيع أن يختار ما يناسبه، وفي ذلك يقول القديس ذهبي الفم:

[تحديد العدد سبعة، ووضع اليد عليهم كان محفوظاً لهم (أي للرسل) ولكن اختيار الرجال أعطوه للشعب حتى لا يُعتبروا أنهم (أي الرسل) يتصرفون من عندهم، تماماً كما أن الرب سلّم لموسى أن يختار من الشيوخ مَنْ يعرفهم (عد ١١:١٦)].

[والشعب هو الذي قادهم لمكان الرسامة وليس الرسل «الذين أقاموهم أمام الرسل»،

ولاحِظوا أن لوقا يتحاشى كل الأمور الثانوية، فلا يذكر بأية طريقة تم هذا ولكن يذكر أنهم رُسموا ــ «وُضعت عليهم الأيادي» ــ ἐχειροτονήθησαν . فاليد البشرية توضع على الإنسان ولكن العمل كله من الله، وإن يده هو هي التي تلمس رأس الذي يُرسم، إن كان يُرسم كما يجب.] (٣)

العدد سبعة:

اعتبرت الكنيسة على مرّ الدهور أن اختيار الرسل القديسين العدد سبعة للشمامسة اللازمين للكنيسة أنه طقس إلهامي أخذت به الكنائس في كل العالم، وبالأخص روما (٤)، وظل معمولاً به إلى أزمنة كثيرة. ولكن للأسف اختل ليس العدد سبعة فقط بل كل الطقس الكنسي بالنسبة للشمامسة ورسامتهم وخدمتهم، حتى صار يُرسَم شمامسة وهم أطفال.

الظروف التي أحاطت بالرسامات عند بولس الرسول:

عامل صوت الروح القدس أي صوت النبوة:

وهذا واضح في رسامة تيموثاوس:

+ « هذه الوصية، أيها الابن تيموثاوس، أستودعُك إياها **حسب النبوات التي سبقت عليك** لكي تحارب فيها المحاربة الحسنة. » (١تي ١: ١٨)

+ « **لا تهمل الموهبة التي فيك المعطاة لك بالنبوَّة مع وضع أيدي المشيخة** (القسوسية) (٥). » (١تي ٤: ١٤)

+ « أذكرك أن تُضرِمَ أيضاً موهبة الله τὸ χάρισμα τοῦ θεοῦ التي فيك بوضع يديَّ. » (٢تي ١: ٦)

هنا اعتراف قوي وصريح أن وضع اليد سِرٌّ من الأسرار الهامة جداً في الكنيسة:

١ ــ واضح هنا أن رسامة تيموثاوس تمت «**بوضع يد بولس**» مع أيدي القسوس πρεσβυτερίου . وهنا يلزم التفريق بين وضع يد القسوسية ووضع يد بولس، ولو أن وضع اليد تم بالاثنين معاً، أي بولس مع القسوس، على رأس تيموثاوس. والفرق توضحه اللغة اليونانية:

---

3. NPNF, 1st ser., vol. XI, p. 90.
4. Ibid. p. 91.

(٥) القديس يوحنا ذهبي الفم يشرح كلمة «المشيخة» أو «القسوسية» أنها تعني الأساقفة، لأنه من غير الصحيح أن يضع القسوس أيديهم على من يُرسم أسقفاً. عن: NPNF, 1st Series, Vol. XIII, p. 449.

فوضع يد بولس جاء هكذا: «διὰ» τῆς ἐπιθέσεως τῶν χειρῶν μου

ووضع يد القسوس جاء هكذا:

«μετὰ» ἐπιθέσεως τῶν χειρῶν τοῦ πρεσβυτερίου

حيث معنى διά (= بواسطة) في وضع اليد تفيد الفعل المباشر الفعّال وهو الضروري والأساسي في الطقس. وحيث μετά (= مع) في وضع اليد تفيد المصاحبة أو التبعية، وهو ليس أساسياً ولكن إضافياً، للتثبيت والشهادة في انتقال القوة التكريسية.

٢ ـ أن الرسامة سبقتها نبوة جاءت من أحد الذين لهم موهبة النبوة.

٣ ـ أن مضمون النبوة هو أن تيموثاوس مستحق أن يقام «أسقفاً»، لذلك اشترك القسوس (ربما الصحيح أساقفة) مع بولس الرسول في وضع اليد. وهنا نجد شرط الرسامة الذي وضعه الله في العهد القديم في رسامة يشوع بن نون بأن يكون وضع اليد أمام ألعازر الكاهن، يتم هنا عملياً بأن صار أمام و بحضور و بوضع يد القسوس (الأساقفة).

٤ ـ اقتران «**الموهبة**»، «**بوضع اليد**»: «**الموهبة التي فيك ... مع "وضع أيدي" القسوس**»، يفيد بأنه بوضع اليد ينال المرسوم موهبة خاصة للقيام بالخدمة تنحصر في القوة الروحية المتكلمة والعاملة بالوعظ والتفسير وعمل الأشفية والمعجزات. أما «وضع اليد» كعطية من الله فهي ثابتة لا تزيد ولا تنقص، ولكن الموهبة المضافة هي لعمل الخدمة، فهي إذا أُهملت نقصت وتوقفت وصار الأسقف مجرد مدبِّر على مستوى الحاجة للعمل أي مُنظِّر، ولكن الأسقف في وضعه الصحيح «ناظر»، ناظر من فوق = ἐπίσκοπος ‏(٦) وهي وظيفة الله (أنظر ١بط ٢: ٢٥) للحراسة والرعاية والرؤية الشاملة لحاجة الرعية، بمعنى موهبة روحية فائقة للطبيعة. لأن الرعية، وهي تحيا حياة مسيحية فائقة للطبيعة، تحتاج إلى ما هو أكثر من الخدمة الجسدية.

لذلك يحاصر بولس الرسول ابنه تيموثاوس من جهة هذه الموهبة لخطورة عملها.

أولاً: لا تهمل الموهبة التي فيك (١تي ٤: ١٤)؛

ثانياً: اضرم موهبة الله التي فيك (٢تي ١: ٦).

أما **الإهمال** فيأتي من تزاحم الأعمال والاهتمامات المادية والطقسية وفتور الروح.

أما **الإضرام** فيأتي بالصلاة ـ قبل كل شيء ـ ثم القراءة والتعليم.

6. Liddell & Scott's *A Greek-English Intermediate Lexicon, s.v.*

وقد أوضحها القديس بولس في توصياته لتيموثاوس هكذا:

+ «... لكي يكون **تقدُّمك** ظاهراً في كل شيء. **لاحظ نفسك والتعليم وداوم على ذلك،** لأنك إذا فعلت هذا تخلِّص **نفسك** والذين **يسمعونك أيضاً.**» (١تي٤: ١٥و١٦)

+ «اعكف على **القراءة والوعظ والتعليم.**» (١تي٤:١٣)

ونلمح من **الرسامة بوضع اليد** للأسقف في الكنيسة الأولى، أنها أخذت طابعاً يفوق طابعها الأول في العهد القديم في رسامة يشوع بن نون، لأن هذا أُقيم ليكون **مدبِّراً للجماعة فقط،** غير مسئول عن أية ممارسات دينية وإن كان مسئولاً عن تهيئة عملها وضمان تكميلها. ولكن في العهد الجديد جمع الأسقف في العصور الأولى **التدبير للجماعة** «مع» **الخدمة الدينية.** لذلك نسمع بوضوح عن **الموهبة** χάρισμα **بجوار** وضع اليد، حيث ينصبُّ معنى الموهبة على الامتلاء بالروح للقيادة **الروحية،** بجوار وضع اليد **للتدبير** οἰκονομία ومعناها إدارة شئون البيت وهي من أهم خصائص الأسقف:

+ «فيجب أن يكون الأسقف ... "**صالحاً للتعليم**" ... "**يدبر بيته حسناً**" ... **وإنما إن كان أحد لا يعرف أن يدبر بيته فكيف يعتني بكنيسة الله.**» (١تي٣: ٢و٤و٥)

وأخيراً، يهمنا هنا أن نوضح أن «سِرّ» وضع اليد للأسقفية هو سِرٌّ فائق على كافة الأسرار في الخدمة، لأنه يعطي للأسقف القوة الروحية «ليضع يده» هو الآخر، إنما ليس لكي يرسم مثيلاً له، لأن قانون انتقال قوة الروح القدس يلزم أن تكون من الأكثر للأقل وليس من الأقل للأكثر، ولا من المثيل للمثيل. فالأسقف ليس له ولا في طاقته الروحية أن يرسم أسقفاً، بل له في حدود قوة الروح القدس أن يرسم كاهناً.

كما يلزم هنا توضيح أن الموهبة الروحية الخاصة التي يأخذها الأسقف مع موهبة وضع اليد للأسقفية قابلة للانطفاء: «اضرم الموهبة التي فيك التي أخذتها ... "مع" وضع اليد». فالموهبة هنا نعمة روحية χάρισμα وهي التي تحفظ الأسقف من عثرات الخدمة وتُلْهِبُهُ بالروح للاستنارة والتعليم. فإذا أهملها الأسقف بقي أسقفاً ولكن بدون نعمة χάρισμα. وهذا برهان من البراهين القوية على أنه مع الطقس الكنسي توهب نعمة، وأن الخدمة قوامها نعمة الروح القدس كعطاء وحِفْظ!

رسامة القسوس بوضع يد الأسقف:

+ «من أجل هذا تركتك في كريت لكي تكمل ترتيب الأمور الناقصة وتقيم في كل مدينة

شيوخاً (قسوساً أي كهنة) πρεσβυτέρους كما أوصيتُك.» (تي ١:٥)

تيطس كان أسقفاً على كريت، وواضح من كلام بولس الرسول أنه هو الذي رسمه أسقفاً:

+ «إلى تيطس الابن الصريح حسب الإيمان المشترك.» (تي ١:٤)

وهنا لا يفرق بولس الرسول في الاسم ولا في الصفات اللازمة للرسامة بين الأسقف والقس، ولكن اعتبار أن القس شيخ من الشيوخ، فهذا يعني أنه ليس في رتبة الأسقف عملياً.

كذلك يوصي بولس الرسول تيموثاوس الأسقف أن لا يضع يده على الشيوخ πρεσβυτέρους بتسرُّع حتى لا يكون مسئولاً عن خطاياهم وأخطائهم:

+ «أناشدك أمام الله والرب يسوع المسيح والملائكة المختارين أن تحفظ هذا بدون غرض ولا تعمل شيئاً بمحاباة: لا تضع يداً على أحد بالعَجَلة، ولا تشترك في خطايا الآخرين. احفظ نفسك طاهراً.» (١تي ٥: ٢١و٢٢)

وقد ضاعف بولس الرسول من كرامة القسوس، ولكن على نفس درجة القسوسية، إذا تبيَّن أن خدمتهم صارت أفضل بشهادة الآخرين — وذلك بقوله:

+ «أما الشيوخ (القسوس) المدبِّرون حسناً، فليُحْسَبوا أهلاً لكرامة مضاعفة، ولا سيما الذين يتعبون في الكلمة والتعليم.» (١تي ٥:١٧)

وواضحٌ هنا الاتجاهان في خدمة الكاهن: «التدبير» و«التعليم». ولكن التدبير هنا له كلمة خاصة تعني **إدارة شئون الكنيسة وضبطها** = προεστῶτες. أما الاتجاه الآخر والأهم، فهو خدمة الكلمة بالوعظ والتعليم وعلى أساسهما يطلب بولس الرسول أن يعطى للقس درجة كرامة **مضاعفة** = διπλῆς (أي دوبل)، وهو ما نسميه الآن في الكنيسة بدرجة الإيغومينوس وهي درجة القس الخادم بالكلمة والوعظ.

درجة الشموسية العامة:

اسم «**شماس**» ورد في الأناجيل كلها ٨ مرات، وورد في رسائل بولس الرسول ٢٢ مرة. وقد استخدم بولس الرسول الكلمة للتعبير عن رئيس الدولة: «لأنه خادم διάκονος الله للصلاح» (رو١٣: ٤)، كما استخدمه للتعبير عن عمل المسيح: «يسوع المسيح قد صار خادم διάκονος الختان» (رو١٥: ٨)، كما استخدمه للتعبير عن خدمة بولس وأبلُّوس: «بل خادمان آمنتم بواسطتهما» (١كو٣: ٥)، ويفتخر بولس الرسول بهذا اللقب لنفسه: «الذي صرت أنا خادماً له (للإنجيل)» (أف٣: ٧)، كما أعطاه لتيموثاوس: «إنْ فكَّرت الإخوة بهذا تكون خادماً صالحاً

ليسوع المسيح» (١تي٤: ٦)، كما أعطى هذا الاسم أو اللقب لامرأة هي «فيبي»: «أُوصي إليكم بأختنا فيبي التي هي خادمة διάκονον الكنيسة التي في كنخريا.» (رو١٦: ١)

وقد استخدم بولس الرسول هذا اللقب عند تنظيم الكنيسة كدرجة من درجات الرئاسة الكهنوتية؛ فهو يرسل تحياته للشمامسة: «إلى جميع القديسين في المسيح يسوع الذين في فيلبي مع أساقفة وشمامسة» (في١: ١)، ووضع شروط رسامتهم، التي هي ليست كلها بوضع اليد. ويشترط في الشمامسة أيضاً أن يكونوا قد دبَّروا بيوتهم وأولادهم حسناً: «لأن الذين تشمَّسوا διακονήσαντες حسناً يقتنون (يحصلون) لأنفسهم درجة (وظيفة) حسنة وثقة كثيرة في الإيمان الذي بالمسيح يسوع» (١تي٣: ١٣). وهي درجة محصورة داخل الكنيسة التي تشمَّسوا عليها. ويُستثنى من هذا الوضع السبعة الشمامسة الذين رسمهم الرسل بوضع اليد ليخدموا ويبشروا أيضاً في كل الأنحاء.

وهكذا يكون في الكنيسة درجتان للشموسية: درجة بوضع اليد، وهي في عملها قريبة جداً من درجة الأساقفة، فيما عدا أنه ليس لهم الحق في وضع اليد، فهي درجة **خادمة، ومدبِّرة، ومبشِّرة.** وحدود عملها قد يزيد عن التدبير والخدمة المحلية في كنيسة واحدة لأنها ذات موهبة للتبشير، كما رأينا في السبعة الشمامسة. أما الدرجة الأخرى فبدون وضع يد. وهنا لا يسعفنا الوضع لكي نشرح درجات الشمامسة المعمول بها في الكنيسة لأننا ملتزمون بنصوص رسائل بولس الرسول.

ولكن واضح من وصف بولس الرسول لـ«فيبي» أنها شمَّاسة رسمياً لكنيسة كنخريا، أي أن نظام الشمَّاسات بدأ ظهوره في كنائس بولس الرسول.

مراجعة لما نعرفه عن الرسامات في عصر بولس الرسول:

وعلى العموم كان وضع اليد في الكنيسة الأُولى في عصر بولس الرسول منضبطاً بصورة عامة بهذه الأمور التقليدية:

أولاً: يُعيَّن المقدَّم للرسامة بدعوة صريحة من الله، سواء بالنبوة كما سمعنا من بولس الرسول فيما يخص تيموثاوس: «لا تهمل الموهبة التي فيك المعطاة لك **بالنبوة** "مع" وضع أيدي المشيخة (القسوسية)» (١تي٤: ١٤)، «حسب **النبوات** التي سبقت عليك ...» (١تي١: ١٨)، أو بصوت واضح من الروح القدس كما صار في أنطاكية بالنسبة لإرسالية برنابا وبولس التي سافرا بعدها إلى قبرص للتبشير: «قال الروح القدس أفرزوا لي برنابا وشاول ...» (أع١٣: ٢)

ثانياً: أو يُعيَّن باختيار عام من الشعب، وتقديم مَنْ يقع عليه الاختيار بواسطة الشعب للرئاسة الكنسية سواء كانوا الرسل أو الأساقفة بعد ذلك. وهو تدبير إلهي، الأصل فيه وصية من الله في العهد القديم لموسى في اختيار السبعين، ثم من الرسل: «فانتخبوا أيها الإخوة سبعة رجال منكم.» (أع٦:٣)

ثالثاً: شرط المقدَّم للرسامة هو أن يكون: «مشهوداً لهم (من الشعب) ومملوئين من الروح القدس وحكمة» (أع٦:٣)، ومشهوداً لهم من غير المؤمنين أيضاً: «ويجب أيضاً أن تكون له شهادة حسنة من الذين هم من خارج لئلا يسقط في تعيير وفخ إبليس.» (١تي٣:٧)

رابعاً: إقامة الصلوات والأصوام قبل وبعد الرسامة (أع١٣:٢و٣).

خامساً: لرسامة الأسقف يحضر جميع «الرسل»، وبعد عصر الرسل كل الأساقفة لظهور هيبة الكنيسة، ثم الشعب الخاص بالكنيسة.

سادساً: يُعطى الوصايا أمام بقية الأساقفة وكل الشعب الحاضر، لتحل هيبة (موسى) وبالتالي (الرسولية) وبالتالي (الأسقفية) على المرسوم أسقفاً ليخضع له الشعب ويطيعه.

سابعاً: قانون تسليم الخدمة لا يحتمل تسليم الأقل للأكثر ولا المثيل للمثيل، إذ يلزم أن الحاصل على القوة الروحية العليا للخدمة هو الذي يعطيها لمن هو أقل وفي حاجة إليها، ليس شكلاً بل موضوعاً. لأن قوة الروح القدس ليست خاضعة للشكليات ولا للاعتبارات الشخصية.

وفي ختام حديثنا عن «سر وضع اليد في الكنيسة» نود أن نلفت نظر القارىء أننا لسنا بصدد بحث عام عن الرسامات والدرجات في الكنيسة بصورة مطلقة وشاملة، بل نحن محاصرون في أضيق الحدود التي تسمح لنا بها النصوص التي وردت في رسائل بولس الرسول، وما ينبغي أن نستقرئه منها وعلى ضوئها(٧).

---

(٧) وسنعود إلى موضوع الدرجات الكنسية حينما نعرض **للإدارة الكنسية** بحسب مفهوم بولس الرسول (أنظر الباب الخامس ــ الفصل الثاني ــ ص٤٨٥).

الفصل الخامس

سر الزيجة

سر الزيجة وعلاقة المسيح بالكنيسة:

بولس الرسول رفع موضوع الزيجة من المستوى البشري الحسّي والجنسي إلى المستوى الروحي، آخذاً منهج المسيح. فالمسيح ردَّ الزيجة إلى الله الذي خلق الإنسان ذكراً وأنثى (مت١٩: ٤و٦)، أي أنه وضع أساس تدبيره الإلهي في الإنسان أنه يقوم على الزيجة. وقد أوضح الله ذلك بجلاء في قوله لهما بعد خلقتهما: «وباركهم الله وقال لهم أثمروا واكثروا واملأوا الأرض» (تك١: ٢٨). هنا إكليل زواجهما باركه الله بنفسه مع النسل.

وجاء بولس الرسول واتخذ من هذا البحث اللاهوتي في الزيجة — في وضعها كخليقة عتيقة — أساساً ليضع صيغته التي تتناسب مع **الخليقة الجديدة**. فانتقل من آدم الأول إلى آدم الثاني المسيح، وانتقل من حواء الأُولى إلى حواء الجديدة أي الكنيسة.

أما فيما يخص آدم الأول بالنسبة لعلاقته بحواء الأُولى، فمعروف أن الله أوقع سُباتاً على آدم فنام، وأخذ ضلعاً من أضلاعه: «وبنى الرب الإله الضلع التي أخذها من آدم امرأة وأحضرها إلى آدم، فقال آدم هذه **الآن** عظم من عظامي ولحم من لحمي» (تك٢: ٢٢و٢٣). وهكذا التصق آدم بحواء التصاق الكل بالجزء.

فجاء بولس الرسول ونقل طبيعة هذه الخليقة العتيقة للمرأة بالنسبة للرجل، أي آدم الأول، إلى وضعها الجديد في الخليقة الجديدة للكنيسة بالنسبة للمسيح، فرأى واستعلن هذه الحقيقة المدهشة، أن الكنيسة خرجت من جنب المسيح المطعون وصارت من لحمه وعظامه!! حيث الكنيسة في الواقع شملت الخليقة الجديدة، الرجل والمرأة معاً لا فرق: «**ليس ذكر وأنثى لأنكم جميعاً واحد في المسيح يسوع**» (غل٣: ٢٨). وهكذا صرنا جميعاً من لحم المسيح وعظامه: «لأننا أعضاء جسمه (الكنيسة) من لحمه ومن عظامه.» (أف٥: ٣٠)

فإن كان المسيح كرأس للخليقة ومدبِّرها قد ذكر عنه بولس الرسول من جهة علاقته بالكنيسة، أن الزيجة هي أصلاً صورة رمزية لعلاقة المسيح والكنيسة، فالزيجة بالتالي موجودة في فكر الله وتدبيره منذ قبل إنشاء العالم.

وهكذا استطاع بولس الرسول أن يستعلن حقيقة آدم وحواء مرة أخرى **في وضعهما الجديد كخليقة جديدة أنهما من عظم واحد ولحم واحد هو «لحم المسيح وعظامه»، هذا يصيران من داخل سر الكنيسة جسداً واحداً!!!**

فإن كان قد حقَّ لآدم والتزم أن يلتصق بامرأته حواء لأنها كانت عَظْماً من عظمه ولحماً من لحمه، فقد صار حقاً والتزاماً بالأكثر جداً للرجل في المسيح أن يترك أباه وأمه ويلتصق بامرأته التي أخذها من الكنيسة من جسد المسيح السري. فهي وهو صارا من لحم واحد وعَظْم واحد هو لحم المسيح وعظامه. لذلك تحتم أن يكونا بسر الزيجة في المسيح جسداً واحداً.

هذا ويرجع علينا بولس الرسول لئلا نظن أنه منشغل أساساً بعلاقة الرجل بالمرأة في ذاتهما وبصورة منفصلة، فأخذ ينبهنا أنه يستعلن علاقتهما من داخل علاقة أعلى وأعظم، هي على مستوى السر الأعظم وهو المسيح والكنيسة:

+ «من أجل هذا يترك الرجل أباه وأمه و يلتصق بامرأته ويكون الاثنان جسداً واحداً. **هذا السر عظيم، ولكنني أنا أقول من نحو المسيح والكنيسة.**» (أف٥: ٣١و٣٢)

ولكن هذا لا ينفي أن سر الزيجة هنا وعلى هذا الأساس هو سِرٌ عظيم، ولكن ليس في حد ذاته بل بانتمائه كلياً وجزئياً بسر المسيح والكنيسة. بمعنى أن سر الزواج هو سر عظيم طالما هو مرتبط بسر المسيح والكنيسة، سر الجسد السري الواحد الذي يجمع الرجل بالمرأة في وحدانية غير منفصلة.

ومن هنا صار الطلاق بالنسبة للسر على هذا المستوى أمراً لا يُطاق، لأنه يمسُّ سر الوحدة الذي تقوم عليه الكنيسة والذي يمنحه المسيح بجسده الواحد، والذي لا يُطاق أن نراه منقسماً.

الرب أعطى إمكانية الطلاق لعلة الزنا، لأن الذي يزني من الطرفين يكسر سر الوحدة تلقائياً، لأن الزنا محسوب أنه انفصال عن الله! فهنا الذي يزني قد فصل نفسه عن الله والكنيسة، أي خلخل السر المقدس وأخرجه خارج الكنيسة والجسد الواحد، فلم تعُدْ الوحدة السرِّية مع الآخر قائمة، فالطلاق هنا تحصيل حاصل.

والآن، على أي الأسس يقوم سر المسيح والكنيسة الذي ينبثق منه سر الزيجة؟

معروف أن المسيح لكي يخطب لنفسه كنيسة (شعباً جديداً مُبرَّراً)، كلَّفه ذلك الحب الباذل حتى الصليب والدم. لقد «**اشترى**» المسيح الكنيسة بدمه، ويقال أيضاً أنه «اقتناها» كعروس بدمه.

ثم كيف صارت الكنيسة عروساً مقتناة للمسيح؟ بولس الرسول يعني هنا الكنيسة حينما قال بصيغة الجمع المخاطب: «اغتسلتم بل تقدستم بل تبررتم باسم الرب يسوع وبروح إلهنا» (١كو٦: ١١)، أو كما قال أيضاً في موضع آخر: «لكي يقدِّسها مُطهِّراً إياها بغسل الماء بالكلمة لكي يحضرها لنفسه كنيسة مجيدة لا دنس فيها ولا غضن أو شيء من مثل ذلك بل تكون مقدسة وبلا عيب.» (أف٥: ٢٦)

هذه الالتزامات عينها تقع على عاتق الرجل الذي يطلب لنفسه امرأة لتكون معه **جسداً واحداً**. فالتزام الصليب هو ضمين الوحدة وحارسها، بمعنى الحب الباذل حتى الدم. وهذه الالتزامات نفسها تقع على عاتق المرأة التي تطلب ضمان الجسد الواحد وتوثيقه: «بهذا قد عرفنا المحبة أن ذاك وضع نفسه لأجلنا، فنحن ينبغي لنا أن نضع نفوسنا لأجل الإخوة (الزوج).» (١يو٣: ١٦)

فسرُّ وحدة الجسد الواحد بين المسيح والكنيسة يبقى هو عينه سر وحدة الجسد الواحد للرجل والمرأة.

ليلتفت القارىء، لأن السر المقدَّس الذي انبثقت منه الكنيسة قام على التزامات واضطرارات مريرة من جهة المسيح، أشدُّها وأمرُّها التخلية وإنكار الذات حتى الصليب، والتي قبلَها بسرور ليقتني كنيسة واحدة وحيدة متحدة به. هذه الالتزامات قائمة تلقائياً في كل سرٍّ من أسرار الكنيسة لكي ينشىء مع المسيح نفس الوحدة أو ليعيش الإنسان فيها.

فسرُّ الزيجة لا يمنح الرجل والمرأة نعمة من تلقاء تتميم السر ولكن من خلال الالتزامات التي على أساسها عُقِد هذا السر المسجل بروح الكنيسة، أي خلفية الصليب. بمعنى أنه بمقدار ما يبذل الزوج والزوجة كلٌّ منهما للآخر، بقدر ما تتولد النعمة من السر. ثم بقدر إنكار الذات كل واحد للآخر بقدر ما تضطرم المحبة وتتوثق الصلات وتقوى الوحدة ويستعلن السر. فسرُّ الزيجة هو مشروع مسيحي مضمون الربح على أساس تنفيذ بنوده، وبنوده يكتبها الاثنان معاً كل يوم باتفاق ومودة على ضوء الكلمة والصلاة ومن واقع مشاكل وأتعاب الحياة التي لا تنتهي!

الطلاق عند بولس الرسول:

الزواج سرٌّ إلهي غير منفصم إلاَّ بالموت!

+ «وأما المتزوجون فأُوصيهم لا أنا بل الرب (بالاستعلان الخاص) أن لا تفارق المرأة رجلها،

وإن فارقَتْه، فلتلبث غير متزوجة،

أو لتُصالح رجلها!!!

ولا يترك الرجل امرأته!» (١كو٧: ١٠و١١)

هذا يؤكد أن سر الزيجة هو سر وحدة في المسيح في جسد سري واحد لا يُنقض، فحتى لو أصبحت الحياة لا تُطاق بين الزوجين فليفارق الواحد منهما الآخر ولكن يبقى عقد الزيجة، كسرٍّ لا ينحل، قائماً لا يُمسُّ. فلا المرأة يُسمَح لها بالزواج الثاني ولا الرجل يُسمَح له بالزواج الثاني. ولا يكون أمامهما إلاَّ الصلح أو البقاء في الفراق. ليس هذا تعسُّفاً من بولس الرسول ولكن تقديساً للسر المقدس وتقويماً صادقاً لمفهوم قوة الوحدة التي تمت مرة واحدة وأنشأت جسداً واحداً في المسيح.

الموت يفصم عقد السر:

+ «المرأة مرتبطة بالناموس ما دام رجلها حيًّا، ولكن إن مات رجلها فهي حرة لكي تتزوج بمن تريد في الرب فقط.» (١كو٧: ٣٩)

انكسار قوة السر هنا بموت أحد الطرفين يكشف عن أمر غاية في الأهمية، وهو أن سر الزيجة ولو أنه سر إلهي إلاَّ أنه واقع في حدود الجسد والحياة الجسدية ولا يتعدى الجسد إلى الروح أو الحياة الأخرى.

فالمنطوق الموحى به بالآية واضح: «ويكون الاثنان جسداً واحداً» ولا يقول جسداً واحداً وروحاً واحداً. فقد أبقى بولس الرسول الوحدة بالروح وخصصها للالتصاق بالمسيح فقط: «وأما من التصق بالرب فهو روح واحد.» (١كو٦: ١٧)

هذه الحقيقة أوضحها المسيح عندما سألوه بشأن المرأة في السماء في الآخرة التي تزوجت سبعة رجال بسبب موتهم الواحد تلو الآخر، فكان رد المسيح أن لا أزواج ولا زوجات في السماء ولا يمارسون هناك حياة الزواج، تمكيناً من حقيقة الزواج أنه لحياة الجسد في العالم: «فأجاب يسوع وقال لهم تضلُّون إذ لا تعرفون الكتب ولا قوة الله، لأنهم في القيامة لا يُزوِّجون ولا يتزوجون، بل يكونون كملائكة الله في السماء.» (مت٢٢: ٢٩و٣٠)

قداسة الزواج تنتقل لتشمل غير المقدس!

+ « إن كان أخ له امرأة غير مؤمنة وهي ترتضي أن تسكن معه فلا يتركها،

والمرأة التي لها رجل غير مؤمن وهو يرتضي أن يسكن معها فلا تتركه،

لأن الرجل **غير المؤمن مقدَّس** في المرأة،

والمرأة **غير المؤمنة مقدَّسة** في الرجل،

وإلاَّ فأولادكم نجسون، وأما الآن فهم مقدَّسون!» (١كو٧: ١٢—١٤)

هنا الزيجة تطير بجناح واحد! فهي لا تقوم على أساس تقديس متبادَل أو على إيمان مشترك، بل تنطلق من إيمان طرف واحد وقداسة طرف واحد. فهنا غياب سر الوحدة واضح وغياب الجسد الواحد، لغياب العنصر الذي يجمع ويوحِّد. والذي بقي من سر الزيجة هو اتحاد أحد الطرفين بالكنيسة وبالجسد الواحد الذي ليسوع المسيح، حيث التقديس منحصر في طرف واحد يشمل الآخر، ولكن لا ينفذ إليه وإنما ينفذ إلى الأولاد وحسب. لذلك فهذا زواج محلول بطبيعته لا يربطه رباط سري ولا التزامي: «ولكن إن فارق غير المؤمن فليفارق. ليس الأخ أو الأخت مُستعبَداً في مثل هذه الأحوال ولكن الله قد دعانا في السلام» (١كو٧: ١٥). وكان هذا الوضع الاستثنائي للزواج وارداً باستمرار في الكنيسة الأُولى حينما كان يقبل أحد الزوجين الإيمان المسيحي ويرفضه الآخر، فكان هذا التصريح الفريد من نوعه ناتجاً من حكم الواقع الاضطراري وليس تفريطاً في شأن الزواج.

حقوق الطرفين وواجباتهما بحكم سر الزيجة المسيحي:

تعاليم بولس الرسول تؤكد على تساوي الحقوق والواجبات بين الأزواج والزوجات في الأمور الجسدية التي تختص بالعلاقات الزوجية. فقانون **الواجب** يقطع على الاثنين بالخضوع المتبادل:

+ «ليوفِ الرجل المرأة حقها **الواجب**، وكذلك المرأة أيضاً الرجل. ليس للمرأة تسلُّط على جسدها بل للرجل وكذلك الرجل أيضاً ليس له تسلط على جسده بل للمرأة. لا يسلب أحدكم الآخر إلاَّ أن يكون على موافقة إلى حين لكي تتفرغوا للصوم والصلاة ثم تجتمعوا أيضاً معاً لكي لا يجرِّبكم الشيطان لسبب عدم نزاهتكم.» (١كو٧: ٣—٥)

علماً بأن أي إخلال متعمَّد بحق كل طرف عند الآخر ينشىء حتماً خللاً في قوة سر الوحدة للجسد الواحد. لأن في سر الزيجة على وجه الخصوص تتأثر المستويات الروحية بالمستويات الجسدية بشكل حساس وخطير.

ولكنها ليست حرية مطلقة، فلا توجد الحرية المطلقة في الحياة المسيحية على وجه العموم

وبالأخص في رباط سر الزيجة، لأن المسيحي حرٌّ ولكنه خاضع لقانون الحرية الملتزم بالخضوع والطاعة لصاحب القانون ومعطيه. فالإنسان المسيحي عليه التزامات لكي يكون له حقوق. فحق الحرية هو قائم في إطار التزامات تجاه الله والآخرين. هكذا في سر الزيجة فالخضوع لله والآخر أساسي لقيام وبقاء سر الوحدة والجسد الواحد في الزيجة.

١ ـ «أريد أن تعلموا أن رأس كل رجل هو المسيح وأما رأس المرأة فهو الرجل.» (١كو١١: ٣)

هنا عدم التساوي جاء لحساب الخضوع، والخضوع جاء لحساب قيام صحة الجسد الواحد وثباته. وهكذا يرتد عدم التساوي لداعي أعلى من التساوي وهو بقاء سلامة وصحة الوحدة في الجسد الواحد.

٢ ـ «لأن الرجل ليس من المرأة بل المرأة من الرجل،

ولأن الرجل لم يُخْلَق من أجل المرأة بل المرأة من أجل الرجل.» (١كو١١: ٨و٩)

هنا، فإن عدم التساوي الذي أَوْجَبَ عمل الخضوع ليس مصطنعاً أو مفروضاً بإرادة بشرية، بل هو عنصر طبيعي منبثٌّ في الخلقة وله في التركيب الخَلْقي أسباب ومسبِّبات، أوضحها الله في بدء الخلقة حينما تسرعت حواء وتصرفت تصرفاً خاطئاً ومشيناً دون أن تُشْرِك زوجها، فوقعت في الخطية والتعدّي وأَوْقَعَتْ زوجها: «وقال (الله) للمرأة تكثيراً أُكثِّر أتعاب حَبَلِك، بالوجع تلدين أولاداً، **وإلى رجلك يكون اشتياقك، وهو يسود عليك**» (تك٣: ١٦). لقد تعالت حواء على آدم وأخلَّت بواجبات التساوي في التصرف والمسئولية وسادت عليه برأيها الخائب، فسحب الله منها حق التساوي المطلق وجعل لزوجها حق السيادة عليها. ولكي لا يجعل هذه السيادة غير مفروضة بالعنف والإرادة، ثبَّتها في غريزة المرأة لكي تسعى المرأة بنفسها لسيادة الرجل عليها بحكم طبيعتها: «إلى رَجُلِكِ يكون اشتياقك». وبذلك ارتدت هذه السيادة، أي عدم التساوي، لحساب بقاء الوحدة والأُلفة بين المرأة والرجل شديدة ومستمرة بحكم الطبيعة.

وقد تسحَّب هذا الحكم بعدم التساوي الذي يعمل لحساب قيام ودوام وحدة سر الجسد الواحد في المسيح إلى التزامات على المرأة وعلى الرجل:

+ «لتتعلَّم المرأة بسكوت في كل خضوع، ولكن لست آذن للمرأة أن تعلِّم ولا تتسلَّط على الرجل (في الكنيسة) بل تكون في سكوت. لأن آدم جُبِل أولاً ثم حواء، وآدم لم يُغْوَ لكن المرأة أُغويت فحصلت في التعدي.» (١تي٢: ١٣و١٤)

هنا بولس الرسول لا يستخدم الأوضاع قَسْراً ليثبت رأيه بل يستمد تعليمه من واقع طبيعة المرأة

والرجل قبل وبعد الغواية والسقوط في التعدي. **فطبيعة المرأة أقرب لغواية العدو من الرجل ــ وقد انتهز الشيطان هذه الطبيعة والتجأ إلى حواء وليس آدم** ــ وهذا يحرمها من حق المبادرة في تعليم الرجل ويعطي للرجل حق السيادة في التعليم الصحيح، هذا من ناحية التعليم. أما من ناحية الظهور برأس مكشوفة في الكنيسة، فبولس الرسول يستمد تعليمه من واقع قدرة المرأة هي بذاتها على الغواية، فهي سقطت من جراء غواية الحية أولاً **ثم أغوت هي زوجها بالتالي، فأسقطته وأوقعته في الخطية ــ وهو قائم في الفردوس عند الله!!!** ــ فبولس الرسول هنا يضبط عنصر الغواية **داخل** كنيسة الله (١كو١١: ٥و٦).

ولكن يعود بولس الرسول ويصحح هذا التمايز الحادث اضطراراً في عدم التساوي بين الرجل والمرأة من جراء ذات الطبيعة التي فرّقت بين الرجل والمرأة سواء قبل السقوط أو بعده، بتأكيد عدم التمايز في الحقوق الروحية في المسيح وبالتالي وبالضرورة في الروح والأمور الأبدية على وجه العموم:

+ «غير أن الرجل ليس من دون المرأة ولا المرأة من دون الرجل **في الرب**.» (١كو١١:١١)
وهذا هو الأهم والأعظم من كل حقوق أرضية زائلة.

+ «ليس ذكر وأنثى، لأنكم جميعاً واحد **في المسيح يسوع**.» (غل٣:٢٨)

وبالنهاية، فالزيجة في المسيحية تعبِّر من واقعها الفائق في الارتباط السرِّي بحقيقة الجسد الواحد وما يُنشئه من وحدة الفكر والحب والخضوع والبذل المتبادل، تعبيراً ينطق بقداسة هذا السر الفائق.

الزواج والبتولية عند القديس بولس:

بقدر تفوّق سر الزيجة في علو شأنه ومكانته في الحياة المسيحية، تبقى للبتولية عند بولس الرسول أفضلية من واقع الاختيار الحر والاستطاعة على تحمُّل التكاليف!:

+ «ولكن أقول لغير المتزوِّجين وللأرامل أنه حَسَنٌ لهم إذا لبثوا كما أنا.» (١كو٧:٨)
+ «لكن أقول هذا على سبيل الإذن لا على سبيل الأمر.» (١كو٧:٦)
+ «لأني أريد أن يكون جميع الناس كما أنا، لكن كل واحد له موهبته الخاصة من الله.» (١كو٧:٧)

+ «وأما العذارى فليس عندي أمر من الرب فيهن، ولكنني أُعطي رأياً كمن رحمه الرب أن يكون أميناً،
فأظن أن هذا حسن لسبب الضيق الحاضر أنه حسن للإنسان أن يكون هكذا،
أنت مرتبط بامرأة فلا تطلب الانفصال، أنت منفصل عن امرأة فلا تطلب امرأة،

لكننك وإن تزوَّجْتَ لم تخطىء، وإن تزوَّجَتْ العذراء لم تخطىء، ولكن مثل هؤلاء يكون لهم ضيق في الجسد،
وأما أنا فإني أُشفق عليكم.» (١ كو٧: ٢٥—٢٨)

+ «فأريد أن تكونوا بلا همٍّ، غير المتزوج يهتم في ما للرب كيف يرضي الرب.» (١ كو٧: ٣٢)
+ «غير المتزوجة تهتم فيما للرب لتكون مقدسة جسداً وروحاً.» (١ كو٧: ٣٤)
+ «هذا أقوله لخيركم، ليس لكي أُلقي عليكم وهقاً (كَبْتاً) بل لأجل اللياقة والمثابرة للرب من دون ارتباك.» (١ كو٧: ٣٥)
+ «وأما مَنْ أقام راسخاً في قلبه وليس له اضطرار بل له سلطان على إرادته وقد عزم على هذا في قلبه أن يحفظ عذراءه، فحسناً يفعل.» (١ كو٧: ٣٧)
+ «إذاً مَنْ زوَّج فحسناً يفعل، ومَنْ لا يُزوِّج يفعل أحسن.» (١ كو٧: ٣٨)

o نخلص من هذا أن الزيجة كسرٌ مقدس هي ارتباط بالله والجسد،
وأما البتولية فهي ارتباط بالله لتقديس الروح والجسد،
من أجل هذا نشأ امتياز البتولية عند القديس بولس!!
o فإذا انحاز المتزوج للجسد من دون الله أخلَّ بالسرِّ وفَقَدَ قدسيته.
o وإذا انحاز البتول للجسد من دون الله أتلف صلته بالله وفقد امتياز تقديس الروح والجسد كليهما!!

الباب الخامس

الكنيسة في لاهوت بولس الرسول

الفصل الأول

الكنيسة بالمفهوم الروحي

القديس بولس الرسول هو أول مَنْ وضع الاسم الوصفي للكنيسة ليعبِّر عن معنى تركيبها ووجودها وصفاتها بصورة شاملة: **فالكنيسة هي جسد المسيح**، والمؤمنون فيها هم **أعضاء الجسد المسيح**، وهؤلاء الأعضاء هم **القديسون** أو المقدَّسون من واقع خروجهم جميعاً من معمودية واحدة كشركة في موت المسيح وقيامته، ومن واقع مَسْحهم جميعاً بالروح القدس لتثبيتهم ثم تناولهم جميعاً من الجسد الواحد للغفران والتقديس والاتحاد بالروح وتجديد العهد.

الكنيسة هي جسد المسيح:

بولس الرسول هو الذي استعلن هذا السر. على أي أساس؟ على أساس أن المسيح عندما بدأ يتألم وعندما مات على الصليب وعندما دُفن وعندما قام من الأموات، لم يكن ليتألم ويموت ويُقبر ويقوم بمفرده بل كان يحمل البشرية المُفدَاة. لذلك جاز لنا أن نقول إننا تألمنا ومُتنا ودُفنَّا وقمنا معه بل وجلسنا معه في السموات.

ولكن كيف يكون الجميع واحداً؟ أي كيف يصير الأفراد المؤمنون بالمسيح وهم فرادى في وجودهم وحياتهم، كيف يصيرون واحداً، جسداً واحداً وكنيسة واحدة؟ الرد على ذلك يقوله بولس الرسول في الآية: «مَنْ التصق بالرب فهو روح واحد» (١كو٦: ١٧)، في مقابل: «مَنْ التصق بزانية هو جسد واحد لأنه يقول يكون الاثنان جسداً واحداً» (١كو٦: ١٦). فالأفراد المؤمنون بالمسيح لا يصيرون واحداً بإمكانياتهم الذاتية الشخصية أو حتى الروحية، ولكن لأن كل واحد قد التصق بالمسيح وصار مع الرب روحاً واحداً، هكذا يصير الجميع في الرب أيضاً جسداً واحداً.

فالوحدة تتم في المسيح أولاً، وعندما تتوثق وحدة المؤمنين في المسيح فرداً فرداً، تعود هذه الوحدة التي هي بعينها الكنيسة الواحدة ليتمتع أفرادها بالوحدة القائمة بينهم في المسيح.

ويُلاحظ أن بولس الرسول حينما يقول إن «مَنْ التصق بالرب فهو روح واحد»، فإنه لا يقصد أنه روح بلا جسد، بل هو جسد روحاني، بمعنى أنه جسد يعيش القيامة، ليعيش بالروح ويسلك بالروح، فهو يقصد الجسد القائم من الأموات الذي يجمع فيه كل المقدَّسين موحَّدين فيه.

فالكنيسة أعضاء مختلفة ذات مواهب مختلفة وذات اختصاصات وأعمال مختلفة، ولكن لأن كل عضو فيها متحدٌ أصلاً بالمسيح وقد صار مع الرب أو في الرب روحاً واحداً، فقد صار بل تحتم أن يكون جميع أعضاء الكنيسة جسداً واحداً للمسيح.

فالكنيسة في نفسها هي أعضاء كثيرة متباينة ومختلفة ومتمايزة، ولكن في المسيح أعضاء متحدة معاً بجسد واحد، والمسيح يسوسها كرأس لها.

+ «وكل أعضاء الجسد الواحد إذا كانت كثيرة هي جسد واحد، كذلك المسيح أيضاً.» (١كو١٢:١٢)

+ «فإننا نحن الكثيرين خبز واحد، جسد واحد، لأننا جميعنا نشترك في الخبز (الجسد) الواحد.» (١كو١٠:١٧)

+ «هكذا نحن الكثيرين جسد واحد في المسيح، وأعضاء بعضاً لبعض كل واحد للآخر.» (رو١٢:٥)

+ «ليس يهودي ولا يوناني، ليس عبدٌ ولا حرٌّ، ليس ذكر وأنثى، لأنكم جميعاً واحد في المسيح يسوع.» (غل٣:٢٨)

+ «مجتهدين أن تحفظوا وحدانية الروح برباط السلام، جسدٌ واحدٌ وروحٌ واحدٌ.» (أف٤:٣و٤)

في هذه الآية الأخيرة، الوحدانية التي للجسد الروحي موجودة وقائمة في المسيح، لا نصنعها نحن، ولكن المطلوب أن نجتهد لنحافظ عليها. أما وجودنا في الجسد فيراه بولس الرسول أنه وجود اتصالي واقعي حيٌّ كوجود الغصن في الكرمة كما قال المسيح (يو١٥:٥). من هنا يأتي تعبير بولس الرسول «في المسيح» أي في الجسد، في جسده تصالحنا (كو١:٢٢)، وفي ختانته اختتنَّا (كو٢:١١)، وفي المسيح صرنا قريبين وبلا لوم (أف٢:١٣)، وفيه نأخذ حياتنا (رو٦:١١)، وفي المسيح نلنا الفداء (رو٣:٢٤)[1]، الذي فيه لنا الفداء والغفران (كو١:١٤)، وفيه تبرَّرنا

---

(١) يلاحظ في هاتين الآيتين (رو٦:١١) و(رو٣:٢٤) أن عبارة: «بالمسيح يسوع» و «بيسوع المسيح» هي في الأصل اليوناني: «في ἐν المسيح يسوع»، و «في ἐν يسوع المسيح».

(غل٢: ١٧)، وفيه تقدّسنا (١كو١: ٢)، «وأقامنا معه وأجلسنا معه في السماويات في المسيح يسوع.» (أف٢: ٦)

ومن هذه الشواهد وأمثالها التي تزيد عن المائة والستين(٢) يتضح منهج بولس الرسول في تعريف الكنيسة كجسد المسيح الذي فيه يحيا المؤمنون كأعضاء فيه. فالصلة التي تربط المؤمنين بالمسيح هي صلة عضوية حية قابلة للنمو والإثمار وغير قابلة للموت أو الانحلال: «وأبواب الجحيم لن تقوى عليها.» (مت١٦: ١٨)

وهذا الفكر نجده معبّراً عنه تعبيراً واقعياً عند بولس الرسول في تشبيه المؤمنين من الأمم بأفرع زيتونة برّية قُطعت من أصولها المرة وطُعّمت على الزيتونة الجيدة (رو١١: ١٦–٢٤)، حيث الزيتونة الجيدة هي جسد المسيح بلا شك، على أنه لم يَخْفَ على بولس الرسول الخطأ الطبيعي في هذا الوصف النباتي (لأن الفرع المُر يُنْتِج زيتوناً مرًّا)، لذلك يصحح الوصف بقوله: «بخلاف الطبيعة» قاصداً أنه أمر إعجازي حقيقي. هنا في هذا الوصف يتضح الاتحاد العضوي الحادث بين المؤمنين والمسيح، وبالتالي بين المؤمنين بعضهم مع بعض، حيث المؤمنون يستمدُّون وحدتهم وألفتهم وحبهم معاً من المسيح وليس من أنفسهم أو تقواهم. وكل ما يفرضه بولس الرسول على المؤمنين هو أن يجتهدوا لحفظ هذه الوحدانية بالصلح والتسامح والصفح والغفران قدر ما أُوتوا من نعمة. أما حبهم بعضهم لبعض فهو من رصيد محبة الله التي تنسكب في قلوبهم بالروح القدس المعطى لهم، ومن توسط دم المسيح الذي سكبه طاعة لحب الآب وحبنا. على أن المؤمنين لم يعودوا يعيشون لأنفسهم بعد بل لأجل الذي مات من أجلهم وقام (٢كو٥: ١٥)، وصار الكل في الكل (كو٣: ١٠).

على أن الكنيسة باعتبارها المؤمنين المعتبرين جسداً متحداً، هي جسد عضويّ حي بالروح له صفة النماء. ونمو الأعضاء المتحدين هو نمو في المسيح ومن داخل المسيح: «صادقين في المحبة ننمو في كل شيء فيه εἰς αὐτόν (وليس "إلى" كما جاء في الترجمة العربية)» (أف٤: ١٥)، فالكنيسة كمؤمنين متحدين فإن نموها ضرورة حتمية لأنها جسد حي، ونموها يكون في المسيح وفيما للمسيح.

والكنيسة حينما تُخْلص في إيمانها (أي الأعضاء المؤمنون فيها) وتحيا وتنمو فيما للمسيح وتمتد فيه حقاً، فإنها (أي الكنيسة) لا تعود تعيش لذاتها أو بذاتها ولكن المسيح يعيش فيها وبها. وهذا

---

(٢) أنظر صفحة ٢٦٤.

ما عبَّر عنه بولس الرسول معطياً نفسه نموذجاً لهذا التصوُّر: «مع المسيح صُلبتُ فأحيا لا أنا، بل المسيح يحيا فيَّ. فما أحياه الآن في الجسد فإنما أحياه في الإيمان، إيمان ابن الله الذي أحبَّني وأسلم نفسه لأجلي» (غل ٢: ٢٠). بولس الرسول هنا يتكلم في الحقيقة بلسان الكنيسة ككل وبلسان كل مؤمن حي فيها.

لذلك فكل الأسماء والتعبيرات القديمة التي كانت تخص شعب الله في القديم وتسحَّبت إما بالمعنى أو بالنص على الكنيسة الجديدة في العهد الجديد، فإنها تكون قد فقدت قدرتها على التعبير اللاهوتي الصحيح عن الكنيسة من واقع صلتها بالمسيح الفادي.

فهي ليست شعب الله بمفهومه في العهد القديم، بل هي شعب الله المَفْدِي.

وليست هي جماعة الرب بمفهومها القديم، بل هي جماعة القديسين المتحدين بجسد الرب.

وهي أيضاً ليست جماعة المختارين، بل هي جماعة المختارين المقدَّسين في المسيح.

وهكذا فكل صفة من صفات الكنيسة في الماضي ــ حتى اسم الكنيسة نفسه الذي استُخدم في السبعينية للتعبير عن شعب الله ــ لم يَعُد يصلح للتعبير عن واقع الكنيسة في العهد الجديد باعتبارها جسد المسيح وبالتالي هيكل الروح القدس. والمؤمنون فيها هم الجسد الحقيقي السرِّي للمسيح، والمسيح نفسه هو رأس الكنيسة.

+ «المسيح أيضاً رأس الكنيسة وهو مُخلِّص الجسد.» (أف ٥: ٢٣)

+ «لأننا أعضاء جسمه من لحمه ومن عظامه.» (أف ٥: ٣٠)

+ «وأخضع كل شيء تحت قدميه، وإياه جعل رأساً فوق كل شيء للكنيسة، التي هي جسده ملء الذي يملأ الكل في الكل.» (أف ١: ٢٢و٢٣)

+ «صادقين في المحبة ننمو في كل شيء إلى ذاك الذي هو الرأس «المسيح» الذي منه كل الجسد مُركَّباً معاً ومقترناً بمؤازرة كل مفصلٍ حسب عملٍ على قياسٍ كل جزء، يُحصِّل نموَّ الجسد لبنيانه في المحبة.» (أف ٤: ١٥و١٦)

أما كيف تكوَّن هذا الجسد السرِّي للكنيسة لكي يكون هو نفسه جسد المسيح الحقيقي، فيشرحه بولس الرسول مُعطياً المعمودية نقطة الخلق الجديد لهذا الجسد السرِّي:

+ «لأنكم جميعاً أبناء الله بالإيمان بالمسيح يسوع، لأن كُلَّكم الذين اعتمدتم بالمسيح (في المسيح) قد لَبِستم المسيح.» (غل ٣: ٢٦و٢٧)

+ «لأننا جميعنا بروح واحد أيضاً اعتمدنا إلى جسد واحد.» (١كو ١٢: ١٣)

+ «حيث ليس يوناني و يهودي، ختان وغُرْلة، بربريٌّ سكيثيٌّ، عبدٌ حرٌّ، بل المسيح الكل وفي الكل.» (كو٣: ١١)

+ «مجتهدين أن تحفظوا وحدانية الروح برباط السلام، جسد واحد وروح واحد، كما دُعيتم أيضاً في رجاء دعوتكم الواحد، ربٌّ واحد، إيمان واحد معمودية واحدة، إله وآب واحد للكل الذي على الكل و بالكل وفي كلكم.» (أف٤: ٣—٦)

ومن هذا الواقع والأساس، تأخذ الكنيسة صفاتها الجوهرية: **مقدسة**، لأن جسد المسيح مقدس؛ **وجامعة**، لأن جسد المسيح يجذب الجميع: «وأنا إن ارتفعتُ عن الأرض أجذبُ إليَّ الجميع» (يو١٢: ٣٢)؛ **ورسولية**، لأن المسيح بناها على صخرة إيمان الرسل: «أنت بطرس وعلى هذه الصخرة أبني كنيستي» (مت١٦: ١٨). كذلك من منطلق تكوينها السري كجسد المسيح فهي مُتغرِّبة على الأرض ووطنها الحقيقي في السماء، لذلك فجزؤها الذي يجاهد عَبْر الزمن هو الجسد المتألم بعد، وجزؤها الذي أكمل الجهاد والسعْيَ وأخذَ إكليل البرِّ الأبدي في السماء هو جزؤها الممجَّد والمنتصر، الذي يبشر الآن لدى السمائيين بعمل المسيح الذي صار لنا حكمة من الله وقداسة وفداء: «لكي يُعرَّف الآن عند الرؤساء والسلاطين في السماويات بواسطة الكنيسة بحكمة الله المتنوعة، حسب قصد الدهور الذي صنعه في المسيح يسوع ربنا.» (أف٣: ١٠و١١)

و بهذا تكون الكنيسة بصفتها جسد المسيح المتألم والممجَّد هي ملء السماء والأرض، و بهذا أيضاً يكون أعضاء الكنيسة المجاهدون على الأرض لهم سحابة شهود في السماء تُعين وتشجِّع الذين يحاضرون بالصبر في الجهاد الموضوع أمامهم حتى الدم. فالكنيسة تحيا الآن وتتحرك على مَرْأى من كنيسة أورشليم السماوية مدينة الله الحي، نصفها الأعلى كنيسة أبكار (أبكار قيامة) مكتوبين في السموات وأرواح أبرار مكمَّلين. والكل هنا وهناك جسد واحدٌ من لحمه وعظامه: «وأما أورشليم العليا التي هي أُمُّنا جميعاً فهي حرَّة» (غل٤: ٢٦). فأنين الأرض يُسمع في السماء، وتهليل السمائيين يشدِّد أَزْر الأرضيين ويهتف بنا أن تعالوا:

+ « أنا يسوع أرسلت ملاكي لأشهد لكم بهذه الأمور عن الكنائس،
أنا أصل وذُرِّية داود، كوكب الصبح المنير،
والروح **والعروس يقولان تعال**،
ومَنْ يسمع فليَقُلْ تعال. ومَنْ يعطش فليأتِ. ومَنْ يُرِدْ فليأخذْ ماءَ حياةٍ مجاناً.»

(رؤ٢٢: ١٦و١٧)

و بذلك تتحرك الكنيسة ككل نحو استعلانها الأخير في ملكوت الله.

القديس بولس هو أول مَنْ استعلن الكنيسة في المسيح قبل باقي الرسل جميعاً، وأعطاها هذه المعايير القائمة على الفداء وسفك دم المسيح. فالكنيسة عند بولس الرسول «اقتناها الله بدمه»، والتي رآها القديس يوحنا في رؤياه بعد ذلك ـــ بما يقرب من أربعين سنة ـــ أنها مُشْتراة بالدم: «لأنك ذُبِحْتَ واشتريتنا لله بدمك من كل قبيلة ولسان وشعب وأمة، وجعلتنا لإلهنا ملوكاً وكهنة...» (رؤ٥: ٩و١٠). والدم الذي اشترانا به المسيح لم يَسْفكه على الأرض هباءً حسب الظاهر، بل سكبه بالروح والحق الذي فيه في قلوبنا، وسَرَى في دمائنا فقدَّسنا ووحَّدنا بالوحيد:

+ «كأس البركة التي نباركها، أليست هي شركة دم المسيح؟ الخبز الذي نكسره أليس هو شركة جسد المسيح؟ فإننا نحن الكثيرين خبز واحد جسد واحد لأننا جميعنا نشترك في الخبز الواحد.» (١كو١٠: ١٦و١٧)

فالسرُّ المقدس صار سرَّ كياننا الحقيقي المنظور لديه في السماء. فقد صرنا من لحمه ومن عظامه: «لأننا أعضاء جسمه من لحمه ومن عظامه.» (أف٥: ٣٠)

كذلك، فالقديس بولس هو أول مَنْ ربط الكنيسة بالروح القدس، وجعله عمودها الفقري وهيكل تكوينها الذي نَبَتَ عليه لحمُها وعظمُها من لحم المسيح وعظمه:

o **سواء على مستوى كل فرد بمفرده:**

+ «أما تعلمون أنكم هيكل الله وروح الله يسكن فيكم! ... لأن هيكل الله مقدس الذي أنتم هو!!» (١كو٣: ١٦و١٧)

+ «أم لستم تعلمون أن جسدكم هو هيكل للروح القدس الذي فيكم الذي لكم من الله، وأنكم لستم لأنفسكم، لأنكم قد اشتُرِيتُم بثمن، فمجِّدوا الله في أجسادكم وفي أرواحكم التي هي لله.» (١كو٦: ١٩و٢٠)؛

o **أو على مستوى الكنيسة ككل، كمجموع، لهذا النموذج الفردي المتقدِّس بالروح:**

+ «مبنيين على أساس الرسل والأنبياء ويسوع المسيح نفسه حجر الزاوية، الذي فيه كل البناء مركباً معاً ينمو هيكلاً مقدساً في الرب،

الذين فيه أنتم أيضاً مبنيون معاً، **مسكناً لله في الروح.**» (أف٢: ٢٠ـــ٢٢)

كذلك، وعلى أساس تقديس الروح في المعمودية لكل مَنْ تعمَّد، صار أعضاء الكنيسة مقدَّسين، لائقين بالحق أن يكونوا أعضاءً في جسد المسيح، وهكذا يُدْعَى المؤمنون بالمسيح قديسين بلا حرج.

+ «وهكذا كان أُناس منكم، لكن اغتسلتم (تعمدتم)، بل تقدستم، بل تبررتم باسم الرب يسوع وبروح إلهنا.» (١كو٦: ١١)

كذلك وعلى مستوى الكنيسة ككلٍّ، فإن بولس الرسول تصورها وقد عمَّدها المسيح وغسلها بيده، وطهَّرها بدمه وبالكلمة، لكي يُحضرها لنفسه عروساً بلا دنس ولا عيب، مجيدة، كشريكة في مجده:

+ «كما أحب المسيح أيضاً الكنيسة وأسلم نفسه لأجلها، لكي يقدسها مُطهِّراً إياها بغسل الماء بالكلمة، لكي يُحضرها لنفسه كنيسة مجيدة لا دنس فيها ولا غَضَن أو شيء من مثل ذلك، بل تكون مقدسة وبلا عيب.» (أف٥: ٢٥-٢٧)

وهنا يبلغ بولس الرسول أروع التعبير عن سرِّ جمع المؤمنين كفرادى، حيث صيَّرهم المسيح واحداً في جسده كنيسة واحدة وحيدة أحبها المسيح ككل، فبعد أن وحَّد أفرادها بدمه وجسده، وحَّدهم بحبه.

هنا يرمي بولس الرسول التشبيه إلى بعيد، فكما أُخذ من جنب آدم ضلع من ضلوعه وملأه الله لحماً فصار حواء وصارت حواء من لحمه وعظامه، هكذا المسيح أطعمنا جسده ودمه — الخارج من جنبه — فصرنا من لحمه وعظامه وصرنا كنيسة، وأحبها المسيح كما أحب آدم امرأته لأنها من لحمه وعظامه. وكما أن آدم أخذ حواء امرأة له وصار الاثنان واحداً لأنهما من جسد واحد، هكذا المسيح أخذ الكنيسة له عروساً، ولكن حواء فقدت عذراويتها بخداع الحية، أما الكنيسة فقد حفظها عذراء عفيفة بلا دنس، إذ قدَّسها بدمه وجعلها واحداً معه لأنها من جسده، بل هي جسده!! (٢كو١١: ٢):

+ «وبنى الرب الإله الضلع التي أخذها من آدم امرأة وأحضرها إلى آدم، فقال آدم: هذه الآن عظمٌ من عظامي ولحمٌ من لحمي.» (تك٢: ٢٢و٢٣)

هكذا أتقن بولس الرسول الرؤيا وفسَّر الاستعلان بقوله:

+ «لأننا أعضاء جسمه من لحمه ومن عظامه.» (أف٥: ٣٠)

ونحن إذا أردنا تعريف الكنيسة في وضعها الآن في العهد الجديد، نقول إنها «جسد المسيح»، ولا نرى إمكانية الاكتفاء بتشبيهات ومسمَّيات الكنيسة في العهد القديم التي كانت كلها محاولات للتعبير عن الحقيقة التي تعيشها الكنيسة الآن باستعلان عمل الفداء. فحتى الكرمة في العهد القديم التي شرحها المسيح بأنه هو الكرمة ونحن الأغصان، أو الحظيرة التي كانت تُشبَّه

شعب إسرائيل بالخراف وشرحها المسيح بأنه هو الراعي الحقيقي ونحن الخراف، أو حتى محاولة بولس الرسول لتقليد أمر الكرمة بتشبيه الآباء والأنبياء بجذر حيٍّ وساق مقدَّسة لزيتونة أصلية، ونحن فروع لزيتونة برِّية طُعِّمنا على الأصل وصرنا شركاءَ في دسم الجذر والساق. هذه كلها انتهت إلى استعلان بلغ أقصى التعبير والصحة عن واقع الكنيسة السرِّي، أننا **جسد المسيح وأعضاء من لحمه وعظامه**، كنيسة هي في حقيقة استعلانها عروس من السماء:

+ «ثم جاء إليَّ واحد من السبعة الملائكة ... وتكلم معي قائلاً: هلم فأُريك العروس امرأة الخروف، وذهب بي بالروح إلى جبل عظيم عالٍ وأراني المدينة العظيمة أورشليم المقدسة نازلة من السماء من عند الله لها مجد الله.» (رؤ٢١: ٩—١١)

+ «وأنا يوحنا رأيت المدينة المقدسة أورشليم الجديدة نازلة من السماء من عند الله مُهيَّأة، كعروس مُزيَّنة لرجلها.» (رؤ٢١: ٢)

و بولس الرسول لم تَفُتْ عليه هذه الرؤية، فهو واحد من الذين زَفُّوا هذه العروس لعريسها:

+ «فإني أغار عليكم غيرة الله، لأني خطبتُكُم لرجلٍ واحدٍ، لأُقدِّم عذراء عفيفة للمسيح. ولكنني أخاف أنه كما خدعت الحية حواء بمكرها هكذا تُفْسَدُ أذهانكم عن البساطة التي في المسيح.» (٢ كو١١: ٢و٣)

وزواج المسيح للكنيسة كلحم من لحمه وعظم من عظامه هو السرُّ الأعظم الذي اطَّلع عليه بولس الرسول فانعكس على روحه بأشعة أضاءت له كل خفايا علاقة الإنسان الجديدة بالله:

+ «هذا السرُّ عظيم، ولكنني أنا أقول من نحو المسيح والكنيسة.» (أف٥: ٣٢)

ولكن للمعمدان يعود قَصَب السَّبْق في التعبير عن المسيح كعريس لعروس قبل أن تظهر في الوجود:

+ «أنتم أنفسكم تشهدون لي أني قلت لست أنا المسيح بل إني مُرْسَلٌ أمامه. مَنْ له العروس فهو العريس، وأما صديق العريس الذي يقف ويسمعه يفرح فرحاً من أجل صوت العريس. إذاً فرحي هذا قد كمل.» (يو٣: ٢٨و٢٩)

أما المسيح فوافق على أنه هو العريس بالفعل، وافق مَنْ سَبَقَ فاستعلنه في عتمة الزمان، كالمعمدان، ومَنْ سَبَقَه من الأنبياء، ومَنْ سيستعلنه مستقبلاً في نور وجهه الذي أشرق علينا من السماء كبولس الرسول — وذلك حينما طرح المسيح أولاً رؤية الملكوت القادم في صورة كنيسة صغيرة نصفها عذارى جاهلات ونصفها الآخر عذارى حكيمات، حيث العذراوية هنا على مستوى النفوس التي أخذت ختم الخليقة الجديدة. فنصفها نفوس حفظته على مخزون زيت النسك والعبادة،

ونصفهـا الآخر بدَدته ولم تختزن زيتاً. وأخيراً جاء العريس ببوق وهتاف، فلاقته كنيسة الأبكار ودخلوا معه وأُغلق عليهم الباب. هذا هو منظر الملكوت الآتي، وفيه المسيح كعريس يقود كنيسته إلى مجدها المُعدّ.

كذلك، فالمسيح كان يرى نفسه على الأرض عريساً مع بني العرس، جاء ليخطب عذراء جديدة عوض الشعب الذي سلَّمه كتاب طلاق: «أين كتاب طلاق أُمكم التي طلقتُها ... من أجل ذنوبكم طُلِّقتْ أمكم.» (إش٥٠: ١)

+ «فقال لهم يسوع هل يستطيع بنو العرس أن ينوحوا ما دام **العريس** معهم، ولكن ستأتي أيام حين يُرْفَعُ العريس عنهم فحينئذ يصومون.» (مت٩: ١٥)

أما كل هذه الصور التي تحكي وتصف علاقة الرب بالإنسان عامة وخاصة، كنيسة وأفراداً، علاقة الالتصاق الشديد والاتحاد حتى إلى صورة العريس والعروس والجسد الواحد، فهذه كلها مردُّها إلى مصدرها الأول السرِّي للغاية حينما «صار الكلمة جسداً». لقد اتحدت الطبيعة الإلهية بالطبيعة البشرية في زيجة أبدية غير منفصمة ولكن خلْواً من خطية. هذا هو الاتحاد السري العجيب الذي انبثق منه كل مفهوم للاتحاد! فحينما «ظهر الله في الجسد»، ظهر في الحال عُرْسُ الله على أرض الإنسان، كانت أشابينه ملائكةً في السماء تُهلِّل، ومدعووه حكماء يسجدون ويقدِّمون الهدايا ورعاةٌ مُتبدُّون يحرسون حراسات الليل الطويل، وخِدْرُه كان عذراءَ قديسة حلَّ عليها روح الله! كان المسيح طفل المذود هو هو كنيسة المهد، وعلى الصليب كنيسة الفداء المخضَّبة بالدماء، وفي اليوم الثالث كنيسة القيامة وقد ثبَّتت وجهها نحو السماء حيث ميراثها المحفوظ لها قبل كل الدهور.

كان تاريخ العُرْس العلني هو يوم الخميس، حيث كان عشاء العرس السرِّي حينما قدَّم الرب المهرَ دَمَه في الكأس، وفي يوم الجمعة زُفَّ على الصليب، وفي اليوم الثالث خرج العريس من حِجَاله متجلياً متحداً بعروسه، حيث أخذها إلى المواطن العليا إلى أن يُكمِّل أبناؤها، جيلاً بعد جيل، حتى تمام الفداء لغُربة الإنسان على أرض الشقاء.

الكنيسة والكنائس:

«**الكنيسة**» بتعبير القديس بولس الرسول هي «ملءٌ» في حد ذاتها، كاملة ومُكتمَلَة بجسد المسيح، توجد في كل مدينة، بل وفي كل بيت: «سلِّموا على الإخوة ... وعلى نمفاس **وعلى الكنيسة التي في بيته**» (كو٤: ١٥)، وهي في ذات الوقت موجودة في السموات، بل ولها وجود خارج عن

المكان والزمان، فهي كيان سرِّي قائم بقيام جسد المسيح. لذلك يقول بولس الرسول إنها ملءُ المسيح الذي يملأ الكل: «وإياه جعل رأساً فوق كل شيء للكنيسة ــ التي هي جسده ــ ملء الذي يملأ الكل في الكل» (أف ١: ٢٢و٢٣). وتصحيح ترجمة هذه الآية يكشف عمق معناها بحسب اليونانية: «وإياه جعل رأساً فوق كل شيء للكنيسة ــ التي هي **جسده ملؤه** (أو ملء ذاك) الذي يملأ الكل في الكل».

فالكنيسة كجسد الرب تماماً بتمام. إذا تناول منه الإنسان جزءاً مهما كان يسيراً، فهو قد تناول جسد المسيح كله بالتمام. والجسد يُقدَّم كل يوم على مذبح، آلاف وملايين المذابح، وهو جسد واحد لا يتجزأ. هكذا الكنيسة، هي كلٌّ يتجزأ شكلاً ويتسمى باسم كل مدينة، وفي ذات الوقت هي كيان روحيُ كلّي قائم في كل كيان جزئي ظاهري.

فهي ليست جماعة مؤمنين وحسب، ولا هي مجموع كلي لكل المؤمنين فحسب، لأنها تفوق التجميع وتتعدَّاه إلى الوحدة، فهي كلٌّ في كل جزء. لذلك يقول بولس الرسول مُعبِّراً عن هذه الحقيقة بلفظ سهل عفوي، مثلاً: «كنيسة الله التي في كورنثوس» (١كو١ :٢)، فهي كنيسة الله في كل مكان، وهي كنيسة واحدة وحيدة بحسب كيانها الجوهري، لأنها «عروس المسيح» و«جسده» و«هيكل الروح القدس».

معايير الكنيسة اللاهوتية الأربعة

واحدة، مقدسة، جامعة، رسولية

واحدة: كما سبق وقلنا تستمد الكنيسة واحديتها الوحيدة كونها **«جسد المسيح»**، بمفهومه «والكلمة صار جسداً»، أي بملء اتحاد الطبيعة اللاهوتية والناسوتية.

وهذا يتفرع من كونها **«عروساً واحدة»**، مع أنها تحوي في كيانها كل البشرية المُفدَّاة فرداً فرداً، كل واحد باسمه، وكل واحدة باسمها.

كذلك هي واحدة لأنها **«هيكل الروح القدس»** مع أن هذا الهيكل الواحد يحوي كل هيكل لكل إنسان حلَّ فيه الروح القدس وقدَّسه للرب.

مقدَّسة: لأن الكنيسة في مضمونها الإلهي «هيكل الله الجديد»، والله ساكنٌ فيه، هذه

الحقيقة المستمدة من قول المسيح عندما سبق وأشار إلى انتقال المعنى والمبنى من هيكل أُورشليم الحجري إلى هيكل جسده: «وأما هو فكان يقول عن هيكل جسده» (يو٢: ٢١)، وجسده معروف أنه «هيكل الكلمة» و«**الكلمة صار جسداً**»، والكلمة معروف أنه الله من جهة طبيعته «**وكان الكلمة الله**». فجسد المسيح هو بالحق هيكل الله. وهو هو البشرية الجديدة المفدّاة: «**فإنكم أنتم هيكل الله الحي، كما قال الله، إني سأسكن فيهم ...**» (٢كو٦: ١٦)

جامعة: كالمسيح: «لتدبير ملء الأزمنة ليجمع كل شيء في المسيح، ما في السموات وما على الأرض في ذاك.» (أف١: ١٠)

وقد صار هذا بالفعل. فالكنيسة تملأ السماء الآن كما ملأت الأرض وصارت صورة حية لملكوت الله، تعلنه في ذاتها وتستعلنه بتعليمها وتسبيحها.

رسولية: فالرسل هم حجارة الأساس الكريمة التي ابتدأ هيكل الله وملكوته يتشكل بهم أولاً على الأرض: «أنت بطرس وعلى هذه الصخرة أبني كنيستي» (مت١٦: ١٨)، وثانياً في السماء: «مبنيِّين على أساس الرسل والأنبياء، ويسوع المسيح نفسه حجر الزاوية» (أف٢: ٢٠)؛ «وسور المدينة (أورشليم السماوية كنيسة الله الحي) كان له اثنا عشر أساساً وعليها أسماء رسل الخروف الاثني عشر» (رؤ٢١: ١٤)؛ «فقال لهم يسوع الحق أقول لكم إنكم أنتم الذين تبعتموني في التجديد، متى جلس ابن الإنسان على كرسيّ مجده تجلسون أنتم أيضاً على اثني عشر كرسياً تدينون أسباط إسرائيل الاثني عشر.» (مت١٩: ٢٨)

١ ــ كنيسة واحدة:

المسيح هو رأس الكنيسة جسده، فإذا كانت الرأس واحدة فالجسد واحد. فالكنيسة واحدة حتماً ولا تقبل التقسيم أو الانفصال بأي حال من الأحوال. فهنا الوحدة مستمدّة لاهوتياً من شخص المسيح السرّي الذي يشكّل كيانها الروحي:

+ «مجتهدين أن تحفظوا وحدانية الروح برباط السلام،

جسد واحد، وروح واحد، كما دعيتم أيضاً في رجاء دعوتكم الواحد

رب واحد، **إيمان واحد**، معمودية واحدة،

إله وآب واحد للكل، الذي على الكل، وبالكل وفي كلكم.» (أف٤: ٣ــ٦)

هنا لينتبه القارىء كيف يبني بولس الرسول تعليمه التهذيبي الروحي على أساس عقائدي راسخ. فهو يطلب من المؤمنين في أفسس أن يلتزموا روح الوحدة والمحبة التي تجمعهم معاً في

(٣٥-١٠٧م)[٣]. ويقصد بها مسكونية شاملة على أساس تصوير الأنبياء قديماً والذي أُكمل واقعياً بالبشارة بالإنجيل حسب أمر الرب: «فاذهبوا وتلمذوا جميع الأمم وعمدوهم باسم الآب والابن والروح القدس.» (مت٢٨: ١٩)

وكلمة «**جامعة**» تشير في كل مواضعها ـ بحسب معناها ـ سواء في قول الرب «جميع الأمم» (مت٢٨: ١٩)، أو «الخليقة كلها» (مر١٦: ١٥)، أو «يسفك من أجل **كثيرين**» (مر١٤: ٢٤)، أو «لست أسأل من أجل هؤلاء فقط (الاثني عشر) بل أيضاً من أجل **الذين يؤمنون بي بكلامهم ليكون الجميع واحداً**» (يو١٧: ٢٠و٢١)، أو «إن لم تقع حبة الحنطة في الأرض وتَمُتْ فهي تبقى وحدها. ولكن إن ماتت **تأتي بثمر كثير**» (يو١٢: ٢٤)، أو «إن ارتفعتُ عن الأرض **أجذب إليَّ الجميع**» (يو١٢: ٣٢). كل هذه التعبيرات عن «**الجميع**» إنما تشير وتوحي بأن عهد محدودية الكنيسة بشعب إسرائيل قد انقضى:

+ «إن ثبتّم على الإيمان متأسسين وراسخين وغير منتقلين عن رجاء الإنجيل الذي سمعتموه المكروز به في **كل** الخليقة التي تحت السماء.» (كو١: ٢٣)
+ «أم الله لليهود فقط؟ أليس للأمم أيضاً؟ بلى للأمم أيضاً، لأن الله واحد هو الذي سيبرِّر الختان **بالإيمان**، والغُرْلة **بالإيمان**.» (رو٣: ٢٩و٣٠)
+ «لأن الكتاب يقول: كلُّ مَنْ يؤمن به لا يُخزَى. لأنه لا فرق بين اليهودي واليوناني لأن ربّاً واحداً **للجميع**، غنياً **لجميع** الذين يدعون به.» (رو١٠: ١١و١٢)

لقد أصبح «جسد المسيح» ملتقى كل الأمم، فجمعت الكنيسة وشملت كل الأجناس والشعوب والألوان: «**لأنك ذُبحت واشتريتنا لله**، بدمك، **من كل** قبيلة ولسان وشعب وأمة.» (رؤ٥: ٩)

هذا هو ملكوت الله، مُستعلن وقائم في كنيسة الله يجمع البشرية في صورة العالم كله في جسد المسيح. فإن كانت هذه هي الصورة الختامية للكنيسة في استعلانها الحقيقي كجامعة للبشرية كلها وشاملة للكل، تحتّم أن يكون لها في طبيعتها وعملها وصميم رسالتها قوة التجميع. و«جامعة» كصفة جوهرية لا تقف جامدة في طبيعة الكنيسة بل فعّالة، فهي جامعة لأنها تجمع، وتجمع على

---

(٣) القديس إغناطيوس ويُدعى بـ«لابس الإله» θεόφορος، هو ثاني أسقف على أنطاكية حيث القديس بطرس هو المعتبر أول أسقف رسول على أنطاكية. وذلك بحسب العلامة أوريجانس، أما المؤرخ يوسابيوس القيصري فيقول إنه الثالث بعد بطرس والثاني بعد إيفوديوس Evodius. وقد استشهد في روما، وكان يتحرَّق شوقاً للاستشهاد. وكتب سبع رسائل يشجع فيها أساقفة البلاد على الإيمان، وأن لا يعطله أحد عن تتميم شهوته أن يموت شهيداً.

أساس الوحدة كفاية نهائية: «ليكونوا هم أيضاً واحداً فينا.» (يو١٧: ٢١)

علماً بأن الكنيسة المفداة المغسولة بالدم المخلوقة بحسب صورة خالقها في القداسة، لها في جميع أفرادها فرداً فرداً طبيعة واحدة جديدة، فكلُّ الذين ماتوا في آدم وأحْيَتهم في المسيح، أسقتْهم روحاً واحداً وألْبَستْهم جميعاً وبلا استثناء ثوباً واحداً بهياً نقياً وهو المسيح بذاته: «كلكم الذين اعتمدتم بالمسيح (في المسيح) قد لبِسْتُم المسيح» (غل٣: ٢٧). فالكنيسة المستعلنة بالروح بهيّة جميلة مرهبة: «أنتِ جميلة يا حبيبتي كترصة (حسناء εὐδοκία) حسنةٌ، كأورشليم، مُرهبةٌ كجيشٍ بألويةٍ.» (نش٦: ٤)

وبولس الرسول إذ يجمع بين الوحدة والشمولية، أي الجامعة، فهو يهدف إلى عمل الكنيسة الأخلاقي بالدرجة الأولى، فهي لا تفرق بين جنس وجنس ولا شعب وشعب ولا رجل وامرأة ولا عبد وحرّ (غل٣: ٢٨ وكو٣: ١١)، وبمعنى آخر، فإن عملها بالأساس هو رفع الفوارق التي تفرّق وتقسّم وتمزّق الإنسان. فالكل يتحتّم أن يكون فيها ثم يتحتم أن يكونوا واحداً. هذا الضمُّ بين الكل والواحد أو في الواحد هو عمل الكنيسة الذي تسهر عليه. شغلها الشاغل كيف ترفع الفوارق العنصرية والاجتماعية والجنسية، لا بأن «تلغي» هذه التمايزات التي خلقها الله في الإنسان أو التي اقتحمت طبيعة الإنسان، ولكنها «ترفع» هذه الفوارق كعائق يوقف وحدة الروح والفكر والعبادة. لهذا يشدد بولس الرسول على «**الصلح**» و«**السلام**» و«**المحبة**» و«**البذل**» و«**الاتضاع**» و«**الإخلاء**». هذه هي أدوات جاهزة في الخليقة الجديدة مستعدة للعمل مباشرة إذا أُضرمت بالروح، لتبني الكنيسة «الواحدة الجامعة».

+ «لأنكم جميعاً أبناء الله بالإيمان بالمسيح يسوع،
لأن كلكم الذين اعتمدتم بالمسيح (في المسيح) قد لبستم المسيح،
ليس يهودي ولا يوناني، ليس عبد ولا حر، ليس ذكر وأنثى،
لأنكم جميعاً واحد في المسيح يسوع.» (غل٣: ٢٦-٢٨)

+ «ولبستم الجديد الذي يتجدد للمعرفة حسب صورة خالقه،
حيث ليس يوناني ويهودي، ختان وغُرْلة، بربري سكيثي، عبدٌ حرٌّ،
بل المسيح الكل في الكل.» (كو٣: ١٠و١١)

هذه هي الفوارق الهائلة التي تواجهها الكنيسة والتي وُضع عليها أن تعالجها وتكسر حدّتها وتُطوِّعها لوحدة نقية، لبشرية جديدة في روح واحد هو روح المسيح، وفكر واحد هو فكر المسيح، وجسد واحد هو جسد المسيح. المسيح الذي صُلِب ليقدّم البشرية فيه ذبيحة لله ميتة عن العالم

وحيَّة لله. إن مركز القوة الروحية الفائقة التي حازتها الكنيسة لرفع هذه الفوارق بل وإلغائها على المستوى الروحي الواقعي، حازته بسرِّ المعمودية كشركة في موت المسيح وقيامته وسر الشركة في جسد الرب ودمه. فالكل يدخل المعمودية بعنصره الخاص الموروث وجنسه الخاص الذي يعتزُّ به ووضعه الاجتماعي الذي اكتسبه أو الذي فُرض عليه، ليخرج من المعمودية وله روح المسيح وشكله وفكره، وبالإفخارستيا يصير شريكاً في طبيعة واحدة ومُواطَنة واحدة سمائية. هذه «الخليقة الجديدة حسب صورة خالقها» هي هبة الله العظمى بالمسيح للبشرية لتعود وتتوحَّد فيه لتأخذ طبيعتها وصورتها الجديدة منه.

هذه هي القوة الإلهية الجديدة التي دخلت طبيعة الإنسان ليس فقط لكي ترفع الفوارق الهائلة التي أفرزها العالم فيه والتي صنعتها الخطية في كيانه، بل ولتلغي أيضاً فعلها الهدَّام بأثر دائم.

ولينتبه القارىء، إذ لم يَبْقَ عذر لإنسان أن يحتفظ لنفسه من جهة هذه الفوارق الطبيعية، لا بتفوُّق الجنس أو العنصر أو المكانة الاجتماعية، ولا أن يئن بنقص في هذا كله!

بل وبالأكثر جداً لم يَعُدْ عذر لإنسان أن يعيش في هذه الفوارق مستعبَداً لتسلُّطها في فكره أو ضميره أو أخلاقه وسلوكه. فلا يكره أو ينتقص من وضع إنسان بسبب عنصره أو جنسه أو شكله أو صفاته أو وضعه الاجتماعي، وبالتالي لا يتفاخر ويعتدّ بما له من ميزة في هذه كلها.

ولكن لنتمعن هذه الحقيقة ــ حقيقة الفوارق ــ فهي أصعب ما يواجه النفس التي تسعى لتعيش في صورتها كخليقة جديدة، بل هي أشقُّ وأمرُّ ما يمكن أن يصادف الإنسان لكي يصفح عن الجميع ويسالم الجميع ويحب الجميع، وهو المطلب الإيماني الأول والأخير لمن يريد أن يكون تابعاً للمسيح:

+ « بهذا يعرف الجميع أنكم تلاميذي إن كان لكم حب بعضاً لبعض.» (يو١٣: ٣٥)
+ « أيها الأحباء لنحب بعضنا بعضاً لأن المحبة هي من الله،
وكلُّ من يحب فقد وُلد من الله ويعرف الله،
ومَنْ لا يحب لم يعرف الله لأن الله محبة.» (١يو٤: ٧و٨)

واضح أن الذي «وُلِدَ من الله» هو الذي يستطيع أن يحب، يحب أخاه، ويحب عدوَّه، ولا يقف أي عائق في وجهه ليمنعه من أن يحب، يحب الإنسان كل إنسان في ذاته وفي روحه خُلُواً من عنصره وجنسه ولونه وشكله وفكره ودينه وطباعه وسلوكه! «لأن المحبة تحتمل كل شيء!!» و «لا تسقط أبداً.» (أنظر ١كو١٣: ٧و٨)

ولكن لنتنبه، لأن ما معنى: «المولود من الله»؟ هنا القصد هو إضرام روح المعمودية بما تشمله كسرٍّ يشمل الإيمان والمسحة وملء الروح القدس للتجديد، أي خليقة جديدة.

وهكذا تتبلور أمامنا قوة الكنيسة في قدرتها على رفع الفوارق في أسرارها وفي تعليمها بالكلمة. ولكن نعود ونؤكد أن الخليقة الجديدة التي نلناها في المعمودية مع مسحة الروح القدس تحمل في طيَّاتها القوة الإلهية المذخرة في الإنسان الجديد، القادرة على تجاوز كل معوِّقات المحبة «**برباط السلام**» إزاء كل الفوارق التي تعترض المحبة وبالتالي الوحدة. وهذه تحتاج لمن يُضْرِمها بالروح لتنطلق من عقالها كأعظم قوة قادرة أن ترفع الإنسان فوق كل الفوارق وتلغيها من روح الإنسان أولاً ثم من فكره ثم من سلوكه:

+ «لأنه هو سلامنا الذي جعل الاثنين واحداً ونقض حائط السياج المتوسط، أي العداوة، مُبْطِلاً بجسده ناموس الوصايا في فرائض لكي يخلق الاثنين في نفسه إنساناً واحداً جديداً صانعاً سلاماً، ويصالح الاثنين في جسد واحد مع الله بالصليب قاتلاً العداوة به.» (أف ٢: ١٤-١٦)

وهذه هي بعينها القوة الكاثوليكية (الجامعة) في الكنيسة الواحدة.

٣ ـ كنيسة رسولية:

رسولية بمعنى أنها على الأساس الإنجيلي سواء المكتوب أو التعليم الشفاهي. علماً بأن الأناجيل لم تُكْتَب إلاَّ بعد صعود المسيح بحوالي ثلاثين سنة، فيها كانت الكنيسة تعتمد اعتماداً كلياً على النقل والتسليم الشفاهي والحفظ عن ظهر قلب. لذلك لما سجَّل بولس الرسول لنا قوله لنا أننا مبنيون على أساس الرسل، فقد كان يعني التعليم المسلَّم شفاهاً آنئذ:

+ «مبنيين على أساس الرسل والأنبياء، ويسوع المسيح نفسه حجر الزاوية.» (أف ٢: ٢٠)

واضح أن المسيح هو الذي وضع الرسل أساساً لبناء كنيسته: «أنت بطرس وعلى هذه الصخرة أبني كنيستي» (مت١٦: ١٨). لذلك نسمع بولس الرسول يقول: «كونوا متمثلين بي كما أنا أيضاً بالمسيح» (١ كو١١: ١). فالرسل بأشخاصهم وبتعاليمهم صاروا الأساس الذي بنى عليه كل إنسان إيمانه. وخارجاً عن الرسل ليس كنيسة. فالرسل معناهم لنا الآن الإنجيل المدوَّن والتقليد المحفوظ، بل والروح القدس المسلَّم لنا باليد في المعمودية. فنفخة الروح القدس التي قبلَها التلاميذ من المسيح ليلة أحد القيامة، هي الساكنة الآن في الكنيسة والتي نستنشقها وننفخها لمغفرة خطايانا. والروح القدس الناري الذي حل على التلاميذ يوم الخمسين هو الذي نولَد منه في

المعمودية حتى اليوم، وهو الذي توارثته الكنيسة بوضع يد الكهنوت وفي الأسرار.

ثم الأنبياء هنا ليسوا هم أنبياء العهد القديم، ولو أن بطرس الرسول يعتمد عليهم بالدرجة الأولى في قوله: «وعندنا الكلمة النبوية وهي أثبت التي تفعلون حسناً إن انتبهتم إليها كما إلى سراج منير في موضع مظلم، إلى أن ينفجر النهار ويطلع كوكب الصبح في قلوبكم، عالمين هذا أولاً أن كل نبوة الكتاب ليست من تفسير خاص، لأنه لم تأتِ نبوة قط بمشيئة إنسان، بل تكلم أناس الله القديسون مسوقين من الروح القدس.» (٢بط١: ١٩—٢١)

ولكن بولس الرسول يقصد التسلسل الرسولي من الرسل إلى أنبياء العهد الجديد كما وضح ذلك في بنيانه المسلسل:

+ «وهو أعطى البعض أن يكونوا رسلاً، والبعض أنبياء، والبعض مبشِّرين، والبعض رعاة ومعلمين.» (أف٤: ١١)

والأنبياء فئة مباركة نشأت بجوار الرسل على أثر حلول الروح القدس، لأن الروح حلَّ على جميع الذين كانوا حاضرين. ويقول القديس لوقا في سفر الأعمال: «وكان عدة أسماء معاً نحو مائة وعشرين» (أع١: ١٥)، بهذا يكون منشأ الأنبياء في العهد الجديد هو الروح القدس الذي حلَّ مباشرة دون وسيط سوى الصلاة.

وبولس الرسول يعتبر أن الرسل والأنبياء دخلوا ليس بتعاليمهم فقط بل وبأشخاصهم كأساس حي في بناء هيكل الله أي الكنيسة، لأنه يذكر المسيح كحجر الزاوية لهذا الهيكل، والمؤمنين «حجارة حيَّة»:

+ «الذي فيه أنتم أيضاً مبنيون معاً مسكناً لله في الروح.» (أف٢: ٢٢)

وهكذا، وبهذا الوصف الإنشائي الهندسي، ندرك الصلة الكيانية التي تربطنا بالرسل وبالمسيح، ونفهم معنى وقيمة الأساس الذي بُنِيَتْ عليه الكنيسة.

٤ — كنيسة مقدسة[٤]:

إن أول تقديس عرفه الإنسان خارج الله كان في المكان، في أمر العُلَّيقة:

+ «ناداه الله من وسط العليقة وقال: موسى موسى. فقال: هأنذا. فقال: لا تقترب إلى ههنا،

---

(٤) بخصوص التقديس عموماً راجع ص٣٨٣—٣٨٨.

اخلع حذاءك من رجليك، لأن الموضع الذي أنت واقف عليه أرض مقدسة.» (خر٣: ٤و٥)

ومن مكان العليقة إلى مكان حلول الله في الخيمة، فتقدست الخيمة ثم الهيكل، فصار الهيكل مقدساً لأن الله يحلُّ فيه. وهكذا بدأت الأشياء التي في الهيكل تصير مقدسة، لأنها محجوزة لخدمة الله، والكهنة صاروا مقدَّسين لأنهم يخدمون الله. بعد ذلك نسمع أن روح الله يحلُّ على الأنبياء فيتنبأون ويصير الأنبياء قديسين.

ولكن لأول مرة في تاريخ علاقة الله بالإنسان، نسمع أن الروح القدس يحل على عذراء ليقدِّسها، وقوة العلي تخيِّم في أحشائها ليأخذ الله منها جسداً يولَد به، والمولود يدعى قدوساً وهو ابن الله. وبهذا وُلِد للإنسان ولدٌ هو ملء اللاهوت في جسد إنسان. وهذا كان قمة التقديس بالنسبة للإنسان الذي صار به ليس مقدَّساً فحسب بل قدوساً. هكذا اعتُبر في المسيح أن جسد الإنسان صار هيكلاً لله، لا لمجرد سُكْنَى وإقامة بل اتحاد لدوام أبدي. والمسيح أعلن بوضوح أن الهيكل القديم الذي كان محسوباً أنه مجرد بيت الله للصلاة: «بيتي بيت الصلاة يدعى» (مت٢١: ١٣)، سيُنْقَض ليحل محلَّه «هيكل جسده». هذا هو أول مفهوم للكنيسة. لأن الذي حدث هو أن المسيح أعطى جسده هذا بعينه للإنسان ليتحد به، فصرنا بدورنا «جسد المسيح»، وهذا أول تعبير واقعي أننا نحن الكنيسة جسد المسيح: «وإياه جعل رأساً فوق كل شيء للكنيسة، التي هي جسده.» (أف١: ٢٢و٢٣)

هذا هو مصدر قداسة الكنيسة، فهي ليست قداسة مكتسبة على مستوى هيكل أورشليم، أو قداسة موضع على الأرض، أو قداسة أشخاص بحلول الروح القدس؛ بل إن قداسة الكنيسة هي طبيعة مستمدة من طبيعة المسيح. لذلك، فالكنيسة ليست فقط مقدسة بل وقادرة أيضاً على التقديس. الكنيسة تنفخ من فم الأسقف لتعطي الروح القدس، وتضع اليد بواسطة الأسقف فتقدِّس قديسين للخدمة. وبحسب الإيمان الأرثوذكسي، ليست يد الأسقف هي التي تقدِّس بل هي يدُ المسيح الممدودة فوق يده؛ ولا الكاهن الذي يعمِّد وينفخ بل هو المسيح الذي يعمِّد؛ وليس خادم الذبيحة هو الذي يقدِّس الخبز والخمر بل المسيح، وهو الذي يعطيه بيده جسداً ودماً لكل مَنْ يتناول منه. فالكنيسة تقدَّستْ بطبيعتها وتُقدِّس بمسيحها وبالروح القدس الساكن فيها.

ألم يقل بولس الرسول إن الله جعل المسيح رأساً للكنيسة التي هي جسده، فمن ذا الذي يدبِّر إلَّا الرأس، ومَنْ ذا الذي يتكلم ويعلِّم ويمسح ويرسم ويعمِّد ويقسِّم الجسد؟ ألم يقل بولس الرسول: «... الكنيسة التي هي جسده ــ **ملؤه** ــ الذي يملأ الكلَّ في الكل» بحسب الترجمة

اليونانية الصحيحة. فالمسيح في كنيسته هو الذي يملأ الكل، أي كل ما له مِنْ عطايا وتقديس في الكل، أي كلّ مَنْ يتقدّم به إلى الله.

بذلك يكون في قولنا أن **الكنيسة مقدسة** أمرٌ يعنينا، لأنه خاص بتقديسنا فيما مضى عندما تعمَّدنا ومُسِحنا بالروح. والآن طالما نحن ملتصقون بها، نتناول من أسرارها عابدين خاشعين مسبِّحين، فنحن قديسون، وذلك بحسب لاهوت بولس الرسول.

الكنيسة وشخص المسيح:

حينما يقول بولس الرسول إننا أعضاء جسد المسيح:

+ «لأنه كما أن الجسد هو واحد وله أعضاء كثيرة، وكل أعضاء الجسد الواحد إذا كانت كثيرة هي جسد واحد، كذلك المسيح أيضاً.» (١ كو١٢:١٢)؛
+ «أما أنتم فجسد المسيح وأعضاؤه أفراداً.» (١ كو١٢:٢٧)؛

وحينما يقول بولس الرسول إننا إن اعتمدنا نُدْفَنُ معه في المعمودية ونقوم لابسين المسيح:

+ «أننا كل مَنْ اعتمد ليسوع المسيح (في المسيح يسوع) اعتمدنا لموته فدُفِنَّا معه بالمعمودية للموت.» (رو٦:٣و٤)؛
+ «لأن كلكم الذين اعتمدتم بالمسيح (في المسيح) قد لَبِسْتُم المسيح.» (غل٣:٢٧)؛

فهنا يتكلم بولس الرسول عن **المسيح كشخصية حيَّة عاملة، يتغلغل حياتنا إنما بصورة غير منظورة**، يرافقنا في كل مراحل حياتنا، ويحس بكل ما نعانيه، وكأنما يعاني معنا كل المعاناة. وليس أوضح من ذلك قوله لشاول على طريق دمشق: «لماذا تضطهدني»، وكأنه هو الذي كان يتلقى الضرب والموت على يد شاول، مع أن الكنيسة هي التي كانت تتعذب، بحسب اعتراف شاول بعد أن اكتشف سر المسيح في كنيسته: «إني كنت أضطهد كنيسة الله بإفراط» (غل١:١٣). منذ هذه اللحظة أدرك بولس الرسول وجود المسيح وجوداً حيًّا فعَّالاً في الكنيسة، إنما بصورة لا يراها غير المؤمن ولكن المؤمن يعيشها ويحسُّها.

المسيح نفسه ألمح إلى هذه الصورة الخفية التي ارتبط فيها بالمؤمنين ليكون معهم جسداً واحداً حينما قال عن نفسه ــ ليس على سبيل المثال أو الرمز أو التشبيه، ولكن عن واقع حيٍّ غير منظور: «أنا الكرمة وأنتم الأغصان» (يو١٥:٥). هذا أبلغ تصوير عن وجود المسيح في الكنيسة، أو وجود الكنيسة في المسيح، سيَّان، لأنهما جسدٌ واحدٌ. الفرع يتغذى من الكرمة محمولاً عليها متحداً بها يثمر لحساب الكرَّام الآب السماوي.

لقد مرَّ المسيح على الوجود المنظور والمحسوس سواء في ميلاده أو تعليمه أو آلامه وموته ثم قيامته، هذه كلها أعمال المسيح المنظور، ولكن بعد الصعود بدأ المسيح وجوده وحضوره وعمله غير المنظور، إنما بصورة قوية وشاملة ومالئة للوجود الكلي سماءً وأرضاً: «فتقدم يسوع وكلَّمهم **قائلاً: دُفع إليَّ كلُّ سلطان في السماء وعلى الأرض**، فاذهبوا وتلمذوا جميع الأمم وعمِّدوهم باسم الآب والابن والروح القدس، وعلِّموهم أن يحفظوا جميع ما أوصيتكم به، **وها أنا معكم كل الأيام إلى انقضاء الدهر آمين.**» (مت٢٨: ١٨—٢٠)

كان هذا الإعلان الإلهي من فم المسيح هو بدء تحقيق الوجود غير المنظور في العالم، ولكن بصورة أساسية في الكنيسة. بولس الرسول رأى ذلك وبنى عليه لاهوته:

فالمسيح المنظور أكمل لنا الفداء المنظور على الصليب بالدم المسفوك؛ والمسيح غير المنظور يعمِّدنا ويُطعمنا جسده ودمه، ويقدِّسنا في سر الكنيسة.

المسيح المنظور مات على الصليب الموت المنظور المُشاهَد لأجلنا؛ والمسيح غير المنظور يحيا الآن فينا بالإيمان ونحيا نحن به.

المسيح المنظور صعد إلى الآب ودمه عليه، فصنع لنا صلحاً مع الآب بعد قطيعةٍ؛ والمسيح غير المنظور يوحِّدنا بنفسه والآب، ويقدِّمنا إلى الله كقديسين بلا لوم في المحبة.

المسيح المنظور كان بالنسبة لبناء الكنيسة حجر الزاوية؛ والمسيح غير المنظور هو رأسها وهي جسده.

فالكنيسة كجسد المسيح السرِّي، وهو رأسها الذي يشعر ويحس بها ويدبِّر كل أمورها هي في لاهوت بولس الرسول واقعٌ حيٌّ بدأ منذ أن صعد المسيح وجلس عن يمين الآب وأرسل الروح القدس ليبدأ عمله الكبير في كل عضو في الكنيسة بمفرده ثم في الأعضاء مجتمعين.

فلكل عضو أعطى المسيح جسده: «لأننا أعضاء جسمه من لحمه ومن عظامه» (أف٥: ٣٠)، وأعطى فِكرَه: «أما نحن فلنا فكر المسيح» (١كو٢: ١٦)، وأعطى المسيح روحه: «إن كان أحد ليس له روح المسيح فذاك (المسيح) ليس له.» (رو٨: ٩)

هذا تم أيضاً على مستوى الأعضاء مجتمعين، أي الكنيسة ككل، فالمسيح صار جسدها وصار رأسها وأعطى الروح القدس أن يكون روحها الذي تتنفس به: «لأننا جميعاً بروح واحد (في روح واحد) أيضاً اعتمدنا إلى (في) جسد واحد» (١كو١٢: ١٣)، «وجميعنا سُقينا روحاً واحداً.» (١كو١٢: ١٣)

لذلك تُعتبر الكنيسة أنها «شركة في الروح القدس»، جسم واحد من أعضاء كثيرة ولكن ملتحمة في شركة الروح القدس خاضعة لتدبير **الرأس المسيح**، وتتحرك وتنمو نحو مِلْئه بعمل المسيح في الداخل وبسَعْي الأعضاء من الخارج:

+ «صادقين في المحبة ننمو في كل شيء إلى ذاك الذي هو **الرأس المسيح**،

الذي فيه كل الجسد مركباً معاً ومقترناً بمؤازرة كل مفصل،

الذي أعطى ليعمل حسب قياس كل جزء،

لينمو الجسد، ويُبنى في المحبة.» (أف ٤: ١٥و١٦) ترجمة حرفية من اليونانية.

هنا المسيح «**كرأس**» الجسد أي الكنيسة، عمله هو جمع أعضاء الجسد الواحد، معطياً لكل عضو القدرة أن يتآخى ويقترن بكل عضو آخر بالنعمة كعطية خاصة حرَّة، أو كنعمة معطاة لأشخاص موهوبين يخدمون فيها، التي يشبهها بولس الرسول بالمفصل الذي يربط العضو بالجسد. قدرة المسيح هذه متفوِّقة للغاية، شبَّهها بولس الرسول بقدرة الرأس في الجسد على التحكم في حركة الأعضاء بانسجام حتى يتحرك الجسد صحيحاً وينمو صحيحاً.

والمواضع الأخرى التي ذكر فيها بولس الرسول عمل المسيح في الكنيسة كرأس يمكن حصرها كالآتي:

(أ) «فإنه فيه يحلُّ كل ملء اللاهوت جسدياً، وأنتم مملوؤون فيه،

الذي هو **رأس** كل رياسة وسلطان.» (كو٢: ٩و١٠)

(ب) «الذي هو قبل كل شيء وفيه يقوم الكل،

وهو **رأس الجسد الكنيسة**.» (كو١: ١٧و١٨)

(ج) «لأن الرجل هو رأس المرأة،

كما أن المسيح أيضاً **رأس الكنيسة** وهو مخلِّص الجسد.» (أف٥: ٢٣)

(د) «وأخضع كل شيء تحت قدميه،

وإياه جعل **رأساً** فوق كل شيء للكنيسة،

التي هي جسده،

وملؤه الذي يملأ الكلَّ في الكلِّ.» (أف١: ٢٢و٢٣)

(هـ) «لا يُخسِّركم أحد الجعالة راغباً في التواضع وعبادة الملائكة متداخلاً في ما لم ينظره منتفخاً باطلاً مِنْ قِبَلِ ذهنه الجسدي،

وغير متمسك **بالرأس** الذي منه كل الجسد، بمفاصل ورُبُط متوازراً ومقترناً ينمو نمواً من الله.» (كو٢: ١٨و١٩)

هنا نستطيع أن نستجلي الصفات العملية التي رآها بولس الرسول في المسيح باعتباره رأساً:

(أ) وظيفة الرأس هنا للمسيح عامة للتعبير عن التفوُّق والرئاسة العليا **على كل الخلائق السماوية**. وهنا نلمح التفوق المطلق خُلْواً من اتحاد، إذ ليس هنا جسد يربط المسيح بهذه الخلائق، ولكن هو تفوُّقه من جهة طبيعته الإلهية وقدراته اللانهائية، أما الرابطة التي تربط هذه الخلائق الروحانية العالية بالرأس فهي رابطة التدبير بحكم كونه الخالق والمدبِّر، لذلك يدعوه العهد القديم برب القوات، رب الصباؤوت، أي رب الجنود السماوية. وهذه الصفة الإلهية للمسيح تتسحَّب على الكنيسة، كونه «المدبِّر» صاحب السلطان الأعلى والوحيد، والمسيح يعبِّر عن ذلك بنفسه في قوله: «دُفِعَ إليَّ كل سلطان في السماء وعلى الأرض» (مت٢٨: ١٨). وعلى هذا الأساس من السلطة الفائقة: «اذهبوا وتلمذوا جميع الأمم... وعلموهم أن يحفظوا جميع ما أوصيتُكم به» (مت٢٨: ٢٠). وهنا يبدو أن عمل الكنيسة الممتد عَبْر العالم والدهور داخل تحت تدبير سلطان المسيح الفائق.

(ب) واضح في هذا البند أن صفة المسيح كرأس للكنيسة تقوم على أساس أنه صاحب البدء فيها، كما هو الذي يقوِّم الكنيسة، فهي تستمد قوامها وكيانها منه.

(ج) هنا المسيح كرأس الكنيسة يأخذ عمل الرجل بالنسبة للمرأة، فهو مركز حب الكنيسة واشتياقها وهو الذي يُخصبها بروحه لتنجب أولاداً لله. وهو الذي يحميها ويخلِّصها.

(د) هنا المسيح كرأس تخضع له الكنيسة خضوعاً طبيعياً، لأنه هو الذي يحل فيه كل ملء اللاهوت جسدياً، يعود فيملأها بكل المواهب الإلهية التي تجعلها كنيسة الله، يملأها ككل ويملأ كل عضو فيها على حدة.

(هـ) هنا المسيح كرأس هو بمثابة المركز الأعلى المحرِّك للهيكل العظمي والعصبي في جسم الإنسان، فبنفس الحكمة التي يتحرك بها الجسد وينمو ليبلغ نضجه في عمره على الأرض، هكذا يشدُّ المسيح أزر الكنيسة، لا على الواقع المحدود الزمني بل على طول المدى عبر آلاف السنين حسب حكمة المسيح ليجعل من الكنيسة جسداً حيًّا واحداً مترابطاً ينمو نمواً ثابتاً في الله ومن الله، من جيل إلى جيل، وهدفه أن تأخذ الكنيسة بالنهاية: «ملء قامة المسيح»، وكأنها إنسان واحد في المسيح من جهة الانسجام والترابط في الفكر والروح والعمل. فلا خوف على الفردية داخل الكنيسة الواحدة طالما هي خاضعة تماماً لتحريك المسيح بالروح، ولا خوف على التعدُّد الشكلي والاسمي للكنيسة على وجه الأرض طالما كل كنيسة تتحرك

بوعي روحي حسب قصد المسيح وتدبيره، فالكل مترابط بصورة سرِّية يدبره المسيح كرأس واحد لهذا الجسم الهائل.

وبولس الرسول يعطي هذه المعلومة لأهل كولوسي بسبب قيام الهراطقة المضلِّين يروِّجون لبدعة عبادة الملائكة، بمعنى علوّ مركز الملائكة عن المسيح وتوسُّطهم في الخلق، وهذا كفيل بأن يُخرجهم نهائياً خارج الإيمان الصحيح بالمسيح. وهنا يعطي بولس الرسول التحديد القاطع أن المسيح هو الرأس الوحيد للكنيسة كرأس الإنسان الوحيدة بالنسبة لجسده، فلا توجد أية إمكانية لتدخُّل عناصر روحية وسيطة تربطنا بالله سوى المسيح وحده الذي يجعل الكنيسة: «تنمو نمواً من الله»، وهذا مطابق تماماً للتعبير العميق الذي قصده المسيح من قوله: **«بدوني لا تقدرون أن تفعلوا شيئاً» (يو١٥:٥)**. هنا يضع المسيح نفسه في الكنيسة والفرد مكان الرأس للجسد تماماً!!

الآن يمكن تلخيص الوصف العضوي لمكانة الرأس في الكنيسة، فهو السلطة الرئاسية والآمرة في الكنيسة كجسد يتحرك بمقتضى كلمته التي قالها والتي يقولها في وقتها، سواء كلمة التعليم التي تسجلت بالروح والتي يشرحها الروح لتستجيب لها الكنيسة، أو كلمة الفعل الذي يباشره هو سرًّا على الجسد لتشكيل الكنيسة حسب قصد الدهور كخالق، بعمل الروح القدس الذي يأخذ مما للمسيح ويشكِّل الكنيسة حسب هذا القصد.

والمسيح بذلك وكرأس، هو في حقيقته الحامل لشخصية الكنيسة ومركز وَعْيها الذي تنبثق منه كل الاستعلانات التي تستعلنها الكنيسة على ممر الدهور لبنيانها.

كذلك، فالمسيح كرأس الكنيسة، فهو كما يمدُّها بالفكر والفعل والاستعلان الإلهي لتتغيَّر وتُبنى بمقتضاه، فهو أيضاً الذي يتلقى عنها ضربات العالم والشرير وكل مصادمات القوى المعاكسة على ممر الدهور ويحوِّلها لها إلى معرفة وتجديد وصبر ونمو.

بقي أن ندرك أن بولس الرسول، ليس بإحساس اختياري منه أدرك وظيفة المسيح كرأس في الكنيسة، ولا هو مجرد فكر تصوري تصوَّره من ذاته عن عمل المسيح في الكنيسة؛ ولكنه نُطْق نَبَوي أخذه باستعلان؛ فهو حقيقة المسيح في ذاته وفي الكنيسة، ينطبق تماماً على كل ما عمل المسيح ويعمل، ويجيء مُكمِّلاً كل أوصاف الأنبياء في القديم للمسيح كحكمة، ووَصْف المسيح لذاته كعريس ملتصق بالكنيسة ودوام وجوده الشخصي كل الأيام وعمل روحه في الداخل، واستعلان المسيح للرسل «ككلمة» (لوغُس) وهو التعبير عن العقل الفعَّال.

وكما سبق أن قلنا، فهناك علاقة سرِّية قوية بين اصطلاح المسيح كرأس الكنيسة جسده،

وبين الاصطلاح الذي يكرِّره بولس الرسول مئات المرات بقوله: «في المسيح» (٥) ἐν Χριστῷ فهو يؤمن في المسيح، ويعتمد في المسيح، ويقوم في المسيح، ويثق في المسيح، ويحيا في المسيح، وكل عمل يعمله هو في المسيح. فبولس الرسول إذ يرى نفسه عضواً في هذا الجسد السري الذي للمسيح، فهو لا يعمل شيئاً ولا يفكر بشيء إلاّ وهو متصل بالمسيح الرأس الذي له السلطان والتوجيه والتدبير على كل الجسد بكل أعضائه. فقوله «في المسيح» هو تعبير عن عمل المسيح كرأس في الكنيسة، والقصد الواضح هو «مخلّص الجسد». وهذا هو مضمون «السر الأعظم» عند بولس الرسول الذي كان معروفاً لدى الله منذ الأزل قبل كون العالم والآن أعلنه لرُسُله القديسين بالروح أن الأمم شركاء في الميراث والجسد، أي الكنيسة، الذي صار بولس الرسول خادماً له أي لهذا السر في الأمم (أف٣: ٥و٦). فالسر في مضمونه هو «معرفة الخلاص» التي كانت مخفية في الله، والآن «مُعْلَنَة في المسيح» ومُطبَّقة ومتصلة ومتحدة اتحاداً مطلقاً بكل الأمم، لأن الأمم صاروا **شركاء الجسد**، والشركة اتحاد. فالمعرفة الإلهية الخلاصية صارت قائمة الآن في الجسد. وهذا هو المسيح «**رأس** الكنيسة ومخلّص الجسد.» (أف٥: ٢٣)

الروح القدس في الكنيسة(٦):

إن كان مركز المسيح في الجسد السري للكنيسة هو الرأس، فالروح القدس هو «النفس» في جسد المسيح السري أي في الكنيسة. فكما أن نفس الإنسان هي مركز حياته، كذلك الروح القدس هو الذي يُحْيي الكنيسة كجسد سري. وكما أن نفس الإنسان عزيزة جداً عنده، فالروح القدس هو أعزُّ ما تملك الكنيسة وكل فرد فيها، ففوق أنه يُحييها ويُحيي أعضاءها فهو يعزِّيها ويُفرِّحها في آلامها وضيقاتها واضطهاداتها الموضوعة عليها كُلًّا وأفراداً.

كذلك، فالروح القدس في الكنيسة هو بمثابة الضيف المعزِّي السمائي الذي يحمل للكنيسة عطايا وهدايا ومواهب ونِعَماً يسقيها لأعضائها سَقْياً لحساب الجسد ككل.

فالروح القدس باتصاله المباشر بأعضاء الكنيسة القديسين، يُدخلهم في دائرة الحياة الفائقة على الطبيعة باستعلاناتها ومعرفتها الفائقة ورؤيتها الممتدة وإلهاماتها فيما يخص الكلمة وشرحها، وبذلك يُثْري فكر الكنيسة برفع معرفتها الإلهية. وليس ذلك فقط ولكنه يقود القديسين في حياة

---

(٥) أنظر ص ٢٧٠ و ص٤٥١.

(٦) بخصوص عمل الروح القدس فينا راجع ص٢١٨ــ٢٢٦ وهامش (١) ص٢٢٦.

وطباع وسلوك وسيرة السمائيين، وبذلك يمدُّ الكنيسة بنماذج حياةٍ ترفع من حياة الكنيسة ككل وتُعلّي شأنها في العالم والسماء.

الروح القدس أرسله المسيح من عند الآب بعد أن هيأ الكنيسة بجسده السري اللائق لسُكْنى الروح القدس، فهو يسكن الكنيسة عن لياقة و يرتاح في أعضائها بمسرَّة، لا كمجرد سُكنى الوجود المنعزل عن طبيعتها، بل الملتصق بها التصاق الروح بالجسد، ليرفع الجسد إلى مستواه ليصير هيكل الجسد كله هيكلاً لله، هيكل عبادة وتقديس وسجود بالروح والحق، سواء في الكنيسة ككل، أو في جماعة داخلها متحدة ومتآلفة بالروح، أو في فرد أفرز نفسه للتقوى واقتناء الروح القدس بهيام وعشق إلهيين.

+ «أم لستم تعلمون أن جسدكم هو هيكل للروح القدس الذي فيكم الذي لكم من الله، وأنكم لستم لأنفسكم. لأنكم قد اشتُريتم بثمن، فمجِّدوا الله في أجسادكم وفي أرواحكم التي هي لله.» (١ كو٦: ١٩و٢٠)

+ «وإن كان روح الذي أقام يسوع من الأموات ساكناً فيكم فالذي أقام المسيح من الأموات سيُحْيي أجسادكم المائتة أيضاً بروحه الساكن فيكم.» (رو٨: ١١)

والآن إن كان روح المسيح وروح الآب ساكناً فينا، فقد صرنا بالفعل هيكلاً حقيقياً لله:

+ «أما تعلمون أنكم هيكل الله وروح الله يسكن فيكم.» (١ كو٣: ١٦)

+ «إن كان أحدٌ يُفسد هيكل الله، فسيُفسده الله، لأن هيكل الله مقدس الذي أنتم هو.» (١ كو٣: ١٧)

+ «فإنكم أنتم هيكل الله الحي، كما قال الله إني سأسكن فيهم ...» (٢ كو٦: ١٦)

+ «مبنيين على أساس الرسل والأنبياء، ويسوع المسيح نفسه حجر الزاوية،
الذي فيه كل البناء مركباً معاً ينمو هيكلاً مقدساً في الرب،
الذي فيه أنتم أيضاً مبنيُّون معاً مسكناً لله في الروح.» (أف٢: ٢٠ ــ ٢٢)

+ «لكي يعطيكم بحسب غنى مجده أن تتأيدوا بالقوة بروحه في الإنسان الباطن، ليحلَّ المسيح بالإيمان في قلوبكم.» (أف٣: ١٦و١٧)

يحلو لبعض الآباء الكبادوكيين أن يعبِّروا عن من يحيا في الروح القدس بقولهم إنه: «يتنفس الروح القدس»، وهذا تعبير صادق لأن بولس الرسول يعتبر أننا نحيا بنفخ الروح القدس أو نحيا بالروح، فالروح هو «روح الحياة»: «روح الحياة في المسيح يسوع قد أعتقني من ناموس الخطية.» (رو٨: ٢)

والقديس يوحنا يسميه بفم المسيح «**الروح المحيي**»: «**الروح هو الذي يحيي** أما الجسد فلا يفيد شيئاً.» (يو٦: ٦٣)

وعلى نفس المنوال يقول بولس الرسول: «لأن الحرف يقتل ولكن **الروح يحيي**» (٢كو٣: ٦)؛ «**سيحيي** أجسادكم المائتة أيضاً بروحه الساكن فيكم.» (رو٨: ١١)

بولس الرسول يرى الروح القدس وقد وقف يُفْرز لنفسه من جسد الكنيسة أعضاءً متميزين، ثم ابتدأ يخصص لكل واحد بمفرده ما يراه الروح مناسباً لقامته الروحية على مستوى إيمانه وحبه وصبره، وكأنه يكشف كشف لياقة ويعطي الدرجات ويخصص المواهب والنعم:

+ «لكل واحد يُعْطَى إظهار الروح للمنفعة. فإنه لواحد يُعْطَى بالروح كلام حكمة، ولآخر كلام علم بحسب الروح الواحد. ولآخر إيمان بالروح الواحد. ولآخر مواهب شفاء بالروح الواحد، ولآخر عمل قوات، ولآخر نُبوَّة، ولآخر تمييز الأرواح، ولآخر أنواع ألسنة، ولآخر ترجمة ألسنة. ولكن هذه كلها يعملها الروح الواحد بعينه قاسماً لكل واحد بمفرده كما يشاء.» (١كو١٢: ٧-١١)

وواضح من كلام بولس الرسول كيف أن الروح القدس خصَّ الرسل القديسين باستعلان السر الأعظم الذي هو أساس مُحْتَوى الإنجيل، كاشفاً ما كان مخفيًّا في أعماق الله منذ الأزل:

+ «... بسر المسيح الذي في أجيال أخر لم يُعرَّف به بنو البشر، كما قد أُعلن الآن لرسله القديسين وأنبيائه بالروح، ...
السرُّ المكتوم منذ الدهور في الله خالق الجميع بيسوع المسيح.» (أف٣: ٥و٩)

+ «نتكلم بحكمة الله في سرٍّ. الحكمة المكتومة التي سبق الله فعيَّنها قبل الدهور لمجدنا التي لم يعلمها أحد من عظماء هذا الدهر...،
فأعلنه الله لنا نحن بروحه، لأن الروح يفحص كل شيء حتى أعماق الله، ...
هكذا أيضاً أمور الله لا يعرفها أحد إلاَّ روحُ الله.» (١كو٢: ٧-١١)

كما أن الروح القدس متواضع فهو يسير مع أصغر أعضاء الكنيسة ويقودهم، حتى الأطفال والبسطاء من الرجال والنساء يقودهم، وكأنه يُمسك بيدهم ويسير معهم ويتمشى مع كل مستوى!! وبالأخص مع الذين يطلبون السيرة المقدسة.

+ «لأن كل الذين ينقادون بروح الله فأولئك هم أبناء الله.» (رو٨: ١٤)
+ «إن كنتم بالروح تُميتون أعمال الجسد فستحيون.» (رو٨: ١٣)

أما أطايب الروح القدس التي يُشبِعُ بها السالكين في دروبه والمتدربين على سماع همساته في القلب والخاضعين لإيحاءاته بالروح والمستجيبين لأول هاتف له بالتحرُّك في اتجاه البذل والمحبة، فقد أعدَّ منها لكل نفس ما يُسرُّها ويُبهجها ويُدْخلها في نشوة الحياة الفائقة للطبيعة:

+ «وأما ثمر الروح فهو محبة، فرح، سلام، طول أناة، لطف، صلاح، إيمان، وداعة، تعفف.» (غل٥: ٢٢و٢٣)

وهكذا يضطلع الروح القدس برفع قدرات أعضاء الكنيسة ليعيشوا خبرات الدهر الآتي ويستجلوا نسيم الحياة الفائقة للطبيعة كسبق تذوُّق واستنشاق الحياة الأبدية ذاتها. وبهذا تصير أعضاء الكنيسة أعضاء روحية لائقة بالجسد السرِّي تتنفس بروح المسيح وحياته.

وبولس الرسول لا يحسب أبداً أن عطايا ومواهب الروح القدس إنما تُعْطَى بلا سؤال أو جزافاً، بل يحضُّ المؤمنين للأخذ والاستزادة من نعمة الروح القدس وبلا ملل، مجاهدين أن لا ينطفىء منهم اشتعال الروح:

+ «هكذا أنتم أيضاً، إذ إنكم غيورون للمواهب الروحية اطلبوا لأجل بنيان الكنيسة أن تزدادوا.» (١ كو١٤: ١٢)
+ «اتبعوا المحبة ولكن جدُّوا للمواهب الروحية ...» (١ كو١٤: ١)
+ «امتلئوا بالروح.» (أف٥: ١٨)
+ «لا تطفئوا الروح ... امتنعوا عن كل شبه شر.» (١تس٥: ١٩و٢٢)
+ «لا تُحزِنوا روح الله القدوس الذي به خُتمتُم ليوم الفداء.» (أف٤: ٣٠)

علماً بأن كل عضو من أعضاء الكنيسة، كل من اعتمد للمسيح، قد نال الروح القدس إنما كعربون، على أن يستكمل الملء منه على مدى الحياة:

+ «ولكن الذي يُثبِّتنا معكم في المسيح وقد مَسَحَنا هو الله.
الذي خَتَمَنا أيضاً، وأعطى عربون الروح في قلوبنا.» (٢كو١: ٢١و٢٢)
+ «إذ آمنتم خُتِمتُم بروح الموعد القدوس الذي هو عربون ميراثنا ...» (أف١: ١٣و١٤)

الروح والمسيح في الكنيسة:

حينما بلغ بولس الرسول إلى التعبير أن الكنيسة وأفرادها الملتحمين معاً بجسد المسيح السري الواحد يصيرون في الحقيقة «هيكل الله»، فهذا معناه أنه يوجد هنا وجود أو حضور كلي لله الآب والابن والروح القدس، لأنه من المحال أن يوجد شخص واحد من الأقانيم الثلاثة دون تواجد

الكل، كما أنه غير معروف ــ في لاهوت بولس الرسول ــ عن تواجد جزئي لا للروح ولا للمسيح؛ بل إن الاتحاد يتم بصورة لا تمييز فيها بين الأقانيم.

ولكن الذي استطاع أن يميِّزه الآباء اللاهوتيون الأوائل في الكنيسة من جهة الاتحاد بالأقانيم، هو أن الاتحاد يتم أولاً كمبادرة من جهة الله الآب والابن والروح القدس كلٌ في مجاله، إنما بصورة لا يعيها الإنسان. ولكن بعد ذلك يبدأ الأشخاص الأقانيم يعملون ويتعاملون مع الطبيعة البشرية، حيث **تتقدس طبيعة الإنسان بسبب الحلول وليس العكس أبداً، أي لا يكون التقديس شرطاً للحلول**. وهذه معلومة لاهوتية عملية غاية في الخطورة من جهة الإيمان والسلوك والتعامل مع الله. فالله دائماً أبداً هو صاحب المبادرة في الحلول والتقديس، وهو لا يطلب منا إلاَّ أن نعي ذلك ونصدِّقه ونؤمن به ونعمل بمقتضاه. فالله كان هو صاحب المبادرة مع إبراهيم حينما مسَّ مواته في الصميم وحلَّ بنعمته في صُلْبه لتنبثق الحياة من الموت، فآمن إبراهيم بالله، وبالنهاية حُسِبَ له إيمانه برًّا.

فالله لما شاء أن يقدِّس البشرية له أرسل ابنه، ولما شاء أن يقدس روح الإنسان وهب ابنه الوحيد المحبوب كوسيط لكل إنعامات الله. والابن، بدوره، لكي يهب قداسته الخاصة أرسل الروح القدس من عند الآب. وهكذا يتم تقديس الإنسان بحسب موضع الله منَّا وعلاقة الأقانيم بنا كما استعلنها الله بالتدبير.

غير أن الواقع الذي نحسُّه ونتعامل معه بالحضور الإلهي هو العكس. فنحن نحسُّه أولاً بالروح القدس، فهو أول مَنْ يتعامل معنا في أعماق النفس، فنحسُّه بالفكر من جراء الاتصال المؤثر في النفس. هنا الواقع النفسي المسجَّل في إحساس النفس ليس معناه أن أوَّل تعاملنا مع الثالوث يكون بالروح القدس، ولكن بحسب الأصالة اللاهوتية المحققة والثابتة فإن الآب هو أولاً بلا نزاع: «لا يقدر أحد أن يُقْبِلَ إليَّ، إن لم يجتذبه الآب.» (يو٦: ٤٤)

ولكن الذي يهمنا توضيحه هنا، هو مقدار التلازم الشديد بين عمل الروح القدس وعمل المسيح داخل النفس أو في الكنيسة، سواء للتقديس أو التأهيل لسُكنى الله.

وقد رصد القديس إبيفانيوس هذه العلاقة المشتركة القائمة بين الروح القدس والمسيح من جهة عملهما في الطبيعة البشرية، فيقول:

[إن المسيح أُرسل من الآب، والروح القدس أُرسل أيضاً من الآب؛ والمسيح يتكلم في القديسين، والروح القدس يتكلم أيضاً؛ المسيح يشفي والروح القدس يشفي بالمثل؛ المسيح

يقدّس وهكذا يعمل الروح القدس بالمثل.](٧)

ثم يعود ويجمع لهذه الحقيقة شواهدَ كثيرة تؤكد صحة هذا القول.

والمعروف من واقع الأسفار عامة ورسائل بولس الرسول على وجه الخصوص، أن كل المواهب χαρίσματα سواء هبة البنوة لله، أو الأعمال الصالحة، أو الخلاص ذاته، أو المجد المُنعَم به مع كل الاستعلانات الخاصة بالحياة الجديدة تُنْسَب مرَّة للمسيح ومرة للروح القدس دون تحديد أو حصر أو تمييز.

+ فبولس الرسول يضع التوازي بين **عمل المسيح والروح القدس بالنسبة لحياتنا** هكذا:

فالمسيح هو حياتنا: «متى أُظهر المسيح حياتنا.» (كو٣:٤)

وأيضاً نحن نحيا بالروح: «إن كنا **نعيش بالروح** فلنسلك أيضاً بحسب الروح.» (غل٥:٢٥)

«لكن اهتمام **الروح هو حياة** وسلام.» (رو٨:٦)

«وإن كان روح الذي أقام يسوع من الأموات ساكناً فيكم، فالذي أقام المسيح من الأموات **سيُحْيي أجسادكم** المائتة أيضاً بروحه الساكن فيكم.» (رو٨:١١)

+ كذلك **يضع المواهب** χαρίσματα **بين عمل المسيح والروح القدس** بالنسبة لنا هكذا:

المسيح: «ولكن لكل واحد منا أُعطِيَت النعمة حسب قياس هبة المسيح.» (أف٤:٧)

الروح القدس: «ولكن هذه كلها يعملها الروح الواحد بعينه قاسماً لكل واحد بمفرده كما يشاء.» (١كو١٢:١١)

+ كذلك يضع **موهبة التبني** بالذات بالتساوي بين عمل المسيح وعمل الروح القدس:

المسيح: «ليفتدي الذين تحت الناموس لننال التبنّي.» (غل٤:٥)

«إذ سبق فعيَّننا للتبني بيسوع المسيح...» (أف١:٥)

الروح القدس: «لأن كل الذين ينقادون بروح الله فأولئك هم أبناء الله.» (رو٨:١٤)

7. Epiphan. Ancoratus 68 (XLIII,140).

+ من جهة **قيامة الأموات** يضعها بولس الرسول بين عمل المسيح وعمل الروح القدس:

المسيح: «فإنه إذ الموت بإنسان (آدم)، بإنسان أيضاً (يسوع المسيح) قيامة الأموات.» (١كو١٥: ٢١)

الروح القدس: «وإن كان روح الذي أقام يسوع من الأموات ساكناً فيكم، فالذي أقام المسيح من الأموات سيُحيي أجسادكم المائتة أيضاً بروحه الساكن فيكم.» (رو٨: ١١)

+ كذلك استخدام الاصطلاح اللاهوتي " ἐν " في المسيح ἐν τῷ Χριστῷ وفي الروح ἐν τῷ πνεύματι، فإن بولس الرسول يضعهما في موازنة متساوية هكذا:

ἐν τῷ Χριστῷ **في المسيح**	ἐν τῷ πνεύματι **في الروح القدس**
التقديس: «اغتسلتم بل تقدستم بل تبرَّرتم باسم الرب يسوع،	وبروح إلهنا.» (١كو٦: ١١)
البناء: «الذي فيه (المسيح) كل البناء مُركَّباً معاً ينمو هيكلاً مقدساً في الرب،	الذي فيه أنتم أيضاً مبنيُّون معاً مَسْكناً لله في **الروح.**» (أف٢: ٢١و٢٢)
الختم: «... إذ آمنتم، خُتِمْتُم فيه،	**بروح الموعد القدوس.**» (أف١: ١٣) (هنا الترجمة حرفية مصحَّحة على اليوناني).
الفرح: «افرحوا **في الرب** كل حين، وأقول أيضاً افرحوا.» (في٤: ٤)	«لأن ليس ملكوت الله أكلاً وشُرباً؛ بل هو برٌّ وسلامٌ وفرح **في الروح القدس.**» (رو١٤: ١٧)
السلام: «فإذ قد تبررنا بالإيمان، لنا سلام مع الله بربنا **يسوع المسيح.**» (رو٥: ١)	«وليملأكم إله الرجاء كل سرور وسلام ـــ في الإيمان لتزدادوا في الرجاء ـــ **بقوة الروح القدس.**» (رو١٥: ١٣)

ماذا إذاً؟ هل المسيح والروح مرادفان لأقنوم واحد؟ هذا غير صحيح.

أو هل الروح هو تعبير، مجرَّد تعبير، عن عمل المسيح؟ خطأ.
أو هل أن المسيح لما ارتفع إلى السماء صار روحاً؟ خطأ شديد.
أم ماذا؟

معروف أن المسيح قبل تجسُّده لم يُعرف قط بأنه كان روحاً؛ بل أقنوماً، أي شخصاً كاملاً.

والمسيح لما تجسد وعاش على الأرض على مستوى الزمن والتاريخ لم يُعرف أنه كان روحاً قط.

والمسيح في عمل الفداء على الصليب والقبر والقيامة لم يعرف أنه كان روحاً قط.

إذاً، فمناسبة اقتران ذِكْر المسيح والروح القدس معاً في عمل واحد، أو ذِكْر كلٍّ منهما يعمل عمل الآخر، تنحصر فقط في حالة استعلانه في المجد وهو يعمل لبناء الكنيسة روحياً. وأيضاً في هذه المناسبة لا يمتد الالتقاء بين عمل الروح القدس وعمل المسيح في حالة تواجده عن يمين الآب، أي فيما يخص المسيح نفسه، ولكن ينحصر اقتران عمل المسيح الممجد والروح القدس معاً في العمل في الكنيسة، وهو بشخصه غير المنظور أي في عمله السري لبناء الجسد أي الكنيسة.

وهكذا ينحصر عمل المسيح والروح القدس معاً وكأنه عمل واحد يقوم به كلٌّ منهما عِوَض الآخر، أو يقوم به كلاهما معاً، في أمر تقديس الفرد كعضو في الجسد وتقديس الكنيسة كجسد واحد. حيث يأخذ الروح القدس من جسد المسيح ويقدِّس الأعضاء الجدد، ويأخذ الأعضاء الجدد ويقدِّسهم في وحدة الجسد. فالمسيح يقدِّس بإعطاء نفسه لما يعطي جسده، والروح القدس يقدِّس بتثبيت العضو في الجسد المقدس فيتقدَّس، ويوحِّد الأعضاء في الجسد الواحد فتتقدَّس الكنيسة. لذلك، فكل قداسة للفرد أو الكنيسة هي **من المسيح، وبصُنع الروح القدس.**

علماً بأن الروح القدس، وهو ملء المسيح، يُحسَبُ أنه روح المسيح، كما هو في الآب يُحسَب روح الآب. أي أنه في الابن يعمل كروح البنوّة، وفي الآب يعمل كروح الأُبوّة. في المسيح يقدِّم الإنسان إلى الآب في خضوع بنوّة المسيح، وفي الآب يعطي التبنِّي.

لذلك قيل إن **الروح الذي أقام المسيح من الأموات، يُقيمنا**، إن كان هو ساكناً فينا (رو ٨: ١١).

ولهذا قيل إن «آدم الأخير (المسيح المُقَام) صار **روحاً محيياً**» (١ كو ١٥: ٤٥)، وذلك بعد أن أكمل الفداء وصار الإنسان مؤهَّلاً للحياة الأبدية. وهذا الأمر يوضحه بولس الرسول بجلاء بقوله: «ثم بما أنكم أبناء (بعد تكميل الفداء والإيمان بالمسيح الذي يؤهِّلنا أن نكون أبناء الله)، أرسل

الله **روح ابنه** إلى قلوبكم صارخاً يا أبا الآب» (غل٤: ٦). **هنا روح الابن هو الروح القدس كروح البنوّة في الله.** وهنا روح الابن فينا يصرخ فينا وعنا إلى الآب بدالة فائقة للعقل والتصور، ويخاطبه: «يا أبّا» وهو نطق الدّالة الخاص جداً والفريد جداً بين الابن والآب في الله!

هكذا نحيا الآن كأبناء في المسيح وفي الروح القدس بآن واحد. الابن يعطينا جسد بنوّته في ملء طاعة وخضوع الابن لله أبيه، والروح القدس الذي هو روح الابن يُحيينا كأبناء ويتكلّم فينا بكلام لائق بكلام البنين اللائق لتقديمه للآب. لأننا في الحقيقة كما يقول بولس الرسول: «لسنا نعلم ما نصلي لأجله (لدى الآب) كما ينبغي، ولكن الروح نفسه (روح البنوة الذي فينا) يشفع فينا بأنّاتٍ لا يُنطَقُ بها (أي بلغة يفهمها الآب ويقبلها عنا)» (رو٨: ٢٦)، وهذا يكرر شرحه في موضع آخر:

+ «إذ لم تأخذوا روح العبودية أيضاً للخوف، بل **أخذتم روح التبني** الذي به نصرخ يا أبا الآب.» (رو٨: ١٥)

ثم علينا أن نلاحظ أن الله الآب يعطينا روحه ـــ وهو الروح القدس عينه ـــ روح الأُبُوّة!! لنصير **أبناءً** بالتبني؛ والمسيح يعطينا روحه ـــ وهو الروح القدس عينه ـــ روح البنوة **كإخوة له** وفيه كأبناء لله أبيه.

لذلك، فالروح القدس الذي فينا يشهد فينا للمسيح والآب بآن واحد، ويشهد لنا أننا في المسيح أبناء وورثة معه للآب.

هكذا، يا قارئي العزيز، يكون عمل كلٍّ من المسيح والروح القدس يسيران فينا جنباً إلى جنب، الواحد يكمِّل الآخر، والاثنان يبنيان إنساننا الجديد اللائق لميراث الخلود، وفي الكنيسة لتكميل وحدة الإنسان حسب قصد الدهور.

ومن أجل هذا، نفهم لماذا كان لا بد أن يقوم المسيح من الأموات وينطلق ليعطينا الروح القدس **لنبلغ إلى ملئه** في التقديس والتبنّي: «فإنه فيه يحلُّ كل ملء اللاهوت جسدياً وأنتم مملوؤون فيه» (كو٢: ٩و١٠)، لنقوم معه ونحيا معه لملء هذا الجسد السري العظيم الذي له، الذي هو ملء الكنيسة. هذا هو الإنسان الجديد الذي يعيش حياة ما فوق الطبيعة، وهذا هو الجسد السرّي الذي بأعضائه يملأ السماء والأرض كواقع حيٍّ فعّال غير منظور، ولكن بيقين يفوق المنظور: «... ربوات هم محفل ملائكة وكنيسة أبكار مكتوبين في السموات ... أرواح أبرار مكمَّلين» (عب١٢: ٢٢و٢٣)، شركة قديسين، سحابة من الشهود مقدار هذه محيطة بنا!!

الكنيسة كهيكل لله:

أحد التعبيرات الهامة للقديس بولس عن الكنيسة أنها هيكل، وبناء، وهو ينسبه إما إلى الروح أو الله هكذا:

+ «فإننا نحن (بولس وأبولس) عاملان مع الله وأنتم فلاحة الله، **بناء الله**، حسب نعمة الله المعطاة لي كبنَّاءٍ حكيم، قد وضعتُ أساساً وآخر يبني عليه. ولكن فلينظر كل واحد كيف يبني عليه، فإنه لا يستطيع أحد أن يضع أساساً آخر غير الذي وُضِعَ الذي هو يسوع المسيح.» (١ كو٣: ٩—١١)

+ «أما تعلمون أنكم **هيكل الله**، وروح الله يسكن فيكم، إن كان أحد يفسد هيكل الله فسيُفسده الله، لأن هيكل الله مُقدَّس الذي أنتم هو.» (١ كو٣: ١٦و١٧)

+ «أم لستم تعلمون أن جسدكم هو **هيكل للروح القدس** الذي فيكم، الذي لكم من الله.» (١ كو٦: ١٩)

+ «فإنكم أنتم **هيكل الله الحي**، كما قال الله، إني سأسكن فيهم وأسير بينهم، وأكون لهم إلهاً وهم يكونون لي شعباً.» (٢ كو٦: ١٦)

+ «مبنيين على أساس الرسل والأنبياء، ويسوع المسيح نفسه حجر الزاوية، الذي فيه كل **البناء** مركباً معاً ينمو **هيكلاً مقدساً في الرب**، الذي فيه أنتم أيضاً مبنيُّون معاً **مسكناً لله** في الروح.» (أف٢: ٢٠—٢٢)

واضح هنا أن القديس بولس يتحاشى أن ينسب الهيكل أو البناء المقدس بأنه هيكل المسيح، بل هيكل الله والروح؛ حيث المسيح فيه حجر الزاوية الذي يربط تركيب البناء معاً. والمسيح أيضاً هو الأساس فيه.

هنا لا يغيب عن بالنا أن جسد المسيح هو أصلاً ذبيحة مُقدَّمة لله، وبالتالي تصبح الكنيسة ويصبح كل ما فيها بل وكل فرد فيها ذبيحة في ذبيحة المسيح لله. فإن عبَّر بولس الرسول عن الكنيسة أنها هيكل الله وروح الله ساكن فيها، وهي في آن واحد المؤمنون بأشخاصهم، فهو يقصد بهيكل الله وبناء الله ومسكن الله، المؤمنين الذين يسكن فيهم الروح القدس والذين هم من جسد المسيح، من لحمه ومن عظامه. أما بناؤهم فهو بالكلمة والتعليم، وأما نموهم ففي النعمة والحق، وأما الأساس فهو المسيح مصلوباً وقائماً، وأما حجر الزاوية فهو التجسد الذي جمع ما للإنسان وما لله، إذ أمسك أطراف الهيكل ما بين الأرض والسماء وربطه برُبُطٍ ومآزرَ ومفاصلَ التي هي العلائق الأزلية والأبدية التي ارتبط بها اللاهوت بالناسوت، لذا فلن يؤول إلى انحلال أو انفصال،

الفصل الثاني

الإدارة الكنسية

أولاً: الدرجات الكهنوتية(١)

إذا عُدنا إلى المراجع الكنسية في بداية القرن الثاني الميلادي، وعلى وجه الخصوص رسائل القديس إغناطيوس أسقف كنيسة أنطاكية، وهي أول كنيسة أُمّ تأسست بعد كنيسة الرسل في أورشليم ــ وقد تأسست على يد القديس بطرس والقديسين برنابا وبولس أيضاً ــ نجد أن نظام الرئاسات والامتيازات الإدارية في الكنيسة قد بلغت نضجها الواضح، حيث تتحدد بثلاث درجات:

١ ــ الأسقف: وهو واحد دائماً، إذ نسمع في رسالة القديس إغناطيوس إلى كنيسة أفسس عن «أنسيمُوس» أسقفها الوحيد، وفي سميرنا «بوليكاربوس»، وفي كنيسة ترال «بوليبيوس»، وفي كنيسة ماغنيزيا «داماسوس». وكل أسقف من هؤلاء كان له كرسيه وقد تثبَّت على كنيسته يديرها بمفرده.

٢ ــ القسوس: وهؤلاء كانوا يُعتبَرون المتعاهدين معاً، ومع الأسقف، ومتحدون. وكان القسوس يكوِّنون معاً ما يسمى بالمشيخة πρεσβυτέριον (١تي٤: ١٤)، أو على حد تعبيرنا الآن «مجلس القسوس» Sacerdotal College، كما يعبِّر عنها القديس إغناطيوس في رسالته إلى أفسس. وقد ألحَّ على هذا التعبير في رسالته هذه أكثر من ١٥ مرة، مما يفيد أنه كان ذا وجود فعَّال ونشيط.

٣ ــ الشمامسة: وهم الدرجة الصغرى في الإدارة الكنسية ويخضعون للقسوس والأسقف في كل تدبيرهم.

(١) راجع ما سبق أن أوردناه عن الرسامات الكهنوتية ص٤٣٣ــ٤٤٠.

والأسقف مع الكهنة والشمامسة يكونون معاً ما يسمى «بالإكليروس» Clergy. والإكليروس مع الشعب يكونون «الكنيسة» [الرسالة إلى ماغنيزيا (١٣:١) وإلى سميرنا (١٢:٢)].

أما الاختصاصات فتنقسم كالآتي:

الأسقف يقوم بالخدمة أو يترأس على إقامة طقس المعمودية والأغابي والاحتفال بسر الزواج، وفوق كل ذلك تقديس الإفخارستيا، ولكن له أن يعيِّن من يقوم عنه من القسوس لأداء هذه الخدمات.

أما القسوس والشمامسة فلا يقومون بأي خدمات دون علم وتدبير الأسقف [الرسالة إلى سميرنا (١:٨ـ٢) وبوليكاربوس (٢:٥) وسميرنا أيضاً (١:٩)]. وأما العلمانيون، فهم أصحاب هذه الخدمات، فهم المخدومون وليس الخادمين في الكنيسة. هذا كله عند القديس إغناطيوس في بكور القرن الثاني.

ولكن إذا عدنا لرسائل القديس بولس وخاصة الرسائل الراعوية، وهي الرسالتان إلى تيموثاوس والرسالة إلى تيطس ــ وهذه التسمية للرسائل الراعوية Pastorals، أي الخاصة برعاية الشعب، بدأت في منتصف القرن الثامن عشر وهي تسمية غير موفَّقة وغير سعيدة لأنها أفرزت هذه الرسائل وكأنها لا تمتُّ إلى جسم الرسائل الأخرى، وكان ذلك تمهيداً للحطِّ من أصالتها، الأمر الذي وقفت ضده الكنيسة بقوة منذ البدء وأثبتت أصالتها وخاصة بأقلام أقدم وأجلِّ أساقفتها الأوائل القديسين: برنابا، وكلمندس الروماني، وإغناطيوس، وبوليكاربوس، ويوستين، وهيجيسيبوس، الذين أخذوا بكل محتواها وقدَّسوها كباقي الرسائل تماماً ــ نقول إن هذه الرسائل الثلاث تعطي صورة أكثر بداءة للدرجات الكنسية عمَّا جاء في رسائل القديس إغناطيوس أسقف أنطاكية في بكور القرن الثاني. وهذا طبيعي بل وثمين ومفيد للغاية، لأنه يحدد بالتالي زمن كتابة هذه الرسائل الثلاث وينفي في نفس الوقت القول بأنها من مدوَّنات متأخرة في القرن الثاني. ولكن الملاحظ بوضوح أن هذه الرسائل الثلاث تحوي البذرة الأُولى لتكوين الدرجات الثلاث في الكنيسة: الأسقف والقس والشماس. أما التقدم في تخصيص الدرجات وخدمتها فجاء ــ بعد ذلك ــ من واقع حاجة التنظيم ومن إلهام الروح القدس الذي أُعطي أن يدبر الكنيسة من علٍ.

ولكن من المفيد جداً أن نستعرض المعاني المتعددة وتخصصاتها المتعددة غير المحددة للأسماء الثلاثة التي أصبح يقوم عليها النظام الكنسي ككل، الأسقف والقس والشماس، وذلك عند القديس بولس.

١ ــ **الأسقف**: ἐπίσκοπος

وقد ورد الاسم كما هو خمس مرات في أسفار العهد الجديد، أربع منها كتعبير كهنوتي عن درجة في الكنيسة، ولكن الخامسة وردت بتعبير مجازي كتشبيه فقط فيما يخص عمل المسيح في الكنيسة، والأربع المرات الخاصة بالدرجة الكنسية تفيد رسالة الأسقف كحارس للكنيسة، أو الناظر من فوق، أو الفاحص، أو الوكيل المؤتمن.

١ ــ «احترزوا إذاً لأنفسكم ولجميع الرعية التي أقامكم الروح القدس فيها **أساقفة** ἐπισκόπους ، لترعوا كنيسة الله التي اقتناها بدمه.» (أع ٢٠:٢٨)

هنا الأسقف هو الناظر من فوق كحارس وراعٍ، وهو مُطالَب بنفسه أولاً ثم بالرعية.

٢ ــ «بولس وتيموثاوس عبدا يسوع المسيح إلى جميع القديسين في المسيح يسوع الذين في فيلبي مع أساقفة وشمامسة ἐπισκόποις καὶ διακόνοις .» (في ١:١)

واضح هنا أن بولس الرسول يخاطب الكنيسة ككل. ولكن يُلاحَظ كيف وضع الشعب: «القديسين في المسيح» قبل الأساقفة والشمامسة؛ المخدومون ثم الذين يخدمونهم. هنا الضغط واقع على مسئولية الأساقفة بالدرجة الأُولى ومنحصرة في حالة الشعب، وهكذا قدَّم الشعب بصفته أهم ما يهتم به الأسقف.

٣ ــ «فيجب أن يكون الأسقف ἐπίσκοπον بلا لوم...» (١تي ٣:٢)

٤ ــ «لأنه يجب أن يكون الأسقف بلا لوم كوكيل الله...» (تي ١:٧)

أما المرَّة الأخيرة، فوردت في رسالة بطرس الرسول الأُولى عن المسيح:

٥ ــ «لأنكم كنتم كخراف ضالة، لكنكم رجعتم الآن إلى راعي نفوسكم وأسقفها.» (١بط ٢:٢٥)

والملاحظ بوضوح أن اسم الأسقف والقسيس (الشيخ) عند بولس الرسول يأتي متداخلاً ومترادفاً، وأحياناً يعني نفس العمل. ولكنه أحياناً أخرى يحدد بعض الأعمال لكل درجة. وهذا واضح في المثل (٢) في تحيته لكنيسة فيلبي، حيث يذكر «أساقفة مع شمامسة» فقط؛ حيث الأساقفة مع الشمامسة فقط يكوِّنون الجسم الكهنوتي. ولكن كونه يذكر الأساقفة بالجمع فهنا واضح أنه يجمع في هذه الكلمة الشيوخ أيضاً (القسوس)، لأنه غير معروف قط أنه كان يوجد في فيلبي ــ وهي مدينة صغيرة ــ عدة أساقفة، ومن غير المعقول أن يذكر «أساقفة» ولا يذكر «قسوس»، وكان يوجد قسوس بالفعل.

هذا الأمر يزداد وضوحاً في قوله لتيطس (تي١: ٥ــ٧) أن يقيم قسوساً في كل مدينة واضعاً شروط لياقة القسيس. ثم يزيد على تأكيد الشروط الخاصة بالقسيس واصفاً القسيس مرة أخرى بالأسقف، مما يفيد أن القسيس والأسقف لم يكونا قد تحدَّدا بعد كوظيفتين أو درجتين في الكهنوت متميزتين بعضهما عن بعض.

وهنا يظهر أيضاً أن الأسقف لم يكن يحتل المكانة الواحدة الوحيدة والفريدة في ذهن بولس الرسول كما ظهر بعد ذلك عند القديس إغناطيوس، وإلا ما كان يذكر الأسقف بصيغة الجمع، فوجود أساقفة في الكنيسة الواحدة لا يعني أن «وحدة درجة الأسقف» كانت معروفة بمفهومها الذي عند القديس إغناطيوس أو التي عندنا الآن في الكنيسة.

كذلك في خطاب بولس الرسول للقسوس، وهو في ميليتس، الذين استدعاهم من أفسس داعياً إياهم بالقسوس، ينتهي الأمر أمامنا بكل وضوح أن بولس الرسول لم يكن قد تحدد في ذهنه قط الحد الفاصل بين القسوس والأساقفة: «ومن ميليتس أرسل إلى أفسس **واستدعى قسوس الكنيسة**، فلما جاءوا إليه قال لهم: أنتم تعلمون من أول يوم دخلت آسيا كيف كنت معكم...، كيف لم أؤخر شيئاً من الفوائد إلاَّ وأخبرتكم وعلَّمتكم به جهراً وفي كل بيت...، والآن ها أنا أعلم أنكم لا ترون وجهي أيضاً...، لذلك أشهدكم اليوم هذا إني بريء من دم الجميع...، **احترزوا إذاً لأنفسكم ولجميع الرعية التي أقامكم الروح القدس فيها أساقفة** لترعوا كنيسة الله التي اقتناها بدمه.» (أع٢٠: ١٧ــ٢٨)

كذلك نرى أن الشروط التي وضعها لاختيار الأسقف هي عينها نفس الشروط التي وضعها للقسيس، كأنها رتبة واحدة في ذهن بولس الرسول، إذ لم يميز بينهما في الشروط. ولكن في العمل نجد أحياناً تخصيصاً.

الشروط التي يلزم توافرها في الأسقف أو القس:

ذلك باعتبار أنها رتبة واحدة لم يتم انفصالها إلى رتبتين في أيام القديس بولس. فمرة يضعها كأساس لاختيار الشخص تحت اسم الأسقف وهي تقريباً التي يضعها لاختيار الشخص تحت اسم القسوس.

ولكن من روح مخاطبة بولس الرسول لكلٍّ من تيموثاوس وتيطس وكلاهما كانا في درجة الأسقفية من تحت يد بولس، ندرك أنه كان يلزم للأسقف فضائل ينبغي أن تتوفر له لكي يكون

كفؤاً لتأدية رسالته ــ وهي الغيرة والتقوى والأمانة، والشجاعة في المواقف الصعبة، والحزم في القطع بالأمور، **وروح الإيمان**. وربما هذه الفضيلة الأخيرة هي التي تحبس كل الفضائل، إذ يعني بها القوة المستمدة من الاتصال المباشر بشخص المسيح، مع إنكار الذات والبذل.

أما الشروط التي وضعها بولس الرسول في قائمة الاختيار للقسوس الذين أسماهم أيضاً أساقفة، فقد جاءت على مرتين، قائمة وردت في رسالته الأُولى لتيموثاوس أسقف أفسس آنئذ (٣: ٢ــ٧)، وقائمة أخرى وردت في رسالته الوحيدة إلى تيطس أسقف كريت آنئذ.

القائمة الأُولى: (١تي٣: ٢ــ٧)

+ « يجب أن يكون الأسقف ἐπίσκοπον (القسيس العادي وذلك من متابعة الكلام)

بلا لوم،

متزوجاً مرَّة واحدة، صاحياً، عاقلاً، مُحتشماً، مُضيفاً للغرباء، صالحاً للتعليم، غير مُدمن الخمر، ولا ضرَّاب، (ثم إضافة في الترجمة العربية غير موجودة في الأصل اليوناني ولكنها مقتبسة من القائمة الثانية: "ولا طامع في الربح القبيح").

بل حليماً، غير مُخاصِم، ولا مُحب للمال،

يدبر بيته حسناً، له أولاد في الخضوع بكل وقار: وإنما إن كان أحد لا يعرف أن يدبر بيته فكيف يعتني بكنيسة الله؟

غير حديث الإيمان: لئلا يتصلَّف فيسقط في دينونة إبليس،

ويجب أيضاً أن تكون له شهادة حسنة من الذين هم من خارج، لئلا يسقط في تعيير وفخ إبليس».

القائمة الثانية: (تي١: ٥ــ٩)

+ « تركتك في كريت لكي... تقيم في كل مدينة شيوخاً (قسوساً) كما أوصيتك،

إن كان أحد:

بلا لوم،

تزوج مرة واحدة، له أولاد مؤمنون، ليسوا في شكاية الخلاعة ولا متمردين،

لأنه يجب أن يكون الأسقف بلا لوم كوكيل الله،

غير مُعجَب بنفسه، ولا غضوب، ولا مدمن الخمر، ولا ضرَّاب، ولا طامع في الربح القبيح،

بل مُضيفاً للغرباء، مُحبّاً للخير، متعقلاً، باراً، ورعاً، ضابطاً لنفسه،

ملازماً للكلمة الصادقة التي بحسب التعليم (التقليد)، لكي يكون قادراً أن يعظ بالتعليم

الصحيح (المسلَّم)، ويوبِّخ المناقضين».

وقد وجدنا من المفيد للذين يحبون الفحص والتعمق أن نضع هاتين القائمتين على التوازي، لكي نستطيع أن نُلمَّ بمقدار التداخل والامتداد لهذه الشروط في قلب بولس الرسول بإلهام الروح لبلوغ الشخص المختار ليكون على منتهى اللياقة الأخلاقية والروحية.

(إلى تيموثاوس الأُولى ٣: ٢-٧)		(إلى تيطس ١: ٦-٩)	
بلا لوم	ἀνεπίλημπτον	**بلا لوم**	ἀνέγκλητον
تزوج مرة واحدة		**تزوج مرة واحدة**	
صاحياً	νηφάλιον	ضابطاً لنفسه	ἐγκρατῆ
عاقلاً	σώφρονα	**متعقلاً**	σώφρονα
مضيفاً للغرباء	φιλόξενον	**مضيفاً للغرباء**	φιλόξενον
صالحاً للتعليم	διδακτικόν	قادر أن يعظ بالتعليم الصحيح	
غير مدمن الخمر	μὴ πάροινον	**غير مدمن الخمر**	μὴ πάροινον
غير ضرَّاب	μὴ πλήκτην	**غير ضرَّاب**	μὴ πλήκτην
حليماً	ἐπιεικῆ	غير غضوب	μὴ ὀργίλον
غير مُخاصِم	ἄμαχον	غير مُعجَب بنفسه	μὴ αὐθάδη
غير محب للمال	ἀφιλάργυρον	غير طامع في الربح القبيح	μὴ αἰσχροκερδῆ
يدبر بيته حسناً		له أولاد مؤمنون	
له أولاد في الخضوع بكل وقار		ليسوا في شكاية	
+ محتشماً	κόσμιον	+ محباً للخير	φιλάγαθον
+ غير حديث الإيمان	μὴ νεόφυτον	+ باراً	δίκαιον
+ له شهادة حسنة من الذين هم من خارج		+ ورعاً	ὅσιον

ومن الموازنة بين القائمتين يتضح التوافق. وتنفرد القائمة الأُولى بثلاث خِصال وضعناها في النهاية، يقابلها ثلاث خصال أخرى تنفرد بها القائمة الثانية. وقصد الروح — طبعاً — أن يضيف هذه إلى تلك. كذلك نجد خمس صفات متطابقة حرفياً، كما نجد سبع صفات بعبارات متشابهة. ولكن العجيب أن التشابه يمتد ليشمل التكامل بينهما:

القائمة الثانية		القائمة الأولى
غير محب للمال، أكمل من	←	غير طامع في الربح القبيح

صاحياً (متزناً) التي تعني في اليونانية:

قنوع في الأكل والشرب، تكمّلها	←	ضابطاً لنفسه (متعفف)
حليماً (باشاً ذو مودة) أكمل من	←	غير غضوب
غير مخاصم (مسالم)، أكمل من	←	غير معجب بنفسه التي تعني في اليونانية: فظاً قاسياً

بلا لوم وتعني حرفياً باليونانية أن لا يعطي لأحد فرصة أن يتشكك في سلوكه وهي

أكمل من	←	بلا لوم التي تعني حرفياً باليونانية أن يكون سلوكه لا غُبار عليه

ولكن انظر معي، عزيزي القارىء، كم يجهد الإنسان ويشقى ليجد واحداً من وسط كنيسة من بين ربوة يقدمه إلى الله ليضع يده عليه! ولكن هذا شأن الذين يختارهم الله، فبالعودة إلى شاول المدعو أيضاً بولس، نرى كيف اختاره الرب بنفسه من السماء واحداً من وسط إسرائيل كلها، وجده حسب قلبه!

وقد اعتاد الشُرَّاح ورجال الكنيسة أن يهتموا بشروط دون شروط، أو يضعوا الشروط الأساسية التي يلزم توافرها تاركين الباقي. ولكن في الحقيقة نرى أن أي إخلال بشرط من هذه الشروط يودي بالكل.

أما بخصوص تضارب الأقوال فيما يخص شرط أن يكون قد «تزوج امرأة واحدة»، فهو لا يفيد قط أن يكون متزوجاً كما نحى بعض شُرَّاح البروتستانت، ولكن الواضح البيِّن الذي أخذ به الآباء جميعاً أن لا يكون قد تزوج بامرأة أخرى قبل اختياره للرتبة المقدسة.

ويتضح هذا المعنى بكل تأكيد حينما نقارنه بقول بولس الرسول بالنسبة للأرملة المكتتبة أن تكون «امرأة رجل واحد» (١تي٥: ٩)، بمعنى أن لا تكون قد تزوَّجت مرتين.

والقصد الواضح الذي يقصده القديس بولس من هذا الشرط هو ضمان سمو النفس وترفُّعها عن حياة الدنيا. بالإضافة إلى مفهوم سر الزيجة أنه على مستوى المسيح والكنيسة (الواحدة).

٢ ــ الشماس:

الشروط التي يلزم توافرها في الشماس:

+ «كذلك يجب أن يكون الشمامسة ذوي وقار لا ذوي لسانين، غير مُولَعين بالخمر الكثير، ولا طامعين بالربح القبيح، ولهم سر الإيمان بضمير طاهر، وإنما هؤلاء أيضاً ليُختَبروا أولاً ثم يتشمسوا إن كانوا بلا لوم. كذلك يجب أن تكون النساء ذوات وقار غير ثالبات، صاحيات (قناعة) أمينـات في كل شيء، ليكن الشمامسة كلٌّ بعلَ امرأة واحدة مدبرين أولادهم وبيوتهم حسناً، لأن الذين تشمَّسوا حسناً يقتنون لأنفسهم درجة حسنة وثقة كثيرة في الإيمان الذي بالمسيح يسوع.» (١تي٣: ٨ــ١٣)

بولس الرسول هنا يركِّز على «اللسان» بالنسبة للشماس، و«اللسانين» ترمي إلى معنى النفاق أي يقول قولين: قول لك في وجهك؛ وقول عليك في غيبتك. يمدحك علناً، ويذمك سرًّا. يدَّعي الصداقة والمودة؛ ويخفي الخيانة والغدر. وأخطر ما في الأمر هو الإيقاع بين الشعب، وتبليغ الأسقف بلاغات مُغرضة ليُفسد الجو على البعض، ويُزكّي البعض الآخر، إما للمنفعة أو الكيد أو النقمة أو عن الأخلاق المنحطة بحد ذاتها. وهكذا تصبح خدمة الشماس من أخطر الخدمات المُجْلبة للعثرات، حيث الوقيعة بين الشعب، وبين الشعب وأسقفه.

كما يركِّز بولس الرسول على «الطمع» في الربح المالي بالنسبة للشماس، لأنه سيفتح باب استغلال الوظيفة للوشاية والإساءة والمحاباة والمحسوبية وتقديم ما لا يجب تقديمه ومنع ما لا يجب منعه. وهكذا تختل موازين العدالة عند الرؤساء بعلم أو بدون علم، مما يجرح جسد المسيح ويُدْميه.

وبقية الشروط تضمن سمعة الشماس ورزانة سلوكه.

أما قوله أن يكون له «سرُّ الإيمان بضمير طاهر»، فعلينا أن نتذكر قول إستفانوس المثل الأعلى لكل شماس كيف كان له «سر الإيمان» في الشهادة والاعتراف العلني بقلب أسد، وفي طهارة ضمير لا يخشى لومة لائم ولا السيف القائم.

كذلك وضع بولس الرسول الشروط اللازمة لاكتتاب الأرامل اللائي بدأنَ يخدمن في الكنيسة، ولكن خارج دائرة الكهنوت، حيث تخصَّصن للخدمة وسط النساء فقط (١تي٥: ٩و١٠).

نظرة عامة إلى الدرجات الكنسية في عصر بولس الرسول:

ولكن وبالرغم من عدم وضوح الحدود الفاصلة بين الدرجات الكهنوتية عند بولس الرسول، إلاَّ أن الترتيب أو التدبير في الرئاسات الكنسية أخذ صورته الأُولى في حياة بولس الرسول. ولعلَّ أقوى

صورة معبِّرة عن علو شأن عملية اختيار المسئولين في الكنيسة، ما ذكره القديس لوقا في سفر الأعمال عند اختيار بولس وبرنابا، وهما رسولان، «لعمل المبشِّر». فالأسقف وإن أخذ درجته كناظر على الكنيسة ومدبِّر، إلاَّ أن خروجه للبشارة خارج دائرة أسقفيته يحتاج لعملية روحية أخرى لا تقل في أهميتها وتخصُّصها وطلب المواهب الخاصة عن رسامته أسقفاً:

+ «فصاموا حينئذ وصلُّوا ووضعوا عليهما الأيادي، ثم أطلقوهما.» (أع١٣:٣)

+ «وانتخبا لهم قسوساً في كل كنيسة ثم صلَّيا بأصوام واستودعاهم للرب الذي كانوا قد آمنوا به.» (أع١٤:٢٣)

وتُعتبر هذه الترتيبات أول «طقس ليتورجي» للكنيسة في رسامات الدرجات الكنسية والذي أصبح سمة جوهرية من سمات إنشاء الكنيسة الروحية.

أما الواجبات الملقاة على الأعضاء العاملين في خدمة الكنيسة فتوضحها الرسالة الأُولى إلى أهل تسالونيكي:

+ «ثم نسألكم أيها الإخوة أن تعرفوا الذين يتعبون بينكم ويدبِّرونكم في الرب ويُنذرونكم، وأن تعتبروهم كثيراً جداً في المحبة من أجل عملهم ...،
أنذروا الذين بلا ترتيب، شجعوا صغار النفوس، أسندوا الضعفاء تأنَّوا على الجميع ...»
(١تس٥: ١٢—١٤)

وبحسب التقليد(٢) المنحدر لنا من أوريجانوس، فإن أول أسقف على كنيسة تسالونيكي في ذلك الوقت هو نفسه غايُس الذي قال عنه بولس الرسول: «مُضَيِّفي ومُضَيِّف الكنيسة كلها» (رو١٦:٢٣)، حينما نزل عنده بولس وهو في كورنثوس.

وحينما نعود إلى وضع الرئاسات الكنسية في فيلبي، وهي الكنيسة التي أرسل إليها رسالة من سجن روما سنة ٦٢م، أي بعد بدء خدمته التبشيرية (سنة ٤٨م) بأربع عشرة سنة، فنفهم منها أنه قد استقر وضع «الأساقفة والشمامسة» حيث هنا بحسب التقليد يكون إيبافروديتس Epaphroditus هو الأسقف الأول:

+ «وأثق بالرب أني أنا أيضاً سآتي إليكم سريعاً، ولكني حسبتُ من اللازم أن أُرسل إليكم أبَفرودِتُس أخي، والعامل معي، والمتجنِّد معي، "ورسولكم"، والخادم لحاجتي.» (في٢: ٢٤و٢٥)

2. F. Prat, *op. cit.*, vol. II, p. 300.

كذلك كان من ضمن هؤلاء الأساقفة أكليمَندُس الذي صار فيما بعد أسقفاً على روما بحسب ما كتب بولس أيضاً إلى فيلبي:

+ «نعم أسألك أنت أيضاً، يا شريكي المخلص، ساعدْ هاتين اللتين جاهدتا معي في الإنجيل مع **أكليمندس** أيضاً وباقي العاملين معي، الذين أسماؤهم في سفر الحياة.» (في٤: ٣)

فنحن إذ نسمع بعد ذلك عن ترتيبات كليمندس أسقف روما في كنيسته، ندرك كيف بدأ التقليد يأخذ أصالته، منحدراً من الترتيب الرسولي.

ومن الرسالة التي أرسلها بولس الرسول إلى تيموثاوس في أفسس، ندرك مدى خطورة عمل الأسقف بصفته الرئاسية المُهابة التي استلمها من الرسل، لأن مقاومة الهراطقة من أصعب المواجهات التي واجهتها الكنيسة المبتدئة:

+ «كما طلبت إليك أن تمكث في أفسس، إذ كنتُ أنا ذاهباً إلى مكدونية، لكي توصي قوماً أن لا يُعلِّموا تعليماً آخر، ولا يصغوا إلى خرافاتٍ وأنسابٍ لا حدَّ لها تُسبِّب مباحثاتٍ دون بنيان الله الذي في الإيمان.» (١تي١: ٣و٤)

+ «هذه الوصية، أيها الابن تيموثاوس، أستودعُك إياها حسب النبوات التي سبقت عليك **لكي تحارب فيها المحاربة الحسنة**.» (١تي١: ١٨)

أما تنقُّل الأساقفة فكان في البدء وارداً بحيث يحل واحد محل واحد لكي تبقى الكنيسة محدودة التدبير غير منقسمة، هذا نقرأه بخصوص كنيسة كريت وأسقفها تيطس:

+ «حينما أُرسل إليك أرتيماس أو تيخيكس، بادر أن تأتي إليَّ إلى نيكوبوليس لأني عزمتُ أن أُشتِّي هناك.» (تي٣: ١٢)

والملاحَظ لو تتبعنا الترتيبات الكنسية منذ أول خدمة بولس الرسول حتى النهاية نجد أن النمو في التحديد بالنسبة للدرجات وارد، ولكن النمو في التحديد بالنسبة للاختصاصات غير واضح. ولكن الكنائس كانت تُخدم بمجمع قسوس أو أساقفة πρεσβύτεροι, ἐπίσκοποι ثم الشمامسة، وذلك كله تحت رعاية بولس الرسول المباشرة. وهذا هو السر في عدم وضوح درجة الأسقف بمفهومها الفردي كمترئس على الإكليروس، في كل الرسائل، إذ يرجع ذلك إلى أن القديس بولس كان هو المدبِّر الوحيد ــ على مدى خمسة عشر عاماً ــ لجميع الكنائس والمتصرِّف في كل ترتيباتها (٢كو١١: ٢٨). لذلك لم يكن من الممكن أن يأخذ أي فرد من الإكليروس سواء سُمِّي قسيساً أو أسقفاً صلاحيات الأسقف كمدبِّر وحيد، طالما كان بولس الرسول هو المسئول.

ولكن بمجرد أن سلَّم بولس وديعته وانطلق إلى من أحبه، ظهر في الحال الأساقفة: غايس في كورنثوس، تيطس في كريت، تيموثاوس في أفسس، وربما لوقا في فيلبي، وكليمندس في روما، وأبفرودتس في فيلبي، وظهرت معهم طبقة من الكهنة ثم الشمامسة كدرجات واضحة.

أما في كنيسة أورشليم وأنطاكية وروما (والإسكندرية منذ سنة ٤٥م) فقد بدأت الدرجات الثلاث: الأسقف والقسيس والشماس مع قيام هذه الكنائس وفي وجود الرسل. فنحن نعرف أن القديس مرقس الإنجيلي أسس كنيسة الإسكندرية سنة ٤٥م، وعيَّن فيها إنيانوس أول أسقف منذ دخوله مصر قادماً إليها من القيروان في ليبيا.

كذلك لا نستطيع أن نغفل عمل المواهب النشطة في الكنائس المبتدئة التي كانت تُغني كثيراً عن وظائف التنظيم والتعليم، لأنها كانت مواهب تختص بذلك بالدرجة الأولى، كما نرى ذلك في كنيسة كورنثوس سنة ٥٧م، التي يخاطبها بولس الرسول معترفاً بغنى النعمة والمواهب العاملة فيها:

+ «أشكر إلهي في كل حين من جهتكم على نعمة الله المعطاة لكم في يسوع المسيح،
أنكم في كل شيء استغنيتم فيه في كل كلمة، وكل علم،
كما ثُبتت فيكم شهادة المسيح، حتى إنكم لستم ناقصين في موهبة ما.» (١ كو١: ٤—٦)

ولكن هذا النشاط «الخارزْماتك» أي الموصول بالمواهب لم يَدُمْ كثيراً في الكنائس الأولى.

ثانياً: التدبير الكنسي

قوة الضبط والربط في الكنيسة:

بمجرد أن نشأت الكنيسة كجماعة متحدة مترابطة ذات حياة خاصة وأهداف واحدة، أصبح من الطبيعي أن يكون لها سلطان أن تحكم وتضبط به نفسها لتستمر وتنمو. وسلطان انضباط وحكم الكنيسة يأتيها من الله.

+ «احترزوا إذاً لأنفسكم ولجميع الرعية التي أقامكم الروح القدس فيها أساقفة لترعوا كنيسة الله التي اقتناها بدمه.» (أع ٢٠:٢٨)

هنا الروح القدس هو المدبِّر الأول والأعلى، الذي عيَّن واختار هؤلاء الأساقفة، وهو الذي بالتالي يضبط ويحكم. هذا اعتراف بولس الرسول الأخير وهو يودِّع هؤلاء القادة، لكي لا يراهم مرَّة أخرى، فهو يسلمهم لليد العليا التي سترعاهم بالدرجة الأولى. أما رعايتهم هم للشعب فهي من تحت هذه اليد وبمقتضى قيادتها ومشورتها.

هنا سلطان الأساقفة واضح أنه متعلق بالدرجة الأولى بمدى طاعتهم لصاحب السلطان الحقيقي الذي أقامهم وائتمنهم. إذاً يلزم التفريق بين السلطان الذي يدبر الكل وعلى طول المدى بالنسبة للكنيسة وهو الله، والسلطان المحلي والمؤقت الذي يباشره الأسقف من تحت سلطان الله وبمشورة منه. هذا نتعلَّمه ونستمد معرفته من بولس الرسول، الذي كان يستمد معرفته وتصرفه من المسيح نفسه:

+ «وأما المتزوجون فأوصيهم لا أنا بل **الرب** ...» (١ كو٧:١٠)
+ «وأما الباقون فأقول لهم **أنا لا الرب** ...» (١ كو٧:١٢)
+ «وأما العذارى **فليس عندي أمْرٌ من الرب فيهن**، ولكنني أعطي رأياً ...» (١ كو٧:٢٥)

على أن سلطان الأسقف أولاً وأخيراً هو قائم على أساس مقدار تمسكه بوصايا صاحب السلطان الأعلى الذي يستمد منه سلطانه، وذلك إزاء كل تعليم مخالف:

+ «إن كان أحد يحسب نفسه نبياً أو روحياً فليعلم ما أكتبه إليكم **أنه وصايا الرب**.» (١ كو١٤:٣٧)
+ «لذلك أكتب بهذا وأنا غائب لكي لا أستعمل جَزْماً وأنا حاضرٌ حسب **السلطان** الذي

أعطاني إياه الرب للبنيان لا للهدم.» (٢ كو١٣: ١٠)

+ «إذ أسلحة محاربتنا ليست جسدية بل قادرة بالله على هدم حصون. هادمين ظنوناً وكل عُلوٍّ يرتفع ضد معرفة الله، ومستأسرين كل فكر إلى طاعة المسيح، ومستعدين لأن ننتقم على كل عصيان، متى كملت طاعتكم.» (٢ كو١٠: ٤ـــ٦)

واضح هنا سلطان الله الذي يعمل من تحته بولس الرسول بكل ثقة وأمانة وحزم معاً.

على أن سلطان الكنيسة لا يعمل خارج الكنيسة، وإن عمل فهو في حدود المناداة بالحق فقط:

+ «لأنه ماذا لي أن أدين الذين من خارج. ألستم أنتم تدينون الذين من داخل؟ أما الذين من خارج فالله يدينهم، فاعزلوا الخبيث من بينكم.» (١ كو٥: ١٢و١٣)

+ «لأننا نحن لا يمكننا أن لا نتكلم بما رأينا وسمعنا.» (أع٤: ٢٠)

+ «فأجاب بطرس والرسل وقالوا: ينبغي أن يُطاعَ الله أكثر من الناس.» (أع٥: ٢٩)

أما السلطان الذي للكنيسة للحكم على المؤمنين الذين فيها فهو مسنود بحق الروح الذي أعطته الكنيسة للمؤمنين ليكونوا أعضاء فيها بالمعمودية، التي وهبتهم الحياة الجديدة، والإفخارستيا التي وهبتهم مغفرة الخطية، فهي لها أن تحاسب بعد ذلك:

+ «أكتبُ للذين أخطأوا من قبل ولجميع الباقين، أني إذا جئتُ أيضاً لا أُشفق.» (٢ كو١٣: ٢)

+ «لأني أخاف إذا جئتُ أن لا أجدكم كما أريد وأُوجَدَ منكم كما لا تريدون ...، أن يذلني إلهي عندكم إذا جئت أيضاً، وأنوح على كثيرين من الذين أخطأوا من قبل ولم يتوبوا عن النجاسة والزنا والعهارة التي فعلوها.» (٢ كو١٢: ٢٠و٢١)

+ «لا تقبل شكاية على شيخ إلاَّ على شاهدين أو ثلاثة شهود. الذين يخطئون، وبِّخهم أمام الجميع لكي يكون عند الباقين خوف.» (١تي٥: ١٩)

أصناف التأديب وأنواع العقوبة:

كانت العقوبات عند القديس بولس تنحصر في ثلاث: التوبيخ، العزل المؤقَّت، الحرمان أو القطع.

أ ـــ التوبيخ:

كان من أولى مسئوليات أساقفة الكنيسة توبيخ كل من تسوِّل له نفسه عمل الشر والخروج عن الحدود. وكانت هناك طريقتان للتوبيخ:

الأولى: التوبيخ الحبي الأبوي أو الأخوي ويجري في كتمان بين المسئول والمخالف (١تي ٥: ١و٢).

والثانية: التوبيخ العلني الجماعي (١تي٥: ٢٠) وينفَّذ رسمياً في وسط الجماعة بتعيين الوقت والإعلان عن ذلك مُسْبقاً، وهو إجراء أقسى من الإجراء السالف، وغالباً يلجأ إليه الرئيس بعد فراغ صبره واستنفاذ فرص التوبيخ الخاص.

وهذان النوعان من التوبيخ، إنما يُمهّدان لإجراء عقوبة أشد خطورة.

ب ــ العزل:

+ «الرجل المبتدعُ αἱρετικόν بعد الإنذار مرة ومرتين، أعرض عنه عالماً أن مثل هذا قد انحرف، وهو يخطىء محكوماً عليه من نفسه.» (تي٣: ١٠)

ج ــ الحرمان أو القطع:

وهذا الإجراء له أيضاً شكلان:

الأول: وضع المشاغب أو مثير الشجار أو المؤذي بكثرة عثراته، تحت الحَجْر، أي الملاحظة والمتابعة، مع قطع مؤقت من الشركة وعدم الخلطة مع الآخرين حتى ينصلح حاله ويتوب.

+ «فاعزلوا الخبيث من بينكم.» (١كو٥: ١٣)

+ «وإن كان أحد لا يطيع كلامنا بالرسالة فسِمُوا هذا ولا تخالطوه لكي يخجل، ولكن لا تحسبوه كعدو بل أنذروه كأخ.» (٢تس٣: ١٤و١٥)

+ «أفأنتم منتفخون وبالحري لم تنوحوا حتى يُرفَع من وسطكم الذي فعل هذا الفعل، فإني أنا كأني غائب بالجسد ولكن حاضرٌ بالروح، قد حكمتُ كأني حاضر في الذي فعل هذا هكذا:
باسم ربنا يسوع المسيح، إذ أنتم وروحي مجتمعون مع قوة ربنا يسوع المسيح، أن يُسلَّم مثل هذا للشيطان لهلاك الجسد لكي تَخْلُصَ الروح في يوم الرب يسوع.» (١كو٥: ٢ــ٥)

الثاني: وهو الحرمان الكلي والقطع النهائي. ولكن هذا يلوِّح به القديس بولس الرسول ولكن لم يستخدمه قط، فهو في الآية (١كو٥: ٢ــ٥) الذي حكم بتسليم هذا الفاجر الذي يزني مع امرأة أبيه ولا يتوب، أسْلَمه للشيطان لهلاك الجسد. هذا حسن ولكن عاد هو نفسه وسحب هذا الحكم العنيف المخيف بكلام يذوب محبة ولطفاً وإشفاقاً ودموعاً:

+ «مثل هذا يكفيه هذا القصاص الذي من الأكثرين (العزل والتوبيخ) حتى تكونوا بالعكس تسامحونه بالحري، وتعزونه لئلا يُبتَلَع مثل هذا من الحزن المفرط. لذلك أطلب

أن تُمكِّنوا له المحبة ... لئلا يطمع فينا الشيطان لأننا لا نجهل أفكاره.» (٢كو٢: ٦-١١)

من هذا نفهم روح الضبط والربط في الكنيسة عند بولس الرسول، فهي حارسة على الحق ولا تستعرض قوتها وسلطانها خُلْواً من محبة وإشفاق وعطف ولطف فائق على أخطى الخطاة!! ليس للتخويف والإرهاب تعاقب، ولكن لتمكين التوبة وإعادة السيرة الطاهرة. فالكنيسة عند بولس الرسول هي «عمود الحق وقاعدته» (١تي٣: ١٥)، وليست محكمة وجلادين ورجم حجارة كالذي عند اليهود. فوصايا المحبة التي سلَّمها العريس لا تصلح أن تكون بنود تعذيب!!!

نظرة عامة لحياة الكنيسة الفتيَّة في أيام بولس الرسول:

كانت الكنائس كلها خاضعة لتدبير بولس الرسول، بأساقفتها وقسوسها وشمامستها، ولأن يد بولس الرسول كانت هي العليا، لم تظهر أنشطة الدرجات، وإن ظهرت أسماؤها بتحديد. علماً بأن أقدم الكنائس في أيام بولس لم يتعدَّ عمرُها اثنتي عشرة سنة منذ الإنشاء، لذلك لم يكن من المعقول أن تظهر الكنيسة بكامل صورتها التي في ذهننا الآن.

ولكن أوضح معالم الكنيسة الجديدة في أيام بولس الرسول هي المواهب التي سكبها الله على هذه الكنائس بسخاء، وخاصة عامة الشعب، حيث ظهرت فيه جميع فئات المواهب الخادمة والعاملة بصورة مذهلة للعقل:

+ « فإن اجتمعت الكنيسة كلها في مكان واحد وكان **الجميع يتكلمون بألسنة** ...، ولكن إن **كان الجميع يتنبأون** ...،

متى اجتمعتم، **فكل واحد منكم له مزمور، له تعليم، له لسان، له إعلان، له ترجمة**، فليكن كل شيء للبنيان.

إن كان أحدٌ يتكلم بلسانٍ، **فاثنين اثنين**، أو على الأكثر **ثلاثة ثلاثة**، وبترتيب، **وليُتَرجمْ واحد!** ...،

أما الأنبياء فليتكلم اثنان أو ثلاثة وليحكم الآخرون،

ولكن إن **أُعلن لآخر جالس فليسكت الأول!**

لأنكم **تقدرون جميعكم أن تتنبأوا** واحداً واحداً، ليتعلم الجميع ويتعزَّى الجميع،

وأرواح الأنبياء خاضعة للأنبياء.» (١كو١٤: ٢٣-٣٢)

والقديس بولس يعطينا صورة واضحة جداً لحال الكنيسة وهيئتها من الداخل بالنسبة لجميع

الفئات العاملة ودرجاتها الروحية الناشطة فيها هكذا:

+ «فوضع الله أناساً في الكنيسة أولاً رسلاً، ثانياً أنبياءَ، ثالثاً معلمين ثم قوات، وبعد ذلك مواهب شفاء، أعواناً تدابير وأنواع ألسنة.» (١كو١٢: ٢٨)

وبسبب وجود هذا النشاط الروحي المكثَّف من الشعب وبالشعب كانت حاجة الكنيسة آنئذ إلى شيء واحد فقط هو التنظيم والربط بين المواهب للاستفادة الصحيحة، والردع للخارجين عن التعليم الصحيح، والضبط والربط، حتى لا يفلت زمام الخدمة. أما الخدمة بحد ذاتها، فكان الشعب يخدم بالروح مباشرة وتنتقل المواهب بينهم بسرعة وبلا وسيط. ولكن لم تَدُمْ هذه الحالة إلاَّ لزمن محدود يسمى في التاريخ الكنسي بزمن الأنبياء، وهو الذي يلي زمن الرسل مباشرة قبل أن يستقر في يد الأساقفة والإكليروس. ولكن ظلت المواهب تعمل في الكنيسة في وسط الشعب إلى زمن ليس بقليل.

ومعروفٌ أن قيام الأنبياء في الكنيسة ظهر منذ يوم الخمسين عندما حلَّ الروح القدس على جميع الحاضرين (١٢٠ نفساً)، وقد أعطى الله الأنبياء كل مواهب الرسل في الإعلان عن المسيح بالروح:

+ «الذي في أجيال أُخر لم يُعرَّف به بنو البشر، كما قد أُعلن الآن لرسله القديسين **وأنبيائه** بالروح.» (أف٣: ٥)

+ «مبنيِّين على أساس الرسل **والأنبياء**، ويسوع المسيح نفسه حجر الزاوية.» (أف٢: ٢٠)

صورة الكنيسة الروحية في ذهن بولس الرسول:

+ «... كيف يجب أن تتصرف في بيت الله οἴκῳ θεοῦ الذي هو كنيسة الله الحي عمود الحق وقاعدته.» (١تي٣: ١٥)

الكنيسة هنا هي كنيسة الله الحي، هي عائلته. فالبيت هنا لا يأتي إطلاقاً بمعنى البناء المادي، حيث عمود الحق هو المسيح الذي يحمل الكنيسة ككلٍّ. والقاعدة هنا هي قاعدة الحق المؤسَّسة على استعلان الآب والابن. والمهم هنا هو كلمة «بيت» فالكنيسة عائلة، أهل بيت الله (أف٢: ١٩) القديسين، عائلة موحَّدة في الرأس. هنا نشعر كيف جمع بولس الرئاسات الكنسية مع الشعب في أُلفة الأسرة الخاضعة لبعضها، والكلُّ خاضع للرأس. وهي تسير معلنةً عن **الحق** الذي فيها، نحو الأبدية، وضد تيارات العالم المعاكِسة، ولن يقوى عليها العالم، فأبواب الجحيم لن تقوى عليها، لأن عمودها الذي يسير بها قاعدته في السماء.

الباب السادس

الحياة المسيحية والأخلاق

عند القديس بولس[1]

---

(١) سبق أن عرضنا أكثر من مرة في الفصول السابقة بعض النواحي من «أخلاقيات بولس الرسول» واتصالها بالموضوعات الأخرى:

أنظر صفحات ١٠٤ــ١٠٨ «الأخلاقيات عند القديس بولس تنبع من ظهور الرب له».

صفحات ٢٧٣ــ٢٧٦ «القيم الأخلاقية لسر الفداء».

صفحة ٣٨٣ «البر والأخلاق في المسيحية عند بولس الرسول».

الفصل الأول

الأسس الأُولى للأخلاقيات

عند القديس بولس

بقبول المسيح ربًّا ومُخلّصاً، بحسب بولس الرسول، ينتهي ناموس موسى(٢) بكل مذّخراته في الأدب والأخلاق والسلوك. هذا يوجبه الانتقال من ناموس العبودية بوصايا تختص بالمستعبدين للخطايا، إلى ناموس الحرية المختص بأولاد الله.

+ «إذ لم تأخذوا روح العبودية أيضاً للخوف، بل أخذتُم روح التبني الذي به نصرخ يا أبا الآب. الروح نفسه أيضاً يشهد لأرواحنا أننا أولاد الله.» (رو٨: ١٥و١٦)

كان ناموس موسى له روح التأديب ـــ من نحو العبيد ـــ بالعصيِّ والسوط والرجم بالحجارة حتى الموت، ولكن في المسيح انتهى عهد التأديب وجاء زمان الحب. والمحبة أقوى من الموت.

+ «إذاً قد كان الناموس مؤدِّبنا إلى المسيح، لكي نتبرر بالإيمان. ولكن بعد ما جاء الإيمان، لسنا بعد تحت مؤدِّب، لأنكم جميعاً أبناء الله بالإيمان بالمسيح يسوع.» (غل٣: ٢٤ـــ٢٦)

قانون التأديب بناموس موسى الخاص بعبيد الخطية والأموات فيها، أنشأ بوصاياه الثقيلة عقوبات لا حد لها؛ هذه مزَّقها المسيح على الصليب لِيُنْهي عهد العبيد.

+ «إذ محا الصكَّ الذي علينا في الفرائض الذي كان ضدًّا لنا، وقد رفعه من الوسط (ما بين الإنسان والله) مسمِّراً إياه (في جسده) بالصليب (على الصليب).» (كو٢: ١٤)

+ «ونقض حائط السياج المتوسط (القائم بالناموس بين اليهود والأمم)، أي العداوة، مُبطِلاً

---

(٢) حينما يُقال «ناموس موسى» فهذا بالتحديد هو الخمسة الأسفار لموسى فقط وهي الخاصة بالتقنين للخارجين من مصر، ولا يدخل فيه بقية أسفار العهد القديم: يشوع والقضاة والملوك والأنبياء والمزامير.

بجسده ناموس الوصايا في فرائض، لكي يخلق الاثنين في نفسه إنساناً واحداً جديداً.» (أف ٢: ١٤و١٥)

وهكذا بموت المسيح على الصليب انتهت كل علاقة تربطنا بناموس التأديب الأخلاقي الخاص بالعبيد، عبيد الخطية.

+ «إذاً، يا إخوتي، أنتم أيضاً قد مُتُّم للناموس بجسد المسيح، لكي تصيروا لآخر (لغير الناموس)، للذي قد أُقيم من الأموات لنُثمر لله.» (رو٧: ٤)

+ «وأما الآن فقد تحررنا من الناموس، إذ مات الذي كنا مُمسَكين فيه (الجسد العتيق)، حتى نعبد بجِدَّة الروح لا بعتق الحرف.» (رو٧: ٦)

إذاً، فالمسيح بموته حررنا من ناموس العبودية والموت، وأصبح علينا أن لا نعيش فيه:

+ «فاثبتوا إذاً في الحرية التي قد حررنا المسيح بها، ولا ترتبكوا أيضاً (ثانية) بنير عبودية.» (غل ٥: ١)

ولكن إلى أي مدى يستمر الإنهاء والاستغناء عن ناموس موسى؟

يقول الكثيرون من الشُّرَّاح، بحسب تفكيرهم، إن ناموس موسى شقَّان: شقٌّ ذبائحي احتفالي، وشق أخلاقي، وأن الذي انتهى هو الذبائحي والذي يبقى هو الأخلاقي. ولكن بولس الرسول لا يرى ذلك ولم يقل به، فناموس موسى كلٌّ لا يتجزأ، عاش بحذافيره وانتهى بحذافيره.

لقد انتهى بولس الرسول من ناموس موسى ككلٍّ، يوم أن استُعْلِن له المسيح، وجاهر بذلك علناً بعد مجمع الرسل الأول في أورشليم سنة ٥٠م، وقبل أن يكتب سطراً واحداً في أية رسالة من رسائله، وظل ثابتاً على ما استقر عليه حتى النهاية. وكان ذلك بشهادة وموافقة من الرسل في أورشليم:

+ «حينئذ رأى الرسل والمشايخ مع كل الكنيسة ... وكتبوا بأيديهم هكذا: الرسل والمشايخ والإخوة يهدون سلاماً إلى الإخوة الذين من الأمم ... إذ قد سمعنا أن أناساً خارجين من عندنا أزعجوكم بأقوال مُقلِّبين أنفسكم وقائلين أن تختتنوا وتحفظوا الناموس، الذين نحن لم نأمرهم، رأينا وقد صرنا بنفس واحدة ... لأنه قد رأى الروح القدس ونحن أن لا نضع عليكم ثقلاً أكثر غير هذه الأشياء الواجبة: أن تمتنعوا عما ذُبح للأصنام وعن الدم والمخنوق والزنا، التي إن حفظتم أنفسكم منها فنِعِمّا تفعلون. كونوا معافين.» (أع١٥: ٢٢—٢٩)

ولكن قد خيَّب بولس ظنَّ كل مَنْ تصور أنه حتماً سيضع ناموساً للمسيحية أفضل من الناموس الذي وضعه موسى، على مثاله أو مستمداً منه. هذا لم يخطر حتى على بال بولس الرسول، بل وضع في مقابل الناموس في العهد القديم بجملته نعمة المسيح في العهد الجديد، حيث الناموس الأول قيود والنعمة الجديدة حرية:

+ «فإن الخطية لن تسودكم، لأنكم لستم تحت الناموس بل تحت النعمة.» (رو٦: ١٤)
+ «ولكن قبلما جاء الإيمان، كنا محروسين تحت الناموس مُغْلَقاً علينا.» (غل٣: ٢٣)
+ «ولكن إذ انقَدْتُم بالروح، فلستم تحت الناموس.» (غل٥: ١٨)

ولكن النعمة عند بولس الرسول هي «دائرة حكم الله» التي يدخلها البنون، فهي أيضاً ذات التزامات، ولكن يا لها من التزامات! فالقانون الذي يضبطها هو المحبة الإلهية وقيادة الروح القدس والمواهب والعطايا المجانية من عند أبي الأنوار. فالنعمة ناموس، ولكن ناموس الروح لا الحرف؛ وهي قانون، ولكن قانون الحياة وليس الموت. قانون الحياة لحياة فوق الطبيعة، حياة في الله ومعه:

+ «لأنه في المسيح يسوع ليس الختان ينفع شيئاً ولا الغُرْلة، بل **الخليقة الجديدة**. فكل الذين يسلكون بحسب هذا القانون عليهم سلام ورحمة وعلى إسرائيل الله.» (غل٦: ١٥و١٦)

ولكن الخليقة الجديدة، وهي الإنسان الجديد الحائز على حرية البنين لله، لها ناموسها الذي انبثقت منه أي «الصليب»: «احملوا بعضكم أثقال بعض وهكذا تمموا ناموس المسيح» (غل٦: ٢). هنا، عِوَض ثقل الناموس القديم الذي «لم يستطع آباؤنا ولا نحن أن نحمله» (أع١٥: ١٠)، استبدله بولس الرسول بثقل الصليب، أي البذل الذي هو عمل المحبة. وثقل الصليب سبق أن عبَّر عنه المسيح أنه هيِّن وخفيف إذا قيس بناموس موسى: «احملوا نيري عليكم وتعلَّموا مني ... لأن نيري هيِّن وحِمْلي خفيف.» (مت١١: ٢٩و٣٠)

لأنه وإن كانت النعمة في المسيح قد وهبت الحرية ــ عوض عبودية الناموس ــ ولكنها ليست حرِّية لاستخدام الجسد بل هي حرِّية الروح الذي يعمل ضد الجسد، يخضعه ويقمعه ويستعبده: «فإنكم إنما دُعيتم للحرية، أيها الإخوة. غير أنه لا تصيِّروا الحرية فرصة للجسد، بل بالمحبة اخدموا بعضكم بعضاً.» (غل٥: ١٣)

ضابط الحرية في ناموس المسيح "الضمير":

الضمير عند بولس الرسول هو مركز النبض الروحي، إنه يضخُّ دم المسيح في عروق الإنسان الجديد بالروح الأزلي، روح الحياة في المسيح القادر على التطهير الفعلي. وضمير الإنسان، كل إنسان، هو مستعبد للخطية، والخطية يستحيل أن يتحرر منها الإنسان إلاَّ بالموت. وهكذا كلُّ مَنْ

نـال قوة الموت في موت المسيح، فإنه يكون قد تحرر من الخطية وذاق حرية مجد أولاد الله. والمعمودية تعطي جواز هذه الحرية كصكٍّ تغير طبيعة وانتقال من حالة العبودية للخطية إلى حالة حرية البنين في المسيح. فالإنسان المسيحي حرٌّ بمقدار تحرُّر ضميره من عبودية الخطية والخوف من الموت.

الضمير في مفهوم بولس الرسول هو **أن يعرف الإنسان نفسه**، على مستوى أن يعرف كيف يدين الإنسان نفسه أخلاقياً، ليس على مستوى الناموس بعد. لأنه على مستوى تتميم وصايا الناموس، يمكن أن يكون الإنسان باراً، بينما على مستوى الإحساس الأخلاقي نجد أن الضمير يصرخ. وهذه المفارقة الخطيرة بين برّ الناموس الشكلي وبرِّ الحق في الضمير، عانى منها بولس الرسول بشدة، فهو في الوقت الذي يشهد لنفسه أنه كيهودي **قد أكمل البر الذي في الناموس بلا لوم** (في٣:٦)، يعود هو نفسه ويصرخ من جهة الضمير: «ويحي أنا الإنسان الشقي مَنْ ينقذني من جسد هذا الموت.» (رو٧:٢٤)

لذلك استطاع بولس الرسول أن يعطف على الأممي ويكتشف في ضميره ناموساً ممكن أن يتبع الحق: «فهؤلاء إذ ليس لهم الناموس، هم ناموس لأنفسهم، الذين يُظْهِرون عمل الناموس مكتوباً في قلوبهم، شاهداً أيضاً ضميرهم وأفكارهم فيما بينها مشتكية أو محتجة.» (رو٢: ١٤و١٥)

بهذا ابتدأ عمل الضمير عند بولس الرسول يتضح ليأخذ صورة ذات فعالية في المسيحية، يضبط بها الحرية الموهوبة للإنسان الجديد ليسلك فيها:

+ «أقول الصدق في المسيح، لا أكذب، **وضميري** شاهد لي بالروح القدس.» (رو٩:١)
+ «لأن فخرنا هو هذا **شهادة ضميرنا** ...» (٢كو١:١٢)

وبولس الرسول يجعل الضمير قيِّماً على الوصية عوض الناموس الحرفي ومعلِّميه كتبة وفريسيين:

+ «وأما غاية الوصية فهي المحبة من قلب طاهر **وضمير صالح** وإيمان بلا رياء.» (١تي١:٥)
+ «هذه الوصية أيها الابن تيموثاوس أستودعُك إياها ... لكي تحارب فيها المحاربة الحسنة ولك إيمان **وضمير صالح**.» (١تي ١٨و١٩)
+ «كذلك يجب أن يكون الشمامسة ... ولهم سر الإيمان **بضمير طاهر**.» (١تي٣: ٨و٩)

هنا شرط إقامة الشماس على الخدمة ينتقل من الامتحان والفحص بواسطة آخرين إلى **شهادة ضمير الشخص نفسه**. بهذا يأخذ ناموس المسيح وخدمته أخطر مراقب وأقدر قاضٍ وأصدق شاهد: ضمير الإنسان!

هنا إدخال الضمير كشاهد على أعمال الإنسان وسلوكه وأخلاقه، يرفع مستوى الناموس الذي يعيش به ويعيش له إلى أعلى الآفاق، فالضمير يستمد وَحْيه من الحق الإلهي وروح الكلمة في الإنجيل.

هكذا يبدأ بولس الرسول يتخذ من ضمير المسيحي مراقباً أخلاقياً وسلوكياً يُحْسن الحكم والتصرف، وهو يضعه كأساس للتعامل مع الدولة وخُدَّامها: «لتخضع كل نفس للسلاطين الفائقة، لأنه ليس سلطان إلاَّ من الله، والسلاطين الكائنة هي مُرتَّبة من الله حتى إن مَنْ يقاوم السلطان يقاوم ترتيب الله ... لذلك يلزم أن يُخضَع له ليس بسبب الغضب فقط بل أيضاً **بسبب الضمير.**» (رو١٣: ١ــ٥)

هكذا يرفع بولس الرسول مستوى الضمير كرقيب فوق تصرفات الإنسان فيما يخص العلاقات التي تمس الله وترتيبه ووصاياه. وواضح من الأمثلة السالفة أن بولس الرسول يقرن الضمير بالروح القدس والإيمان، وكأنه عطية جديدة انفتحت على الإنسان بنوال حرية البنوَّة لله. **فالضمير هنا أعلى من الحرية**، وهو رقيب عليها، مع أنه عطيتها الأولى والكبرى للإنسان الجديد. فالضمير والحرية هما من تكوين الخليقة الجديدة، يسيران معاً على درب الإيمان ــ بقيادة الروح القدس ــ إذا اختلَّ أحدهما، اختل الآخر.

وهكذا يقف ضمير الإنسان الجديد الذي تحرَّر وذاق حرية أولاد الله وتطهَّر بالروح من الأعمال الميتة على مستوى النقاوة التي لا يشوبها زيف الخطية: «... فكم بالحري يكون دم المسيح، الذي بروح أزلي قدَّم نفسه لله بلا عيب، **يطهِّر ضمائركم من أعمال (الخطية) ميتة** لتخدموا الله الحيّ» (عب٩: ١٤)؛ وذلك في مقابل الضمير الذي لا يزال يعيش في عدم إيمان بفكر نجس وأعمال ميتة ولم ينتفع بدم المسيح: «فلهذا السبب وبِّخهم بصرامة لكي يكونوا **أصحّاءَ في الإيمان**، لا يُصغون إلى خرافات يهودية ووصايا أناس مرتدين عن الحق. كل شيء طاهر للطاهرين وأما للنجسين وغير المؤمنين فليس شيء طاهراً بل قد تنجَّس ذهنهم أيضاً **وضميرهم.**» (تي١: ١٣ــ١٥)

واضح هنا أن الإيمان الصحيح يُطهِّر القلب من أعمال الخطية وتصوراتها وخوفها وعبوديتها، ويعطي للضمير صحة ونقاوة وطهارة، فهو يصلح لأن يكون حَكَماً وقائداً في المسيرة الأخلاقية للحياة المسيحية.

وبولس الرسول يعطينا صورة لضمير شاهد في ملء ناموس النعمة على كل تصرفات الإنسان:

«لأن فخرنا هو هذا **شهادة ضميرنا**، أننا في بساطة وإخلاص الله — لا في حكمة جسدية — بل في نعمة الله **تصرَّفنا في العالم** ولا سيما من نحوكم.» (٢كو١: ١٢)

ولكن يعود بولس الرسول في موضوع الأكل من الذبائح المقدَّمة للأوثان، ليعطي قانوناً آخر يهيمن على حرية الإنسان وعلى حكم ضميره وهو عثرة الآخرين.

فمهما كانت حريتي في المسيح وطهارة ضميري بحسب الإيمان الصحيح والعلم الصحيح، يلزم أن لا استخدمها بالنسبة للآخرين خاصة لذوي الضمائر الضعيفة نظراً للإيمان الضعيف الذي يتغذى عليه ضمائرهم، وهو يعطي بذلك المثل: أنه ولو كان لي ضمير صالح لإيمان صالح في حرية المعرفة الصحيحة أن ما ذُبِحَ للأوثان هو مجرد لحم لا علاقة له بالوثن والوثن بحد ذاته خرافة، وأنه ممكن أن آكل منه غير فاحص بضميري أشياء مثل هذه، **إلاَّ أنه** لا يصح لي أن آكل من هذا اللحم لا أمام ذلك الذي قدمه لي وهو عالم أنه للوثن لئلا يُحْكَم فيَّ أني أوافق الوثن، ولا أمام إنسان ضعيف الضمير ضعيف الإيمان ضعيف المعرفة، يظن أن الذي ذُبِح للأوثان محرَّماً، وإلاَّ فإني أُعثره وأجرح ضميره أو أشجِّعه لكي يأكل الحرام بحسب اعتقاده فيتنجَّس ويهلك:

+ «كل ما يُباع في الملحمة كُلُوه غير فاحصين عن شيء **من أجل الضمير**.» (١كو١٠: ٢٥)

+ «ولكن إن قال لكم أحد هذا مذبوح لوثن، فلا تأكلوا من أجل ذاك الذي أَعْلَمكم، **والضمير**...،

أقول الضمير، ليس ضميرك أنت بل **ضمير الآخر**، لأنه لماذا يُحكَمُ في حريتي من ضمير آخر.» (١كو١٠: ٢٨و٢٩)

+ «كونوا بلا عثرة **لليهود، ولليونانيين**، ولكنيسة الله.» (١كو١٠: ٣٢)

+ «فلا نحاكم أيضاً بعضنا بعضاً، بل بالحري احكموا بهذا أن لا يوضع للأخ مصدمة أو معثرة.» (رو١٤: ١٣)

+ «فإن كان أخوك بسبب طعامك يُحزَن فلست تسلك بعد حسب المحبة، لا تُهلِك بطعامك ذلك الذي مات المسيح لأجله، فلا يُفْتَرَ على **صلاحكم**.» (رو١٤: ١٥و١٦)

+ «كل الأشياء طاهرة، لكنه شرٌّ للإنسان الذي يأكل بعثرة.

حسنٌ أن لا تأكل لحماً ولا تشرب خمراً ولا شيئاً يصطدم به أخوك أو يعثر أو يضعف،

أَلكَ إيمان (ضمير) فليكن لك بنفسك أمام الله، طوبى لمن لا يدين نفسه في ما يستحسنه،

وأما الذي يرتاب فإن أكل يُدان، لأن ذلك ليس من الإيمان. وكل ما ليس من الإيمان فهو خطية.» (رو١٤: ٢٠—٢٣)

في الآية الأخيرة التي من رسالة رومية، يأتي «الإيمان» موضع «الضمير» في رسالة كورنثوس، وكلاهما إفراز للحرية التي وهبها المسيح. وهنا «الذي يرتاب» واضح أنه لم يبلغ إلى ملء الإيمان الذي يبلغ ملء الحرية على أساس المعرفة الصحيحة.

نستطيع أن نخرج من هذا أن بولس الرسول يقيِّم الحرية في المسيح على مرآة الضمير، حيث يرى المؤمن أعماق نفسه على قياس الفداء والبر الذي بالمسيح ومقدار التطهُّر الحادث بالإيمان: «ولم يميِّز (الله) بيننا وبينهم بشيء إذ طهَّر بالإيمان قلوبهم» (أع١٥: ٩)، وبهذا يشعر المؤمن بالمسيح بضمير بلا لوم أمام الله (أف١: ٤).

والحرية التي ينالها المؤمن وإن كانت تجعله حُرًّا من أحكام الآخرين، ولكنها لا تبرِّره أمام الله. فضمير المسيحي لا يزال يغتسل كل يوم ولا يكف عن الاغتسال: «أنسى ما هو وراء وأمتدُّ إلى ما هو قدام» (في٣: ١٣)، «وأما الروحيُّ فيحكم في كل شيء وهو لا يُحْكَمُ فيه من أحد» (١ كو٢: ١٥)؛ «وأما أنا فأقل شيء عندي أن يُحْكَمَ فيَّ منكم أو من يوم بشر، بل لست أحكم في نفسي أيضاً، فإني لست أشعر بشيء في ذاتي لكنني لستُ بذلك مبرَّراً.» (١ كو٤: ٣و٤)

فحتى ولو كان شعور الضمير بأنه ليس فيه ما يخالف الله لكن هذا الحكم لا يبرِّره أمام الله.

وبولس الرسول يحذر من أن **الضمير ليس هو الأداة التي تُعرِّفنا ما هي مشيئة الله**، مهما كان الضمير صالحاً، وذلك في القضايا الأخلاقية التي تواجه المؤمن. ولكن وظيفة الضمير أنه يذكِّر الإنسان بقضاء الله وينصحه أن لا يتعدى حدود حريته. **فالضمير محاسب ورقيب، ولكن ليس مصدر إدراك وتقنين.**

كذلك، فعمل الضمير كمراقب ومحاسب على الحرية التي نلناها في المسيح ليس هو صاحب الكلمة الفصل. فكفاءة حُكْمِه محدودة بمحيط إدراكنا لما هو نافع ومناسب ولائق، أما الحكم النهائي فهو لقضاء الله:

+ «فإني لست أشعر بشيء (خطأ) في ذاتي، لكنني لست بذلك مبرَّراً،
ولكن الذي يحكم فيَّ هو الرب،
إذاً لا تحكموا في شيء (فيما يخص الآخرين وضمائرهم) قبل الوقت حتى يأتي الرب الذي سينير خفايا الظلام ويُظْهِر آراء القلوب، وحينئذ يكون المدح لكل واحد من الله.» (١ كو٤: ٤و٥)

إن غاية ما يبلغ إليه بنا الضمير الذي تصفَّى واغتسل بدم المسيح، هو أن لا يلومنا في موقف ما

بمفرده. ولكنه لا يمكن أن يتخطَّى إلى كل المواقف. وهو حينما لا يلومنا تجاه موقف ما، فغاية ما نبلغه ليس أن نزداد دالة بل أن تزداد ثقتنا بالله، والكلام هنا للقديس يوحنا: «أيها الأحباء إن لم تَلُمْنَا قلوبنا، فلنا ثقة من نحو الله.» (١يو٣: ٢١)

وهكذا تتبلور قيمة الضمير في السلوك الأخلاقي في المسيحية كونه المرآة الداخلية التي يرى فيها المسيحي حريته في المسيح ويفتخر بها، لا من جهة حرية الفعل الأخلاقي، بل حريته من جهة الإحساس بالحرية من الخطية وبالتالي من الدينونة:

+ «إذاً لا شيء من الدينونة الآن على الذين هم في المسيح يسوع السالكين ليس حسب الجسد بل حسب الروح.» (رو٨: ١)

حيث يكون الضمير الأخلاقي في أَوج سعادته.

+ «لأنه إن ظن أحد أنه شيء وهو ليس شيئاً فإنه يغش نفسه، ولكن ليمتحن كل واحد عمله وحينئذ يكون له الفخر من جهة نفسه فقط، لا من جهة غيره، لأن كل واحد سيحمل حمل نفسه.» (غل٦: ٣-٥)

ملامح ناموس الحرية في المسيح:

الحرية عند بولس الرسول ليست فعلاً أخلاقياً أو أدبياً بل طبيعة جديدة للإنسان، تحررت من عبودية الخطية والموت. فالخطية قوة، وقوة الخطية ذات سلطان وسيادة واستعباد كما قال المسيح بالحرف الواحد: «كل مَنْ يعمل الخطية، هو عبدٌ للخطية» (يو٨: ٣٤). والتحرير من الخطية يستحيل أن يبلغه الإنسان لا بالفكر ولا بالتصور ولا بالنُسك ولا بكل أنواع العبادة والصلاة. فالإنسان لا يتحرر من الخطية إلاَّ بالموت، والموت وحده هو الذي يحرر الإنسان من الخطية. المسيحي ينال قوة هذا الموت المحرِّر من الخطية بالإيمان، وبقوة سر العماد الذي يحمل قوة الجلجثة وفعل صبغة المسيح بالدم وموته ليتحرر من الخطية كقوة سالبة وطبيعة قاتلة. فهكذا إذ نموت حقاً في سر المعمودية، أي بالشركة في موت المسيح ودفنه ونقوم، فنحن نكون بالحقيقة قد مُتْنا عن الخطية فصرنا أحراراً، وهكذا يتم قول المسيح بالحرف الواحد: «فإن حرَّركم الابن فبالحقيقة تكونون أحراراً» (يو٨: ٣٦). هكذا نتخلَّص من قوة الخطية وسلطانها بفعل دم المسيح الإلهي السري الذي يتغلغل كياننا حتى أعماق الضمير: «فكم بالحري يكون دم المسيح (بصبغة المسيح، أي معموديته) ... يطهِّر ضمائركم من أعمال ميتة لتخدموا الله الحي.» (عب٩: ١٤)

والحرية المسيحية عند بولس الرسول ليست معياراً فلسفياً كأنها إحدى المُدْرَكاتِ العقلية، بل هي حالة سعادة حقيقية وفرح، بل وتهليل وترنيم في القلب لا ينقطع، وشكر في كل حين على كل

شيء. فالحرية المسيحية تحمل برهانها فيها الذي يطفح بالبِشْر والمسرة على الدوام وفي أشقِّ الأتعاب والضيقات والاضطهادات. ولا يغيب عن بالنا أن سرَّ هذه السعادة التي ترافق الحرية وتدعِّمها يكمن في رفع ثقل الخطية من فوق الضمير ونوال عربون الحياة الجديدة بالروح، التي هي كلها إفرازات تنبع على الدوام من دم المسيح الذي يسري في عروقنا.

وهكذا أضفَتْ الحرية في المسيحية، بطبيعتها الفَرِحة السعيدة والمترنمة على الدوام والشاكرة على كل شيء وفي كل حين، أجمل وأبهج صورة للأخلاق البشرية.

وبها ارتفعت مستويات الحياة الإنسانية الجديدة إلى مستوى الخلاص من رَبْقة الخطية، وهذه هي بعينها حياة الطهارة بجمالها وعبيقها العَطِر في شموخ الاستقامة.

لكن حرية أولاد الله ليست تصريحاً مفتوحاً بلا حدود وقيود. فالخروج من تحت عبودية الناموس كسيد قاسٍ لا يرحم، لا يوصلنا إلى حرية شخصية بلا رقيب، لأننا لم ننَلْ الحرية باجتهادنا، بل المسيح أدْخَلَنا فيها، فدخلنا تحت سيادته كسيد رفيق ورحيم ومحبوب:

+ «فإنكم إنما دُعيتم للحرية، أيها الإخوة، غير أنه لا تُصيِّروا الحرية فرصة للجسد ...» (غل٥: ١٣)

فالمسيح لما رفع بنود ناموس موسى لم يتركنا في فراغ وكأنه لا ناموسَ أخلاقياً لنا؛ بل كان واضحاً أنه هو قد صار لنا المعلِّم والسيد عِوَض الناموس. فإن كان الناموس مُعلِّماً، فقد كان هو المعلم والسجَّان معاً؛ أما المسيح فقد أطلق سراح المسجونين ثم جلس يعلِّمهم كأحرار. فبدلاً من الناموس الذي قال: «عينٌ بعين، وسنٌّ بسنٍّ»، جاء المسيح يقول: «أحبوا أعداءكم، باركوا لاعنيكم، أحسنوا إلى مُبْغِضيكم، وصلوا لأجل الذين يسيئون إليكم ويطردونكم.» (مت٥: ٤٤)

وهكذا ظل المسيح يفنِّد حرفيات الناموس الذي يتعامل مع الأعمال الظاهرية للإنسان، بناموس أرقى وأكثر شمولية يتعامل مع الضمير من داخل النفس على أسس مَنْ تحرروا فعلاً من عبودية الخطية والموت.

فإذا لمحنا هذا الناموس الجديد لهذا السيد المبارك من جهة سموِّه الأخلاقي، أدركنا معنى قول المسيح: «لا تظنوا أني جئتُ لأنقضَ الناموس أو الأنبياء. ما جئتُ لأنقضَ بل لأُكمِّل οὐκ ἦλθον καταλῦσαι ἀλλὰ πληρῶσαι .» (مت٥: ١٧)

إذاً، فقد أرسى المسيح ناموساً آخر يتعامل لا بالحرف بل بالروح مع ضمير الإنسان، ومن الداخل على مستوى أعلى وأكمل وأشمل. هذا الناموس أسْمَاه بولس الرسول بناموس النعمة —

ناموس المسيح ـ لأن الإنسان الجديد الذي خلقه المسيح بموته وقيامته لم يَعُدْ يُحكم جسدياً، بل بالروح من الداخل حيث تقوده النعمة وترشده، تعنِّفه وتدينه، تلقيه على تراب التوبة وتقيمه جديداً مجدداً: «لأن كل الذين ينقادون بروح الله فأولئك هم أبناء الله» (رو٨: ١٤)، «فإن الخطية لن تسودكم لأنكم لستم تحت الناموس بل تحت النعمة.» (رو٦: ١٤)

هكذا يتضح أن ناموس الحرية لأولاد الله الذي تصنعه النعمة وتحكم به، تدين للتوبة وتُبرِّىء للمجد؛ فليس هو امتداداً لناموس موسى، ولا هو مأخوذ منه، ولا هو حتى من طبيعته، بل إنه لا يمتُّ إليه بصلة على الإطلاق. فذاك ناموس يقتل وهذا ناموس يُحْيي؛ ذاك يتعامل مع الجسد وهذا مع الروح.

وبولس الرسول يطلق حدود ناموس حرية أولاد الله حتى لا تكاد تحصره تحت فكر أو بند:

+ « أخيراً أيها الإخوة: كل ما هو حق، كل ما هو جليل، كل ما هو عادل،
كل ما هو طاهر، كل ما هو مُسِرٌّ، كل ما صيته حسن،
إن كانت فضيلة، وإن كان مدح، ففي هذه افتكروا.» (في٤: ٨)

ثم يعود بولس ويضع منهج الهيكل العام لهذا الناموس الذي تقوده النعمة وتحكمه في الضمير، بأن يكون التعليم الذي سلَّمه إليهم هو مرجعهم النهائي باعتباره إنجيله الذي استعلنه من المسيح مباشرة: «وما تعلمتموه وتسلمتموه، وسمعتموه، ورأيتموه فيَّ، فهذا افعلوا. وإله السلام يكون معكم.» (في٤: ٩)

هنا بولس الرسول يرسي قاعدة التقليد الأخلاقي الكنسي الذي سلَّمه للكنيسة والذي على الكنيسة أن تُسلِّمه للأجيال دون انحراف أو نشاز. وهذا ما تم وصار.

الخضوع الحرّ لناموس حرية أولاد الله:

منذ أن قَبِلَ المسيحي الإيمان واعتمد للمسيح وخرج إنساناً جديداً روحياً، صارت طاعته لمن خلّصه وفداه ضرورة حتمية ليقوده المسيح في طريق النور والخلود. ولكنها ضرورة تُحتِّمها فرحة الإنسان بخلاصه. هو التزام النفس الجديدة للروح الذي نفخ فيها الحياة: «إلى مَنْ نذهب، كلام الحياة الأبدية عندك.» (يو٦: ٦٨)

+ «ألستم تعلمون أن الذي تقدمون ذواتكم له عبيداً للطاعة، أنتم عبيد للذي تطيعونه، إما للخطية للموت أو للطاعة للبر. فشكراً لله أنكم كنتم عبيداً للخطية ولكنكم أطعْتُم من القلب صورة التعليم (الإيمان) التي تسلمتموها. وإذ أُعْتِقْتُم من الخطية صرتم عبيداً للبر...

فلكم ثمركم للقداسة والنهاية حياة أبدية.» (رو٦: ١٦-٢٢)

هنا يحمل الكلام معنى أن الذي نال الحرية للحياة بعد عبودية الخطية والموت صار خاضعاً خضوعاً كلياً ومباشراً لإرادة الله الذي حرره.

وبولس الرسول يربط بين الطاعة الكاملة لله وبين الحرية، منتهى الحرية، التي يدخل بها الإنسان إلى الإيمان بالمسيح ليعتمد ويصطبغ بصبغة المسيح ويصير له خاضعاً طائعاً بل عبداً، ولكن من مركز الحرية التي دخل بها، وإزاء الحرية الإرادية التي يدخل بها الإنسان إلى الإيمان ليصير عبداً للمسيح بإرادته، يعطيه المسيح حرية أولاد الله ويُلبسه زيَّ الجندي السمائي ويسلِّمه أسلحة المحاربة بالروح ضد قوات الظلمة لهذا العالم، ليدافع عن حريته العليا ويدوم فيها بالروح:

+ «فاشترك أنت في احتمال المشقّات، **كجندي** صالح ليسوع المسيح. ليس أحد وهو **يتجنَّد** يرتبك بأعمال الحياة (بل يجاهد) لكي يُرْضي مَنْ جنَّده. وأيضاً إنْ كان أحد يجاهد، لا يكلَّل إنْ لم يجاهد قانونياً.» (٢تي٢: ٣-٥)

+ «ولكنني حسبتُ من اللازم أن أرسل إليكم أبَفْرودِتُس أخي والعامل معي **والمتجنِّد معي** ...» (في٢: ٢٥)

+ «... وأرخبُّس **المتجند معنا** وإلى الكنيسة التي في بيتك.» (فل ٢)

أسلحة الدفاع الأخلاقي:

وإن كانت **الجندية** هي أشرف مهنة لدى بولس الرسول ليصوِّرها كرتبة روحية تخدم المسيح المدعو قديماً «رئيس جند الرب»، فأسلحة الجندية السماوية هي المنوط بها الدفاع عن الحرية الأخلاقية اللائقة بالمواطن السمائي. وقد اقتبس بولس الرسول فكرتها من إشعياء النبي حينما كان يصف المسيح وهو متجند للخلاص (إش٥٩: ١٦و١٧):

+ «وأما نحن الذين من نهار فلْنصْحُ **لابسين درع الإيمان والمحبة، وخوذة هي رجاء الخلاص** ...» (١تس٥: ٨)

+ «**البسوا سلاح الله الكامل**، لكي تقدروا أن تثبتوا ضد مكايد إبليس. فإن مصارعتنا (الأخلاقية) ليست مع دم ولحم بل مع الرؤساء مع السلاطين مع ولاة العالم على ظلمة هذا الدهر مع أجناد الشر الروحية في السماويات. من أجل ذلك احملوا سلاح الله الكامل لكي تقدروا أن تقاوموا (أخلاقياً) في اليوم الشرير، وبعد أن تتمموا كل شيء أن تثبتوا، فاثبتوا ممنطقين أحقاءكم بالحق،

ولابسين درع البر،

وحاذين (يلبس الحذاء) أرجلكم باستعداد (البشارة) إنجيل السلام،

حاملين فوق الكل ترس الإيمان الذي به تقدرون أن تطفئوا جميع سهام الشرير الملتهبة،

وخذوا خوذة الخلاص،

وسيف الروح الذي هو كلمة الله،

مُصلِّين بكل صلاة وطلبة كل وقت في الروح،

وساهرين لهذا بعينه بكل مواظبة وطلبة لأجل جميع القديسين.» (أف٦: ١١–١٨)

ونلخص هذه الأسلحة في ستة أنواع:

١ ــ **حزام الوسط** (منطقة على الحقوين) الذي يُعلَّق فيه السيف الذي يرمز إلى **الحق**:

«ويكون البرُّ مِنْطقَة مَتْنَيه، والأمانة (الصدق والحق) مِنْطَقة حَقْوَيه.» (إش١١: ٥)

هذا السلاح «**الحق**» من أهم أسلحة المحاربة الخلقية (للبر) الذي به يُميِّز المسيحي ويُفْرِزُ حيل الكذاب وأبي كل كذاب.

٢ ــ **درع البر**: θώραξ ، «البرُّ» هنا يعني مجمل الفضائل اللازمة لحماية القلب والضمير مركز الحياة الأدبية:

«فرأى أنه ليس إنسان، وتحيَّر من أنه ليس شفيع فخلَّصَتْ ذراعه لنفسه، وبرُّه هو عضده،

فلبس البرَّ كدرع، وخوذة الخلاص على رأسه ولبس ثياب الانتقام كلباس واكتسى بالغيرة كرداء.» (إش٥٩: ١٦و١٧)

٣ ــ **الحذاء** (الصندل ــ النعلين)، وهو خفيف ومُحْكَم على القدم تعبيراً عن الهمة والاستعداد السريع للسفر.

٤ ــ **ترس الإيمان**: θυρεός وهو الترس العريض (٤ قدم × ٢,٥ قدم)، مصنوع من البرونز ومُغطَّى بالجلد، وهو الحامي من ضرب السهام وحد السيف، وهو يحمي الجسم كله ما عدا الساقين.

٥ ــ **خوذة الخلاص**: περικεφαλαία (إش٥٩: ١٧) رمز الخلاص أو رجاء الخلاص ليحمي العقل من صواعق الأفكار التي يقذفها العدو من فوق الإنسان وأعلى من تصوره. فرأس الإنسان هدف مكشوف للعدو وأول مكان يلقي فيه سمومه.

٦ — **سيف الروح:** μάχαιρα قوة الله المذخرة في كلمته، وهو ليس السيف الطويل ξίφος ذا الحدّ الواحد، ولكنه السيف القصير العريض ذو الحدين. وهو الفعّال في مصادمة الهجوم الذي ينطوي على الغش والباطل والخداع؛ حيث بالكلمة الفاحصة الكاشفة بقوة الروح تتعرّى حيل العدو وتَبْطل.

بولس الرسول كان يعيش بإحساس من تجنَّد بالحق في خدمة جيش الخلاص تحت إمرة رئيس جند الرب: «أنا الله القدير — إيل شدَّاي» (تك١٧: ١)، وقد وقف رافعاً يده نحو السماء مؤدياً القَسَم أن يكون أميناً على حياة سيده وخدمته، رافعاً راية الخلاص حتى يقع ميتاً في ساحة الفداء. فكانت صور الحرب والنزال مع العدو المختفي لا تفارق فكره:

+ «من **تجنَّد** قط بنفقة نفسه؟» (١كو٩: ٧)

فكان يستلم قوته وثباته وإيمانه وفرحه وصبره من يد الرب يوماً فيوماً:

+ «في كلام الحق، في قوة الله **بسلاح البرِّ** لليمين ولليسار.» (٢كو٦: ٧)

+ «لأننا وإن كنا نسلك في الجسد، لسنا حسب الجسد **نحارب. إذ أسلحة** محاربتنا ليست جسدية بل قادرة بالله على **هَدْم حصون**، هادمين ظنوناً وكل عُلْوٍ يرتفع ضد معرفة الله، **ومستأسرين** كل فكر إلى طاعة المسيح، ومستعدين لأن ننتقم على كل عصيان متى كملت طاعتكم.» (٢كو١٠: ٣—٦)

+ «**سلبتُ** كنائس أخرى آخذاً أجرة لأجل خدمتكم.» (٢كو١١: ٨)

+ «ولا تقدِّموا أعضاءكم **آلات** إثم للخطية، بل قدِّموا ذواتكم لله كأحياء من الأموات، وأعضاءكم **آلات** بر لله.» (رو٦: ١٣)

+ «قد تناهى الليل وتقارب النهار فلنخلع أعمال الظلمة ونلبس **أسلحة النور**.» (رو١٣: ١٢)

+ «إذ لكم **الجهاد** عينه الذي رأيتموه فيَّ والآن **تسمعون فيَّ**.» (في١: ٣٠)

+ «... أُرسِلُ إليكم أبفروديتُس أخي والعامل معي **والمتجنِّد معي**.» (في٢: ٢٥)

+ «الأمر الذي لأجله أتعب أيضاً **مجاهداً** بحسب عمله الذي يعمل فيَّ بقوة.» (كو١: ٢٩)

+ «فإني أريد أن تعلموا أي جهاد لي لأجلكم ...» (كو٢: ١)

+ «يسلِّم عليكم أرسْترخس **المأسور** (أسر محبة المسيح) معي ...» (كو٤: ١٠)

+ «وأرخبُّس **المتجنِّد** معنا ...» (فل٢)

+ «أبفراس **المأسور** معي في المسيح يسوع.» (فل٢٣)

+ «هذه الوصية أيها الابن تيموثاوس أستودعُك إياها ... لكي **تحارب** فيها **المحاربة** الحسنة.» (١تي١: ١٨)

+ «**جاهد جهاد** الإيمان الحسن وأمسك بالحياة الأبدية.» (١تي٦: ١٢)

+ «فاشترك أنت في احتمال المشقات **كجندي** صالح ليسوع المسيح، ليس أحد وهو **يتجنَّد** يرتبك بأعمال الحياة لكي يرضي مَنْ جنَّده،

وأيضاً إن كان أحد **يجاهد لا يُكلَّلُ إن لم يجاهد** قانونياً.» (٢تي٢: ٣-٥)

+ «قد **جاهدتُ الجهاد** الحسن، أكملتُ السعي، حفظتُ الإيمان، وأخيراً قد وُضِعَ لي إكليل (عقد من الزهور يوضع حول عنق القائد المنتصر الراجع من معمعة الحرب) البرِّ، الذي يَهَبُه لي في ذلك اليوم الرب الديَّان العادل.» (٢تي٤: ٧و٨)

وبهذه الآية الأخيرة يتضح تماماً أن الحياة المسيحية كانت عند بولس الرسول «جهاداً» فَرَضَه علينا العالم بقواته الخفية ومحارباته العلنية والسرِّية، وأن الخطية ــ كعنصر شرير ــ لها أسلحتها المدمِّرة، لولا أن الله قد ادَّخر لنا في طبيعتنا الجديدة قدرة على المقاومة المشمولة بالنعمة والمؤمنة بالنصرة، وسلَّمنا بالروح القدس أسلحة أقواها وأمضاها كلمة الله: «اذهب يا شيطان لأنه مكتوب ...» (لو٤: ٨)، «قاوموا إبليس فيهرب منكم.» (يع٤: ٧)

والمتجنِّد للمسيح لا يعود مِلْكاً لنفسه، وهو مُنفِّذ لإرادة سيده لأن منها مسيرته وحياته ونصرته: «ولا تشاكلوا هذا الدهر بل تغيَّروا عن شكلكم **بتجديد أذهانكم (بالكلمة)، لتختبروا ما هي إرادة الله الصالحة المرضيَّة الكاملة.**» (رو١٢: ٢)

ذخيرة الكنيسة من تعاليم الرسل الأخلاقية:

الديداخي: διδασκαλία أو διδαχή وهو كتاب تعاليم الرسل بأجزائه المختلفة، والمتحقق تاريخياً، فيه تعليم الأخلاق والسلوك «كاتيشزم Catechism»، وهو منسَّق، ومنضبط. ونحن نقرأ عن أصوله الأُولى هكذا:

+ «لذلك أرسلتُ إليكم تيموثاوس الذي هو ابني الحبيب والأمين في الرب الذي يذكِّركم **بطُرُقي في المسيح، كما أُعلِّم** διδάσκω **في كل مكان**، في كل كنيسة.»

(١كو٤: ١٧)

ولدينا صور مبدعة عن أحوال المبتدئين الداخلين إلى المعمودية، كيف كانوا يُلقَّنون أصول الأخلاق المسيحية بأصالة وبصفة رسمية وهيبة قبل أن ينالوا نعمة التجديد.

فيقص علينا التاريخ المنحدر من العصور الأولى على يد «بليني الصغير»(٣) سنة ١١٢م، مسجِّلاً أن المسيحيين (غالباً الداخلين إلى العماد) كيف يأخذون على أنفسهم عهداً بقَسَم أن لا يقترفوا السرقة أو الاختلاس أو الزنى أو الغش. كما يفيدنا القديس الشهيد يوستين أن الذين قبلوا العماد [هم الذين اقتبلوا حق تعاليمنا وآمنوا بما نؤمن ووضعوا ذواتهم ليحيوا بمقتضاها](٤). كما تفيد الديداخي أن محتويات كتاب «الطريقين»(٥) كان يتحتم قراءته للموعوظين قبل عمادهم.

وينقل لنا التقليد أن الرسل كانوا بعد ما يخاطبون الشعب يقولون هكذا: «توبوا واعتمدوا»، وهو نفس ما نقله لنا سفر الأعمال:

+ «توبوا وليعتمد كل واحد منكم على اسم يسوع المسيح.» (أع٢: ٣٨)؛
+ «فتوبوا وارجعوا لتُمحى خطاياكم.» (أع٣: ١٩)؛
+ «فالله الآن يأمر جميع الناس في كل مكان أن يتوبوا متغاضياً عن أزمنة الجهل.» (أع١٧: ٣٠)؛
+ «شاهداً لليهود واليونانيين بالتوبة إلى الله والإيمان الذي بربنا يسوع المسيح.» (أع٢٠: ٢١)؛
+ «... أن يتوبوا ويرجعوا إلى الله عاملين أعمالاً تليق بالتوبة.» (أع٢٦: ٢٠)

وقد اهتم الرسل بوضع التعاليم الخاصة **بالتوبة والرجوع عن الأعمال الميتة** كما نقرأ ذلك بوضوح:

+ «لذلك ونحن تاركون كلام بداءة المسيح، لنتقدم إلى الكمال، غير واضعين أيضاً **أساس التوبة من الأعمال الميتة والإيمان بالله.**» (عب٦: ١)

وكان يتحتم على الموعوظين الجدد، بعد أن يعتمدوا، أن يبقوا تحت تعاليم الرسل المقولة والمكتوبة: «وكانوا يواظبون على تعليم الرسل ...» (أع٢: ٤٢). وكانت الطاعة المخلصة لتعاليم الرسل حتمية: «ولكنكم أطعتُم من القلب صورة التعليم التي تسلَّمتموها.» (رو٦: ١٧)

وكان كل من يخرج على تعاليم الرسل يُفْرَز ولا يُخالَط: «وأطلب إليكم أيها الإخوة أن تلاحظوا الذين يصنعون الشقاقات والعثرات خلافاً للتعليم الذي تعلمتموه، وأعرِضوا عنهم.» (رو١٦: ١٧)

---

3. Pliny, *Epist. X*,96, cited by Prat, *op. cit.*, II, p. 35.
4. *Apol.* I,61.
5. *Doct. apostol.* VII,1.

وكانت هذه التعاليم منذ البدء مكتوبة وموجودة في كل كنيسة يُلقَّن فيها المبتدئون، ويُرْجَعُ إليها كمرجع نهائي للقطع بالرأي الصحيح في كل ما يمكن أن يواجهه المبتدىء في الحياة المسيحية. وكان مجمل تعليم الرسل هذا يُسمى «بالطريق» أو «الطريقين» أو «سُبُل الله المستقيمة»:

+ «يا عدو كل برٍّ، ألاَ تزال تُفْسِد **سُبُل الله المستقيمة**» (أع١٣: ١٠)؛

+ «كان هذا خبيراً في **طريق الرب**. وكان وهو حارٌّ بالروح يتكلم ويعلِّم بتدقيق» (أع١٨: ٢٥)؛

+ «هؤلاء الناس هم عبيد الله العليِّ الذين ينادون لكم **بطريق الخلاص**» (أع١٦: ١٧)؛

+ «واضطهدت هذا **الطريق** حتى الموت.» (أع٢٢: ٤)

+ «فلما سمع هذا فيلكس، أمهلهم إذ كان يَعْلَم بأكثر تحقيق **أمور هذا الطريق**.» (أع٢٤: ٢٢)

وقول بولس الرسول في (١كو٤: ١٧): «يذكركم بطُرُقي في المسيح كما أُعلِّم في كل مكان في كل كنيسة»، هنا كلمة «طُرُقي» تحمل بكل تأكيد التعاليم المسيحية الخاصة بالسلوك والتصرف اللائقَيْن بالحياة الجديدة للمؤمنين؛ أو بأكثر وضوح «**المنهج**» الأخلاقي المسيحي. فكلمة «منهج» هي بعينها كلمة «طُرُق» لأن «النهج» هو «الطريق». و «منهج بولس الأخلاقي» واضح أنه مستمد من العقيدة الإيمانية، ومنطبق على المسيح: فكر المسيح، صبر المسيح، احتمال المسيح، محبة المسيح، إيمان المسيح، طهارة المسيح، قداسة المسيح. «كونوا متمثلين بي كما أنا أيضاً بالمسيح» (١كو١١: ١). ومجموعة التعاليم التي أرسلها بولس الرسول مع تيموثاوس إلى كورنثوس هي بعينها التي ترسبت ذخيرة في الكنيسة بعد بولس الرسول وتيموثاوس، كمنهج أخلاقي دخل في صميم التقليد الكنسي للتعليم والتهذيب على مدى الأجيال.

وواضح أن هذا المنهج الأخلاقي أُرسل للكنائس كما يقول بولس الرسول: «**في كل مكان في كل كنيسة**»، وكان هو العامل الأساسي في تنشئة المسيحية على منهج أخلاقي موحَّد. وهذا نسمعه من بولس الرسول وهو يخاطب أهل مدينة روما قبل أن يزورها:

+ «فشكراً لله أنكم كنتم عبيداً للخطية ولكنكم أطعْتُم من القلب **صورة التعليم التي تسلمتموها.**» (رو٦: ١٧)

وعلينا أن نلاحظ كلمة «صورة» Type فهي تفيد طابعاً أخلاقياً مميَّزاً واضحاً محدداً لا اجتهاد فيه ولا مزايدة، بل أُخذ مأخذ الإنجيل!

وبولس الرسول كان يتشدد جداً في الحفاظ على حدود التعاليم الأخلاقية التي سلمها للكنائس في كل مكان ويقطع بعزل وعدم مخالطة كل من يخرج عن حدودها:

+ «ثم نوصيكم أيها الإخوة باسم ربنا يسوع المسيح أن تتجنبوا كل أخ يسلك بلا ترتيب وليس حسب التعليم الذي أخذه منا، إذ أنتم تعرفون كيف يجب أن يُتمثَّل بنا لأننا لم نسلك بلا ترتيب بينكم.» (٢تس٣: ٦و٧)

+ «وأطلب إليكم أيها الإخوة أن تلاحظوا الذين يصنعون الشقاقات والعثرات خلافاً للتعليم الذي تعلمتموه وأعرضوا عنهم.» (رو١٦: ١٧)

وكل الكلمات المتداولة في الكنيسة اليوم الخاصة بهذا التعليم الأخلاقي صادرة أصلاً من بولس الرسول: **الطريق، التقليد، التعليم، صورة التعليم، الديداسكاليا**، وحتى كلمة «كاتِشِزم Catechism» وإنما في صورة اسم الفاعل هكذا: «ولكن ليشارك الذي يتعلَّم [κατηχούμενος = كاتيشومينوس] الكلمة (مع) الذي يُعلِّم [κατηχοῦντι = كاتيشونتي] في جميع الخيرات.» (غل٦: ٦)

هذه الاصطلاحات كلها من قلم بولس الرسول وروحه، وظلَّت حية إلى اليوم في الكنائس التقليدية.

وهكذا انطبعت إرادة الله الآب كما تممها وعلَّم بها الابن جهاراً، وحملها الرسل سفراء عن المسيح: «نسعى كسفراء عن المسيح» (٢كو٥: ٢٠)، وبثُّوها شفاهاً وكتابة في قلوب المؤمنين وأفكارهم بل سلوكهم وحياتهم، وتناقلتها الأجيال. بهذا اليقين والتحديد بخصوص الأصل الذي عنه أخذ الرسل وعلَّموا، يقول بولس الرسول: «هادمين ظنوناً وكل عُلو يرتفع ضد **معرفة الله**، ومستأسرين كل فكر إلى **طاعة المسيح**.» (٢كو١٠: ٥)

وهكذا استلم المؤمنون الجدد تعاليم أخلاقية وروحية ثابتة الأصل والمنهج.

كان بولس الرسول يعتبر أن الدعوة إلى الإيمان بالمسيح لها حقوق، لها أصول، لها واجبات، لها قوانين متعارف عليها ويلزم أن يَخضَع لها مَنْ يدخل الدعوة ويطيعها ليأخذ استحقاقاتها. وبولس يعبِّر عن **حق الدعوة واستحقاقها بوضوح** ويعدِّد حقها وواجباتها بحسب روح الدعوة والداعي، باعتبارها استحقاقات «أكسيوس»:

+ «فأطلب إليكم أنا الأسير في الرب أن تسلكوا **كما يحق** (كاستحقاق) للدعوة التي دُعيتم بها ἀξίως τῆς κλήσεως ἧς ἐκλήθητε بكل تواضع ووداعة وبطول أناة محتملين بعضكم بعضاً في المحبة، مجتهدين أن تحفظوا وحدانية الروح برباط السلام.» (أف٤: ١–٣)

هذا هو **حق الدعوة**. كذلك توجد حقوق تستند إلى حق الداعي لهذه الدعوة:

كما يحق للقديسين: «كي تقبلوها في الرب **كما يحق** (استحقاق) **للقديسين**.»
ἀξίως τῶν ἁγίων (رو١٦: ٢)

كما يحق للإنجيل: «فقط "عيشوا" **كما يحق** (استحقاق) **لإنجيل المسيح**.»
ἀξίως τοῦ εὐαγγελίου (في ١: ٢٧)

كما يحق للرب: «"لتسلكوا" كما يحق للرب (استحقاق).»
ἀξίως τοῦ Κυρίου (كو١: ١٠)

كما يحق لله: «ونشهدكم لكي "تسلكوا" كما يحق (استحقاق) لله.»
ἀξίως τοῦ Θεοῦ (١تس٢: ١٢)

وهكذا تكون الدعوة المسيحية عند بولس الرسول سلوكاً محصوراً في إطار استحقاقات تجعلها ذات أصول وواجبات، وذات عطايا ومواهب بآن واحد. لا كأنها ضغوط وأحمال، ولكن باعتبارها أيضاً منافذَ لقبول حق النور وحق القوة وحق الحياة. فحق القديسين يعطي استحقاق شركة في الكنيسة، وحق الإنجيل يعطي استحقاق بشارة الفرح، وحق الرب يعطي استحقاق النور، وحق الله يعطي استحقاق الحياة. فالسلوك في المسيحية أخذٌ وعطاء بآن واحد، بلغ منتهى نضجه على أيدي الرسل، وانحدر إلينا شفاهاً، ولا يزال مسجَّلاً في الكنيسة حتى اليوم من داخل كتاب تعاليم الرسل ورسالة برنابا.

الفصل الثاني

بداية قبول الدعوة المسيحية

التجديد بالمعمودية

قد يتطرق إلى الذهن أن الدعوة المسيحية ذات أثقال، على غرار أثقال الناموس. ولكن الحقيقة هي العكس. فالمسيح نفسه دحض مثل أي تصور من هذا القبيل حينما قال لمتعوبي اليهود وحاملي أثقال الناموس: «تعالوا إليَّ يا جميع المُتعَبين والثقيلي الأحمال وأنا أُريحكم. احملوا نيري عليكم وتعلموا مني ... لأن نيري هيِّن وحِمْلي خفيف» (مت١١: ٢٨ـــ٣٠). وهنا المسيح يضع المسيحية مقابل اليهودية وجهاً لوجه. فعماد المسيحية منذ اللحظة الأُولى يقوم على حلول الروح القدس، والروح القدس يَحْمِل الإنسان حملاً كما على أجنحة النعمة.

الروح القدس كعنصر أساسي في المنهج الأخلاقي لا يتطلب أكثر من الطاعة لصوته الداخلي لكي يقدم عمله المجاني ومؤازرته الفائقة للطبيعة. فالمسيحي بمجرد أن يقبل العماد ويستنشق الروح القدس، يدخل في غنى قانون النعمة أو ناموسها المؤازر المجاني، لا نقول «يدخل تحت قانون النعمة»، فقانون النعمة ليس ـــ كناموس موسى ـــ ثقلاً يوضع كنير على رقبة اليهودي، ولكنه حياة جديدة يدخلها المعمَّد أو تدخل هي إليه، تماماً كما يولد الإنسان من أُمه حاملاً حياة الجسد بكل ما لها وعليها. هكذا يولد المسيحي من الماء والروح، يولد لحياة جديدة بالروح. فليست حياة المسيحي هي حياة محسَّنة لحياته الأُولى، ولا هي على مستوى التغيير أو التجلي أو التجديد للحياة الأُولى، ولكنها **حياة أخرى** تماماً، مختلفة كل الاختلاف عن حياته الأُولى في مصدرها، فهي من فوق من السماء؛ وفي منهجها، فهي سيرة سماوية مكتوبة في السموات؛ وفي غايتها ونهايتها، فهي لله ومع الله تكون. وبكلمة واحدة واضحة هي **خليقة جديدة**:

+ « إذاً إن كان أحد في المسيح فهو خليقة جديدة،

الأشياء العتيقة قد مضت،

هوذا الكل قد صار جديداً، ولكن الكل من الله.» (٢ كو٥: ١٧و١٨)

وهكذا يدخل المسيحي في **حقوق جديدة، وواجبات جديدة** من واقع الحياة الجديدة:

+ «أم تجهلون أننا كل من اعتمد ليسوع المسيح اعتمدنا لموته، فدُفِنَّا معه بالمعمودية للموت. حتى كما أُقيم المسيح من الأموات بمجد الآب، هكذا نسلك نحن أيضاً في جدة الحياة، لأنه إن كنا قد صرنا متحدين معه بشبه موته نصير أيضاً بقيامته. عالمين هذا أن إنساننا العتيق قد صُلب معه ليبطل جسد الخطية.» (رو٦: ٣-٦)

هنا المعمودية تعطي حق الميلاد الجديد كخليقة جديدة سماوية إلهية مع المسيح وفيه:

+ تعطينا قوة الموت عن حياتنا السالفة بأخطائها وخطاياها وجسدنا الذي مات بالخطية بالاشتراك الفعلي في قوة موت الرب.

+ تعطينا قوة قيامة الرب، كحياة جديدة تماماً، لا علاقة لها بالحياة السالفة بالاتحاد في جسد المسيح السري القائم من الأموات.

+ تلبسنا النعمة التي لحياة السمائيين، لنسلك «في جِدَّة الحياة».

واضح هنا أن السلوك الأخلاقي في جِدَّة الحياة ليس مستمداً من إمكانيات الإنسان الأُولى لحياته الأُولى بجسده العتيق الأول. ولكن يستمد واجباته وقوته على التنفيذ من النعمة والروح القدس الذي صار «روح الحياة (الجديدة) في المسيح يسوع.» (رو٨: ٢)

إذاً، فالسلوك الأخلاقي في الحياة الجديدة في المسيح يسوع ليس ثقلاً بعد مُلقى على عاتق إمكانيات الإنسان الأُولى الجسدية الضعيفة والمريضة بالخطايا، بل مُلقى على الروح والنعمة ولا يتطلب من الإرادة البشرية إلاَّ الخضوع والطاعة.

إذاً، في المنهج الأخلاقي المسيحي يلزم جداً أن يتعرف الإنسان المسيحي ماذا صار له بالمعمودية فيتعرف على إمكانياته الجديدة وواجباته الجديدة والعوامل الجديدة التي يتكل عليها ويستخدمها في جهاده اليومي. فالمعمودية هي في حقيقتها **صَكُّ ميراث سماوي** يحوي حقوقاً جديدة فوق إمكانية الإنسان، ليسلك بها كإنسان جديد روحي يسعى نحو ميراثه المحفوظ له في السماويات.

ولكن صَكَّ الميراث السماوي ببنوده وحقوقه - في المعمودية - المنصوص عنها في الإنجيل والرسائل، ليست سوى الحروف الأُولى من الصكِّ الكامل ومن البنود العجيبة فيه. فبمجرد أن يبدأ المسيحي في العمل، تبدأ الحياة الجديدة تلقِّن الإنسان أسرار الحياة الأخرى غير المكتوبة وتستعلن له

الإمكانيات التي تفوق تصوُّر الإنسان، ليجاهد فيدوس الخطية والجسد والشهوات ويغلب، وحتماً سيغلب لأن المسيح غلب:

+ «فأميتوا أعضاءكم التي على الأرض: الزنا، النجاسة، الهوى، الشهوة الردية، الطمع ... فاطرحوا عنكم أنتم أيضاً الكل: الغضب، السخط، الخبث، التجديف، الكلام القبيح من أفواهكم. لا تكذبوا بعضكم على بعض إذ خلعتم الإنسان العتيق مع أعماله (بالمعمودية) ولبستم الجديد الذي يتجدد للمعرفة حسب صورة خالقه (بالمعمودية)، حيث ... المسيح الكل في الكل.» (كو٣: ٥-١١)

على أن الحقوق الفائقة التي يعطيها صكُّ ميراث المعمودية كختم على الجسد يحمل عربون العطية بالكامل. فمثلاً عن المعمودية يقول بولس الرسول إننا نلبس المسيح «كحقٍّ» من حقوق المعمودية: «لأن كلكم الذين **اعتمدتم** بالمسيح قد لبستم المسيح» (غل٣:٢٧). ولكن هذا الحق كعربون يحتاج إلى تحقيق عملي في الحياة كل يوم وكل ساعة:

+ «قد تناهى الليل وتقارب النهار، فلنخلع أعمال الظلمة ونلبس أسلحة النور. لنسلك بلياقة كما في النهار. لا بالبَطَر (تهييص وعربدة κῶμοις) والسُّكر، لا بالمضاجع والعَهَر، لا بالخصام والحسد؛ بل البسوا الرب يسوع المسيح. ولا تصنعوا تدبيراً للجسد لأجل الشهوات.» (رو١٣: ١٢-١٤)

من هذا نفهم تماماً أن المعمودية تعطي حقوقاً وقوة بصورة مبدئية إنما قابلة للزيادة والامتداد. فكلما تمسك المسيحي بحقِّه في المسيح امتد إلى حقوق أكثر، لأن الحياة الجديدة ممتدة لا نهاية لها.

فالمطلوب من المسيحي — وخاصةً من الداخلين في نور المسيح أو التائبين الراجعين إليه — أن يتعمق في معرفة الرب سواء بالإنجيل أو الصلاة أو السهر أو القراءة بكل اهتمام، ليدرك المسيحي غِنَى ميراثه: القوة المذَّخرة له:

+ «لا أزال شاكراً لأجلكم (مسيحيين جدد)، ذاكراً إياكم في صلواتي، كي يعطيكم إله ربنا يسوع المسيح أبو المجد روح الحكمة والإعلان في معرفته، مستنيرة عيون أذهانكم، لتعلموا ما هو رجاء دعوته، وما هو غنى مجد ميراثه في القديسين، وما هي عظمة قدرته الفائقة نحونا نحن المؤمنين حسب عمل شدة قوته.» (أف١: ١٦-١٩)

العلاقات بالأقانيم الثلاثة التي يخرج بها المسيحي من المعمودية، لتقوِّم منهجه الأخلاقي:

قول الرب: «عمِّدوهم باسم الآب والابن والروح القدس» (مت٢٨: ١٩) يحمل في الحال للمولود الجديد من الماء والروح علاقة مباشرة فريدة وأصيلة وشخصية مع الله الآب والابن والروح القدس بكل معنى الشخصية.

فالله الآب: يعطي أبوَّته، فيصير التبنِّي، ويدخل المسيحي الجديد في عهد البنين.

والابن: يعطي ذاته جسداً ودماً وروحاً، فيصير المسيحي عضواً في جسده السري، وارثاً مع المسيح لله.

والروح القدس: يعطي وجوده، ليقدِّس هيكلنا لله والمسيح. ينطق فينا باسم الله كأب: «يا أبا الآب»، ويأخذ مما للمسيح ويخبر ويعطي.

لذلك، فالمنهج الأخلاقي في المسيحية قائم على علاقات وثيقة مع الله كأب، ومع المسيح كمخلِّص، ومع الروح القدس كمقدِّس. على أن أُبوَّة الله ليست مجرد منحة أو اسماً بل علاقة في الصميم:

+ «كل ما طلبتم من الآب باسمي يعطيكم ... في ذلك اليوم تطلبون باسمي ولست أقول لكم إني أنا أسأل الآب من أجلكم، **لأن الآب نفسه يحبكم** لأنكم قد أحببتموني وآمنتم أني من عند الله خرجتُ.» (يو١٦: ٢٣—٢٧)

كذلك فاتحادنا بالمسيح كعلاقة شخصية متبادلة تصير أساسية وضرورة عملية فوق ما يتصور الإنسان:

+ «لأنكم بدوني لا تقدرون أن تفعلوا شيئاً» (يو١٥: ٥)؛
+ «أستطيع كل شيء في المسيح الذي يقويني.» (في٤: ١٣)

كذلك الروح القدس يصبح المالك الحقيقي لزمام كل تصرُّف صحيح:

+ «الذين ينقادون بروح الله فأولئك هم أبناء الله» (رو٨: ١٤)؛
+ «إن كنتم بالروح تميتون أعمال الجسد فستحيون» (رو٨: ١٣)؛
+ «كذلك الروح أيضاً يعين ضعفاتنا. لأننا لسنا نعلم ما نصلي لأجله كما ينبغي، ولكن **الروح نفسه يشفع فينا بأنَّات لا يُنطق بها**» (رو٨: ٢٦)؛
+ «وليس أحد يقدر أن يقول يسوعُ ربٌّ إلاَّ بالروح القدس» (١كو١٢: ٣)؛
+ «إن كان أحد ليس له روح المسيح فذلك (أي المسيح) ليس له.» (رو٨: ٩)

كذلك فإن الله الآب تظل عينه ساهرة على مَنْ تبنَّاهم لنفسه، ويظل يوعز إلى الروح القدس والمسيح أن يكمِّلا مقاصدهما الحميدة في الإنسان الساعي في خوف الله:

+ «بسبب هذا أحني ركبتيَّ لدى أبي ربنا يسوع المسيح، الذي منه تُسمَّى كلُّ عشيرةٍ (أبوَّة πατρία) في السموات وعلى الأرض، لكي **يعطيكم** بحسب غنى مجده، أن تتأيدوا بالقوة بروحه في الإنسان الباطن، ليحل **المسيح** بالإيمان في قلوبكم.» (أف٣: ١٤—١٧)

+ «كي يعطيكم إله ربنا يسوع المسيح أبو المجد روح الحكمة والإعلان في معرفته ...» (أف١: ١٧)

هكذا أنشأت المعمودية باسم الآب والابن والروح القدس علاقات شخصية وثيقة للإنسان مع الله، تؤمِّن له مسيرته في الحياة الجديدة وسلوكه الأخلاقي.

الفصل الثالث

أخلاق المسيحي تجاه الآخرين

أ ـــ المسيحي الفرد والكنيسة ككل تجاه الدولة والرؤساء

المسيحي يولد ثانيةً بالمعمودية ليأخذ مواطنة أخرى سماوية، والمسيحيون يخرجون من المعمودية أحراراً متساوين: «ليس عبدٌ ولا حرٌّ... لأنكم جميعاً واحد في المسيح يسوع» (غل٣: ٢٨). كل الفوارق تتلاشى في المعمودية، الفوارق العنصرية والاجتماعية وحتى الجنسية، فيصبح الجميع، جميع المسيحيين، متصالحين. والكلُّ يأخذ تبعيته لمسيح واحد: «فاثبتوا إذاً في الحرية التي قد حررنا المسيح بها، ولا ترتبكوا أيضاً (ثانية) بنير عبودية» (غل٥: ١). المقصود هنا هو عبودية الناموس القديم، ولكن روح الآية تحمل معنى شاملاً لكل عبودية إرادية: «قد اشتُريتُم بثمن، فلا تصيروا **عبيداً للناس.**» (١كو٧: ٢٣)

ولكن عقل العامة اتخذ هذا التصريح فرصة لاستخدامه جسدياً وضد الدولة، فعاد كلٌّ من القديس بولس والقديس بطرس وأغلق باب الشطط في التفسير وحكم الحرية تحت مفهومها الروحي الوحيد:

+ «لأن هكذا هي مشيئة الله أن تفعلوا الخير فتُسكِّتوا جهالة الناس الأغبياء، **كأحرار** وليس كالذين **الحرية عندهم سُتْرةٌ للشر، بل كعبيد الله.**» (١بط٢: ١٦)
+ «فإنكم إنما دُعيتم للحرية أيها الإخوة، غير أنه لا تصيِّروا الحرية فرصة للجسد.» (غل٥: ١٣)

إن الحرية الروحية والتساوي الروحي الشخصي لدى كل المعمَّدين إنما هما قائمان، باعتبار أن جميعهم لهم نفس الحقوق لدى الله الذي فداهم بابنه يسوع المسيح وعليهم نفس الواجبات لدى الله نفسه كديَّان الأحياء والأموات. فالحرية المسيحية في صميم جوهرها هي حرّية من عبودية الخطية

ومن عبودية الناموس القديم، ولكن لا التساوي ولا الحرية المسيحية يمسان العلاقات الرئاسية في المجتمع أو في الأسرة.

بل وإن الأُخوّة المسيحية العامة التي تنشأ بعد المعمودية من وحدة التساوي ووحدة الحرية بقدر ما تنشىء من امتيازات تضع واجبات والتزامات. فالتعاون فَرْضٌ مسيحي، والاحتمال والتسامح فرضٌ على الإخوة، والالتزام بالامتناع عن العثرات: «فلا نحاكم أيضاً بعضنا بعضاً بل بالحري احكموا بهذا أن لا يوضع للأخ مَصْدَمة أو معثرة.» (رو١٤: ١٣)

وعلى هذه الحقوق والواجبات بين أحرار متساوين يقوم المجتمع المسيحي.

يقول قايين لله مُنكراً أنه قتل أخاه هابيل: «أحارسٌ أنا لأخي»؟ (تك٤: ٩)

تردُّ المسيحية: «نعم أنت حارسٌ لأخيك»!!

حجر الأساس في منهج العلاقات مع الدولة، وبناء أسس المنهج:

«فقال لهم أعطوا إذاً ما لقيصر لقيصر وما لله لله» (لو٢٠: ٢٥). هي ولا شك المقولة الإلهية التي قالها الرب للذين بادروه ليختبروا حَيْدته بين الدين والدولة، فأطلقها قولة مُدوِّية حفرت حروفها على فكر كل من وقعت على أسماعه، وتداولها جميع الناس في العالم طرًّا، قولة عاد بولس الرسول وشرحها هكذا:

+ «لتخضع كل نفس للسلاطين الفائقة، لأنه ليس سلطان إلاّ من الله، والسلاطين الكائنة هي مرتبة من الله. حتى إن مَنْ يقاوم السلطان يقاوم ترتيب الله، والمقاومون سيأخذون لأنفسهم دينونة. فإن الحكام ليسوا خوفاً للأعمال الصالحة بل للشريرة.

أفتريد أن لا تخاف السلطان: افعل الصلاح فيكون لك مدح منه، لأنه خادم الله للصلاح. ولكن إن فعلت الشرَّ فخَفْ، لأنه لا يحمل السيف عبثاً إذ هو خادم الله منتقم للغضب من الذي يفعل الشر. لذلك يلزم أن يُخضَعَ له، ليس بسبب الغضب فقط بل أيضاً بسبب الضمير. فإنكم لأجل هذا توفون الجزية أيضاً، إذ هم خدّام الله مواظبون على ذلك بعينه. فأعطوا الجميع حقوقهم الجزية لمن له الجزية، الجباية لمن له الجباية. والخوف لمن له الخوف والإكرام لمن له الإكرام.» (رو١٣: ١-٧)

هذا المنهج المسيحي السياسي يقوم على ركائزَ ثلاث:

١ — كل السلطان السياسي للدولة هو من الله، كمبدأ عقيدي.

٢ — بالواقع والممارسة، كلُّ قوة الدولة هي من الله.

٣ — والدولة تمارس سلطانها باسم الله.

هذا مهما كان شكل الدولة أو دين رؤسائها.

وبولس الرسول ينظر إلى شخص السلطان ـــ مهما كان دينه ـــ باعتباره «خادم الله» تعيَّن لخدمة المجتمع، سواء للصلاح والمدح لمن يعملون الصلاح، أو للغضب والتخويف واستلال السيف لمن يعملون ما يستحق الغضب. وهو يعمل هذا وذلك باسم الله. لذلك ليس الخوف خوفاً من الغضب أو نيلاً للمديح فقط هما هدف طاعة المسيحي للسلطان، بل من أجل الضمير، لأن السلطان يعمل باسم الله.

كذلك دفع الضرائب هو أيضاً من عمل الضمير، لأن السلطان يطلب ذلك كخادم لله من أجل عمل الصلاح.

وهكذا ينتهي بولس الرسول بآية واحدة تحكم المنهج كله: «فأعطوا الجميع حقوقهم ...» التي منها يتضح أنه لا يعطي مجرد مشورة بل **أمراً مُلزِماً**.

وهنا يهمنا أن نوضح أن بولس الرسول يتكلم عن حكومة نيرون وسلطانه وأعوانه. ويلزم أيضاً أن نعرف أن حكومة روما في هذا الوقت وفي أيام نيرون كان يضطلع بمهامها الحكماء والفلاسفة المشهورون! وكان نظام حكومتها، وقضاؤها، يقومان على أسس العدالة والحرية والنظام. وبنظرة واحدة إلى القانون الروماني للعارفين بالقانون يتضح صدق هذا الكلام. ولكن هذا لا يعفي من قيام الفساد الشخصي، خاصة عند الأطراف البعيدة عن المركز الرئيسي في روما، أو حتى القيصر نفسه كنيرون.

ويلزم أن ندرك أن بولس الرسول يتكلم عن معرفة دقيقة ومن واقع وخبرة، فكل أيامه كانت سجوناً ومحاكمات ومثولاً أمام ولاة وملوك والقيصر نفسه. وقد جاز القديس بولس المحاكمات وأدرك دقة القانون الروماني، والتجأ أحياناً إلى التمسك بنصوصه، فاستخلص حقَّه بلا جدال.

ولكن وحتى في الأحوال التي كانت السلطات منقلبة على الكنيسة، لم تغيِّر الكنيسة من منهجها السياسي الخاص بالمعاملات مع الدولة، بل بقيت ملتزمة بخضوعها وأمانتها كما لله!!

ولا يمكن أن ننسى أبداً رسالة بولس الرسول التي كتبها في سجنه الأخير في روما قبل وقوعه تحت حد سيف نيرون الظالم بأسابيع، يحث فيها تيطس على الولاء للدولة:

+ «ذكِّرهم أن يخضعوا للرياسات والسلاطين ويطيعوا ويكونوا مستعدين لكل عمل صالح، ولا يطعنوا في أحد، ويكونوا غير مخاصمين، حُلماء، مُظهرين كل وداعة لجميع الناس.» (تي٣: ١و٢)

ونفس هذا المنهج التعليمي الفائق الوطنية والأصالة والإخلاص للدولة نقرأه تماماً لبطرس الرسول:

+ «فاخضعوا لكل ترتيب بشري من أجل الرب. إن كان للملك فكمن هو فوق الكل، أو للولاة فكمُرسَلين منه للانتقام من فاعلي الشر وللمدح لفاعلي الخير. لأن هكذا هي مشيئة الله أن تفعلوا الخير فتسكِّتوا جهالة الناس الأغبياء.» (١بط٢: ١٣–١٥)

وسواء بطرس أو بولس، فكلٌ منهما يستنهض وطنية المسيحي وأمانته المطلقة للدولة على أساس أن هذه هي مشيئة الله. وقد تحاشوا بمنتهى الحرص أي تعارض بين حرية المسيحي وبين خضوعه المطلق للسلطان وأحكامه. وهكذا نشأت المسيحية وظلت وفيها روح الاحترام الشديد والتوقير الفائق للدولة وللسلطان بنوع ممتاز وبالتالي للأحكام، وللقوانين، والضرائب حتى اليوم.

والوثائق المسجَّلة في كتابات القديسين الأُول منذ القرن الثاني تؤكد هذا وتشهد له. وقد أمدَّنا القديس كلمندس[1] أسقف روما بصورة توضح هذه المبادىء في رسالته إلى كورنثوس (٦١)، والقديس الشهيد بوليكاربوس في رسالته إلى فيلبي (١٢: ٣)، والقديس الشهيد يوستينوس في دفاعه (١: ١٤و٧١)، والقديس أثيناغوراس (Legat. 34) والقديس ثاوفيلس (الأنطاكي) (Ad. autol 1.11)، والعلاَّمة ترتليان في دفاعه (٣٠–٣٦)، وأوريجانوس في (ضد سلسوس ٨: ٧٣). فكلهم يشهدون بتعاليمهم كيف كانت كنائسهم في كل النواحي ملتزمة تماماً بكل تعاليم بولس الرسول فيما يختص بالعلاقات السياسية مع الدولة.

شيء واحد فقط امتنعت عنه الكنيسة امتناعاً باتاً هو الاشتراك في وظائف الدولة بالنسبة لأعضائها، طالما بقيت الدولة وثنية تُلزم أفراد حكومتها بعبادة قيصر والآلهة الوثنية وإلاَّ يُحسبُون مارقين ويحق قتلهم. لذلك بقيت الكنيسة منطوية على نفسها، لها حكومتها الروحية من الداخل على يد رؤسائها كما كان يصنع بولس نفسه إذ كان يحكم ويأمر بتنفيذ العقوبات بالنسبة للمسيحيين ذوي الانحرافات والعثرات. إذ كانت الكنيسة تمنع أن يلجأ أفرادها إلى المحاكم الوثنية.

+ «أيتجاسر منكم أحد له دعوى على آخر أن يُحاكَم عند الظالمين وليس عند القديسين... أهكذا ليس بينكم حكيم ولا واحد يقدر أن يقضي بين إخوته.» (١كو٦: ١و٥)

1. F. Prat, *op. cit.*, vol. II, p. 326.

ب ـــ العائلة المسيحية

في الإيمان المسيحي، يأخذ رب الأسرة كرامته من الله؛ فالله هو رب الأسرة المسيحية. كذلك الزوج بالنسبة للمرأة هو كالمسيح عريس الكنيسة، والزوجة تأخذ مكانتها لدى الرجل كالكنيسة لدى المسيح يحبُّها ويفديها، وتبقى واحدة كالكنيسة.

الكنيسة لا تفرِّق بين الرجل والمرأة، ولا تكسر الاتحاد بينهما وإلاَّ كأنها تكسر العلاقة بين نفسها والمسيح. فالزواج في المسيحية اتحاد بين الرجل والمرأة كاتحاد المسيح بالكنيسة، لا ينفصم ولا يتكرر.

الأولاد بالنسبة للأب والأم في المسيحية هم أمانة استودعها المسيح لأيديهم، فهم أولاده ـــ من المعمودية ـــ والأب والأم أوصياء عليهم ـــ كأشابين ـــ يطلبهم منهما المسيح كاملين بالنفس والجسد والروح. لذلك فتربيتهم تكون على مستوى من يربيهم للمسيح، فهي تربية مسيحية وإلاَّ يُدان الأب والأم كلاهما.

أما الأولاد فعليهم الخضوع للأب والأم كما للمسيح بكل مهابة واحترام:

+ «أيتها النساء اخضعن لرجالكن كما يليق في الرب.» (كو٣:١٨)
+ «أيها الرجال أحبوا نساءكم ولا تكونوا قساة عليهن ...» (كو٣:١٩)
+ «أيها الأولاد أطيعوا والديكم في كل شيء لأن هذا مَرْضيٌّ في الرب.» (كو٣:٢٠)
+ «... لأن هذا حق.» (أف٦:١)
+ «أيها الآباء لا تغيظوا أولادكم لئلا يفشلوا.» (كو٣:٢١) ... «بل ربُّوهم بتأديب الرب وإنذاره (التعليم المسيحي).» (أف٦:٤)
+ «أيتها النساء اخضعن لرجالكن كما للرب ... كما تخضع الكنيسة للمسيح، كذلك النساء لرجالهن في كل شيء.» (أف٥: ٢٢و٢٤)
+ «أيها الرجال أحبوا نساءكم كما أحب المسيح أيضاً الكنيسة وأسْلَم نفسه لأجلها ...» (أف٥:٢٥)
+ «كذلك يجب على الرجال أن يحبوا نساءهم كأجسادهم. مَنْ يحب امرأته يحب نفسه.» (أف٥:٢٨)
+ «من أجل هذا يترك الرجل أباه وأمه ويلتصق بامرأته ويكون الاثنان جسداً واحداً، هذا

السر عظيم ...» (أف ٥: ٣١و٣٢)

+ «أما أنتم الأفراد فليحب كل واحد امرأته هكذا كنفسه، وأما المرأة فلتَهَبْ رجلها.» (أف ٥: ٣٣)

ج ــ الزواج المسيحي

المبادىء الروحية العالية التي وُضعت لرفع الزواج إلى المستوى الروحي العالي اللائق بالخليقة الجديدة في المسيح واللائق بالإنسان الذي أخذ صورة القداسة من الله في البرِّ وقداسة الحق، كانت منذ البدء هي، والمبادىء التي وُضِعَت لتحكم علاقات أعضاء الأسرة ببعض، تمثل الإرهاصة الأُولى أو اللَّبِنة الصلبة المضيئة التي وُضعت لرقي المجتمع المسيحي.

ولكن المجتمع المسيحي استطاع أن يبلور لنفسه مبدئين أساسيين يقوم عليهما: «العدل» و «الكمال» الذي نسميه الرقيُّ الخلقي أو المدنيَّة الأخلاقية.

والباحث الاجتماعي المقتدر يستطيع إدراك القيمة العظمى التي ينالها المجتمع من قانون الكنيسة المسيحي بربط الزواج بامرأة واحدة وبعدم الانفصال إلاَّ تحت عامل الانحلال الخلقي بالزنا من جانب أحدهما. ولم تسلَّمنا الكنيسة في كل تاريخها الطويل أي مهادنة في هذا القانون الكنسي المقدس حتى إلى زمن ظهور حركة الإصلاح البروتستانتي التي تبنَّت التحلُّل من هذا القانون في القرن السادس عشر[2] وحللَّت لنفسها إفساد ما قدَّسته الكنيسة على مدى ستة عشر قرناً.

وعقيدة عدم كسر وحدة الزواج لم تأخذ لها شكلاً خاصاً بالزواج فقط بل تسحَّبت لتصير هي المعيار الأعلى لوحدة الكنيسة. وحينما أعلنها بولس الرسول لم يعلنها كأنها تقرير أو تفسير من فكره، ولا من وحي الروح بل نقلها عن المسيح رأساً:

+ «وأما المتزوجون فأوصيهم لا أنا بل الرب أن لا تفارق المرأة رجلها. وإن فارقته فلتلبثْ غير متزوجة أو لتُصالحْ رجلها. ولا يترك الرجل امرأته.» (١ كو٧: ١٠ــ١١)

وهذا يعني تماماً أن الزواج حالة تسجَّلت ــ وتظل قائمة على أي حال وعلى كل الأحوال ــ فوق إرادة كل من الرجل والمرأة، ولا إمكانية ما لإلغائها لأنها فوق استطاعة الرجل والمرأة، بل فوق

2. F. Prat, *op. cit.*, vol. II, p. 330.

استطاعة الكنيسة نفسها. فالكنيسة ليس لديها سلطان أن تنقض ما وضعه الرب! «فالذي جمعه الله لا يفرِّقه إنسان.» (مت ١٩: ٦)

علماً بأن الاستثناء الذي وضعه بولس من تدبيره فيما يخص بارتضاء رجل صار مسيحياً أو امرأة صارت مسيحية وظل الطرف الآخر غير مسيحي، فهو لا يمانع من استمرار حالة العِشْرة، فبولس الرسول لا يمانع ولكن على شرطين: **الأول** أنه لا يعتبر ذلك زواجاً مسيحياً ولا يدخل ضمن سر الكنيسة والمسيح، وبالتالي فإمكانية ترك كل منهما للآخر مرهونة بالإرادة؛ **والثاني** أن الأولاد يصيرون مسيحيين. وهذا كله على رجاء أن يتأثر الطرف الآخر ويقبل الإيمان المسيحي (١كو ٧: ١٢ــ١٧). وطبعاً فإن هذا الاستثناء موقوف على ظرف خاص نادر هو أن يدخل الإيمانَ أحدُ الزوجين ويبقى الآخرُ بلا إيمان مسيحي.

وننتهي من ذلك بأن **تقديس سر الزواج المسيحي**، وحصره في حدود **الوحدة الروحية** بين الرجل والمرأة، **والمساواة بالروح** بينهما وربطه بقوة الله **لعدم كسره** كحُكْم إلهي مُبْرَم غير قابل للنقض، كان هذا هو السبب الأول في قيام المجتمع المسيحي، ولا يزال هو الأمل الوحيد لعودة المجتمع المسيحي لأصالته الخلقية والروحية.

وإن كان بولس الرسول يرفع البتولية لخدمة الرب أعلى من مستوى الزواج، فذلك على قياس النعمة فقط وليس إطلاقاً عاماً كتشريع مسيحي. فالبتولية هبة وليست سُنَّة، مجرد طريق، ولكن ليست هي الطريق: «لأني أريد أن يكون جميع الناس كما أنا، لكن كل واحد له موهبته الخاصة من الله، الواحد هكذا والآخر هكذا» (١كو ٧: ٧). ولكن تعود الزيجة وترتفع فوق البتولية حينما تصبح شرطاً للذين يُقْبِلون على الكهنوت، وذلك لخدمة الكنيسة. كما ترتفع الزيجة في اعتبار الكنيسة العام كونها تقدم أولاداً للمعمودية لقيام وبناء الجسد السرِّي.

ويعود بولس الرسول ليُلْبِس المرأة تاج الخلاص المرصَّع كونها أنجبت أعضاءً في ملكوت السموات: «ولكنها ستخلص بولادة الأولاد إنْ ثبتْنَ في الإيمان والمحبة والقداسة مع التعقُّل» (١تي ٢: ١٥)، وذلك في مقابل رفع شأن العذارى المتبتلات لأجل المسيح:

+ «غير المتزوجة تهتم فيما للرب لتكون مقدَّسة جسداً وروحاً.» (١كو ٧: ٣٤)

الفصل الرابع

الأخلاق الشخصية للفرد المسيحي

أ ــ الفضائل الأساسية الثلاث: الإيمان، والرجاء، والمحبة

منبع **الأخلاق** في المسيحية هو **الصلة الشخصية** بالمسيح.

الصلة الشخصية بالمسيح تبدأ **بالإيمان**، والإيمان في حقيقته العملية صلة كيانية عميقة بالمسيح *ترفع الإنسان من موت الخطية لتضعه في قلب الحياة مع المسيح كخليقة جديدة، ذات أخلاق* تتناسب مع الحياة الجديدة.

فالإيمان هو موضوع الحياة الجديدة للإنسان: «أما البارُّ فبالإيمان يحيا» (عب ١٠: ٣٨)، يحيا في المسيح.

أي أن الإيمان هو **قوة الحاضر** الذي نغلب به المواجهة اليومية مع العالم. لذلك وضعه بولس الرسول في مصنفات الأسلحة الروحية «كالدرع» الواقي (١تس ٥: ٨) الذي يقي من كل ضربات العدو الموجَّهة لكل أجزاء الإنسان، لأن الدرع يحركه الجندي ليغطي مِنْطقة الرأس والصدر حتى الركبة؛ فمساحة الدرع ٢٫٥ قدم × ٤ قدم أي حوالي ٨٠سم × ١٢٢ سم.

بعد الإيمان يأتي **الرجاء**. فهو الإيمان الذي يتخطى الواقع المنظور إلى ما هو آتٍ في غير المنظور، وهو قرين الصبر: «لأننا بالرجاء خَلَصنا. ولكن الرجاء المنظور ليس رجاءً، لأن ما ينظره أحد كيف يرجوه أيضاً؟ ولكن إن كنا نرجو ما لسنا ننظره فإننا نتوقعه بالصبر.» (رو ٨: ٢٤ــ٢٥)

وبعد ذلك يضع بولس الرسول **المحبة** كتاج فوق الإيمان والرجاء بالنسبة لأخلاق المسيحي.

ثم يضم الرجاء إلى الإيمان باعتبارهما وحدة أخلاقية واحدة مع المحبة: «وأما نحن الذين من

نهار فلنَصْحُ، لابسين درع **الإيمان** والمحبة وخوذة هي رجاء الخلاص.» (١تس٥: ٨)

فبولس الرسول يرى أن اتحاد الإيمان (ومعه الرجاء حتماً) مع المحبة يُحصِّن الإنسان من ضربة اليمين وضربة الشمال. فالإيمان يقي الإنسان من شر الانحراف في علاقته مع المسيح، والمحبة تقيه من خطر الإخفاق في علاقته مع الناس.

والثلاث الفضائل الإيمان والرجاء والمحبة هي رأس مال الكنيسة والفرد في جهاده اليومي:

+ «متذكرين بلا انقطاع **عمل إيمانكم، وتعب محبتكم، وصبر رجائكم**: ربنا يسوع المسيح أمام الله وأبينا.» (١تس١: ٣)

واضح أن هذه الفضائل المسيحية تمسك بأعنَّة الأبعاد الثلاثة لقُوى الإنسان: الفكرية، والعاطفية، والإرادية. فالإيمان يتكفل بتغطية العقل، والمحبة تغطي العاطفة، والرجاء يغطي الإرادة.

وبولس الرسول يرى أن جميع المواهب والفضائل قابلة للتغيُّر والتبدُّل وربما لانتهاء مدة عملها بالنسبة لجهاد الإنسان في الحياة. أما الإيمان والرجاء والمحبة فهي ضرورة ثابتة لا غنى عنها قط:

+ «أما الآن فيثبت الإيمان والرجاء والمحبة، هذه الثلاثة، ولكن أعظمهن المحبة.» (١كو١٣: ١٣)

والذي يهمنا للغاية ليس ترتيب هذه الفضائل الثلاث عند بولس الرسول، ولكن شعوره الحقيقي بضرورة هذه الفضائل، فهو لا يكف عن ذكرها مجتمعة أو فرادى، ولكن حتى ولو جاءت فرادى فهي تبدو وكأنها تجتمع كلها في ذهنه، لأنه لم يفقد إحدَيْها كلية من فكره. من هنا يلزمنا أن نلتصق نحن أيضاً لا بفكر بولس الرسول وحسب بل بهذه الفضائل الثلاث، لأنه لا يمكن أن يكون تكرارها في رسائل بولس الرسول بلا ضرورة:

+ «فإننا بالروح من **الإيمان نتوقع رجاء** برٍّ.» (غل٥: ٥)

أي الإيمان مع الرجاء يجعلنا نعيش على أساس التبرير.

+ «فإذ قد تبررنا **بالإيمان** لنا سلام مع الله.» (رو٥: ١)

أي أن الإيمان وضعنا في الموضع الصحيح مع الله.

+ «صار لنا الدخول **بالإيمان** إلى هذه النعمة التي نحن فيها مقيمون ونفتخر على **رجاء** مجد الله» (رو٥: ٢) = الحاضر والمستقبل.

+ «**والرجاء** لا يخزي لأن **محبة** الله قد انسكبت في قلوبنا بالروح القدس المعطى لنا»

(رو٥: ٥). الرجاء له برهان من الواقع.

+ «سمعنا **إيمانكم** بالمسيح يسوع، **ومحبتكم** لجميع القديسين، من أجل **الرجاء** الموضوع لكم في السموات.» (كو١: ٤و٥)

+ «سمعت **بإيمانكم** بالرب يسوع، **ومحبتكم** نحو جميع القديسين ...، لتعلموا ما هو **رجاء** دعوته ...» (أف١: ١٥و١٨)

+ «ليحلَّ المسيح **بالإيمان** في قلوبكم، وأنتم متأصلون ومتأسسون في **المحبة**.» (أف٣: ١٧و١٨)

+ «إن ثبتُّم على **الإيمان**، متأسسين وراسخين وغير منتقلين عن **رجاء** الإنجيل.» (كو١: ٢٣)

+ «**المحبة** ... ترجو كل شيء وتصبر على كل شيء.» (١كو١٣: ٧)

+ «لأن الله ليس بظالم حتى ينسى عملكم، وتعب **المحبة**، التي أظهرتموها نحو اسمه ... ولكننا نشتهي أن كل واحد منكم يُظهر هذا الاجتهاد عينه ليقين **الرجاء** إلى النهاية.» (عب٦: ١٠و١١)

+ «لنتقدم بقلب صادق في يقين **الإيمان** ...، لنتمسك بإقرار **الرجاء** راسخاً لأن الذي وعد هو أمين، ولنلاحظ بعضنا بعضاً للتحريض على **المحبة** والأعمال الحسنة.» (عب١٠: ٢٢-٢٤)

+ «لأن **إيمانكم** ينمو كثيراً، **ومحبة** كل واحد منكم جميعاً بعضكم لبعض تزداد.» (٢تس١: ٣)

+ «أما أنت يا إنسان الله فاهرب من هذا واتبع البر والتقوى **والإيمان والمحبة** والصبر والوداعة.» (١تي٦: ١١)

+ «تمسك بصورة الكلام الصحيح الذي سمعته مني في **الإيمان والمحبة** التي في المسيح يسوع.» (٢تي١: ١٣)

+ «اتبع البر **والإيمان والمحبة** والسلام مع الذين يدعون الرب من قلب نقي.» (٢تي٢: ٢٢)

والآن إذا دقق القارىء وتمشَّى بروحه مع هذا التكرار الذي لا يُمِلُّ، والذي يُظهِرُ به بولس مدى أهمية هذه الفضائل الثلاث، يتيقن حتماً أنه منهج أخلاقي لا يحيد، يضعه بولس الرسول بالروح للسائرين في طريق العالم الوعر، وهو مطمئن أنه كفيل أن يبلِّغهم الغاية والقصد المبارك من سعيهم في العالم لحساب المسيح.

الإيمان:

وإذا دققنا في هذا المنهج الأخلاقي المسيحي من داخل هذه الفضائل الثلاث، يتبين لنا أن الإيمان، وإن كان هو المدخل الأساسي للحياة المسيحية بصفته الوَصْلَة القوية الأُولى بالرب من كل الكيان، إلاَّ أننا بمتابعة بولس الرسول نجد أن الإيمان حينما يتحد بالمحبة والرجاء يصبح القوة التي ترفع الإنسان فوق الحواجز الطبيعية سواء داخل الإنسان أو خارجه ليعيش ويتنفس الحياة الجديدة في المسيح، معطياً للسلوك المسيحي طابعه وقوته الدافعة إلى الأمام. فهناك فرق عظيم بين إنسان يؤمن، وإنسان يؤمن ويحب، وإنسان يؤمن ويحب ويحيا في الرجاء المبارك. ولكن في هذه الثلاثة، ولو أن بولس يضع المحبة في القمة، إلاَّ أن الإيمان هو الذي يحملها ويؤمِّنها من السقوط.

لذلك نلاحظ أن بولس الرسول يؤكد على ضرورة الرسوخ في الإيمان والثبات على الإيمان. وكم يُبْدي فرحه حينما يسمع عن ثبات الإيمان في الكنائس. فالإيمان هو القوة الأُولى لغلبة العالم كما يقول القديس يوحنا: «وهذه هي الغلبة التي تغلب العالم، **إيماننا**.» (١يو٥: ٤)

الرجاء:

الرجاء في المسيحية يتخصص في الإمساك بالمواعيد التي ربحها المسيح لحساب البشرية، وهي:

الحياة الأبدية: التي يعتبرها بولس الرسول في متناول اليد: «أمسك بالحياة الأبدية التي إليها دُعيت.» (١تي٦: ١٢)

الخلاص: الذي جعله مِلْكَ الرجاء: «لأننا بالرجاء خَلَصنا.» (رو٨: ٢٤)

القيامة من الموت: كحياة نحياها الآن وننتظر تكميلها بمجيء المسيح. والرجاء يسلِّم مكتسباته للإيمان ليوطِّده في الأمور الآتية:

«وأما الإيمان فهو الثقة بما يُرْجَى، والإيقان بأمور لا تُرى» (عب١١: ١).

والرجاء المسيحي هو رجاء من نوع آخر غير ما ترجوه أي نفس أخرى في العالم. فالرجاء المسيحي يختص بالأمور الروحية الفائقة التي تفوق تصوُّر الإنسان الطبيعي. كذلك، فإن الرجاء المسيحي مبنيٌّ على إيمان موطَّد، **فهو رجاء حيٌّ لا يَخْزى:** «لأن الذي وَعَد هو أمين.» (عب١٠: ٢٣)

لذلك، فالرجاء المسيحي مصدر فرح داخلي (رو١٢: ١٢)، وسرور، وابتهاج، وسلام يفوق العقل، لأنه يجعل الأمور غير الموجودة وغير المنظورة كأنها حاضرة. وحينما يرسخ الإيمان ويزداد الرجاء تلتهب المحبة، فالثلاث الفضائل مفتوحة بعضها على بعض.

ولكن الرجاء، بنوع ممتاز، يُصنَّف في أسلحة الروح بالخوذة الفولاذية على الرأس (١تس ٥: ٨)، فهو يعطي جرأة لاقتحام المجهول وحماسة في الجهاد، فحينما يلتهب الرجاء لا تعود قوة ما تصدُّه أو عائق يُثْنيه عن بلوغ القصد:

+ «عالمين أن الضيق ينشىء صبراً (بالإيمان)، والصبر تزكية (للإيمان)، والتزكية رجاءً، والرجاءُ لا يُخْزِي. لأن محبة الله قد انسكبت في قلوبنا بالروح القدس المُعْطَى لنا.»

(رو٥: ٣-٥)

المحبة:

المحبة تسير مع الإيمان، وتشتعل مع الرجاء، ثم ترتفع وحدها لتحلّق في أجواء الروح بلا عائق:

+ «أما الآن فيثبت الإيمان والرجاء والمحبة، هذه الثلاثة ولكن أعظمهن المحبة.»

(١ كو١٣: ١٣)

قصة نشيد المحبة الذي أنشده بولس الرسول لأهل كورنثوس: (١ كو١٣: ١-١٣).

يظهر أن كورنثوس بقدر ما كانت أم القبائح التي لا يماثلها الآن إلاَّ باريس أو مدينة الأباطيل في كتاب «سياحة المسيحي»، بقدر ما صارت كنيستها مركز المواهب الفائقة. فقد انسكب عليها الروح بغزارة حتى إن بولس الرسول أخذ يعدِّد المواهب التي أصبح يتبارى فيها أهلها في بداية الرسالة هكذا:

+ «أشكر إلهي في كل حين من جهتكم على **نعمة الله المعطاة لكم في يسوع المسيح أنكم في كل شيء استغنيتم فيه، في كل كلمة، وكل علم** كما ثُبِّتت فيكم شهادة المسيح، حتى إنكم **لستم ناقصين في موهبة ما** ... أمين هو الله الذي به دُعيتُم إلى شركة ابنه يسوع المسيح ربنا.» (١ كو١: ٤-٩)

ثم عاد بولس الرسول يذكر لهم مواهبهم وهو قَلِقٌ عليهم؛ لأنه بالرغم من هذه المواهب العديدة جداً، إلاَّ أن بوادر الانشقاق بسبب التعالي بالمواهب بدأت تظهر وخصوصاً أن الذين نالوا مواهب أعلى ابتدأوا يتعالون على بقية الكنيسة. فبعد ما ضرب لهم مَثَل الجسد ذي الأعضاء الكثيرة والتي الأعضاء فيه لا يتفاخر بعضها على بعض بسبب أهميته أو جماله، ابتدأ يدخل في موضوع المواهب موضِّحاً أن كل المواهب العالية التي يتسابقون على امتلاكها جيدة، ولكن يوجد «**فضيلة**» ذات مستوى أهم وأعلى من جميع المواهب، بل هي الفضيلة التي تحكم وتربط وتترأس فوق جميع المواهب، تلك هي فضيلة **المحبة**. وابتدأ الروح ينطق فيه نشيد المحبة الذي سجلته له الكنيسة على ظهر قلبها، وظلت السماء تردد صداه:

+ «من جهة المواهب الروحية أيها الإخوة فلست أريد أن تجهلوا، أنتم تعلمون أنكم كنتم أمماً منقادين إلى الأوثان (بكل فجورها) البُكم كما كنتم تساقون (في عبادتها)، ...

فأنواع مواهب موجودة، ولكن الروح واحد ... ولكنه لكل واحد يُعطى إظهار الروح للمنفعة ...، كلام حكمة...، كلام علم...، إيمان...، مواهب شفاء...، عمل قوات...، نبوّة...، تمييز الأرواح...، أنواع ألسنة...، ترجمة ألسنة، ولكن هذه كلها يعملها الروح الواحد بعينه قاسماً لكل واحد بمفرده كما يشاء ...،

ولكن جدُّوا (أو "وإن كنتم تجدُّون") **للمواهب** الحسنى، وأيضاً أريكم طريقاً أفضل» (١ كو١٢: ١-١١و٣١):

نشيد المحبة:

«إن كنت أتكلم بألسنة الناس والملائكة (موهبة الألسن)، **ولكن ليس لي محبة** فقد صرت نحاساً يطنُّ أو صنجاً يرنُّ،

وإن كانت لي نبوّة وأعلم جميع الأسرار وكل علم،

وإن كان لي كل الإيمان حتى أنقل الجبال، **ولكن ليس لي محبة** فلست شيئاً،

وإن أطعمت كل أموالي وإن سلّمت جسدي حتى أحترق، **ولكن ليس لي محبة** فلا أنتفع شيئاً،

المحبة تتأنى وترفق، المحبة لا تحسد، المحبة لا تتفاخر ولا تنتفخ ولا تُقبّح ولا تطلب ما لنفسها، ولا تحتدُّ، ولا تظنُّ السوء، ولا تفرح بالإثم بل تفرحُ بالحق.

تحتمل كل شيء، تصدِّق كل شيء، ترجو كل شيء، تصبر على كل شيء.

المحبة لا تسقط أبداً،

وأما النبوات فستبطل، والألسنة فستنتهي، والعلم فسيبطل، لأننا نعلم بعض العلم ونتنبأ بعض التنبؤ ولكن متى جاء الكامل فحينئذ يبطل ما هو بعض ...،

أما الآن فيثبت الإيمان والرجاء والمحبة، هذه الثلاثة ولكن أعظمهن المحبة.»

(١ كو١٣: ١-١٣)

+ «اتبعوا المحبة ولكن جدُّوا للمواهب الروحية.» (١ كو١٤: ١)

القيثارة قيثارة داود، ولكن النغم نغم بولس!

تقول القيثارة إن المواهب جيدة، وأجودها أنفعُها وليس أجملُها! ... ولكن إذا وُضعت المواهب في كفة وفضيلة الحب في الأخرى ارتفع قدر الحب عالياً.

المواهب كلها على مستوى الحُسْنَى، ولكن إن غابت عنها **فضيلة** المحبة ارتدّت فارغة. وإن توقفت المواهب، وهي حتماً تتوقف، وإن سقطت، فالمحبة لا تسقط أبداً. حتى الإيمان تتوقف مسيرته بعد تكميل السعي ولِبْس الأكاليل، حتى الرجاء ليس له موضع في السماء لأننا سننظر الذي كنا نرجو أن ننظره. والذي كنا نؤمن أن نناله نلناه. أما المحبة، فالسماء موطنُها الذي انحدرت منه، فبعد أن تكون أيّدتنا في الغُرْبة، تأخذنا إلى موطنها.

صحيح أن الوصايا في القديم وفي الجديد كثيرة، ولكن اتفق الجديد مع القديم أن:

«غاية الوصية فهي المحبة.» (١تي١: ٥)

«لأن كل الناموس في كلمة واحدة يكمل: تحبُّ قريبك كنفسك.» (غل٥: ١٤)

المحبة رباط الكمال:

فضائل كثيرة يحتاجها الإنسان المسيحي لمسيرة الخلاص الذي دُعِيَ إليه، ولكن المحبة هي الحزام الذي يضم الكل!

+ «فالبسوا، كمختاري الله القديسين المحبوبين، أحشاءَ رأفات ولطفاً وتواضعاً ووداعة وطول أناة، محتملين بعضكم بعضاً، ومسامحين بعضكم بعضاً. إن كان لأحد على أحد شكوى كما غفر لكم المسيح هكذا أنتم أيضاً، **وعلى جميع هذه البسوا المحبة التي هي رباط الكمال.**» (كو٣: ١٢–١٤)

المعنى هنا لأول وهلة يُفهَمُ على أن المحبة تجمع وتربط هذه الفضائل اللازمة للمجتمع المسيحي. ولكن المعنى الأكثر قوة هو أن المحبة نلبسها فوق، أو أكثر من، هذه الفضائل جميعها **لكي تربط المؤمنين معاً**، أي هي رباط الكمال المسيحي، والكمال المسيحي في الوحدة المسيحية! فالفضائل كلها تُقرِّبنا معاً وتصالحنا معاً، أما المحبة فهي تربطنا معاً، ولنا سَنَدٌ يسند هذا المعنى في هذه الآية: «لأن محبة المسيح تحصرنا» (٢كو٥: ١٤)، وتحصرنا هنا تعني تربطنا وتقيِّدنا معاً.

ومعروف أنه إذا دخلت المحبة قلب الإنسان تداعت كلُّ الفضائل في إثرها، فالمحبة لا تعيش إلّا في وسط جوقة من الفضائل تنبعث منها وتغذيها، تأخذ منها وتعطيها.

رسمها بولس الرسول وكأنها تاجٌ مرصَّع بحجارة كريمة تتلألأ لتعطي منظراً خلاباً:

الصفة بالعربية وشرحها	الصفة باليونانية	الصفة باللاتينية
+ تتأنى: ومعناها الحرفي طول الأناة وهي الصفة التي تُنسبُ لأبُوّة الله. بمعنى أن المحبة تعطي صاحبها روح الأبُوّة.	μακροθυμεῖ long suffers	charitas patiens est
+ تترفّق: أي الرأفة والشفقة واللطف وهي الصفة التي تلازم روح الإخاء، وفيها إحساس بالمودة الصادقة. لذلك فهي تقدّم للصفة التي بعدها «لا تحسد».	χρηστεύεται	benigna est
+ لا تحسد: لأنها تفرح بنجاح الآخرين، وتسعد بسعادة الآخرين، ولا تَتغير من الآخرين.	οὐ ζηλοῖ	non aemulatur
+ لا تتفاخر: المعنى المقصود أنها لا تضرب بالبوق أمامها كالفريسيين الذين يُظهِرُون أنفسهم و يتعظمون بأعمالهم.	οὐ περπερεύεται	non agit perperam
+ ولا تنتفخ: أي لا تحاول أن تَكَبّرَ بأعمالها. فهي لا تلتفت إلى إنجازاتها.	οὐ φυσιοῦται	non inflatur
+ لا تُقبِّح: أي لا تعمل ولا تفعل شيئاً بغير لياقة يجرح شعور الآخرين أو يُعْثرهم.	οὐκ ἀσχημονεῖ	non est ambitiosa
+ لا تطلب ما لنفسها: أي لا تطلب أرباحاً لأعمالها، لأنها تكتفي بوجودها. ولأن أية	οὐ ζητεῖ τὰ ἑαυτῆς	non quaerit quae sua sunt

		أنانية تقتلها. فهي تعطي ولا تطلب العِوَض.
non irritatur	οὐ παροξύνεται	+ لا تحتدُّ: بمعنى لا تنفعل بالخطأ أو بالهجوم أو بالافتراء والوشاية أو بالذمّ أو بالاغتياب، لأن منابعها غير مربوطة بالأرضيات.
non cogitat malum	οὐ λογίζεται τὸ κακόν	+ لا تظن السوء: أي لا تفكر بالرديء نحو الآخرين أو أعمالهم، وبالتالي لا تدمُّ.
non gaudet super iniquitate	οὐ χαίρει ἐπὶ τῇ ἀδικίᾳ	+ لا تفرح بالإثم: أي إن نجح الإثم أو الأثيم، فهي لا تفرح له أبداً.
congaudet autem veritati	συγχαίρει δὲ τῇ ἀληθείᾳ	+ بل تفرح بالحق: أي بعكس نجاح الشر، فهي في نجاح الحق تفرح وتتهلل.
omnia suffert	πάντα στέγει	+ تحتمل كل شيء: بمعنى تغطي على كل شيء في صمت وسرِّية، وبمعنى تعطي العذر وتُخفي مناقص الآخرين وأخطاءهم.
omnia credit	πάντα πιστεύει	+ تُصدِّق كل شيء: في إيمان وبساطة.
omnia sperat	πάντα ἐλπίζει	+ ترجو كل شيء: تقبل ما تُوعَد به بدون شك.
omnia sustinet	πάντα ὑπομένει	+ وتصبر على كل شيء: بصمت.

بولس الرسول وضع هنا بالروح صورة لما يجب أن تكون عليه محبة الإنسان في قلبه وسلوكه. وواضح أنه لم يرسم بهذه الخمس عشرة فضيلة منهجاً مُنسَّقاً، ولا كان قصده أن يجمع كل الفضائل ويرتبها، ولكن واضح أن قصد الله من تسجيل هذه الفضائل هو أن يقيس الإنسان نفسه عليها ليرفع من قلبه ما هو غير مناسب للمحبة، ويسعى لاقتناء ما هو لها. وهذا واضح غاية الوضوح في ذكره فضائل بالسلب وفضائل بالإيجاب: «المحبة لا تفرح بالإثم»، بل «تفرح بالحق». فالأولى لا بد أن تُرفَعَ من سلوك الإنسان، والثانية يليق أن تُكْتَسَبَ.

ب ـ فضائل أخرى

بعد ما تألقت المحبة في درجتها الأولى والعظمى عند بولس الرسول حسب التقليد الإلهي والأبوي، دخلت الفضائل الأخرى في منطقة الظل. ولكن فضيلتين ألحَّ عليهما بولس الرسول كثيراً، وكانتا تتزاحمان في قلبه وهو يستعرض الأخلاق المسيحية، وعلى مَ تكون وترسو هذه الأخلاق، هاتان الفضيلتان هما **التواضع** (ومعه الوداعة) **والصلاح** (ومعه اللطف).

التواضع ومعه الوداعة:

فضيلة مسيحية بالدرجة الأولى، ليس لها أي أثر في الجو الوثني القديم، وحتى في اليهودية كان لها معنى يختلف عن معناها الذي تقلَّدته في المسيحية. فاليهودي الذي يقع في الضغطة والهوان والبؤس ويحتمل التجربة بصبر، فهو إنما يكفِّر عن خطاياه، وما عليه إلاَّ أن يضع رجاءه في الله دون أن يشعر بالعداوة والبغضة تجاه مقاوميه، وبذلك يُحْسَبُ إنساناً بارًّا وحسب، ولكن لا يُنْسبُ إليه التواضع(١).

حينما قال الرب: «تعلموا مني لأني وديع πραΰς ومتواضع القلب ταπεινὸς τῇ καρδίᾳ» (مت١١: ٢٩). لم يكن يقصد إلاَّ فضيلة واحدة ذات وجهين؛ **فالوداعة هي اللطف تجاه الناس، والتواضع هو التصاغر أمام الله**، والاثنان فضيلة واحدة وذلك بالنسبة للمسيح.

والقديس بولس مغرم بالجمع بين الفضيلتين، والقصد في ذهنه دائماً هو أن يقدم الإنسانُ المسيحيُّ الآخرين على نفسه!!

1. F. Prat, *op. cit.*, vol. II, p. 337.

+ «بكل **تواضع ووداعة**، وبطول أناة(٢) محتملين بعضكم بعضاً.» (أف ٤: ٢)

+ «لا شيئاً بتحزُّب أو بعُجْب، بل **بتواضع** ταπεινοφροσύνη، حاسبين كل واحد الآخر أفضل من نفسه (الترجمة الصحيحة). لا تنظروا كل واحد إلى ما هو لنفسه بل كل واحد إلى ما هو لآخرين أيضاً.» (في ٢: ٣و٤)

+ «فالبسوا كمختاري الله القديسين المحبوبين أحشاء رأفات ولطفاً **وتواضعاً ووداعة** وطول أناة.» (كو ٣: ١٢)

+ «أخدم الرب **بكل تواضع** ودموع كثيرة.» (أع ٢٠: ١٩)

وأحياناً يحصر فكره في الوداعة بمفردها كلطف فائق:

+ «ماذا تريدون؟ أبعصا آتي إليكم أم بالمحبة وروح **الوداعة** ...» (١ كو ٤: ٢١)

+ «ثم أطلب إليكم **بوداعة** المسيح وحِلْمه ...» (٢ كو ١٠: ١)، لاحظ قول المسيح عن نفسه «لأني وديع ...» (مت ١١: ٢٩)

+ «أما ثمر الروح فهو محبة، فرح، سلام، طول أناة، لطف، صلاح، إيمان، **وداعة**، تعفُّف.» (غل ٥: ٢٢و٢٣)

+ «أيها الإخوة، إن انْسَبَقَ إنسان فأُخذ في زلَّة ما، فأصلحوا أنتم الروحانيين مثل هذا **بروح الوداعة**.» (غل ٦: ١)

+ «مؤدِّباً **بالوداعة** المقاومين، عسى أن يعطيهم الله توبة لمعرفة الحق.» (٢ تي ٢: ٢٥)

+ «ولا يطعنوا في أحد، ويكونوا غير مخاصمين، حُلَماء، **مُظْهِرين كل وداعة لجميع الناس**.» (تي ٣: ٢)

ويقول المختصون في شرح هذه الصفة الأُخلاقية، أي **الوداعة**، إنها في المسيحية لا تعمل إلاَّ على قاعدة من التواضع، فهي في الحقيقة فضيلة متقدِّمة من أصل التواضع(٣) ولا توجد بدونه.

وتقف فضيلتا التواضع والوداعة كمعيار ثابت لوزن الأُخلاق المسيحية والحكم على صحتها أو مرضها.

الصلاح ἀγαθωσύνη **ومعه اللطف** χρηστότης :

وهو من الفضائل البارزة في دستور القديس بولس الأخلاقي وهي من خصائص كتابته.

---

(٢) أنظر طول الأناة في المحبة.

3. Trench, *Synonyms of the New Testament, XLIII, cited by: F. Prat, op. cit.*, vol. II, p. 337, n.3.

ويقدم لنا القديس جيروم الفرق بين هاتين الفضيلتين:

[فاللطف فضيلة هادئة عذبة فيها ظُرف وإيناس، كلامها فيه مودة ورقة. والصلاح قريب منها. فالصالح مَنْ يسعى لإسعاد الآخرين، ولكن الصلاح أقل جاذبية من اللطف وأكثر قطعاً وتحديداً، والصالح ولو أنه متأهب دائماً ليصنع الخير ولكن ينقصه الدماثة واللطف والرقة التي تأسر كل القلوب.] (٤)

الصلاح يعمل كأساس، ولكن اللطف يعطي الشكل والمظهر للفضيلة والتقوى، فإذا أُضيف اللطف على الصلاح صار الصلاح ضعف قيمته وفاعليته. ولكن لا يصح أن نقول: «صلاح اللطف» بل «لطف الصلاح»، لأن الصلاح كما قلنا أساس واللطف رداءٌ له، والاثنان معاً صفة من صفات الله، حيث يفضَّل أن يسمى اللطف رأفة، فالله صالح ورؤوف. لذلك أصبحتا هاتان الصفتان في المسيحية ذاتيّ أصول مستمدة من الله، وبذلك فإن لهما رنَّة أصالة وثبات وليست بالرخص الذي يوصف به أهل العالم.

4. *Comment. on Galat.*, 5,22.

الفصل الخامس

الرذائل الأخلاقية المرفوضة في المجتمع المسيحي
عند بولس الرسول

١ ــ الفُرقة:

إن أرذل الرذائل كما يراها القديس بولس، كرسول ومبشِّر، هي رذيلة «الفُرقة»، وقد حاربته وحاربها في بدء خدمته وفي نهايتها، وكانت تهدد خدمته باستمرار. وقد جاءت تحت أسماء وصفات عديدة، ولكن آثارها واحدة، إصابة الجماعة بالاضطراب والنزاع والتحاسد. وأسماؤها جاءت كالآتي:

(أ) خصام: ἔρις (رو١: ٢٩)، (رو١٣: ١٣)، (١كو١: ١١)، (١كو٣: ٣)، (٢كو١٢: ٢٠)، (غل٥: ٢٠)، (في١: ١٥)، (١تي٦: ٤)، (تي٣: ٩).

(ب) شقاقات (انقسامات): διχοστασία (رو١٦: ١٧)، (غل ٥: ٢٠).

(ج) التحزُّب: ἐριθεία (رو٢: ٨)، (٢كو١٢: ٢٠)، (غل٥: ٢٠)، (في١: ١٧)، (في٢: ٣).

ولأن الكنيسة كانت تُبْنَى بالنفوس الطيبة الجديدة، فقد كان من أخطر ما يصيب الكنيسة وهي في دور البناء والتجمع روح الخصام والشقاق والتحزُّب؛ لأن هدف بولس اللاهوتي هو من هدف المسيح: أن يكون الكل واحداً في ألفة وانسجام ومحبة.

٢ ــ الطمع πλεονεκτεῖν :

وباللاتينية circumvenire.

الرذيلة الثانية في قبحها عند بولس الرسول هي الطمع، **وهو الطمع في العِرْض، أو التطاول** على عفة الآخرين.

ولكن هذه الرذيلة في منهج بولس الأخلاقي ليست بمفهوم كلمة «الطمع» التي اعتدنا سماعها كطمع في مال أو فيما للغير عموماً، بل إنها تتجه مباشرة إلى الطمع في العِرْض. لذلك تأتي كثيراً مربوطة بالزنا أو النجاسة وبعبادة الأوثان التي تقوم على الزنا أيضاً وإباحة العرض. ومعروف تماماً أن مثل هذا الاتجاه له قدرة خطيرة على تقويض الكنيسة التي تقوم على القداسة الكاملة. لذلك كانت حساسية بولس الرسول نحو هذه الرذيلة شديدة للغاية: «أما الزنا وكل نجاسة أو **طمع** فلا يُسَمَّ بينكم كما يليق بقديسين، ولا القباحة ولا كلام السفاهة والهزل التي لا تليق، بل بالحري الشكر. فإنكم تعلمون هذا أن كل زانٍ أو نجسٍ أو **طمَّاع** الذي هو عابد للأوثان ليس له ميراث في ملكوت المسيح والله.» (أف٥: ٣-٥)

واضح هنا أن الطمع واقع في وسط رذائل النجاسة بأصنافها، فهو صورة من صور التعدّي الجنسي. وكلها تنحصر في رذيلة النجاسة. ولعلّ أوضح المواضع التي تظهر فيها رذيلة الطمع أنها طمع في العرض هي الآية التالية:

+ «لأن هذه هي إرادة الله قداستكم، أن تمتنعوا عن الزنا، أن يعرف كل واحد منكم أن يقتني إناءه بقداسة وكرامة، لا في هوى شهوة كالأمم الذين لا يعرفون الله، أن لا يتطاول أحد **ويطمع** على أخيه في هذا الأمر، لأن الرب منتقم لهذه كلها.» (١تس٤: ٣-٦)

الفصل السادس

عناصر أخلاقية أخرى

الصلاة كعنصر أخلاقي عند بولس الرسول

قد يبدو أنها مغالاة وإفراط في التوعية بقيمة الصلاة عند بولس الرسول، ولكن قد يكون هذا معقولاً إذا لم يكن قد قدَّم نموذج حياته ناطقاً بصدق قيمة الصلاة في أعماق روحه:

+ «افرحوا كل حين، صلُّوا بلا انقطاع، اشكروا في كل شيء. لأن هذه هي مشيئة الله في المسيح يسوع من جهتكم.» (١تس٥: ١٦—١٨)

+ «لا تهتموا بشيء، بل في كل شيء بالصلاة والدعاء مع الشكر، لتُعْلَم طلباتكم لدى الله.» (في٤:٦)

+ «مُصلِّين بكل صلاة وطلبة كل وقت في الروح، وساهرين لهذا بعينه بكل مواظبة وطلبة.» (أف٦:١٨)

وفي ذلك يقدم هو نفسه نموذجاً حيًّا ناطقاً:

+ «نشكر الله كل حين من جهة جميعكم ذاكرين إياكم في صلواتنا.» (١تس١:٢)

+ «من أجل ذلك نحن أيضاً منذ يوم سمعنا، لم نَزَلْ مُصلِّين وطالبين لأجلكم، أن تمتلئوا من معرفة مشيئته في كل حكمة وفهم روحي.» (كو١:٩)

وفي كل مواقف بولس الرسول منذ أن عرف الرب مُشرقاً عليه من السماء وهو يصلِّي:

+ «فقال له (لحنانيا) الربُّ: قم واذهب إلى الزقاق الذي يقال له المستقيم، واطلب في بيت يهوذا رجلاً طرسوسياً اسمه شاول لأنه هوذا **يصلِّي**.» (أع٩:١١)

+ «وحدث لي بعد ما رجعت إلى أورشليم وكنت **أصلي** في الهيكل.» (أع٢٢:١٧)

+ «قال الروح القدس أفرزوا لي برنابا وشاول للعمل الذي دعوتهما إليه، فصاموا حينئذٍ وصلوا ووضعوا عليهما الأيادي.» (أع١٣:٢و٣)

+ «وانتخبا لهم قسوساً في كل كنيسة ثم **صليّا** بأصوام واستودعاهم للرب.» (أع١٤: ٢٣)
+ «ونحو نصف الليل كان بولس وسيلا **يصليان** ويسبِّحان الله والمسجونون يسمعونهما.» (أع١٦: ٢٥)
+ «ولما قال هذا جثا على ركبتيه مع جميعهم **وصلَّى**.» (أع٢٠: ٣٦)
+ «ولكن لما استكملنا الأيام خرجنا ذاهبين وهم جميعاً يُشيِّعوننا مع النساء والأولاد إلى خارج المدينة، فجَثَوْنا على رُكَبِنا على الشاطىء **وصلينا**.» (أع٢١: ٥)
+ «فحدث أن أبا بوبليوس كان مضطجعاً معترى بحمى وسحج فدخل إليه بولس **وصلَّى** ووضع يديه عليه فشفاه.» (أع٢٨: ٨)
+ «فإن الله الذي أعبده بروحي في إنجيل ابنه، شاهد لي كيف بلا انقطاع أذكركم متضرعاً دائماً في **صلواتي** ...» (رو١: ٩و١٠)
+ «**وأصلي** إلى الله أنكم لا تعملون شيئاً ردياً...» (٢كو١٣: ٧)
+ «بسبب هذا **أحني ركبتيَّ** لدى أبي ربنا يسوع المسيح... لكي يعطيكم بحسب غنى مجده أن تتأيدوا بالقوة بروحه في الإنسان الباطن.» (أف٣: ١٤و١٦)
+ «وهذا **أصلِّيه** أن تزداد محبتكم أيضاً أكثر فأكثر في المعرفة وفي كل فهم.» (في١: ٩)
+ «أيها الإخوة إن مسرة قلبي **وطلبتي** إلى الله لأجل إسرائيل هي للخلاص.» (رو١٠: ١)
+ «من جهة هذا **تضرعت** إلى الرب ثلاث مرات أن يفارقني (مرضي).» (٢كو١٢: ٨)
+ «**طالبين** ليلاً ونهاراً أوفر طلب أن نرى وجوهكم ونكمِّل نقائص إيمانكم.» (١تس٣: ١٠)

والقديس بولس من هذه الخلفية المشبَّعة بالصلاة، يعطي نصائحه المستمرة للصلاة، والصلاة من أجله:

+ «فرحين في الرجاء، صابرين في الضيق، مواظبين على **الصلاة**.» (رو١٢: ١٢)
+ «لا يسلب أحدكم الآخر (الزوجان)، إلاَّ أن يكون على موافقة إلى حين، لكي تتفرغوا للصوم **والصلاة**.» (١كو٧: ٥)
+ «واظبوا على **الصلاة**، ساهرين فيها بالشكر، **مُصلِّين** في ذلك لأجلنا نحن أيضاً، ليفتح الرب لنا باباً للكلام لنتكلم بسرِّ المسيح،... كي أظهره كما يجب أن أتكلم.» (كو٤: ٢-٤)
+ «فأطلب أول كل شيء أن تُقام طلبات **وصلوات** وابتهالات وتشكُّرات لأجل جميع الناس لأجل الملوك وجميع الذين هم في منصب...» (١تي٢: ١و٢)
+ «فأريد أن **يصلي** الرجال في كل مكان رافعين أيادي طاهرة بدون غضب ولا جدال.»

(١تي٢: ٨)

+ «فأطلب إليكم أيها الإخوة بربنا يسوع المسيح وبمحبة الروح أن تجاهدوا معي في **الصلوات** من أجلي إلى الله.» (رو١٥: ٣٠)
+ «وأنتم أيضاً مساعدون **بالصلاة** لأجلنا ...» (٢كو١: ١١)
+ «**مُصلّين** بكل صلاة وطلبة كل وقت في الروح وساهرين لهذا بعينه بكل مواظبة وطلبة لأجل جميع القديسين ولأجلي، لكي يُعْطَى لي كلام عند افتتاح فمي لأُعلِّم جهاراً بسرِّ الإنجيل.» (أف٦: ١٨و١٩)
+ «أخيراً أيها الإخوة **صلوا** لأجلنا لكي تجري كلمة الرب وتتمجد كما عندكم أيضاً.» (٢تس٣: ١)
+ «لأني أعلم أن هذا يؤول لي إلى خلاص **بطلبتكم** ومؤازرة روح يسوع المسيح.» (في١: ١٩)
+ «أَعْدِد لي أيضاً منزلاً، لأني أرجو أنني **بصلواتكم** سأوهَبُ لكم.» (فل٢٢)
+ «السلام بيدي أنا بولس. اذكروا وُثُقي...» (كو٤: ١٨)

واضح أن بولس الرسول عرف الصلاة الحارة، والتي بالدموع، وعرف حَنْي الركب طويلاً، وعرف الصلاة بمؤازرة الروح، وعرف الصلاة الطويلة جداً، والتي بلجاجة، والتي تتكرر وتتكرر من أجل الموضوع الواحد، وعرف قوة صلاة الآخرين عنه وعن قيوده، وعرف السهر في الصلاة، والمواظبة عليها في مواعيدها بدون خلل أو ملل. فإن كان للكنيسة اليوم كل هذه الصلوات مُقَنَّنة في ليتورجياتها اليومية والأسبوعية والموسمية، بأسهارها حتى الصباح، وبمواظبتها التي لا تُخلُّ بالليل والنهار، فردية وجماعية، بحني الركب مراراً وتكراراً، وصلاة الأصوام في أوقاتها، فذلك كله لأن روح القديس بولس الرسول لا يزال يعمل ويتوسل لدى الروح القدس والمسيح أن لا تكلَّ الكنيسة أو تخور في جهادها الشاق ضد روح العالم.

العمل والنظام كفضائل أخلاقية

عند بولس الرسول

كان العمل والنظام بالنسبة للمسيحي المؤمن الفرد وبالنسبة للكنيسة كمجتمع مسيحي في العالم، فضيلتين يرتقي مفهومهما عند بولس الرسول من مستوى الجسد إلى مستوى الروح، فكانتا ذات اعتبار كبير في تعليمه وكرازته.

وعجيب حقاً أن هذا القديس المنتخب والمعيَّن من السماء ومن فم المسيح لمثل هذه الإرسالية

المفتوحة على عالم الأمم بعيداً، يصحب معه مِغْزَلَه وخيوطه أينما سار وأينما حطَّ، فينزوي في غرفة يستأجرها ليعظ بالنهار وينسج بالليل خيامه التي يبيعها ويقتات منها ويصرف على الإخوة من حوله. بهذا يكون بولس الرسول قد قدَّس العمل ليكون لحساب المسيح والكلمة!! وبهذا الأسلوب الفريد الذي يربط فيه العمل الروحي بالعمل اليدوي وفَّر لنفسه وبالتالي لرسالته، وبالأكثر للكنيسة، أقدس الفضائل تجاه العالم والناس:

الحرية، والاستقلالية! اللتين تؤمِّنان للفرد والكنيسة صحة العبادة ونقاوة العلاقة بالله والآخرين. هذا فوق منفعة صَلْب الفكر وضبط الجسد، علاوةً على اكتساب فرصةٍ ومصدرٍ للعطاء والسخاء والتوزيع من بذل المحبة!

بولس الرسول وهو يقلِّب يديه الخشنتين، وقد تصلَّبتا وتشقَّقتا من عُنْف فرِّ المِغْزَل وكرِّ النَّوْل، ودسِّ الإبرة والمِسَلَّة في نسيج شعر الماعز القديد الشديد، أمام قسوس أفسس المودِّعين، كان كمن يطرح الإنجيل أمام العالم محمولاً فوق أعراق ودموع وأسهار وجهد مبذول حتى آخر بصيص من نور العين وعافية اليدين وراحة البدن. كان كمن يستودع الإنجيل في خزانة الكنيسة ملفوفاً، لا بالذهب الإبريز، بل بشدائد جسده التي أكمل بها شدائد المسيح:

+ « فضة أو ذهَب أو لباسَ أحدٍ لم أشتهِ،
أنتم تعلمون أن حاجاتي وحاجات الذين معي خَدَمتْها هاتان اليدان،
في كل شيء أرَيْتُكم أنه هكذا ينبغي أنكم تتعبون وتعضِّدون الضعفاء،
متذكِّرين كلمات الرب يسوع أنه قال: مغبوط هو العطاء أكثر من الأخذ.»

(أع ٢٠: ٣٣–٣٥)

+ « أنتم تعرفون كيف يجب أن يُتمثل بنا لأننا لم نسلك بلا ترتيب بينكم،
ولا أكلنا خبزاً مجاناً من أحد،
بل كنا نشتغل بتعبٍ وكدٍّ ليلاً ونهاراً، لكي لا نثقِّل على أحد منكم،
ليس أن لا سلطان لنا، بل لكي نعطيكم أنفسنا قدوة حتى تتمثلوا بنا،
فإننا أيضاً حين كنا عندكم أوصيناكم بهذا
أنه إن كان أحد لا يريد أن يشتغل فلا يأكل أيضاً،
لأننا نسمع أن قوماً يسلكون بينكم بلا ترتيب لا يشتغلون شيئاً بل هم فضوليون،
فمثل هؤلاء نوصيهم ونعظهم بربنا يسوع المسيح أن يشتغلوا بهدوء ويأكلوا خبز أنفسهم.»

(٢تس٣: ٧–١٢)

واضح من كلام بولس الرسول هنا أنه لا يأمر المحتاجين فقط إلى المال والقوت أن يعملوا، بل

هو يأمر ويقنّن العمل على الجميع حتى الأغنياء ذوي الجاه والفائض. فالعمل هنا يطرحه بولس الرسول كوصية لها صلة بالروح وذات ثمار مُرْبحة للفرد في حياته وللكنيسة ككلّ. لذلك، فالعمل هو فضيلة ليس للمعوزين أو الكسالى بل للجميع لبنيان الإنسان وروح الكنيسة:

+ «لا يسرق السارق فيما بعد، بل بالحري يتعب **عاملاً الصالح** بيديه ليكون له أن يعطي مَنْ له احتياج.» (أف٤: ٢٨)

العمل هنا رفعه بولس الرسول إلى مستوى الصلاح، ومنه يُعطي فرصة للمحبة والعطاء فتزداد فضيلة العمل لتفتخر بالمحبة فوق كل الفضائل.

الترتيب (النظام) τάξις ــ الطقس:

كانت حياة بولس الرسول نموذجاً لهذا الترتيب والنظام سواء في تدبيره لكل كنيسة على حدة أو كل الكنائس: «الاهتمام بجميع الكنائس» (٢كو١١: ٢٨). وبولس الرسول، في إعطائه لترتيب الخدمات وتنظيم الاجتماعات والكلام والسمع فيها، إنما كان يضع للكنيسة منهجها الخاص بالخدمات الذي نسميه الآن طقس الخدمة وأصوله:

+ «أيها الإخوة متى اجتمعتم، فكلُّ واحد منكم له مزمور له تعليم له لسان له إعلان له ترجمة فليكن كل شيء للبنيان ... لأن الله ليس إله تشويش بل إله سلام كما في جميع كنائس القديسين، لتصمتْ نساؤكم في الكنائس لأنه ليس مأذوناً لهنّ أن يتكلّمن ... أم منكم خرجت كلمة الله؟ أم إليكم وحدكم انتهت ... فليعلم (كل واحد منكم) ما أكتبه إليكم أنه وصايا الرب ...، ليكن كل شيء **بلياقة** وبحسب **ترتيب** εὐσχημόνως καὶ κατὰ τάξιν.» (١كو١٤: ٢٦ــ ٤٠)

ولم يكن شيء يسِرُّ قلب بولس الرسول قدر ما كان يسمع أن الكنائس تسير بترتيب وإيمان:

+ «فإني وإن كنتُ غائباً في الجسد، لكني معكم في الروح فَرِحاً وناظراً **ترتيبكم** τάξιν ومتانة إيمانكم في المسيح.» (كو٢: ٥)

وقطع بولس الرسول بالعقاب على مَنْ تحدثه نفسه بالإخلال بنظام الكنيسة وترتيب الخدمة فيها بحسب التعليم الذي وضعه بنفسه (ويبدو أن العقوبات كانت مكتوبة ومحددة) يعود بعدها العضو إلى خدمته، أي أن يكون القطع مترفقاً:

+ «ونطلب إليكم أيها الإخوة أنذروا الذين **بلا ترتيب**، شجعوا صغار النفوس، أسندوا الضعفاء، تأنّوا على الجميع.» (١تس٥: ١٤)

+ «ثم نوصيكم أيها الإخوة باسم ربنا يسوع المسيح أن تتجنبوا كل أخ يسلك **بلا ترتيب** ἀτάκτως وليس حسب التعليم الذي أخذه منا، إذ أنتم تعرفون كيف يجب أن يُتمثَّل بنا، لأننا لم نسلك **بلا ترتيب** ἠτακτήσαμεν بينكم.» (٢تس٣: ٦و٧)

اللياقة εὐσχημόνως:

وتتركب من مقطعين: εὐ وتعني «حسن»، σχῆμα وتعني «شكل».

ويقصد بها القديس بولس الحُسن والوقار والهدوء في الأداء:

+ «ليكن كل شيء **بلياقة** وبحسب ترتيب.» (١كو١٤: ٤٠)

+ «لنسلك **بلياقة** كما في النهار...» (رو١٣: ١٣)

+ «وأن تحرصوا على أن تكونوا هادئين وتمارسوا أموركم الخاصة وتشتغلوا بأيديكم أنتم كما أوصيناكم لكي تسلكوا **بلياقة** عند الذين هم من خارج ولا تكون لكم حاجة إلى أحد.» (١تس٤: ١١و١٢)

وتمتد اللياقة لتشمل عدم وضع عثرات أمام اليهود أو الأمم الوثنيين:

+ «كونوا بلا عثرة لليهود واليونانيين ولكنيسة الله، كما أنا أيضاً أُرضي الجميع في كل شيء غير طالب ما يوافق نفسي بل الكثيرين لكي يخلصوا.» (١كو١٠: ٣٢و٣٣)

وبولس الرسول يرحب بأن يلبِّي المسيحي دعوة غير المسيحي ليأكل عنده، إنما يحذِّر فقط أن لا يستهين المسيحي بإيمانه، كما لا يعثر مُضِيفَه:

+ «إن كان أحد من غير المؤمنين يدعوكم وتريدون أن تذهبوا، فكلُّ ما يقدَّم لكم كلوا منه غير فاحصين من أجل الضمير.» (١كو١٠: ٢٧)

+ «مقدمين كل أمانة صالحة (تجاه غير المؤمنين والأسياد) لكي يزيِّنوا تعليم مخلِّصنا الله في كل شيء.» (تي٢: ١٠)

ومنهج بولس الرسول في الفضائل الأخلاقية، سواء في السلوك الديني أو خارج الكنيسة، يكاد يجمع كل شوارد المتطلبات لحياة التقوى والرقي الأخلاقي لأصغر وأفقر عضو في الكنيسة إلى أعلى مرتبة فيها. وهو لم يَدَعْ الكنيسة تتلفَّت حولها لتستعير شيئاً من خارجها. فقد قدَّمها بولس بحق لتكون عذراء عفيفة عروساً مزيَّنة لعريسها، مدينة الله الحي أورشليم ذات الأساسات والعُمُد والأسوار والأبواب اللؤلؤية، جمالُها خلاصٌ، وبهاؤها تسبيح.

الفصل السابع

الكمال الأخلاقي

عند القديس بولس

أ ــ المسيح نموذج الكمال الأخلاقي الذي نأخذ منه لنتحول إليه:

لم يشرِّع بولس الرسول، لا للاهوت المسيحي ولا للأخلاق المسيحية. بولس الرسول كان ينظر المسيح ويصفه، ويسمع المسيح ويعلنه. لم يضع بولس منهجه كأوامر منقوشة على لوح، بل عاشه كحياة، ومن الحياة صاغ بنودها، كان المسيح فيها المرجع الوحيد، والمثل الأعلى، والنموذج الحي الذي يُحتَذى، والجسد الحي الذي منه يُغتذى. وكان الغرض الأسمى والنهائي عند بولس في رَسْمه للإنسان المسيحي هو، لا أن يصير شبيهاً بالمسيح، بل متحداً به، له فكره، وروحه، وحياته، وكل حركاته وسَكَناته، له ألمه وموته، وقبره وقيامته، وله مجده.

لم يتعوَّق منهج بولس في التطبيق بسبب كماله الفائق، بل نجح وامتد وغطّى كل الكنيسة وكل الأرض، مع أن بولس لم يضع منهجه التزاماً، بل طرحه نموذجاً وقدّم نفسه مثالاً. إلاَّ أن كلَّ مَنْ اقتحمه والتزم به وعاش فيه، وعاش له ملايين من بني البشر، كان يعطي بحياته صورة صادقة منتهى الصدق لهذا الكمال. إلاَّ أنه لم تأتِ قط صورة كالأخرى، ليبقى الكمال كمالاً لا ينقص أبداً، يؤخذ كله ويبقى كلُّه، وهذه هي سمة النموذج حينما يكون إلهيًّا.

حينما قال المسيح: «يوجد خصيان خصوا أنفسهم لأجل ملكوت السموات، مَنْ استطاع أن يقبل فليقبل» (مت١٩: ١٢)، جاء بولس ليترجم القول بالعمل: «أريد أن يكون جميع الناس كما أنا، لكن كل واحد له موهبته الخاصة من الله. الواحد هكذا والآخر هكذا.» (١كو٧: ٧)

واضح أن بولس الرسول سمع المسيح، فنادى، وبلغ نداؤه أقصى الأرض، فأطاعه الملايين ممن صاروا كبولس أو كقول المسيح. وكأن الموهبة كانت بانتظار نُطق المسيح ونداء بولس أو بانتظار

هذه الملايين التي سمعت وانطلقت في طريق الملكوت لا يعوقها عائق. وصارت البتولية في العالم منهجاً أخلاقياً بحد ذاته يشعُّ الإنجيل، ويسند الكنيسة في صمتٍ، ويشهد للنموذج الأكمل:

+ «... الذي هو المسيح فيكم رجاء المجد، الذي ننادي به منذرين كلَّ إنسان، ومعلِّمين كل إنسان، بكل حكمة، لكي نُحضِرَ كل إنسان كاملاً في المسيح يسوع» (كو١: ٢٧و٢٨)، حيث ليس الإنسان هو الذي يبلغ الكمال، بل إنه يبلغه في المسيح كعضو في جسد يستمتع بكمال الرأس.

وإن كان المنهج الأخلاقي يبدأ دائماً بالتمثُّل بالمسيح، ولكنه سرعان ما ينكشف السر أن النموذج الذي طرحه لنا المسيح بذاته لا يبقى كثيراً نموذجاً يُحتذَى به بل نموذجاً يُغْتَصَبُ، بل يؤكل أكلاً: «أنتم فيَّ وأنا فيكم» (يو١٤: ٢٠)، «فمن يأكلني فهو يحيا بي» (يو٦: ٥٧). فلماذا الاقتداء ولماذا التمثيل والتشبيه وقد وهب المسيح نفسه لكل مَنْ يؤمن به ويحبه؟

في الأول يأتي التغيير: «نحن جميعاً ناظرين مجد الرب بوجه مكشوف كما في مرآة نتغيَّر إلى تلك الصورة عينها من مجد إلى مجد كما من الرب الروح.» (٢كو٣: ١٨)

ولكن بالنهاية يأتي الاتحاد: «فأحيا لا أنا بل المسيح يحيا فيَّ» (غل٢: ٢٠)، «أستطيع كل شيء في المسيح الذي يقويني» (في٤: ١٣)، «... ليحلَّ المسيح بالإيمان في قلوبكم» (أف٣: ١٧)، «لأن كلكم الذين اعتمدتم بالمسيح قد لبستم المسيح.» (غل٣: ٢٧)

هكذا ينتقل **منهج الاقتداء** السلوكي والأخلاقي بالمسيح إلى **حقيقة الاتحاد** وقيادة المسيح للحياة.

فالمسيحي في نظر بولس الرسول يأخذ في البداية هويَّة الانتماء إلى المسيح، وبالنهاية يحوز على تحقيق شخصية هي شخصية المسيح التي يحيا بها. وهكذا كان ينظر بولس ويتفرَّس في المسيح، ثم يعطي منهجه الروحي الأخلاقي.

+ «فيجب علينا، نحن الأقوياء، أن نحتمل أضعاف الضعفاء، ولا نُرْضي أنفسنا. فلْيُرْضِ كل واحد منا قريبه للخير لأجل البنيان، لأن المسيح أيضاً لم يُرْضِ نفسه ...» (رو١٥: ١-٣)

+ «فَرحاً مع الفرحين، وبكاءً مع الباكين.» (رو١٢: ١٥)

+ «بكى يسوع!» (يو١١: ٣٥)

+ «فليكن فيكم هذا الفكر الذي في المسيح ...» (في٢: ٥)

+ «والرب يَهدي قلوبكم إلى محبة الله وإلى صبر المسيح.» (٢تس٣: ٥)

+ «أطلب إليكم بوداعة المسيح وحِلْمه ...» (٢كو١٠: ١)

ب ــ الفعل الإفخارستي يرقى إلى الكمال الأخلاقي:

إن السر التوحيدي الذي يوحد المسيحيين في جسد المسيح وروحه ليجعلهم واحداً بعد فُرقة واتحاداً بعد تمزُّق، إنما هو فعل أخلاقي بالدرجة الأُولى:

+ « احكموا أنتم في ما أقول: كأس البركة التي نباركها أليست هي شركة دم المسيح؟ الخبز الذي نكسره أليس هو شركة جسد المسيح،

فإننا نحن الكثيرين، خبزٌ واحد، جسد واحد. لأننا جميعنا نشترك في الخبز الواحد.» (١ كو١٠: ١٥ــ١٧)

هنا تبقى عملية اتحاد المؤمنين اتحاداً روحياً فعالاً في شخص المسيح بجسده وروحه، هي منتهى أمل البشرية ورجائها التي بها تتحد القلوب والأفكار والمبادىء والأرواح أيضاً. إنها حلم الفلاسفة، ومنتهى ما يتمناه ويتخيله المُصلحون الاجتماعيون. ولكن هيهات، لأنه بدون المسيح لا توجد في العالم قوة توحِّد ما بين اثنين، حتى ولو كانوا متساويَيْن في كل شيء، فما بالك حينما تكون الوحدة بين المتناقضات!

+ «ليس يهودي ولا يوناني، ليس عبد ولا حر، ليس ذكر وأنثى، لأنكم جميعاً واحد في المسيح يسوع.» (غل٣: ٢٨)

+ «حيث ليس يوناني ويهودي ختانٌ وغُرْلة بربري سِكِّيثي ... بل المسيح الكل وفي الكل.» (كو٣: ١١)

القديس يوحنا ذهبي الفم يشرح شركة سر الإفخارستيا هكذا:

[إن بولس لم يقل «مشاركة» participation (أي أن يأخذ كل واحد نصيبه من الجسد) بل قال «شركة» communion (ومعناها الحرفي co = معاً، union = اتحاد، أي عملية الاتحاد معاً). لأنه ــ أي بولس ــ قصد أن يشرح الاتحاد بصورة مقرَّبة للذهن. لأنه حينما نتناول من الأسرار المقدسة communion، لا نقتسم الجسد، أي المسيح، بل نتحد به. وفي الحقيقة كما أن الجسد متحد بالمسيح، هكذا بهذا الخبز نتحد بالمسيح، ولكن لماذا أنا أركز على شركة الاتحاد، لأن بولس يقول إننا نحن هذا الجسد عينه، لأن ما هو هذا الخبز؟ هو جسد المسيح، وماذا نصير نحن عند تناولنا هذا الخبز؟ نصير جسد المسيح لا أجساداً كثيرة

بعد، بل جسداً واحداً.][1]

هذا الاتحاد يعمل في الحال لحساب التقوى كما يقول القديس أغسطينوس:
[سر الإفخارستيا هو سر التقوى، هو الآية الفعالة للوحدة، فهو رباط المحبة.][2]

وهكذا يبقى سر الإفخارستيا في عقيدة الكنيسة هو الفعل الأول للكمال المسيحي، والضَمين الشابت لهذا الكمال. إذ يوحِّد المؤمنين معاً ثم يوحِّدهم بمصدر قداستهم وتقواهم وحياتهم الأبدية:
«جسدي مأكلٌ حقٌ، ودمي مشربٌ حقٌ.» (يو٦: ٥٥)

أيُّ امتياز هذا أن صار للإنسان أن يغتذي ويشرب الحق؟

وبخصوص منهج بولس الأخلاقي، فليس خافياً أن الشعوب الأُوروبية ظلت تتشرَّبه، فكان لها المصدر الأمين في نشوء الأصول الأولى للتربية المسيحية، ومبادىء التشريع والحرية، والمدنية على وجه العموم.

فما أعظم الدَّين الذي يدين به العالم لهذا الرسول!

أيُّ تقيٍّ، أي مُرْسَلٍ، أيُّ واعظٍ، أي معلِّم لم يستمد قوة من فكره بل من روحه، أيّة نهضة، أيّة توبة لم تستمد حركتها بل قوتها من كلماته!

---

1. F. Prat, *op. cit.*, vol. II, p. 351.
2. Ibid.

الباب السابع

أمور آخر الزمان عند القديس بولس

الأخرويات ESCHATOLOGY

الفصل الأول

ما هي الإسخاتولوجيا

أ ــ معنى هذا الاصطلاح واستخداماته:

١ ــ المعنى العام لكلمة «إسخاتوس»:

"إسخاتوس" = ἔσχατος هو اصطلاح يُستخدَم للدلالة على شيء أخير، سواء كان **مادياً** مثل ما جاء على لسان المسيح: «الحق أقول لك لا تخرج من هناك حتى توفي **الفَلْسَ الأخير**» (مت٥: ٢٦)؛

أو للدلالة على **المكان**: «تكونون لي شهوداً في أورشليم وفي كل اليهودية والسامرة وإلى **أقصى** الأرض» (أع١: ٨)، حيث «أقصى» هنا تجيء بمعنى آخر الأرض؛

أو للدلالة على **الزمن**: «فتصير **أواخر** ذلك الإنسان أشرَّ من أوائله» (مت١٢: ٤٥)؛

أو للدلالة على ترتيب الأشخاص: «ادعُ الفعلة وأعطِهم الأجرة مبتدئاً من **الآخِرين** إلى الأولين» (مت٢٠: ٨)؛

أو الدلالة على مبدأ أو فكرة أو حالة: «فتكون **الضلالة الأخيرة** أشرَّ من الأولى.» (مت٢٧: ٦٤)

ثم تتركز في الدلالة على اليوم: «وفي **اليوم الأخير** العظيم من العيد» (يو٧: ٣٧)، كذلك في الأعمال: «وأن أعمالك **الأخيرة** أكثر من الأولى.» (رؤ٢: ١٩)

وأول مظهر لاهوتي لاستخدام الـ «إسخاتوس» جاء على لسان بولس الرسول وهو يصف نفسه كآخر الكل (وليس مجرد أخير) على مستوى استعلان القيامة: «**وآخرُ الكلّ** كأنه للسِّقْطِ ظهر لي أنا.» (١كو١٥: ٨)

٢ ـ الاستخدام اللاهوتي لكلمة «إسخاتوس»:

والتعبير بالـ«إسخاتوس» في المفهوم اللاهوتي يفيد نهاية أو ختام أو قفل نوع معين من تسلسل الحوادث، حتى إن بعد هذا الـ«إسخاتوس» لا يكون شيء من هذه الحوادث. وهذا يتضح من كيف يُستخدَمُ هذا الاصطلاح في العهد القديم للدلالة على «يوم يهوه» = يوم الرب. فالنهاية بالنسبة لتسلسل حوادث العهد القديم تأتي في المسيحية بظهور المسيح: «الله بعد ما كلَّم الآباء بالأنبياء قديماً بأنواع وطرق كثيرة، كلَّمنا في هذه **الأيام الأخيرة** ἐσχάτου في ابنه» (عب١: ١و٢)؛ «معروفاً سابقاً قبل تأسيس العالم، ولكن قد أُظْهِرَ في **الأزمنة الأخيرة** ἐσχάτου من أجلكم.» (١بط١: ٢٠)

وهكذا، واعتماداً على أن مجيء يوم الرب وظهور المسيَّا هو "الإسخاتون" في العهد القديم، اعتبر المسيحيون الأوائل أنهم قد أصبحوا في يوم الرب نفسه وأنهم امتداداً به يعيشون «الإسخاتوس»، وذلك بعد أن تحققوا تماماً من حلول الروح القدس يوم الخمسين كعلامة محقَّقة وبارزة أعطاها العهد القديم للتعرُّف على بدء الـ«إسخاتوس»: «يقول الله ويكون في **الأيام الأخيرة** أني أسكب من روحي على كل بشر» (أع٢: ١٧). ومن واقع لاهوت الخير والشر، والنور والظلمة، والحق والباطل، والاعتراف والتجديف، فإنه بمجيء الحق بالمسيح يجيء أيضاً وحتماً التجديف ومَنْ هو ضِدُّ المسيح. فظهور الضدّ للمسيح أصبح هو الآخر علامة على آخر الأيام:

+ «ولكن اعلم هذا أنه في **الأيام الأخيرة** ستأتي أزمنة صعبة لأن الناس يكونون مُحبِّين لأنفسهم، مُحبِّين للمال ... مجدِّفين ...» (٢تي٣: ١و٢)

+ «عالمين هذا أولاً أنه سيأتي في **آخر الأيام** قوم مستهزئون سالكين بحسب شهوات أنفسهم...» (٢بط٣: ٣)

+ «أيها الأولاد هي **الساعة الأخيرة**، وكما سمعتم أن ضدَّ المسيح يأتي، قد صار الآن أضداد للمسيح كثيرون، من هنا نعلم أنها الساعة الأخيرة.» (١يو٢: ١٨)

ولكن كما كان للعهد القديم رؤيا شفافة صادقة مؤكدة لأواخر الأيام بمجيء «يوم الرب»، هكذا صار للعهد الجديد رؤيا مساوية وشفافة ومؤكدة لأواخر أيام قادمة تبدأ بظهور المسيح ثانية ومعه حوادث آخر الزمان الخطيرة:

+ «لأنه يجب أن يملك (المسيح) حتى يضع جميع الأعداء تحت قدميه، آخر ἔσχατος عدو يبطل هو الموت.» (١كو١٥: ٢٥و٢٦)

وسيكون لهذا اليوم علامة مسموعة: «في لحظة في طرفة عين عند **البوق الأخير** ἐσχάτῃ.»

(١ كو١٥: ٥٢)

ويصاحبه مصاعب مصائب فائقة: «ثم رأيت آية أخرى في السماء عظيمة وعجيبة، سبعة ملائكة معهم السبع الضربات **الأخيرة** لأن بها أُكمل غضب الله.» (رؤ١٥: ١)

وينتهي هذا اليوم الأخير بالقيامة التي يُجريها الرب لمختاريه: «وهذه مشيئة الآب الذي أرسلني أن كل ما أعطاني لا أُتلف منه شيئاً، **بل أُقيمه في اليوم الأخير**» (يو٦: ٣٩)؛ حيث يعتبر القديس بطرس أن القيامة الأخيرة هي إعلان الخلاص الأخير: «أنتم الذين بقوة الله محروسون بإيمان، لخلاص مستعد أن يُعْلَن **في الزمان الأخير.**» (١بط١: ٥)

٣ ــ تعبيرات إسخاتولوجية أخرى:

وقد أعطى المسيح تعبير تكميل أو كمال أو نهاية أو ختام أو ملء الدهور **συντελεία αἰῶνος** وبالـلاتينية **consummatio** للإفادة عن تكميل آخر الزمان، التي جاءت ترجمتها باللغة العربية بتصرف: «انقضاء العالم»:

+ «والحصاد هو **انقضاء العالم** ... فكما يُجمع الزوان ويحرق بالنار هكذا **يكون في انقضاء هذا العالم.**» (مت١٣: ٣٩و٤٠)

+ «هكذا يكون في **انقضاء العالم** (كمال الدهر) يخرج الملائكة ويفرزون الأشرار من بين الأبرار.» (مت١٣: ٤٩)

+ «قل لنا متى يكون هذا وما هي علامة مجيئك **وانقضاء الدهر** (كمال الدهر).» (مت٢٤: ٣)

+ «وعلموهم أن يحفظوا جيع ما أوصيتكم به وها أنا معكم كل الأيام **إلى انقضاء الدهر** (كمال الدهر).» (مت٢٨: ٢٠)

وبالرغم من أن المسيح استخدم اصطلاح «كمال» أو «ملء» أو «ختام» أو «نهاية» الدهور للإفادة عن نهاية العالم، إلَّا أن بولس الرسول استخدم هذا الاصطلاح عينه συντελεία αἰῶνος للإفادة عن ظهور المسيح بالتجسد وعمل الفداء: «فإذ ذاك كان يجب أن يتألم مراراً كثيرة منذ تأسيس العالم، ولكنه الآن قد أُظهر مرَّة عند انقضاء الدهور συντελείᾳ τῶν αἰώνων ليُبْطِل الخطية بذبيحة نفسه» (عب٩: ٢٦). أي أن هذا الاصطلاح يعبِّر عن العصر الماسياني.

وهذا الاصطلاح يفيد نفس الإفادة التي يعبِّر بها الاصطلاح الآخر عند بولس الرسول وهو

وهو «**ملء الزمان**»: τὸ πλήρωμα τοῦ χρόνου «لما جاء ملء الزمان أرسل الله ابنه مولوداً من امرأة مولوداً تحت الناموس ليفتدي الذين تحت الناموس.» (غل٤:٤)

كذلك الاصطلاح τὸ πλήρωμα τῶν καιρῶν وهو **ملء الأزمنة**: «لتدبير ملء الأزمنة ليجمع كل شيء في المسيح ما في السموات وما على الأرض في ذاك» (أف١:١٠)، تعبيراً عن أزمنة الخلاص الممتدة منذ الفداء حتى النهاية!

بطرس الرسول في رسالته الأُولى، يضع بالكلمات الواضحة مفهوم الـ «إسخاتولوجيا» بالنسبة لإنسان الإيمان في العهد الجديد باصطلاح «نهاية كل شيء» πάντων δὲ τὸ τέλος: «وإنما نهاية كل شيء قد اقتربت. فتعقَّلوا واصحوا للصلوات.» (١بط٤:٧)

وهي عند بولس الرسول أواخر الدهور τὰ τέλη τῶν αἰώνων «نحن الذين انتهت إلينا أواخر الدهور» (١كو١٠:١١)، بمعنى الدخول في العصر المسيَّاني، أي في أواخر الدهور نفسها واستعلان دهر الخلاص. وإنجيل القديس يوحنا يستخدم «اليوم الأخير» و«الساعة الأخيرة» للتعبير عن إسخاتولوجيا الإنسان المسيحي المرتبطة بالقيامة الأخيرة والدينونة.

٤ ــ محاولة لحصر المعنى:

تحت كلمة «إسخاتولوجي» التي أصبحت لازمة من لوازم اللاهوت، تنحصر حالة الإنسان من بعد الموت حتى استعلان القيامة الأخيرة والدينونة وكل ما يصاحبها من حوادث وتغييرات ونتائج إلى تكميل نهاية كل شيء.

وهنا يتحتم التعرض لكلمة «أبوكاليبسيس» ἀποκάλυψις التي تُرْجِمَت «رؤيا» في سفر رؤيا يوحنا وأُعطيت بالإنجليزية كلمة «استعلان» Revelation. والمعنى الأساسي لهذه الكلمة يفيد وصف حوادث الضيقة العظمى التي تختص بالعبادة والأخلاق والتي تسبق اليوم الأخير. وهي تُصوِّر الصراع الرهيب بين قُوى السموات والجحيم، والنقمة المصبوبة على الذين انضووا تحت لواء الشيطان، سواء كانوا بشراً أو ملائكة ساقطين. وهذه أيضاً تعتبر مقدمات الإسخاتولوجيا النهائية.

٥ ــ الدهر الحاضر والدهر الآتي:

اتفق الأنبياء على أنه بظهور المسيَّا يُشرق على الإنسان حقبة أو عصر جديد، وهكذا كان يُحسب أن هذا العصر سيكون «نهاية الأيام»:

+ «ويكون في **آخر الأيام** أن جبل بيت الرب يكون ثابتاً في رأس الجبال ويرتفع فوق التلال، وتجري إليه كل الأمم، وتسير شعوب كثيرة ويقولون: هلمَّ نصعد إلى جبل الرب إلى

بيت إلٰه يعقوب فيُعلِّمنا من طُرُقه ونسلك في سبله. لأنه من صهيون تخرج الشريعة ومن أورشليم كلمة الرب، فيقضي بين الأمم ويُنْصِف لشعوب كثيرين، فيطبعون سيوفهم سِكَكاً ورماحَهُم مناجلَ. لا ترفع أمة على أمة سيفاً ولا يتعلمون الحرب فيما بعد.» (إش٢: ٢—٤)

ويلاحظ أن نبوة إشعياء عن «نهاية الأيام» دخل فيها عصر المسيح ولا زالت تمتد لتشمل نهاية الأيام بالنسبة لنا أيضاً، لأن توقف الحروب هو أمل مستقبل الشعوب الآن.

وهكذا يتضح أن إسخاتولوجيا الأنبياء في العهد القديم (نهاية الأيام) شملت دون تفريق هذا الدهر والدهر الآتي في إسخاتولوجيا واحدة. أما إسخاتولوجيا المسيح والمسيحية فوضَّحت الفارق وجعلت للدهر الآتي خصائصه، وهي القيامة والدينونة وما يلازمها من حوادث صعبة ثم حياة أبدية:

+ «فأجاب وقال لهم يسوع: أبناءُ **هذا الدهر** يزوِّجون ويُزوَّجون. ولكن الذين حُسِبُوا أهلاً للحصول على **ذلك الدهر** والقيامة من الأموات لا يزوِّجون ولا يزوَّجون.» (لو٢٠: ٣٤و٣٥)

+ «... إلاَّ ويأخذ مائة ضعف **الآن في هذا الزمان** νῦν ἐν τῷ καιρῷ τούτῳ ... **وفي الدهر الآتي الحياة الأبدية**.» (مر١٠: ٣٠)

٦ — أوضح تعبير عن الإسخاتولوجيا في العهد القديم يطابق إسخاتولوجيا العهد الجديد:

جاء على فم دانيال النبي: «وفي ذلك الوقت يقوم ميخائيل الرئيس العظيم القائم لبني شعبك، ويكون زمان ضيق لم يكن منذ كانت أمة إلى ذلك الوقت. وفي ذلك الوقت يُنجَّى شعبك كل مَنْ يوجد مكتوباً في السفر. وكثيرون من الراقدين في تراب الأرض يستيقظون، هؤلاء إلى الحياة الأبدية وهؤلاء إلى العار للازدراء الأبدي. والفاهمون (الصالحون) يضيئون كضياء الجلد والذين ردُّوا كثيرين إلى البرِّ كالكواكب إلى أبد الدهور.» (دا١٢: ١—٣)

واضحٌ هنا الدور الأول والعظيم والفريد الذي لا يُجارَى لرئيس الملائكة ميخائيل في الإسخاتولوجيا عموماً، سواء بالمفهوم اليهودي أو المسيحي. وقد وضح ذلك في سفر الرؤيا الاستعلاني للقديس يوحنا اللاهوتي، ففيه يكون هو المنوط بالحرب مع الشيطان رأساً: «وحدثت حرب في السماء. ميخائيل وملائكته حاربوا التنين وحارب التنين وملائكته، ولم يقووا، فلم يوجد مكانهم بعد ذلك في السماء. فطُرح التنين العظيم الحية القديمة المدعو إبليس والشيطان الذي يُضِلُّ العالم كله طُرح إلى الأرض وطُرحت معه ملائكته.» (رؤ١٢: ٧—٩)

وواضح في نبوة دانيال:

١ ــ صورة الضيقة العظيمة التي تسبق «يوم الرب».

٢ ــ كذلك واضح من نجاة كل من كان مكتوباً في السفر أنه سفر الحياة.

٣ ــ كما وَضحت أيضاً القيامة العامة من الموت للأخيار والأشرار.

٤ ــ وكذلك الدينونة العتيدة.

٥ ــ والحياة الأبدية بأمجادها.

٦ ــ وما يقابلها من العار والإزدراء الأبدي بلا نهاية.

٧ ــ والهوة والحاجز اللذان يفصلان بينهما.

ونحن نعتقد أن القديس بولس اتخذ من قول دانيال: «وفي ذلك الوقت ينجّى شعبك كل مَنْ يوجد مكتوباً في السفر»، وبعدها مباشرة يقول: «وكثيرون من الراقدين في تراب الأرض يستيقظون»، اتخذ فكرة: «هوذا سِرٌّ أقوله لكم: لا نرقد كلنا ولكننا كلنا نتغيَّر» (١كو١٥: ٥١)، لأن من واقع نبوة دانيال يتضح أن جزءاً سينجو بدون موت.

وفي نبوة إشعياء النبي يتضح لنا المقياس الإلهي الذي تُقاس به الأزمنة عند الله لتحديد ميعاد الافتقاد أو ميعاد الدينونة:

+ «عزوُّا عزوُّا شعبي يقول إلهكم، طيِّبوا قلب أورشليم ونادوها **بأن جهادها قد كمل**، أن إثمها قد عُفِي عنه **أنها قد قبلت من يد الرب ضعفين عن كل خطاياها!!!** صوت صارخ في البرية، أعدُّوا طريق الرب قوِّموا في القفر سبيلاً لإلهنا ... فيُعلَن مجد الرب ويراه كل بشر جميعاً لأن فم الرب تكلم.» (إش٤٠: ١ــ٥)

واضح من نبوة إشعياء:

أولاً: إلى أي مدى وزمان يترك الرب الإنسان تحت الضيق.

ثانياً: متى ولماذا ينزل الرب، ويولد المسيح للفداء.

فأورشليم كناية عن شعب الله الذي أفسد طريقه وسار في طريق الإثم، ولهذا تركها الرب تجاهد ضد عناصر مضادة كثيرة حتى رأى الرب أن جهادها صار فيه الكفاية، فعفى عن إثمها على أساس أن الرب أدّبها بثمن خطاياها ضعفين!! وحينئذ جاء ملء الزمان وأرسل الله روح إيليا في يوحنا المعمدان، ثم نزل الابن من السماء، حسب النبوات.

ب ـــ قيمة التطلع نحو أمور الأخرويات:

ولا يخفى عن القارىء أن القيمة الحقيقية للتطلع نحو أمور الأخرويات كانت منذ الدهر محطّ أنظارِ ورجاءِ وحنينِ الآباء والأنبياء والقديسين وحتى إلى الآن.

ولكن إن كان مجيءُ المسيح وانفتاح أزمنة الخلاص وانسكاب الروح القدس بمباهج الفرح والحب الإلهي والإحساس بالسماء بل ومُعايشة أمجاد الدهر الآتي قد أشبعت كثيراً وكثيراً جداً من الحنين الذي برَّح بمشاعر الإنسان الروحي، إلاَّ أنه لا تزال الأمور الأخروية، وإن كانت لا تقلق النفس الناظرة إلى فوق، فهي تطرح أسئلة كثيرة تشتهي كل نفس أن تطَّلع عليها.

ثم لا يخفى أيضاً عن الإنسان الباحث في مدى صدق أو مصداقية الجري وراء الأمور الأُخروية التي يحجزها الزمن أو يحجزها قعود الخبرات الروحية عن رؤيتها واللحاق بها، أن العالم نفسه بوضعه العلماني سواء الفلسفي أو التِقْنيِّ الهندسي بكل فروع التكنولوجيا قد بلغ أوج البحث فيما هو في الأرض وتحت الأرض وما في السماء وما وراء السماء والقمر والنجوم والمجرَّات، ناهيك عن القوة التي أطلقها الإنسان سواء من الذرة أو غيرها، وما آلت إليه من تطورات شاسعة في البعد الزماني والمكاني بما يفوق تصور العقل وحساباته، أليس هذا امتداداً فعلياً نحو الأُخرويات إنما على المستوى المادي؟

ثم لو طرحنا ـــ فرضاً ـــ سؤالاً على الإنسان منذ ألف سنة هل بوسع الإنسان أن يذهب إلى القمر ويتمشى فوقه لكان جوابه إن هذا من شأن الأُخرويات!! وها نحن قد انطلقنا إلى القمر ذهاباً وإياباً وسرنا عليه وأكلنا فوقه وشربنا!!

وهكذا يعيش عالم اليوم أخرويات أمس. وحتماً سيعيش في غده القريب أخرويات اليوم!!

وعلى أي حال، لن يكف العالم عن البحث والفحص وبَرْمَجة شئون المستقبل ـــ الأخرويات ـــ بأقصى جهد وسيحصل بالفعل على الأعاجيب والمذهلات.

ولكن تبقى أخرويات الفكر والمادة سراباً وأحلاماً يستيقظ العالم منها بعد أن يحياها فيجدها حفنة تراب وقبضة ريح. أما أخرويات الروح، فبقدر ما فيها من شحٍّ وجهد جهيد، فالقليل منها يُنعش روح الإنسان ويملأه بالرجاء الذي يجدد حياته وكأنه يَلِدْه من جديد. إن أعظم ما تشتهيه نفس الإنسان السويِّ أن يعرف ويتيقن أن هناك سعادة حقيقية تنتظره يوم يغمض عينيه ليغيب عن هيئة هذا العالم الزائل! ناهيك أنْ يأخذ من الآن عربونها ويعيشه!

كذلك لا نبالغ في القول إذا علمنا أن سعادة حاضرنا وقدرتنا على استيعاب حقوقنا فيه ترتبط بالأساس بقدرتنا على إدراك مستقبلنا بوعي روحي وثقة لمعايشة أسراره وأمجاده، كحقوق لا تُنال بالتمنِّي بل بالاغتصاب: «ملكوت السموات يُغصَبُ والغاصبون يختطفونه.» (مت ١١: ١٢)

وهكذا نقول بيقين إن سعادة الإنسان في نعيم الله تبدأ وتُعَاشُ من الآن قبل مجيء الأخرويات، الجحيم كذلك يعيشه الخطاة هنا قبل أن يواجهوه هناك.

لأنه ليس لمخلوق قط أُعطي أن يخترق الزمن والخلود إلاَّ الإنسان! فهو الوحيد الذي أُعطي له أن يحوِّل الزمن إلى خلود! ويخترق الأخرويات! ويستحضر لنفسه ما هو ليس موجوداً! كما أنه هو الذي يُتعس قَدَرَه بجهله، بأن يصنع له من تراب الأرض وشهوات الجسد جحيماً بقدر طوله وعرضه.

الإسخاتولوجيا (الأمور الأخروية الآتية) لا تقوم على قواعد نظرية أو فكرية أو تأملية، ولكن تقوم على قاعدة صلبة في الإيمان المسيحي أن المسيح «مات وقام»، فموت المسيح هو الفعل الزمني للخلاص، وقيامة المسيح هي الفعل الأخروي الأبدي، وهذه الحقيقة شرحها المسيح عملياً بقوله: «إني أنا حي فأنتم ستحيون» (يو١٤: ١٩). وبولس الرسول حوَّلها إلى قاعدة إيمانية: «لأنكم قد مُتُّم وحياتكم مستترة مع المسيح في الله، متى أُظهر المسيح حياتنا فحينئذ تظهرون أنتم أيضاً معه في المجد.» (كو٣: ٣و٤)

هكذا يكشف بولس الرسول عن أعمق معاني الإسخاتولوجيا وهي وجود المستقبل مختبئاً في الحاضر بانتظار العلانية الأخيرة، بظهور المسيح. وهذا هو بعينه الخلاص الواقع في الحاضر الزمني الممتد للاستعلان في المستقبل الأبدي. وهكذا، فالإسخاتولوجيا في أبسط صورة لها هي فعل إلهي يُستعلن مرتين، **المرة الأولى** في عمق الزمن ليمسك به الإنسان بيديه: «امسك بالحياة الأبدية التي إليها دُعيتَ» (١تي٦: ١٢)، التي ليست أكثر من أن يمسك بالصليب!!، **والمرة الثانية** ليرتفع به الإنسان في دائرة الله. ولكن في الاستعلان الأول لفعل الخلاص الإلهي يظل الإنسان على مستوى موت المسيح، أي المعاناة والآلام في عمق الزمن بانتظار الاستعلان الثاني الذي هو على مستوى القيامة والظهور، أي لمسْح كل دمعة وقبول شركة المجد. ولكن الاستعلان الثاني يبقى دائماً مرتبطاً رباطاً وثيقاً بالأول، وهكذا يحتمل الإنسان الصليب من أجل السرور الموضوع أمامه!!

الفصل الثاني

النصوص الأخروية في رسائل القديس بولس

إذا رتّبنا المواضيع اللاهوتية البارزة التي تزاحمت في قلب بولس الرسول وعبّر عنها في مواضعها فكوّنت هيكل لاهوته، نجدها هكذا بحسب الأهمية عند بولس الرسول، حيث نجد الإسخاتولوجيا تأتي دائماً كتعقيب وليست ذات أصالة في اللاهوت الفدائي:

أولاً: الفداء ومركزه الصليب.

ثانياً: القيامة ومركزها الحياة الأبدية.

ثالثاً: الإنسان الجديد ومركزه حرية البنين، في مقابل الإنسان العتيق ومركزه عبودية الخطية.

رابعاً: الجسد السرّي للمسيح ومركزه الكنيسة بصورتها العضوية وامتدادها فوق الزمن.

خامساً: الأخرويات ومركزها المسيح.

ولكن بالرغم من أن الحديث عن الأخرويات يجيء في آخر المواضيع المهمة عند بولس الرسول إلاّ أنها استحوزت على قدر كبير من الكلام والتوضيح. والآيات التي ركّز عليها القديس بولس رؤيته للأمور الأخيرة هي كالآتي بحسب ترتيبها الزمني في تاريخ كتابة الرسائل:

(أ) «ثم لا أريد أن تجهلوا أيها الإخوة من جهة الراقدين لكي لا تحزنوا كالباقين الذين لا رجاء لهم،

لأنه إن كنا نؤمن أن يسوع مات وقام فكذلك الراقدون بيسوع سيُحضرهم الله أيضاً معه،

فإننا نقول لكم هذا ــ بكلمة الرب ــ إننا نحن الأحياء الباقين إلى مجيء الرب لا نسبق الراقدين،

لأن الرب نفسه بهتاف، بصوت رئيس ملائكة، وبوق الله، سوف ينزل من السماء. والأموات في المسيح سيقومون أولاً،

ثم نحن الأحياء الباقين سنُخطف جميعاً معهم في السحب لملاقاة الرب في الهواء،

وهكذا نكون كل حين مع الرب، لذلك عزُّوا بعضكم بعضاً بهذا الكلام.» (١تس٤: ١٣—١٨)

(ب) «وأما الأزمنة والأوقات، فلا حاجة لكم أيها الإخوة أن أكتب إليكم عنها، لأنكم أنتم تعلمون بالتحقيق أن يوم الرب — كلصٍّ في الليل — هكذا يجيء.
لأنه حينما يقولون سلام وأمان حينئذ يفاجئهم هلاك بغتة كالمخاض للحُبْلى فلا ينجون،
وأما أنتم أيها الإخوة فلستم في ظلمة حتى يدرككم ذلك اليوم كلص، جميعكم أبناء نور وأبناء نهار.» (١تس٥: ١—٥)

(ج) «وإياكم الذين تتضايقون راحة معنا عند استعلان الرب يسوع من السماء مع ملائكة قوته،
في نار لهيب مُعْطياً نقمة للذين لا يعرفون الله والذين لا يطيعون إنجيل ربنا يسوع المسيح،
الذين سيعاقبون بهلاك أبدي من وجه الرب ومن مجد قوته،
متى جاء ليتمجد في قديسيه ويُتعجَّب منه في جميع المؤمنين، لأن شهادتنا عندكم صدقت في ذلك اليوم.» (٢تس١: ٧—١٠)

(د) «لا تتزعزعوا سريعاً عن ذهنكم ولا ترتاعوا لا بروح ولا بكلمة ولا برسالة كأنها منا، أي أن يوم المسيح قد حضر، ...
لأنه لا يأتي إن لم يأتِ الارتداد أولاً، ويُستعْلَن إنسان الخطية ابن الهلاك،
المقاوم والمرتفع على كل ما يُدْعَى إلهاً أو معبوداً، حتى إنه يجلس في هيكل الله كإله مُظهِراً نفسه أنه إله، ...
والآن تعلمون ما يَحجز، حتى يستعلن في وقته،
لأن سِرَّ الإثم الآن يعمل فقط، إلى أن يُرفَع من الوسط الذي يحجز الآن، وحينئذ سيُسْتَعلن الأثيم الذي الرب يُبيده بنفخة فمه ويُبطله بظهور مجيئه، الذي مجيئه —
أي الأثيم — بعمل الشيطان بكل قوة وبآيات وعجائب كاذبة، وبكل خديعة الإثم في الهالكين لأنهم لم يقبلوا محبة الحق حتى يخلصوا، ولأجل هذا سيرسل إليهم الله عمل الضلال حتى يصدِّقوا الكذب.
لكي يُدانَ جميع الذين لم يصدِّقوا الحق بل سُرُّوا بالإثم.» (٢تس٢: ١—١٢)

(هـ) «ولكن إن كان المسيح يُكْرَزُ به أنه قام من الأموات، فكيف يقول قوم بينكم إنه ليس قيامة أموات،

فإن لم تكن قيامة أموات فلا يكون المسيح قد قام، وإن لم يكن المسيح قد قام فباطلة كرازتنا وباطل هو إيمانكم، ونوجد نحن أيضاً شهود زور لله لأننا شهدنا من جهة الله أنه أقام المسيح وهو لم يُقِمْهُ إن كان الموتى لا يقومون، لأنه إن كان الموتى لا يقومون فلا يكون المسيح قد قام، وإن لم يكن المسيح قد قام فباطل إيمانكم، أنتم بعد في خطاياكم، إذاً الذين رقدوا في المسيح أيضاً هلكوا. إن كان لنا في هذه الحياة فقط رجاء في المسيح فإننا أشقى جميع الناس،

ولكن الآن قد قام المسيح من الأموات وصار باكورة الراقدين،

فإنه إذ الموت بإنسان بإنسان أيضاً قيامة الأموات،

لأنه كما في آدم يموت الجميع هكذا في المسيح سيُحيا الجميع،

ولكن كل واحد في رتبته، المسيح باكورة ثم الذين للمسيح في مجيئه،

وبعد ذلك النهاية، متى سلَّم المُلْكَ لله الآب،

متى أبطل كل رياسة وكل سلطان وكل قوة.

لأنه يجب أن يملك حتى يضع جميع الأعداء تحت قدميه.

آخر عدوٍّ يُبْطل هو الموت،

لأنه أخضع كل شيء تحت قدميه،

ولكن حينما يقول إن كل شيء قد أُخضع (لله)، فواضح أنه غير (المسيح) الذي أخضع له الكل.

ومتى أُخضع له الكل فحينئذ الابن نفسه أيضاً سيخضع للذي أخضع له الكل،

كي يكون الله الكل في الكل،

وإلاَّ فماذا يصنع الذين يعتمدون من أجل الأموات؛ إن كان الأموات لا يقومون البتة فلماذا يعتمدون من أجل الأموات؟

ولماذا نخاطر نحن كل ساعة؟ إني بافتخاركم الذي لي في يسوع المسيح ربنا أموت كل يوم. إن كنت كإنسان قد حاربت وحوشاً في أفسس فما المنفعة لي إن كان الأموات لا يقومون؟ فلنأكل ونشرب لأننا غداً نموت.

لا تضلُّوا، فإن المعاشرات الرديَّة تفسد الأخلاق الجيدة. اصحوا للبر ولا تخطئوا، لأن قوماً ليست لهم معرفة بالله. أقول ذلك لتخجيلكم.

لكن يقول قائل كيف يُقام الأموات وبأي جسم يأتون؟

يا غبي، الذي تزرعه لا يحيا إن لم يَمُتْ،
والذي تزرعه لستَ تزرع الجسم الذي سوف يصير بل حبَّةً مجردةً. ربما من حنطةٍ أو أحد البواقي،
ولكن الله يعطيها جسماً كما أراد. ولكل واحد من البذور جسمه،
ليس كلُّ جسدٍ جسداً واحداً، بل للناس جسدٌ واحدٌ، وللبهائم جسدٌ آخر، وللسمك آخر وللطير آخر،
وأجسام سماوية وأجسام أرضية،
لكن مجد السمويات شيء ومجد الأرضيات آخر،
مجد الشمس شيء ومجد القمر آخر ومجد النجوم آخر،
لأن نجماً يمتاز عن نجم في المجد.
هكذا أيضاً قيامة الأموات، يُزرع في فساد ويُقام في عدم فساد، يُزرع في هوان ويُقام في مجد، يُزرع في ضعف ويُقام في قوة. يُزرع جسماً حيوانياً ويُقام جسماً روحانياً. يوجد جسم حيواني ويوجد جسم روحاني.
هكذا مكتوب أيضاً صار آدم الإنسان الأول نفساً حيَّةً وآدم الأخير روحاً مُحيياً،
لكن ليس الروحاني أولاً بل الحيواني وبعد ذلك الروحاني،
الإنسان الأول من الأرض ترابي، الإنسان الثاني الرب من السماء،
كما هو الترابي هكذا الترابيون أيضاً، وكما هو السماوي هكذا السماويون أيضاً،
وكما لبسنا صورة الترابي سنلبس أيضاً صورة السماوي.
فأقول هذا أيها الإخوة إن لحماً ودماً لا يقدران أن يرثا ملكوت الله، ولا يرث الفساد عدم الفساد.
هوذا سِرٌّ أقوله لكم،
لا نرقد كلُّنا ولكننا كلنا نتغيَّر، في لحظةٍ في طرفة عينٍ عند البوق الأخير، فإنه سيبوَّق فيُقامُ الأموات عديمي فساد ونحن نتغيَّر،
لأن هذا الفاسد لا بد أن يلبس عدم فساد وهذا المائت يلبس عدم موت،
ومتى لبس هذا الفاسد عدم فساد ولبس هذا المائت عدم موت، فحينئذ تصير الكلمة المكتوبة: ابتُلع الموت إلى غلبة،
أين شوكتك يا موت؟ أين غَلَبتك يا هاوية؟!
أما شوكة الموت فهي الخطية وقوة الخطية هي الناموس.
ولكن شكراً لله الذي يعطينا الغلبة بربنا يسوع المسيح.

إذاً يا إخوتي الأحباء كونوا راسخين غير متزعزعين مُكْثرين في عمل الرب كل حين. عالمين أن تعبكم ليس باطلاً في الرب.» (١ كو١٥: ١٢—٥٨)

(و) «لأننا نعلم أنه **إنْ نُقِضَ بيت خيمتنا الأرضي فلنا في السموات بناء من الله، بيتٌ غير مصنوع بيدٍ، أبديٌّ،**

فإننا في هذه أيضاً نئن مشتاقين إلى أن نلبس **فوقها** مسكننا الذي من السماء،

وإن كنا لابسين (الأصح: "**حتى إذا لبسناها أو إذا صرنا لابسين**") **لا نوجد عراة،**

فإننا نحن الذين في الخيمة (الأصح: "فإننا طالما كنا في هذه الخيمة") نئن مثقَّلين إذ لسنا نريد أن نخلعها، بل **أن نلبس فوقها لكي يُبتلَعُ المائت (بواسطة ὑπὸ) الحياة.**

ولكن الذي صنعنا لهذا عينه هو الله الذي أعطانا **أيضاً الروح كعربون** (بحسب المعنى)،

إذاً فنحن واثقون (متشجعون) كل حين، وعالمون أننا **ونحن مستوطنون في الجسد فنحن متغرِّبون عن الله،**

لأننا بالإيمان نسلك لا بالعيان،

فنثق ونُسَرُّ بالأولى **أن نتغرب عن الجسد ونستوطن عند الرب،**

لذلك نحترص (فليكن طموحنا) أيضاً مستوطنين كنا (في الجسد) أو متغرِّبين (عن الرب) أن نكون مرضيين عنده،

لأنه لا بد **أننا جميعاً نُظهر أمام كرسي المسيح لينال كل واحد ما كان بالجسد بحسب ما صنع خيراً كان أم شراً.»** (٢ كو٥: ١—١٠)

(ز) «الروح نفسه يشهد لأرواحنا أننا أولاد الله، **فإن كنا أولاداً فإننا ورثة أيضاً، ورثة الله ووارثون مع المسيح،**

إن كنا نتألَّم معه لكي نتمجَّد أيضاً معه،

فإني أحسب أن آلام الزمان الحاضر لا تُقاس بالمجد العتيد أن يُستعلن فينا،

لأن انتظار (بقلق) الخليقة يتوقع (باشتياق) استعلان أبناء الله، إذ أُخضعت الخليقة للبُطْل، ليس طوعاً (بإرادتها) **بل (بإرادة) الذي أخضعها على الرجاء،**

لأن الخليقة نفسها أيضاً ستُعتق من عبودية الفساد إلى حرية مجد أولاد الله،

فإننا نعلم أن كل الخليقة تئن وتتمخض معاً إلى الآن،

وليس هكذا (الخليقة) فقط، بل نحن الذين لنا باكورة الروح، نحن أنفسنا أيضاً نئن في أنفسنا **متوقعين التبني فداء أجسادنا.»** (رو٨: ١٦—٢٣)

(ح) «فإني لست أريد أيها الإخوة أن تجهلوا هذا السر...، أن القساوة قد حصلت جزئياً لإسرائيل إلى أن يدخل ملؤ الأمم، وهكذا سيخلص جميع إسرائيل.» (رو١١: ٢٥و٢٦)

(ط) «لأنكم قد مُتّم وحياتكم مستترة مع المسيح في الله.» (كو٣:٣)

(ي) «الذي سيغير شكل جسد تواضعنا ليكون على صورة جسد مجده بحسب عمل استطاعته أن يُخضِعَ لنفسه كل شيء.» (في٣:٢١)

(ك) «أنا أُناشدك إذاً أمام الله والرب يسوع المسيح العتيد أن يدين الأحياء والأموات عند ظهوره وملكوته،

اكرز بالكلمة، اعكف على ذلك، في وقت مناسب وغير مناسب،

وبِّخ، انتهر، عِظ بكل أناة وتعليم،

لأنه سيكون وقت لا يحتملون فيه التعليم الصحيح بل حسب شهواتهم الخاصة يجمعون لهم معلمين مُستحكَّةً مسامعهم فيصرفون مسامعهم عن الحق وينحرفون إلى الخرافات،

وأما أنت فاصْحُ في كل شيء، احتمل المشقات. اعمل عمل المبشِّر. تمِّم خدمتك،

فإني أنا الآن أُسكب سكيباً ووقت انحلالي قد حضر، قد جاهدت الجهاد الحسن أكملت السعي حفظت الإيمان،

وأخيراً قد وُضع لي إكليل البر الذي يهبه لي في ذلك اليوم الرب الديَّان العادل،

وليس لي فقط بل لجميع الذين يحبون ظهوره أيضاً.» (٢تي٤: ١–٨)

وإن كان القديس بولس لم يستوفِ موضوع الأخرويات من حيث التحقيق والتوضيح واكتفى بنظرات عاجلة أرغمته عليها أسئلة المؤمنين المستجدين من الأمم الذين لم يكن لهم تراث أخروي، فإننا أيضاً لا نجد الرب نفسه قد استوفى مفهوم أمور الآخرة والأخرويات لأنه بالكاد استطاع سامعوه أن يستوعبوا البدايات والمداخل إليها: «إن كنتُ قلت لكم الأرضيات ولستم تؤمنون، فكيف تؤمنون إن قلت لكم السماويات.» (يو٣:١٢)

لذلك سوف نقتصر في معالجتنا لهذا الموضوع هنا من زاوية رؤية القديس بولس، مكتفين بالناحية الروحية التي تخص صميم وجودنا وإيماننا ورجائنا وتطلعاتنا القريبة والبعيدة من نحو ما ينتظرنا من جهة الموت وما بعد الموت والدينونة وحياة الدهر الآتي.

هل تتضارب الإسخاتولوجيا مع حركة الزمن عند القديس بولس؟

عندما نقرأ الآتي:

«هوذا سِرٌّ أقوله لكم لا نرقد كلنا، ولكننا كلنا نتغيَّر،

في لحظة في طرفة عين عند البوق الأخير، فإنه سيبوَّق فيُقام الأموات عديمي فساد ونحن نتغيَّر.» (١ كو١٥: ٥٢و٥٣)؛

فإن هذا الفكر يتجاوز حقيقة الواقع ولا يتمشى مع منطق الأحداث، فلا بولس تغيَّر ولا الأموات قاموا، فهل تزيفت الرؤيا عند بولس؟ لا نعتقد قط! ولكن هي المضادة المؤلمة بين الإيمان الحار الملتهب الذي يرتفع بالرؤيا في صدق الروح فيراها وكأنها تحققت أو وشيكة الحدوث، وبين الزمن الذي لا يخضع للإيمان كالمارد العنيد الذي يسخر بالروح والروحيات ويسير سيرته العرجاء لا يلوي على خير.

فبولس رأى نفسه بالفعل وقد تغيرت: «إن كان أحد في المسيح فهو خليقة جديدة، الأشياء العتيقة قد مضت هوذا الكل قد صار جديداً» (٢ كو٥: ١٧)؛ «ونحن جميعاً ناظرين مجد الرب بوجه مكشوف كما في مرآة نتغير إلى تلك الصورة عينها، من مجد إلى مجد كما من الرب الروح.» (٢ كو٣: ١٨)

فمن ذا الذي يحصل على هذا القدر من التجديد في صميم خلقته والتغيير في طبيعته ولا يقول قولة بولس:

+ «هوذا سِرٌّ أقوله لكم لا نرقد كلنا، ولكننا كلنا نتغيَّر»!

ولكن حرارة الإيمان ورؤية الروح الصادقة لا يعترف بها الزمان الجاحد الذي لا يتغير إلَّا إلى زوال!

وهكذا وكأن الزمان قد سخر من بولس وكذَّب رؤياه، ولكن: «فأجابني الرب وقال اكتب الرؤيا وانقشها على الألواح لكي يركض قارئها. لأن الرؤيا بعد إلى الميعاد وفي النهاية تتكلم ولا تكذب، إن توانَتْ فانتظرها لأنها ستأتي إتياناً ولا تتأخر.» (حب٢: ٢و٣)

وهكذا، عزيزي القارىء، يكون من الخطأ ومن الخطر أن نُدخل عامل الزمن في التعرف على الأخرويات، فكل رؤيا هي في حقيقتها خروج عن الزمان وهي معه دائماً متضادة.

ولكن هل عندما ندخل في الأخرويات يحلُّ لنا أن نتجاهل الزمن؟ هذا هو الخطأ الذي تمادى

فيه أهل تسالونيكي، ففي غمرة الفرح الروحي والإحساس بالخلاص والتجديد الذي حازوه، تجاوزوا تشجيعات بولس الرسول وإنجيله وألقوا باختباراته وراء ظهرهم، إذ رأوا أنفسهم وقد بلغوا قيامة الأموات نفسها وأنهم حصلوا على حياة الدهر الآتي (أنظر ٢تس٢: ٢ و٢تي٢: ١٨). فدلَّ ذلك على تنكُّبهم طريق الاتضاع، وتجاهلِ عنصر المسكنة، وإحناءِ الظهر للآلام ومواجهة الزمن الحاضر والصليب على الأكتاف.

وهذا مما حدا ببولس أن يكتب إليهم رسالته الثانية محذراً من الخروج عن حق الإنجيل الذي تسلَّموه حتى لا يقعوا في خديعة الشيطان (٢تس٢: ١٢).

وهكذا، عزيزي القارىء، يكون من الخطأ ومن الخطر فصل الإسخاتولوجيات عن واقع الزمن بفريضة آلامه التي صارت من عناصر الخلاص الأساسية. وبولس يربط أبصارنا الروحية بحركة الزمان الغادرة لئلا تغطينا ظلمة هذا الدهر فلا نتبيَّن يوم الرب: «وأما الأزمنة والأوقات فلا حاجة لكم أيها الإخوة أن أكتب إليكم عنها، لأنكم أنتم تعلمون بالتحقيق أن يوم الرب ــ كلصٍّ في الليل ــ هكذا يجيء ... فلا نَنَمْ إذاً كالباقين بل لنسهرْ ونَصْحُ.» (١تس٥: ١و٢و٦)

الفصل الثالث

الموت وما بعد الموت

عند القديس بولس الرسول

١ ــ قيمة الموت في الاعتبار الإسخاتولوجي عند القديس بولس:

يلزم أن ننتبه أن الذي يفصلنا الآن عن الإسخاتولوجيا، أي الأمور الأخيرة الآتية، أي القيامة والدينونة والحياة الأبدية، هو الموت!! فنحن الآن نرقد على رجاء القيامة العتيدة الآتية!

فما هو اعتبار الموت في ضوء هذه الأمور الآتية؟

معروف أن حكم الموت الواقع على الإنسان في مقابل التعدّي على وصية الله هو الموت الروحي، بمعنى الخروج من لَدُن الله والحرمان من الحياة معه التي كانت هي حياة الخلود. والنتيجة الحتمية للموت الروحي هو توقُّف الامتداد لحياة الجسد الطبيعي حيث يُحْرَم الجسد الطبيعي من قوة الحياة الفائقة ــ النعمة ــ التي كانت ترفعه إلى المستوى الروحي مع الروحيين. وهكذا هبط الإنسان إلى مستوى الأحياء الطبيعية التي تستمد حياتها من أحكام الطبيعة، فدخل تحت سطوة الموت الجسدي وقانونه الطبيعي كأي مخلوق جسدي.

أما بعد الفداء وحصول الإنسان على النعمة وعربون الحياة الأبدية الذي هو سُكْنَى الروح القدس، فقد تأهل الإنسان فقط للحياة الأبدية مرة أخرى ليكون كأحد الروحيين ولكن بعد أن يخلع جسد الخطية؛ لأن الإنسان، وإن كان قد رفع عنه المسيحُ أحكامَ الموت الروحي، إلاَّ أنه لا يزال يحمل جسد الخطية.

وهكذا، فالإنسان الذي قَبِلَ الفداء وقَبِلَ الروح القدس هو الآن، وإن كان مُستهدَفاً للموت الجسدي، إلاَّ أنه مهيَّأ بعد القيامة للحياة الأبدية مع الله مرة أخرى.

أما الإنسان الطبيعي الذي لم يَجْرِ عليه الفداء ولا قَبِلَ الروح القدس، فإنه بعد أن يُستهدَف

لموت الجسد يبقى بعد القيامة في حالة الموت الروحي أي بعيداً عن الله.

والآن معروف عامة أنه يوجد **موت جسدي، وموت روحي، وموت روحي أبدي، وموت جسدي يؤدي إلى حياة أبدية!** أربعة أنواع من الموت وكلها من مخلفات الخطية: «لأن أجرة الخطية هي موت» (رو٦: ٢٣)، ولكن يقابلها في المسيح وفي لاهوت بولس «هبة النعمة للحياة الأبدية».

ولكن في لاهوت بولس الرسول يوجد نوع خامس للموت!! وهو موتنا السرائري في المعمودية الذي نجوزه بالإيمان وحرية الإرادة في موت المسيح ودفنه، وهو الذي ينشىء لنا «عدم الموت» الذي نستديمه ونوثّقه في الإفخارستيا بتناول جسد الابن الوحيد ودمه لنحيا به، وهو ترياق أو دواء عدم الموت!!

وبهذا نُحْسَبُ بحسب لاهوت بولس الرسول: «فإن كنتم قد قمتم مع المسيح فاطلبوا ما فوق حيث المسيح جالس عن يمين الله، اهتموا بما فوق لا بما على الأرض، لأنكم قد مُتُّم وحياتكم مستترة مع المسيح في الله، متى أُظهر المسيح حياتنا فحينئذ تُظهرون أنتم أيضاً معه في المجد.» (كو٣: ١-٤)

ويؤكد ذلك بولس الرسول مرة أخرى باعتبار أننا جُزْنا نوعاً من الموت بسر الإيمان هكذا: «لأن محبة المسيح تحصرنا، إذ نحن نحسب هذا أنه إن كان واحد قد مات لأجل الجميع فالجميع إذاً ماتوا.» (٢كو٥: ١٤)

ماذا صنع المسيح في الخطية والموت؟

عند بولس الرسول، الموت هو النتيجة الحتمية لسمِّ الخطية وكأن الخطية عقربٌ أو ثعبانٌ، وشوكة العقرب في ذيلها وضرس الثعبان في فمه، فشوكة الخطية أو عضّتها تنتهي فيمن تفترسه بسريان سُمّها حيث تكون أعراض الموت! أما الشيطان فقد اتخذ الخطية هكذا سلاحه ليوسّع دائرة أتباعه وهم جميعاً قتلاها!

فالخطية أصبحت هكذا للذين يعرفون من الذي يحركها ويدفعها، ويعرفون فاعلية سُمّها رعبةً، وخاصةً عند الذين تعرضوا لها فسلبتهم إرادتهم وقوتهم ومالهم وفرحهم وكرامتهم حتى آدميتهم!!!

+ «فإذ قد تشارك الأولاد في اللحم والدم اشترك هو أيضاً كذلك فيهما، لكي يبيد بالموت (الذي ماته) ذاك الذي له سلطان الموت أي إبليس، ويعتق أولئك الذين خوفاً من الموت كانوا جميعاً كل حياتهم تحت العبودية.» (عب٢: ١٤و١٥)

فلما جاء المسيح وقهر الخطية، كسر شوكة الموت، أي انتزع من الخطية سلاحها المميت، كمن يقطع ذيل العقرب ويسحق شوكته، أو كمن يخلع ضرس الثعبان ويحطمه. وهكذا عطَّل الفعل المؤدي للموت: «أي شوكتك يا موت أين غلبتك يا هاوية» (١ كو١٥: ٥٥)، بانتظار اليوم الذي يُبطِل فيه الموت ذاته: «آخر عدوٍّ يبطل هو الموت.» (١ كو١٥: ٢٦)

وهكذا إذ فقدت الخطية رعبتها، وأُخضِعَ الموت للحياة، استطاع الإنسان في المسيح ومع بولس الرسول أن يقول: «لي الحياة هي المسيح والموت هو ربح.»!! (في ١: ٢١)

٢ ــ وأين تذهب النفس؟ وماذا يكون حالها؟

لقد ذهب المفسرون ذوو المذاهب المتعددة كلٌّ مذهب، فمنهم مَنْ قال إنها تموت مع الجسد بانتظار القيامة الجسدية، ومنهم مَنْ قال إنها تكون بلا وعي وفي حالة نوم بلا حراك، ومنهم مَنْ قال بل تهيم كالأشباح ولا تدري ما تقول وما تعمل. ولكن الواضح من لاهوت بولس الرسول وبحسب الكنائس التقليدية أن النفس بعد الموت تصير مع المسيح في وضع واعٍ: «لي اشتهاء أن أنطلق وأكون مع المسيح ذاك أفضل جداً» (في ١: ٢٣). بل ويؤكد بولس الرسول أن الحياة مع المسيح تكون هي التي لها الوجود واليقين والاستظهار فوق الإحساس بالموت حينما يحل ميعاده: «لأن لي الحياة هي المسيح، والموت هو ربح» (في ١: ٢١). ثم يعود ويؤكد ما يقول: «ولكن أن أبقى في الجسد أَلْزَمُ من أجلكم. فإذ أنا واثق بهذا أعلم أني أمكث وأبقى مع جميعكم.» (في ١: ٢٤و٢٥)

وفي موضع آخر يكشف بولس الرسول عن ماذا يحدث ليس بعد الموت بل مع الموت خطوة بخطوة:

+ «فإننا نحن الذين في الخيمة (الجسد) نئنُّ مثقَّلين، إذ لسنا نريد أن نخلعها بل أن نلبس فوقها (جسدنا السماوي)، لكي يُبتَلَع المائت من الحياة (وصحتها بواسطة ὑπὸ الحياة)...، فإذاً نحن واثقون كل حين وعالمون أننا ونحن مستوطنون في الجسد فنحن متغرِّبون عن الرب ...، فنثق ونُسَرُّ بالأولى أن نتغرب عن الجسد (الموت) ونستوطن عند الرب.» (٢ كو٥: ٤ــ٨)

كذلك فبولس الرسول عندما يقول عن الموت إنه «رقاد» كما قال المسيح تماماً، فهذا يعني ليس رقاد النفس بل رقاد الجسد بحسب الظاهر. ورُقاد الجسد ــ كرُقادٍ ــ معروف أنه لا يُبْطِلُ نشاط النفس، بل تكون النفس في حالة من الوعي المفتوح على الرؤى ومناظر السماوات والحديث

مع الله والوجود في حضرته، فهذه كانت ولا تزال حال الأنبياء والرائين.

كذلك، فالمسيح لما نادى لعازر الميت بالاسم وهو له أربعة أيام في القبر، سمعت النفس وهي في أعماق الهاوية وخرجت في الحال. كذلك بكل تأكيد كانت نفس المسيح في أوَج قوتها ووعيها ولاهوتها والجسد في القبر وذهبت تكرز وتبشر الذين في الهاوية.

والسؤال: فهل تكمل سعادة الأبرار إذا انطلقوا ليكونوا مع المسيح بعد الموت؟ وبالتالي تتم محاكمة الأشرار وعقوبتهم؟ واضح أن لا سعادة الأبرار ولا شقاوة الأشرار تأخذ وضعها المنصوص عليه في الإنجيل إلاَّ بعد استعلان الدينونة العامة ويقف الجميع «أمام كرسي المسيح لينال كل واحد ما كان بالجسد بحسب ما صنع خيراً كان أم شراً.» (٢كو٥: ١٠)

وفي النهاية نرى أن القديس بولس لم يُعْطِ لما بعد الموت منهجاً لاهوتياً يمكن أن نستوضح منه ماذا يحدث للنفس البشرية بعد فراقها الجسد، ولكن الذي أكَّد عليه بولس الرسول بشدة أن **الموت لا يفصلنا عن المسيح**: «لأننا إن عشنا فللرب نعيش، وإن مُتنا فللرب نموت (ونحيا)، فإن عشنا وإن متنا فللرب نحن.» (رو١٤: ٨)

على أن القيامة التي نقومها الآن مع المسيح هي قيامة بالروح، لذلك يستحيل أن يسود عليها الموت الروحي. فالموت الجسدي يحجز الجسد عنها أما الروح فتنطلق لتحياها جزئياً إلى أن يُستعلن ملء القيامة العامة.

٣ ــ قيامة الأبرار:

يقول القديس بولس في سفر العبرانيين تعقيباً على تعاليم الرسل المستقرة في الكنيسة:

+ «لذلك ونحن تاركون كلام بداءة (كاتشزم) المسيح، لنتقدم إلى الكمال غير واضعين أيضاً أساس θεμέλιον (١) التوبة من الأعمال الميتة والإيمان بالله، تعليم المعموديات ووضع الأيادي، قيامة الأموات والدينونة الأبدية.» (عب٦: ١و٢)

واضح هنا أن قيامة الأموات والدينونة الأبدية هي من أسس تعليم الإيمان الرسولي في الكنيسة. هكذا اهتم بولس الرسول أن يكون التعليم بالقيامة من الأموات أساساً ثابتاً في تعليمه كنتيجة

(١) أساس θεμέλιον وهي كلمة سِيبِيل التي تستخدم في الخرسانة الإنشائية بمعنى كَمرة الأساس.

حتمية مُلازمة لقيامة المسيح من الأموات (١ كو١٥: ١–١٣). والآيات المحورية في هذا الأصحاح هي:

+ «فإن لم تكن قيامة أموات، فلا يكون المسيح قد قام. وإن لم يكن المسيح قد قام، فباطلة كرازتنا وباطل أيضاً إيمانكم ... لأنه إن كان الموتى لا يقومون، فلا يكون المسيح قد قام ... ولكن الآن قد قام المسيح من الأموات وصار باكورة الراقدين.» (١ كو١٥: ١٣و١٤و١٦ و٢٠)

علماً بأن بولس الرسول تحمّل من أجل هذه العقيدة الإهانات والضرب والاضطهادات ولكنه لم يخذل المسيح في قيامته: «ولي رجاء بالله في ما هم أيضاً ينتظرونه أنه سوف تكون قيامة للأموات، الأبرار والأثمة» (أع٢٤: ١٥). وهنا يتفق بولس الرسول تماماً مع التقليد اليهودي النبوي على أساس نبوة دانيال النبي، كما يتفق تماماً مع تعليم المسيح (لو٢٠: ٣٧).

ولكن بالرغم من أن بولس الرسول هنا يذكر القيامة العامة للأبرار والأثمة، إلا أن تشديده هو على القيامة المنتصرة للأبرار التي هي على أساس قيامة المسيح المنتصرة على الخطية والموت. وهذا كان موضوع ليس فقط إيمان بولس بل ورجائه وجهاده واشتياقه: «لأعرفه وقوة قيامته (المنتصرة) وشركة آلامه متشبهاً بموته، لعلّي أبلغ إلى قيامة الأموات.» (في٣: ١٠و١١)

وبولس الرسول يؤكد أن رجاءنا في الحياة مع المسيح وقبول نعمته هي قمة سعادتنا، وهي تنتظرنا في القيامة العتيدة أكثر جداً مما غارسها في هذه الحياة. بل إن سعادتنا بالمسيح في هذه الحياة لا تُحسَبُ أكثر من شقاء وبلاء إذا لم يلحقها السعادة الكاملة في القيامة، التي سترفع عنا كل ثقل واضطهاد وحزن وألم ودموع وتنهد عانيناه في هذا الدهر:

+ «إن كان لنا في هذه الحياة فقط رجاءٌ في المسيح، فإننا أشقى جميع الناس.»!! (١ كو١٥: ١٩)

+ «ولماذا نخاطر نحن كل ساعة؟ إني بافتخاركم الذي لي في يسوع المسيح ربنا أموت كل يوم. إن كنت كإنسان قد حاربتُ وحوشاً في أفسس (في الدفاع عن الإيمان بقيامة الأموات) فما المنفعة لي. إن كان الأموات لا يقومون، فلنأكل ونشرب لأننا غداً نموت.» (١ كو١٥: ٣٠–٣٢)

فقيامة الأبرار تأخذ عند القديس بولس قوتها من قوة قيامة المسيح نفسها: «... والله قد أقام الرب وسيقيمنا نحن أيضاً بقوته» (١ كو٦: ١٤)، «وإن كان روح (الله) الذي أقام يسوع من

الأموات ساكناً فيكم، فالذي أقام المسيح من الأموات سيُحيي أجسادكم المائتة أيضاً بروحه الساكن فيكم» (رو٨: ١١)، «عالمين أن الذي أقام الرب يسوع سيُقيمنا نحن أيضاً بيسوع ويحضرنا معكم» (٢كو٤: ١٤). بل إن بولس الرسول يعتبر أن الروح القدس الذي هو روح القيامة، إنما أخذناه الآن كعربون وكختم خُتِمَ على أرواحنا، ختمٍ لا يقوى الموت على فضّه أو إفساده وهو باقٍ بقوته ليعمل فينا ليوم الفداء لاستعلان تكميل الخلاص والفداء:

+ «ولا تُحزنوا روح الله القدوس الذي به **خُتِمتُم ليوم الفداء**.» (أف٤: ٣٠)

+ «الذي فيه أيضاً (الإنجيل)، إذ آمنتم خُتمتُم بروح الموعد القدوس الذي **هو عربون ميراثنا**، لفداء المُقْتَنى لمدح مجده.» (أف١: ١٣و١٤)

وهذا الروح القدس نفسه يعمل في قلوبنا وضمائرنا وأرواحنا **مؤكّداً** أننا مدعوون ليس لاستيطان الجسد، بل نحن مدعوون لاستيطان الرب عندما نخلع خيمتنا الأرضية ونتغرب عن هذا الجسد:

+ «ولكن الذي صنعنا لهذا عينه هو الله الذي أعطانا أيضاً **عربون الروح. فإذاً، نحن واثقون** كل حين وعالمون أننا ونحن مستوطنون في الجسد فنحن متغرّبون عن الرب ... **فنثق ونُسَرّ بالأَوْلَى** أن نتغرب عن الجسد ونستوطن عند الرب.» (٢كو٥: ٥-٨)

أما لماذا يهتم الروح القدس بنا هكذا، أي يختم على أرواحنا ويشهد فيها ببنوتنا لله ويشفع ويصلي ويصرخ ويعطي رجاء انتظار ما نتوقعه بالصبر؟ فالسبب في لاهوت القديس بولس هو: لأننا صرنا هيكله، وهو الذي يتعهد بهذا الهيكل في غُربتنا على الأرض حتى يوصله إلى السماء. فهنا يكفينا منه رشاش النعمة والعزاء بالدموع من يوم إلى يوم، أما هناك فإلى ملء قوة قيامة المسيح وحياته ينطق فينا بتسابيح المجد. هنا هو يعطي حرارة الاشتياق إلى ما ينتظرنا في قيامة الأبرار، وهناك فإنه يهبنا حينذاك من طبيعته علناً فرحة الامتلاك.

٤ــ جسد القيامة:

بولس الرسول يوضح أن القيامة العتيدة ستكون قيامة الأجساد والأرواح، حسب التعليم الرسولي، لممارسة الحياة الأبدية. ولكنه يعطي تعليماً إضافياً أن جسد القيامة سيختلف عن جسدنا الأرضي الطبيعي مؤكداً أن: «لحماً ودماً لا يقدران أن يرثا ملكوت الله، ولا يرث الفساد عدم الفساد.» (١كو١٥: ٥٠)

وهو يحتاط للسؤال: ماذا لو حدث الاستعلان الآن وجاء المسيح وأُعلنت القيامة؟
يرد بولس الرسول أنه لا بد لنا، نحن الأحياء، أن نجوز حالة تغيير من الفساد إلى عدم الفساد

لنؤهَّل للارتفاع والوجود مع المسيح: «لا نرقد كلنا، ولكننا كلنا نتغير في لحظة في طرفة عين عند البوق الأخير. فإنه سيبوَّقُ، **فيُقام الأموات عديمي فساد، ونحن نتغير**، لأن هذا الفاسد لا بد أن يلبس عدم فساد وهذا المائت يلبس عدم موت.» (١ كو١٥: ٥١-٥٣)

أما جسد القيامة فقد وضَّح بولس الرسول نوعيته **أنه سماوي**، أي من طبيعة قادرة أن تعيش في السماء مع السمائيين.

وهو يرد على سؤال طرحه هو من نفسه: «لكن يقول قائل كيف يُقام الأموات وبأي جسم يأتون؟» (١ كو١٥: ٣٥). هنا يفرِّق بولس الرسول بين جسد البارِّ في القيامة وبين جسد الأثيم، لأنه ولو أنهما كليهما يقومان، ويقومان ليرتفعا نحو السماء ليجوزا معاً الدينونة أمام الله على السواء، إلاَّ أنَّ جسد البار يُقامُ في مجد:

+ «هكذا أيضاً قيامة الأموات، يُزرع في فساد (الولادة على الأرض)، ويُقامُ (للوقوف أمام الله) في عدم فساد. يُزرَع في هوانٍ، **ويُقام في مجد**. يُزرَعُ في ضعف، ويُقام في قوة. يُزرع جسماً حيوانياً، ويُقام جسماً روحانياً. يوجد جسم حيواني ويوجد جسم روحاني.» (١ كو١٥: ٤٢-٤٤)

وكما قال الرب يسوع لنيقوديموس: «المولود من الجسد جسد هو، والمولود من الروح هو روح» (يو٣: ٦)، هكذا يقول بولس الرسول: «الإنسان الأول من الأرض ترابيٌّ، والإنسان الثاني الرب من السماء. كما هو الترابي - آدم - هكذا الترابيون أيضاً؛ وكما هو السماوي - المسيح - هكذا السماويون أيضاً، وكما لبسنا صورة الترابي **سنلبس أيضاً صورة السماوي**.» (١ كو١٥: ٤٧-٤٩)

فما نصنعه الآن هنا تحت يد المسيح بالسر وبعمل الروح القدس في المعمودية، على مرأى من شهود وأشابين بأن نخلع الجسد العتيق الآدمي مع خطاياه ونلبس الجديد الذي هو على صورة خالقه في المجد، في عمليتين سرِّيتين هما الموت والقيامة من داخل موت المسيح وقيامته؛ هكذا سيتم لنا كل هذا في القيامة العامة إنما بصورة علنية على مشهد من ربوات ملائكة وأرواح الأبرار المكمَّلين في المجد، بعد أن نخلع هذا الجسد نهائياً ونطرحه في القبر ليَبْلَى. كذلك فنحن لا نُعْدَم في جهادنا الروحي اليومي، بحسب بولس الرسول، من ممارسة عملية خلع الإنسان القديم ولِبْس الإنسان الجديد عينه، إنما في حيز الخبرة الضيقة، حينما نمارس توبتنا وتجديد عهودنا مع الله بالصلاة والصوم والنسك والبذل، وكأننا نحدِّد ونجمِّل صورة جسد القيامة من الآن.

الفصل الرابع

مجيء المسيح Παρουσία

«يوم الرب» والظروف الملازمة له

١ ـ كلمة «باروسيا» παρουσία ومرادفاتها:

الـ "باروسيا" اصطلاح أُطلق على استعلان مجيء المسيح. واللفظة بحد ذاتها تفيد **«الحضور»**، وفي حالة المسيح فهو **«الحضور الأسنى»**، أو كما نقول بالنسبة لعظماء الملوك **«الحضرة السنيَّة»** عند ظهور أو مجيء الملك. غير أن الكلمة «باروسيا» استُخدمت أيضاً في مواقف ولأشخاص غير المسيح و**«مجيء»** المسيح أو **«استعلانه»** ذو شأن كبير في العهد الجديد، وهو المَكْنِـيُّ عنه في العهد القديم بـ**«يوم الرب»** أو **«يوم يهوه»**، وذلك كما جاء على فم الأنبياء.

وإليك بعض التعبيرات التي جاءت موازية للباروسيَّا أي ليوم الرب أو مجيء المسيح المرتقب:

المجيء: παρουσία

+ «لأن مَنْ هو رجاؤنا وفرحنا، وإكليل افتخارنا؟ أم لستم أنتم أيضاً أمام ربنا يسوع المسيح **في مجيئه** παρουσίᾳ.» (١تس٢:١٩)

+ «لكي يُثبِّت قلوبكم بلا لوم في القداسة أمام الله أبينا **في مجيء** παρουσίᾳ ربنا يسوع المسيح مع جميع قديسيه.» (١تس٣:١٣)

+ «فإننا نقول لكم هذا بكلمة الرب، إننا نحن الأحياء الباقين **إلى مجيء** παρουσίαν الرب لا نسبق الراقدين.» (١تس٤:١٥)

+ «وإله السلام نفسه يُقدِّسكم بالتمام. ولتُحفظ روحكم ونفسكم وجسدكم كاملة بلا لوم **عند مجيء** παρουσίᾳ ربنا يسوع المسيح.» (١تس٥:٢٣)

+ «ثم نسألكم أيها الإخوة من جهة **مجيء** παρουσίας ربنا يسوع المسيح واجتماعنا

إليه.» (٢تس٢:١)

+ «وحينئذ سيُستعلن الأثيم، الذي الرب يبيده بنفخة فمه ويُبطله بظهور **مجيئه παρουσίας**.» (٢تس٢:٨)

+ «ولكن كل واحد في رتبته، المسيح باكورة، ثم الذين للمسيح في **مجيئه παρουσίᾳ**.» (١كو١٥:٢٣)

+ «فتأنوا أيها الإخوة إلى **مجيء الرب** ...» (يع٥:٧)

+ «فتأنوا أنتم وثبِّتوا قلوبكم لأن **مجيء الرب** قد اقترب.» (يع٥:٨)

+ «لأننا لم نتبع خرافات مصنَّعة، إذ عرَّفناكم بقوة ربنا يسوع **ومجيئه** بل قد كنا معاينين عظمته.» (٢بط١:١٦)

+ «قائلين أين هو موعد **مجيئه**، لأنه من حين رقد الآباء كل شيء باقٍ هكذا من بدء الخليقة.» (٢بط٣:٤)

+ «منتظرين وطالبين سرعة **مجيء παρουσίαν** يوم الرب.» (٢بط٣:١٢)

+ «والآن أيها الأولاد اثبتوا فيه، حتى إذا أُظهر يكون لنا ثقةٌ ولا نخجل منه في **مجيئه**.» (١يو٢:٢٨)

+ «قل لنا متى يكون هذا؟ وما هي علامة **مجيئك** وانقضاء الدهر؟» (مت٢٤:٣)

+ «لأنه كما أن البرق يخرج من المشارق ويظهر إلى المغارب، هكذا يكون أيضاً **مجيء** ابن الإنسان.» (مت٢٤:٢٧)

+ «وكما كانت أيام نوح، كذلك يكون أيضاً **مجيء** ابن الإنسان.» (مت٢٤:٣٧)

+ «ولم يعلموا حتى جاء الطوفان وأخذ الجميع، كذلك يكون أيضاً **مجيء** ابن الإنسان.» (مت٢٤:٣٩)

يوم الرب:

و يلاحظ أن عوض «الباروسيا» أي «المجيء» للتعبير عن مجيء المسيح، تستخدم أيضاً كلمة **«يوم الرب»**:

+ «الذي سيثبِّتكم أيضاً إلى النهاية بلا لوم في **يوم ربنا يسوع المسيح**.» (١كو١:٨)

+ «أن يُسلَّم مثل هذا للشيطان لهلاك الجسد، لكي تخلص الروح في **يوم الرب** يسوع.» (١كو٥:٥)

+ «إننا فخركم كما أنكم أيضاً فخرنا في **يوم الرب** يسوع.» (٢كو١:١٤)

+ «لأنكم أنتم تعلمون بالتحقيق أن **يوم الرب** كلصٍّ في الليل هكذا يجيء.» (١تس٥:٢)

+ «ولكن سيأتي كلصٍّ في الليل، **يوم الرب**، الذي فيه تزول السموات بضجيج وتنحلُّ العناصر محترقة، وتحترق الأرض والمصنوعات التي فيها ...، ولكننا بحسب وعده ننتظر سموات جديدة وأرضاً جديدة يسكن فيها البر.» (٢بط٣: ١٠—١٣)

+ «منتظرين وطالبين سرعة مجيء **يوم الرب** الذي به تنحلُّ السموات ملتهبة والعناصر محترقة تذوب.» (٢بط٣: ١٢)

+ «تتحول الشمس إلى ظلمة والقمر إلى دم، قبل أن يجيء **يوم الرب** العظيم الشهير. ويكون كلُّ مَنْ يدعو باسم الرب يخلص.» (أع٢: ٢٠و٢١)

يوم المسيح:

+ «لا ترتاعوا لا بروح ولا بكلمة ولا برسالة كأنها منا، أي أن **يوم المسيح** قد حضر.» (٢تس٢: ٢)

+ «واثقاً بهذا عينه أن الذي ابتدأ فيكم عملاً صالحاً يكمِّل إلى **يوم يسوع المسيح**.» (في١: ٦)

+ «متمسِّكين بكلمة الحياة لافتخاري في **يوم المسيح**.» (في٢: ١٦)

ذلك اليوم:

+ «متى جاء ليتمجَّد في قديسيه — **في ذلك اليوم** — ويُتعجَّب منه في جميع المؤمنين، لأن شهادتنا عندكم صدقت (تصحيح الترجمة).» (٢تس١: ١٠)

+ «أما أنتم أيها الإخوة، فلستم في ظلمة حتى يدرككم **ذلك اليوم** كلصٍّ.» (١تس٥: ٤)

+ «لكنني لست أخجل لأنني عالمٌ بمَنْ آمنت، وموقن أنه قادر أن يحفظ وديعتي **إلى ذلك اليوم**.» (٢تي١: ١٢)

+ «ليُعْطِهِ الرب أن يجد رحمة من الرب **في ذلك اليوم**.» (٢تي١: ١٨)

+ «وأخيراً قد وُضِعَ لي إكليل البر الذي يَهَبُهُ لي **في ذلك اليوم** الرب الديَّان العادل.» (٢تي٤: ٨)

لأن اليوم سيبيِّنه:

+ «فعمل كلُّ واحد سيصير ظاهراً **لأن اليوم سيبيِّنه**.» (١كو٣: ١٣)

في اليوم الذي فيه يدين:

+ «**في اليوم الذي فيه يدين** الله سرائر الناس حسب إنجيلي بيسوع المسيح.» (رو٢: ١٦)

اليوم يقْرب:

+ «غير تاركين اجتماعنا كما لقوم عادة بل واعظين بعضنا بعضاً، وبالأكثر على قدر ما ترون **اليوم يقْرب.**» (عب ١٠: ٢٥)

اليوم العظيم، يوم الله:

+ «فإنهم أرواح شياطين، صانعة آيات، تخرج على ملوك العالم وكل المسكونة لتجمعهم لقتال **ذلك اليوم العظيم، يوم الله** القادر على كل شيء. ها أنا آتي كلص. طوبى لمَنْ يسهر.» (رؤ ١٦: ١٤و١٥)

ظهور ربنا: ἐπιφάνεια

+ «أن تحفظ الوصية بلا دنس ولا لوم إلى **ظهور** ἐπιφανείας **ربنا يسوع المسيح.**» (١تي ٦: ١٤)

+ «أنا أناشدك إذاً أمام الله والرب يسوع المسيح العتيد أن يدين الأحياء والأموات عند **ظهوره وملكوته ...**» (٢تي ٤: ١)

+ «وليس لي فقط؛ بل لجميع الذين يحبون **ظهوره** أيضاً.» (٢تي ٤: ٨)

+ «منتظرين الرجاء المبارك **وظهور مجد الله العظيم ومخلِّصنا يسوع المسيح.**» (تي ٢: ١٣)

+ «حينئذ سيُستعلن الأثيم، الذي الرب يبيده بنفخة فمه ويُبْطِله **بظهور مجيئه** τῇ ἐπιφανείᾳ τῆς παρουσίας αὐτοῦ.» (٢تس ٢: ٨)

أبوكاليبسيس (استعلان):

+ «وأنتم متوقعون **استعلان** ἀποκάλυψιν ربنا يسوع المسيح.» (١كو ١: ٧)

+ «وإياكم الذين تتضايقون راحة معنا عند **استعلان** ἀποκαλύψει الرب يسوع من السماء مع ملائكة قوته.» (٢تس ١: ٧)

+ «لكي تكون تزكية إيمانكم ... توجد للمدح والكرامة والمجد عند **استعلان** يسوع المسيح.» (١بط ١: ٧)

+ «فألقوا رجاءكم بالتمام على النعمة التي يُؤتَى بها إليكم عند **استعلان** يسوع المسيح.» (١بط ١: ١٣)

+ «بل كما اشتركتم في آلام المسيح، افرحوا، لكي تفرحوا **في استعلان مجده** أيضاً مبتهجين.» (١بط ٤: ١٣)

عزيزي القارىء: كم هي مُفرحة ومُعزِّية هذه التعبيرات التقوية المخلصة التي نطق بها هؤلاء القديسون بالروح من حرارة متأججة في قلوبهم بانتظار يوم مجيئه العظيم.

لقد ورثتها الكنيسة في صلوات إفخارستية «الديداخي» التي للرسل القديسين، حيث تنتهي الصلوات بصراخ الكاهن والكنيسة معه: «فَلْيَنْتهِ العالم، تعالَ أيها الرب يسوع! ماران أثا».

وبهذا النداء التوسلي المملوء اشتياقاً ودالة، ينتهي أيضاً سفر الأبوكاليبسيس، أي الاستعلان المسمَّى بسفر الرؤيا هكذا:

+ «نعم أنا آتي سريعاً. آمين تعالَ أيها الرب يسوع!!» (رؤ٢٢: ٢٠)

٢ ــ قرب مجيء المسيح

+ «ولولوا لأن يوم الرب قريبٌ، قادمٌ كخراب من القادر على كل شيء. لذلك ترتخي كل الأيادي، ويذوب كل قلب إنسان، فيرتاعون. تأخذهم أوجاعٌ ومخاضٌ، يتلوَّون كوالدة، يبهتون بعضهم إلى بعض، وجوههم وجوه لهيب.» (إش١٣: ٦ــ٨)

+ «هوذا يوم الرب قادمٌ، قاسياً بسخط وحُموِّ غضب، ليجعل الأرض خراباً ويبيد منها خُطاتها. فإن نجوم السموات وجبابرتها لا تُبرز نورها. تظلم الشمس عند طلوعها والقمر لا يلمع بضوئه وأُعاقب المسكونة على شرِّها والمنافقين على إثمهم، وأُبطل تعظُّم المستكبرين، وأضع تجبُّر العُتاة.» (إش١٣: ٩ــ١١)

+ «آه على اليوم! لأن يوم الرب قريب، يأتي كخراب من القادر على كل شيء.» (يؤ١: ١٥)

+ «اضربوا بالبوق في صهيون، صوِّتوا في جبل قُدْسي ليرتعدْ جميع سكان الأرض لأن يوم الرب قادم لأنه قريب. يومُ ظلام وقتام، يوم غَيْمٍ وضباب ... يوم الرب عظيم ومخوف جداً، مَنْ يطيقه؟» (يؤ٢: ١و٢و١١)

+ «تتحول الشمس إلى ظلمة والقمر إلى دم، قبل أن يجيء يوم الرب العظيم المخوف.» (يؤ٢: ٣١)

+ «جماهير، جماهير، في وادي القضاء، لأن يوم الرب

قريب في وادي القضاء. الشمس والقمر يظلمان، والنجوم تحجز لمعانها.» (يؤ٣: ١٤)

+ «ويل للذين يشتهون يوم الرب. لماذا لكم يوم الرب؟ هو ظلامٌ لا نورٌ. أليس يوم الرب ظلاماً لا نوراً وقتاماً ولا نورَ له؟» (عا٥: ١٨و٢٠)

+ «فإنه قريبٌ يوم الرب على كل الأمم.» (عو ١٥)

+ «قريب يوم الرب العظيم، قريب وسريع جداً. صوت يوم الرب. يصرخ حينئذ الجبَّار مُرًّا. ذلك اليوم يومُ سَخَط، يوم ضيق وشدة، يوم خراب ودمار، يوم ظلام وقتام، يوم سحاب وضباب، يوم بوق وهتاف.»

(صف١: ١٤–١٦)

+ «هأنذا أرسل إليكم إيليا النبي قبل مجيء يوم الرب، اليوم العظيم والمخوف، فيردُّ قلب الآباء على الأبناء وقلب الأبناء على آبائهم، لئلا آتي وأضرب الأرض بلَعْن.» (مل٤: ٥و٦)

+ «وتهربون في جواء جبالي ... كما هربتم من الزلزلة في أيام عُزيَّا ملك يهوذا. ويأتي الرب إلهي وجميع القديسين معك (معه).» (زك١٤: ٥)

بدأ الترقُّب المتفاعل مع الرجاء والشوق والإحساس الطاغي عند التلاميذ بعد القيامة وقبل الصعود، حينما بدأ المسيح يعطي التعليمات الأخيرة لتلاميذه بأن: «لا يبرحوا من أورشليم بل ينتظروا موعد الآب الذي سمعتموه مني ... أما هم المجتمعون فسألوه قائلين: يا رب هل في هذا الوقت (أي عند حلول هذا الموعد من عند الآب) تردُّ المُلْك إلى إسرائيل؟» (أع١: ٤و٦)، فكان جواب المسيح الذي صار الأساس الراسخ الذي يتحتم أن يُبْنَى عليه كل شرح أو تفسير للاَّهوت الأُخروي: «فقال لهم ليس لكم أن تعرفوا الأزمنة والأوقات التي جعلها الآب في سلطانه.» (أع١: ٧)

ولكن كان التراث النبوي الذي استمر على مدى العصور الأخيرة على فم الأنبياء ذا أثر شديد على فكر الرسل وبولس الرسول والكنيسة ككل في بداية تكوينها، وخاصةً بعد أن تقبَّلت الروح القدس، وحيث شعر الجميع بتغيير جذري في طبيعة العلاقات مع الله. فكان لا بد أن تدخل هذه النبوات بثقلها جنباً إلى جنب مع النبوات التي أنبأت عن المجيء الأول للمسيَّا، والتي أُخذ بها بحرارة وتصديق، خاصة بعد أن جعلها المسيح نفسه قاعدة أساسية يلزم الرجوع إليها لمعرفة كل شيء

عن كل ما تم في حياة المسيح وموته وقيامته، والتي دائماً تضيفها الكنيسة على هذه الحوادث الخلاصية حتى اليوم بقولها: «بحسب الكتب». وبنظرة واحدة إلى هذه النبوات الخاصة بالمجيء الثاني للمسيح المَكْني عنه بـ «يوم الرب»، ندرك مدى الضغط الروحي والإلحاح في تصوير هذا «اليوم» وهذا «المجيء» بالقرب الشديد والسريع.

فإذا رجعنا إلى التراث الشرحي للربِّيين عن تقدير الزمن بين مجيء المسيا الأول لحُكْمِه الزمني و«يوم الرب»، أي مجيئه الثاني لحكمه الأبدي، نرى أن الربِّيين كانوا أول مَنْ وقع تحت تأثير ضغط الأنبياء وإلحاحهم في هذا القرب وهذه السرعة. فإن البعض منهم قال ــ كما يحدثنا العالم F. Prat ــ بأنها فترة لا تزيد عن ٤٠ سنة وآخر سبعين، والبعض الآخر مائة، والبعض الآخر ستمائة سنة، وآخر ألف سنة أو يزيد؛ وإن حساباتهم تبدأ إما من بدء الحكم الزمني على الأرض أو من لحظة الانتهاء.

لقد ورثت الكنيسة هذا الإلحاح في تصوير سرعة مجيء الرب. ولكن في تقييمنا لسبب هذا التصوير بهذه الكيفية من اللهفة والسرعة في شكلها الدرامي عند الأنبياء، نقول، إنها لم تكن تزييفاً في الرؤيا ولا تهويلاً لها؛ بل هو ضياع البُعد الزمني الحقيقي بحسب حركة التاريخ الإنساني من الرؤيا، سواء كان ذلك عند الأنبياء في العهد القديم أو عند الرسل أو بولس الرسول، فالرؤيا في طبيعتها أو حتى الحَدْس Intuition (وهو الاستضاءة الفكرية) هما من طبيعة روحية خارجة عن الزمن، تكون مصوَّرة في الوعي الروحي الفائق على سطح واحد يجمع الحاضر والمستقبل بعيداً عن متناول تحديد العقل الحسِّي القياسي، حيث يستحيل على الرائي تحويل المنظر إلى مفهوم عقلي قياسي. وعندما تنتهي الرؤيا لا يبقى منها ما يقيسه العقل بالمخ البشري؛ بل يبقى مجرد إحساس روحي يصير قابلاً للخطأ المباشر إذا حاول الرائي أن يُترجمه بالقياسات المادية.

وحينما قال الأنبياء بخصوص «يوم الرب» أنه قريب وقريب جداً وسريع جداً في مجيئه، كان ذلك محاولة منهم لترجمة الإحساس الروحي من **صِدْق الرؤيا ووضوحها الشديد** إلى ما يناسب العقل والواقع الزمني أنه قريب، وسريع المجيء جداً. هنا «**شدة الوضوح**» تُرجمت إلى «سريع جداً». والذي يتحتم أن نعلمه تماماً أن كل ترجمة للرؤى أو الحدس الذهني تأتي ناقصة مختلَّة مغلوطة، إذا نحن حاولنا توقيعها على الزمن.

ولكن الذي ينبغي أن يبقى في ذاكرتنا أنه طالما لم يحدد الأنبياء أو الرسل أو بولس الرسول هذه المسافة الزمنية بالأرقام واقتصروها على السرعة والبُطء، فإنه يكون قد جانبهم الخطأ واعتُبرت الرؤيا سليمة مائة بالمائة.

كذلك لا ننتظر من الرؤى توضيحات محددة لأعمال المسيح. فنجد في سفر الرؤيا كيف تنضغط أعمال المسيح فيظهر كمخلِّص وديَّان ومُنتقم ومصدر فرح ومجد دون تحديدات مثل تلك التي يقدمها بولس الرسول مرتَّبة بالفكر اللاهوتي.

الشعور باختزال الزمن عند القديس بولس:

هذه إحدى الخصائص البارزة في لاهوت بولس الرسول في معالجته للأمور الأخيرة، ونحن نرى في هذا صحة لاهوتية مائة في المائة. فمعروف أن الإنسان الرؤيوي الكثير التطلع في الله ينسحب منه الإحساس بالزمن، فقانون التوازن بين زمن الإنسان وزمن الله معروف: «لأن ألف سنة (عند الإنسان) في عينك مثل يوم أمس بعد ما عبر وكهزيع من الليل» (مز٩٠: ٤، ٢بط٣: ٨). لذلك لا يُعاب على الإنسان الروحي، وخاصة إذا كان يرى بالروح، أن تضيع منه التقديرات الزمنية حسب قياسات العقل المادي. على أن كل اختزال في الزمن إذا كان لحساب الله كان ذلك لخير الإنسان والكنيسة بل والعالم. فعندما نسمع القديس بولس يقول:

+ «الرب قريب، لا تهتموا بشيءٍ بل في كل شيءٍ بالصلاة والدعاء مع الشكر لتُعلم طلباتكم لدى الله» (في٤: ٥و٦)؛

+ «فإن خلاصنا الآن أقرب مما كان حين آمنَّا» (رو١٣: ١١)، باعتبار أن الخلاص القادم هو بعينه مجيء الرب؛

+ «فأقول هذا أيها الإخوة الوقت منذ الآن مُقصَّر لكي يكون:
الذين لهم نساء كأن ليس لهم،
والذين يبكون كأنهم لا يبكون،
والذين يفرحون كأنهم لا يفرحون،
والذين يشترون كأنهم لا يملكون،
والذين يستعملون هذا العالم كأنهم لا يستعملونه،
لأن هيئة هذا العالم تزول، فأُريد أن تكونوا بلا هم!» (١كو٧: ٢٩-٣٢)؛

فإنه يكون واضحاً أن عنصر اختزال الزمن ومعه الإحساس بزوال هذا العالم موجود في قلب بولس الرسول، وأن هذا يكون لحساب المسيح. فماذا كانت النتيجة؟ فلأن الرب قريب فَلْنَرْتَمِ في أحضان الصلاة، ولا نكف عن الدعاء للناس والشكر على كل شيء، حتى تكون طلباتنا من أجل الكنيسة والآخرين ولأنفسنا مستجابة. ولأن هيئة هذا العالم ستزول وسريعاً، فلا يليق أن نحمل هموم العالم وهي بطبيعتها زائلة. إذاً، فإحساس بولس الشديد بالقرب من المسيح والآب، وهو الذي سرَّب منه الإحساس بالزمن، أنشأ تعليماً ونصحاً للكنيسة لتزداد هي الأخرى قُرْباً من الله

والمسيح؛ وفي كلا الحالين سواء عند بولس الرسول أو عند الكنيسة، يكون اختزال الزمن وعدم الاعتداد الكثير به وكذلك الإحساس بزوال العالم، هما لصالح الحياة برُمّتها، للإنسان عامة وللكنيسة خاصة. أي أن الشعور باختزال الزمن وفُقدان الإحساس بسيطرة العالم وهمومه، وذلك في التعامل مع الله، ينشيء قُرباً صادقاً وحقيقياً وسريعاً مع الله !!!

هذا لم يكن مجهولاً لدى الرسل، فبطرس الرسول يحضُّنا ليس فقط على أن نترقب مجيء المسيح سريعاً في عبادتنا وحياتنا وصلواتنا؛ بل وأن نطلب سرعة مجيئه، مع العلم بأن ذلك بعينه كان حافزاً مستمراً لبطرس الرسول نفسه أن يزداد حرارة والتهاباً والتصاقاً بالله: «منتظرين وطالبين سرعة مجيء يوم الرب ...» (٢بط٣: ١٢). لأن ذلك الشعور إذا كان صادقاً وواقعياً يُدْخلنا في الإحساس بتفاهة الزمن وبالتالي تفاهة العالم وضغوطه. وهذا كان بعينه صراخ إشعياء النبي: «ليتك تشقُّ السموات وتنزل» (إش٦٤: ١). والعكس صحيح، ويثبت هذه القاعدة أن التمسك بالعالم والارتماء تحت مطاليبه والالتصاق بهمومه، أو بمعنى آخر الانجذاب إليه أو محبته، هو في حقيقته عداوة لله كما يقول بولس الرسول (رو٨: ٧)؛ أما محبة المسيح والحياة في حضرته أو حياته فينا فهي بعينها أن يُصلب العالم لنا ونحن للعالم، أي أن ينتهي من وجوده الطاغي على أنفسنا وأرواحنا.

أما العامل الذي ينشِّط فينا الإحساس باختزال الزمن «الوقت مقصَّر»، والإحساس بفقدان سطوة العالم على كياننا الروحي والتيقُّن من زواله: «لأن هيئة هذا العالم تزول» (١كو٧: ٣١)، فهو الروح القدس، فالروح القدس هو روح الخلود. وإذا زاد الإحساس بالخلود في أرواحنا انحصر الزمن في أقل حيز وضاع تأثيره المستبد. كذلك، فالروح القدس هو الضدُّ المباشر للعالم: «ذاك يُبكِّت العالم» (يو١٦: ٨). لذلك حينما نثْبُت في الروح ويسكن هو فينا، تنخفض قيمة العالم ويصغر الإحساس به، فيفقد العالم بريقه وسلطانه ويزول وجوده فينا حتى قبل أن يزول هو.

إذاً فلا تلومنَّ، أيها القارىء، القديس بولس وباقي الرسل والكنيسة الأُولى ــ مثل هؤلاء العلماء غير المسوقين من الروح القدس ــ بأن الكنيسة الأُولى كانت تعيش في إحساس عنيف بسرعة مجيء الرب وسرعة زوال العالم. فهذا كان سببه الوحيد والمباشر حلول الروح القدس وشدة تأثيره على تلك الأرواح القديسة، وليس كما يظن هؤلاء العلماء أنها شطحة من شطحات التنبُّؤ لم يلازمها الحظ. على أن هذا الإحساس، في رأي هؤلاء العلماء، سرعان ما زال، واعتدلت الكنيسة في رؤيتها؛ مع أن هذا الاعتدال وهذه الصحة الوهمية في نظر هؤلاء العلماء هي التي كانت بعينها

نتيجة ضعف انسكاب الروح في الكنيسة وضياع إحساسها بالخلود الذي كانت تعيشه الكنيسة الأُولى برُسُلها وأنبيائها وقديسيها.

وليس من الصعب أن نلمح كيف أن بولس الرسول **وهو منحصر بالروح** يرتفع إلى مستوى سرعة انتهاء الزمن والعالم، ثم عندما ينزل في رسائله **إلى مستوى الأخطاء** التي تعمل في الكنائس، وإلى تمرد بعض المؤمنين على وصايا التعقُّل والعفة، نراه يدخل في الزمن ويمتد به ويحضُّ على المثابرة على التوبة والصلاة والخضوع للرئاسات وتدريب النفس والجسد على طول المدى، فنحس من كلامه أنه يعايش الكنائس في عمق الزمن والعالم وواجباتهما.

أما العلماء فيرون في انحصاره بالروح وارتفاعه فوق الزمن والعالم أنه شَطْحة خرجت خارج الصحة اللاهوتية والتعقُّل، وأما النزول فيرونه عودة إلى الصحة والتعقُّل، مع أنه في هذه يكون في قمة صحوة الروح مع الروحيين، وفي تلك يكون قد خرج من دائرة الروح لمسايرة المنضوين تحت الزمن والزمنيات.

كذلك، فإننا نجد هذه المفارقة واضحة غاية الوضوح في أمر الزواج، فإنه وهو في حالة انحصاره بالروح والإحساس بقرب مجيء الرب يرى أن عدم الزواج أفضل لإنسان يريد أن يعيش بالروح وللرب وتقديس النفس والجسد:

+ «لأني أريد أن يكون جميع الناس كما أنا ... أقول لغير المتزوجين وللأرامل أنه حسن لهم إذا لبثوا كما أنا ... الوقت منذ الآن مُقصَّر لكي يكون الذين لهم نساء كأن ليس لهم ... غير المتزوجة تهتم في ما للرب لتكون مقدسة جسداً وروحاً ...» (١ كو ٧: ٧و٨و٢٩و٣٤)

ثم إذ ينحدر بولس الرسول من هذا المستوى العالي ليرى الأزمنة الصعبة القادمة على المسيحيين، يسبق وينصح تيموثاوس «الشاب» أسقف أفسس:

+ «ولكن الروح يقول صريحاً إنه في **الأزمنة الأخيرة** يرتدُّ قوم عن الإيمان تابعين أرواحاً مُضلّة وتعاليم شياطين في رياء أقوالٍ كاذبة، موسومة ضمائرهم، مانعين عن الزواج.» (١تي ٤: ١-٣)

هنا بولس الرسول يمنع عن الزواج، وبآن واحد يرى أن المنع عن الزواج هو تعليم مضلٌّ وارتدادٌ عن الإيمان الصحيح. فبالفكر الساذج المعثر يرى الإنسان أن في هذا مضادَّة، ولكن التعليل لهذه المفارقة مدهش في الحقيقة. فبولس الرسول يرى في نفسه، وهو في وضعه الروحي المنحصر في الروح والمسيح وكأن المسيح قريب وعلى الأبواب، يرى عزوفاً صادقاً وقوياً وثابتاً عن الزواج للتمتع

بالمسيح بتقديس الجسد والروح، فيحضُّ أولاده أن يكونوا مثله، **إن كانوا مثله**، على مستوى الروح وبإحساس أن الوقت مقصَّر، بمعنى أن السنين ما ينبغي أن تُفقَد، وأن العمر قلَّ أو طال ما يليق أن يُبدَّد ويُتلف في الجري وراء العالم. فمهما كانت السنين وكان العمر، حتى ومع الشدة وفي حدود الثمانين، فهي أقل وأقصر جداً من أن تستوعب معرفة المسيح والوجود معه أو فيه. ولكن إنْ جاء قوم يحضُّون على المنع عن الزواج وعن تناول أطعمة ...إلخ، لا لأنهم منحصرون في الروح ومرتبطون بالمسيح لتقديس الحياة له جسداً وروحاً؛ بل ليس من أجل المسيح أصلاً ولا لتقديس الحياة له ولا لحفظ الجسد والروح في القداسة، إذ ليس لهم إيمان بالمسيح بل تابعين أرواحاً مضلّة؛ فحينئذ تكون هذه هي **الأزمنة الأخيرة بعينها**، بمعنى أيام الارتداد التي تسبق مجيء المسيح للدينونة.

وهكذا ينتهي بولس الرسول إلى إرساء قاعدة إيمانية: إن كنا في المسيح حقاً، كان امتناعُنا عن الزواج حقاً هو. أما إذا كنا لسنا في المسيح، فيكون امتناعنا عن الزواج ضلالة.

كما وأنه إنْ كنا نحسُّ بقُرْب المسيح حقاً، فإن الوقت يكون مقصَّراً حتماً؛ فإذا لم نكن نحسُّ بالمسيح أصلاً فتكون أيامنا والأيام الأخيرة سواءً، أي ارتداداً!!

وهكذا فإن رؤية بولس الرسول الأُخروية صادقة، وهي لا تفقد صدقها وصلاحيتها بامتداد الزمن. فهي في أيام بولس الرسول رفعت بولس وكنائسه حتى إلى مستوى وجود المسيح وليس إلى ترجِّي وقُرْب مجيئه وحسب، وهي هي إلى الآن تُدْخلنا في هذه الحضرة ذاتها وبنفس إحساس قرب مجيئه وكأنه على الأبواب كلما انتصف الليل، كلُّ ليل! ثم أليس هذا بعينه هو إلحاح المسيح على ترقُّب ملكوت الله وانتظار مجيء العريس وأنْ: «اسهروا إذاً لأنكم لا تعلمون في أية ساعةٍ يأتي ربُّكم.» (مت٢٤: ٤٢)

ثم إن هذا التعليم الذي يرتقي بالإنسان ليعيش على مستوى الروح والحق وتقديس الجسد والزمن، باعتبار أن الزمن مقصَّر وكل دقيقة فيه هي ذات اعتبار، وأنه ما ينبغي أن تُهدَرَ في السلبيات الدنيوية، هذا التعليم هو تعليم يُقوِّم الإنسان والعالم ويدفع إلى مزيد من الإيجابية في كل شئون الحاضر الزمني.

لذلك يخطىء كلُّ مَنْ يقول بأن أُخروية بولس الرسول في النظرة اللاهوتية، وفي انحصاره في قُرْب مجيء المسيح، وفي حصر حياته ومُريديه في إطار البتولية قد أضعفت من قوة المسيحية في التحامها بالزمن على امتداده أو في حمل همِّ العالم. بل على النقيض، فقد أنشأت هذه النظرات

اللاهوتية الجادَّة والعملية قوة تجديد في العالم، ولا تزال تعمل على جميع المستويات.

وليس من بين كافة الآباء والأنبياء مَنْ حَمَلَ همَّ الخليقة بعد المسيح إلاَّ بولس، وكأنه كان يسمع أنينها وهي تتمخض في عبوديتها، تتشبَّث بالإنسان بانتظار تكميل فدائه وانعتاق جسده من عبودية الفساد، لتنال به ومعه انعتاقها الأخير، وتنعم من تحته بحرية التبني.

٣ ــ الظروف المحيطة بالمجيء ــ الباروسيا: παρουσία

في البداية، واضح لنا مما سبق أن كل نبوة جاءت في القديم أو أي سِرْدٍ رؤيوي كرؤيا ἀποκάλυψις دانيال أو حزقيال أو إشعياء عن الأمور الأخيرة، كذلك كل ما جاء عن بولس الرسول، لا يمكن توقيعه على الزمن وكأنها رؤيا تاريخية محددة، لذلك يصبح من الخطر بل ومن الخطأ الجسيم توقيعها على التاريخ في وضعه المستقبلي. وحتى معناها يصعب أن يكون حرفياً، فهو يبقى دائماً في محيط السرِّ حسب طبيعته.

لذلك فإن نظرات أو رؤى بولس الرسول فيما يخص الأخرويات لا تزيد عن كونها صدىً للرؤيا التي جاءت في القديم، لدانيال وإشعياء، وحزقيال والباقين مع المزامير، مع توضيحات أكثر مأخوذة مما جاء في كلام المسيح عن الأمور الأخيرة وعلامة مجيئه بحسب الأناجيل، ومما استلمه هو (بولس الرسول) من المسيح رأساً.

ولو حلَّلنا مضمون هذه الرؤى نجدها مطابقة في جزئياتها لما جاء في الثلاثة الأناجيل الأُولى، فهي لا تخرج عن الآتي:

أولاً: إطلاق صوت الدعوة الأخيرة:

+ «لأن الرب نفسه **بهتاف، بصوت رئيس ملائكة، وبوق الله**، سوف ينزل من السماء. والأموات في المسيح سيقومون أولاً.» (١تس٤: ١٦)

(أ) هتاف κελεύσμα وتعني صرخة للإيقاظ كما يُصرَخُ في أذن النائم ليستيقظ، أو عند اشتعال حريق، أو كما يصرخ البحارة للانتباه للخطر. ولكن مَنْ الذي يطلق الهتاف الأخير هذا؟

هنا الفاعل مستتر كما جاء في مثل المسيح والعشر عذارى: «... **صار صراخ، هوذا العريس مقبل**» (مت٢٥: ٦). هل هو صوت الله الذي يسبق الاستعلان الأخير لابنه؟ أو صوت الحرس الملائكي في جوقته المحيطة بالمسيح كما حدث في الميلاد: «وظهر بغتة مع الملاك (المبشر) جمهور من الجند السموي مسبحين الله ...» (لو٢: ١٣)

(ب) **صوت رئيس ملائكة:** هذا الصوت غير محدد بكلام، والمعروف دائماً في التقليد منذ نبوة دانيال أنه صوت رئيس الملائكة ميخائيل.

(ج) **وبوق الله:** أي الصوت يرافقه «بوق الله»: «في لحظة في طرفة عين عند البوق الأخير» (١كو١٥: ٥٢)، «لأن الرب نفسه بهتاف بصوت رئيس ملائكة وبوق الله سوف ينزل من السماء.» (١تس٤: ١٦)

وفي التقليد القديم يتضح أن استخدام البوق يلازمه دائماً استعلان ظهور الله:

+ «وحدث في اليوم الثالث لما كان الصباح أنه صارت رعود وبروق وسحاب ثقيل على الجبل **وصوت بوق شديد جداً**، فارتعد كل الشعب الذي في المحلة، وأخرج موسى الشعب من المحلة لملاقاة الله ... وكان جبل سيناء كله يدخن من أجل أن الرب نزل عليه بالنار ... فكان صوت البوق يزداد اشتداداً جداً وموسى يتكلم، والله يجيبه بصوت!!!» (خر١٩: ١٦—١٩)

+ «عند إقبال الصبح، عجَّت الأمم، تزعزعت الممالك، أعطى صوته ذابت الأرض.» (مز٤٦: ٥و٦)

+ «ويكون في ذلك اليوم أنه يُضرب ببوق عظيم ...» (إش٢٧: ١٣)

+ «اضربوا بالبوق ... ليرتعد جميع سكان الأرض لأن يوم الرب قادم لأنه قريب.» (يؤ٢: ١)

+ «ويُرى الرب فوقهم، وسهمه يخرج كالبرق، والسيد الرب ينفخ في البوق.» (زك٩: ١٤)

والمسيح يوضح و يؤكد:

+ «ويبصرون ابن الإنسان آتياً على سحاب السماء بقوة ومجد كثير، فيرسل ملائكته ببوق عظيم الصوت، فيجمعون مختاريه من الأربع الرياح من أقصاء السموات إلى أقصائها.» (مت٢٤: ٣٠و٣١)

ويبدو أن البوق يُسمى بحسب الصوت المسموع منه، فهو يُسمى ببوق الله لأن صوت الله هو الذي سيُسْمَع منه.

ولكن أوصاف بولس الرسول لظروف وملابسات ظهور المسيح تخلو من العلامات المدمرة في الطبيعة كما جاءت بصورتها المأساوية في تصوير بطرس الرسول من احتراق عناصر الأرض وذوبانها.

ثانياً: الذين يظهرون مع المسيح والمنظر المحيط:

(أ) **الملائكة**: «عند استعلان الرب يسوع من السماء **مع ملائكة قوته**.» (٢تس ١: ٧)

وهي دائماً في موكب الله ومع المسيح في الدينونة كما في كلام المسيح: «ومتى جاء ابن الإنسان في مجده وجميع الملائكة القديسين معه، فحينئذ يجلس على كرسي مجده.» (مت ٢٥: ٣١)

(ب) **القديسون**: «لكي يُثبِّت قلوبكم بلا لوم في القداسة أمام الله أبينا في مجيء ربنا يسوع المسيح **مع جميع قديسيه**» (١تس ٣: ١٣). وهذا مطابق لما جاء في نبوة زكريا النبي: «ويأتي الرب إلهي وجميع القديسين معك (معه)» (زك ١٤: ٥). ولكن الواضح أن ما جاء في نبوة زكريا النبي يفيد الملائكة، أما في رسائل بولس فالقصد هو المختارون.

(ج) **السحاب**: «ثم نحن الأحياء الباقين سنُخْطَف جميعاً معهم في السحب لملاقاة الرب في الهواء» (١تس ٤: ١٧). وهذا تقليد رسولي من فم المسيح نفسه: «وحينئذ تظهر علامة ابن الإنسان في السماء وحينئذ تنوح جميع قبائل الأرض، ويبصرون ابن الإنسان آتياً على سحاب السماء بقوة ومجد كثير.» (مت ٢٤: ٣٠)

(د) **ونار**: «فعمل كل واحد سيصير ظاهراً لأن اليوم سيبيِّنه، لأنه بنار يُستعلن، وستمتحن النار عمل كل واحد ما هو» (١كو ٣: ١٣)؛

«عند استعلان الرب يسوع من السماء مع ملائكة قوته، **في نار لهيب معطياً نقمة للذين لا يعرفون الله**.» (٢تس ١: ٧و٨)

والنار تلازم استعلان الله منذ البدء. فهذه الأربعة مجتمعة لازمة من لوازم الظهور الإلهي دائماً: البوق، والصوت، والسحاب، والنار (خر١٩: ١٢و١٣و١٦ــ١٨).

٤ ــ الضد للمسيح الذي بظهوره تبدأ النهاية:

أ ــ العائق الذي يحجز الآن ظهور الضدِّ للمسيح ἀντίχριστος:

يتميَّز القديس بولس عن كافة مَنْ تكلموا بخصوص أواخر الزمان والنهاية في موضوع لم يطرقه أحد غيره، وهو: مَنْ الذي يحجز الآن ظهور الضدِّ للمسيح ــ أي المسيح الكذاب ــ الذي بظهوره تبدأ العلامات الأخيرة لنهاية الزمان؟

+ «**والآن تعلمون ما يَحْجز حتى يُستعلَنَ في وقته**، لأن سر الإثم الآن يعمل فقط إلى أن يُرْفع من الوسط **الذي يحجز الآن**. وحينئذ سيُستعلن الأثيم، الذي الرب يبيده بنفخة

فمه ويُبْطله بظهور مجيئه، الذي مجيئه بعمل الشيطان بكل قوة وبآياتٍ وعجائبَ كاذبة وبكل خديعة الإثم في الهالكين، لأنهم لم يقبلوا محبة الحق حتى يخلصوا.» (٢تس٢: ٦-١٠)

«ما يحجز» τὸ κατέχον (نوع الجنس هنا محايد أي لا ذكر ولا أنثى):

وهنا «ما يحجز» يفيد نوعاً من القوة الوسيطة بين المسيح وأتباعه، أي المؤمنين، وبين الضدّ للمسيح، وهي تعمل مباشرة ضد هذه القوة لتمنعه من تنفيذ مخططه العدواني، وهي القوة التي حار علماء البروتستانت والكاثوليك في توصيفها. ولكن هي في رأينا كما سيأتي أنها **قوة الروح القدس** العامل في المؤمنين والشاهد للمسيح والمُدافع.

«الذي يحجز» ὁ κατέχων (نوع الجنس هنا مذكر سالم عاقل):

وهو هنا يكون، في الحقيقة وبحسب رأينا أيضاً، **شخص الروح القدس** الذي يتكلم ويرشد ويدبِّر ويشجِّع المؤمنين لمقاومة كل إيحاءات الإثم التي تعمل على مستوى السر ولا تقوى على مستوى الظهور العلني. فسرُّ الإثم يعمل في الفكر ويحرك المشاعر دون أن يعرف الإنسان مصدره، حيث يتصادم بوضوح داخل الإنسان والكنيسة **سر التقوى** = τὸ μυστήριον τῆς εὐσεβείας ضد **سر الإثم** = τὸ μυστήριον τῆς ἀνομίας . فالأول تقوده قوة الروح القدس لحساب المسيح المتجسد، والثاني تقوده قوة الإثم لحساب العدو.

+ «عظيم هو **سر التقوى** الله ظهر في الجسد.» (١تي٣:١٦)

+ «لأن **سر الإثم** الآن يعمل فقط إلى أن يُرْفَع من الوسط الذي يحجز الآن.» (٢تس٢:٧)

وصحة المعنى في ترجمة حرفية كالآتي: [الذي يتحتم عليه أن يعمل الآن في السر ويلزم أن لا يُستعلَن حتى يُرفع الذي يحجز الآن من الطريق][1].

+ «الروح الذي يعمل الآن في أبناء المعصية.» (أف٢:٢)

ولكن للأسف فإنه بالرغم من أن القديس بولس الرسول تعرَّض لهذا الموضوع عن ثقة ويقين، إلاَّ أنه عَبَر عليه باعتبار أنه قد استوفاهُ شرحاً شفاهاً لأهل تسالونيكي، واكتفى بالعبور على الموضوع كتابة دون توضيح. وهذا أوْقَعَ الشارحين لكتاباته والعلماء كافة في حيرة كبيرة من هذا الأمر وتضاربت أقوالهم بشدة. وقد انتحى البروتستانت نواحي غريبة في محاولة تحديد شخصية هذا الذي يحجز المسيح الكاذب الآن عن الظهور، مثل أنه ملك أو إمبراطور الرومان؛ كذلك تحديد شخصية

1. Lightfoot, *op. cit.*, p. 114.

المسيح الكاذب مثل أنه بابا روما. وأما الكاثوليك فقد استقر بعض لاهوتييهم على أن شخصية الذي يحجز المسيح الكاذب هو رئيس الملائكة ميخائيل(٢)، وهذا معقول إلى حدٍّ ما لأنه هو الذي بدأ مقاومته للشيطان منذ العهد القديم كما جاء في سفر دانيال النبي:

+ «وإذا بيد لمستني وأقامتني مرتجفاً على ركبتيَّ وعلى كفَّيْ يديَّ وقال لي: يا دانيال أيها الرجل المحبوب ... فقال لي: لا تخف يا دانيال لأنه من اليوم الأول الذي فيه جَعَلْتَ قلبك للفهم ولإذلال نفسك قدام إلهك، سُمع كلامك، وأنا أتيتُ لأجل كلامك. ورئيس مملكة فارس (كناية عن الشيطان) وقف مقابلي واحداً وعشرين يوماً. **وهوذا ميخائيل واحد من الرؤساء الأولين جاء لإعانتي ...**» (دا١٠: ١٠—١٣)

علماً بأن المتكلِّم هنا هوبحسب تعبير دانيال النبي «كمنظر إنسان»، ويبدو أنه هو ابن الإنسان، الذي خاطبه في آخر الأصحاح بقوله:

+ «ولكني أخبرك بالمرسوم في كتاب الحق، ولا أحَدٌ يتمسك معي على هؤلاء (رؤساء ملوك أشرار) **إلَّا ميخائيل رئيسكم.**» (دا١٠: ٢١)

فإن كان الرئيس العظيم ميخائيل هو الذي كان المنوط به آنئذ — في القديم — حراسة شعب إسرائيل، فهو هو لا يزال في موقع الحراسة بالنسبة للكنيسة، مع ابن الإنسان الذي تجسد واستُعلن أنه ابن الله. وقد وضح عمل هذا الرئيس العظيم ميخائيل بالنسبة للشيطان في سفر الرؤيا:

+ «وحدثت حرب في السماء، ميخائيل وملائكته حاربوا التنين، وحارب التنين وملائكته ولم يقووا، فلم يوجد مكانهم بعد ذلك في السماء. فطُرح التنين العظيم، الحية القديمة، المدعو إبليس والشيطان الذي يضل العالم كله طُرح إلى الأرض وطُرحت معه ملائكته.» (رؤ١٢: ٧—٩)

ولكن في اعتقادنا أن المسيح ليس في حاجة إلى ملائكة ليدبر كنيسته ويحرسها، فقد استودعها للروح القدس، فهي في يد الله نفسه يحفظها و يدبِّرها، فهي كنيسة الله التي اقتناها بدمه وأبواب الجحيم لن تقوى عليها، والمؤمنون هم جسد المسيح من لحمه ومن عظامه، وهم بنو العلي يُدْعَوْن، وأبناء الله الحي، ورعية الله، وأهل بيت الله. المسيح رأسها المدبِّر، والروح القدس يرشدها ويقتادها، والمسيح على الصليب صفَّى حسابه مع الرؤساء وسلاطين الظلمة فقد ظفر بهم وفضحهم، ولم يَعُدْ للشيطان سلطان على أولاد الله، ولا الخطية، إن هم تمسكوا بدم صليبه، فبمجرد إعلان

2. Prat, *op. cit.*, I,82.

المقاومة ضد الشيطان يهرب منهم، وقد سلَّمهم المسيح أسلحة المحاربة الروحية القادرة بالمسيح على هدم كل حصون العدو واستئسار كل فكر ضلالة وإخضاعه إلى معرفة الحق في المسيح (راجع ٢كو١٠: ٧). فأين المكان الذي أُعطي لملاك أو رئيس ملائكة؟

في اعتقادنا الراسخ أن الذي يحجز ظهور الضدّ للمسيح هو تقوى المؤمنين وصلاتهم وإيمانهم، وغيرتهم على الحق والقداسة، وتقديسهم لاسم المسيح، ومحبتهم، وبذلهم، ودماؤهم التي يطرحونها سهلة للسفك من أجل الشهادة، إذا جدّ جديدها، وهذه التقوى عينها بكل حرارة الإيمان والعبادة يؤازرها الروح القدس ويحرسها ويزكيها. فإذا توقفت هذه، وعَدِم الإيمان المسيحي صلابته وسقط الحق وانعدمت المحبة بين المؤمنين، كان ذلك مدعاة للروح القدس أن يرفع يده، فهو الذي يحجز الآن في الوسط بين العدو المتربص الذي يجول يلتمس ابتلاع «نسل المرأة» — أي مولودي الإيمان بالذي نزل من السماء مولوداً من امرأة — وبين النهاية وظهور ابن الهلاك الأثيم، إنسان الخطية، الذي سيسلمه الشيطان كل قوته ليُضلَّ العالم للدخول في الارتداد الكبير، الذي يكون آخر العلامات، والذي بعده تُستعلن الدينونة.

ب — ظهور الضدّ للمسيح «أنتي كريست = Antichrist»:

لقد وضع بولس الرسول علامتين مميزتين لنهاية الزمان، الأولى «الارتداد» والثانية ظهور الضد للمسيح (أنتي كريست): «لا يأتي (هذا اليوم الأخير) إن لم يأتِ الارتداد أولاً ويُستعلن إنسان الخطية ابن الهلاك.» (٢تس٢: ٣)

«الارتداد»: ἡ ἀποστασία

وتعني بحسب الكلمة اليونانية «الثورة». وفي هذا يكمن معنى أن حركة المقاومة للمسيح تأتي من الداخل وليس من الخارج، أي من داخل الجماعة، وهنا يحتمل المعنى اليهود أو المسيحيين المنشقين، ولا تحتمل بالتالي أن تأتي من الوثنيين أو من خارج الشعب اليهودي أو المسيحي.

«يُستعلن»: ἀποκαλυφθῇ

وهي نفس الكلمة المستخدمة في استعلان المسيح، ويلاحظ أيضاً أن كلمة «سر» مستخدمة لضدّ المسيح كالمسيح، مما يكشف عن أن «إنسان الخطية» هذا يحمل طبيعة فائقة نوعاً ما عن الطبيعة العادية للإنسان تجعله يحتاج إلى الاستعلان لكي يبدأ عمله.

«إنسان الخطية» : ὁ ἄνθρωπος τῆς ἀνομίας

«ابن الهلاك» : ὁ υἱὸς τῆς ἀπωλείας

الاصطلاح الأول يفيد صفة الطبيعة الأصلية والثاني يفيد نهايته البائسة، وهو تعبير عبري تقليدي نجده في سفر صموئيل الأول: «لأن ما دام ابن يسى حيًّا على الأرض لا تثبت أنت ولا مملكتك. والآن أرسل وأتِ به إليَّ لأنه **ابن الموت هو.**» (١صم٢٠: ٣١). كما أطلق المسيح على يهوذا: «ابن الهلاك» (يو١٧: ١٢)، وهو لفظ نبوي يفيد نهايته **المشئومة.**

ومن بقية تعبيرات بولس الرسول حول هذا الموضوع يتبيَّن أن اصطلاح «إنسان الخطية» **يفيد** بصورة ما أن سِرَّ الإثم الذي يعمل في أبناء المعصية **الآن** ــ أي في أيام بولس الرسول وحتى اليوم ــ له علاقة بإنسان الخطية من حيث سريان الخطية، وذلك بانتظار **أن** يُرفع الذي يَحْجز **ظهور** إنسان الخطية هذا، وحينئذ يظهر هذا الأثيم بكامل قواه الشيطانية لرفع درجة الضلالة والتمرد على الله والمسيح إلى أقصاها.

من هذا يتبيَّن لنا أن «**روح الخطية والإثم**» إنما يتقمَّص أشخاصاً كثيرين كمُسَحاء كذبة كثيرين من جيل إلى جيل إلى أن يستقر في النهاية بكل ثقله في «الضدِّ الأخير» للمسيح. لذلك فاصطلاح «**إنسان الخطية**» عند بولس الرسول يحتمل التعدُّد ويحتمل المفرد، وهكذا لا يخرج عن مضمون ما قال به المسيح عن قيام **مُسَحاء كَذَبة كثيرين**، وكذلك القديس يوحنا في رسالتيه الأُولى والثانية. وهذا ينطبق بإحكام على الواقع التاريخي، فالعالم أنْجَبَ بالفعل أضداداً كثيرين للمسيح حتى الآن، ومن المعقول أن ينجب في الآخر من يُحسب أفواههم لتكميل المَقْضِيِّ به على الأرض حسب تعبير دانيال النبي (دا١١: ٣٦).

أما قول بولس الرسول عن هذا الضد للمسيح بأنه «يُظْهِر نفسه إلهاً» فلا عجب في ذلك، فأباطرة روما الذين عاصرهم بولس الرسول ظنوا في أنفسهم أنهم آلهة، وتوجد قطعة نقود مسكوكة ليوليوس قيصر مطبوع على وجهها بجوار رأس الإمبراطور كلمة «إله θεός». وفي الوجه الآخر اسم المدينة «تسالونيكي» التي كتب إليها بولس الرسول رسالته هذه(٣).

ولقد تميز القديس بولس بتحديد بعض الأسماء والصفات للمسيح الكذاب:

أ ــ إنسان الخطية، ابن الهلاك.

ب ــ المُقاوِم، والمرتفع على كل ما يُدْعَى إلهاً أو معبوداً.

---

3. J.B. Lightfoot, *On Second Thessalonians,* p. 113.

ج ــ يجلس في هيكل الله كإله مُظْهِراً نفسه أنه إله.

د ــ الأثيم.

هـ ــ مجيئه بعمل الشيطان بكل قوة وبآيات وعجائب كاذبة.

و ــ بكل خديعة الإثم في الهالكين.

وبهذه الصفات حاولت الكنيسة منذ العصور الأُولى، منذ القديس يوحنا الإنجيلي إسقاط بعض هذه الصفات على حال ظَلَمَة ظهروا في التاريخ من أشخاص أو سحرة أو أباطرة ظالمين قساة مثل كاليجولا وسمعان الساحر أو نيرون. وقد اعتقد بعض الآباء، وبالتحديد العلاَّمة جيروم والقديس أغسطينوس، أن القديس يوحنا الإنجيلي لم يَمُتْ لكي يشهد ضد نيرون عندما يعود إلى الحياة في هيئة الضدّ للمسيح(4) باعتبار أن نيرون نفسه هو الضدُّ للمسيح.

وأول مَنْ قال بالضدِّ ــ لله ــ بهذه الأوصاف تقريباً هو دانيال النبي، وتنطبق رؤياه على أنطيوخس الرابع الذي اغتصب عرش سوريا سنة ١٧٥ ق.م. وسُمِّي بالمجنون، وذلك بحسب غالبية الشرَّاح:

+ «ويفعل الملك كإرادته ويرتفع ويتعظم على كل إله ويتكلم بأمور عجيبة على إله الآلهة وينجح إلى إتمام الغضب، لأن المَقْضِيَّ به يُجرى. ولا يبالي بآلهة آبائه ولا بشهوة النساء وبكل إله، لا يبالي لأنه يتعظم على الكل.» (دا١١: ٣٦و٣٧)

ويأتي القديس يوحنا ليرى الضد للمسيح مشخَّصاً في كل من ينكر المسيح:

+ «أيها الأولاد هي الساعة الأخيرة، وكما سمعتم أن **ضد المسيح يأتي**، قد صار الآن **أضداد للمسيح كثيرون**. من هنا نعلم أنها الساعة الأخيرة... **إن كل كذب ليس من الحق. مَنْ هو الكذاب إلاَّ الذي ينكر أن يسوع هو المسيح، هذا هو ضدُّ المسيح** الذي ينكر الآب والابن.» (١يو٢: ١٨و٢١و٢٢)

+ «لأنه قد دخل إلى العالم مُضلُّون كثيرون لا يعترفون بيسوع المسيح آتياً في الجسد **هذا هو المضلُّ والضدُّ للمسيح**.» (٢يو٧)

وسفر الرؤيا حافل بأعمال الضدِّ للمسيح في أصحاحات كثيرة: (رؤ١١: ٤ــ١٣، ١٣: ١ــ١٨، أصحاح ١٧ كله، ١٩: ١١ــ٢١).

---

4. *Oxford Dict. of the Christian Church,* p. 61.

وفي إنجيل القديس مرقس وإنجيل القديس متى يذكر المسيح بوضوح المسحاءَ الكذبة الذين يأتون في آخر الزمان:

+ «حينئذ إن قال لكم أحد: هوذا المسيح هنا أو هناك، فلا تصدِّقوا. لأنه سيقوم مسحاء كذبة وأنبياء كذبة، ويعطون آيات عظيمة وعجائب حتى يضلوا لو أمكن المختارين أيضاً.» (مت٢٤: ٢٣و٢٤)

+ «فإن كثيرين سيأتون باسمي قائلين: إني أنا هو، ويُضلُّون كثيرين.» (مر١٣: ٦)

والقديس متى يذكر كيف ستكون من أهم علامات آخر الأيام كثرة «الإثم ἀνομία»:

+ «ولكثرة الإثم تبرد محبة الكثيرين، ولكن الذي يصبر إلى المنتهى فهذا يخلص.» (مت٢٤: ١٢و١٣)

وهي التي يقول عنها بولس الرسول: «لأن سر الإثم الآن يعمل فقط ... وحينئذ سيُستعلن **الأثيم ὁ ἄνομος**.» (٢تس٢: ٧و٨)

وقد أوضح داود النبي في مزمور ٨٩ موقف «ابن الإثم» من المسيح بوضوح:

+ «حينئذ كلمتَ برؤيا تَقِيِّك، وقُلتَ: جعلتُ عوناً على قويٍّ، رفعتُ مختاراً من بين الشعب، وجدتُ داود عبدي، بدُهن قدسي مسحتهُ، الذي تثبتُ يدي معه، أيضاً ذراعي تُشدِّده، لا يرغمه عدوٌّ **وابن الإثم** لا يذلِّله، وأسحق أعداءه أمام وجهه، وأضرب مُبْغضيه.» (مز٨٩: ١٩—٢٣)

ولكن من أروع الأوصاف التي جمعت كل ما للإنسان والشيطان معاً في صورة الضد لله والمسيح، ما جاء في سفر حزقيال النبي:

+ «من أجل أنه قد ارتفع قلبك، **وقلت أنا إله**، في مجلس الآلهة أجلس، في قلب البحار، وأنت **إنسان لا إله وإن جعلتَ قلبكَ كقلب الآلهة** ... فارتفع قلبك بسبب غناك، ... لذلك ها أنذا أجلب عليك غرباء، عتاة الأمم، فيجرِّدون سيوفهم على بهجة حكمتك، ويدنسون جمالك، **يُنزلونك إلى الحفرة، فتموت موت القتلى** في قلب البحار. هل تقول قولاً أمام **قاتلك أنا إله، وأنت إنسان لا إله... موت الغُلْف تموت**... لأني أنا تكلمت يقول السيد الرب،... أنت خاتم الكمال ملآنٌ حكمة وكامل الجمال، كنت في عدن جنة الله... أنشأوا فيك صنعةَ صيغةِ الفصوص وترصيعها **يوم خُلِقتَ، أنت الكروب المُنبَسِطُ المُظَلِّل** وأقمتك، على جبل الله المقدس كُنتَ، بين حجارة النار تمشيت. أنت كامل في طرقك **من يومَ خُلِقتَ** حتى **وُجِدَ فيك إثم** ... ملأوا جوفك ظلماً فأخطأت، فأطرحك من

جبل الله وأُبيدك أيها الكروب المظلِّل ... قد ارتفع قلبك لبهجتك، أفسَدتَ حِكمَتك لأجل بهائك، سأطرحك إلى الأرض ... **فأُخرج ناراً من وسطك فتأكلك وأُصيِّرك رماداً على الأرض ... ولا توجد بعد إلى الأبد.»** (حز٢٨: ١–١٩)

كثيرون يقولون إن الكلام هنا عن إبليس، ولكن واضح كل الوضوح أنه يكرر مراراً: **أنت إنسان أنت إنسان!!**

وبنفس الأوصاف يتكلم إشعياء النبي عن هذا الضد لله والمسيح في كلمات بلغت القمة في روعة التعبير الروحي عن كيف ارتفع وكيف سقط:

+ «كيف سقطتِ من السماء يا زهرة بنت الصبح؟ كيف قُطِعْتَ إلى الأرض يا قاهر الأمم؟ وأنت قُلتَ في قلبك: أصعدُ إلى السموات أرفعُ كرسيَّ فوق كواكب الله وأجلس على جبل الاجتماع في أقاصي الشمال، أصعدُ فوق مرتفعات السحاب، **أصيرُ مثل العَليِّ**. لكنك انحدرتَ إلى الهاوية إلى أسافل الجب، الذين يَرَوْنَك يتطلعون إليك، يتأملون فيك: **أهذا هو الرجل الذي زلزل الأرض** وزعزع الممالك؟ الذي جعل العالم كقَفْرٍ وهدم مدنه... فقد طُرِحْتَ من قبرك كغُصْنٍ أشْنَع، كلِباسِ القتلى المضروبين بالسيف.» (إش١٤: ١٢–١٩)

كذلك يصف إشعياء كيف يبيد الله هذا المنافق (الأثيم) بنفخة شفتيه:

+ «يقضي بالعدل للمساكين، ويحكم بالإنصاف لبائسي الأرض، ويضرب الأرض بقضيب فمه، **ويميت المنافق (الأثيم) بنفخة شفتيه.»** (إش١١: ٤)

+ «عندما يأتي العدو كنهر فنفخة الرب تدفعه.» (إش٥٩: ١٩)

ومن هذه النبوات ومما ذُكر في الأناجيل، يتبين لنا أن كل ما قاله بولس الرسول هو امتداد وكصدى لما ذُكِرَ في التقليد بقديمه النبوي وجديده المسيحي.

وقد انتبه الآباء الأوائل إلى أن الأوصاف المذكورة عن الضدّ للمسيح، سواء ما جاء منها في النبوات أو الأناجيل أو رسائل بولس الرسول وخاصة الرسالة الثانية إلى تسالونيكي الأصحاح الثاني، ليست خاصة بالشيطان ولكن بإنسان منحه الشيطان قوته وسلطانه ليضلَّ العالم الضلالة الأخيرة.

وبحسب رسالتَيْ القديس يوحنا الأُولى والثانية، يُفْهم تماماً أن الضد للمسيح تتركز صفاته — أيًا كان هذا «الضد» — في إنكاره لتجسد المسيح وبنوّته للآب، لأن هذا يعني الإنهاء على الخلاص والفداء اللذين أكملهما الله بواسطة المسيح لحساب الإنسان والعالم.

كما نفهم من أقوال المسيح في إنجيليْ القديسَيْن متى ومرقس أن من أهم علامات آخر الزمان قيام مُسحاء كذبة يدَّعون صفة المسيح ورسالته وأعماله ليضلُّوا الناس ـــ وإن أمكن المختارين أيضاً ـــ عن خلاصهم بسبب شدة التزييف وعنف الاضطهاد.

ولكن ينفرد القديس بولس بالتركيز على شخصية واحدة ينعقد عليها لواء كل المسحاء الكذبة وكل الضلالة بل ويتمحور فيها «الأثيم» بصورة تكاد تكون تجسُّدية وكأن الإثم تجسَّد فيه، فيدعوه ليس الأثيم فقط بصيغة التشديد بل و«**إنسان الخطية**»، ويعطيه الصفة التي أعطاها المسيح ليهوذا الذي خان المسيح وسلَّمه للموت!! «**ابن الهلاك**». كذلك يكشف عن أن الشيطان أعطاه ليس فقط قوته وسلطانه في صنع الآيات الكاذبة والمعجزات المضلَّة، بل وأعطاه أيضاً «الخديعة»، «**خديعة الإثم**»، وهي نفس السلاح الذي حارب به آدم وحواء وأسقطهما من مجدهما:

+ «ولكنني أخاف أنه كما **خدعت الحية** حواء بمكرها، هكذا تُفسد أذهانكم عن البساطة التي في المسيح.» (٢كو١١: ٣)

فالضد للمسيح هذا سلَّحه الشيطان بقوة عقلية فائقة على مستوى الحكمة الغاشَّة لإفساد ذهن وإيمان الناس، فوق قوة عمل الآيات والمعجزات الباهرة التي تسلب العقل وتطغي عليه. لذلك فإن هذا الضد للمسيح سيكون وبالاً على العالم، فسلاحه سيكون مناسباً لفلسفة الإنسان غير المتأصلة في المسيح، كما سيكون مناسباً لما بلغه العالم من استخدام القوة الفكرية لاختراع القوى والآلات المبهرة.

وإن كان الفلاسفة والعلماء اللاهوتيون الآن يستصغرون من فكرة الضد للمسيح ويعتبرونها خرافة موروثة، إلَّا أن فكرهم هذا ورأيهم هذا هو أحد المظاهر السرية الفعالة لبداية هدم الإيمان المسيحي الذي يدعوه بولس الرسول: «إن سرَّ الإثم الآن يعمل فقط» (٢تس٢: ٧)، لأن من شأن هذا التعليم الذي يناقض الإنجيل صراحة، أن يُخفي معالم وسائل الهدم التي تعمل الآن من جهة نقد كل التراث الإيماني الذي سُلِّم مرة للقديسين. ومن هذا يحذر بولس الرسول، أي من جهة التعاليم الناقدة المضلَّة التي تلبس ثوب التعقل والحكمة العلمية والدقة اللفظية والتِقْنية الفكرية بقوله:

+ «ولا عجب، لأن الشيطان نفسه يغيِّر شكله إلى شبه ملاك نور؛ فليس عظيماً إن كان خدامه أيضاً يُغيِّرون شكلهم كخُدَّام للبرِّ (الكاذب).» (٢كو١١: ١٤)

وهل ينسى هؤلاء اللاهوتيون ومعهم التاريخ والعالم كله، ما فعله أنطيوخُس إبيفانِس الرابع أو

كاليجولا أو سمعان الساحر أو نيرون، أو أولئك الذين روَّعوا البشرية بطغيانهم وظلمهم الوحشي من أباطرة وملوك ورؤساء، هل ينسى العالم ستالين، أو ينسى هتلر!! أليس هؤلاء جميعاً حملوا لواء «الأنْتي كريست» وسلَّموا الشعلة الحارقة المخرِّبة بعضهم لبعض بانتظار من سيأتي ليجمع كل ما كان عند هؤلاء الطغاة من شذوذ شيطاني وعلو وكبرياء وغطرسة وترفُّع ونقمة.

وعليك، يا قارئي العزيز، أن تتصوَّر إنساناً يجمع في نفسه صفات هؤلاء الجبابرة من فكر وحكمة وقدرة وسلطان وخديعة وجرأة مع إحراز لما انتهى إليه العلم والتكنولوجيا الحديثة من أسرار القوى المدمرة الذرية وأسلحة الفضاء، ماذا سيكون؟!!

ج ـ كيف سيُبْطله الرب؟

+ «وحينئذ سيُسْتعلَن الأثيم، الذي الرب يبيده بنفخة فمه ويُبْطله بظهور مجيئه.» (٢تس٢: ٨)

لقد اقتبسها بولس من إشعياء النبي: «يقضي بالعدل للمساكين، ويحكم بالإنصاف لبائسي الأرض، ويضرب الأرض بقضيب فمه، ويُميت المنافق بنفخة شفتيه.» (إش١١: ٤)

يبيده بنفخة فمه: ἀνελεῖ τῷ πνεύματι

هنا النفخة مأخوذة من (الروح). فهنا يختبىء نوع القوة التي يستخدمها الرب في إبادة «الضدِّ للمسيح»، وهي قوة الروح بالكلمة الخارجة من فمه. فهي تشمل الأمر والتنفيذ معاً!!

ويُبطله: καταργήσει

هذه الكلمة ترجمت بالإنجليزية بمعنى «يفنيه» أو «يحطمه». ولكنها باليونانية تفيد معنى إدخاله في التعتيم، في مَحْق الظلمة، أي يخسفه بمعنى يُفْقِدُه نوره(٥).

وقد جاءت هذه الكلمة «يُبطل» في مقابل الإنارة: «وإنما أُظْهِرت الآن بظهور مخلصنا يسوع المسيح الذي **أبطل** الموت، **وأنار** الحياة والخلود»!! (٢تي١: ١٠)

فهنا إبطال المسيح لإنسان الخطية الأثيم ابن الهلاك هو على نوع من الإبطال أو الخسف أو الكتم، بمعنى أن لا يعود له فاعلية! وهذا يظهر بجلاء عندما ندرك الوسيلة التي سيُبْطِل الرب بها عمله وكيانه ووجوده، فهي ظهوره: «يُبْطله بظهور مجيئه»، بمعنى أنه بظهور النور والحق يختفي حتماً

5. Lightfoot, *op. cit.*, p. 115.

ما كان نوراً مزيَّفاً وحقاً كاذباً. **فظهور الرب** بقدر ما سيكون للمختارين خلاصاً بأقصى عمله ومفهومه ومسح كل دمعة من العيون التي أضناها البكاء، فإنه سيكون للمضلّ هلاكاً سريعاً وللمرفوضين دينونة أخيرة وأبدية حيث البكاء بلا رجاء.

٥ ــ الدينونة الأخيرة:

مع الاستعلان ومجيء المسيح تبدأ الدينونة للأحياء والأموات:

+ «أنا أناشدك إذاً أمام الله والرب يسوع المسيح العتيد أن يدين الأحياء والأموات عند ظهوره وملكوته.» (٢تي٤: ١)

وقوله: «يدين الأحياء والأموات» يعني أنه يدين البشرية برُمَّتها ولا استثناء، ويدخل في ذلك بالضرورة حتى القديسون المنوط بهم هم أن يدينوا ملائكة: «ألستم تعلمون أننا سندين ملائكة» (١كو٦: ٣)، فلا مناص، إذ لا بد أن يدخلوا هم بدورهم في الدينونة ويقفوا أمام كرسي المسيح.

وبالأساس يلزم أن نعرف أن أحكام الدينونة هي أبدية لا استئناف فيها ولا رَجْعَة ولا استثناءات بأي حال: «الدينونة الأبدية» (عب٦: ٢).

أما المختارون فسيكونون «كل حين مع الرب.» (١تس٤: ١٧)

أما الأشرار «سيُعاقَبُون بهلاك أبدي.» (٢تس١: ٩)

وبالرغم من التركيز الذي تميَّز به القديس بولس بخصوص **التبرير بالإيمان** دون أعمال، وبالرغم من أن أعمال الناموس انتهت عند بولس الرسول إلى عدم استحقاق لأي شيء، إلَّا أنه من جهة **الدينونة** يُبرز الأعمال باعتبارها الميزان الذي بمقتضاه تكون المجازاة.

والدينونة عند بولس: **دينونة للذين تحت الناموس، ودينونة للذين بلا ناموس، ودينونة للذين أعْتَقهم الرب من الناموس وحررهم من قضائه!** الكل لهم دينونة، والكل سيقف أمام كرسي المسيح:

أ ــ أما دينونة الذين تحت الناموس: «كل مَنْ أخطأ في الناموس فبالناموس يُدان.» (رو٢: ١٢)

حيث تقوم الدينونة بحسب الناموس على أساس: «لأن ليس الذين يسمعون الناموس هم أبرار عند الله بل الذين **يعملون** بالناموس هم يُبرَّرون.» (رو٢: ١٣)

ب ــ **أما الذين بلا ناموس** فتقوم دينونتهم على أساس: «لأن كل مَنْ أخطأ بدون الناموس، فبدون الناموس يهلك» (رو٢: ١٢)، حيث ستكون أفكارهم وضمائرهم هي التي تقف مشتكية ضدهم ومحتجة في يوم الدينونة (رو٢: ١٥).

ج ــ **أما الذين أعْتَقَهم المسيح من الناموس** وحررهم من قضائه، فقد رفع عنهم قضاء الدينونة تماماً كما رفع عنهم الناموس: «لا شيء من (قضاء) الدينونة الآن على الذين هم في المسيح يسوع»، ولكنه وبالتالي نقل الأعمال الجسدية التي كانت تُبرِّر بحسب الناموس إلى أعمال روحية تبرِّر حسب الروح، فيضيف قائلاً: «السالكين ليس حسب الجسد بل حسب الروح. لأن ناموس روح الحياة في المسيح يسوع قد أعتقني من ناموس الخطية والموت.» (رو٨: ١و٢)

وهكذا سيُدَان جميع الناس سواء الذين كانوا تحت الناموس أو الذين بلا ناموس أو الذين أُعتقوا من الناموس وتحرروا من قضائه ــ وذلك بمقتضى **قانون الأعمال** كالآتي:

أ ــ الذين **تحت الناموس** تُطْلب منهم الأعمال الصالحة التي ينص عليها الناموس.

ب ــ الذين **بلا ناموس** تُطلب منهم الأعمال الصالحة بمقتضى الضمير والفكر.

ج ــ الذين **أعتقهم المسيح** من الناموس تُطلَب منهم الأعمال الصالحة بحسب الروح، وهكذا يُدان الجميع بحسب الأعمال:

+ «**الذي سيجازي كل واحد حسب أعماله،** أما الذين بصبر في **العمل الصالح** يطلبون المجد والكرامة والبقاء، فبالحياة الأبدية. وأما الذين هم من أهل التحزب ولا يطاوعون للحق بل يطاوعون للإثم، فسخط وغضب؛ شدة وضيق على كل نفس إنسانٍ يفعل الشر اليهودي أولاً ثم اليوناني، ومجد وكرامة وسلام لكل من **يفعل الصلاح** اليهودي أولاً ثم اليوناني، لأن ليس عند الله محاباة!!» (رو٢: ٦ــ١١)

وهذه أسماها بولس الرسول: «دينونة الله العادلة.» (رو٢: ٥)

وبهذا يتضح تماماً قانون بولس الرسول بالنسبة للدينونة بحسب الأعمال على الجميع، ولسنا مع العلماء الذين قسّموا لاهوت بولس الرسول فيما قبل رسالة رومية بحسب الأعمال وفيما بعد الرسالة بحسب الإيمان، وكأنه يغيِّر رأيه ويصححه من رسالة لرسالة ــ هذا نعتبره للأسف شططاً فكرياً عند هؤلاء العلماء العظام الذين لهم وزنهم العالمي، سواء ليدزمان أو هـ. براون أو ريدربوص(٦).

6. Ridderbos, *Paul, An Outline of His Theology,* p. 178.

فالدينونة عامة، وهي بحسب الأعمال، مهما كان الإنسان؛ ولكن هذا يُطلَبُ منه العمل بحسب الناموس الذي يدين به، وهذا بحسب الضمير إذ ليس له ناموس، وهذا بحسب المسيح إذ صار تحت ناموس النعمة والروح.

وبولس الرسول يضع الوقوف بالنسبة لكل إنسان أمام المسيح الديّان كحتمية لا استثناء منها قط، مهما كان إيمانه، ومهما كانت النعمة العاملة فيه، ومهما بلغت روحياته من القوة والنقاوة:

+ «لأنه لا بد أننا جميعاً نُظْهَر أمام كرسي المسيح، لينال كل واحد ما كان بالجسد بحسب ما صنع خيراً كان أم شرًّا.» (٢كو٥: ١٠)

وبولس الرسول يكرر هذا المعيار الحتمي للدينونة في مواضع كثيرة:

+ «لأننا جميعاً سوف نقف أمام كرسي المسيح.» (رو١٤: ١٠)

+ «عالمين أن مهما عمل كل واحد من الخير، فذلك يناله من الرب، عبداً كان أم حُرًّا.» (أف٦: ٨)

+ «وكل ما فعلتم، فاعملوا من القلب كما للرب ليس للناس، عالمين أنكم من الرب ستأخذون جزاء الميراث، لأنكم تخدمون الرب المسيح. وأما الظالم فسينال ما ظَلَم به، وليس محاباة.» (كو٣: ٢٤و٢٥)

هنا ينبغي أن نفرق بين **الدينونة بحسب الأعمال** كقانون حتمي، وبين **التبرير بالإيمان** بالمسيح.

لأن بدون الإيمان بالمسيح، فالدينونة ستكون بمقتضى الناموس أو بمقتضى الضمير والأفكار. وواضح أن أعمال الناموس، ثَبَتَ أنه بالرغم من أن الذي يعمل بها يحيا بها وينال برَّ الناموس (وليس برَّ الله)، إلاَّ أنه لم يستطع أحد قط أن يعمل بالناموس وبالتالي يتبرر به، لأن الذي يخطىء في واحدة من وصايا الناموس يُعتبر أنه أخطأ في كل الوصايا. من هنا أُغلق على الجميع في العصيان (رو١١: ٣٢)، ولم يتبرر أحد بأعمال الناموس (رو٣: ٢٠).

إذاً، بالناموس لا يتبرر أحد أمام الله؛ بل يُدانُ على أنه أخطأ للناموس من جهة كل أعماله. لهذا، ولهذا فقط، جاء المسيح ليبرِّر بدون الناموس، يبرِّر بالإيمان، حيث البرُّ هنا هو برُّ الله المُعْطَى للإنسان مجاناً بالإيمان بالمسيح لأنه بارٌّ، والبارُّ يبرِّر كل من يؤمن به.

هكذا يقف الإيمان بالمسيح في يوم الدينونة ليرفع عنا كل الدينونة بحسب أعمال الناموس، ويَهَبنا برَّ الله بحسب الإيمان بالمسيح (على أساس الفداء الذي صنعه). إذاً، ففي الدينونة العتيدة

يقف الذي آمن بالمسيح لينال أولاً جزاء ما عمل من الصلاح بحسب الروح، لأن الإيمان بالمسيح له عمل خاص ليس كعمل الناموس في شيء:

+ «فإننا بالروح من الإيمان نتوقع رجاء برٍّ، لأنه في المسيح يسوع لا الختان ينفع شيئاً ولا الغُرْلة (تضرُّني في شيء)، بل **الإيمان العامل بالمحبة**.» (غل ٥: ٥و٦)

+ «متذكرين بلا انقطاع **عمل إيمانكم، وتعب محبتكم، وصبر رجائكم** ربنا يسوع المسيح أمام الله وأبينا.» (١تس ١: ٣)

على أن **عمل الإيمان في المسيح** يعلو في مفهومه وعمقه وهدفه كثيراً وكثيراً جداً عن أي عمل للناموس، فهو يشمل احتمال التألُّم والظلم والضيق، هذه التي تُحسَبُ أعمالاً مؤهِّلة مباشرة لملكوت الله!!

+ «لأن إيمانكم ينمو كثيراً، ومحبة كل واحد منكم جميعاً بعضكم لبعض تزداد...، وإيمانكم في جميع اضطهاداتكم والضيقات التي تحتملونها بيِّنة على قضاء الله العادل (الدينونة) أنكم تؤهَّلون لملكوت الله الذي لأجله تتألَّمون أيضاً.» (٢تس ١: ٣-٥)

هكذا نرى أن أعمال الإيمان بالمسيح تبرِّر وتؤهِّل لملكوت الله.

في حين أن أعمال الناموس عاجزة عن أن تبرِّر وبالتالي لا تؤهل لملكوت الله.

أما بدون الإيمان بالمسيح وبدون الناموس، فأعمال الخطية تتقدم الخطاة للعقاب.

الإيمان والأعمال في الدينونة الأخيرة:

على أنه يتحتم علينا أن نفرق مرة أخرى بين **الدينونة العتيدة والتبرير** بالنسبة **للإيمان والأعمال**.

فالإيمان بالمسيح إذا دخل الدينونة يطالب بالأعمال الخاصة به: محبة، صبر، احتمال، بذل، شكر، اتضاع، التي بدونها لا يمكن أن يُحسَب الإيمان بالمسيح إيماناً أصلاً.

ولكن الإيمان بالمسيح إذا وقف أمام تبرير الله، أي استعداد الله لإعطاء برِّه الخاص، فإن الإيمان بالمسيح يختطفه خطفاً ويستحوذ عليه استحواذاً: «ملكوت السموات يُغْتصبُ والغاصبون يختطفونه.» (مت ١١: ١٢)

فالذي لا يعمل يُدان، هذه حقيقة مطلقة!

ولكن «الذي لا يعمل ولكن يؤمن (بالمسيح) بالذي يبرِّر الفاجر فإيمانه يُحْسَبُ له برًّا.» (رو ٤: ٥)

لماذا؟

لأن العمل هو **عمل الإنسان**، وكل مَنْ يعمل يحاسب بمقتضى عمله ونيته وضميره وأفكاره، **هذا عدل.**

ولكن **الإيمان** هو **عمل الله** وكل مَنْ وُهِبَ له أن يعمل عمل الله يتأهل حتماً لبرِّ الله!!

«**هذا هو عمل الله أن تؤمنوا** بالذي هو أرسله.» (يو٦: ٢٩)

وهذا نعمة!!

فصل المختارين عن المرفوضين ونصيب كل منهما في الدينونة:

يقدم لنا بولس الرسول في رسالته الثانية إلى تسالونيكي صورة لما ستكون عليه الدينونة بالنسبة للمختارين إزاء المرفوضين:

\+ «... من أجل صبركم وإيمانكم في جميع اضطهاداتكم والضيقات التي تحتملونها،

(أ) بيِّنة على قضاء الله العادل أنكم تؤهَّلون لملكوت الله الذي لأجله تتألمون أيضاً،

إذ هو عادل عند الله أن الذين يضايقونكم **يجازيهم ضيقاً**،

(ب) وإياكم الذين تتضايقون راحة معنا عند استعلان الرب يسوع من السماء مع ملائكة قوته في نار لهيب،

(ج) مُعطياً نقمة للذين لا يعرفون الله والذين لا يطيعون إنجيل ربنا يسوع المسيح،

(د) الذين سيعاقَبُون بهلاك أبدي من وجه الرب ومن مجد قوته،

(هـ) متى جاء ليتمجد في قديسيه.» (٢تس١: ٤ــ١٠)

ولكن بولس الرسول في هذه المنظومة المُحْكَمة إنما يطابق التقليد النبوي.

أ ــ ففي سفر الحكمة ليشوع بن سيراخ يعطي المطابقة من جهة المجازاة:

\+ « لأن الرب هو القاضي وليس عنده محاباة الوجوه

يسمع **تضرُّع المظلوم** ولا يغفل عن **طِلْبَة اليتيم والأرملة**،

يحكم الصديقين ويصنع قضاءً،

الرب لا يُمْهِل، ولا يصبر عليهم، حتى يقصم ظهر عديمي الرحمة،

حتى يمحو القوم الشاتمين ويحطم عصى الظالمين

حتى يجازي كل واحد حسب أعماله وأفعال الناس وافتكاراتهم،

حتى يقضي قضاء شعبه ويفرح برحمته.» (يشوع بن سيراخ ٣٢: ١٢ــ١٩)

كذلك نجد في إشعياء النبي نفس المطابقة:

+ «لأن للرب يوم انتقام، سنة جزاء من أجل دعوى صهيون.» (إش٣٤:٨)
+ «قولوا لخائفي القلوب تشددوا لا تخافوا هوذا إلهكم، **الانتقام يأتي جزاء الله، هو يأتي ويخلِّصكم.**» (إش٣٥:٤)

كذلك إرميا النبي:

+ «لأن الرب إله مجازاة يكافىء مكافأة.» (إر٥١:٥٦)

ب ـ مجيء الرب مع ملائكته بلهيب نار:

+ «وظهر له ملاك الرب بلهيب نار من وسط عليقة.» (خر٣:٢)
+ «وكان جبل سيناء كله يدخن من أجل أن الرب نزل عليه بالنار.» (خر١٩:١٨)
+ «والجبل يضطرم بالنار إلى كبد السماء بظلام وسحاب وضباب، فكلَّمكم الرب من وسط النار.» (تث٤: ١١و١٢)
+ «من قِبَل رب الجنود تُفتَقد برعد وزلزلة وصوت عظيم، بزوبعة وعاصف ولهيب نار آكلة.» (إش٢٩:٦)
+ «لأنه هوذا الرب بالنار يأتي ومركباته كزوبعة، ليردَّ بحموٍ غَضَبهُ وزَجْرهُ بلهيب نار، لأن الرب بالنار يعاقب ...» (إش٦٦: ١٥و١٦)
+ «كنت أرى أنه وضعت عروش وجلس القديم الأيام. لباسه أبيض كالثلج وشعر رأسه كالصوف النقي وعرشه لهيب نار وبكراته نار متقدة.» (دا٧:٩)

ج ـ النقمة على الذين لا يعرفون الله:

+ «صوت ضجيج من المدينة، صوت من الهيكل صوت الرب مجازياً أعداءه.» (إش٦٦:٦)

د ـ العقاب بالهلاك الأبدي من وجه الرب:

+ «أولئك الأردياء يُهْلكهم هلاكاً رديًّا.» (مت٢١:٤١)
+ «رُدَّ لهم جزاءً يا رب حسب عمل أياديهم ... اتبع بالغضب وأهلكهم من تحت سموات الرب.» (مرا٣: ٦٤و٦٦)

هـ ـ متى جاء ليتمجد في قديسيه:

+ «وقال لي أنت عبدي إسرائيل الذي به أتمجد.» (إش٤٩:٣)
+ «فأتعظم وأتقدَّس وأُعْرَفُ في عيون أمم كثيرة، فيعلمون أني أنا الرب.» (حز٣٨:٢٣)

وهكذا نجد أن صورة الدينونة عند بولس الرسول تأتي مطابقة لأعمال الله في القديم، ولرؤى الأنبياء التي تنبأوا بها، إنما بتركيز وإيضاح يُفهم منه أن الله إنما سيُعيد بالدينونة حقوق المظلومين والمضطهدين التي فقدوها تحت سحق المتسلطين الأشرار الذين سيُكالُ لهم بالكيل الذي كالوا به. لذلك فيوم الدينونة هو للأشرار «يوم غضب». وإن الملكوت إنما يورَّث بدون استحقاق من طرفنا، لأن حتى الأعمال الصالحة الله هو الذي سبق فأعدّها لكي نسلك فيها (أف ٢: ١٠). أما حالة الأبرار في الدينونة فيصفها بولس الرسول: «**راحة**» و«**مجد**» و«**تأهيل للملكوت الله**» و«**حياة في حضرة الله**»، في مقابل الأشرار: «**ضيقاً**»، «**نقمة**»، و«**الحرمان من وجه الرب ومن مجد قوته**» الذي هو بعينه «**الهلاك الأبدي**».

وفي موضع آخر يصف بولس الرسول ما أعدّه الله لمختاريه، وهنا عجز فكره وفمه وقلمه عن أن يعبِّر عما رآه وعاينه وسمعه لأن حياة الخلود لا يحتملها فكر الإنسان مهما اتسع خياله وسما بيانه وارتقى إدراكه. شيء واحد وَثِقَ منه بولس: أن لا شيء بمستطيع أن يفصلنا عن محبة الله التي في المسيح يسوع (رو ٨: ٣٩)، وأننا سنراه في مجده (٢تس ١: ١٠)، ونكون معه كل حين (١تس ٤: ١٧).

الفصل الخامس

الدهر الذي يتبع مجيء المسيح

أ ـــ ملكوت الله والمسيح

ثلاث نظرات للملكوت عند بولس الرسول، وكل نظرة منها لها عمقها واتساعها، ولكن لم يحاول أن يجمع بين هذه النظرات في منهج واحد، لأنه كان يعيش كلًّا منها ويستمتع بها:

١ ـــ الملكوت الآتي والمجد الأبدي:

+ «أم لستم تعلمون أن الظالمين لا يرثون ملكوت الله؟ لا تضلُّوا.» (١ كو٦: ٩)
+ «... أنه بضيقات كثيرة ينبغي أن ندخل ملكوت الله.» (أع١٤: ٢٢)
+ «فأقول هذا أيها الإخوة إن لحماً ودماً لا يقدران أن يرثا ملكوت الله ولا يرث الفساد عدم الفساد.» (١ كو١٥: ٥٠)
+ «فإنكم تعلمون هذا أن كل زانٍ أو نجسٍ أو طمَّاع، الذي هو عابد للأوثان، ليس له ميراث في ملكوت المسيح والله.» (أف٥: ٥)
+ «من أجل صبركم وإيمانكم في جميع اضطهاداتكم ... بيِّنة على قضاء الله العادل أنكم تؤهَّلون لملكوت الله ...» (٢تس١: ٤و٥)
+ «أنا أناشدك إذاً أمام الله والرب يسوع المسيح العتيد أن يدين الأحياء والأموات عند ظهوره وملكوته.» (٢تي٤: ١)
+ «وسينقذني الرب من كل عمل رديء، ويخلِّصني لملكوته السماوي الذي له المجد إلى دهر الدهور آمين.» (٢تي٤: ١٨)

٢ ـــ الملكوت باعتباره هو الكنيسة (في الأرض أو السماء):

+ «وبعد ذلك النهاية متى سلَّم المُلكَ لله الآب ...» (١ كو١٥: ٢٤)، (أي سلَّم كنيسة المقدَّسين).

+ «شاكرين الآب الذي أهّلنا لشركة **ميراث القديسين في النور،** الذي أنقذنا من سلطان الظلمة، ونقلنا إلى **ملكوت ابن محبته.**» (كو١: ١٢و١٣)

+ «... ويسوع المدعو يسطس الذين هم من الختان، هؤلاء هم وحدهم **العاملون معي لملكوت الله** الذين صاروا لي تسلية.» (كو٤: ١١)

+ «ونُشهدكم لكي **تسلكوا كما يحق لله** الذي **دعاكم إلى ملكوته ومجده.**» (١تس٢: ١٢)

+ «والآن ها أنا أعلم أنكم لا ترون وجهي أيضاً أنتم جميعاً الذين مررتُ بينكم **كارزاً بملكوت الله.**» (أع٢٠: ٢٥)

واضح في هذه الآيات أن ملكوت الله الذي أُعطي لنا على الأرض أن نراه ونعيشه هو من داخل الكنيسة أو هو مُسْتَعْلَنٌ لنا في الكنيسة، ونقصد الكنيسة بمفهومها الاستعلاني: المسيح رأس، والقديسون أعضاء، والجسد يملأ السماء والأرض.

٣ ــ ملكوت الله باعتباره أنه هو روح المسيحية وروح الإنجيل:

+ «لأن ليس ملكوت الله أكلاً وشرباً، بل هو بر وسلام وفرح في الروح القدس.» (رو١٤: ١٧)

+ «لأن ملكوت الله ليس بكلام بل بقوة.» (١كو٤: ٢٠)

١ ــ فإذا راجعنا الآيات السابقة نجد أن اهتمام بولس الرسول يتركز أكثر في مفهوم الملكوت الآتي، فكلُّ أمله ورجائه في الحياة الحاضرة أن ينقذه الرب من كل عمل رديء **ويخلّصه لملكوته السماوي.** هذا ما يختص بنفسه، أما فيما للآخرين فكل تعاليمه تقوم على أساس السلوك والأخلاق التي تتناسب مع ملكوت الله الذي إليه دُعينا، وأن نتحاشى الخطايا والعيوب التي تحرم الذين ينغمسون فيها من دخول ملكوت الله. فملكوت الله هو الهدف الأول والأعظم الذي تُوزَنُ الأعمال بمقتضاه.

كذلك، فإن الإيمان بالقيامة مربوط ربطاً شديداً بملكوت الله سواء في الحاضر أو الآتي. فالقيامة هي التمهيد والباب المفتوح على الملكوت، ولولا القيامة ما كان للملكوت الله معنى، ولولا الملكوت كفاية ما كان للقيامة بجسد آخر غير فاسد ضرورة.

كذلك لولا الملكوت الموضوع لنا في الزمن الآخر، أي بعد هذه الحياة، ما كان للآلام التي نعانيها والضيقات التي نجوزها في هذه الحياة معنى، بل لولا الملكوت الذي ننتظره مع المسيح وأن نوجَد معه، لكُنَّا أشقى جميع الناس بسبب شدة ما نعانيه من أجل المسيح في هذا العالم.

٢ ــ كذلك لو تأملنا في تعاليم بولس الرسول من جهة القيامة من الأموات، كيف أننا أُعطينا أن نجوزها بالسر الإلهي مع المسيح عندما نجوز الآلام والموت معه، لوضح أمامنا أننا مدعوون من الآن أن نمارس حقنا في ملكوت الله باعتبارنا قد قمنا مع المسيح، ولبسنا المسيح، ونلنا خليقة جديدة مقدسة، ومبرَّرة بدم المسيح وبروح إلهنا. فملكوت الله الذي نعايشه الآن هو بعينه الكنيسة. واستعلان القيامة في الحاضر الزمني إنما يتم من داخل الكنيسة، حيث ننال روح القيامة، وطعام عدم الموت. وعمل المسيح الآن مقصور على رعاية الكنيسة التي يملك عليها، فهي ملكوته الزمني الذي حينما يكمل استعلانه فيها يسلِّمها برُمَّتها مع التي في السماء لله الآب.

وبولس الرسول يرى نفسه وكل المؤمنين أنهم كانوا تحت سلطان ظلمة العالم ومُلْكِه الفاسد. والله بمقتضى رحمته الكثيرة ومحبته الأزلية نقلنا من سلطان الظلمة إلى ملكوت ابن محبته في وضعه الزمني الآن، أي الكنيسة، تمهيداً للآتي عند استعلان ملكوته الأبدي!

والآن نحن نسعى ونعمل ونجاهد لنمو الكنيسة، لتكميل ملكوت المسيح على الأرض، حتى يأتي المسيح. ولكن السعي والجهاد من أجل الكنيسة إنما يكون بمقتضى قانون الملكوت عينه. فالذي يجاهد لا يُكلَّل إن لم يجاهد قانونياً، أي بحسب ما ورثته الكنيسة ــ كملكوت المسيح ــ من وصايا مَلِكها المسيح، وكل كرازة الكنيسة هي بعينها كرازة بملكوت المسيح، وكرازة الملكوت هي كرازة الكنيسة.

٣ ــ وبولس الرسول يرى أن حياة المسيحي محكومة بطابع الملكوت. فسيرتنا الآن التي نخُطُّها بأعمالنا وأقوالنا إنما هي مكتوبة في السموات. فنحن لا نعيش من أجل الجسد، ولكن الجسد يعيش من أجل الروح. فيلزم أن يكون طابع الحياة طابعاً ملكوتياً؛ فرح وسلام في الروح القدس.

وكما أن التلاميذ لم يُسمح لهم بالكرازة بالملكوت إلاَّ بعد أن نالوا قوة من الأعالي، كذلك يتحتم أن خدمة الإنجيل، الذي هو بعينه روح القيامة والملكوت الذي نعيشه، تكون بقوة الروح لا بكثرة الكلام.

ويلزمنا أن ننتبه بخصوص الحديث عن الملكوت الذي هو عند بولس الرسول: «الفاسيليا» βασιλεία، كيف كان بولس في الحديث عنه حذراً أشد الحذر، لأن كلمة «الملكوت» هي باليونانية «المملكة»، وهي نفس الكلمة التي تُطلق على المملكة الرومانية، مما يثير الحديث عنها فكر الدولة الرومانية كأن هناك دعاية لمملكة أخرى معادية، خاصة وأن **الملك** الذي هو «قيصر» في الاعتبار الحكومي والديني معاً هو **إله أي الله!!** لذلك كان بولس الرسول يطرح دائماً وبإصرار

التعبير عن ملكوت الله بعيداً عن الزمن، أي في الزمن الآخر أو الأُخروي، فهو عملية تأمين للكرازة لإبعاد الشُبهات. ولكن كان في صميم روح بولس الرسول وإيمانه أنه يعيش في ملكوت الله الذي إليه دُعِيَ، ومن أجله يُضطهد، بل ومستعد أن يموت أيضاً، وإن مات فسيحيا له أكثر.

ب ــ نهاية كل شيء

+ « ... لأنه كما في آدم يموت الجميع، هكذا في المسيح سيُحيا الجميع. ولكن كل واحد في رتبته. المسيح باكورة ثم الذين للمسيح في مجيئه **وبعد ذلك النهاية:**

متى سَلَّم المُلْكَ لله الآب،

متى أبطل كل رياسة وكل سلطان وكل قوة،

لأنه يجب أن يملك حتى يضع جميع الأعداء تحت قدميه.

آخر عدوٍّ يُبْطَلُ هو الموت!

لأنه أخضع كل شيء تحت قدميه، ولكن حينما يقول إن كل شيء قد أُخضِع، فواضح أنه غير (المسيح) الذي أخضع له الكل،

ومتى أُخضِع له الكل فحينئذ الابن نفسه أيضاً سيخضع للذي أخضع له الكل،

كي يكون الله الكل في الكل.» (١ كو١٥: ٢٢ــ٢٨)

واضح أن الله أرسل ابنه إلى العالم ليؤسس ملكوته على الأرض، فحينما تُكمَّل مملكة المسيح والله على الأرض يأتي المسيح ويرفعها إلى مستواها السماوي ويسلِّمها لله الآب، إذ تكون مهمة الابن في التأسيس قد انتهت، ولكن بعد أن يسلِّمها للآب يبقى الابن مع الآب كما كان المدبِّر والمنفِّذ لكل مشيئة الآب يحكم مع الآب إلى الأبد، ويبقى الآب والابن معاً، الله، الكلَّ في كل ما خلق وكل الوجود. من هذا كان استعلان مجيء المسيح «البارُوسيا» هو نفسه استعلان كمال ملكوت الله وبالتالي بلوغ نهاية كل شيء.

نهاية العالم الحاضر:

حينما يقرن بولس الرسول القيامة الأخيرة للمسيح والذين للمسيح بالنهاية، لا يقصد أنها نهاية عمليات القيامة، ولكن يقصد أنه عندما تكمل خطة الخلاص برُمَّتها ويقوم ويحيا جميع الذين ماتوا، سواء في الإيمان أو على رجاء القيامة، تكون مهمة المسيح قد انتهت على الأرض وبالتالي يكون العالم قد بلغ نهايته ونهاية كل شيء فيه؛ لكي يبدأ عالم الله بالإنسان الجديد بسمائه الجديدة غير

المادية وأرضه الجديدة غير المادية!! وهذا من روح الإنجيل وكلمات الرب يسوع: «ويُكرَزُ ببشارة الملكوت هذه في كل المسكونة شهادة لجميع الأمم، ثم يأتي المنتهى!!» (مت ٢٤: ١٤)

وبولس الرسول يضع علامةً لبدء هذه النهاية بفعلين عظيمين يتممهما المسيح:

أولاً: «متى سَلَّم الملك لله الآب» كما يسلِّم المثيل للمثيل، لتُستعلَن فيهما الوحدة القائمة بينهما.

ثانياً: «متى أبطل كل رياسة وكل سلطان وكل قوة»، بمعنى أن تبلغ كل سالبية توقُّفها وزوالها. ويستظهر المسيح على كل مخلوق وكل سلطة وكل قوة لتُستعلَن سيادته على خلائق الله.

وعليه، فإنه بمجرد تسليم المُلْك لله الآب وتَوقُّف الصراع ضد السالبية، ينتهي العالم بالضرورة. لأن العالم هو في حقيقته أرض معركة بين الحق والباطل، النور والظلمة، الخير والشر، الموجب والسالب؛ فبتوقف الصراع بانهزام الباطل والظلمة والشر والسالبية، يتوقف فِعْل العالم واسمه. وهكذا يُستظْهر ملكوت المسيح على الأرض ويبلغ نضجه النهائي ويُعدُّ للتسليم النهائي بالظَّفَر للآب.

إبطال كل رياسة وكل سلطان وكل قوة(١) ... حتى يضع أعداءه تحت قدميه:

«إبطال»: καταργεῖν سبق أن شرحنا هذه الكلمة صفحة ٦٠٥، وهي هنا تعني يُخْدِر الشيء إلى لا شيء ويُعْدِمه قوته وفاعليته وقيمته، يَمْحَقه ويخسفه كما يُخْسَفُ النور الكاذب ويصير إلى ظلمة.

والسؤال: مَنْ هؤلاء الأعداء؟

هم قوات سمائية أو أرضية. ولكن هل تعمل في الخارج أم في الداخل وما هو نوع عداوتها؟

الإجابة سهلة ومختصرة، فهي كل قوة مشخَّصة أو غير مشخصة، سمائية أو أرضية، تعمل لتعويق تكميل عمل الله لخلاص الإنسان وإتمام مقاصده الأزلية لاستعلان ملكوته على الأرض وفي السماء.

وعلينا أن ننتبه أن بولس الرسول أدخل الموت θάνατος بحد ذاته كقوة معادية «آخر عدو

---

(١) ولينتبه القارىء أن الرياسات والسلاطين والقوات منها الملائكي المقدس ومنها الساقط أعوان الشيطان.

St. Augustine, On the Trinity 1:8

يبطل هو الموت». هنا يتجاوز بولس الرسول شخص الشيطان و يركّز على الموت، فهو العدو الفعلي للإنسان الذي صارعه منذ خروجه من لَدُن الله، وصرعه وأرْدَاه إلى التراب الذي أُخذ منه. وهذه هي أقسى عملية تجريد للإنسان من أعزّ وأعظم ما أعطاه الله وهي «الحياة». فإذا رُفع الموت من طبيعة الإنسان، استطاع الإنسان أن يدوس الشيطان تحت قدميه، فالإنسان بدون الموت أقوى من الشيطان ألف ألف مرة.

أما كيف يسقط الشيطان تحت قدمي المسيح إلى الأبد بل وتحت أقدام كل الذين آمنوا بالمسيح، فهو بأن يجرِّد المسيح الشيطان من سلطان الموت. كيف؟ ذلك بأن يَهَب الحياة الأبدية بلا رجعة وإلى الأبد لكل الذين آمنوا به. هكذا يبطل كل عدو، و يبطل الشيطان، وتبطل الخطية، ويبطل الموت أول وآخر عدو، ليحيا الإنسان إلى الأبد!

الجزء الثالث

رحلات بولس الرسول التبشيرية

وظروف كتابة رسائله

تمهيد

ما أن مدَّ هيرودس (أغريباس الأول) يده على الكنيسة التي في أورشليم وقتل يعقوب الرسول أخا يوحنا، وسجن بطرس الرسول وأعدّه للقتل تمادياً في إرضاء اليهود، حتى باغته ملاك الموت بضربة قاضية وهو لابس الحُلّة الملكية جالساً يخاطب الشعب (أع١٢: ٢٣). هذا كان في سنة ٤٤م حسب تحقيق العلماء(١).

وحالاً تحركت السماء لتقوية أركان الكنيسة التي بدأت تتزعزع، ففي هذه السنة (٤٤م) أتت لكل من بطرس وشاول المدعو بولس رسالة عاجلة من السماء، الأول ليخرج عن دائرة يهوديته ويذهب إلى قيصرية ليبشِّر الأمم في شخص كرنيليوس وهو ضابط أممي برتبة كبيرة، وكان أول مَنْ آمن واعتمد من الأمم. والثاني وهو شاول المدعو بولس وكان قد صعد إلى أورشليم مرة أولى سنة ٣٨م لينضم إلى الرسل (ثلاث سنوات بالحساب اليهودي بعد قبوله الإيمان) (غل١: ١٨)، ثم انطلق إلى إقليم سوريا وكيليكية (طرسوس وما حولها)، ثم في هذه السنة بالذات سنة ٤٤م(٢) صعد مرة ثانية إلى أورشليم حيث حضر ظروف قتل يعقوب وسجن بطرس وإيمان كرنيليوس (أع١١: ٣٠ و١٢: ٢٥). ولما رجع إلى أنطاكية في نفس السنة (٤٤م) نال رسالة خاصة من الروح القدس ليكرز بالإيمان بعيداً: «قال الروح القدس أفرزوا لي برنابا وشاول للعمل الذي دعوتهما إليه» (أع١٣: ٢). وللوقت بدأ رحلته التبشيرية الأُولى.

سنتان في عمر الكنيسة تنحصر بينهما أجلُّ الأعمال التي عُملت لبناء كنيسة المسيح في العالم:

سنة ٤٤م يوم أن بُشِّر العالم بميلاد كرنيليوس كباكورة الأمم على يد بطرس الرسول، وفي

1. Conybeare, *op. cit.*, p. 93, n.1.

(٢) يحقق بعض العلماء أن ظهور الرب لبولس الرسول حدث في سنة ٣٧م، وآخرون أنه قبل ذلك. وتحديد هذا التاريخ بالنسبة لسنة ٤٤م (وهي تكاد تكون متفقاً عليها) يتوقف على المدة التي قضاها بولس الرسول يبشر طرسوس أو سوريا وكيليكية. ولكن الذي يمكن الجزم به أن بولس تغير قبل سنة ٤٤م بمدة أكثر من ثلاث سنوات حتماً.

نفس السنة زيارة بولس الرسول لأُورشليم وبدء رحلاته التبشيرية.

وسنة ٦٠م(٣) يوم زجَّ فيلكس الوالي ـ قبل تركه اليهودية ـ بولس في السجن (أع٢٤:٢٧)، استعداداً لتقديمه لمحكمة روما بناءً على طلبه حتى يتخلص من مؤامرة اليهود وهؤلاء الولاة المرتشين الجبناء. وهكذا انتقل بولس من سجن إلى سجن إلى أن انتهى إلى حدِّ السيف.

وهكذا حينما تقابل القديس بولس مع القديس بطرس في أورشليم، كان لدى بطرس خبرة مؤسسة على دعوة سمائية لتبشير الأمم، ولدى بولس دعوة رسمية من المسيح من السماء للانطلاق بعيداً عن أورشليم لخدمة الخلاص لشعوب الأرض (أع٢٢:٢١). وشدَّد كلٌّ منهما الآخر في أخطر عمل انبثق من العمق اليهودي التقليدي نحو خدمة المسيحية في العالم.

خدمة بولس الرسول قبل أن يبدأ رحلاته التبشيرية

بولس الرسول في أنطاكية:

أنطاكية قَبِلَت الإيمان بالمسيح على أيدي اليونانيين اليهود زملاء إستفانوس الشهيد ومريديه الذين تشتتوا من أورشليم بسبب الضيق العظيم الذي أثاره شاول واليهود ضد الكنيسة الفتية من متنصِّري اليهود اليونانيين. فبلغت البشارة أنطاكية وقبرس والقيروان في شمال أفريقيا أيضاً:

«أما الذين تشتتوا من جرَّاء الضيق الذي حصل بسبب إستفانوس فاجتازوا إلى فينيقية (لبنان) وقبرس وأنطاكية وهم لا يكلمون أحداً بالكلمة إلاَّ اليهود فقط. ولكن كان منهم قوم وهم رجال قبرسيون وقيروانيون الذين لما دخلوا أنطاكية كانوا يخاطبون اليونانيين (الأمم) مبشرين بالرب يسوع. وكانت يد الرب معهم فآمن عدد كثير ورجعوا إلى الرب.» (أع١١: ١٩ـ٢١)

«فسُمع الخبر عنهم (أنطاكية) في آذان الكنيسة التي في أورشليم (بطرس ويعقوب ويوحنا وباقي التلاميذ)، فأرسلوا برنابا(٤) لكي يجتاز إلى أنطاكية (ليرعى كنيسة اليونانيين المتنصِّرين) الذي لما أتى ورأى نعمة الله فرح ووعظ الجميع أن يثبتوا في الرب بعزم القلب. لأنه كان رجلاً صالحاً وممتلئاً من الروح القدس والإيمان.» (أع١١: ٢٢ـ٢٤)

---

3. Conybeare, *op. cit.*, p. 93, n.2.

(٤) أرسل الرسل برنابا بالذات، لأن معظم المتنصِّرين في أنطاكية كانوا من جزيرة قبرس، وكان برنابا مواطناً قبرسياً، فكان أكثر لياقة من غيره ليكرز بالمسيح لمواطنيه. وبرنابا كان من سبط لاوي.

أما بولس الرسول فبعد فترة وجيزة من وجوده في دمشق، انطلق إلى طرسوس ومكث يكرز هناك. فلما وجد برنابا أن العمل في أنطاكية فوق طاقته: «خرج برنابا إلى طرسوس ليطلب شاول ولما وجده جاء به إلى أنطاكية. فحدث أنهما اجتمعا في الكنيسة سنة كاملة وعلّما جمعاً غفيراً ودُعي التلاميذ **مسيحيين** في أنطاكية أولاً» (أع١١: ٢٥و٢٦). وهكذا دخلت هذه التسمية إلى العالم لأول مرة. وبذلك اجتمع في أنطاكية جماعة مبشرين على أعلى ما يمكن من الحماس والغيرة على الكرازة: «وكان في أنطاكية في الكنيسة هناك أنبياء ومعلّمون برنابا وسمعان الذي يدعى نيجَر ولوكيوس القيرواني ومنَاين الذي تربّى مع هيرودس رئيس الربع وشاول.» (أع١٣:١)

بولس الرسول في أورشليم سنة ٤٤م:

أما حصر التاريخ الذي كان فيه بولس الرسول يخدم في أنطاكية فقد تحدد بذكر المجاعة التي جاءت على اليهودية:

«وفي تلك الأيام انحدر أنبياء من أورشليم إلى أنطاكية. وقام واحد منهم اسمه أغابوس وأشار بالروح أن جوعاً عظيماً كان عتيداً أن يصير على جميع المسكونة، الذي صار أيضاً في أيام كلوديوس قيصر. فحتّم التلاميذ حسبما تيسّر لكل منهم أن يرسل كل واحد شيئاً خدمة إلى الإخوة الساكنين في اليهودية (أكثر المناطق التي تضررت من جراء المجاعة). ففعلوا ذلك مُرْسِلين إلى المشايخ بيد برنابا وشاول.» (أع١١: ٢٧—٣٠)

العودة من أورشليم:

مرقس مع برنابا وشاول:

«ورجع برنابا وشاول من أورشليم (إلى أنطاكية) بعد ما كمّلا الخدمة وأخذا معهما يوحنا الملقَّب مرقس» (أع١٢: ٢٥). ويوحنا مرقس هو ابن أخت برنابا، وكاروز الديار المصرية. وبذلك صارت أنطاكية(٥) هي مركز التبشير لبولس كما أورشليم للتلاميذ، ينطلق منها ويعود إليها في كافة رحلاته.

وهذه الزيارة التي قام بها بولس الرسول إلى أورشليم للمرة الثانية يحددها زمن المجاعة التي وقعت بحسب يوسيفوس المؤرخ بين عامي ٤٤م — ٤٦م.

---

(٥) كانت أنطاكية تسمى آنئذ عاصمة الشرق وعروس الأمم ولها تمثال كامرأة متوجة وتحت أقدامها نهر الأورنتس.
Conybeare, op. cit., p. 102.

التقليد الروماني الكاثوليكي عن نشاط بطرس الرسول في أنطاكية ثم في روما:

هنا يرسم التقليد الروماني الكاثوليكي رحلة بطرس الرسول التبشيرية إلى أنطاكية التي مكث فيها سبع سنوات، ومن أنطاكية إلى آسيا الصغرى متجهاً إلى روما ومقابلته لسمعان الساحر. ومع بطرس انطلق باقي الرسل إلى جميع أقطار المسكونة، كلٌّ إلى القطر الذي حدده له الرب للكرازة. كما تحددت هذه السنة ٤٤م في التقليد بكتابة قوانين الرسل(٦). وهذا التاريخ تأخذ به الكنيسة القبطية وتؤكده حادثة إلقاء هيرودس لبطرس في السجن، وتدخُّل القوة الإلهية وإخراجه بمعجزة فائقة على التصور. والمعروف قطعاً أن بعدها انطلق بعيداً عن أورشليم يخدم في النواحي التي يذكرها التقليد. كذلك، فإن خروج القديس بطرس الرسول من أورشليم وقتل يعقوب الرسول كان كفيلاً بتشتت الرسل وتذكيرهم بأمر الرب ليذهبوا إلى أقطار المسكونة ليبشِّروا ويعلِّموا ويُتَلْمذوا جميع الأمم (مت٢٨: ١٩ وأع١: ٨).

---

6. Conybeare, *op. cit.*, p. 106, n.1.



«ولما اجتازا (بولس وبرنابا) الجزيرة إلى بافوس...» (أع ١٣:٦)

بقايا مدينة بافوس، إحدى مدن جزيرة قبرص الرئيسية، وكان بها جالية يهودية. ويُقال أن هناك تلقى بولس الأربعين جلدة إلا واحدة.

وفي هذه المدينة كان مقر حاكم الجزيرة كلها «سرجيوس بولس» حيث مَثُلَ أمامه بولس الرسول، وحيث ضُرب الساحر باريشوع بالعمى (أع ١٣:٩).

(أنظر صفحة ٦٢٥)



«أما هما فنفضا غبار أرجلهما عليهم وأتيا إلى إيقونية.» (أع١٣:٥١)

جسر روماني قديم قائم في الطريق إلى «إيقونية» (المسماة الآن كونيا — تركيا). لابد أن يكون القديس بولس قد عبر عليه وهو يغادر أنطاكية بيسيدية متوجهاً إلى إيقونية.

(أنظر صفحة ٦٢٦)



«وتكلما بالكلمة في بَرْجة ثم نزلا إلى أتَّاليَة.» (أع ١٤: ٢٥)

ميناء أنتاليه (أتالية القديمة)

التي مرَّ بها بولس الرسول وبرنابا في رحلتهما الأُولى

(أنظر صفحة ٦٢٩)



«وبرنابا ... سافر في البحر إلى قبرس.» (أع ١٥:٣٩)
دير القديس برنابا في سلاميس بجزيرة قبرص، أُقيم على اسم الرسول رفيق القديس بولس في رحلته الكرازية الأُولى.
(أنظر صفحة ٦٣٣)

رحلة بولس الرسول التبشيرية الأُولى

رحلة القديس بولس الرسول التبشيرية الأُولى

(أنظر مفتاح شجرة حياة بولس؛ أرقام ٣٤ـ٤٠)

أعمال الرسل ٢٢:٣ـ٧؛ ٧:٥٨ـ١١:٢٦

١ ـ من أنطاكية سوريا إلى سلوقية؛ ثم بمركب إلى سلاميس في قبرس: أع١٣:٢ـ٤.

٢ ـ من سلاميس إلى بافوس: أع١٣:٥و٦.

[تغيَّر اسم شاول إلى بولس: أع١٣:٩].

رسم توضيحي: عليم الساحر يصاب بالعمى: أع١٣:٦ـ١٢.

٣ ـ من بافوس في قبرص إلى برجة بمفيلية: أع١٣:١٣.

[يوحنا مرقس يعود إلى أورشليم: أع١٣:١٣].

٤ ـ من برجة إلى أنطاكية بيسيدية: أع١٣:١٤.

رسم توضيحي: بولس يلقي عظته الكبرى: أع١٣:١٦ـ٤١.

٥ ـ من أنطاكية إلى إيقونية: أع١٣:٥٠و٥١.

٦ ـ من إيقونية إلى لسترة: أع١٤:٥و٦.

رسم توضيحي: بولس يرجم: أع١٤:٨ـ١٩.

٧ ـ من لسترة إلى دربة: أع١٤:٢٠.

٨ ـ العودة عن طريق لسترة وإيقونية وأنطاكية إلى برجة، مؤسساً كنائس في هذه الأماكن: أع١٤: ٢١ـ٢٣.

٩ ـ من برجة إلى أتاليا: أع١٤:٢٥.

١٠ ـ من أتاليا إلى أنطاكية سوريا، وهي نقطة البداية: أع١٤:٢٦ـ٢٨.

البحر الأسود

العظة الكبرى لبولس (أع١٣:١٦ـ٤١)

أنطاكية

إيقونية

بولس يرجم في لسترة (أع١٤:١٩)

لسترا

دربة

فريجية

بمفيلية

برجة

يوحنا مرقس يعود إلى أورشليم (أع١٣:١٣)

أتاليا

ليسيا

العودة إلى أنطاكية

كيليكية

طرسوس

سلوقية

أنطاكية

بداية رحلة بولس الرسول (أع١٣:٢ـ٣)

سوريا

سلاميس

قبرص

بولس يلقي عظاته (أع١٣:٥)

بافوس

عليم الساحر يضرب بالعمى (أع١٣:١١)

تغيير اسم شاول إلى بولس (أع١٣:٩)

صيدا

صور

بتولمايس

البحر الكبير (البحر الأبيض المتوسط)

الفصل الأول

رحلة بولس الرسول التبشيرية الأولى

وهي تبتدىء من الأصحاح الثالث عشر في سفر الأعمال، وتبدأ بإعلان إلهي عام للكنيسة كلها المجتمعة:

«وبينما هم يخدمون الرب ويصومون، قال الروح القدس أفرزوا لي برنابا وشاول للعمل الذي دعوتهما إليه. فصاموا حينئذ وصلوا ووضعوا عليهما الأيادي ثم أطلقوهما، فهذان إذ أُرسلا من الروح القدس انحدرا إلى سلوكية، ومن هناك سافرا في البحر إلى قبرس. ولما صارا في سلاميس ناديا بكلمة الله في مجامع اليهود وكان معهما يوحنا خادماً.» (أع١٣: ٢—٥)

أما لماذا يُذْكَر شاول بعد برنابا، فلأن برنابا كان محسوباً من زمرة الأنبياء وشاول في عداد المعلِّمين، ورتبة المعلمين أقل في الترتيب الكنسي من رتبة الأنبياء. كما يلاحَظ أن كلمة «وبينما هم يخدمون λειτουργούντων» تعني في لغة التقليد الكنسي إقامة سر الإفخارستيا. كذلك فإن وضع الأيادي بعد صوم خاص كان هو أول تقليد كنسي لرسامة الدرجات العليا للكهنوت.

أما القول بأن يوحنا كان خادماً فتعني بحسب التقليد الكنسي أنه كان منوطاً به عماد المؤمنين.

وفي قبرس أجرى بولس الرسول معجزة واضحة مع عليم الساحر (باريشوع)، إذ قاوم هذا بشارة بولس لوالي الجزيرة — وكان اسمه سرجيوس بولس — لصدّه عن الإيمان بالمسيح، سواء بأقوال أو أعمال سحرية مبهرة، ضربه بولس بالعمى: «وأما شاول الذي هو بولس أيضاً فامتلأ من الروح القدس وشَخَصَ إليه وقال: أيها الممتلىء كل غش وكل خبث، يا ابن إبليس، يا عدو كل برٍّ، ألا تزال تُفْسِد سُبُلَ الله المستقيمة؟ فالآن هوذا يد الرب عليك فتكون أعمى لا تُبصر الشمس إلى حين. ففي الحال سقط عليه ضباب وظلمة فجعل يدور ملتمساً من يقوده بيده، فالوالي حينئذ لما

رأى ما جرى آمن مندهشاً من تعليم الرب.» (أع١٣: ٩-١٢)

وبعد هذه الحادثة نسمع دائماً أن شاول صار يأخذ اسم «بولس»، كما بدأ بولس يأخذ ترتيب الأولوية في كل الأعمال والرحلات.

بولس الرسول ومَنْ معه في بِرْجَة بمفيلية Perga Pamphylia:

من ميناء بافوس الغربي لجزيرة قبرس أبحر بولس ومَنْ معه نحو الشمال مباشرة باتجاه شاطىء آسيا الصغرى الجنوبي المطل على البحر الأبيض قاصدين مدينة «بِرْجَة»، وهي في مقاطعة بامفيلية. كذلك بولس وبرنابا لم يمكثا في بِرْجَة إلاَّ أياماً قليلة: «وأما هم فجازوا من بِرْجَة وأتوا إلى أنطاكية بيسيدية» (أع١٣: ١٤). أما يوحنا مرقس فقد فارقهما وعاد أدراجه إلى أورشليم.

بولس الرسول في أنطاكية بيسيدية Antioch Pisidia:

«واضطهاداتي والآلامي مثل ما أصابني: في أنطاكية، وإيقونية ولسترة، أية اضطهاداتٍ احتملتُ، ومن الجميع أنقذني الرب!!» (٢تي٣: ١١)

وهي واقعة في منتصف هضبة آسيا الصغرى الوسطى.

لم يمكث بولس في أنطاكية بيسيديَّة إلاَّ أياماً قليلة جداً ربما لا تزيد عن أسبوعين، وعظ فيها اليهود في مجمعهم يوم السبت، وطلبوا منه المزيد السبت الثاني، وبعدها تألَّب عليه اليهود المتعصِّبون وقاوموه بشدة. وبالرغم من أنه آمن بكلامه كثيرون من اليهود الدخلاء وانتشرت الكلمة في كل النواحي، إلاَّ أنهما تركا أنطاكية بيسيديَّة: «فجاهر بولس وبرنابا وقالا: كان يجب أن تُكلَّموا أنتم أولاً بكلمة الله، ولكن إذ دفعتموها عنكم وحكمتم أنكم غير مستحقين للحياة الأبدية هوذا نتوجه إلى الأمم.» (أع١٣: ٤٦)

وكانت الثورة ضد بولس يقودها النساء اليهوديات(٧): «ولكن اليهود حركوا النساء المتعبدات الشريفات ووجوه المدينة وأثاروا اضطهاداً على بولس وبرنابا وأخرجوهما من تخومهم، أما هما فنفضا غبار أرجلهما عليهم وأتيا إلى إيقونية.» (أع١٣: ٥٠و٥١)

---

(٧) يقول المؤرخ «سترابو» إن النساء اليهوديات في الأيام الأولى للمسيحية كان لهن سلطة كبيرة على الرجال. وقد ورثت الكنيسة المبتدئة هذا الوضع. وقد ظهر ذلك حتى أيام المسيح، إذ كُنَّ قد كوَّنَّ جماعة منهن لخدمة المسيح والتلمذة له، وقد تبوَّأنَ مركز الصدارة في خدمات الكنيسة منذ العصور الأولى حتى اليوم.

بولس الرسول في إيقونية Iconium - Konyeh:

وهي بالقرب من أنطاكية بيسيديَّة في الاتجاه الشرقي الجنوبي. والمعروف أن مركز إيقونية المدني والديني والسياسي كان أرفع مستوى من أنطاكية بيسيدية. والمعروف في التاريخ أنها صارت مركز حركة الأتراك الغزاة وكانت عاصمة السلطان سلجوق، ولعبت دوراً كبيراً في قيام الدولة العثمانية، ولا تزال النقوش الإسلامية تملأ جوامع المدينة تشهد بانتصارات حكومة التتار الغزاة. ولكنها مناطق معطشة لا توجد بها أنهار.

وقد استغرقت إقامة بولس وبرنابا فيها مدة طويلة: «**فأقاما زماناً طويلاً** يجاهران بالرب الذي كان يشهد لكلمة نعمته ويُعطي أن تُجرى آيات وعجائب على أيديهما.» (أع١٤: ٣)

ولكن أثار اليهود المتعصبون مقاومة لتعاليمهما حتى أفسدوا نفوس الذين آمنوا من الأمم. وفي النهاية اتحد الأمم مع اليهود لمحاولة رجمهما: «فلما حصل من الأمم واليهود مع رؤسائهم هجوم ليبغوا عليهما ويرجموهما، شعرا به فهربا إلى مدينتي ليكأونية لسترة ودربة وإلى الكورة المحيطة وكانا هناك يبشران.» (أع١٤: ٥-٧)

بولس الرسول في لسترة ودربة ليكأونية Lycaonia - Lystra - Derba:

لسترة ودربة هما مدينتان في إقليم ليكاؤنية، وهما في السهول الممتدة نحو الجنوب من إيقونية. لم يكن فيهما مجمعٌ لليهود، ولكن لم تخلُ المدينة منهم (اليهود) كما لا تخلُ المدينة من خرافات الوثنيين عُبَّاد الإله جوبتر(٨) حامي المدينة، حيث يوجد له معبد بجوار باب المدينة من الخارج. ومعروف أن هَرْمَس هو خادم جوبترْ وبقية الآلهة، ويرافق جوبتر على الدوام.

فتصوَّر، عزيزي القارىء، هؤلاء القوم عُبَّاد جوبتر حينما يظنون أن جوبتر دخل المدينة مع هرمس صديقه ليفتقد أهل المدينة التي تعبده؟؟ فما أن أقام بولس الرسول **بكلمة واحدة الرجل** المُقْعَد العاجز الرجلين (شلل) من بطن أمه الذي لم يمشِ قط: «**فشخص إليه (بولس)** وإذ رأى أن له إيماناً ليشفى قال بصوت عظيم: قُمْ على رجليك منتصباً، فوثب وصار يمشي. فالجموع لما رأوا ما فعل بولس رفعوا صوتهم بلغة ليكأونية قائلين إن الآلهة تشبهوا بالناس ونزلوا إلينا، فكانوا يدعون برنابا زَفْس (زيوس) وبولس هَرْمَسَ إذ كان هو المتقدم في الكلام. فأتى كاهن زَفْس الذي كان

---

(٨) يلاحظ في أسماء الآلهة الرومانية ما يقابلها من الأسماء اليونانية:

اللاتينية: جوبتِر، مِرْكوري، ديانا، مِنِيرفا.

المقابل اليوناني: زيوس، هَرْمَس، أرتيميس، آثين.

قدام المدينة بثيران وأكاليل عند الأبواب مع الجموع وكان يريد أن يذبح. فلما سمع الرسولان برنابا وبولس، مزّقا ثيابهما(٩) واندفعا إلى الجمع صارخين وقائلين أيها الرجال لماذا تفعلون هذا؟ نحن أيضاً بشر...» (أع١٤: ٩-١٥)، وابتداءً يعظانهم.

ولكن كما هي عادة اليهود: «ثم أتى يهود من أنطاكية وإيقونية وأقنعوا الجموع فرجموا بولس وجرّوه خارج المدينة ظانين أنه قد مات.» (أع١٤: ١٩)

تعميد تيموثاوس في لِسْتْرَة على يدي بولس الرسول، هو وأهل بيته في رحلته الأُولى:

هذا يتضح من مطلع الأصحاح السادس عشر لسفر الأعمال وهو يصف رحلة بولس الثانية التي قام بها بمفرده: «ثم وصل (بولس وحده) إلى دربة ولسترة. وإذا تلميذ كان هناك اسمه تيموثاوس، ابن امرأة يهودية مؤمنة ولكن أباه يوناني وكان مشهوداً له من الإخوة الذين في لسترة وإيقونية» (أع١٦: ١و٢). كذلك يتضح أكثر من رسالة تيموثاوس الأُولى:

+ «إلى تيموثاوس الابن (ابني) الصريح في الإيمان...» (١تي١: ٢)

أي أن بولس هو الذي عمَّده بنفسه.

+ «فتقوَّ أنت يا ابني بالنعمة التي في المسيح يسوع.» (٢تي٢: ١)

كذلك واضح من (٢تي٣: ١٠و١١) أن تيموثاوس عاين ورافق بولس الرسول في رحلته الأُولى وهو يبشر في أنطاكية وإيقونية ولِسْترة: «وأما أنت فقد تبعت تعليمي وسيرتي وقصدي وإيماني وأناتي ومحبتي وصبري واضطهاداتي وآلامي مثل ما أصابني في أنطاكية وإيقونية ولسترة. أية اضطهادات احتملتُ، ومن الجميع أنقذني الرب».

ومن هذا يكون تيموثاوس أحد الذين شاهدوا بولس الرسول وهو يُرْجَم ويجرُّونه خارج المدينة، وربما يكون هو مع الباقين الذي أسعفه وأقامه وأتى به إلى بيته حيث استعاد صحته. فهذا واضح من تعليقه على إيمان أهل بيت تيموثاوس: «إذ أتذكَّر الإيمان العديم الرياء الذي فيك الذي سكن أولاً في جدتك لوئيس Loïs = Λωΐδι وأمك إفنيكي Eunice = Εὐνίκῃ ولكني موقن أنه فيك أيضاً» (٢تي١: ٥). وهنا واضح أن القديس بولس عاش وسط هذه العائلة مدة، وتعرَّف على أفرادها وكل دخائلها.

---

(٩) هذا تتميم لوصية يهودية من الناموس التي تقول إن من يسمع تجديفاً على الله يمزق ملابس نفسه شهادة عليه، كما صنع رئيس الكهنة قيافا لما سمع المسيح يقول: «وسوف تبصرون ابن الإنسان جالساً عن يمين القوة وآتياً في سحاب السماء.» (مر١٤: ٦٢)

إذاً، فقد خرج الإنجيل من محنة بولس في أنطاكية وإيقونية ولسترة بغنيمة للمسيحية؛ لأن تيموثاوس ظل مدة أسقفاً على كنيسة أفسس، وغالباً هو الذي سلّمها إلى القديس يوحنا الرسول.

طريق العودة إلى أنطاكية سوريا:

بعد أن بشَّر بولس وبرنابا في لسترة، ذهبا إلى دَرْبَة: «وفي الغد خرج مع برنابا إلى دربة فبشَّرا في تلك المدينة وتلمذا كثيرين ثم رجعا إلى لسترة وإيقونية وأنطاكية (بيسيدية) (الطريق العكسي الراجع) يشددان أنفس التلاميذ ويعظانهم أن يثبتوا في الإيمان ... وانتخبا لهم قسوساً في كل كنيسة ثم صلّيا بأصوام واستودعاهم للرب الذي كانوا قد آمنوا به.» (أع١٤: ٢٠—٢٣)

ثم انحدر بولس وبرنابا نحو الشاطىء الجنوبي في مقاطعة بيسيدية وأتيا إلى بمفيلية: «وتكلّما بالكلمة في بِرْجَة (مرة أخرى) ثم نزلا إلى أتاليا (ميناء Atalia على الشاطىء). ومن هناك سافرا في البحر إلى أنطاكية (سوريا) حيث كانا قد أُسلما (في البداية) إلى نعمة الله للعمل الذي أكملاه.» (أع١٤: ٢٥و٢٦)

«وأقاما هناك (في أنطاكية) زماناً ليس بقليل مع التلاميذ.» (أع١٤: ٢٨)

و يقدّر العالم كونيبير أن بولس الرسول انطلق من بِرْجَة بعد ما بشَّرها هو وبرنابا أولاً في ربيع سنة ٤٨م، وعادا إليها في طريق الرجوع في نهاية الخريف من نفس السنة. ولكن يظن علماء آخرون أن هذه الرحلة استغرقت أكثر من سنة(١٠).

بولس في أورشليم سنة ٤٩م:

وهي الزيارة المعتبرة في رسالة غلاطية (١:٢) أنها الزيارة الثانية لأورشليم بعد أربع عشرة سنة من زيارته الأولى.

كان من جراء النجاحات الباهرة في الكرازة بين الأمم ودخول الوثنيين للإيمان بالألوف في أنطاكية أن ابتدأت الروح اليهودية التعصبية تُطلُّ بقرنيها: «وانحدر قوم من اليهودية (أورشليم) وجعلوا يعلّمون الإخوة (المؤمنين من الأمم) أنه إن لم تختتنوا حسب عادة موسى لا يمكنكم أن تخلصوا.» (أع١٥: ١)

ولما ابتدأت تشتد معارضة هؤلاء اليهود المتنصِّرين ضد الداخلين من الأمم وزادت المحاجاة والنزاعات: «رتّبوا أن يصعد بولس وبرنابا وأُناس آخرون منهم إلى الرسل والمشايخ إلى أورشليم

---

10. Conybeare, *op. cit.*, p. 158.

من أجل هذه المسئلة» (أع١٥: ٢). هذا معناه أن الموضوع الأساسي الذي عُرِضَ على مجمع أورشليم كان بخصوص الختان.

«فهؤلاء بعد ما شيَّعتهم الكنيسة، اجتازوا في فينيقية (لبنان الآن) والسامرة يُخبرونهم برجوع الأمم وكانوا يسبِّبون سروراً عظيماً لجميع الإخوة.» (أع١٥: ٣)

«ولما حضروا إلى أورشليم، قَبِلَتْهم الكنيسة والرسل والمشايخ، فأخبروهم بكل ما صنع الله معهم.» (أع١٥: ٤)

وهنا تم قول الرب للاثني عشر وهو على بئر يعقوب: «ها أنا أقول لكم ارفعوا أعينكم وانظروا الحقول إنها قد ابيضَّت للحصاد ... أنا أرسلتكم لتحصدوا ما لم تتعبوا فيه. آخرون تعبوا وأنتم قد دخلتم على تعبهم.» (يو٤: ٣٥و٣٨)

وبعد مباحثات طويلة للرسل سبَّبها المتنصِّرون من مذهب الفريسيين، الذين كانوا موجودين في كنيسة أورشليم نفسها، وبعد دفاع بطرس الرسول ــ الذي ابتدأه بشجاعة وإقدام نذكره له نحن الأمم بالفضل والجميل ــ مُدافعاً عن صحة دخول الأمم دون أن يتحمَّلوا نير الناموس، وذلك من واقع رؤياه وخبرته الخاصة، كذلك يعقوب الرسول؛ سَجَّلا (بولس وبرنابا) في محضر الجلسة (أع١٥: ٦ــ٢١):

«حينئذ رأى الرسل والمشايخ مع كل الكنيسة أن يختاروا رجلين منهم فيرسلوهما إلى أنطاكية، مع بولس وبرنابا، يهوذا الملقب بَرْسابا وسيلا رجلين متقدمين في الإخوة وكتبوا بأيديهم هكذا: الرسل والمشايخ والإخوة يُهدون سلاماً إلى الإخوة الذين من الأمم في أنطاكية وسوريا وكيليكية. إذ قد سمعنا أن أناساً خارجين من عندنا أزعجوكم بأقوال مقلِّبين أنفسكم وقائلين أن **تختتنوا وتحفظوا الناموس**، الذين نحن لم نأمرهم، رأينا وقد صرنا بنفس واحدة أن نختار رجلين ونرسلهما إليكم مع حبيبينا برنابا وبولس، رجلين قد بذلا أنفسهما لأجل اسم ربنا يسوع المسيح؛ فقد أرسلنا يهوذا وسيلا وهما يخبرانكم بنفس الأمور شفاهاً. لأنه قد رأى الروح القدس ونحن أن لا نضع عليكم ثقلاً أكثر غير هذه الأشياء الواجبة: أن تمتنعوا عما ذُبح للأصنام وعن الدم (أكل اللحم دون تصفية دمه) والمخنوق (فيه دمه) والزنى (بمعنى زواج الأقارب) التي إن حفظتم أنفسكم منها فنِعِمَّا تفعلون. كونوا معافين.» (أع١٥: ٢٢ــ٢٩)

وما أكثر الخُلْفِ والمفارقة الصارخة بين اليوم وأمس البعيد!! فمنذ خمس عشرة سنة تماماً، خرج شاول وهو يتَّقِد غيرةً وحماساً للناموس اليهودي ومعه خطابات توصية من رؤساء الكهنة

لتعذيب المسيحيين المؤمنين الخارجين عن الناموس وقتلهم! وهوذا اليوم يحمل خطابات توصية من الرسل رؤساء الكنيسة للترفُّق بالوثنيين العائدين إلى إيمان المسيح حتى يُرْفَعَ من على كاهلهم ثِقَل الناموس!! وما أبعد أحكامك يا رب عن الفحص!

ولكن بحسب تتبُّعنا لخطوات بولس المسجلة في كل من أعمال الرسل والرسالة إلى غلاطية، نستطيع أن نقول إن هذه كانت الزيارة الثالثة لأُورشليم، حيث:

الأُولى: بعد أن ظهر له المسيح بثلاث سنوات، حينما أمضى مع بطرس الرسول خمسة عشر يوماً (غل١:١٨)، وذلك قبل سنة ٤٠م ونجا من مؤامرة لقتله بصعوبة.

الثانية: كانت سنة ٤٤م حينما جاء مع بعثة من أنطاكية لتقديم معونة لفقراء اليهودية أثناء المجاعة والتي بعدها عاد مسرعاً (أع١١: ٣٠ و١٢:٢٥).

الثالثة: سنة ٤٩م أو ٥٠م (غل٢:١ وأع١٥:٢). وأما هذه المرة فقد حضر وعلى رأسه ابتهاج وفرح أبدي لنجاح إرساليته ليُستقبَلَ من الرسل استقبال الرسول المظفَّر، بسبب الحصاد الوفير الذي قدَّمه قرباناً على مذبح العرش السماوي. وقد حظي بولس في هذه الزيارة بيَمين الشركة من الثلاثة الأعمدة التي كانت تقوم عليها كنيسة أورشليم، بطرس ويعقوب أخي الرب الملقَّب بالبارّ ويوحنا الحبيب.

+ «ثم بعد أربع عشرة سنة صعدتُ أيضاً إلى أورشليم مع برنابا آخذاً معي تيطس أيضاً، وإنما صعدتُ بموجب إعلان، وعرضتُ عليهم الإنجيل الذي أكرز به بين الأمم، ولكن بالانفراد على المعتَبَرين لئلا أكون أسعى أو قد سعيتُ باطلاً.» (غل٢: ١و٢)

+ «فإن هؤلاء المعتبرين لم يشيروا عليَّ بشيء، بل بالعكس إذ رأوا أني اؤتمنتُ على إنجيل الغُرْلة كما بطرس على إنجيل الختان، فإن الذي عمل في بطرس لرسالة الختان عمل فيَّ أيضاً للأمم. فإذ علم بالنعمة المعطاة لي يعقوبُ وصفا ويوحنا المعتبرون أنهم أعمدة، أعطوني وبرنابا يمين الشركة لنكون نحن للأمم وأما هم فللختان، غير أن نذكر الفقراء وهذا عينه كنت اعتنيتُ أن أفعله.» (غل٢: ٦–١٠)

وهكذا تسجَّل بولس رسمياً بين الرسل، رسولاً وعموداً، يحمل اسم المسيح: «فسأجعله عموداً في هيكل إلهي ... وأكتب عليه اسم إلهي واسم مدينة إلهي أورشليم الجديدة النازلة من السماء من عند إلهي واسمي الجديد.» (رؤ٣:١٢)

على أي حال كانت هذه الوثيقة هي بحد ذاتها الباب المفتوح على مصراعيه لدخول الأمم إلى الإيمان المسيحي عَبْر التقليد القديم، بكل عهوده وأسفاره ومواثيقه، دون التقيُّد بأي حرف من حروف الناموس! فكان هذا بمثابة العمود الفقري الذي بنى عليه بولس الرسول إنجيل الإنسان الجديد.

«فهؤلاء لما أُطلقوا، جاءوا إلى أنطاكية وجمعوا الجمهور ودفعوا الرسالة. فلما قرأوها فرحوا لسبب التعزية.» (أع١٥: ٣٠و٣١)



«أمسكوا بولس وسيلا وجروهما إلى السوق إلى الحكام.»

(أع ١٦:١٩)

السوق القديمة **Agora** وهي الميدان العام لفيلبي في مقدونية

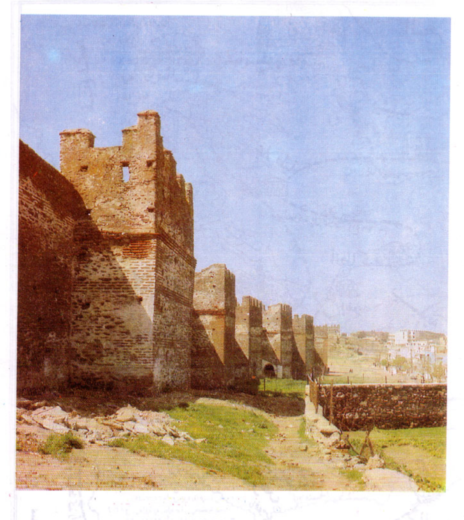
(أنظر صفحة ٦٣٦)



آثار مدينة فيلبي بمقدونية

السرداب الذي يظهر مدخله عن يمين الصورة، يُعتقد أنه السجن الذي أمضى فيه القديس بولس وسيلا ليلة (أع ١٦: ٢٣ــ ٣٤).

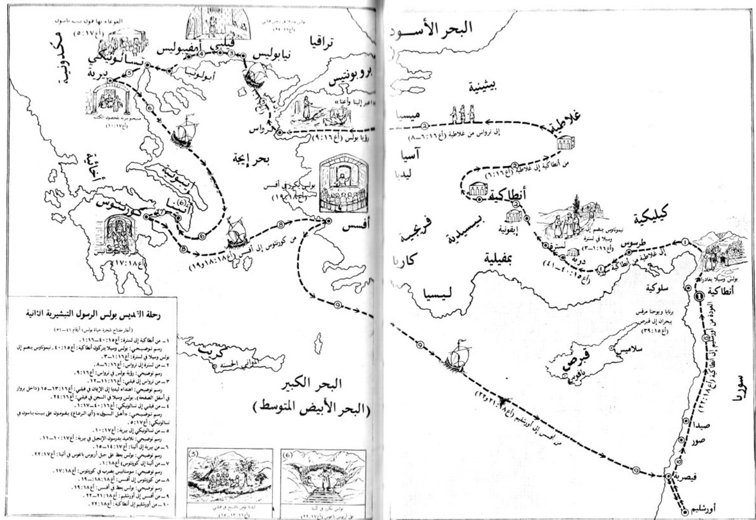
(أنظر صفحة ٦٣٦)



القلعة القديمة في تسالونيكي

«فاثبتوا إذاً أيها الإخوة وتمسكوا بالتعاليم التي تعلمتموها سواء كان بالكلام أم برسالتنا» (٢تس٢: ١٥)

(أنظر صفحة ٦٣٨)

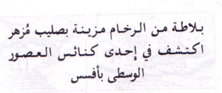


البحر الأسود
تراقيا
مكدونية
تسالونيكي
أمفيبوليس
فيلبي
نيابوليس
أبولونيا
بيرية
بروبونتيس
«اعبر إلينا وأعنا»
ترواس
رؤيا بولس (أع ١٦ : ٩)
بيثينية
ميسيا
إلى ترواس من غلاطية (أع ١٦ : ٦ــ٨)
غلاطية
آسيا
ليديا
من أنطاكية إلى غلاطية (أع ١٦ : ٦)
أنطاكية
إيقونية
كيليكية
بحر إيجة
أخائية
أبيونية
أثينا
كورنثوس
بولس يكرز في أفسس (أع ١٨ : ١٩)
أفسس
من كورنثوس إلى أفسس (أع ١٨ : ١٨ و١٩)
أع ١٨ : ١٧
فريجية
بيسيدية
بمفيلية
كاريا
ليسيا
طرسوس
لسترة
دربة
(أع ١٥ : ٤٠ــ٤١)
إلى غلاطية من أنطاكية سورية
وسيلا في لسترة (أع ١٦ : ١ــ٣)
بولس وسيلا يغادران
أنطاكية
سلوكية
برنابا ويوحنا مرقس يبحران إلى قبرص (أع ١٥ : ٣٩)
سلاميس
قبرص
بافوس
سوريا
العودة من أورشليم إلى أنطاكية (أع ١٨ : ٢٢)
من أفسس إلى أورشليم (أع ١٨ : ٢١ و٢٢)
صيدا
صور
قيصرية
أورشليم
كريت
الموانئ الحسنة
البحر الكبير
(البحر الأبيض المتوسط)
رحلة القديس بولس الرسول التبشيرية الثانية
(أنظر مفتاح شجرة حياة بولس؛ أرقام ٤١ــ٥١)
١ ــ من أنطاكية إلى لسترة: أع ١٥ : ٤٠ــ١٦ : ١.
رسم توضيحي: بولس وسيلا يتركون أنطاكية: أع ١٥ : ٤٠. تيموثاوس ينضم إلى بولس وسيلا في لسترة: أع ١٦ : ١ــ٣.
٢ ــ من لسترة إلى ترواس: أع ١٦ : ٦ــ٨.
رسم توضيحي: رؤية بولس في ترواس: أع ١٦ : ٩.
٣ ــ من ترواس إلى فيلبي: أع ١٦ : ١١ــ١٢.
رسم توضيحي: اهتداء ليديا إلى الإيمان في فيلبي: أع ١٦ : ١٣ــ١٥ (داخل برواز في أسفل الصفحة). بولس وسيلا في السجن في فيلبي: أع ١٦ : ٢٤.
٤ ــ من فيلبي إلى تسالونيكي: أع ١٦ : ٤٠ــ١٧ : ١.
رسم توضيحي: «أهل السوق» (أي الرعاع) يقومون على بيت ياسون في تسالونيكي: أع ١٧ : ٥.
٥ ــ من تسالونيكي إلى بيرية: أع ١٧ : ١٠.
رسم توضيحي: تلاميذ يدرسون الإنجيل في بيرية: أع ١٧ : ١٠ــ١١.
٦ ــ من بيرية إلى أثينا: أع ١٧ : ١٤ــ١٥.
رسم توضيحي: بولس يعظ على جبل أريوس باغوس في أثينا: أع ١٧ : ٢٢.
٧ ــ من أثينا إلى كورنثوس) أع ١٨ : ١.
رسم توضيحي: سوستانيس يضرب في كورنثوس: أع ١٨ : ١٧.
٨ ــ من كورنثوس إلى أفسس: أع ١٨ : ١٨ــ١٩.
رسم توضيحي: بولس يعظ في أفسس: أع ١٨ : ١٩.
٩ ــ من أفسس إلى أورشليم: أع ١٨ : ٢١ــ٢٢.
١٠ ــ من أورشليم إلى أنطاكية: أع ١٨ : ٢٢.

«فاجتاز (بولس) في سورية
وكيليكية يُشدِّد الكنائس.»
(أع ١٥:٤١)

ممر مواني كيليكية
للعبور من آسيا الصغرى إلى سوريا
(أنظر صفحة ٦٣٣)





بلاطة من الرخام مزينة بصليب مُزهر
اكتشف في إحدى كنائس العصور
الوسطى بأفسس

الفصل الثاني

رحلة بولس الرسول التبشيرية الثانية

قبل أن نبدأ بإرسالية بولس الرسول الثانية، يلزم أن نعرض لحادثين مؤسفين:

الأول: بين القديس بولس والقديس بطرس الذي كان قد حضر فجأة إلى أنطاكية لسبب لم يُذكر (غل٢: ١١)، وكان سلوكه مع اليهود المتنصِّرين فيه مُراآة إذ كان يخالط الأمميين المسيحيين ويأكل معهم. ولكن لما حضر يهود متنصِّرون أفرز نفسه وامتنع عن مخالطة المسيحيين الأمميين. فساء هذا التصرف في عين بولس الرسول وراجعه فيه بشدة. ولكن كان بطرس الرسول وديعاً للغاية، واحتمل المراجعة ولم تحدث بينهما أية منازعة أو حتى ما يجرح المحبة الرسولية الصادقة (غل٢: ١١—١٦).

علماً بأن برنابا أيضاً راءى مع بطرس وانحاز لليهود المتنصِّرين، مما أظهر ضعف موقفه تجاه بشارة الأمم.

الثاني: عندما بدأ بولس الرسول مع برنابا الترتيب للرحلة الثانية، أراد برنابا أن يأخذا معهما يوحنا مرقس، ولكن بولس رفض هذا الاقتراح باعتبار أن مرقس لم يحتمل مشاقَّ الرحلة الأُولى وعاد من منتصف الطريق. وهكذا امتدت المنازعة حتى فارق كل منهما الآخر. فأخذ برنابا مرقسَ وانطلق إلى قبرس، أما بولس فاختار سيلا الذي جاء من أورشليم حاملاً وثيقة الرسل وتعليمهم الشفاهي (أع١٥: ٣٦—٤١).

الرحلة الثانية بولس وسيلا:

الداعي لهذه الإرسالية يشرحه بولس الرسول هكذا: «ثم بعد أيام قال بولس لبرنابا لنرجع ونفتقد إخوتنا في كل مدينة نادينا فيها بكلمة الرب كيف هم.» (أع١٥: ٣٦)

«أما بولس فاختار سيلا وخرج مُستودَعاً من الإخوة إلى نعمة الله. فاجتاز في سوريا وكيليكية يشدد الكنائس.» (أع١٥: ٤٠و٤١)

بولس الرسول في دَربة ولسترة:

وهناك تقابل مع تيموثاوس الذي كان قد آمن، وهناك عمَّده في الإرسالية الأولى: «فأخذه وختنه من أجل اليهود الذين في تلك الأماكن لأن الجميع كانوا يعرفون أباه أنه يوناني.» (أع١٦:٣)

الروح القدس يتدخل في توجيه مسيرة التبشير:

«وبعد ما اجتازوا في فريجية (غرباً) وكورة غلاطية (شرقاً) منعهم الروح القدس أن يتكلموا بالكلمة في آسيا (اتجاه أفسس في الجنوب الغربي).» (أع١٦:٦)

المقصود هنا أن بولس وسيلا بشَّرا في فريجية وغلاطية، واجتازاها، ولكن الروح منعهما. فهنا تم تأسيس كنيسة غلاطية في المرة الأولى التي زارها فيها، ولكنه مرض هناك إلا أنه تحامل على نفسه واستمر يكرز وهو في حالة الضعف والمرض، وهذا نسمعه في رسالته إلى أهل غلاطية: «ولكنكم تعلمون أني **بضعف الجسد بشَّرتُكم في الأول**، وتجربتي التي في جسدي لم تزدروا بها ولا كرهتموها... لأني أشهد لكم أنه لو أمكن لقلعتم عيونكم وأعطيتموني» (غل٤: ١٣—١٥).

واضح هنا أن بولس الرسول بشَّر غلاطية في أول مرة عبر عليهم، وهذه المرة كانت في الإرسالية التبشيرية الثانية. كما أنه واضح أيضاً أنه كان مريضاً وفي حالة ضعف.

فلما أتوا إلى مِيسِيَّا بقرب الساحل الشرقي المطل على بحر إيجة وانحدروا إلى ميناء ترواس: «ظهرت لبولس رؤيا في الليل، رجل مَكِدُونيٌّ قائمٌ يطلب إليه ويقول اعبر إلى مَكِدُونيَّة وأعنَّا. فلما رأى الرؤيا، للوقت طلبنا أن نخرج إلى مكدونية متحققين أن الرب قد دعانا لنبشِّرهم.» (أع١٦: ٩و١٠)

بولس الرسول في فيلبي:

«فأقلعنا من ترواس (وهي ميناء) وتوجهنا بالاستقامة إلى ساموثراكي (وهي جزيرة متاخمة للشاطىء)، وفي الغد إلى نيابوليس (وهي ميناء)، ومن هناك إلى فيلبي التي هي أول مدينة من مقاطعة مَكِدُونيَّة وهي كولونيَّة.» (أع١٦: ١١و١٢)

و«مكدونية» مقاطعة كبرى في بلاد اليونان، وقد صيَّرها بولس محطاً وممراً في رحلاته من فيلبي إلى تسالونيكي ثم إلى بيريَّة ذهاباً وإياباً، حتى إنه بحسب قول أحد علماء الكتاب المقدس (كلارك) يكون بولس بذلك قد صيَّر مكدونية أرضاً مقدسة.

هذه الرحلة تستغرق في الذهاب مدة يومين، ولكن في العودة وبسبب مضادة مسار الرياح،

تستغرق خمسة أيام[١]: «وأما نحن فسافرنا في البحر بعد أيام الفطير من فيلبي ووافيناهم في خمسة أيام إلى ترواس.» (أع ٢٠:٦)

وساموثراكي جزيرة بها جبل عالٍ وهو أعلى جبل في المنطقة ولا يعلو عنها إلاّ جبل آثوس. وساموثراكي تُرى من شاطىء آسيا الصغرى عندما تكون الشمس وراءها في حالة الغروب.

ويلاحظ أن الميناء الذي نزل إليه بولس الرسول على شاطىء مكدونية هو ميناء نيابوليس، وهو الميناء المتاخم لمدينة فيلبي، ونيابوليس الآن هي قالا (وتُنْطق بالتركية قَوَلَه وهي موطن محمد علي والي مصر). والقول بأن فيلبي مدينة كولونيّة يعني أنها كانت تحت الرعاية الرومانية مباشرة؛ وأن للمواطنين فيها حقوقاً وامتيازاتٍ رومانية كأن لا يُجلَدون قط ولا يُقْبض عليهم إلاّ تحت اشتراطات خاصة، ولهم الحق في رفع شكواهم من تحت تحقيق الحكام المحليين إلى الإمبراطور نفسه[٢].

وكلمة «كولونية» من الوجهة السياسية تعني أن القوانين فيها هي طبق الأصل من القوانين التي تسري في روما نفسها، أي أن فيلبي كانت روما مصغَّرة.

و «فيلبي» سميت هكذا بهذا الاسم على اسم الإمبراطور فيليب الثاني والد الإسكندر الأكبر الذي أسسها سنة ٣٥٧ ق.م. أما سبب مجدها التليد وحصولها على شرف التساوي مع روما نفسها في كل معاملات الدولة الرومانية مع مواطنيها فهو أن أغسطس قيصر المدعو أكتافيانوس سابقاً انتصر فيها بجيوشه على أعدائه سنة ٤٢م. فوهبها شرف التبعية والتساوي مع روما. وهوذا بولس الرسول يختطفها من يد قيصر ويهبها التبعية السماوية ويؤسس فيها إحدى أهم كنائسه ويُخلِّدها برسالته. وهي مدينة حربية أكثر منها تجارية؛ لذلك فإن عدد اليهود فيها كان قليلاً. ولذلك أيضاً لم يكن فيها مجمعٌ لليهود كمبنى للعبادة، بل صالة للاجتماع. وكانت تسمَّى «برسفكا» أي مصلّى، وغالباً ما تكون بدون سقف[٣]. وللمحافظة على المزيد من الهدوء — أو ربما لرفض الأهالي أن يكون لليهود مكان للعبادة داخل المدينة — فإنها كانت خارج أبواب المدينة وعلى جانب النهر حتى تتسنَّى التطهيرات الجسدية والغسل بالماء[٤].

وقد اعتادت النسوة الاجتماع فيها والمواظبة أكثر من الرجال فكانت مخصصة تقريباً لهنَّ[٥].

---

1. Conybeare, *op. cit.*, p. 219.
2. Ibid., p. 223,224.
3. Ibid., p. 225,226.
4. Ibid.
5. Ibid.

«فأقمنا في هذه المدينة (فيلبي) أياماً وفي يوم السبت خرجنا إلى خارج المدينة عند نهر (جاجيتاس Gaggitas) حيث جرت العادة أن تكون صلاة فجلسنا وكنا نكلم النساء اللواتي اجتمعن.» (أع١٦: ١٢و١٣)

بولس الرسول في بيت ليديَّة بيَّاعة الأُرجوان:

«فكانت تسمع امرأة اسمها ليديَّة بياعة أرجوان من مدينة ثياتيرا متعبدة لله، ففتح الرب قلبها لتصغى إلى ما كان يقوله بولس، فلما اعتمدت هي وأهل بيتها طلبت قائلة: إن كنتم قد حكمتم أني مؤمنة بالرب فادخلوا بيتي وامكثوا، فألزَمَتْنا.» (أع١٦: ١٤و١٥)

ومعروف أن مدينة ثياتيرا هي في آسيا الصغرى وهي المذكورة في سفر الرؤيا (١: ١١)، وميناؤها المتاخم لها هو برجاموم Pergamum، والعلاقة بين فيلبي وثياتيرا علاقة تجارية كبيرة قائمة على شهرة ثياتيرا في إنتاج الأصباغ.

وكانت عظة بولس الرسول على إنجيل ربنا يسوع المسيح في صالة اجتماع فيلبي لهاته الجماعة الصغيرة من النسوة هي أول عظة لرسول من رسل المسيح في أوروبا. وكانت ليدية أول امرأة تستضيف رسولاً في بيتها في هذه النواحي. وكان نهر جاجيتاس أول نهر تتقدس مياهه بمعمودية المسيح لها ولأهل هذا البيت.

بولس الرسول في سجن فيلبي:

لم يكن ممكناً لعدو الإيمان والإنجيل والمسيح أن يترك خدام الله في سلام يؤدُّون الرسالة. فكما تبعت الشياطين المسيح صارخة أن هذا هو قدوس الله (مر١: ٢٤)، هكذا تبعت الشياطين بولس ومَنْ معه، سيلا وتيموثاوس وربما لوقا الذي يضع نفسه في الرواية هنا بقوله «نحن»: «وحدث بينما كنا ذاهبين إلى الصلاة أن جارية بها روح عِرَافة استقبلتنا وكانت تُكسب مَواليها مكسباً كثيراً بعرافتها. هذه اتَّبعت بولس وإيانا وصرخت قائلة: هؤلاء الناس هم عبيد الله العلي الذين ينادون لكم بطريق الخلاص. وكانت تفعل هذا أياماً كثيرة. فضجر بولس والتفت إلى الروح وقال: أنا آمرك باسم يسوع المسيح أن تخرج منها، فخرج في تلك الساعة.» (أع١٦: ١٦—١٨)

وهكذا بدأ الشيطان مع الموالين المنتفعين بالانتقام إذ: «لما رأى مواليها أنه قد خرج رجاء مكسبهم، أمسكوا بولس وسيلا وجرُّوهما إلى السوق إلى الحكام ... فقام الجمع معاً عليهما ومزَّق الولاة ثيابهما وأمروا أن يُضربا بالعصي. فوضعوا عليهما ضرباتٍ كثيرة وألقوهما في السجن وأوصوا حافظ السجن أن يحرسهما بضبط. وهو إذ أخذ وصية مثل هذه ألقاهما في السجن الداخلي وضبط

أرجلهما في المقطرة.» (أع١٦: ١٩ـ٢٤)

وفي التقليد الروماني القديم أن هذا السجن كان عبارة عن حوضين عميقين لتخزين المياه استُخدما مع التعديل ليكونا سجناً، الخارجي للحبس الاحتياطي والداخلي للعقوبات[٦].

بولس السجين في نصف الليل:

صورة من صور حياة بولس ذات البريق السماوي. بعد ضرباتٍ كثيرة عجنت عظامه بلحمه، وأصابت منه ما أصابت من جروح ومواجع، يقوم في منتصف الليل ليقود مع زميله خورس تسبيح للمسيح الذي نجّاه من الخطية والموت. أما السجن وأما الألم المبرح الذي أصاب الجسد بالحمى والسهر فهو من أجل يسوع المسيح، وبالتالي فهو شرف وامتياز يؤهله لِشركة المجد في السموات العلا: «... فأنا أَفْضَلُ، في الأتعاب أكثرُ، في الضربات أوفرُ، في السجون أكثر...» (٢كو١١: ٢٣)

ولكن لا بد لأنين المظلوم من استجابة تأتيه من الذي تألم بالظلم ولم يفتح فاه وهو إله، فبإشارة من السماء: «ونحو نصف الليل كان بولس وسيلا يصليان ويُسبِّحان الله والمسجونون يسمعونهما. فحدث بغتة زلزلة عظيمة (هذه تعبير عن حضرة إلهية وخدمة ملائكة) حتى تزعزعت أساسات السجن، فانفتحت في الحال الأبواب كلها وانفكت قيود الجميع.» (أع١٦: ٢٥و٢٦)

كان من تقليد الشرف الروماني أن السجّان الذي يخفق في ضبط سجنه أن لا ينتظر التحقيق والعقوبة بل يقضي على نفسه بيد نفسه: «ولما استيقظ حافظ السجن ورأى أبواب السجن مفتوحة استل سيفه وكان مزمعاً أن يقتل نفسه ظاناً أن المسجونين قد هربوا.» (أع١٦: ٢٧)

جرّاح بولس الرسول وقيوده تلد السجّان وعائلته:

«فنادى بولس بصوت عظيم قائلاً: لا تفعل بنفسك شيئاً رديًا لأن جميعنا ههنا. فطلب ضوءاً واندفع إلى داخل وخرَّ لبولس وسيلا وهو مرتعد. ثم أخرجهما وقال: يا سيديَّ ماذا ينبغي أن أفعل لكي أخلص. فقالا: آمن بالرب يسوع المسيح فتخلص أنت وأهل بيتك. وكلّماه وجميع مَنْ في بيته بكلمة الرب.» (أع١٦: ٢٨ـ٣٢)

ماذا حدث للولاة، هل أتاهم ملاك نصف الليل وأفزعهم بالأحلام؟:

«ولما صار النهار أرسل الولاة الجلادين قائلين أطلق ذَيْنِك الرجلين.» (أع١٦: ٣٥)

---

6. *In the footsteps of St. Paul*, p. 91.

وفيلبي لا تُنسى ولا يُنسى معروفها وفضلها على الكنيسة كلها، فقد آزرت بولس بالعطاء بسخاء دون جميع كنائس مكدونية، وهذا أمر يُدهَشُ له: «وأنتم أيضاً تعلمون أيها الفيلبيون أنه في بداءة الإنجيل لما خرجت من مكدونية لم تشاركني كنيسة واحدة في حساب العطاء (المالي) والأخذ (الروحي) إلاَّ أنتم وحدكم.» (في٤: ١٥)

بل وكما لا ينسى بولس، لا ننسى نحن أيضاً هذه النفوس السعيدة التي اشتركت في ضيق بولس لما اعتُدي عليه: «غير أنكم فعلتم حسناً إذ اشتركتم في ضيقي» (في٤: ١٤)، بل وهؤلاء القديسين الأتقياء الفخر في السماء لأنهم، وهم أصغر مجمع عبر عليه بولس، اشتركوا في أعوازه الخاصة وهو يخدم أغنى المجامع وهو مجمع تسالونيكي: «فإنكم في تسالونيكي أيضاً أرسلتم **إليَّ مرة ومرتين لحاجتي** ... قد امتلأتُ إذ قبلتُ من أبَفْرُدتُس الأشياء التي من عندكم نسيم رائحة طيبة ذبيحة مقبولة مرضية عند الله.» (في٤: ١٦و١٨)

بولس الرسول في تسالونيكي:

«فاجتازا في أمفيبوليس وأبولونية وأتيا إلى تسالونيكي حيث كان مجمع اليهود.» (أع١٧: ١)

هنا لهجة الكاتب تتغير فجأة من «نحن» إلى ضمير الغائب «اجتازا»، إشارة إلى أن الذين ارتحلوا من فيلبي هما بولس وسيلا فقط، وهذا يعني أن كلًّا من لوقا كاتب الأعمال ومعه تيموثاوس تخلَّفا في فيلبي للعناية بالكنيسة الفتية التي بدأت بليدية وعائلتها والسجان وعائلته. ولكن سنسمع عن تيموثاوس يلتحق بالجماعة مرة أخرى في بيريَّة: «فلما علم اليهود الذين من تسالونيكي أنه (بولس) في بيريَّة أيضاً ... فحينئذ أرسل الإخوة بولس للوقت ليذهب كما إلى البحر وأما سيلا وتيموثاوس فبقيا هناك.» (أع١٧: ١٣و١٤)

أما لوقا فيغيب عن التسجيل حتى إلى أن وصل بولس إلى روما!! في ختام سفر الأعمال(٧). ومن هذا التغير نفهم أن الكاتب ـــ الذي كان هو لوقا(٨) ـــ قد غاب عن التسجيل، والذي بدأ يكمِّل الرواية ليس شاهد عيان. لذلك يأتي الوصف مُقتضباً وغير مدقَّق.

7. Conybeare, *op. cit.*, p. 240.

(٨) يُخمِّن العالم كونيبير أن لوقا الطبيب كان يغيب ليمارس مهنة الطب والجراحة في المواقف التي تستلزم عمله. ويقول المؤرخ يوسابيوس والقديس جيروم أن القديس لوقا مواطن من أنطاكية. وأنطاكية والإسكندرية كانتا مدينتين مشهورتين بدراسة الطب. ومعروف أن القديس لوقا هو الوحيد الذي ظل أميناً ومرافقاً لبولس حتى آخر لحظة من حياته: «لوقا وحده معي.» (٢تي٤: ١١)
Conybeare, op. cit., p. 241

ولكن شاهد العيان يعود مرة أخرى فيروي عن رؤية وزمالة في رحلة العودة من فيلبي إلى ترواس: «هؤلاء سبقوا وانتظرونا في ترواس، وأما **نحن** فسافرنا في البحر بعد أيام الفطير من فيلبي ووافيناهم في خمسة أيام إلى ترواس.» (أع ٢٠: ٥و٦)

تسالونيكي:

سُميت هذه المدينة على اسم أخت الإسكندر الأكبر. وقبل أن تُجعل القسطنطينية عاصمة الإمبراطورية اليونانية شرقاً، كانت تسالونيكي هي العاصمة، وهي الآن ثاني أكبر وأهم مدينة في تركيا الأُوروبية وذلك بسبب أهميتها الجغرافية. وهي منذ تأسست حتى اليوم لم تفقد أهميتها التجارية[9].

وتسالونيكي في المحيط المسيحي تُحسب ركيزة صيت وإنارة لكل أوروبا، فقد كانت بالنسبة لبولس الرسول مركز إشعاع ومعرفة. اسمعه وهو يصف أهل تسالونيكي لأهل تسالونيكي:

+ «حتى صرتم قدوة لجميع الذين يؤمنون في مكدونية وفي أخائية. لأنه من قِبَلِكُم قد أُذيعت كلمة الرب، ليس في مكدونية وأخائية فقط، بل وفي كل مكان أيضاً قد ذاع إيمانكم بالله، حتى ليس لنا حاجة أن نتكلم شيئاً.» (١تس١: ٧و٨)

وفي التاريخ المسيحي القديم لا يفوق تسالونيكي في الأهمية ــ كمدينة ذات كرسي بطريركي ــ إلاَّ أنطاكية سوريا[10]. ومعروف لدى مؤرخي المسيحية الأُوروبيين أن تسالونيكي كانت ذات اليد البيضاء في إدخال المسيحية إلى السلاف وإلى البُلْغار. ولقد فازت في العصور الوسطى باللقب «المدينة الأرثوذكسية»[11]، وفي مجمع سارديكا سنة ٣٤٧م كان أسقفها حاضراً وذُكِرَ اسمه في قانون الإيمان الصادر عنه.

بولس الرسول في مجمع تسالونيكي:

وكالعادة بشَّر بولس وسيلا وسط اليهود، وانحاز لهما جمع غفير خاصة من اليونانيين اليهود المتعبِّدين الحارين: «فاقتنع قوم منهم وانحازوا إلى بولس وسيلا ومن اليونانيين المتعبدين جمهور كثير ومن النساء المتقدمات عدد ليس بقليل.» (أع١٧: ٤)

وكالعادة أيضاً هيَّج اليهود المتعصِّبون الشعب، بل واستأجروا رجالاً أشراراً لإثارة فتنة في

---

9. Conybeare, *op. cit.*, pp. 248,249.

10. Ibid.

11. Ibid.

المدينة حتى سجَّسوها كلها مدَّعين عليهما أنهما يعملان ضد أحكام قيصر و بأنه يوجد ملك آخر اسمه يسوع، فكان ما كان حتى قُبض عليهما. ولكن هنا ينكشف لنا مستوى الحكام من الوجهة القانونية الرومانية، إذ لم يُسأ إلى المتَّهمين بالزور، بل على العكس حُكم على ياسون رئيس المجمع بدفع كفالة وأُطلق بولس وسيلا.

ومعروف أن تسالونيكي لم تكن محكومة مثل فيلبي على أنها «كولونية» بل كانت مدينة حُرَّة Urbs Libera أخذت هذا الامتياز إزاء عمل من أعمال البطولة، مثل أنطاكية وتُرواس وأثينا. وتسالونيكي نالت امتياز «المدينة الحرة» بسبب اشتراك مواطنيها في الحرب في صف أوغسطس أكتافيانوس(١٢). وكانت تسالونيكي تحكم نفسها بنفسها فلم تكن تحت حكم ولاة من خارجها.

وبفحص رسالتي بولس الرسول إلى تسالونيكي نكتشف حقيقة شعب هذه المدينة، فقد كانوا محتاجين إلى مزيد من العطف الأبوي من بولس بل ومن ترفُّق الأم أيضاً، ولكن للأسف لم يشتركوا في احتياجاته الخاصة بل كانت هذه تأتيه من فيلبي، مما جعله يكرز بالنهار ويشتغل بيديه بالليل على ضوء المصباح لكي يوفر قوت نفسه: «فإنكم تذكرون أيها الإخوة تعبنا وكدَّنا، إذ كنا نكرز لكم بإنجيل الله ونحن عاملون ليلاً ونهاراً كي لا نثقل على أحد منكم»؟؟ (١تس٢: ٩)، «ولا أكلنا خبزاً مجاناً من أحد بل كنا نشتغل بتعبٍ وكدٍّ ليلاً ونهاراً لكي لا نثقِّل على أحد منكم.» (٢تس٣: ٨)

ويعتقد العالم بالي Pally أن بولس الرسول مكث في تسالونيكي ثلاثة أسابيع على الأقل. ولكن يعلق عالم آخر وهو بنسون Benson أنه إذا كانت قد جاءت إليه معونات متعددة من فيلبي، فكل مرة كانت تحتاج إلى ثلاثة أسابيع لكي تصل إليه من فيلبي إلى تسالونيكي، هذا بالإضافة إلى المدة اللازمة لجمعها من المتبرعين في كل مرة.

ومن روح الرسالتين إلى تسالونيكي يظهر بوضوح أن جسم الكنيسة كان في جلته من الأمم، وأنه ليس فيهم يهود، لأن بولس شدَّد النكير على اليهود وافتضح أعمالهم جداً (١تس٢: ١٤–١٦).

بولس الرسول وسيلا في بيرِيَّة Berea:

انطلق بولس الرسول وسيلا في طريقهما إلى بيرية ليلاً وسارا طول الليل، وأشرق عليهما النهار

---

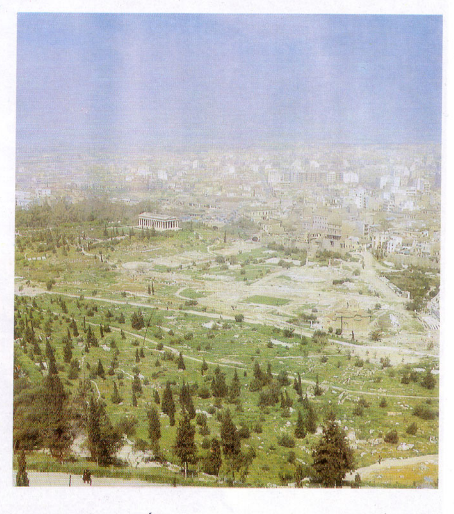
12. Ibid., p. 257.



«فأقلعنا من تَرُواس وتوجَّهنا بالاستقامة إلى ساموثراكي وفي الغد إلى نيابوليس.» (أع١٦:١١)

نيابوليس القديمة) إحدى مواني مقدونية، التي عبر بها القديس بولس إلى أوروبا للمرة الأُولى.

(أنظر صفحة ٦٣٤)



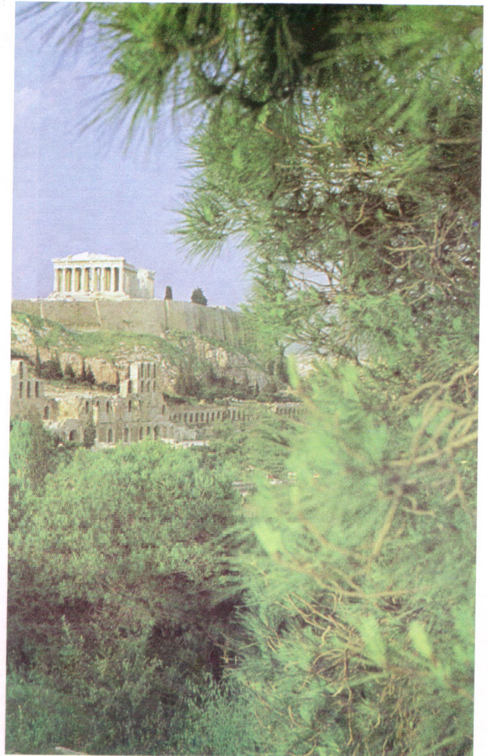
الميدان العام للسوق Agora في أثينا

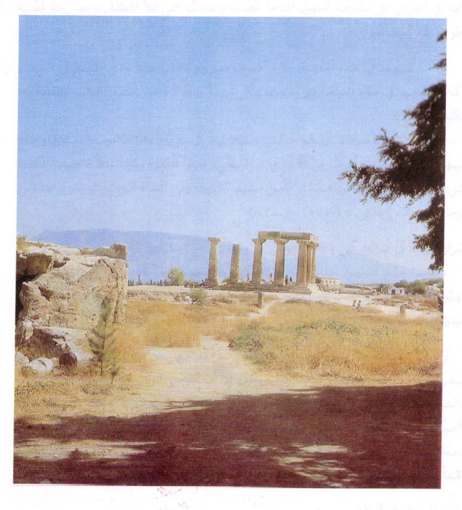
يُرى من أعلى الأريوس باغوس. وفي المدن اليونانية كان السوق هو مكان التجارة وعقد الاجتماعات العامة. وفوق الأريوس باغوس كانت تُعقد المحاكمات للبتِّ في القضايا المستعصية وخاصة تلك التي تخص الأمور الدينية.

(أنظر صفحة ٦٤١)

« ... في أثينا احتدَّت روحه فيه إذ رأى المدينة مملوءة أصناماً. »
(أع ١٧: ١٦)

منظر الأكروبوليس في أثينا (ومعناه المدينة المرتفعة)، أُطلق في اليونان على القلاع المحصنة فوق التلال. اشتهر بينها أكروبوليس أثينا بهياكله الرائعة، ولاسيما معبد البارثينون.
وهذه أطلال تلك المعابد القديمة بأصنامها.





أطلال هيكل أبوللو في كورنثوس

كانت كورنثوس في زمن القديس بولس مدينة عظيمة تشتهر بالتجارة والصناعة وبالملاهي، مما جعلها تجتذب كثيراً من المهاجرين والعبيد والمحررين والأحرار. وكان يحكمها قائد روماني برتبة «قنصل إقليم» Proconsul.

(أنظر صفحة ٦٤٤)

وهما في الطريق على مشارف السهول المتاخمة للجبال والغابات التي تملأ المنطقة. وبعد رحلة مُضْنية وطويلة بلغا أبواب بيريّة.

وكان لليهود في هذه المدينة جالية كبيرة ومجمع. وكالعادة قصد بولس المجمع في السبت، وكان اليهود في هذه المدينة أكثر استجابة وأقل تعصباً وانفعالاً، فقد استمعوا لبولس وناقشوا معه الكلمة بتعقل:

«وأما الإخوة فللوقت أرسلوا بولس وسيلا ليلاً إلى بيرية، وهما لمّا وصلا مضيا إلى مجمع اليهود. وكان هؤلاء أشرف من الذين في تسالونيكي، فقبلوا الكلمة بكل نشاط فاحصين الكتب كل يوم، هل هذه الأمور هكذا. فآمن منهم كثيرون ومن النساء اليونانيات الشريفات ومن الرجال عدد ليس بقليل.» (أع١٧: ١٠—١٢)

أشرار اليهود في تسالونيكي يتعقبون بولس في بيرية:

«فلما علم اليهود الذين من تسالونيكي أنه في بيرية أيضاً نادى بولس بكلمة الله جاءوا يُهيِّجون الجموع هناك أيضاً. فحينئذ أرسل الإخوة بولس للوقت ليذهب كما إلى البحر. وأما سيلا وتيموثاوس فبقيا هناك.» (أع١٧: ١٣و١٤)

ولو أن المسافة بين بيرية وتسالونيكي كبيرة — أكثر من ستين ميلاً[١٣] — وكان يمكن أن يبقى بولس الرسول شهوراً في بيريه يكرز ويعلّم، إلاّ أن العنصر اليهودي في الموضوع كان خطيراً، فالتخاطب بين مجامع اليهود أشبه بتخاطب البحارة في السفن، فالإشارة يمكن أن تبلغ مئات الأميال في ساعة. لذلك لم تهنأ بيرية بمعلّمها، ولا هَنَأ بولس الرسول بكرازته بين هؤلاء القوم العقلاء المستجيبين والنشطاء. فعجّلوا بإخراجه من المدينة ناحية البحر ليسافر بحراً نحو أثينا منفرداً وحيداً متألماً: «والذين صاحبوا بولس جاءوا به إلى أثينا.» (أع١٧: ١٥)

بولس الرسول في أثينا:

كانت أثينا عاصمة الحكمة، حكمة هذا العالم موضع فخر العقل البشري، ومقر عظماء هذا الدهر. تتباهى بفلاسفتها الذين ملأ العالم صيتهم، وتفخر بشعرائها الذين بلغوا أوَجَ المنطق والبيان، ولكن كانوا يجهلون حكمة الله كما كان الله يُجهِّل حكمتهم: «لأن حكمة هذا العالم هي جهالة عند الله» (١ كو٣: ١٩)، «وأيضاً الرب يعلم أفكار الحكماء أنها باطلة، إذاً لا يفتخرنَّ

13. Ibid., p. 263.

أحد بالناس.» (١ كو٣: ٢٠و٢١)

لقد تربى اليهود على بغضة الأصنام، والتقيُّ منهم يفزع من رؤياها. لذلك، فبدخول بولس الرسول أثينا انقبضت روحه فيه. فنحن لا نسمع عن أي نجاح له في الكرازة بين اليهود مع أنه ذهب مراراً إلى مجمعهم، وتعرف على كثيرين منهم في الطريق وبادلهم الحديث. وحتى لما دعاه فلاسفتها للحديث الرسمي في مكان الشعر والخطابة وهو على أعلى قمة تل أريوس باغوس Areopagus حيث يُحاكَمُ أعاظم الرجال وتُفحصُ آراء العظماء، وأُعطيت له الكلمة ـ وهذا عندهم يُحسب تكريماً أشد التكريم ـ بل واستمعوا إليه كثيراً، ووعظ هو كثيراً، وأخيراً لم يخرج إلاَّ بفيلسوف واحد هو ديونيسيوس الأريوباغي وامرأة اسمها دَامَرِس وآخرين معهما، وبتقريظ لا يسرُّ: «إنه مهذار.»! (أع١٧: ١٨)

لقد تعرف بولس على فلاسفتها وهم قسمان: الرواقيون stoïcs، وفيلسوفهم «زينون» وُلد في تاريخ مجهول في جزيرة قبرس، والأبيكوريون وفيلسوفهم إبيقوروس (وُلد ٣٤٢ ق.م). المدرسة الأُولى تؤمن بتعدُّد الآلهة والمدرسة الثانية لا تؤمن بالآلهة، وآلهتها لو وُجِدت لا يهمها شيء من أمور العالم. أما العالم عند الأبيكوريين فقد أوجد نفسه، أو هو وُجد صدفةً أو إثر حادثة. والعالم عندهم يشرح نفسه ولا يحتاج إلى قوة أعلى منه تُسيِّره أو تشرحه. وهم يؤمنون بشيء أفضل مما هو كائن في العالم. والجسد عندهم والروح معاً ينتهيان إلى لا شيء. وهم الذين قال عنهم بولس الرسول: «إن كان الأموات لا يقومون (كما قال الأبيكوريون) فلنأكل ونشرب لأننا غداً نموت. لا تضلُّوا ...» (١ كو١٥: ٣٢). والأبيكوري الحق لا يضطرب لشيء ولا يهتم بشيء إلاَّ بهدوء نفسه، ونموذجه الأعلى هو الحيوان في ارتياحه لنفسه وغرائزه، وغايته العظمى أن يُمتِّع نفسه!!

وبينما الرواقي همُّه الأول أن يقاوم الشر من حوله، فهمُّ الأبيكوري أن يُمتِّع نفسه بما حوله ولا يعبأ بالأمور عامة.

أما الرواقيون فيؤمنون بأن الله هو روح أو عقل العالم، والعالم بحد ذاته هو كيان نفسي عاقل، أوْجَد كل شيء بنفسه ويجريها لتنتهي إلى نفسه. فالمادة عندهم متحدة بالروح أو بالألوهة. والله عند الرواقيين لم يخلق الطبيعة ولكنه يدبِّرها وحسب. فالله بَثَّ القانون أو الناموس الطبيعي، والقانون في المادة التي هي في الحقيقة ذاته!! والعالم ظهر إلى الوجود كحلقة من حلقات تطور الله (كذا) والروح أو النفس عند الرواقيين مادة وهي تحترق بالموت لتعود ويمتصها الله في نفسه. لذلك فالقيامة التي بشَّر بها بولس الرسول لهم هي منافية للعقل. وأعظم مثل للأخلاق عند زينون والرواقيين هو فضيلة إنكار الذات، وفضيلة عدم التأثر apathy حيث لا يتأثر قط بالانفعال البشري

ولا يهتز بتغيير الظروف والحوادث. فالمسرة في أوج حالها ليست شيئاً صالحاً والألم في أشد أحواله ليس شراً! فكل ما يحدث و يتوافق مع العقل فهو حسن. وكل فعل لا يتوافق مع العقل هو الشر! والرجل الحكيم يعيش وفْق ما يقبله عقله، وهذا هو الكمال عند الرواقي. فهو يحكم بنفسه الأمور كملك أعلى ويبرِّر نفسه في عظمته كإله. وهكذا يستمر الفكر الرواقي ليعدِّد كل ما هو ضد المسيحية على خط مستقيم!! فليس ما يُجِنُّ الرواقي أكثر من أن تدعوه للخلاص!! فالرواقية مدرسة الكبرياء والتألُّه.

ولقد أعطت هذه المبادىء الرواقية لبولس الرسول انفعاله الروحي ليعلِّم المسيحية عن صحة لا يأتيها الضلال الرواقي أو الأبيكوري من اليمين أو اليسار!!

وبعد أن انتهى بولس الرسول من عظته اللاهوتية في وسط الفلاسفة وهم على أشد ما يمكن من الإصغاء، باعتبار الكلمات أنها جديدة عليهم، وهم يعشقون الجديد، ليس لجدَّته ولكن كمادة للحديث والجدل ليس إلاَّ — كان انطباعهم على مستويين: مستوى منهم أنه إنسان لا قيمة لحديثه؛ والمستوى الآخر أعجبهم جدَّة الكلام عن الإلهيات ليس إلاَّ، فطلبوا منه المزيد ولكن فيما بعد. وطبعاً، لا يغيب عن ذهن القارىء انتساب رأي كل مدرسة لهذه النتيجة، فالأبيكوريون عزفوا عن السماع له جملة، وقطعوا بأن كلام بولس ليس فيه ما يفيد؛ أما الرواقيون فوجدوا في كلام بولس الرسول ما يثير تفكيرهم، فطلبوا فرصة للمزيد.

ولكن على أي حال، قال بولس الرسول كلمته وشهد بإنجيله من فوق قمة أريوس باغوس أو قمة فلسفة هذا العالم، وأشْهَدَ السماء والأرض، وإن لم تسمعها أثينا يومها جيداً فقد سمعها العالم كله وسجَّلها في خزائن حكمته. أما خروجه بديونيسيوس الأريوباغي، من وسط زمرة هؤلاء الفلاسفة، خاضعاً لصوت المسيح، مؤمناً بصليبه، فهو تحقيق ما بعده تحقيق لقول بولس: «إذ أسلحة محاربتنا ليست جسدية بل قادرة بالله على هدم حصون. هادمين ظنوناً وكل علوٍ يرتفع ضد معرفة الله ومستأسرين كل فكر إلى طاعة المسيح.» (٢كو١٠: ٤و٥)

أما ديونيسيوس الأريوباغي فيقول التقليد إنه صار أول أسقف على أثينا. أما السيدة دامَرِس Damaris فيبدو أنها كانت سيدة ذات شأن، إذ كانت من بين السامعين في أريوس باغوس.

بولس الرسول في كورنثوس
وكتابة الرسالتين إلى تسالونيكي(١٤):

ربما قطع بولس المسافة من أثينا إلى كورنثوس في مركب شراعي، وهي رحلة لا تستغرق أكثر من بضع ساعات مبتدئاً من بيريؤس ميناء أثينا إلى كنخريا ميناء كورنثوس.

والفرق بين روح أثينا وروح كورنثوس هو الفرق بين أكاديمية علمية وسوق مزدحم. ويشبِّهها أحد العلماء برحلة من أكسفورد إلى لندن(١٥).

ولكورنثوس رنَّة في أسفار العهد الجديد ومركز مرموق في حياة بولس وأهمية خطيرة في الإيمان المسيحي عامة، جملة وتفصيلاً. فالمبادىء والتعاليم واللاهوت والروح والأخلاق التي ازدحمت بها الرسالتان إلى كورنثوس هي الآن جزء من حياة كل مسيحي.

والآن، فإن أهم ما يصادفنا في أعمال بولس الرسول في مدينة كورنثوس هو تفرُّغه لكتابة أول رسالة له. فمنذ أن وطأت قدما بولس أرض كورنثوس واختلى إلى نفسه قليلاً، كان همُّ تسالونيكي الحديثة الإيمان قد قضَّ مضجعه. ومن لغة الرسالة وطابعها نفهم أنها كُتبت بعد كرازته فيها بزمن يسير جداً يتناسب والمدة التي قضاها في سفره منها إلى بيرية ثم أثينا ثم كورنثوس.

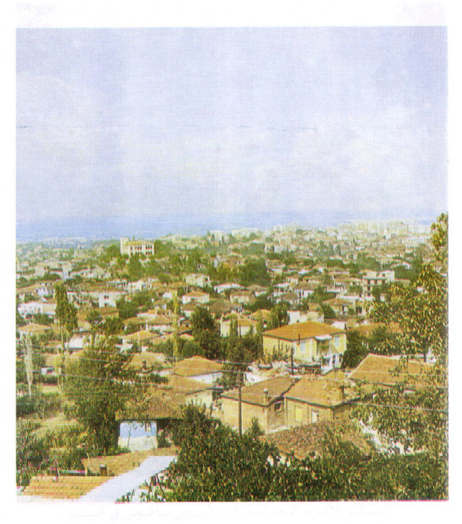
وأعجب ما نقابله في رسائل بولس الرسول أنها تحمل عواطف المحبة الأبوية وأرقَّ المشاعر لمعلِّم نحو تلاميذه بروح المسيح التي تنضح من كل كلمة وكل تعبير وكل وصية وكل تعليم، في حين أنه كتبها أو كان يكتبها وهو يرزح تحت آلام وضيق وتهديد وحصار ومطاردة، هذا بحد ذاته أمر يُذهل له. فالتمزق الذي كان يعانيه بولس الرسول في خدمته يقابله في رسائله قوة هائلة لِلَمِّ شتات المؤمنين ولمِّ شتات النفس وضم الأعضاء وتقريب الكنائس، لا في محيط خدمة بولس ولا لزمان وجوده وحياته فحسب، بل وإلى مدى الدهر لكل شعب ولكل كنيسة ولكل فرد يقرأ رسائل بولس الرسول.

الرسالة الأولى إلى تسالونيكي (في نهاية سنة ٥٢م):

كتبها بولس بعد ٦ شهور من غرس الإيمان المسيحي فيها. وهذه الرسالة تُعتبر أول أسفار العهد الجديد باستثناء رسالة القديس يعقوب(١٦). فإذا علمنا أن الكنيسة التي أنشأها بولس الرسول في

---

14. Pulpit Comm., p. vii.
15. Conybeare, pp. 297,833.
16. Pulpit Comm., p. viii.



«فلما علم اليهود الذين من تسالونيكي أنه في بيرِيَّة أيضاً نادى بولس بكلمة الله...» (أع١٧: ١٣)

فيريا (بيرية القديمة) مدينة صغيرة زراعية وتجارية، تقع أسفل منحدر جبل الأوليمب.

(أنظر صفحة ٦٤٠)



السلم الأثري الصاعد إلى الأريوس باغوس في أثينا (أع ١٧:١٥–٢٢) التي صعد عليها بولس ليكلم حكماء أثينا. «لذلك إذ لم نحتمل أيضاً استحسنا أن نُترك في أثينا وحدنا. فأرسلنا تيموثاوس... حتى يثبتكم ويعظكم لأجل إيمانكم» من رسالة بولس الرسول إلى كنيسة تسالونيكي (١تس ٣:١–٣).

(أنظر صفحة ٦٤١)

تسالونيكي كانت من الأمميين ولم يكن فيها عناصر يهودية متنصِّرة، أدركنا لماذا خلت هذه الرسالة من التعرُّض لقضايا اللاهوت التي تردُّ على معارضات اليهود المتنصرين كقضايا التبرير بدون الناموس، مثلما حدث في غلاطية. بينما نجد أن الأخطاء والانحرافات الناتجة عن الاحتكاكات بجماعة الغنوسيين في كولوسي وأفسس أنشأت بدورها التأكيد على طبيعة شخص المسيح.

لهذا نواجه في رسالة بولس الرسول إلى أهل تسالونيكي البساطة مع التوعية ضد اليهود غير المتنصِّرين. فالرسالة تُعتَبَر خالية من طابع الدفاع والمحاجاة، ولكنها تحمل سمات التعاليم المميزة لبولس: سمو شخصية المسيح، الملكوت الذي أسسه بالروح في العالم، إنقاذنا من الغضب الآتي، عامل القداسة في الخلاص، حكم المسيح من السماء، قيامة الأبرار، مجيء المسيح الثاني، نصيب المؤمنين المبارك ومعاقبة الأشرار، كما أن موضوع الفداء من خلال آلام المسيح واضح منذ بدء الرسالة. والذي يلزم أن ننتبه إليه هو أن حالة الكنيسة الإيمانية والروحية ونوع مشاكلها هو الذي كان يحدد طبيعة الرسالة.

وبولس الرسول في رسالته الأُولى إلى التسالونيكيين يفتح قلبه بالعطف والحب كأم تدلّل أولادها، إذ كان على استعداد أن يقدِّم لهم كل ما يملك حتى نفسه في سبيل أن يوصِّل إليهم الإنجيل، وذلك بسبب تعلُّق روحه بهم في مقابل تعلُّق أرواحهم به. لذلك فهي قريبة الشَّبَه من رسالته إلى أهل فيلبي الذين وجد فيهم ما وجد في هذه الكنيسة المباركة.

وعلى العموم فكنائس مكدونية، أي فيلبي وتسالونيكي، كانت ذات اعتبار خاص جداً في قلب القديس بولس.

والعنصر الوحيد الذي كان فيه مراجعة لعدم فهمهم وسلوكهم بمقتضى التعليم الصحيح الذي قدَّمه لهم، هو موضوع المجيء الثاني، وقد صححه لهم بالقدر الكافي.

وذهاب بولس الرسول إلى كورنثوس لم يأتِ عن انتقاء واختيار من بولس، فالذي كان يقود بولس كما سبق وسمعنا هو الروح القدس بل المسيح شخصياً، فاسمع ما يقوله المسيح لبولس وهو خائف ومرتجف من شدة مقاومة اليهود وعنف تهديدهم: «فقال الرب لبولس برؤيا في الليل: لا تَخَفْ، بل تكلم ولا تسكت، لأني أنا معك ولا يقع بك أحد ليؤذيك. لأن لي شعباً كثيراً في هذه المدينة. فأقام سنة وستة أشهر يعلِّم بينهم بكلمة الله.» (أع١٨: ٩-١١)

إذاً، فالرب هو الذي اختار كورنثوس وحصر زمان الخدمة فيها. ولو تمعَّن الباحث لماذا اختار

الرب كورنثوس، لوجد أنها ذات صلات شديدة وحيوية وباستمرار مع كلٍّ من روما والإسكندرية وأفسس، فإن تثبيت أقدام الإنجيل في كورنثوس جعلها تمتد إلى كل العالم غرباً وشرقاً وجنوباً. وكانت عين الرب على مجمع اليهود في كورنثوس، فهو وإن تربّت فيه كلمة الإنجيل وأتت ثمارها فلا بد أن تأخذها الرياح لتبذرها في كل الأقطار المحيطة.

ونحن نعلم أن أكبر عدد من اليهود كان قد تجمّع في كورنثوس بسبب نزوح كل يهود روما إليها بعد أن طُردوا من روما بأمر الإمبراطور كلوديوس: «فوجد يهودياً اسمه أكيلاً بنطي الجنس (من شمال آسيا الصغرى) كان قد جاء حديثاً من إيطاليا وبريسكلا امرأته، لأن كلوديوس كان قد أمر أن يمضي جميع اليهود من رومية. فجاء إليهما ولكونه من صناعتهما أقام عندهما وكان يعمل لأنهما كانا في صناعتهما خِيَامِيَّيْن.» (أع١٨: ٢و٣)

وكالعادة كانت نتيجة خدمة بولس في مجمع كورنثوس إيمان كثير من اليهود، وخاصة اليونانيين، وكان منهم رئيس المجمع نفسه: «وكريسْبُس رئيس المجمع آمن بالرب مع جميع بيته، وكثيرون من الكورنثيين إذ سَمِعُوا آمنوا واعتمدوا» (أع١٨: ٨)، إلى أن «قام اليهود بنفس واحدة على بولس وأتوا به إلى كرسي الولاية قائلين: إن هذا يستميل الناس أن يعبدوا الله بخلاف الناموس» (أع١٨: ١٢و١٣). ولكن بتدبير الله العجيب كان والي أخائية، التي كانت كورنثوس عاصمتها، رجلاً حكيماً مقتدراً، وهو غاليون وكان أخاً لسينكا الفيلسوف المشهور. فلما فحص الأمر جليّاً لم يعبأ بثورة اليهود المفتعلة وطردهم: «وإذ كان بولس مزمعاً أن يفتح فاه، قال غاليون لليهود: لو كان ظلماً أو خبثاً رديّاً أيها اليهود لكنت بالحق قد احتملتكم، ولكن إذا كان مسئلةً عن كلمةٍ وأسماءٍ وناموسكم فتُبْصِرُون أنتم لأني لست أشاء أن أكون قاضياً لهذه الأمور. فطردهم من الكرسي.» (أع١٨: ١٤—١٦)

وكما سبق وقلنا، فإن بولس الرسول ظلّ يؤسس كنيسة كورنثوس سنة كاملة وستة أشهر، وقد وافاه سيلا وتيموثاوس في كورنثوس وأضافا إليه مزيداً من العزيمة في احتمال مكائد اليهود، وقد وصلا كورنثوس بينما كان بولس فعلاً منحصراً في الروح وتحت ضغط، يحاجج ويعلّم:

«ولما انحدر سيلا وتيموثاوس من مكدونية كان بولس منحصراً (strained = مشدوداً) بالروح وهو يشهد لليهود بالمسيح يسوع.» (أع١٨: ٥)

وأوضح تعبير عن حالة بولس الرسول في كورنثوس يشرحه بولس نفسه لأهل كورنثوس:

+ «وأنا كنت عندكم في ضعف وخوف ورعدة كثيرة، وكلامي وكرازتي لم يكونا بكلام

الحكمة الإنسانية المقنع، بل ببرهان الروح والقوة ...» (١ كو٢: ٣و٤)

ثم يضم خدمته في مكدونية على خدمته في كورنثوس ويقول لأهل كورنثوس:

+ «لأننا لما أتينا إلى مكدونية لم يكن لجسدنا شيء من الراحة، بل كنا مكتئبين في كل شيء. من خارج خصومات، من داخل مخاوف، لكن الله الذي يُعزِّي المتضعين عزَّانا ...» (٢ كو٧: ٥و٦)

ولكن يلزم هنا أن نوضح أن بولس الرسول كان يتعزى جداً بأولاده حينما كانوا يوافونه من بعيد حاملين أخبار خدمته:

+ «الله الذي يُعزِّي المتضعين عزَّانا بمجيء تيطس، وليس بمجيئه فقط بل أيضاً بالتعزية التي تعزَّى بها بسببكم. وهو يخبرنا بشوقكم ونوْحكم وغيرتكم لأجلي حتى إني فرحت أكثر.» (٢ كو٧: ٦و٧)

+ «ومن هناك لما سمع الإخوة بخبرنا خرجوا لاستقبالنا إلى فورن أبيوس والثلاثة الحوانيت. فلما رآهم بولس شكر الله وتشجع.» (أع٢٨: ١٥)

وبينما كان بولس في أثينا، أرسل تيموثاوس إلى تسالونيكي ليفتقد الكنيسة هناك. فلما عاد تيموثاوس من هناك إلى كورنثوس استدعى هذا أن يكتب لهم رسالته الأُولى التي سبق وذكرناها، والتي احتفظ بها الله لنا.

ولما رفض اليهود أن يسمعوا لبولس الرسول في المجمع، تركهم متجهاً بقلبه وروحه للأمم، أي لليونانيين: «وإذ كانوا يقاومون ويجدِّفون، نفض ثيابه وقال لهم: دمكم على رؤوسكم، أنا بريء، من الآن أذهب إلى الأمم. فانتقل من هناك وجاء إلى بيت رجل اسمه يوستس، كان متعبداً لله وكان بيته ملاصقاً للمجمع» (أع١٨: ٦و٧). وصار هذا البيت بعد ذلك مقر اجتماع المسيحيين ومقابلة بولس لهم.

أما الأشخاص الذين أصبحوا علامات خالدة في تاريخ كورنثوس والكنيسة كلها على مر الدهور، فقد ذكرهم بولس في رسائله، كل واحد بلقبه ومديحه:

١ ــ «أنتم تعرفون بيت إستفاناس أنهم باكورة أخائية (مقاطعة كورنثوس) وقد رتبوا أنفسهم لخدمة القديسين (= ضيافة المسيحيين الغرباء).» (١ كو١٦: ١٥)

٢ ــ «ثم إني أفرح بمجيء إستفاناس وفرتوناتوس وأخائيكوس، لأن نقصانكم هؤلاء قد جبروه، إذ أراحوا روحي وروحكم.» (١ كو١٦: ١٧و١٨)

٣ ــ «أشكر الله أني لم أُعمِّد أحداً منكم إلاَّ كِريسبُس وغايُس.» (١ كو١: ١٤)

٤ ــ «سلِّموا على بريسكلا وأكيلا العاملَيْن معي في المسيح يسوع اللذين وضعا عنقيهما من أجل حياتي، اللذين لست أنا وحدي أشكرهما بل أيضاً جميع كنائس الأمم وعلى الكنيسة التي في بيتهما.» (رو١٦: ٣ــ٥)

٥ ــ «سلِّموا على أبَيْنِتوس حبيبي الذي هو باكورة أخائية للمسيح.» (رو١٦: ٥)

٦ ــ «يسلِّم عليكم تيموثاوس العامل معي ولوكيوس وياسون وسوسيباترس أنسبائي.» (رو١٦: ٢١)

٧ ــ «أنا ترتيوس (في كورنثوس) كاتب هذه الرسالة (المرسلة إلى روما) أُسلِّم عليكم في الرب.» (رو١٦: ٢٢)

٨ ــ «يُسلِّم عليكم غايس مُضَيِّفي ومُضيِّف الكنيسة كلها.» (رو١٦: ٢٣)

٩ ــ «يسلِّم عليكم أراسْتُس خازن المدينة وكوارتس الأخ.» (رو١٦: ٢٣)

١٠ ــ وأخيراً وهو الأول والأهم: «كريسبُس رئيس المجمع آمن بالرب مع جميع بيته وكثيرون من الكورنثيين، إذ سمعوا آمنوا واعتمدوا.» (أع١٨: ٨)

ويلاحظ في رسالة كورنثوس الأُولى أن بولس الرسول يقرر بشيء من الافتخار والمسئولية أنه عمَّد رئيس المجمع هذا:

+ «أشكر الله أني لم أُعمِّد أحداً منكم إلاَّ كريسبُس وغايُس.» (١ كو١: ١٤)

الرسالة الثانية إلى تسالونيكي من كورنثوس (أوائل سنة ٥٣م):

لم تمر شهور كثيرة على كتابة الرسالة الأُولى لأهل تسالونيكي وبولس في كورنثوس حتى بدأ يكتب لهم الرسالة الثانية. والسبب هو إحساس بولس مع الأخبار التي واتته على يد تيموثاوس، أن الكنيسة هناك منزعجة بسبب تأويل التعليم الذي قدمه بولس لهم بخصوص المجيء الثاني للمسيح. على أن الرسالة الأُولى لم تقنعهم وخاصة ذوي الفكر الضيق منهم الذين أثاروا تعليماً بأن المسيح قد أتى أو هو على الأبواب (٢تس ٢: ٢).

وبولس الرسول يصف حالته بعد ما غادر تسالونيكي هكذا: «لأننا لما أتينا إلى مكدونية لم يكن لجسدنا شيء من الراحة بل كنا مكتئبين في كل شيء» (٢كو٧: ٥)، لأن خدمته بين التسالونيكيين تخللتها مقاومات من هؤلاء غير المتَّزنين في انفعالاتهم وتهويلهم للأمور. وهو ما لمّح عنه في رسالته الأُولى لهم (١تس ٥: ١ــ١١)، مُحذِّراً أن الرب نفسه حذَّر تلاميذه أن هذا اليوم وهذه الساعة لا يعلمها أحد ولا ملائكة الله التي في السماء إلاَّ الآب وحده. وإنه وإن كانت

الكنيسة الأولى بمن فيها من الرسل أجمعين اعتقدوا بسرعة مجيء الرب لأنه لم يكن قد فات على صعوده سوى عشرين سنة فقط، لذلك فقد انتظروا مجيئه في أثناء حياتهم، إلاَّ أنَّ لا الرسل ولا بولس أخطأوا بتحديد الزمن بالسنة أو اليوم ولا أخطأوا باستقراء نتائج غير سليمة من إحساساتهم هذه، بل النتيجة الوحيدة كانت هي التهاب المؤمنين وترقُّبهم بشوق وفرح لملاقاة الرب، وهذا هو عين ما يفرِّح قلب المسيح أيضاً.

ولكن الذي حدث من تلاميذ بولس الرسول في تسالونيكي هو أنهم بتصوُّرهم أن العالم هكذا سينتهي سريعاً فإنه لا داعي للهمِّ والتعب والعمل فيه، فتركوا أعمالهم وأهملوا مسئولياتهم وتطفَّلوا على الآخرين في أكلهم وشربهم. وعلى هذا كان ردُّ بولس في رسالته الثانية أن مَنْ لا يعمل لا يأكل (٢تس٣: ١٠). كذلك بدأت الهلوسات والرؤى المزيَّفة بالنسبة لمجيئه تزداد، فاضطرب المجتمع المسيحي هناك بكثرة الإشاعات وأصبح على شِفَا الانحلال والتفكك، ونشأت فرص لمرضى العقول والنفوس بالادِّعاء برؤيتهم رؤىً وأحلاماً وسماعهم كلاماً كأنها من الروح، بل وزيَّفوا كلام بولس الرسول ليؤكدوا أوهامهم. وهذه هي تلميحاته التي دعته أن يكتب لهم هذه الرسالة سريعاً بعد مجيء تيموثاوس من هناك وإعطائه تقريراً عن الحالة:

+ «ثم نسألكم أيها الإخوة من جهة مجيء ربنا يسوع المسيح واجتماعنا إليه. أن لا تتزعزعوا سريعاً عن ذهنكم، ولا ترتاعوا **لا بروح** ولا بكلمة **ولا برسالة** كأنها منَّا (تزييف أقوال ورسائل)، أي أن يوم المسيح قد حضر. لا يخدعنَّكم أحد على طريقة ما (بأوهامه الخاصة).» (٢تس٢: ١ــ٣)

+ «ثم نوصيكم أيها الإخوة باسم ربنا يسوع المسيح **أن تتجنبوا كل أخ يسلك بلا ترتيب** وليس **حسب التعليم** الذي أخذه منا.» (٢تس٣: ٦)

+ «إذ أنتم تعرفون كيف يجب أن يُتمثل بنا (من جهة عمل اليد لأكل الخبز)، لأننا لم نسلك بلا ترتيب بينكم ولا أكلنا خبزاً مجاناً من أحد، بل كنا نشتغل بتعب وكدٍّ ليلاً ونهاراً لكي لا نثقِّل على أحد منكم.» (٢تس٣: ٧و٨)

+ «إن كان أحد لا يريد أن يشتغل فلا يأكل أيضاً. **لأننا نسمع أن قوماً يسلكون بينكم بلا ترتيب** لا يشتغلون شيئاً بل هم فضوليون (متطفلون). فمثل هؤلاء نوصيهم ونعظهم بربنا يسوع المسيح أن يشتغلوا بهدوء ويأكلوا خبز أنفسهم.» (٢تس٣: ١٠ــ١٢)

وقيمة هذه الرسالة الثانية لأهل تسالونيكي بالنسبة لهم ولنا أن بولس الرسول أعطى مرة أخرى مجمل العلامات الأساسية التي تسبق مجيء الرب لتكون معياراً ثابتاً للتأكد من ميعاد مجيئه. وهذه

كان قد سبق وشرحها لهم بالتفصيل؛ أما هنا فمرَّ عليها مروراً سريعاً دون توضيح، ومن هنا جاءت غامضة نوعاً ما بالنسبة لنا. وهذا يحذرنا نحن أيضاً من أن نتمادى في تأويلها دون أن نعرف ما وراء الكلام. ولكن أخصَّ ما تختصُّ به هذه الرسالة الثانية إلى أهل تسالونيكي هو تحديد بولس للشخصية الأساسية التي ستسبق مجيء المسيح: «إنسان الخطية ابن الهلاك» (٢تس٢: ٣).
بهذا التحديد والرسم الذي تركه بولس الرسول غامضاً بالنسبة لنا، مما حيَّر العلماء والمفسرين، مَنْ يكون هذا الإنسان الذي تقمَّص الخطية أو تقمصته الخطية؟ هل سيكون ملكاً؟ أو نبيًّا مُدَّعي النبوَّة، أو عالماً مدفوعاً بقوى خارقة؟ هل وُلِدَ؟ أم سيولد؟ أم سيظهر فجأة؟ هل له علاقة بالهيكل؟ هل من المسيحيين؟ هل من اليهود؟؟

وهاتان الرسالتان لأهل تسالونيكي متشابهتان لغة وتعليماً ومشاعر، مما يوضح أنهما كُتبتا متقاربتين زمنياً، وهما في الحقيقة حصيلة خدمة بولس الرسول في كلٍّ من إقليمي مكدونية وأخائية، والتي لم تقتصر على خدمة المدن الكبرى فيهما فيلبي وتسالونيكي وكورنثوس، بل إن هذه المدن بما أُسس فيها من كنائس كانت القاعدة التي ينطلق منها شرقاً وغرباً وشمالاً وجنوباً ليؤسس كنائس عديدة. وهذا قول بولس الرسول لهم في رسالته الثانية: «حتى إننا نحن أنفسنا نفتخر بكم في كنائس الله» (٢تس١: ٤)، واسمع قوله لهم أيضاً في رسالته الأُولى: «حتى صرتم قدوة لجميع الذين يؤمنون في مكدونية وفي أخائية، لأنه من قِبَلكم قد أُذيعت كلمة الرب ليس في مكدونية وأخائية فقط بل في كل مكان أيضاً» (١تس١: ٧و٨)، بمعنى أنه ليست مكدونية وأخائية فقط بل ومصر وكل أقطار العالم ...

لذلك فمن البلاد التي يلزم أن نضعها هنا بنوع من المراجعة، التي عبرنا عليها بالاسم فقط مع أنه أُقيمت فيها خدمات وكنائس وشعب مؤمن بالمسيح هي كِنخريا ميناء كورنثوس، مثل نيابوليس ميناء فيلبي. و «كنخريا» اسمها الآن في اليونان كخريس Kichries، وهي من الموانى الهامة التي لها اتصالات بحرية في خطوط تجارية عالمية مع أفسس والإسكندرية وأنطاكية وتسالونيكي وكل مواني بحر إيجة، ولها نقود سُكَّت باسمها. ومن هذا الميناء استقلَّ بولس الرسول سفينة متجهاً إلى سوريا.

بولس الرسول في طريق العودة من كورنثوس إلى أنطاكية سوريا:

«وأما بولس فلبث أيضاً أياماً كثيرة ثم ودَّع الأخوة وسافر في البحر إلى سوريا ومعه بريسكلا وأكيلا بعد ما حلق رأسه في كنخريا لأنه كان عليه نذر.» (أع١٨: ١٨)

أما هذه الأيام الكثيرة فقد كانت بحسب تقدير العلماء ١٨ شهراً. أما حَلْق رأسه لأنه كان

عليه نذر، فالنص قد يشير إلى أن الذي صنع ذلك هو أكيلاً ولكن هذا يصعب قبوله لأن الذي عليه نذر لا يحلّه إلا بتقديم شعره في أورشليم في الهيكل، وأكيلا لم يكن قاصداً أورشليم بل تخلّف في أفسس.

أما الرحلة بين كورنثوس وأفسس على الشاطىء الآخر من بحر إيجة فتستغرق في الأجواء المعتدلة عندما تكون الريح مواتية حوالي من ١٣ إلى ١٥ يوماً(١٧). وتخلّف كلٌّ من أكيلا وبريسكلا في أفسس. وأما المركب فكانت وِجهَتُها سوريا، فلم تمكث طويلاً في الميناء، ولكن بولس انتهز هذه الفرصة القليلة ونزل ودخل المجمع وأخذ يحاججهم كالعادة فيما يخص الموعد الذي لهم والإيمان بالرب يسوع. وبالفعل أثار مشاعرهم وطلبوا منه أن يمكث معهم ويكلمهم بالمزيد. ولكن ألحَّ الروح عليه بضرورة تكميل الرحلة لحضور العيد في أورشليم، أما هذا العيد فهو بحسب تحقيق العلماء هو عيد الخمسين؛ ويبدو أن ما زكّى الإلحاح هو وجود المركب المعدّة للإقلاع والوصول في الميعاد بحيث لو تخلّف عنها لتعذّر وصوله إلى أورشليم في الميعاد. كما زكّاه أيضاً إحساسه الروحي بوجود فرصة للعودة والبقاء عندهم فترة أطول ــ حسب مشيئة الله ــ وهذا ما تم بالفعل في رحلته الثالثة، إذ مكث عندهم سنتين وثلاثة أشهر كاملة.

وسارت المركب في بحر إيجة وعبرت على بعض موانيه وانحدرت إلى رودس ثم قبرس وأقلعت منها، حتى أرست مراسيها في ميناء قيصرية.

ونحن لا ننسى قيصرية في رحلة إيماننا أيضاً، ففي هذه الميناء تمت أول معمودية للأمم من يد رسول هو القديس بطرس، الذي بينما كان يتكلم ويعظ أهل بيت كرنيليوس، حلّ الروح القدس على جميع الذين كانوا يسمعون الكلمة، وصار وتسجّل في سجلات الأرض والسماء أن موهبة الروح القدس قد انسكبت على الأمم أيضاً.

ولكن بقدر ما حملت قيصرية هذه الأخبار المفرحة إلى بولس الرسول، حملت له أحزاناً وآلاماً، حسبها إكليلاً من أجل الشهادة لاسم يسوع، فقد تمّ سجنه في هذه المدينة سنتين كاملتين من يونية سنة ٥٨ م حتى يونية ٦٠ م.

بولس الرسول في أورشليم على هامش الرحلة:

لم يذكر لوقا في تاريخه شيئاً عن غاية هذه الرحلة إلى أورشليم ومقصدها الذي من أجله بدأها بولس الرسول، وهو أن يمضي عيد الخمسين في أورشليم (أع١٨: ٢١)، إلا كلمة واحدة ضعيفة

---

17. Conybeare, *op. cit.*, p. 331.

هزيلة مجردة من كل عمق لا يمكن أن نستقرىء منها إلا أنه مرَّ بها مروراً دون ذكر كلمة «أورشليم»!! «ولما نزل في قيصرية **صعد**، وسلَّم على الكنيسة ثم انحدر إلى أنطاكية» (أع١٨: ٢٢). وغالباً لم يكن لوقا مع بولس الرسول في هذا الانتقال أو «**الصعود**» إلى الكنيسة!! وغالباً أيضاً ما كانت رحلته إلى أورشليم خالية من كل ما يمكن أن يُحْسَبَ تاريخاً، وهكذا تُركت بعلامة استفهام.

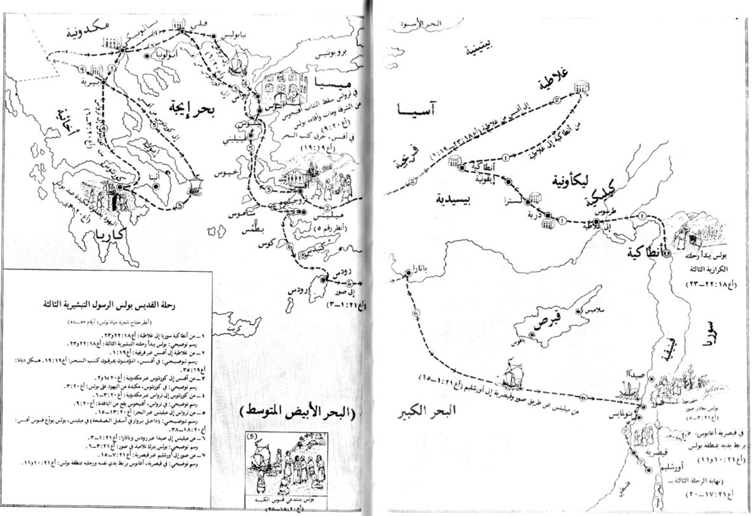
ثم انحدر إلى أنطاكية سوريا:

من أورشليم انطلق بولس الرسول مرة أخرى إلى قيصرية ثم شمالاً إلى أنطاكية. دون التعريج على أية كنيسة في الطريق. وكانت أنطاكية له، كما كانت أورشليم للاثني عشر، مركز العمل ونقطة البدء لكل إرسالية.



شارع في الحي التجاري في كورنثوس

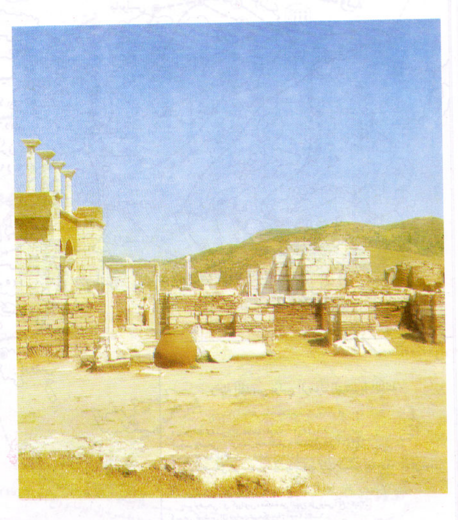
(أنظر صفحة ٦٤٤)



رحلة القديس بولس الرسول التبشيرية الثالثة

(أنظر مفتاح شجرة حياة بولس، أرقام ٥٢-٥٨)

١ - من أنطاكية سوريا إلى غلاطية: أع١٨: ٢٢و٢٣.
رسم توضيحي: بولس يبدأ رحلته التبشيرية الثالثة: أع١٨: ٢٢و٢٣.
٢ - من غلاطية إلى أفسس عبر فريجية: أع١٩: ١.
رسم توضيحي: في أفسس، المؤمنون يحرقون كتب السحر: أع١٩: ١٩. هيكل ديانا: أع١٩: ٣٥.
٣ - من أفسس إلى كورنثوس عبر مكدونية: أع٢٠: ١و٢.
رسم توضيحي: في كورنثوس، مكيدة من اليهود على بولس: أع٢٠: ٣.
٤ - من كورنثوس إلى ترواس عبر مكدونية: أع٢٠: ٣-٦.
رسم توضيحي: في ترواس، أفتيخوس يقع من النافذة: أع٢٠: ٩.
٥ - من ترواس إلى ميليتس عبر البحر: أع٢٠: ١٣-١٥.
رسم توضيحي: (داخل برواز في أسفل الصفحة) في ميليتس، بولس يودّع قسوس أفسس: أع٢٠: ١٨-٣٨.
٦ - من ميليتس إلى صيدا عبر رودس وباتارا: أع٢١: ١-٣.
رسم توضيحي: بولس يترك تلاميذ في صور: أع٢١: ٣-٦.
٧ - من صور إلى أورشليم عبر قيصرية: أع٢١: ٧-١٥.
رسم توضيحي: في قيصرية، أغابوس يربط يدي نفسه ورجليه بمنطقة بولس: أع٢١: ١٠و١١.



آثار كنيسة القديس يوحنا في أفسس. تَكَرَّم هذا الرسول بأن دُعيت العذراء مريم أمه بفم المسيح (يو١٩: ٢٦و٢٧)، كما أنه في مدينة أفسس أُعلن لقب العذراء أنها «ثيئوتوكس» (والدة الإله)، وذلك في المجمع المسكوني الثالث عام ٤٣١م.

الفصل الثالث

رحلة بولس الرسول التبشيرية الثالثة

خط سير الرحلة:

هنا أيضاً الاختصار، الذي يوحي بغياب القديس لوقا كمسجِّل للحوادث وشاهد عيان، يدمغ قصة هذه الرحلة من بدايتها:

«بعد ما صرف زماناً خرج، واجتاز بالتتابع في كورة غلاطية وفريجية يشدد جميع التلاميذ.» (أع١٨: ٢٣)

من هذه الآية الواحدة المختصرة نفهم أنها كانت رحلة افتقاد للوقوف على كل كنيسة في خط السير كمحطة على الطريق للخدمة والوعظ وتشديد الإيمان.

المرافقون للرحلة:

لا نعثر في كل أخبار الرحلات المتتابعة على اسم سيلا، ويبدو أنه تخلَّف في أورشليم. ولكن تيموثاوس من المؤكد ـ كما يبدو ـ أنه كان مرافقاً لبولس الرسول في هذه الرحلة الثالثة من أولها، ولكن بولس وهو في أفسس أرسله إلى مكدونية ليرتب له ذهابه ومروره على كنائس مكدونية:

«فأرسل إلى مكدونية اثنين من الذين كانوا يخدمونه: تيموثاوس وأرسطوس. ولبث هو زماناً في آسيا.» (أع١٩: ٢٢)

الكنائس المرجح أنه زارها في الطريق:

في خط سيره من أنطاكية سوريا، لا بد أنه مرَّ على كلٍّ من طرسوس إلى دربة ثم لسترة وإيقونية، واستقر في أنطاكية بيسيدية فترة. بعدها انطلق نحو غلاطية في الشمال الشرقي وافتقد كنائسها إذ يبدو أن أكثر من كنيسة كانت هناك، بحسب ما نقرأ في مطلع الرسالة التي أرسلها إليهم: «بولس رسول لا من الناس ولا بإنسان بل بيسوع المسيح والله الآب الذي أقامه من

الأموات وجميع الإخوة الذين معي، إلى **كنائس غلاطية...**» (غل ١: ١ و٢)

«وأما من جهة الجمع لأجل القديسين، فكما أوصيتُ **كنائس** غلاطية هكذا افعلوا أنتم أيضاً.» (١ كو١٦: ١)

ولكن الأمر المحيِّر أنه لا يوجد في التاريخ الكنسي القديم أي ذِكْرٍ جغرافي لمدينة تسمى غلاطية بل هي اسم مقاطعة، كذلك في الخرائط كلها قديمها وحديثها. لذلك يرجح العالم كونيبير أن هذه الكنائس التي تسمى باسم غلاطية تقع بالضرورة في أهم المدن القائمة في هذه المقاطعة، وأهمها اثنان: أنقرة Ancyra التي هي الآن عاصمة آسيا الصغرى التركية؛ ومدينة باسينوس، وكانت مركز تجمع قبائل الغلاطيين الذين كانوا يُسمَّون أيضاً باسم توليستوبوي Tolestoboï أو «الغلاطيون المغاربة».

كذلك كانت أنقرة أيضاً مركز عبادة سبلة الحكيمة المسمَّاة: «الأم العظيمة» Cybele the Great Mother أو أم الآلهة، وكان لها هيكل مشهور في مدينة أنقرة، وهي شخصية أسطورية ترجع عبادتها إلى القرن الثالث قبل الميلاد وكانت معتبرة إلهة الخصوبة.

أما الاتجاه الغربي نحو أفسس فلم يذكر لوقا في سفر الأعمال أي إشارة نحو أسماء مدن أو كنائس عبر عليها. ولكن من الرسائل، نجمع أسماء يتحتم أن يكون قد عَبَر عليها، مثل كولوسي أباميا و بجوارها لاودكية وهيرابوليس وهما على حدود أفسس[1]. ولو أن القديس بولس في رسالته إلى أهل كولوسي يقول إنهم لم يروه بالوجه سواء في كولوسي أو في لاودكية، إلاَّ أنه سعى من أجلهم وجاهد، ولكن لا نعلم أي جهاد كان هذا.

بولس الرسول في أفسس:

أفسس المدينة الوثنية:

أفسس فيما قبل المسيح كانت من كبريات مدن العالم، وهي عاصمة آسيا الصغرى طُرًّا. والذي بناها هو أحد عظماء أثينا المدعو أندروكليس الأثيني، وكانت في مظهرها مدينة يونانية ولكن في طبيعتها وأهلها وعبادتها شرقية تقريباً. وكانت ملتقى الشعوب والحضارات. وأفسس مدينة ذات طبيعة غنية في أرضها وأنهارها وموانئها، فامتازت بالخصوبة والتجارة والمواصلات مع جميع أنحاء العالم.

1. Conybeare, *op. cit.*, p. 363.

وكانت أفسس مكتظة بالأبنية الضخمة والفخمة التي كانت تفاخر بها أثينا، فمسرح المدينة الضخم الذي كان يسع الألوف، كذلك الملعب أو الإستاديوم أو الإستاد حيث كانت تتجمهر المدينة كلها لترى الألعاب التي كانت تدعو لها من أقاصي الأرض.

ولكن أعظم الأبنية بلا نزاع كان مبنى هيكل الإلهة أرطاميس Artemis وهي المعروفة باسم ديانا Diana، والذي كان يُرى من الميناء من على بُعْدٍ يتألق ببريق المذهّبات والفضيات. وكان هيكل أرطاميس أو ديانا أحد عجائب الدنيا السبع، وكان يتفاخر به أهل أفسس بالقول أن الشمس لا ترى في مسارها من الشروق إلى الغروب أعظم من هيكل أرطاميس(٢). والذي قام بتصميم بنائه هو المهندس ثيئودوروس من ساموس Theodorus of Samos وتلاه في التنفيذ المهندس خرسيفون الذي من جنوساس Chersiphon of Gnossus ومن بعده ابنه ميتاجينيس Metagenes، وأكمله المهندسان ديمتريوس وباؤنيوس Paeonius. وقد تبرعت لبنائه جميع المدن اليونانية. ولكن ما أن أكمل بناؤه وارتفع نحو السماء حتى قام بحرقه المتعصّبون، وقد اشتعلت فيه النيران يوم وُلِدَ الإسكندر الأكبر، وهذا يعطينا جدولاً متقناً لتاريخ عبادة ديانا الأفسسية. ولكن أُعيد بناؤه بأفخر مما كان، وأكمل. فلما زاره الإسكندر الأكبر وطلب أن يُنقش اسمه عليه رفض الأفسسيون بإباء وشمم. وظل موضع افتخار وتحت حماية الأفسسيين المتعصبين لعبادة ديانا حتى إلى أيام القديس يوحنا الرسول في ختام القرن الأول ومن بعده بوليكاربوس. ولكن اقتحمه الغوطيون الذين نزحوا من وراء الدانوب وهدموه حتى الأساس. وانمحت معالمه بانتشار المسيحية، فلا يوجد له أثر ولا يُعْرَف موقعه تماماً. وقد استُخدمت بقايا أعمدته الرخامية ــ والتي كان فيها الكثير من الأحجار الكريمة ــ كأعمدة لكنيسة آجيا صوفيا بأسطنبول بتركيا (الآن جامع ومتحف)، وقُبَّتها محمولة على قوائم من حجر الجاسبر Jasper، وهو اليشب الأخضر، وبعض الكاتدرائيات في إيطاليا بُنيت ببقايا هذا المبنى.

وكان طول هذا الهيكل ٤٢٥ قدماً وعرضه ٢٢٠ قدماً أي ١٤٠ × ٧٢ متراً تقريباً، وكان ارتفاع العمود ٦٠ قدماً أي ٢٠ متراً، وكان عدد الأعمدة ١٢٧ عموداً كل عمود منها أُهدي إليها من أحد الملوك. وكان هذا الهيكل يحوي خزينة مملوءة بالمجوهرات والذهب والفضة. ويقول عالم ألماني أن ما كان به من كنوز يوازي ما يوجد الآن في بنك إنجلترا. ولو أن تمثالها بحد ذاته في داخل الهيكل بدائي ويمثل إلهة الصيد، ولكن يُقال أنها كانت تعبِّر عن الينابيع. والتمثال نفسه تغطيه بروزات عديدة بشكل الثُدِيّ تعبيراً عن خِصْب الطبيعة التي تُرضع الإنسان من فيض

2. Ibid., pp. 422-424.

ينابيعها. وقد سماها القديس جيروم بالاسم اللاتيني multimammeam وباليونانية πολυμαστήν أي عديدة الأثداء. وكان يعتقد عُبَّادُها أن هذا التمثال هبط من السماء.

وقد تبارى صُنَّاع الفضة في عمل تماثيل مُصغَّرة وهياكل مُصغَّرة من الفضة، يأخذها العُبَّاد في بيوتهم والسُّيَّاح في زيارتهم. فكانت مكاسب الصناع وغنى أفسس يقومان على عبادة «ديانا» أو «أرطاميس التي للأفسسين». «لأن إنساناً اسمه ديمتريوس صائغ، صانع هياكل فضة لأرطاميس كان يُكسب الصناع مكسباً ليس بقليل، فجمعهم والفعلة في مثل ذلك العمل وقال أيها الرجال أنتم تعلمون أن سعتنا إنما هي من هذه الصناعة...» (أع١٩: ٢٤و٢٥)

وهكذا، عزيزي القارىء، كان الشيطان قد أسس له مدناً وهياكل وأقام عليها آلهة لها عُبَّادٌ، ومرَّن فيها صُنَّاعاً، يرتزقون برزقها، وثبَّت لها مبادىء وفلسفة، وزيَّنها بأشكال وجمال وألوان ليخلب لُبَّ الجُهَّال من بني الإنسان. ولو أمعن الفكر فيما كان الشيطان قد تحصَّن به في العالم قبل أن يجيء المسيح لأصاب الإنسان الدوار وألمَّ به اليأس والقنوط. ولكن المسيح أقام لنفسه جماعة من صيادي سمك، وربَّى له مُحارباً علَّمه عند رجلي أحكم حكماء إسرائيل، وسلَّحه بأسلحة الروح على مستوى الكلمة الحية، ليهدم ليس عظمة أرطاميس هذه بل وكل عظمة وارتفاع وعُلو يرتفع ضد معرفة حق الله والمسيح، بل وليهدم حصون العدو ومعاقله ليس في المدن وحسب بل وفي داخل الإنسان.

وقد عُثر على نقود في أفسس في نفس مكان الهيكل وقد رُسم عليها هيكل أرطاميس على وجه ومن الوجه الآخر تبرز صورة نيرون، وكأن الذي قتل أرطاميس أقام له الشيطان مَنْ يقتله(٣).

أما كنوز أفسس الحقيقية فهي ثلاثة هياكل أرضية تحوي هياكل سماوية، وكتاباً:

١ ــ قبر القديس يوحنا الرسول على جبل بريون Prion.

٢ ــ قبر تيموثاوس أول أسقف عليها بعد بولس الرسول، على نفس الجبل.

٣ ــ قبر القديسة العذراء أُمّ المخلِّص وأم النور، حيث تركته لنا فارغاً وأُصعد جسدها على يد ملائكة.

٤ ــ أما الكتاب فهو إنجيل القديس يوحنا الذي كتبه تنسُّماً هواء أفسس، مُستقبلاً شروق شمسها، ومودِّعاً غروبها أياماً وأسابيع وشهوراً وربما سنين إلى أن أكمله.

ولكن يا لحزننا على ملاك كنيسة أفسس إذ لم يستجب لتحذير المخلِّص من السماء ولم يَتُبْ،

---

3. Ibid., p. 433.

فتزحزحت منارته واندفنت تحت إحدى التلال ولا يعرف أحدٌ حتى اليوم لماذا كان هذا وأين هي (رؤ ٢: ٥).

وقد أقام بولس في أفسس من خريف سنة ٥٤م حتى ربيع سنة ٥٧م(٤)، علماً بأن سنة ٥٤م هي السنة التي اعتلى فيها نيرون عرش الإمبراطورية الرومانية.

ويلزم أن نرجع قليلاً إلى الوراء قبل أن يصل بولس الرسول إلى أفسس، فقد كان وصلها رجل سيصبح من أعمدة الكنيسة حالاً وهو أبلُوس الذي صار بالفعل نظيراً لبولس: «ثم أقبل إلى أفسس يهودي اسمه أبلُوس، إسكندري الجنس، رجل فصيح مقتدر في الكتب. كان هذا خبيراً في طريق الرب، وكان وهو حارٌ بالروح يتكلم ويُعلِّم بتدقيق ما يختص بالرب عارفاً معمودية يوحنا فقط. وابتدأ هذا يجاهر في المجمع، فلما سمعه أكيلا وبريسكلا أخذاه إليهما وشرحا له طريق الرب بأكثر تدقيق، وإذ كان يريد أن يجتاز (بحر إيجة) إلى أخائية (أي كورنثوس)، كتب (له) الإخوة إلى التلاميذ (هناك) يحضُّونهم أن يقبلوه، فلما جاء (إلى كورنثوس) ساعد كثيراً بالنعمة الذين كانوا قد آمنوا (على يد بولس). لأنه كان باشتداد يُفحم اليهود جهراً، مُبيِّناً بالكتب أن يسوع هو المسيح.» (أع ١٨: ٢٤–٢٨)

فحين دخل بولس الرسول أفسس، كان أبلُوس في كورنثوس: «فحدث بينما كان أبلُوس في كورنثوس، أن بولس بعد ما اجتاز في النواحي العالية (في آسيا) جاء إلى أفسس» (أع ١٩: ١). وأول ما استرعى نظر بولس في آسيا وجود تلاميذ غالباً لأبلُوس، فابتدأ بولس يسألهم:

«فإذ وجد تلاميذ قال لهم: هل قبلتم الروح القدس لما آمنتم؟ قالوا له: ولا سمعنا أنه يوجد الروح القدس. فقال لهم: فبماذا اعتمدتم؟ فقالوا: بمعمودية يوحنا. فقال بولس إن يوحنا عمَّد بمعمودية التوبة قائلاً للشعب أن يؤمنوا بالذي يأتي بعده، أي بالمسيح يسوع. فلما سمعوا اعتمدوا باسم الرب يسوع. ولما وضع بولس يديه عليهم حلَّ الروح القدس عليهم فطفقوا يتكلمون بلغات ويتنبأون. وكان جميع الرجال نحو اثني عشر.» (أع ١٩: ١–٧)

ومعروف بحسب حسابات العلماء أن أبلُوس كان في أفسس سنة ٥٤م، أما بولس فدخل أفسس في رحلته الثالثة سنة ٥٤ أو سنة ٥٥م(٥)، ومكث هناك ثلاث سنوات: «ثلاث سنين ليلاً ونهاراً لم أفتر عن أن أُنذر بدموع كل واحد.» (أع ٢٠: ٣١)

---

4. Ibid., p. 433 n.5.
5. Conybeare, *op. cit.*, p. 833· *Oxford Dict. of the Christian Church.*

بولس الرسول يحاجج اليهود في المجمع:

وكعادته وبكل غيرته وحرارته «دخل المجمع وكان يجاهر مدة ثلاثة أشهر مُحاجاً ومُقْنعاً في ما يختص بملكوت الله.» (أع١٩:٨)

وكالعادة عند ضيقي الفكر من اليهود «كان قوم يتقسَّون ولا يقنعون شاتمين الطريق أمام الجمهور» (أع١٩:٩). ولكن لما قيَّض الله لبولس في كورنثوس مَنْ يفتح بيته ليستقبل الكنيسة الفتية — وهو يسطس المبارك من الله، هكذا دفع الله رجلاً يونانياً صاحب مدرسة — غالباً كانت لتعليم الأدب والفلسفة — ليقبل بولس وكنيسته وكأنه ملاك من الله. «اعتزل (بولس) عنهم وأفرز التلاميذ (أي فصلهم عن المجمع اليهودي) مُحاجّاً كل يوم في مدرسة إنسان اسمه تيرانُس Tyrannus (كان بولس قد عمَّده فصار مسيحياً)» (أع١٩:٩). وهكذا هيَّأ الله لبولس الخدمة التي استمر فيها سنتين كاملتين: «وكان ذلك مدة سنتين» (أع١٩:١٠). وتعليق القديس لوقا عن خدمة بولس في أفسس كان هكذا: «حتى سمع كلمة الرب يسوع جميع الساكنين في آسيا من يهود ويونانيين.» (أع١٩:١٠)

وقد امتازت خدمة بولس في أفسس — وبصورة ملحوظة جداً — بحضور الروح القدس بصورة فعالة ومعجزية، وهذا رأيناه في حلول الروح القدس على تلاميذ أبلُّوس وتنبؤهم وتكلُّمهم بألسنة. ثم مرة أخرى: «وكان الله يصنع على يدي بولس **قوات غير المعتادة**، حتى كان يؤتى عن جسده بمناديل أو مآزر إلى المرضى فتزول عنهم الأمراض وتخرج الأرواح الشريرة منهم» (أع١٩: ١١و١٢)، «وكان اسم الرب يسوع يتعظَّم» (أع١٩:١٧)، وذلك في مقابل «عظمة أرطاميس التي للأفسسيين» التي ما فتئت حتى سقطت وزالت، وارتفع اسم الرب يسوع فوق كل الربوع.

«وكان كثيرون من الذين يستعملون السحر يجمعون الكتب ويحرقونها أمام الجميع، وحسبوا أثمانها فوجدوها خمسين ألفاً من الفضة. هكذا كانت كلمة الرب تنمو وتَقْوَى بشدة.» (أع١٩: ١٩و٢٠)

من هذا نفهم لماذا أعطى الله لبولس هذه القوة الفائقة غير المعتادة، ومصاحبة الروح القدس له بعلانية ومعجزات. فهؤلاء القوم في أفسس كانوا يحترفون السحر وكانت الشياطين تؤازرهم لتضليل الشعب ولصدِّهم عن الإيمان بالمسيح، فلما استظهر بولس بهذه القوات الفائقة أُخضِعَتْ هذه الحركة المتمردة الشيطانية وانفتح الباب للإيمان بالمسيح عن سعة. وأول مَنْ آمن هم هؤلاء السحرة أنفسهم الذين أحرقوا كتبهم شهادةً علنيةً على اندحار قوة الشيطان.

أما الثمن الذي قُدِّرت به هذه الكتب فهو يساوي بالجنيه الإنجليزي في زمانها ألفين من الجنيهات، حيث قطعة الفضة تساوي عشرة بنسات(٦).

ولكن بسبب هذا الحريق الذي اندحر فيه الشيطان، دفع بولس ثمنه بمغادرته أفسس التزاماً، إذ أقام عليه الشيطان زوبعة من عُبَّاد الأصنام وصُنَّاع فضتها، وخرج بولس منها بشقِّ الأنفس.

«وبعد ما انتهى الشَّغَب دعا بولس التلاميذ وودعهم وخرج ليذهب إلى مكدونية.» (أع ٢٠:١)

بولس الرسول في مكدونية (فيلبي) لثالث مرة ويكتب لكورنثوس لثالث مرة:

+ «هوذا المرة **الثالثة** أنا مستعد أن آتي إليكم ولا أُثقِّل عليكم ...» (٢ كو ١٢:١٤)
+ «هذه المرة الثالثة آتي إليكم، على فم شاهدين وثلاثة تقوم كل كلمة، قد سبقت فقلت وأسبق فأقول كما وأنا **حاضر المرة الثانية**، وأنا غائب الآن أكتب للذين أخطأوا من قبل ولجميع الباقين أني إذا جئت أيضاً لا أشفق.» (٢ كو ١٣: ١و٢)

لقد سقط من رواية القديس لوقا في سفر الأعمال زيارة ثانية لكورنثوس(٧) قام بها بولس قبل هذه الزيارة الثالثة التي نحن بصددها، وهذا واضح جداً من الآيات السابقة والواردة في رسالته الثانية لكورنثوس.

والمعروف من سفر الأعمال ومن التحقيقات التاريخية أن بولس الرسول مكث في أفسس ثلاث سنوات: «لذلك اسهروا متذكرين أني ثلاث سنين ليلاً ونهاراً لم أفتر عن أن أُنْذر بدموع كل واحد» (أع ٢٠:٣١)، كتب فيها الرسالة الأُولى لكورنثوس في ربيع سنة ٥٧م. والمعروف أنه كتب رسالة قبلها إلى كورنثوس وقد فُقِدت، بدليل أنه كتب في رسالته الأُولى: «**كتبتُ إليكم في الرسالة** أن لا تخالطوا الزناة ... وأما الآن فكتبت إليكم ...» (١ كو ٥: ٩و١١)

ولكن يبدو أن هذه الرسالة أُسقطت من حساب الرسائل لأنها كانت قصيرة للغاية ولم تحمل

---

6. Conybeare, *op. cit.*, p. 374.

(٧) المعتقد أن القديس لوقا تغاضى عن ذكر هذه الزيارة الثانية لكورنثوس في سفر الأعمال لأنها كانت قصيرة جداً، كما سنرى، وكانت مجرد عبور، خصوصاً وأن القديس لوقا كان غائباً لمدة ثلاث سنوات، أثناء وجود بولس في أفسس. عن:
Conybeare, op. cit., p. 377.

سوى هذا الأمر الواحد: «أن ممنوع على أي واحد في كنيسة كورنثوس أن يخالط ـــ يعني يتعامل مع ـــ أي شخص معروف أنه زانٍ»، دون أن ينتبه بولس الرسول ويحدد أن يكون مسيحياً، فكان تذمرهم كيف لا يخالطون الزناة جملة بمعنى في العمل والسكن والمعاملة مع الوثنيين؟ فعاد بولس الرسول وصحح في رسالته المحسوبة عندنا أنها الأولى هكذا: «ليس مطلقاً زناة هذا العالم ... وإلاَّ فيلزمكم أن تخرجوا من العالم، وأما الآن فكتبتُ (أكتبُ) إليكم إن كان أحد مدعوٌّ أخاً (في المسيح) زانياً أو طماعاً أو عابد وثن أو شتاماً أو سكيراً أو خاطفاً أن لا تخالطوا ولا تؤاكلوا مثل هذا.» (١ كو٥: ١٠و١١)

وهكذا إذ تم في رسالته الثانية تصحيح ما أرسله بولس في رسالته القصيرة الأولى أصبح لا قيمة لهذه الرسالة القصيرة المحسوبة عندنا أنها الرسالة الأولى المفقودة.

ثم كتب الرسالة الثالثة المعتبرة عندنا أنها الرسالة الثانية إلى كورنثوس وهو في مكدونية في خريف سنة ٥٧م.

وفي شتاء سنة ٥٨م كتب الرسالة إلى أهل رومية(٨).

أخبار حزينة من كورنثوس وبعثة في المقدمة:

بولس نفسه يصف لأهل كورنثوس أن زيارته الثالثة هذه إنما ستكون زيارة حزينة لنفسه: «ولكني جَزمتُ بهذا في نفسي أن لا آتي إليكم أيضاً في حزن، لأنه إن كنتُ أحزنكم أنا فمَنْ هو الذي يُفرحني إلاَّ الذي أحزنتُه؟ وكتبت لكم هذا عينه حتى إذا جئت لا يكون لي حزن من الذين كان يجب أن أفرح بهم، ... لأني من حزن كثير وكآبة قلب كتبتُ إليكم بدموع كثيرة لا لكي تحزنوا بل لكي تعرفوا المحبة التي عندي ولا سيما من نحوكم.» (٢ كو٢: ١ــ٤)

والقصة هي أنه شاع في كل نواحي كورنثوس حتى بين الأمم أن المسيحيين فيها عادوا يقترفون قبائح الزنى التي كانوا يعتادونها قبل إيمانهم، وهي قبائح كريهة لما سمعها الوثنيون سخروا من الذين في الإيمان.

+ «يُسمع مطلقاً أن بينكم زنى. وزنى هكذا لا يُسمَّى بين الأمم حتى أن تكون للإنسان امرأة أبيه، أفأنتم منتفخون وبالحري لم تنوحوا؟ ...» (١ كو٥: ١و٢)

وبولس الرسول لما سمع هذه الأمور في البداية أرسل أمامه بعثة تتحقق وتُصلح، «فأرسل إلى

8. Conybeare, *op. cit.*, p. 833.

مكدونية اثنين من الذين كانوا يخدمونه تيموثاوس وأرَسْطوس ولبث هو زماناً في آسيا.» (أع١٩: ٢٢) ووصلته أخبارٌ أسوأ.

الأمور في كورنثوس أسوأ مما سمع:

وقبل أن يصل بولس الرسول إلى كورنثوس تحقق أن الأمور أسوأ مما سمع في الأول، واعتبرها بالنسبة لخدمته ونفسه أموراً مُذلّة للنفس:

+ «أخاف إذا جئتُ أن لا أجدكم كما أريد ... أن توجد (بينكم) خصومات ومحاسدات، وسخطات وتحزُّبات، ومذمات ونميمات، وتكبرات وتشويشات، أن يُذلّني إلهي عندكم إذا جئتُ أيضاً وأنوح على كثيرين من الذين أخطأوا من قبل ولم يتوبوا عن النجاسة والزنى والعهارة التي فعلوها.» (٢كو١٢: ٢٠و٢١)

ويبدو أن بولس الرسول قد سبق في زيارته الثانية التي لم يمكث فيها إلاَّ فترة قصيرة جداً: «وسأجيء إليكم متى اجتزت بمكدونية، لأني أجتاز بمكدونية، وربما أمكثُ عندكم أو أُشتّي أيضاً لكي تُشيّعوني إلى حيثما أذهبُ، لأني لست أريد الآن أن أراكم في العبور. لأني أرجو أن أمكث عندكم زماناً، إن أذن الرب. ولكنني أمكثُ في أفسس إلى يوم الخمسين ...» (١كو١٦: ٥-٨)

من هذه الآيات يتضح أن زيارته الثانية كانت عبوراً بهم، وكانت قصيرة، ولكن في هذه المرة (الثالثة)، لا يود أن تكون كالثانية مجرد زيارة عبور بل يود أن يُشتّي (أربعة شهور) بينهم.

وبالفعل فإنه وصل كورنثوس في الزيارة الثالثة بعد مروره بمكدونية وقضاء طوال أشهر الصيف هناك لسنة ٥٧م، ومن هناك كتب رسالته الثانية لكورنثوس، ثم وصل كورنثوس في أول الشتاء سنة ٥٧م حيث كتب من هناك رسالته إلى أهل غلاطية، وترك كورنثوس في ربيع سنة ٥٨م بعد أن كتب رسالته إلى أهل رومية متجهاً إلى فيلبي ثم إلى ميليتس حيث وصل أورشليم في الصيف سنة ٥٨م[٩].

البعثة التي انطلقت إلى مكدونية (فيلبي) وأخائية (كورنثوس) قبل ذهاب بولس الرسول:

«فأرسل إلى مكدونية اثنين من الذين كانوا يخدمونه تيموثاوس وأرسطوس (صحتها إراستس Erastus)» (أع١٩: ٢٢). وإراستُس هذا هو القائم بوظيفة خازن مدينة كورنثوس، فسفره مع

---

9. Conybeare, *op. cit.*, p. 833.

تيموثاوس كان تحصيل حاصل لكي يقوم بخدمته الحكومية في كورنثوس. ويُستدل على ذلك من الاسم الذي ذكره بولس الرسول في رسالته إلى رومية التي كتبها في كورنثوس: «يسلِّم عليكم غايس مُضيِّفي ومضيِّف الكنيسة كلها، يسلِّم عليكم إراستُس خازن المدينة وكوارتُس الأخ» (رو١٦: ٢٣). كذلك في الخطاب الذي كتبه بولس الرسول من رومية إلى تيموثاوس الذي كان آنئذ قائماً بأعمال أسقف مدينة أفسس يقول له في الرسالة الثانية: «سَلِّم على فِرِسكا وأكيلا وبيت أُنيسيفوروس، إراستس بقي في كورنثوس ...» (٢تي٤: ١٩)

وينبغي على القارىء أن يتذكر دائماً أن من مهام الرحلات التي قام بها بولس الرسول ــ وبالأكثر البعثات التي يرسلها أمامه ــ جمع الأموال والعطايا لفقراء اليهودية.

الرسالة الأُولى إلى أهل كورنثوس:

+ «لأني أُخبِرْتُ عنكم يا إخوتي من أهل (عائلة) خُلوِي Chloe = Χλόης أن بينكم خصومات» (١كو١: ١١)، وهي إحدى العائلات الكبيرة في كورنثوس. جاءوا إلى بولس الرسول كزيارة وهو في أفسس وأخبروه عن الانقسامات الحادة التي حدثت في كورنثوس بعد تركه إياها:

أولاً: جماعات جاءت من اليهودية ومن عند يعقوب الرسول ومعهم خطابات توصية قلبوا حال المدينة وصاروا يتحزَّبون لشخص بطرس الرسول، مُقلِّلين من قيمة رسولية بولس الرسول.

ثانياً: جماعة يتحزَّبون للمسيح رأساً بدون الانتماء لأحد ولا لبولس الرسول.

ثالثاً: جماعة يتحزَّبون لأبولُّس الفيلسوف اليهودي الإسكندري الذي عمَّده أكيلا وبريسكلا.

وهكذا انقسمت المدينة إلى ثلاثة أحزاب متناحرة، ولكن أخطرهم كان حزب أبولُّس، الذين بدأوا يفتخرون بعنصر الفلسفة (الحكمة) في تفسيرهم للإيمان المسيحي واستخدامهم اصطلاحات وألفاظ الفلاسفة، وكان هذا بداية خطر على الروح المسيحية التي لا تعتمد أصلاً على أفكار واصطلاحات الفلاسفة ذات الأصول الوثنية.

وإليك صراخ بولس فيهم داحضاً كل حزب:

+ «واحد منكم يقول أنا لبولس وأنا لأبولُّس وأنا لصفا (بطرس) وأنا للمسيح. هل انقسم المسيح؟ ألعل بولس صُلِبَ لأجلكم أم باسم بولس اعتمدتم؟...» (١كو١: ١٢و١٣)

+ «... لأُبشر لا بحكمة كلام لئلا يتعطل صليب المسيح، فإن كلمة الصليب عند الهالكين جهالة ... لأنه مكتوب سأُبيد حكمة الحكماء (فلسفة الفلاسفة) وأرفض فهم الفهماء، أين الحكيم (الفيلسوف)؟ أين الكاتب؟ أين مُباحث هذا الدهر؟ ألم يُجهِّل الله حكمة

(فلسفة) هذا العالم؟» (١ كو١: ١٧ــ ٢٠)

+ «فانظروا دعوتكم، أيها الإخوة، أن ليس كثيرون حكماء (فلاسفة) حسب الجسد ...» (١ كو١: ٢٦)

+ «وأنا لما أتيت إليكم أيها الإخوة، أتيت ليس بسموِّ الكلام أو الحكمة (الفلسفة) ...» (١ كو٢: ١)

+ «وأما أنا فأقل شيء عندي أن يُحكَم فيَّ منكم أو من يوم بشر... الذي يحكم فيَّ هو الرب. إذاً لا تحكموا في شيء قبل الوقت حتى يأتي الرب الذي سيُنير خفايا الظلام (المؤامرات التي تُحاك ضده في الظلام)، ويُظْهِرُ آراء القلوب (الخدمة المغرضة للإساءة إلى الآخرين)، وحينئذ يكون المدح (لبطرس أو يعقوب أو أبولُّس) لكل واحد من الله.» (١ كو٤: ٣ــ ٥)

ولكن الحقيقة أن علاقة بولس الرسول بكل هؤلاء، وحتى بأبولُّس كانت في المسيح يسوع لا يشوبها شائبة. والعجيب أن أبولُّس هذا الذي بدأ يتعصب له قسم من أهل كورنثوس رفض أن يذهب مرة ثانية إليهم بالرغم من إلحاح بولس عليه: «وأما من جهة أبولُّس الأخ فطلبت إليه كثيراً أن يأتي إليكم مع الإخوة ولم تكن له إرادة البتة أن يأتي الآن (بسبب ما سمعه من خصومات) ولكنه سيأتي متى توفَّق الوقت.» (١ كو١٦: ١٢)

ولكن على العموم فالرسائل التي كتبها بولس الرسول لأهل كورنثوس، فإنه بالرغم مما فيها من ردود على الأمور المـُقْلقة للإيمان المسيحي في ذلك الوقت، إلَّا أن ردود بولس الرسول التي ــ وإن كانت في نظره ردوداً عاجلة وكأنها حلول مؤقتة إلى حين أن يذهب ويعلِّم ــ فقد حفظت لنا مبادىء روحية وإيمانية ولاهوتية راسخة وأبدية هي لنا نور وحياة.

بقية الرحلة التبشيرية الثالثة من أفسس إلى شاطىء اليونان:

لقد ذكر بولس الرسول في رسالته الأُولى إلى أهل كورنثوس أنه بقي في أفسس حتى يوم الخمسين، وكان ذلك العيد لسنة ٥٧م: «وسأجيء إليكم (إلى كورنثوس) متى اجتزتُ بمكدونية لأني أجتاز (الآن وقت كتابة الرسالة الأُولى) بمكدونية، وربما أمكث عندكم أو أُشتِّي أيضاً لكي تُشيِّعوني إلى حيثما أذهب. لأني لست أريد أن أراكم في العبور. لأني أرجو أن أمكث عندكم زماناً إنْ أذِنَ الرب. ولكنني أمكث في أفسس إلى يوم الخمسين.» (١ كو١٦: ٥ــ ٨)

إذاً، فقد غادر بولس الرسول أفسس بعد يوم الخمسين أي ربيع سنة ٥٧م متجهاً إلى الشمال: «وودعهم (في أفسس) وخرج ليذهب إلى مكدونية (برًّا). ولما كان قد اجتاز في تلك النواحي ووعظهم بكلام كثير جاء إلى هِلاَّس (أي اليونان) فصرف ثلثة أشهر.» (أع٢٠: ١ــ ٣)

وهذا الوصف المختصر جداً والمتداخل والمقطوع الذي يجيء في سفر الأعمال، تُكمّله الرسائل، ويكشف لنا بولس الرسول ما حدث في هذه المدة من فمه هو:

أولاً، بعد أن ترك أفسس انطلق إلى الشمال متنقلاً من مدينة إلى مدينة ومن جزيرة إلى جزيرة حتى جاء إلى تُرواس، وذلك كما حدث في عودته في السنة التالية. ولا نعلم مَنْ الذي رافق بولس في سفره، ولكن نستقرىء من رحلة العودة من اليونان إلى شواطىء آسيا، أنه كان معه اثنان من أفسس وهما تيخيكُس وتروفيمُس، فهذا يعني أنهما رافقاه في الذهاب والعودة: «فرافقه (في رحلة العودة من اليونان) إلى آسيا سوباترس البيري (من بيرية) ومن أهل تسالونيكي أرسترخس، وسكوندُس، وغايس الدَّربي (من دربة)، وتيموثاوس، **ومن أهل آسيا تيخيكُس وتروفيمُس،** هؤلاء سبقوا وانتظرونا في ترواس.» (أع ٢٠: ٤و٥)

والملاحظ أن تيخيكس Tychicus، وتروفيمُس Trophimus ظلاّ تابعَيْن لبولس الرسول حتى النهاية، أمينَيْن غاية الأمانة، مُضحيَيْن كل تضحية حتى إلى الموت. ولمتابعة تيخيكُس نقرأ الآتي:

+ «ولكن لكي تعلموا أنتم أيضاً أحوالي ماذا أفعل، يعرِّفكم بكل شيء تيخيكُس الأخ الحبيب والخادم (الشماس) الأمين في الرب الذي أرسلتُه إليكم لهذا بعينه لكي تعلموا أحوالنا ولكي يُعزِّي قلوبكم.» (أف٦: ٢١و٢٢)

+ «جميع أحوالي سيُعرِّفكم بها تيخيكُس الأخ الحبيب والخادم (الشماس) الأمين والعبد معنا في الرب الذي أرسلتُه إليكم لهذا عينه ليَعْرِفَ أحوالكم ويعزِّي قلوبكم.» (كو٤: ٧و٨)

+ «أما تيخيكس فقد أرسلتُه إلى أفسس.» (٢تي٤: ١٢)

+ «حينما أُرسل إليك أرتيماس أو تيخيكُس بادر أن تأتي إليَّ ...» (تي٣: ١٢)

أما عن تُروفيمُس فنقرأ كيف كان ملازماً لبولس الرسول في أخطر وقت في أورشليم:

+ «لأنهم كانوا قد رأوا معه في المدينة تُروفيمُس الأفسسي فكانوا يظنون أن بولس أدْخَلَه إلى الهيكل.» (أع٢١: ٢٩)

+ «أما تُروفيمُس فتركته في ميليتُس مريضاً.» (٢تي٤: ٢١)

وهكذا يتضح لنا جهاد هذين الجنديين اللذين أكملا مع بولس الرسول وضع حياتهما لخدمة الإنجيل. وهكذا يليق بهما ويليق بنا أن نذكر ونُكرِّم هذين القديسَيْن ونحفظ اسميهما، بل جميلهما علينا وعلى الكنيسة كلها.

بولس الرسول في ترواس:

مع هذين الأخين الكريمين وغيرهما جاء بولس الرسول إلى ترواس بحراً. ونحن لا ننسى ترواس نقطة الانطلاق الأولى من آسيا إلى أوروبا في كرازة بولس بحسب تدبير نعمة الله وقيادة الروح القدس، ففيها رأى الرؤيا والمكدوني الذي يتوسل إليه: «أعبر إلينا وأعنّا» (أنظر صفحة ٦٣٤). لم يتوقف بولس الرسول كثيراً في زيارته الأولى لهذه المدينة، ولكنه وضع في قلبه، أو وضع الروح القدس في تدبيره، أن تكون كنيسة في هذه المدينة. لذلك صمم بولس هذه المرّة أن يمكث فيها زماناً ليؤسس خدمة ثابتة للمسيح والإنجيل: «ولكن لما جئتُ إلى ترواس لأجل إنجيل المسيح وانفتح لي باب في الرب، **لم تكن لي راحة في روحي لأني لم أجد تيطس أخي، لكن ودَّعتُهم فخرجتُ إلى مكدونية.**» (٢ كو٢: ١٢و١٣)

لماذا كان بولس الرسول في قلق على تيطس مما جعله يُسرع في ترك ترواس ويتجه إلى مكدونية؟

كان بولس الرسول قد أرسل تيطس من أفسس إلى كورنثوس لعدة أسباب، أهمها أن يطمئن على أحوال هذه الكنيسة التي أزعجت روحه، بسبب الانقسامات الشديدة والخصومات التي سبَّبها ورود مؤمنين يهود من اليهودية متعصبين للقديس بطرس وللقديس يعقوب ضد رسولية بولس بسبب تبشيره بإنجيل المسيح بلا ناموس ولا ختان، ومنازعات ومباحثات وانقسامات بسبب خدمة أبولُّس التي أسسها على مبادىء ونظريات فلسفية، وشناعات ومذمَّات وفضائح بسبب الذين خرجت سيرتهم برائحتها النجسة وسط الكنيسة. هذا من جهة، ومن جهة أخرى مهمة للغاية تلك هي العهد والوعد اللذان قطعهما القديس بولس على نفسه أن يذكر فقراء القديسين في اليهودية بالمساعدات المالية، فكانت مهمة تيطس جمع ما يمكن جمعه من هذه الكنائس المتيسرة الحال لحساب قديسي الله في اليهودية. ويبدو أن بولس الرسول كان على ميعاد مع تيطس وأزف الميعاد. ولهذا لعبت الأفكار بروح بولس الرسول خاصة أحوال الكنيسة الفتيّة لئلا يكون الشيطان قد فتك بها.

هذا لم يمنع بولس الرسول من بذل أقصى جهده في الكرازة بإنجيل المسيح في تُرواس، خاصة لما ظهرت علامات القبول من اليهود والانضمام بغيرة ونشاط: **«وانفتح لي باب في الرب».**

وتحت ضغط القلق على تيطس ودَّع أهلَ ترواس واضعاً في قلبه العودة إليهم؛ الأمر الذي تمّمه بالفعل بعد ذلك بكثير.

بولس الرسول في مكدونية (فيلبي)،
تنفرج أزمته بحضور تيطس:

«وودعهم وخرج ليذهب إلى مكدونية.» (أع ٢٠: ١)

يُلاحَظ دائماً أن القديس لوقا يعني بمكدونية مدينة فيلبي بالأساس. إذاً فقد أبحر بولس الرسول ومعه تيخيكس وتروفيمُس من ترواس إلى نيابوليس وهي ميناء فيلبي متجهاً مباشرة إلى فيلبي. وكان من المنتظر أن ينطلق بعد ذلك مباشرة نحو كورنثوس التي هي مصدر قلقه، ولكن لأهمية فيلبي عند بولس الرسول مكث مدة فيها خاصةً وأنه كان يحمل هَمَّ جمع الأموال لأُورشليم. ولكن تبدد القلق فجأة بوصول تيطس إلى فيلبي: «لأننا لما أتينا إلى مكدونية (فيلبي) لم يكن لجسدنا شيء من الراحة بل كنا مكتئبين في كل شيء من خارج خصومات (كورنثوس)، من داخل مخاوف (في فكر بولس)، لكن الله الذي يُعزِّي المتَّضعين **عزانا بمجيء تيطس** وليس بمجيئه فقط بل أيضاً بالتعزية التي تعزَّى بها بسببكم، وهو يخبرنا بشوقكم ونوحكم وغيرتكم لأجلي حتى إني فرحت أكثر، لأني وإن كنتُ قد أحزنتُكم بالرسالة لست أندم مع أني ندمت.» (٢كو٧: ٥-٨)

ولكن يلاحظ أن فيلبي كانت سخيَّة في عطائها لبولس الرسول، بل كان بولس يأخذ من فيلبي ويصرف على الخدمة وعلى نفسه في كورنثوس!! اسمع ما يقوله لأهل كورنثوس: «سلبتُ كنائسَ أخرى آخذاً أجرة لأجل خدمتكم، وإذ كنت حاضراً عندكم واحتجت لم أثقِّل على أحد لأن احتياجي سدَّه الإخوة الذين أتوا من مكدونية (فيلبي). وفي كل شيء حفظت نفسي غير ثقيل عليكم وسأحفظها.» (٢كو١١: ٨و٩)

وبالملاحظة لا بد أن يحس القارىء المدقِّق بمشاعر بولس عامة من رسائله أن أهل فيلبي كانوا على أعلى مستوى من دماثة الأخلاق واللطف والعطف والسخاء، حيًّا الله أرواحهم في السماء!!! والفيلبيون كانوا من دون الكنائس جميعها ومنذ بدء خدمته لهم، الوحيدين الذين ضغطوا على بولس الرسول وبإلحاح أن يقبل عطاياهم. وفي البداية وهو في تسالونيكي أرسلوا إليه مرتين من سخاء عطاياهم: «غير أنكم فعلتم حسناً إذ اشتركتم في ضيقتي. وأنتم أيضاً تعلمون أيها الفيلبيون أنه في بداءة الإنجيل لما خرجت من مكدونية لم تشاركني كنيسة واحدة في حساب العطاء والأخذ إلاَّ أنتم وحدكم، فإنكم في تسالونيكي أيضاً أرسلتم إليَّ مرة ومرتين لحاجتي ... قد امتلأتُ إذ قبلتُ من أبفرودتس الأشياء التي من عندكم نسيم رائحة طيبة ذبيحة مقبولة مرضية عند الله. فيملأ إلهي كل احتياجكم بحسب غناه في المجد في المسيح يسوع» (في٤: ١٤-١٩). وسبق أن رأينا أن في

كورنثوس حدث نفس الشيء: «لأن احتياجي سدَّهُ الإخوة الذين أتوا من مكدونية (فيلبي).» (٢كو١١: ٩)

ولا يظن القارىء أن أهل كنيسة فيلبي كانوا أغنياء، فالقرينة تثبت أنهم كانوا فقراء، ولكنهم كانوا مسيحيين أسخياء. اسمع بولس الرسول وهو يصف فقرهم وغناهم بآن واحد وذلك للكورنثيين:

+ «ثم نعرفكم أيها الإخوة نعمة الله المعطاة في كنائس مكدونية، أنه في اختبار ضيقة شديدة (ألمَّت ببولس) فاض وفور فرحهم **وفقرهم العميق**، لغنى سخائهم!! لأنهم أعطوا حسب الطاقة، أنا أشهد وفوق الطاقة، من تلقاء أنفسهم ملتمسين منّا بطلبة كثيرة أن نقبل النعمة وشركة الخدمة التي للقديسين ...» (٢كو٨: ١-٤)

وإيمان أهل فيلبي اختُبِر بالنار، فيُعتقد أنهم اتُّهموا أمام القانون الروماني بتهمة خطيرة وهي: «إنشاء دين جديد ومحرَّم Religio nova et illicitta». لذلك وقعوا تحت آلام الإيمان:

+ «لأنه قد وهب لكم لأجل المسيح، لا أن تؤمنوا به فقط، بل أيضاً أن تتألموا لأجله، إذ لكم الجهاد عينه الذي رأيتموه فيَّ (إنشاء دين جديد محرَّم في نظر اليهود الذي بسببه وقع تحت الاضطهاد كل أيام حياته) و (إلى) الآن تسمعون فيَّ.» (في١: ٢٩و٣٠)

الرسالة الثانية لأهل كورنثوس

يكتبها القديس بولس من فيلبي بيد تيطس:

على ضوء الرسالة الثانية لأهل كورنثوس التي كتبها بولس الرسول في فيلبي والتي كتبها بناءً على الأخبار التي استقاها تيطس من أحوال الكنيسة هناك وسلمها لبولس الرسول، نستطيع أن نتبين ما قاله تيطس في عجالة:

أولاً: الأخبار المطَمْئنة:

وهي أكثر من طيِّبة بالنسبة للذي كان ينتظره. فغالبية الشعب في الكنيسة خضع للتوصيات والإنذارات، وقدموا التوبة الصادقة وبانفعال عن الخطايا التي كانوا قد اقترفوها، وقبلوا الحرم الذي أوقعه على الأخ الذي كان يمارس معاشرة زوجة أبيه، وأظهروا استعداداً سريعاً لجمع الأموال لفقراء أورشليم كما طلب منهم.

ثانياً: الأخبار الحزينة:

أما الأقلية التي بدأت بالمعارضة والمقاومة فازدادت في غيِّها وازدادت في مرارة سخطها، ولم تعبأ بخضوع كل الجماعة وبالروح الإيجابية التي سَرَت بين الكنيسة كلها.

فقد بدأوا يتهمون بولس الرسول باتهامات صوَّرها هم الشيطان على يد أشخاص اندسُّوا في وسطهم، كانوا قد أتوا من أورشليم، يهود متنصِّرين متعصبين للختان والناموس(١٠). ولكنهم إذ لم يجدوا فرصة لاستخدام هذه الأسلحة بدأوا يهدمون الخدمة من أساسها، مدعين أن بولس ليس من ضمن الرسل. واتهموه بالاحتيال في خدمته، والذاتية والأنانية، والارتزاق منهم، باعتبار أن جمع الأموال هو أصلاً لحسابه؛ الأمر الذي احتاط له بولس إزاء اتهامهم القبيح والخسيس: «ومتى حضرتُ فالذين تستحسنونهم أرسلهم برسائل ليحملوا إحسانكم إلى أورشليم» (١كو١٦:٣)، وأن بولس منتفخٌ "على الفاضي" وفظٌّ مع أنه ضعيف وجبان، دائماً يهدد ولا ينفِّذ، ويَعِدُ دون أن يوفي، دائماً يلوِّح بأنه سيأتي إلى كورنثوس ولا يجرؤ أن يأتي، وهو متردد في تعليمه كما هو متردد في أعماله، يرفض أن يختن تيطس ثم يختن تيموثاوس، وبولس يكون يهودياً مع اليهود ثم أممياً مع الأمميين (معهم معهم وعليهم عليهم).

وكان من الأمور المحتمة أن يتبيَّن بولس الرسول الدوافع التي دفعت هؤلاء الأفراد إلى هذا السلوك، بل وأيضاً من الضرورة أن نعرفها نحن أيضاً بوضوح. فبولس الرسول استقر على أن:

(أ) هؤلاء يهود تماماً: «أهُم عبرانيون فأنا أيضاً، أهُم إسرائيليون فأنا أيضاً، أهُم نسل إبراهيم فأنا أيضاً، أهُم خدام المسيح أقول ـــ كمختلّ العقل ـــ فأنا أفضل ...» (٢كو١١:٢٢)

(ب) أن هؤلاء الأفراد تقودهم إرسالية أتت من فلسطين: «فإنه إن كان الآتي يكرز بيسوع آخر لم نكرز به أو كنتم تأخذون روحاً آخر لم تأخذوه أو إنجيلاً آخر لم تقبلوه، فحسناً كنتم تحتملون. لأني أحسب أني لم أنقص شيئاً عن فائقي (أفضل) الرسل.» (٢كو١١:٤و٥)

(ج) وأن هذا الرسول الآتي من أورشليم جاء ومعه خطاب توصية من كنيسة أورشليم: «أفنبتدىءُ نمدح أنفسنا، أم لعلنا نحتاج ـــ كقومٍ ـــ رسائل توصية إليكم أو رسائل توصية منكم.» (٢كو٣:١)

(د) وأن هذا الرسول الآتي من أورشليم يفتخر بأنه كانت له علاقة بالمسيح نفسه (٢كو١١:٢٢).

(هـ) يصفه بولس الرسول بالافتخار: «بما أن كثيرين يفتخرون حسب الجسد، أفتخر أنا أيضاً.» (٢كو١١:١٨)

(و) أن هذا ابتدأ يؤثر في نفوس الكورنثيين ويقنعهم بأهميته وتفوُّقه على بولس الرسول وذلك باستخدام الخداع والإغراء والتعالي والجرأة والشجاعة الوهمية الكاذبة، أي البشرية: «لأنكم

(١٠) راجع ما جاء في ص٣٤٠ وما يليها.

تحتملون إن كان أحد يستعبدكم، إن كان أحد يأكلكم، إن كان أحد يأخذكم، إن كان أحد يرتفع، إن كان أحد يضربكم على وجوهكم ...» (٢ كو١١: ٢٠)؛ «ولكنني أخاف أنه كما خدعت الحية حواء بمكرها، هكذا تُفسد أذهانكم عن البساطة التي في المسيح.» (٢ كو١١: ٣)

وأخيراً يقرر بولس الرسول بحسب كل هذه الأوصاف من جهة أخلاق هؤلاء القادمين من أورشليم لهدم إيمان كنيسة كورنثوس أنهم: «رُسُل كذبة، فعلة ماكرون مُغيِّرون شكلهم إلى شبه رسل المسيح.» (٢ كو١١: ١٣)

بعثة تحمل رسالة إلى كورنثوس وتكمل سعيها لجمع تبرعات لأورشليم:

ما أن أكمل تيطس تسليم إخباريته الدقيقة التي تحمل المفرح والمحزن، حتى شكَّل بولس الرسول إرسالية بقيادة تيطس نفسه ليعود إلى كورنثوس ومعه الرسالة الثانية إلى أهل هذه المدينة:

+ «ولكن شكراً لله الذي جعل هذا الاجتهاد عينه لأجلكم في قلب تيطس، لأنه قَبِلَ الطلبة. وإذ كان أكثر اجتهاداً مضى إليكم من تلقاء نفسه وأرسلنا معه الأخ الذي مَدْحُه في الإنجيل في جميع الكنائس، وليس ذلك فقط بل هو منتخب أيضاً من الكنائس رفيقاً لنا في السفر ...» (٢ كو٨: ١٦–١٩)

+ «وأرسلنا معهما أخانا الذي اختبرنا مراراً في أمور كثيرة أنه مجتهد، ولكنه الآن أشدُّ اجتهاداً كثيراً بالثقة الكثيرة بكم، أما من جهة تيطس فهو شريك لي وعامل معي لأجلكم. وأما أخوانا، فهما رسولا الكنائس ومجد المسيح، فبيِّنوا لهم وقدام الكنائس بيِّنة محبتكم وافتخارنا من جهتكم.» (٢ كو٨: ٢٢–٢٤)

مَنْ هما هذان الرفيقان الممدوحان؟ لا أحد يعلم!!

ولكن واضح من نص الرسالة إلى كورنثوس الثانية أنها أرسلت إلى كل كنائس أخائية بما فيها سيسيون Cycion، وأرجوس Argos، وميجارا Megara، و باتريا Patrea بما فيها أثينا أيضاً وكنخريا[١١].

ويتضح من الرسالة أنها تفيض محبة وثقة واحتراماً للأغلبية الخاضعة المطيعة في المسيح والإيمان. وأيضاً فيها التحذير والإنذار والهجوم العنيف على المشاغبين والمضلِّلين والمزيِّفين، سواء المدسوسين من فلسطين أو الذين انضموا لهم وصاروا أدوات هدم شنيعة.

11. Conybeare, *op. cit.*, p. 439.

بولس الرسول يتعوق قصداً في تجواله في شمال اليونان ـــ حتى إلى إلليريكون ـــ للخدمة وبانتظار تهدئة الحال في كورنثوس:

بعد سفر تيطس على رأس البعثة إلى نواحي أخائية (جنوب اليونان)، انطلق هو يخدم باهتمام في شمال اليونان في منطقة مكدونية وما حولها وشمالها، وكانت له فرصة مواتية أن يكمل ما ابتدأه في فيلبي التي اضطر إلى الخروج منها، في الرحلة الثانية، على عجل هرباً من إحكام الحصار عليه (أنظر صفحة ٦٣٤ ـــ ٦٣٨)، كذلك تركه لتسالونيكي لنفس سبب الاضطهاد ثم تركه أيضاً إلى بيرِيَّة والنزول في البحر سريعاً والاتجاه إلى أثينا (أنظر صفحة ٦٤٠و٦٤١). فالآن، بولس الرسول يعوِّض عن نقص هذه الخدمة، فالوقت كان مهيَّأً له.

وهناك إشارة واضحة في رسالة رومية أن في هذه الإرسالية الثالثة للكرازة في اليونان انطلق شمالاً وباتجاه بحر الأدرياتيك، واخترق سلسلة الجبال الشمالية ودخل نواحي مقاطعة إلليريكون ومدن الساحل على بحر الأدرياتيك شمالاً: «لأني لا أجسر أن أتكلم عن شيء مما لم يفعله المسيح بواسطتي لأجل إطاعة الأمم بالقول والفعل، بقوة آياتٍ وعجائبَ، بقوة روح الله حتى إني من أورشليم وما حولها **إلى إلليريكون** قد أكملتُ التبشير بإنجيل المسيح.» (رو١٥: ١٨و١٩)

وليس إلليريكون فقط بل وإلى المنطقة الأبعد شمالاً، وهي **دلماطية**، وهذه مذكورة في رسالة بولس الثانية إلى تيموثاوس، وهذا يكشف تعدد الإرساليات التي أرسلها إلى هذه المناطق: «ديماس قد تركني إذ أحب العالم الحاضر وذهب إلى تسالونيكي، وكريسكيس إلى غلاطية، **وتيطس إلى دلماطية**» (٢تي٤: ١٠). ودلماطية، بحسب العالم كونيبير، هي في شمال إلليريكون.

ومعروف أن موقع مقاطعة إلليريكون Illyricum هي في الشمال الغربي من مكدونية[12] (أنظر الخريطة). وبمضي الزمن ضاع اسم إلليريكون وصارت كلمة «دلماطية» تفيد المنطقة بأكملها وهي التي صارت باسم البوسنيا وكرواتيا وألبانيا فيما بعد. ولكن من القول الذي قاله بولس الرسول بخصوص أنه ينوي أن يقضي الشتاء في نيكوبوليس، يتضح لنا أن إلليريكون ممتدة نحو الجنوب على ساحل الأدرياتيك، لأن نيكوبوليس هي في مقاطعة إبيروس Epiros المقابلة لمقاطعة أخائية غرباً (أنظر الخريطة): «حينما أرسل إليك أرتيماس أو تيخيكس بادر أن تأتي إليَّ إلى **نيكوبوليس** لأني عزمتُ أن أشتي هناك» (تي٣: ١٢). ومن نيكوبوليس يسهل على بولس الرسول الانطلاق شمالاً إلى إلليريكون ودلماطية.

---

12. Ibid., p. 470.

خريطة تبيّن موقع مقاطعة إلليريكون

ولكن للأسف لا يمدُّنا سفر الأعمال ولا الرسائل بشيء عن خدمة بولس الرسول في هذه المناطق، مما جعل العلماء يختزلون الجهد ويقولون إن بولس الرسول إنما ذكر هذه الأسماء دون أن يعني أنه دخلها أو خدم فيها، وهذا لا نوافق عليه. فالذي ضيَّعه التاريخ لا يضيِّعه الله.

وأخيراً بولس الرسول في طريقه إلى كورنثوس في بوادر الشتاء:

كانت هذه أمنية من أمنيات بولس الرسول، أنه بعد أن يطمئن على كنائس مكدونية وأخائية ينطلق إلى أورشليم حاملاً هدايا الأمم لفقراء القديسين: «لأن أهل مكدونية وأخائية استحسنوا أن يصنعوا توزيعاً لفقراء القديسين الذين في أورشليم، استحسنوا ذلك، وإنهم لهم مديونون. لأنه إن كان الأمم قد اشتركوا في روحياتهم يجب عليهم أن يخدموهم في الجسديات أيضاً. فمتى أكملتُ ذلك **وختمتُ** لهم هذا الثمر، فسأمضي مارًّا بكم إلى أسبانيا.» (رو١٥: ٢٦–٢٨)

وكأن بولس الرسول كان على علم وإحساس أنها آخر زيارة للأمم وآخر زيارة لأورشليم، إذ يقول إنه: «يختم لهم هذا الثمر» أي يختم خدمته بين الأمم!! أما أسبانيا فربما كانت في أحلامه قد اختلطت بأورشليم السماوية.

نعم، بولس الرسول كان على يقين أنه يختم أعماله في آسيا واليونان، فهو يخاطب أهل روما هكذا: «وأما الآن فإذ ليس لي مكان بعد في هذه الأقاليم، ولي اشتياق إلى المجيء إليكم منذ سنين كثيرة ...» (رو١٥: ٢٣)

شيء واحد كان ينغِّص حياة بولس الرسول حتى آخر لحظة من حياته: **اليهود!!** فهو يكتب إلى أهل رومية: «فأطلب إليكم أيها الإخوة بربنا يسوع المسيح وبمحبة الروح أن تجاهدوا معي في الصلوات من أجلي إلى الله **لكي أُنقذ من الذين هم غير مؤمنين في اليهودية ...**» (رو١٥: ٣٠و٣١)

بولس الرسول في كورنثوس:

كان قد دخل الشتاء لما دخل بولس بوابة كورنثوس من الغرب آتياً من رحلاته في الشمال. وكانت عبوسة الشتاء تضيف شيئاً على عبوسة الرؤيا في قلب بولس من جهة المعاندين الذين ينتظرونه والخطاة الذين لم يتوبوا. وهو الآن قادم، لا لعتاب على مستوى خطاب، بل مُهدِّداً بالعقاب: «قد سبقتُ فقلتُ، وأسبق فأقول، كما وأنا حاضر المرة الثانية وأنا غائب الآن أكتب للذين أخطأوا من قبل ولجميع الباقين، أني إذا جئت أيضاً لا أُشفق» (٢كو١٣: ٢)،

«ومستعدين لأن ننتقم على كل عصيان متى كملت طاعتكم.» (٢ كو١٠: ٦)

سحابة قاتمة آتية من الشرق وصلت كورنثوس قبل أن يصلها بولس الرسول:

ما أن دخل بولس الرسول أبواب كورنثوس، إلاَّ وقدّموا إليه إخباريات وصلت على جناح السرعة عَبْر أفسس في الشرق وآتيةً من غلاطية، تفيد أن الكنيسة انقلبت على مَنْ فيها بواسطة بعثة نكدية أتت من اليهودية وقامت ببثِّ تعاليمها المضادة لكرازة بولس الرسول، وردَّتهم عن الإيمان «بمسيح النعمة» ووضعوا بدلاً منه مسيحَ بل مُسَحَاءَ الختان والناموس والهلال والسبت، ولا تَذُقْ ولا تشمْ ولا تمسْ، وغيرها من نوافل عبادة كانت قد شاخت ودخلت حدود الاضمحلال.

والذي أتعب نفس بولس جداً أن غالبية المؤمنين في غلاطية بسطاء، وكلُّهم أميون، واليهودُ المتنصرون فيهم قِلَّةٌ لا تُذكر. فالخسارة كبيرة وعسيرة على النفس التي تعبت فيهم حتى أحضرتهم أمام الله قديسين وبلا لوم في محبة المسيح: «لكن حينئذ إذ كنتم لا تعرفون الله استُعبدتم للذين ليسوا بالطبيعة آلهة. وأما الآن إذ عرفتم الله بل بالحري عُرِفتم من الله، فكيف ترجعون أيضاً إلى الأركان الضعيفة الفقيرة التي تريدون أن تُستَعبَدوا لها من جديد. أتحفظون أياماً وشهوراً وأوقاتاً وسنين؟ أخاف عليكم أن أكون قد تعبتُ فيكم عبثاً.» (غل٤: ٨-١١)

ولم تكن الضربة التي صوَّبها هؤلاء اليهود الزاحفون من أورشليم هي مجرد ضربة نحو إيمانهم بالمسيح والنعمة والخلاص المجاني، بل بالأكثر وبالأساس هي موجهة ضد بولس الرسول نفسه لتحطيم عناصر الإيمان المسيحي الذي يكرز به بين الأمم، كمحاولة لسحق خدمته، أو مسيحه إن جاز هذا، بل قد جاز في وَهْمهم وعماهم وحقدهم.

وكل غلاطيٍّ ختنوه، حسبوه فخراً لهم ونصراً لليهود وليس للناموس، وكأنهم اختطفوه من يد المسيح: «لأن الذين يختتنون هم لا يحفظون الناموس بل يريدون أن تختتنوا أنتم لكي يفتخروا في جسدكم.» (غل٦: ١٣)

بولس يكتب في بدء إقامته في كورنثوس لثالث مرة
أول خطاب للغلاطيين[١٣]:

من فاتحة الرسالة يتبين بغاية الوضوح كيف أثَّرت في نفسية بولس الرسول هذه الردَّة عن الإيمان الصادق بالمسيح للعودة إلى عبودية الناموس والختان. فواضحٌ عنصر العَجَلة التي بادر بها بالكتابة

---

(١٣) سبق أن عرضنا ظروف كتابة هذه الرسالة في ص٣٣٦ وما يليها.

قبل أن يستفحل الخراب، وعنصر الضيق بسبب تصرف المؤمنين هكذا سريعاً بعد عمق الإيمان الذي عاشوه وأحبُّوه، بل وواضح أيضاً عنصر الشدة في الكلام بما يتناسب مع عنصر الجهالة التي استمالت قلوبهم إلى نبْذ الإيمان الصحيح: «إني أتعجب أنكم تنتقلُون هكذا سريعاً عن الذي دعاكم بنعمة المسيح إلى إنجيل آخر، ليس هو آخر ـ غير أنه يوجد قوم يزعجونكم ويريدون أن يحوِّلوا إنجيل المسيح.» (غل ١: ٦و٧)

أعمال بولس الرسول الأخيرة في كورنثوس:

كان أول عمل فرض نفسه على القديس بولس بدخوله كورنثوس هو أن يحدّ ويحصر نشاط المخالفين للإيمان إن استحال استمالتهم للحق. وقد كانوا فريقين:

الفريق الأول: وهم الذين أحلُّوا أنفسهم من أي قانون خلقي Antinomian، وبعد ذلك يدَّعون أنهم روحانيون باعتبار أن القوانين إنما مفروضة على الجسد فقط فلا قيمة لها.

والفريق الآخر، وهو الأقل عدداً والأكثر بجاحة وفظاظة وتعدِّياً وهم المتهوِّدون الجدد الذين بعد أن قبلوا المسيحية بالنعمة عادوا إلى الناموس، بتأثير البعثة من أورشليم التي اندسَّت في وسطهم حاملة الدعوة إلى العودة للناموس بالنسبة لمسيحيي الأمم. وأساس محاربتهم يقوم على جحد رسولية بولس وشجب الإيمان الذي ينادي به باعتباره هرطقة يهودية.

والأسوأ من الكل والذي يؤكد بطلان دعوة كل منهما، أنهما (أي الفريقين)، وبالرغم من البعد الشاسع بين المبدأ المنحل عن الأخلاق والقانون (نوموس) وبين المبدأ المتمسك بالناموس والتدقيق في مفرداته، إلاَّ أنهما اتحدا معاً في مقاومة بولس الرسول كمحاولة للسيطرة على مجرى الأمور في الكنيسة.

وكان الشيء الذي وضعه بولس الرسول نُصْبَ عينيه هو أن يعيد الهدوء والنقاوة الإيمانية إلى الكنيسة بالنعمة التي وفَّرها له الله بسخاء.

وهكذا ابتدأ أولاً يثبت صحة رسوليته وهكذا يُبْطِل ورقة الشغب التي يلعب بها المتهوِّدون ضد الإيمان المسيحي، وهذا هو الأهم عند بولس الرسول:

+ «قد صرتُ غبياً وأنا أفتخر. أنتم ألزمتُموني. لأنه كان ينبغي أن أُمدح منكم إذ لم أنقص شيئاً عن فائقي الرسل، وإن كنت لست شيئاً. إن علامات الرسول صُنعت بينكم في كل صبر بآيات وعجائب وقواتٍ.» (٢كو١٢: ١١و١٢)

+ «أنتم تطلبون برهان المسيح المتكلم فيَّ الذي ليس ضعيفاً لكم بل قويٌّ فيكم، لأنه وإن كان

قد صُلب من ضعف، لكنه حيٌّ بقوة الله، فنحن أيضاً ضعفاء فيه لكننا سنحيا معه بقوة الله من جهتكم.» (٢كو١٣: ٣و٤)

هذا الكلام سبق وأن كتبه بولس الرسول لهم في رسالته الثالثة قبل أن يذهب إليهم وهو الآن بينهم، ونحن أخذنا هذه الآيات كنموذج بالضرورة لما قاله بولس الرسول لهم في هذه الزيارة الأخيرة لأنه لم يُسجَّل منها شيء على الإطلاق لا في سفر الأعمال ولا في الرسائل عامة.

وفي الحقيقة، فإن القديس بولس في موقفه هذا، كان يحتاج إلى مؤازرة سماوية تماماً كالتي حصل عليها إيليا في مواجهة الأنبياء الكذبة المدسوسين عليه من إيزابل امرأة الشيطان. ولكن سلطان الله أقوى من كل سلطان:

+ «فإني وإن افتخرتُ شيئاً أكثر بسلطاننا الذي أعطانا إياه الرب لبنيانكم لا لهدمكم، لا أخجل.» (٢كو ١٠:٨)

لهذا نعتقد أن قوة غير عادية آزرت بولس الرسول في هدم هذا العلو المرتفع ضد معرفة الله والمسيح، وأنه استطاع أن يستأسر فكرهم إلى طاعة المسيح بقوة الروح. أما هؤلاء المندسُّون بينهم من أورشليم لقَلْب إيمانهم، فإن لم يكونوا قد انسحبوا قبل مجيئه، فحتماً لبسهم العار والخزي وخرجوا مدحورين.

ونحن، وإذ كنا في غاية الاشتياق أن نعلم ماذا تم بعد رحلة بولس الرسول وأعماله الأخيرة في كورنثوس، بينما سفر الأعمال لا يعطي إشارة، ولا الرسائل تفصح عن شيء، إلاَّ أن الله قيَّض لنا كليمندس الروماني زميل بولس الرسول في الخدمة والجهاد والدموع: «نعم أسألك أنت أيضاً يا شريكي المخلص ساعد هاتين اللتين جاهدتا معي في الإنجيل مع أكليمندس أيضاً وباقي العاملين معي الذين أسماؤهم في سفر الحياة.» (في ٤:٣)

كليمندس هذا الذي اسمه بالحق في سفر الحياة يخبرنا الخبر اليقين أن كورنثوس بعد بولس الرسول لبست حلة البهاء والمجد، فصار أهلها من أنقى المؤمنين عقيدة وإيماناً وشرفاً وطهارة، واشتهرت نساء كورنثوس بالتعفف والطهارة، وسكنت الفضيلة كنيسة كورنثوس عوض الزنى والرذيلة. ويقول كليمندس إن إيمان هذه الكنيسة بلغ من النضوج والصحة مبلغه المسيحي الأمثل(١٤). حيًّا الله أهل كورنثوس في السماء ومتعهم ببولس في السموات العلا، ليكونوا برفقته

---

(١٤) راجع رسالة كلمندس الروماني.

مع المسيح كل حين.

وفي الحقيقة، ومن واقع تحقيقات رسائل القديس كليمندس الروماني، تكون كورنثوس قد أسست بالفعل نواة القداسة في أوروبا والإيمان الراجح الصحيح.

ولم تدُمْ زيارة بولس الرسول لكورنثوس سوى ثلاثة أشهر بحسب سفر الأعمال (٢٠: ٣).

بولس الرسول يكتب من كورنثوس رسالته الكبرى إلى روما ويرسلها على يد فيبي[١٥]:

بينما بولس الرسول يُحضِّر لرحلة العودة لأُورشليم، انتهز فرصة قيام إحدى أعضاء كنيسة كنخريا البارزات «فيبي»، الأرملة ذات الشخصية والصيت والغنى، بالسفر إلى روما في محيط أعمالها الخاصة وكتب رسالته إلى روما:

+ «أُوصي إليكم بأختنا فيبي التي هي خادمة (شماسة) الكنيسة التي في كنخريا، كي تقبلوها في الرب كما يحقُّ للقديسين، وتقوموا لها في أي شيء **احتاجته منكم**، لأنها صارت مساعِدةً لكثيرين ولي أنا أيضاً.» (رو١٦: ١و٢)

أما المأمورية المستعجلة التي قامت من أجلها فيبي إلى روما، وأما المساعدة التي كانت ربما تحتاجها من أهل رومية، فهي أمور خاصة بقضية من القضايا وذلك بحسب ما تُضْمره اللغة: «في أي شيء احتاجته منكم».

أما سبب كتابة هذه الرسالة إلى رومية، فهو أساساً ليعدَّ له في نفوسهم مكاناً ويعدَّ نفوسهم للإيمان الذي أحبه وصار حياته وعزاءه وعمله ورجاءه: «لنتعزَّى بينكم بالإيمان الذي فينا جميعاً إيمانكم وإيماني.» (رو١: ١٢)

وكان قد تناهى إلى علم بولس الرسول مستوى الإيمان العالي والسليم الذي كان عاملاً في قلوب كنيسة روما، لذلك بادلهم عمقاً بعمق دون أن يعتبر نفسه متعالياً أو متطفلاً عليهم. ولكن، أليس هذا كان من رحمة الله علينا؟ لأن بولس الرسول كتب الرسالة إلى رومية وقدمُه لم تطأ أرض الكنيسة هناك، بل من حَبْسٍ إلى قبض إلى حبس إلى موت! لقد كتبها لكنيسة الأجيال، للكنيسة الخالدة. فهي أطول رسائله وأكثرها عمقاً وترتيباً وعرضاً للإيمان المسيحي من كل جوانبه، مع اختبارات إيمانية عالية.

---

(١٥) راجع ما جاء عن الرسالة إلى رومية في ص ٣٤٣ وما يليها.
وقد كتبنا شرحاً تفصيلياً لهذه الرسالة سيصدر عن قريب إن شاء الله.

لقد استجمع بولس الرسول لكتابة هذه الرسالة التي يكنُّ لأهلها الاحترام والتوقير ـــ معرفته العميقة بالمسيح، وعرض فيها خبراته الإيمانية في شكل عقيدة بإيجاز بليغ.

كما استلهم من الروح القدس كل الإعلانات التي يمكن أن تصلح لتكميل إيمان مسيحيّ موطّد الأركان. ففيها يعطي تفسيراً قوياً لعقيدة التبرير بالإيمان يكاد يكون كاملاً مكمَّلاً، ولأول مرة في محيط الفكر الكنسي؛

ثم يقدم عقيدة الاتحاد بالمسيح بالروح في موته وحياته؛

ويتقدم في خبرة الإيمان ليحصل على حلول المسيح نفسه في القلب بالإيمان، وأننا إذ تصالحنا بموت المسيح مع الله، وهو الآن حيٌّ، فنحن سنخلص حتماً بحياته، بل ونملك في الحياة معه بالنعمة الفائضة منه؛

وفي قيامته المجدة استعلن أنه هو ابن الله المُمجَّد، الذي وهبنا بقيامته قيامة وحرية من عبودية قديمة، وأهّلنا لشركة بنوته وميراثه الخاص كابن في الله، وذلك بشهادة تصديق ناطقة بالروح القدس بل صارخة في قلوبنا أننا أبناء الله وقد صار لنا الحق في أبوته لكي نناديه يا أبا الآب؛

ولأننا في حرب مع العالم فلا بد أن تنقلب أعضاء جسدنا كلها إلى أسلحة نحارب بها الخطية لحساب المسيح، فتصير أعضاؤنا بذلك مبرَّرة من داخل الألم والمعاناة وصلب الجسد.

فنحن مدعوون من العالم وبواسطة اضطهاد العالم ورئيسه إلى نفس صليب المسيح الذي إذ نجوزه بقوة صليب المسيح نحسب أننا صُلِبْنا معه. وإذ نغلب بقوة غَلَبَته، ننال قوة قيامته لمباشرة حياة جديدة يصير فيها المسيح حياتنا. والذي لم يشفق على ابنه بل بذله فمات من أجلنا، كيف لا يهبنا معه كل ما للحياة؟ والذي أحبنا ومات من أجلنا، من ذا الذي وماذا يقدر أن يفصلنا عنه وعن محبته؟ حتى الموت مرحباً به لأنه لن يفصلنا عنه بل يوصِّلنا إليه. لذلك، نحن نموت كل يوم بدافع الحب له، لأننا من داخل موتنا نتعرف على حياته التي تسري في موتنا فتُحيينا.

وعوض ألوان وأشكال ذبائح العهد القديم البهيميّة، هوذا نحن نقدّم أجسادنا ذبيحة ناطقة عقلية يومية بعبادة وتسبيح وشكر ترضي الله، ومقبولة عنده.

وإذ سامحنا الله عن خطايانا السالفة، كيف ندين نحن الآخرين، ونحن كلنا سنقف أمام عرش المسيح ليعطي كل واحد عن نفسه حساباً لله؟

المكيدة من اليهود والعودة السريعة من كورنثوس:

«فصرف ثلاثة أشهر (في كورنثوس). ثم إذ حصلت مكيدة من اليهود عليه وهو مزمع أن يصعد إلى سوريا، صار رأي أن يرجع على طريق مكدونية.» (أع ٢٠: ٣)

وكان مع بولس الرسول والبعثة التي ترافقه كل ما جمعه هو والذين معه في كل البلاد المحيطة. وكان بولس الرسول سعيداً إذ توفَّر له أن يقدِّم شيئاً يفرِّج به ضائقة القديسين في أورشليم.

ولكن نما إلى أذن بولس الرسول خبر مكيدة أحبكها اليهود مع المتهوِّدين الذين ظلوا على عدائهم له. صحيح أننا لا نعلم خطوات وتدبيرات هذه المكيدة، ولكن المعروف أن اليهود يتزاحمون على سُكنى المواني. فلا شك أنه بينما بولس مزمع أن يقلع من كنخريا Cenchreae علم أن التربُّص به سيكون في البحر. وليست الأموال المجموعة هي التي استهوت قلوبهم فقط، بل وحياة بولس كانت مطلوبة منذ أن طردهم غاليون Gallio من كرسيه وأُطلق بولس من أيديهم، بعد أن أحكموا الخطة للانهاء عليه بإعادته مقبوضاً عليه إلى أورشليم ليُحاكَم بمقتضى شريعتهم لا حسب القانون الروماني الذي خذله وخذلهم فيه غاليون. وقد سبق لليهود وأن دبَّروا اغتياله في دمشق، وكان سقوطه في أيديهم يقيناً، لولا أنه تدلَّى من السور في زنبيل وهرب من أيديهم ليؤسس الإيمان المسيحي في أوروبا وكل الأنحاء. ولا يزال مخطط الاغتيالات أمامنا مفتوحاً لنقرأ منه فصلاً أو فصلين في الصفحات القادمة.

والآن، استقر رأي الجماعة الأمينة المحيطة به على تغيير خط سير العودة، فبدل السفر بالبحر مباشرة إلى سوريا، يكون السفر من فيلبي ثم شاطىء آسيا.

ورحَّب بولس الرسول، إذ سيُتاح له رؤية الوجوه المُحبَّة، ويتملأ من أولاده المخلصين، ويودِّعهم بالروح ويستودعهم لنعمة الله. سار الرَّكْبُ والمركب حتى بلغوا تسالونيكي، ومنها إلى أبولونيا Apollonia، ثم أمفيبوليس Amphipolis، إلى النقطة التي حطَّ فيها رحاله في أوروبا أول مرة.

وكانت الرفقة معه تجمع سوباتير Sopater ابن بيرروس Pyrrhus (أع ٢٠: ٤؛ رو ١٦: ٢١) وهو مواطن من بيريـة Berea، وأرسترخس Aristarchus، وسكوندس Secundus الذي من تسالونيكي، مع غايس Gaius من دربة، وتيموثاوس، وآخرين من مسيحيي آسيا كانا قد رافقاه إلى اليونان: تيخيكُس وتروفيمُس (أنظر صفحة ٦٦٤).

وواضح من الأسماء والمدن أن وراء هذه المجموعة مشروعاً لجمع الأموال بترتيب ودقة، الذي لا بد وأن كان قد بلغ غاية المطلوب.

والمعروف أن القديس لوقا كان ينتظرهم في فيلبي. وقد تخلف معه بولس الرسول في فيلبي، أما باقي المجموعة فسبقتهم إلى شاطىء آسيا، نحو ترواس.

تخلَّف بولس الرسول ولوقا معه ليحضرا عيد الفصح وبعيِّدا الفصح المسيحي في فيلبي. لم تَعُدْ خرفان وذبائح، ولا تذكارات للخروج والتيه، ولا أشباه السماويات وظِلُّها، بل المسيح فِصْحُنا قد ذُبِحَ لأجلنا. لقد عيَّدت فيلبي مع بولس فصحاً حقيقياً، وتناولوا على مائدته جسداً ودماً، واستقوا جميعاً روحاً واحداً، وتصالح الشعب مع الشعوب وصار الاثنان واحداً.

وإذا دققنا التفسير، لكان الفصح السالف للسنة السالفة من نصيب أفسس، فبولس الرسول وهو في أفسس دخل عليه زمن الفصح، وكان محصوراً في نقل معالم الفصح اليهودي إلى الفصح المسيحي بمفرداته وألحَّ عليه الروح، فكتب في رسالته إلى أهل كورنثوس يقول:

+ «إذاً نقُّوا منكم الخميرة العتيقة، لكي تكونوا عجيناً جديداً كما أنتم فطير لأن فصحنا أيضاً المسيح قد ذُبح لأجلنا. إذاً لنُعيِّد (كان زمن العيد بالضرورة) ليس بخميرة عتيقة ولا بخميرة الشر والخبث بل بفطير الإخلاص والحق.» (١ كو٥: ٧و٨)

وقد تأخر بولس الرسول في فيلبي مع لوقا حتى بعد زوال قمر الفصح — أي بعد ١٤ نيسان — مع أنهم كانوا قلقين يطلبون أن يكونوا في أورشليم قبل عيد الخمسين: «لأن بولس عزم أن يتجاوز أفسس في البحر لئلا يعرض له أن يصرف وقتاً في آسيا، لأنه كان يسرع حتى إذا أمكنه يكون في أورشليم في يوم الخمسين.» (أع ٢٠: ١٦)

ويمكننا عمل تفريدة للأيام لنرى كيف نجح بولس الرسول في تحقيق وعده أو أمله:

١ — المدة كلها من الفصح إلى يوم الخمسين ٤٩ يوماً.
٢ — أيام الفطير هي سبعة أيام بعد عيد الفصح. هذه توقفها بولس في فيلبي.
٣ — خمسة أيام استغرقتها رحلة البحر إلى ترواس لأن الريح كانت مواتية.
٤ — سبعة أيام صرفها بولس في ترواس (أع ٢٠: ٦).
٥ — أربعة أيام استغرقتها الرحلة من جزيرة خيوس Chios إلى ميليتُس Miletus (أع ٢٠: ١٣و١٥).
٦ — يومان صُرفا في ميليتُس في وداع أساقفة وقسوس كنائس أفسس.

٧ ــ ثلاثة أيام استغرقتها رحلة بولس إلى باترا Patara، مروراً بكوس Cos ورودس Rhodes (أع ٢١: ١).

٨ ــ يومان كافيان للوصول من باترا إلى صور (أع ٢١: ٢و٣) (أنظر صفحة ٦٨٢).

٩ ــ ستة أيام بقي فيها بولس في صور (أع ٢١: ٤).

١٠ ــ يومان قُضِيَا في السفر من بتولمايس إلى قيصرية (أع ٢١: ٧و٨).

مجموع هذه الأيام هو ٣٧ يوماً. إذاً تبقى لنا ١٢ يوماً هذه نجعلها في احتياط التغييرات الطارئة واعتبار أن السفينة التي أقلع فيها بولس هي سفينة شواطىء وليست ماخرة محيطات، تقف كما تريد وتقلع كما تريد، ولم تكن دائماً تحت إرادة بولس. من هذا نرى أن حسابات بولس سليمة مائة بالمائة. وبمقتضاها قام في الوقت المناسب وبلغ مقصده في الوقت المناسب، هذا نقوله لأن أقواماً من العلماء يستهينون بدقة بولس الرسول.

ترواس، والعِلِّية، وأفتيخوس:

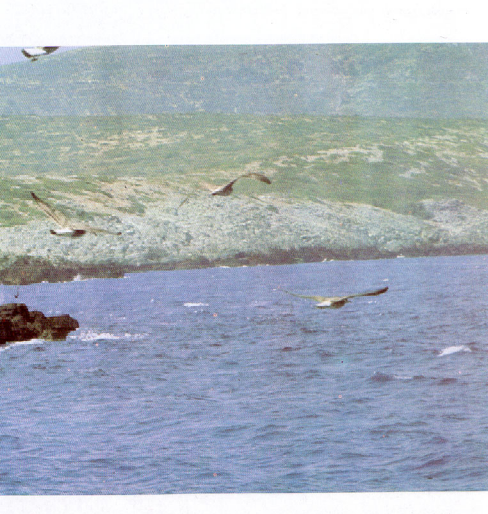
«هؤلاء سبقوا وانتظرونا في ترواس، وأما نحن فسافرنا في البحر بعد أيام الفطير من فيلبي ووافيناهم في خمسة أيام إلى ترواس حيث صرفنا سبعة أيام.» (أع ٢٠: ٥و٦)

هكذا بدأت ترواس تلبس حُلَّتها المزيَّنة، واجتمع الشعب حول بولس الرسول يحييه ويسمع منه.

«وفي أول الأسبوع (يوم الأحد) إذ كان التلاميذ مجتمعين ليكسروا خبزاً خاطبهم بولس وهو مزمع أن يمضي في الغد، وأطال الكلام إلى نصف الليل.» (أع ٢٠: ٧)

والملاحظ هنا، بحسب الطقس القديم لـ «عشاء الرب»، فإن اجتماع الكنيسة يبدأ في الغروب بعد السبت، وطقس كسر الخبز يبدأ مباشرة بعد الغروب. وهكذا يكون بولس الرسول قد استمر حوالي ٦ ساعات يتكلم مع المجتمعين، والشعب كان متمسكاً به، كما كان هو منعطفاً نحوهم، لأنه كان مصمماً على السفر في الغد صباحاً، أي الأحد، لذلك أطال الكلام حتى منتصف الليل.

«وكانت مصابيح كثيرة في العلية التي كانوا مجتمعين فيها. وكان شاب اسمه إفتيخوس Eutychus جالساً في الطاقة متثقلاً بنوم عميق. وإذ كان بولس يُخاطب خطاباً طويلاً، غلب عليه (على الشاب) النوم فسقط من الطبقة الثالثة إلى أسفل وحُمِل ميتاً. فنزل بولس ووقع عليه واعتنقه قائلاً لا تضطربوا لأن نفسَهُ فيهِ؛ ثم صعد، وكسر خبزاً، وأكل، وتكلم كثيراً إلى الفجر. وهكذا



«في اليوم الآخر وصلنا إلى ساموس ... » (أع ٢٠: ١٥)

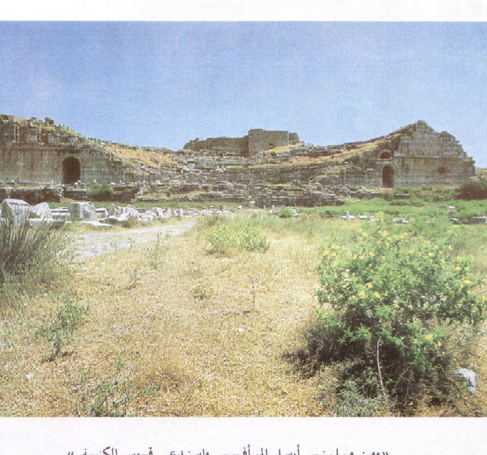
«ساموس» جزيرة تشتهر بعظمة الصناعة اليونانية في بناء السفن وهندسة البناء والآلات.

توقف القديس بولس الرسول في هذه الجزيرة لمدة قصيرة، فقد قضى ليلة فقط فيها.

(أنظر صفحة ٦٨١)



بقايا ميناء ميليتس حيث أرسل القديس بولس إلى أفسس واستدعى
قسوس الكنيسة ليودعهم قبل ذهابه إلى أورشليم (أع ٢٠:١٧).
(أنظر صفحة ٦٨٢)



«ومن ميليتس أرسل إلى أفسس واستدعى قسوس الكنيسة.»
(أع ٢٠:١٧)

أطلال ثياترو «مشهد» ميليتس حيث استدعى القديس بولس الرسول قسوس كنيسة أفسس وألقى عليهم خطابه الوداعي المؤثر.

(أنظر صفحة ٦٨٢)



«ثم خرجنا في الغد نحن رفقاء بولس وجئنا إلى قيصرية.»
(أع ٢١:٨)
(أنظر صفحة ٦٨٣)

مرفأ ميناء هيرودس في قيصرية. وقد تأسست قيصرية على يد هيرودس الكبير عام ٢٢ قبل الميلاد وسميت على اسم صديقه وصاحب الفضل عليه أوغسطس قيصر.

خرج. وأتوا بالفتى حيًّا وتعزوا تعزية ليست بقليلة.» (أع ٢٠: ٨ــ١٢)

هنا يلزمنا، أيها القارىء العزيز، أن نعطي اعتباراً كثيراً لهذه الحادثة، ليس في كونها معجزة جرت على يد بولس الرسول وحسب، بل ولأنها تعطينا تأكيداً أن الرواية بجملتها وقصة السفر بدقائقه هي بقلم شاهد عيان يذكر لنا ما رآه وأثَّر في نفسه وفي قلمه.

والملاحظ في ترتيب الكلام أن إقامة سر كسر الخبز بدأت مبكراً بعد الغروب، وتلاها الوعظ، وبعد ذلك، وبعد أن صلى بولس على الشاب وأعاد له الحياة، صعدوا وأكملوا عشاء المحبة.

ترتيب السفر من ترواس حتى أُورشليم:

أقلعت السفينة من ترواس ومعها كل الذين كانوا في صحبة بولس الرسول، ولكن بولس نفسه تخلَّف، وربما السبب كان في أنه لا بد على السفينة أن تلفَّ حول رأس منحني من الأرض لتأتي قبالة آسوس حوالي ٤٠ كيلومتراً في البحر بينما الطريق الأرضي أقل من ذلك. ولكن في ظننا أن بحساب الأقصر والأبعد لا يمكن حلُّ هذا الإشكال: لماذا تخلَّف بولس؟ لأن طريق البر إلى آسوس حتى ولو كان على ظهر حصان فإنه يأخذ ضعف الوقت الذي تستغرقه المركب. فالمسألة أن بولس الرسول تحت إلحاح بعض المسئولين في ترواس آثر أن يمكث معهم بضع ساعات زيادة وعلى انفراد على أن تنتظره المركب في آسوس: «وأما نحن فسبقنا إلى السفينة وأقلعنا إلى آسوس مزمعين أن نأخذ بولس من هناك لأنه كان قد رتَّب هكذا مزمعاً أن يمشي. فلما وافانا إلى آسوس أخذناه وأتينا إلى ميتيليني.» (أع ٢٠: ١٣و١٤)

ثم انطلقت السفينة نحو الجنوب تجاه جزيرة لسبوس Lesbos ومدينتها ميتيليني Mitylene، ووقفت المركب على ميناء الجزيرة ــ لأن هذا كان نهاية رحلتها ــ وساروا بأرجلهم حتى وصلوا ميتيليني ثم عادوا وأبحروا من ميتيليني في سفينة أخرى.

وأبحروا تجاه خيوس Chios في المضيق بين خيوس وشاطىء آسيا، وبعد يوم آخر من الإبحار وصلوا إلى جزيرة ساموس، واتجهوا نحو شاطىء آسيا ونزلوا وأقاموا في مدينة تروجيليون Trogyllium على الشاطىء بين أفسس شمالاً وميليتُس جنوباً Miletus. ومن هناك أرسلوا إشارة إلى أفسس ليستدعوا قسوس الكنيسة، وبعد يوم وصلوا إلى ميتيليني: «لأن بولس عزم أن يتجاوز أفسس في البحر لئلا يعرض له أن يصرف وقتاً في آسيا، لأنه كان يسرع حتى إذا أمكنه يكون في أورشليم في يوم الخمسين.» (أع ٢٠: ١٦)

«ومن ميليتس أرسل إلى أفسس واستدعى قسوس الكنيسة.» (أع ٢٠: ١٧)

في ميليتس الوداع الأخير «لن تروا وجهي»:

حال وصول قسوس الكنيسة بعد رحلة من أفسس لا تقل عن ٢٠ ميلاً، ابتدأ بولس يكلمهم ويوصيهم على الرعية التي تركها في رقابهم قائلاً آيته الذهبية الخالدة التي جمعت بين دم المسيح والله في كلمتين لتجعل من الدم عنصراً إلهياً فعّالاً هكذا:

+ «لترعوا كنيسة **الله** التي اقتناها **بدمه**.» (أع ٢٠:٢٨)

وبعد أن ذكّرهم بالثلاث السنين التي قضاها بينهم، قدّم بولس طقس الوداع الذي استلمته الكنيسة منذ ذلك اليوم واحتفظ به الرهبان حتى هذه الساعة: «ولما قال هذا جثا على ركبتيه مع جميعهم وصلّى.» (أع ٢٠:٣٦)

وغلبت على الجموع مشاعر التأثر البالغ: «وكان بكاء عظيم من الجميع ووقعوا على عنق بولس يُقبِّلونه متوجِّعين ولا سيما من الكلمة التي قالها أنهم لن يروا وجهه أيضاً ثم شيَّعوه إلى السفينة» (أع ٢٠: ٣٧و٣٨). وليلاحظ القارىء أن هذا الوصف هو للقديس لوقا كشاهد عيان.

إلى كوس ثم رودس وباترا:

وفي السفينة الصغيرة التي لخدمة مدن الشواطىء المحلية أبحروا نحو كوس، ومرُّوا على جزيرة بطمس من على بُعْدٍ. وبعد يوم وصلوا إلى رودس، ومن هناك اتجهوا مرة أخرى نحو الشاطىء لينزلوا في باترا Patara، ومن باترا بحثوا عن سفينة كبيرة عابرة البحار فوجدوا واحدة متجهة نحو فينيقية Phoenicia ــ أي لبنان الآن ــ متجهين ناحية صور، والمسافة بين باترا وصور حوالي ٣٤٠ ميلاً تقطعها حسب القياس البحري في ٤٨ ساعة إذا كانت الرياح مواتية، ونحن في أبريل والرياح فيه في هذه المنطقة معتدلة. وفي الطريق رأوا جزيرة قبرس من على بُعْدٍ في الاتجاه الشمالي الشرقي منهم: «فإذ وجدنا سفينة عابرة إلى فينيقية صعدنا إليها وأقلعنا، ثم اطَّلعنا على قبرس وتركناها يَسْرة وسافرنا إلى سوريا، وأقبلنا إلى صور لأن هناك كانت السفينة تضع وَسْقها (أي حمولتها).» (أع ٢١: ٢و٣)

سبعة أيام في صور، وإنذارات نبوية بالمخاطر المحدقة:

«وإذ وجدنا التلاميذ مكثنا هناك سبعة أيام وكانوا يقولون لبولس بالروح أن لا يصعد إلى أورشليم.» (أع ٢١:٤)

التوقف كان اضطرارياً وليس بالاختيار، فالمركب كانت تفرِّغ حمولتها لكي تأخذ حمولة أخرى، ولكن كانت فرصة لمسيحيِّي صور ليستقبلوا بولس الرسول مثل ما حدث في ميليتُس وبنفس المشاعر

والمناظر والعواطف. وهنا أيضاً نجد مواهب الروح القدس بالتنبؤ واضحة، فقد تقدم الموهوبون بالنعمة ليخبروا بولس الرسول بالمشقّات التي تنتظره في أورشليم. وبسبب شدة المخاطر التي لمحوها في رؤياهم ترجّوا بولس أن يتوقف عن الذهاب إلى أورشليم من أجل نفسه والخدمة. ولكن بولس الرسول كان يعلم هذا، وكان قد عزَمَ عزْمَ القلب أن لا يرتد جزعاً أو خوفاً من أي مصير مهما كان، وكان عليه أن يستمر في خطته لحضور يوم الخمسين في أورشليم.

«ولكن لما استكملنا الأيام خرجنا (من باب المدينة) ذاهبين (إلى الميناء) وهم جميعاً يُشيِّعوننا مع النساء والأولاد إلى خارج المدينة. فجثونا على ركبنا على الشاطىء وصلينا. ولما ودّعنا بعضنا بعضاً صعدنا إلى السفينة، وأما هم فرجعوا إلى خاصّتهم.» (أع٢١: ٥و٦)

إلى بتولمايس (عكا) ثم قيصرية:

«عكا» مدينة قديمة منذ أيام حكم القضاة في إسرائيل (قض١: ٣١)، وإحدى مدن سِبْط أشير، لها صيت كبير منذ العصور الوسطى، فهي محطٌّ من المحطات الكبرى في الحروب الصليبية التي أسموها باسم القديس يوحنا: سان جان داكر **St Jean d'Acre** أي **أكرا**، حيث بنوا فيها قلاعاً وحصوناً بحرية ضخمة.

وحينما زارها بولس الرسول كانت تسمى بتولمايس **Ptolmaïs** نسبة لأحد ملوك البطالسة. وكانت في أيام بولس الرسول إحدى المدن الرومانية الحائزة على الحكم الكولوني؛ وهي متاخمة لجبل الكرمل.

ونزل بولس الرسول في بتولمايس (عكا) وسلّم على الإخوة، مما يفيد وجود كنيسة مسيحية لها علاقة سابقة ببولس. وبقي عندهم يوماً واحداً ثم فارقوها إلى قيصرية.

بولس الرسول في قيصرية عند فيلبس الرسول المبشر،
واحد من السبعة مع إستفانوس الشهيد:

نزل بولس الرسول وكل من معه في ضيافة ذلك الرسول المبارك الذي نسمع عنه في بكور انتشار الإنجيل كيف انتُخب شماساً مع إستفانوس (أع٦: ٥)، وكيف انتخبه الروح وحمله ليتقابل مع الخصيِّ وزير كنداكة ملكة الحبشة[١٦] على الطريق الموصِّل إلى غزة (أع٨: ٢٦ـــ٤٠) وعمَّده، ثم حمله الروح وأنزله كما من فوق الريح ووُجد في أشدود.

(١٦) «والحبشة تسرع وتمد يديها إلى الله.» (مز٦٨: ٣١)

بولس الرسول يواجه النبوات عن مستقبله
في القبض والقيود والسجن ومحكمة الأمم بكل ثقة:

«وكان لهذا (لفيلبس) أربع بنات عذارى كُنَّ يتنبَّأن» (أع ٢١: ٩). وكأن النبوة تُسلَّم من الأب إلى الابن وكأننا في عهد أولاد الأنبياء مرة أخرى، وهاته العذارى تنبأن بالضرورة على ما هو آتٍ في نصيب بولس المزدحم بالمآسي، ولكنه تغاضى.

«وبينما نحن مقيمون أياماً كثيرة انحدر من اليهودية نبي اسمه أغابوس» (أع ٢١: ١٠). وهو النبي الذي تنبأ، أثناء وجود بولس في أنطاكية، أن جوعاً عظيماً وشيك الحدوث على جميع المسكونة (أع ١١: ٢٨).

يلاحظ هنا أن في بكور العصر المسيحي وقبل نهاية أيام الرسل الأطهار المشمولين بنعمة الروح القدس، ظهرت جماعة الأنبياء، الذين استلموا من الرسل وخدموا الكلمة. وكان أغابوس من هذه الطغمة الموهوبة: «فجاء إلينا وأخذ مِنْطَقَة بولس وربط يدي نفسه ورجليه وقال: هذا يقوله الروح القدس: الرجل الذي له هذه المنطقة هكذا سيربطه اليهود في أورشليم ويسلِّمونه إلى أيدي الأمم» (أع ٢١: ١١). وكأننا نسمع مقطعاً من مقاطع الإنجيل عن المسيح، لهذا لم يجد بولس الرسول في هذا الوصف ما يفزعه؛ بل وجد فيه تكميلاً لآلام المسيح وإعادة لمشهد من مشاهد الصليب:

«فلما سمعنا هذا (لوقا يتكلم) طلبنا إليه نحن والذين من المكان أن لا يصعد إلى أورشليم.» (أع ٢١: ١٢)

أما بولس الرسول فرأى في انطلاقه إلى المسيح ما رأى المسيح من ضرورة الانطلاق إلى الآب. ألم يشتهِ يوماً أن ينطلق ويكون مع الرب؟ «لي اشتهاء أن أنطلق وأكون مع المسيح ذاك أفضل جداً» (في ١: ٢٣). والآن لما انفتح باب الانطلاق كيف يقفله بيده؟

هكذا الذين يعيشون مع المسيح هنا، يعتبرون الحياة معه هناك ربحاً: «لي الحياة هي المسيح والموت هو ربح» (في ١: ٢١). «فأجاب بولس ماذا تفعلون تبكون وتكسرون قلبي، لأني مستعد ليس أن أُرْبَط فقط بل أن أموت أيضاً في أورشليم لأجل اسم الرب يسوع.» (أع ٢١: ١٣)

الفصل الرابع

بولس الرسول في أورشليم للمرة الأخيرة

بولس الرسول ينزل في أورشليم عند رجل قبرسي

اسمه مناسون Mnason تلميذ قديم (من تلاميذ المسيح):

كان مشهداً مفرحاً لقلب بولس، فقد استقبله التلاميذ القدامى في أورشليم بفرح وذلك في بيت مناسون حيث التف حوله كل تلاميذه مع لوقا وبقية زملاء السفر.

بولس الرسول في حضرة تلاميذ الرب والرسل القديسين:

كان ذلك في عشية عيد الخمسين في ٢٧ مايو من سنة ٥٧م، لأن العيد في تلك السنة كان في ٢٨ مايو[1]:

«وفي الغد دخل بولس معنا (لوقا يتكلم) إلى يعقوب، وحضر جميع المشايخ.» (أع ٢١ : ١٨)

يبدو أن بولس الرسول أرسل في الليل رسالة يُعْلِمهم بحضوره، وبطلبه الاجتماع معهم، وطبعاً سبقت بولس إليهم كل العطايا والهدايا والأموال التي جمعها طيلة هذه المدة ولا بد أنها كانت وفيرة، ولا بد أنها كانت موضع قبول وراحة ومسرَّة لدى الرسل. «فبعدما سلَّم عليهم، طفق يحدثهم شيئاً فشيئاً بكل ما فعله الله بين الأمم بواسطة خدمته» (أع ٢١ : ١٩). فآسيا كلها دانت للمسيح، من أعلاها بنطس وبيثينية إلى أسفلها في بمفيلية وفريجية، ومن الشمال فيها في غلاطية وكبدوكية إلى اليمين في ميسيا وليكية.

وعرض لهم أسماء البلاد بكنائسها: **أنطاكية بيسيدية وإيقونية ودَرْبة ولِسْترة وغلاطية وترواس وأفسس وميليتس**، وغيرها من البلاد والكنائس التي سقطت من روايات سفر الأعمال.

1. David Smith, *Life and Letters of St. Paul,* p. 657.

ثم عرض عليهم قصة الرجل المكدوني واقتحامه شواطىء اليونان وجولاته في أعماقه من شماله إلى جنوبه. وعرض عليهم أسماء المدن بكنائسها، **فيلبي وتسالونيكي وبيريّة ونيابوليس وأبولونية، وحتى إللّيريكون** (يوغوسلافيا) **ودَلماطيّة** (ألبانيا) **وكورنثوس وكنخريا ونيكوبوليس،** وغيرها من مدن وكنائس سقطت من الرواية كما جاءت في سفر الأعمال والرسائل. شيء يكاد لا يُعدُّ ولا يُحصى، مؤمنون بالآلاف والربوات من أجناس ولغات وعوائد وعبادات باطلة جاءوا إلى المسيح زرافاتٍ ووحداناً يطلبون وجه الله ويعبدون الحي بالروح والحق:

«فلما سمعوا كانوا يمجّدون الرب.» (أع٢١: ٢٠)

تمثيلية خاسرة، وخطّة مبيّتة، وفرّيسية حاقدة متنمّرة

والذين صلبوا المسيح قتلوا بولس:

كانت كنيسة أورشليم محشوّة بشخصيات فريسيّة قبلت المسيح على دمّل الناموس. وكان بولس الرسول يجدد عليهم أوجاع أحقادهم المدفونة تحت عثرة الصليب. كانت آمالهم في إخضاع المسيح لمجد الناموس، ليرتفع اليهودي فوق هامة الرؤوس ويستذل الأمم بفخر إبراهيم. فإن كانت اليهودية قد عجزت عن أن تغزو الأمم بميراثها وتراثها وآبائها وأنبيائها، فليكن بالمسيح شكلاً وليبقَ كل ما كان كائناً لا يُمسُّ. لقد بدّد هذا البولس آمالهم واستذل الناموس تحت أقدام الصليب وضيّع هيبة الفرّيسية وأهان مجد إسرائيل!

لم يكن حقدهم ليهدأ حتى ولو مات بولس، بل لا بد أن تموت معه كل أعماله وكنائسه وفي كل مكان من العالم.

أما الرسل والأعمدة الثلاثة فلم يحنثوا قط في يمين الشركة التي أعطوها له، ولا ندموا لحظة واحدة. لأن عمل الله رأوه وقد عُمل به، وبرهان الروح نظروه وقد تمجّد فيه، والمسيح استُعلِن له وخصَّه بالرسالة إلى الأمم كما هم للختان. هذا كانوا قد انتهوا إليه واستوثقوا منه.

رعبة التعصب وقسوة الفريسيين المتنصّرين،

ملكت على كنيسة أورشليم:

«وقالوا له أنت ترى أيها الأخ (بولس) كم يوجد ربوة (١٠,٠٠٠) من اليهود الذين آمنوا وهم جميعاً غيورون للناموس وقد أخبروا عنك أنك تعلّم جميع اليهود الذين بين الأمم الارتداد عن موسى قائلاً أن لا يختنوا أولادهم ولا يسلكوا حسب العوائد، فإذاً ماذا يكون؟ لا بد على كل حال أن يجتمع الجمهور لأنهم سيسمعون أنك قد جئت.» (أع٢١: ٢٠—٢٢)

القديس يعقوب وتبرئة ذمته أمام الله وبولس الرسول:

«وأما من جهة الذين آمنوا من الأمم فأرسلنا نحن إليهم وحكمنا أن لا يحفظوا شيئاً مثل ذلك سوى أن يحافظوا على أنفسهم مما ذُبِح للأصنام ومن الدم (اللحم الذي لا يصفَّى منه الدم) والمخنوق (أي الذي لا يُستفرَغ دمه منه) والزنا (الذي يتزوج من أقربائه غير المحلَّلين له).» (أع ٢١: ٢٥)

قالوا هذا لبولس ليُخلِّصوا ذمَّتهم أمامه أنهم ليسوا ضده في شيء. ولكن اقتصروا في تصريحهم هذا على الأمم فقط، مبيِّنين النية أن على اليهود بالتالي أن يحفظوا الناموس والختان والسبت والأعياد وكل العوائد كما هي دون أن تُمسَّ. وهذا هو ما يفرِّق بين إيمان بولس بالحرية الكاملة من الناموس لليهودي واليوناني على السواء.

علماً بأن كل البعثات اليهودية تحت اسم المسيح التي كانت تتعقَّب بولس في جميع الكنائس التي أسسها، كانت من هؤلاء الفريسيين المتنصِّرين الذين دوَّخوا بولس وردُّوا كثيرين عن الإيمان القويم، وقلبوا الكنائس على بولس الرسول وشتَّتوا فكر الرعية، وأضلُّوهم عن النعمة. هؤلاء استغلُّوا طيبة يعقوب الرسول الذي حاول «بالجهد» أن يكون ناموسياً وحافظاً «للناموس الملوكي» (يع ٢: ٨) لكي يرضيهم، فما رَضَوْا، واستغلوا اسمه واعتبروا أنفسهم موفَدِين من قِبَله لصدِّ المؤمنين عن الإيمان. علماً بأن الله قيَّض هذا الرسول الطيب ليقود كنيسة أورشليم في أعصب الأوقات، وقد قادها بحكمة لتقف ملجأً لليهود المتمسكين بالعوايد والناموس وملجأً للأمم الراجعين لله حسب وعد الله سواءً بسواء. لقد قاد كنيسة قامت على جذر يهودي ولها أغصان من الأمم، فما أساء إلى الجذر ولا أهان الأغصان. إنها كانت كنيسة انتقال، دورٌ ما كان لبطرس ولا يوحنا أن يقوما به بدون يعقوب. وعلى القارىء أن يتبصَّر ماذا كان يمكن أن يصيب كنيسة المسيح في أورشليم لو لم يُقِم المسيح لها يعقوب ليردَّ عن يعقوب الفجور، بشبه ما صنع المسيح.

ثم لا يمكن بأي حال من الأحوال أن نستصغر الدور الكبير والفعَّال الذي قام به يعقوب في تحمُّله ــ شخصياً ــ كممثل لكنيسة أورشليم بالدرجة الأُولى ــ قبول بولس رسولاً رسمياً، وقبول كرازته «بالإيمان» المسيحي المؤسَّس على قاعدة موسى والآباء والأنبياء ومواعيد الله كلها غير منقوصة دون الناموس والختان وكل عوايد اليهود!!! ثم انظر معي، أيها القارىء العزيز، ماذا كان سيحدث لو فرضنا رَفْضَ يعقوب لإيمان بولس ورسوليته؟ إني أكاد أمسك بالقلم عن وصفِ ما كان سيأتي من نكبات ومآسٍ وخسارات وانقسامات لا يعلم إلاَّ الله مداها.

حلٌّ وَسَطٌ لينجو بولس بجلده، وما نجى؛
والله دائماً يكره الوسط:

«ليتك كنت بارداً أو حاراً. هكذا لأنك فاتر ولست بارداً ولا حاراً، أنا مزمع أن أتقيأك من فمي.» (رؤ٣: ١٥و١٦)

«فافعل هذا الذي نقول لك، عندنا أربعة رجال عليهم نذر، خذ هؤلاء وتطهَّر معهم وأنفق عليهم ليحلقوا رؤوسهم، فيعلم الجميع أن ليس شيء مما أُخبروا عنك بل تسلك أنت أيضاً حافظاً للناموس.» (أع ٢١: ٢٣و٢٤)

ما المانع وقد صلَّى بولس الرسول، وطلب من أهل رومية أن يصلُّوا من أجله إلى الله: «لكي أُنقَذَ من الذين هم غير مؤمنين في اليهودية، ولكي تكون خدمتي لأجل أورشليم مقبولة عند القديسين» (رو١٥: ٣١). أما الجزء الثاني فعبَرَ بسلام وقُبِلَت خدمته وأعطى من أجلها المجد لله؛ أما أن يُنقَذَ من الذين هم غير مؤمنين من اليهودية فرحلتهم طويلة، طويلة جداً.

لم يكن يعقوب ولا بولس ولا نحن أيضاً مقتنعين بما خطَّطوا. فهي خطة قائمة على الخوف، قائمة على فرض العداء ومحاولة استرضائه. وهنا الخطر، ولكن على أي حال، هو حلٌّ يتناسب وعقلية الأغلبية القائمة في الكنيسة. وما العمل؟؟

ولكن هل نأخذ بالغاية التي تبرر الواسطة؟ إذ أن غاية بولس هي أن يُصالح كنيسة أورشليم لعله يكسب على كل حالٍ قوماً. ألم يقل هو: «صرت للذين بلا ناموس كأني بلا ناموس — مع إني تحت ناموس للمسيح — لأربح الذين هم بلا ناموس» (١كو٩: ٢١)؟ فما المانع أن يصير وبالعكس للذين يعبدون الناموس كأنه عبد للناموس ليكسب هؤلاء العبيد ويُحرِّرهم لحساب المسيح؟ ربما!!!

عيد الخمسين، دخول بولس الرسول الهيكل مع النُّذراء: ٢٨ مايو ٥٧م(٢)

لقد أوفى بولس الرسول بالوعد: «حينئذ أخذ بولس الرجال في الغد وتطهَّر معهم ودخل الهيكل مُخبِراً بكمال أيام التطهير إلى أن يُقرَّب عن كل واحد منهم القربان.» (أع ٢١: ٢٦)

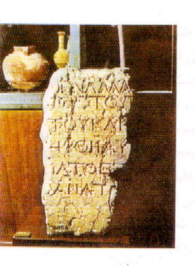
ما هي كمال أيام التطهير؟

2. Ibid.



مبنى من العصور الوسطى مشيّد على أساسات قلعة أنطونيا التي كانت تطل على الهيكل، وقد قامت حاميتها بالقبض على القديس بولس (أع ٢٢ : ١ – ٢١). وقد تم اقتطاع جزء من الأكمة المجاورة لعمل رواق للأجانب التي تظهر زاويته الشمالية الغربية في الصورة. باقي الأكمة استُخدمت كأساس للقلعة التي بناها هيرودس.

(أنظر صفحة ٦٨٩)



قطعة من نقش قديم جداً على الحجر عُثر عليها في أورشليم
تحظر على الأجانب الدخول إلى الأماكن المخصصة
لبني إسرائيل في الهيكل القديم (أع ٢١ : ٢٧).
(أنظر صفحة ٦٨٩)



سفر القديس بولس الرسول إلى روما
كنيسة القديس بولس ذات الينابيع الثلاثة، بالقرب من مدينة روما
(أنظر صفحة ٧٠٣)

هي شريعة النذر، إن نَذَر اليهودي نذراً من أجل ضيقةٍ أو طلبٍ يطلبه وينذر من أجله، فيترك خُصَلَ شعره تطول لمدة ٣٠ يوماً، وذلك بحساب التلمود وعلى أقوال يوسيفوس المؤرخ(٣) — ولا يَذُقْ خمراً أو مسكراً (عد٦: ٢—٥)، لأن في هذه الأيام يُحتسَبُ أنه قدوس للرب. وعند انتهاء المدة يأتي بذبائح النذير وهي فوق طاقة أي إنسان عادي، لذلك فإنه يلجأ إلى أحد الأغنياء ليصرف عليه ليكمّل نذره. وهذا ما قيل لبولس: «تطهَّر معهم **وأنفق عليهم**»، فالذبائح هي: «فيقرِّب قربانه للرب **خروفاً واحداً** حَوْلياً صحيحاً محرقة، **ونعجة واحدة** حولية صحيحة ذبيحة خطية، **وكبشاً واحداً** صحيحاً ذبيحة سلامة، **وسلَّ فطير من دقيق** أقراصاً ملتوتة بزيت، ورقائق فطير مدهونة بزيت **مع تقدمتها وسكائبها**، فيقدمها الكاهن أمام الرب ويعمل ذبيحة خطيته ومحرقته ... ويحلق النذير لدى باب خيمة الاجتماع ... ويأخذ شعر رأس انتذاره ويجعله على النار التي تحت ذبيحة السلامة ... هذه شريعة النذير.» (عد٦: ١٤—٢١)

القبض على بولس الرسول داخل الهيكل،

«هذا هو الرجل» (أع٢١: ٢٨ قارن مع يو١٩: ٥):

كان يوم العيد، عيد الخمسين، وجمهور اليهود من كل العالم مجتمعٌ ومكتظٌّ داخل الهيكل، وكان يهود آسيا وبالأخص أفسس يعرفون بولس جيداً، وهم أكثرهم حقداً وتربُّصاً بهذا الإسرائيلي «المارق».

ودخل بولس الرسول الهيكل متجهاً نحو رواق الكهنة ليقدّم نفسه متطهِّراً ومعه المتطهِّرون الأربعة ذوو النذر للاتفاق مع الكهنة على أثمان الذبائح التي ترهق كاهل أي إنسان عادي، وهو يعتقد أنه بظهوره وهو يقدم النذور عن الأربعة فرصة، كما حسبها يعقوب والآخرون، أن يُهادِنَ المتعصبين ضده من جهة الناموس، إذ يتممه في أدقِّ وأصغر توصياته. فكان يمعن في ظهور نفسه مع الكهنة والمتطهرين.

فما أن رأوه حتى لم يصدِّقوا عيونهم أن يروا غريمهم أمامهم وتحت أيديهم بعد أن كان بعيداً عن متناول أيديهم وهو في الشتات مُحاطاً بأعوانه وحماية القانون الروماني، فوثبوا عليه جماعةً وبنَفَسٍ واحد يصرخون للمزيد من المحاصرة: «فأهاجوا كل الجمع وألْقوا عليه الأيادي صارخين: يا أيها الرجال الإسرائيليون أعينوا، **هذا هو الرجل** الذي يعلّم الجميع في كل مكان ضداً للشعب والناموس وهذا الموضع حتى أدخل يونانيين أيضاً إلى الهيكل ودنَّس هذا الموضع المقدس.» (أع٢١: ٢٧و٢٨)

---

3. Conybeare, *op. cit.*, p. 575.

بولس الرسول خارج الهيكل بين أيدي غُرَمائه،
فكانت ساعتهم وسلطان الظلمة (قارن مع لو٢٢: ٥٣)، **ونجدة أمير الكتيبة:**

«فهاجت المدينة كلها، وتراكَضَ الشعب وأمسكوا بولس وجرُّوه خارج الهيكل (الداخلي)، وللوقت أُغلقت الأبواب (بين رواق الأمم وباقي الهيكل وذلك استعداداً لعملية القتل)(٤)، وبينما هم يطلبون أن يقتلوه نما خبر إلى أمير الكتيبة أن أورشليم كلها قد اضطربت، فللوقت أخذ عسكراً وقواد مئات وركض إليهم. فلما رأوا الأمير والعسكر كفُّوا عن ضرب بولس.» (أع٢١: ٣٠-٣٢)

وعلى القارىء أن يعلم أن السُّيَّاح الآتين من الشتات كانوا أكثر تعصباً من سكان أورشليم، يذودون عن مدينتهم ودينهم بدمائهم وأرواحهم، بسبب شدة الحنين الذي كان يجذبهم في غربتهم نحو وطنهم بصورة مبرِّحة وبمشاعر طاغية ومجنونة. فانظر، أيها القارىء، أية غيرة مجنونة وأي هَوَسٍ للقتل والتنكيل هو باستعدادٍ لوجود أية فريسة، وكانت فريستهم المنتقاة «بولس» الذي روَّعهم في دينهم وناموسهم وآبائهم وعوائدهم حتى جرَّدهم من كل فخرهم. وأخيراً هوذا ينجِّس هيكلهم، وقد أُمسك في ذات الفعل. وهكذا التعصب للدين يُعْمي العينين. ولكن لولا أن قيَّض الله هذا الأمير على مستوى هذه اليقظة والسرعة في اقتحام المشاكل، لمزَّقوا بولس في مكانه.

أما قلعة أنطونيا **Antonia** التي أخذت هذا الاسم تكريماً لمارك أنطونيوس، فإن الذي بناها هو هيرودس الأول، وقد أقامها في الركن الشمالي الغربي من المنطقة المحيطة بالهيكل. وكانت القلعة تكشف كل ما يجري داخل الهيكل وكانت تفتح على الهيكل. وكانت القلعة بها قشلاقات تسع لحوالي ألف جندي، كان جزء منهم يتواجد بصفة دائمة وعلى أُهبَة الاستعداد في أية لحظة.

من هذه القلعة انطلق ليسياس الأمير مع الذين تحت إمرته من الضباط والجنود المدرَّعين، وفي لحظات كان في موقع التجمهر. وبكل الجهد أنقذوا بولس وحموه بدروعهم وحملوه على أكتافهم. وإذ كان الأمير قد خُدع من قبل، من ذلك المصريِّ الذي قام بثورة سابقاً، ثم فرَّ من بين أيدي جنوده، احترس ليسياس هذه المرة وقيَّد بولس بسلسلتين، كل سلسلة بيده مربوطة بيد جندي. فاقتاده جنديان وهو مربوط من كلتا يديه؛ منظرٌ غير مألوف بالمرة!

«وأمر أن يُقيَّد بسلسلتين، وطفق يستخبر: تُرى مَنْ يكون؟ وماذا فعل؟» (أع٢١: ٣٣)

---

(٤) الحكم بالرجم للقتل إنما يتم داخل الهيكل الخارجي في «صالة الرجم» وهي المعروفة باسم الـGazith، وهي الصالة التي رُجم فيها القديس إستفانوس. وكان بولس واقفاً حارساً ثياب الذين قتلوه.

تأثير بولس الرسول العجيب بشخصيته وحكمته على ليسياس:

وفي لحظات بدأ بولس الرسول يتحدث مع ليسياس بلغته التي كان يعتزُّ بها كمواطن روماني اشترى المواطَنَة بثمن كثير، فلما عرَّفه بولس بنفسه أنه أيضاً مواطن روماني وُلِدَ في المواطنة ولم يشْتَرِها، وأنه ليس هذا المصري الثائر المحتال الذي كان يظنه، بدأت تتكون علائق ودٍّ واحترام بين الضابط الكبير وبين بولس، كان لها الأثر الأعظم **أولاً** في نجاة بولس من المكيدة التي دبرها اليهود لقتله، **وثانياً** في إعطائه الفرصة لكي يخاطب الشعب من فوق سلم القلعة كأحد العظماء!!

بولس الرسول يحتج فوق أعلى سلم القلعة لدى الشعب المتجمهر خارج القلعة أسفل:

وهذه هي الشهادة الأُولى التي لم يكن يحلم بها بولس الرسول، كيف يخاطب جميع طبقات الأمة اليهودية بكافة علمائها ورؤسائها وأتقيائها. وهنا تظهر شجاعة بولس النادرة ولباقته السياسية الفائقة واستعلاؤه بالحق على كل هذه الأمة بلا منازع:

«وقف بولس على الدَرَج (السلم) وأشار بيده إلى الشعب فصار سكوت عظيم!!» (أع ٢١: ٤٠)

يا هيبتك يا بولس! حتى وأنت مربوط بسلسلتين، ويا لشموخ روحك وأنت ترفع يديك للشعب الذي أتْعَبَ الله قبل أن يُتعِبَك، والذي لم يسمع ولم يُصْغِ لنداء الله قط، فكيف أصغى إليك؟ «بسطتُ يديَّ طول النهار إلى شعبٍ متمرد» (إش ٦٥: ٢)، «قد حوَّلوا لي القفا لا الوجه!!» (إر ٣٢: ٣٣)

«فنادى (بولس) باللغة العبرانية قائلاً...» (أع ٢١: ٤٠)

ولينتبه القارىء أن لغة عامة الشعب هي الأَرامية، أما اللغة العبرانية فلا يتقنها إلاَّ علماء اليهود والكهنة، فهي لغة العبادة والطقس فقط، وإن كان الشعب يفهمها تماماً ولكنها ذات مستوى أرفع من المستوى اليهودي الأُمِّي!!

«فلما سمعوا أنه ينادي لهم باللغة العبرانية (لغة اليهود الأصلية، لغة التوراة والعظماء منهم) أعطوا سكوتاً أحرى!!» (أع ٢٢: ٢)

«أنا يسوع الناصري الذي أنت تضطهده ... لماذا تضطهدني»!!

أدلى بولس الرسول بشهادتين:

الأُولى: عن ظهور الرب له من السماء مُحاطاً بنور عظيم يفوق نور الشمس، وإحساسه الشديد بهيبة يسوع المسيح: «فسقطتُ على الأرض»، «والذين كانوا معي نظروا النور وارتعبوا»!!

وكأن بولس يخاطب الشعب بصوت المسيح ويقول للشعب اليهودي المتجمهر: «أنا يسوع الناصري الذي أنت تضطهده، لماذا تضطهدني» !!

الثانية: ويضعها على لسان يهوديٍّ يعرفونه جيداً: «حنانيا»، رجل تقي حسب الناموس، مشهودٌ له من جميع اليهود السكان (أي سكان أورشليم) فمَنْ مِنَ الواقفين لا يعرفه؟: «أتى إليَّ ووقف وقال لي: أيها الأخ شاول أبْصِرْ. ففي تلك الساعة نظرت إليه، فقال: **إله آبائنا** انتخبك لتعلم مشيئته وتُبْصِرَ البارَّ (مسيَّا المسيح) وتسمع صوتاً من فمه، لأنك ستكون له شاهداً لجميع الناس (بما فيهم اليهود) بما رأيتَ وسمعتَ، والآن لماذا تتوانى؟ قُمْ، واعتمد، واغسل خطاياك داعياً باسم الرب» (أع٢٢: ١٣-١٦). وكأن بولس يتكلم بفم المسيح أيضاً للشعب المتجمهر كله: لماذا تتوانى؟ قُمْ أيها الشعب، واعتمد، واغسل خطاياك داعياً باسم الرب!!

شيء لم يحلم به بولس الرسول، أن يشهد للمسيح هكذا جهاراً وبكل يقين الرؤيا والسمع، ويوثِّق شهادته بشهادة حنانيا المعروف بتقواه بينهم!!

ولقد سُرَّ الرب بشهادة بولس هذه أيَّما مسرَّة. اسمع ما قاله الرب لبولس:

«وفي الليلة التالية وقف به الرب، وقال: ثِقْ يا بولس، لأنك كما شهدتَ بما لي في أورشليم، هكذا ينبغي أن تشهد في رومية أيضاً.» (أع٢٣:١١)

ليس أمام ضابط ويهود بل أمام قيصر روما والعالم وكل عظماء وأشراف الرومان.

«خُذ مثل هذا من الأرض، لأنه كان لا يجوز أن يعيش» (أع٢٢:٢٢):

تماماً تماماً، عزيزي القارىء، كما قالوها هي هي: «خُذْهُ خُذْهُ اصلبْه» (يو١٩: ١٥)، هكذا أيضاً قالوها للأمير وبنفس الحقد والتشفِّي وبنفس الجهالة العمياء: «خذ مثل هذا من الأرض لأنه كان لا يجوز أن يعيش». يا لحزنهم! كيف فلت من أيديهم ولم يمزِّقوه إرْباً إرْباً ليُشْفوا غليلهم. قالوا هذا لما ابتدأ يتكلم عن كيف أرسله الرب للأمم: «فقال لي: اذهب فإني سأُرسلك إلى الأمم بعيداً.» (أع٢٢: ٢١)

عجيب حقاً هذا الشعب، لقد أصغوا إليه بانتباه وقبول حينما شهد للمسيح الذي ظهر له بنور عظيم في السماء، وأصغوا برضى وقبول حينما سمعوا كيف انتخبه الله ليعلم مشيئته ويُبْصر البار - أي المسيَّا - ويسمع كلمة من فمه ... ولكن أن يذهب إلى الأمم، فإلى هنا لا يجوز أن يعيش!! مع أنه لم يتنبأ نبيٌّ إلاَّ وذَكَرَ الأمم وعودتهم إلى الله!!!

ولكن كبرياء الأمة اليهودية لا يحتمل أن يقف حتى من ورائها أمة على الأرض، فإما تخضع الأمم تحت أقدامها وإلاَّ فإلى الجحيم يا كل الأمم!! ودون أسف! «**لا يجوز أن يعيش**»!!! إن هؤلاء الأمم الغُلْف هم جميعاً كلاب ولا يُحْسَبون بين البشر!! والذي يُسلِّم عليهم يبقى نجساً إلى المساء!! ثم عليه أن يتطهَّر.

«**وإذ كانوا يصيحون ويطرحون** (الترجمة الصحيحة «يمزِّقون»)
ثيابهم و يرمون غباراً إلى الجو...» (أع٢٢: ٢٣):

عادة تمزيق الثياب كانت تسري على رؤساء الكهنة فقط وذلك حينما يسمعون تجديفاً على الله، ليكون في ذلك تبرُّؤاً من دم المجدِّف: «فمزق رئيس الكهنة حينئذ ثيابه قائلاً قد جدَّف. ما حاجتنا بعد إلى شهود، ها قد سمعتم تجديفه ماذا ترون؟ فأجابوا وقالوا إنه مستوجب الموت.» (مت٢٦: ٦٥و٦٦)

أما إلقاء التراب في الهواء فوق رؤوسهم فهذا تعبير عن ظلم أصابهم وهم يستغيثون بالأرض والسماء والحكام، الأمر الذي أخَالَ على الأمير، حتى إنه أمر أن يُفحص داخل القلعة بضربات ليعلم ما الذي كان يقوله لهم. ولما مدُّوه ليُضرب بالسياط راجعهم أن في هذا مخالفة شديدة للقانون الروماني أن: «تجلدوا إنساناً **رومانياً** غير مَقْضيٍّ عليه» (أع٢٢: ٢٥)، دون أي أمر فحص ونطق قضاة؟ «واختشى الأمير لما علم أنه روماني ولأنه قد قيَّده» (أع٢٢: ٢٩). وعجباً على هذا القانون الروماني الذي يُرْعب هكذا أعتى القواد والولاة والملوك!!

وهكذا، وإن كان الرب قد سمح أن يسلِّمه لأيدي الأمم إلاَّ أنه سبق وأن سلَّحه بامتيازات أعظم الأمم!! وإن كان قد سلَّمه لليهود فقد نجَّاه من أيديهم بواسطة الرومان وبذات القيود!!

ولكن كانت خطة الله أنه بهذا التسليم لهؤلاء ولهؤلاء أُعطي له الفرصة ليشهد للجميع تحت هذه القيود. فأصبحت القيود له حمايةً وفرصة للشهادة الحرة بلا قيود!! «ما أعظم أعمالك يا رب، كلُّها بحكمة صَنَعْت.» (مز١٠٤: ٢٤)

والآن يمكنك أيها القارىء العزيز ــ وبلا أي حرج ــ أن تمسك القلم **وتُضيف** على الرسالة الثانية لأهل كورنثوس وفي هامش أصحاحها الحادي عشر، تضيف على مسلسل الآلام والأتعاب والضربات والجلدات والميتات الكثيرة، ما أصاب هذا الرسول الأوفر في الضربات والسجون، ما حدث له الآن أمام عينيك من اليهود، لأن بولس الرسول كتب رسالته إلى كورنثوس قبل أن يجيء إلى أورشليم هكذا ويحدث له ما حدث!!

بولس الرسول في غرفة المحاكمات بالهيكل (الجازيت)
للاستجواب أمام المدَّعين عليه: ٣١ مايو سنة ٥٧م(٥)

لكي يستكمل ليسياس الأمير عمله كمحقِّق، وليرفع أمر بولس إلى القضاء، رأى أن يفحص بولس الرسول أمام المدَّعين عليه من اليهود رسمياً. و بولس الرسول نفسه هو الذي لفت نظره إلى مخالفة توقيع عقوبة عليه أو حتى القيود إلاَّ بعد الفحص والمحاكمة ونُطْق القاضي (الذي يمكن أن يكون هو ليسياس نفسه):

«وفي الغد إذ كان يريد أن يعلم اليقين لماذا يشتكي اليهود عليه، حلَّه من الرباط، وأمر أن يحضر رؤساء الكهنة وكل مجمعهم. فأحْدَر بولس وأقامه لديهم.» (أع٢٢: ٣٠)

وهكذا وفَّر الله لبولس فرصةً هادئةً ليشهد أكثر للمسيح، ويشهد في الهيكل، ويشهد لدى رؤساء الكهنة أنفسهم الذين قتلوا المسيح، ويشهد له بالقيامة من الأموات!!!

طبعاً، احتاط الأمير وعضَّد بولس بالحماية الكافية سواء بالضباط رؤساء المئات أو بالجنود المدرَّعين خارج القاعة. ولكن كان لا بد من خدام رئيس الكهنة أن يكونوا أيضاً واقفين بجوار بولس الرسول. ولما أُعطيت الكلمة لبولس، طفق في البداية يتفرَّس في الحاضرين ليتعرف على شخصياتهم لأن معظمهم زملاء، وحتى رؤساء الكهنة، فمن يد هؤلاء أخذ خطابات التوصية سابقاً لمطاردة المسيحيين.

ولما ابتدأ بولس الرسول يزكِّي حياته السابقة التي عاشها تحت الناموس بكل تدقيق و بحسب الناموس والضمير: «... إني بكل ضمير صالح قد عشتُ لله إلى هذا اليوم. فأمر حنانيا رئيس الكهنة الواقفين عنده أن يضربوه على فمه. حينئذ قال له بولس: سيضربك الله أيها الحائط المبيَّض. أفأنت جالس تحكم عليَّ حسب الناموس وأنت تأمر بضربي مخالفاً للناموس.» (أع٢٣: ١ـ٣)

فارق كبير بين بولس والمسيح؛ فأمام نفس رئيس الكهنة وربما نفس خادم رئيس الكهنة ضُرب الرب على وجهه نفس الضربة، وكانت العلَّة هناك هي نفس العلَّة التي تعلَّل بها هنا وهي عدم لياقة الكلام بصاحب العظمة والقداسة رئيس الكهنة! أما هناك وبنية صَلْب المسيح فكانت: «أهكذا تجاوب رئيس الكهنة؟» (يو١٨: ٢٢)، مع أن المسيح لم يتكلم إلاَّ بالصدق ومن واقع ما حدث، ولكن الصدق لا بد أن يلبس ثوب التزييف والتملُّق ليليق بمسامع رئيس الكهنة. أما هنا

5. David Smith, *op. cit.*, p. 657.

وبنية قتل بولس، فما كان ينبغي أن يمتدح سيرته كفريسي بحسب الناموس أمام رئيس الكهنة إذ لا ينبغي أن يُمتدح أحدٌ في محضر رئيس الكهنة إلاّ رئيس الكهنة!!

ولما اطمأن بولس الرسول أن الجانب الفرّيسي يفوق الجانب الصَّدُّوقي عدداً، ألقى في وسطهم بما يمكن أن يجعلهم ينقسمون بعضهم على بعض، ويضمن لنفسه الجانب الأكبر نصيراً. فمعروف أن الفريسيين يؤمنون بالقيامة من الأموات، أما الصدوقيون فلا يؤمنون، لذلك بدأ بولس الحديث هكذا:

«ولما علم بولس أن قسماً منهم صَدُّوقيون والآخر فريسيون، صرخ في المجمع: أيها الرجال الإخوة أنا فرّيسيٌّ ابن فريسيٍّ. على رجاء قيامة الأموات أنا أُحاكَمُ. ولما قال هذا، حدثت منازعة بين الفريسيين والصدوقيين وانشقت الجماعة. لأن الصدوقيين يقولون إنه ليس قيامة ولا ملاك ولا روح. وأما الفريسيون فيقرُّون بكل ذلك. فحدث صياح عظيم ونهض كتبة قسم الفريسيين وطفقوا يخاصمون قائلين لسنا نجد شيئاً ردياً في هذا الإنسان، وإن كان روح أو ملاك قد كلّمه فلا نحاربنَّ الله.» (أع٢٣: ٦—٩)

وللعلم، عزيزي القارىء، فإن الفريسيين يبغضون الصدوقيين بغضة شديدة، وبحسب الأبحاث والآراء الكثيرة للعلماء فإن بغضة الفريسيين للصدوقيين أشدُّ تأصُّلاً في نفوسهم من مقاومتهم للمسيحيين، وأنت تعلم ما قاله غمالائيل، وهو أب الفرّيسية وربُّونيها الأعظم، في شأن الدفاع عن المسيحيين الأوائل آبائنا الرسل الأماجد، وإليك نبذة مختصرة توضح سلوكه من نفس الموضوع:

«فقام **رئيس الكهنة** وجميع الذين معه الذين هم **شيعة الصدوقيين** وامتلأوا غيرة فألقوا أيديهم على الرسل ووضعوهم في حبس العامة، ولكن ملاك الرب في الليل فتح أبواب السجن وأخرجهم وقال: اذهبوا قفوا وكلّموا الشعب في الهيكل بجميع كلام هذه الحياة ...، فلما سمعوا حنقوا وجعلوا يتشاورون أن يقتلوهم. فقام في المجمع رجل فريسي اسمه غمالائيل معلّم للناموس مُكرَّم عند جميع الشعب وأمر أن يُخرج الرسُل قليلاً. ثم قال لهم: ... والآن أقول لكم تنحَّوا عن هؤلاء الناس واتركوهم، لأنه إن كان هذا الرأي أو هذا العمل من الناس فسوف يَنتَقِضُ، وإن كان من الله فلا تقدرون أن تنقضوه لئلا تُوجَدوا محاربين لله أيضاً. فانقادوا إليه، ودعوا الرسل وجلدوهم وأوصوهم أن لا يتكلموا باسم يسوع ثم أطلقوهم.» (أع٥: ١٧—٤٠)

وهكذا يتبيَّن الفارق الكبير بين هاتين الشيعتين، ومدى الجدّية والتعاطف بين الفريسيين والمسيحيين عندما يقعون في أيدي الصَّدُّوقيين.

ولما رأى ليسياس الأمير أن قاعة محكمة اليهود صارت منقسمة على بعضها وتحوّلت إلى صراع داخلي بين اليهود بعضهم ضد بعض، أنهى الموقف بسرعة خاطفة: «ولما حدثت منازعة كثيرة، **خشي** الأمير أن يفسخوا بولس، فأمر العسكر أن ينزلوا ويختطفوه من وسطهم ويأتوا به إلى المعسكر!!» (أع٢٣: ١٠)

«ينبغي أن تشهد في روما»:

أُدْخِلَ بولس الرسول إلى قلعة أنطونيا، وجلس وحيداً فريداً وليس من رفيق سفر ولا زميل عمل، ولا خطة ولا رحلات، وكأن المستقبل انطفأ مصباحه وتخلله الظلام. ولكن الذي كلَّمه في بيت أكيلا وبريسكِلا في كورنثوس بعد نهار عصيب من المقاومة في المجمع: «فقال الرب لبولس برؤيا في الليل: لا تخف بل تكلَّم ولا تسكت لأني أنا معك ...» (أع١٨: ٩و١٠)، هو نفسه وقف به في مساء ذلك اليوم عينه: «وفي الليلة التالية وقف به الرب وقال ثِقْ يا بولس، لأنك كما شهدتَ بما لي في أورشليم، هكذا ينبغي أن تشهد في رومية أيضاً.» (أع٢٣: ١١)

المسيح لم يَعِدْ بولس بسقوط السلسلة من يديه، لأن القيود لم تكن تضايقه ولا قيَّدت الكلمة في فمه، ولكنه وعده بأنه سيشهد له في روما من تحت هذه القيود وهذا كان غاية أمله!

لم يكن بولس يخاف الموت بالسيف ولا بغيره، ولكنه كان يخاف أن يموت قبل أن يبشِّر قيصر في قلب روما، لأنه حينذاك سيكون قد بشَّر روح الإمبراطورية وفتح قلبها للمسيح. لذلك لما هاج البحر عليه وهو في طريقه إلى روما وانقطع كل الرجاء في النجاة، وقف به الرب قائلاً: «**لا تخف** يا بولس، ينبغي لك أن **تقف أمام قيصر!** ...» (أع٢٧: ٢٤)

مؤامرة جديدة لاغتيال بولس الرسول:

بينما كان بولس الرسول ينام مِلْءَ جفنيه بعد أن طمأنه الله، كانت جماعة من اليهود قد قدست صوماً بعهد وقَسَمٍ، وكأنهم أشركوا يهوه فيه كشاهدٍ، أن لا يذوقوا طعاماً أو شراباً حتى يقتلوا بولس، وبذلك يكون قتله ذبيحة لله. وتم قول المسيح: «قد كلمتُكم بهذا لكي لا تعثروا. سيُخْرِجُونكم من المجامع، بل تأتي ساعة فيها يظنُّ كل من يقتلكم أنه **يقدم خدمة لله**» (يو١٦: ١و٢)؛ حيث «**يقدم خدمة**» جاءت بصيغة «يرفع ليتورجيا» أي إصعاد ذبيحة!!:

«ولما صار النهار صنع بعض اليهود اتفاقاً وحَرَموا أنفسهم (طقسياً) قائلين إنهم لا يأكلون ولا يشربون حتى يقتلوا بولس. وكان الذين صنعوا هذا التحالف أكثر من أربعين.» (أع٢٣: ١٢و١٣)

ولكن الخطر والخطير في الموضوع أن رؤساء الكهنة والشيوخ اشتركوا في هذا المخطط الدموي اللاأخلاقي كمنفِّذين:

«فتقدموا إلى رؤساء الكهنة والشيوخ وقالوا قد حَرَمنا أنفسنا حرْماً أن لا نذوق شيئاً حتى نقتل بولس. والآن أعلِمُوا الأمير أنتم مع المجمع، لكي يُنْزِله إليكم غداً، كأنكم مزمعون أن تفحصوا بأكثر تدقيق عما له. ونحن قبل أن يقترب مستعدُّون لقتله.» (أع٢٣: ١٤و١٥)

مغامرة ابن أخت بولس الصبي الشجاع النبيل:

هذا عرف بالمكيدة فذهب في الحال سرًّا إلى بولس في الحبس، وكان لبولس تصريح لمقابلة كل من يريد مقابلته. فدخل الشاب وحدَّث خاله بما علمه، فأرسله بولس الرسول مع أحد القواد إلى الأمير، وكان الأمير أكثر نُبْلاً وعطفاً على القضية من جهة العدالة والمسئولية. فصرف الشاب بتوصية أن لا يخبر أحداً بالموضوع. وفي الحال أعدَّ ثُلَّة من أمهر مَنْ عنده من الخيَّالة، سبعين فارساً بأسلحتهم ودروعهم مع مائتي رامح ــ أي عسكري بالرمح ــ بقيادة قائدَيْن من قواد المئات، وبولس الرسول كان معهم راكباً. انطلقوا في الساعة الثالثة من الليل، والأمر كان بأن يوصِّلا بولس سالماً إلى فيلِكْس الوالي في قيصرية ومعهم رسالة توضِّح كل ما جرى بخصوص بولس الرسول. ووصل بولس إلى قيصرية في ٢ يونية سنة ٥٧م(٦).

وصل العسكر إلى أنتيباتريس. وفي الغد تركوا الفرسان يذهبون معه، ورجعوا هم إلى المعسكر (أع٢٣: ٢٣ــ٣٥).

وقد حاول اليهود بذهابهم إلى قيصرية أن يؤثِّروا على فيلكس ــ الذي كان يعيش مع امرأة يهودية ــ ولكنه كان رجلاً جباناً مُخادِعاً.

بولس الرسول يعظ فيلكس الوالي، وامرأته اليهودية الفاجرة: ٧ يونية سنة ٥٧م(٧)

كان فيلكس هو الوالي على اليهودية، ومقرّه قيصرية، وكان يعيش في الحرام مع امرأة يهودية كزوجة:

«ثم بعد أيام جاء فيلكس مع دُرُسِلاَ امرأته، وهي يهودية، فاستحضر بولس وسمع منه عن الإيمان بالمسيح. وبينما كان يتكلم عن البرِّ والتعفُّف والدينونة العتيدة أن تكون، ارتعب فيلِكْس وأجاب: أما الآن فاذهب، ومتى حَصَلْتُ على وقتٍ أستدعيك. وكان أيضاً يرجو أن يعطيه بولس

---

6. Ibid.
7. Ibid.

دراهمَ ليطلقه، ولذلك كان يستحضره مراراً أكثر ويتكلم معه. ولكن لما كملَتْ سنتان، قَبِل فيلكس بوركيوس فَسْتُوس خليفة له. وإذ كان فيلِكْس يريد أن يودِعَ اليهود مِنَّة، ترك بولس مقيَّداً.» (أع ٢٤: ٢٤-٢٧)

أليس ذلك لأن اليهود هم الذين أعطوه الدراهم؟ ومتى يمكن أن يكون الزاني متعففاً أو ملتزماً بالحق أو بالواجب أو حتى بالإنسانية؟ ولكن كان باقياً على بولس أن يشهد أمام الوالي الجديد أيضاً.

سنتان في سجن قيصرية:

لم تذهبا سدىً من حساب المسيح وخدمة الإنجيل والكرازة الأبدية والرسائل. ففيها يُظن أن بولس كتب رسائله إلى أفسس وكولوسي وفليمون بحسب تقدير كثير من العلماء(٨)، كما كتب لوقا إنجيله تحت سمع وبصر وفكر بولس، وكان إنجيل الأمم حاملاً روح رسول الأمم. هذا عدا المقابلات اليومية مع كل وجهاء الشعب وكل طبقاته والآتين من على بُعد. ولا يمكن للذي قال: «ما عدا الاهتمام بجميع الكنائس» (٢ كو١١: ٢٨)، أن يكون قد توقَّف اهتمامه، سواء بإرسال رسائل أخرى لا نعرفها أو رسلاً يفتقدون ويأتون بالأخبار والرسائل. لأن بولس الرسول كان موضوعاً في الحبس بصفة ممتازة لأنه كان غيرَ مَقْضِيٍّ عليه في شيء. فكان حُرًّا، وكان يستقبل ويتكلم مع من يشاء.

فَسْتُوس الوالي الجديد على اليهودية يتسلم من فيلكس:

كان ذلك في صيف سنة ٦٠م حسب تحقيقات العلماء(٩). وما أن وصل أورشليم في مروره، باعتباره الوالي الجديد، ليتعرَّف على البلاد والشعب الذي يحكمه، حتى بادره اليهود بإلحاح لاستعادة بولس إلى أورشليم للمحاكمة أمامه. ولكن فَسْتُوس كان أبعد نظراً وأكثر حيطةً، وكان ردُّه أنه عليهم بالحري هم أن يذهبوا إلى قيصرية ليسمع منهم شكواهم. فلا بد أنه قد اطَّلع على ملف بولس الرسول وعلم بالمكيدة ومراوغة اليهود وعدم صدقهم. كما أنه بحسب القانون الروماني، لا يُسلِّم مَنْ كان تحت الحبس للمشتكين عليه، فلا بد من المواجهة، ولا بد من الدفاع، ثم النطق بالحكم.

---

(٨) ويرى البعض الآخر من العلماء وهم الأكثرية وقد أخذنا برأيهم (أنظر ص٧١٧ وما يليها) أن هذه الرسائل كتبت من سجن روما.

9. Conybeare, *op. cit.*, pp. 835-838.

ولكن بحسب تحقيقات العالم الكاهن دافيد سميث كان ذلك في يولية سنة ٥٩م.

بعد حوالي عشرة أيام غادر فَسْتُوس أورشليم متجهاً نحو قيصرية، وكان أن ذهب رئيس الكهنة ومجمعه وكلُّ الشاكين خلف فَسْتُوس، وفي نفس اليوم.

ولما أقاموا شكواهم على بولس فنَّدها بولس. ووقف فَسْتُوس محتاراً بين الاثنين، وعرض على بولس أن يُعَادَ فحص القضية أمامه في أورشليم استرضاءً لليهود الذين جاءوا إلى قيصرية. فأدرك بولس الرسول أن الحق قد فلت من يد فَسْتُوس ولم يعد جديراً بأن يكون قاضيَه بعْدُ. فرفع بولس صوته ليرد للوالي صوابه كمحقِّق يقضي بمقتضى القانون الروماني وتحت هيبة قيصر:

«أنا واقف لدى كرسي ولاية قيصر، حيث ينبغي أن أُحاكم.
أنا لم أظلم اليهود بشيء كما تعلم أنت أيضاً جيداً. لأني إن كنتُ آثماً أو صنعتُ شيئاً يستحقُّ الموت فلست أستعفي من الموت،
ولكن إن لم يكن شيء مما يشتكي عليَّ به هؤلاء، فليس أحدٌ يستطيع أن يسلِّمني لهم،
إلى قيصرَ أنا رافعٌ دَعْوَايَ!» (أع٢٥: ١٠و١١)

لقد أُسقط الوالي في يدي نفسه، وضاعت هيبته أمام اليهود وأمام المحكمة، واضطر أن يلجأ إلى مستشاريه القانونيين ليستفسر منهم عن كيفية التصرف إزاء هذا الوضع القانوني الحرج:

«حينئذ تكلم فَسْتُوس مع أرباب المشورة، فأجاب: إلى قيصر رَفَعْتَ دعواك، إلى قيصر تذهب!» (أع٢٥: ١٢)

وعلى القارىء أن يلاحظ أن قول بولس: «إلى قيصر أنا رافعٌ دعوايَ» تأتي باليونانية: Καίσαρα ἐπικαλοῦμαι، وهو اصطلاح قضائي روماني يفيد وقف الاستمرار في القضية في الحال وطلب رفعها لقيصر نفسه. فبهذا أُوقف الوالي بكل صلاحياته أن يتخذ أي قرار بخصوصه سوى رفع القضية لقيصر، أو ما يساوي عندنا القضاء العالي Supreme Court. وهذا الحق كان ممنوحاً فقط للمواطنين الرومانيين لكي يتحاشوا ظلم الولاة غير الرومانيين!

بولس الرسول يشهد للمسيح أمام أغريباس الملك وبرنيكي أخته وعظماء المدينة:

كان فستوس الوالي في حيرة حقيقية بعد أن رفع بولس دعواه إلى قيصر، لأن فستوس ليست أمامه القضية جاهزة، فلا اليهود استطاعوا أن يقيموا عليه دليلاً واحداً باتهام يجيز مجرد عقوبته بأية عقوبة، وفي نفس الوقت هم عازمون على قتله، فإذا تركه لهم قتلوه وهو مواطن روماني، يُعتَبر الوالي

الروماني نفسه مسئولاً عنه كل المسئولية أمام القانون. وفي نفس الوقت فإن بولس يرفض أن يُحاكَم في محاكم اليهود الذين يتحرَّقون شوقاً أن يحتملوا هم مسئولية قتله. لذلك، فبحضور الملك هيرودس أغريباس الثاني(١٠)، وجد فستوس في أغريباس المُعِينَ الذي يمكن أن يستعين به في تقفيل محضر تحقيقات قضية بولس، بصفته خبيراً في شئون اليهود والمسيحيين. وقد قصَّ بالاختصار كل ما عرفه وما عمله في قضية بولس، فرحَّب الملك أغريباس بسماع بولس:

«ففي الغد لما جاء أغريباس وبرنيكي في احتفال عظيم ودخلا إلى دار الاستماع مع الأمراء ورجال المدينة المُقدَّمين، أمر فستوس فأُتي ببولس. فقال فستوس: أيها الملك أغريباس والرجال الحاضرون معنا أجمعون، أنتم تنظرون هذا الذي توسَّل إليَّ من جهته كلُّ جمهور اليهود في أورشليم وهنا صارخين أنه لا ينبغي أن يعيش بعد. وأما أنا فلما وجدتُ أنه لم يفعل شيئاً يستحق الموت وهو قد رفع دعواه إلى أوغسطس، عزمتُ أن أُرسله. وليس لي شيء يقين من جهته لأكتب إلى السيِّد. لذلك أتيتُ به لديكم، ولا سيما لديك أيها الملك أغريباس، حتى إذا صار الفحصُ يكون لي شيء لأكتب. لأني أرى حماقة أن أرسل أسيراً ولا أُشير إلى الدعاوي التي عليه.» (أع٢٥: ٢٣—٢٧)

شهادة بولس الرسول للمسيح أمام أكبر حشد يجمع ملكاً وواليأ وأمراءَ وأميراتٍ وضباطاً عظاماً ورجال الدولة وكل عظماء وأعيان مدينة قيصرية عاصمة البلاد السياسية:

كانت فرصة بولس الرسول العظمى والأخيرة على أرض وطنه وبلاده. لقد استجمع كل مَلَكَاتِ الروح الذي فيه وانطلق يشهد للمسيح مبتدئاً: «بالوعد الذي صار من الله لآبائنا»، وبالرجاء الذي كان يعيش عليه أسباط إسرائيل الاثني عشر عابدين بالجهد ليلاً ونهاراً، وما هذا الرجاء إلاَّ يسوع المسيح الذي جاء وتَبَرْهَنَ أنه المسيَّا بالقيامة من الأموات!

لقد شهد للوجه المنير بلمعان الشمس الذي ظهر له في السماء وناداه ودعاه لتبشير الأمم بالخبر

(١٠) وهو ملك مقاطعة خالكيس Chalcis، وقد تعين هناك سنة ٤٨م. وقد عاش إلى سن السبعين ومات سنة ٩٩م. وكان صديقاً للمؤرخ اليهودي المشهور يوسيفوس، وكان آخر أمير في عائلة هيرودس، وله أختان برنيكي ودروسلا Berenice, Drucilla وقد عاصر أغريباس الثاني خراب أورشليم وعاش معاصراً للقديس يوحنا حتى نهاية القرن الأول. وللعلم فإن برنيكي عاشت في الحرام مع تيطس الذي حارب أورشليم وتخرَّبت على يديه، وقد تحشم أن يتزوجها بسبب شرفه الروماني لأنها كانت امرأة خليعة، بحسب رواية يوسيفوس (Ant. xx.7.3). أما دروسلا أختها فسارت سيرتها وعاشت مع فيلكس الوالي الذي خلعوه بسبب فضائح ورشاوي.

المفرح بالقيامة من الأموات، ولردّ الأُمم من الظلمات إلى النور، ومن سلطان الشيطان إلى الله، حتى ينالوا بالإيمان به غفران الخطايا ونصيباً مع المقدسين.

وانطلق بولس الرسول يكرز أمام المحكمة لكل السامعين بالتوبة والرجوع إلى الله عاملين أعمالاً تليق بالتوبة.

كان بولس يتكلَّم والسلاسل في يديه كأنها قِلَادةٌ من نور، وكأنه ملكٌ والسامعون أمامه كموعَوظين يعدُّهم للمعمودية. وحينما راجعه الوالي، ليُخفي خِزْيَ ضميره، وكأن بولس يَهْذي، راجعه بولس أشد مراجعة منبِّهاً ضميره أنه يتكلم إليه كلام الصَّحْو، لو صحَّ ضميره! وحينما أراد الملك أن يتملَّص منه كذلك بلباقة العظماء مُسْتَعفياً من السهم الذي صوَّبه إلى قلبه، ردَّه إليه بولس بشجاعة الأنبياء مشفوعاً بدُعاءٍ أن يقبله الله لِيُصيِّره مسيحيًّا على أن يعفيه من هذه القيود التي هي ضريبة ومجد الكارزين فقط!!

وحكَمَ الجميع ببراءة بولس، ولكن كانت العين منهم بصيرة، واليد فيهم قصيرة!

الفصل الخامس

السفر إلى روما

بولس الرسول في البحر من قيصرية إلى روما: أغسطس سنة ٥٩م

أدوات الرحلة ومدى صلاحيتها(١):

يؤسف القارىء أن يعلم، بتحقيق كبير عن كبار أدميرالات البحار وعلمائها، أن بحَّارة القرن الأول المسيحي كانوا يجهلون استخدام البوصلة!! فكانوا يتغاضون عنها بالإلتجاء إلى السير بحذاء الشواطىء من مدينة إلى مدينة. وكانوا يرتعبون من الخوض في أعماق البحار المكشوفة إزاء الأنواء الهوجاء، ويتحاشون المسير في الليل ما أمكن. أما مِزْوَلَة قياس رُبْع الزاوية (الكوادرانت) فكانت بدائية، وأول من استخدمها هم الإسكندرانيون، وهي غير دقيقة ولا تعطي نتائج صحيحة، خاصة في البحر. ولم تكن مِزْولة السكستانت (أي سدس الزاوية) قد اختُرِعَتْ، وهي الآلة المضبوطة لقياس موقع السفينة من خطوط الطول والعرض. هذا وكانت آلة قياس الزمن (الساعة الرملية وغيرها) عديمة الكفاءة.

أما خرائط البحار فلم تظهر في الوجود إلاَّ بعد سنة ١٥٠م، وأول من استخدمها كانوا هم بحَّارة مدينة صور، فهم أول مَنْ استخدم الهندسة البحرية. لذلك عندما كانت تختفي الشمس بالنهار والنجوم بالليل كان البحَّارة لا يجرأون على السير في البحر: «وإذ لم تكن الشمس ولا النجوم تظهر أياماً كثيرة واشتد علينا نَوْءٌ ليس بقليل، انتُزِع أخيراً كل رجاء في نجاتنا» (أع٢٧: ٢٠). لذلك كان البحارة ذوي ذكاء وقدرة مدهشة على معرفة مواقع المواني واتجاهاتها

---

1. Conybeare, *op. cit.*, pp. 623-627.

اشترك في تقديم هذه المعلومات كلٌّ من الأدميرال سير تشارلس بنروز Charles Penrose في المؤلَّف الذي يعرض حياته Murry 1851، والأدميرال مورسوم. ومن كتاب المؤرخ سميث:

J. Smith, "Voyage and Shipwreck of St. Paul", pp. 140-202.

وانتخاب مواعيد الإقلاع وأزمنة الرياح والأنواء. وكانوا مهرة في قيادة سُفُنهم الشراعية في المواقف العصيبة.

علماً بأن فن بناء المراكب كان غير دقيق، سواء في نظم الأشرعة أو الدقة. وهذا لا يعطي السفينة القدرة المثالية للاندفاع إلى الأمام في خط مستقيم. كذلك غياب الآلات الميكانيكية اليدوية لتحريك الشراع بسرعة وانضباطٍ أضْعَفَ كثيراً من قدراتهم.

وللملاحظة، كانت السفن الرومانية واليونانية تستخدم أكثر من هِلْب ــ أي مرسى ــ واحد، إذ كان لكل سفينة اثنان من المراسي في كل جانب من مؤخرة السفينة. لذلك نسمع القديس لوقا يصفها بالجمع: «فلما نزعوا المراسي تاركين إياها في البحر...» (أع٢٧: ٤٠)

أما عن حمولة المراكب الإسكندرانية كالتي ركبها بولس الرسول، فهي تتراوح ما بين ٥٠٠ وألف طن. لهذا نسمع من القديس لوقا أن المركب كانت محمَّلة بالقمح ومعها بالإضافة إلى ذلك ٢٤٦ نفساً.

رفيقا بولس في سفر البحر إلى روما:

كانا لوقا الإنجيلي، وأرِسْتَرْخُس Aristarchus المكدوني الذي من تسالونيكي، وهو مذكور بصفته أسيراً مُرَحَّلاً مع بولس أيضاً إلى روما: «يسلم عليكم أرِسْتَرْخُس المأسور معي...» (كو٤: ١٠)، وربما لوقا أيضاً: «فلما استقر الرأي أن نسافر في البحر إلى إيطاليا سلَّموا بولس وأسْرَى آخرين إلى قائد مئة من كتيبة أوغسْطُس اسمه يوليوس.» (أع٢٧: ١)

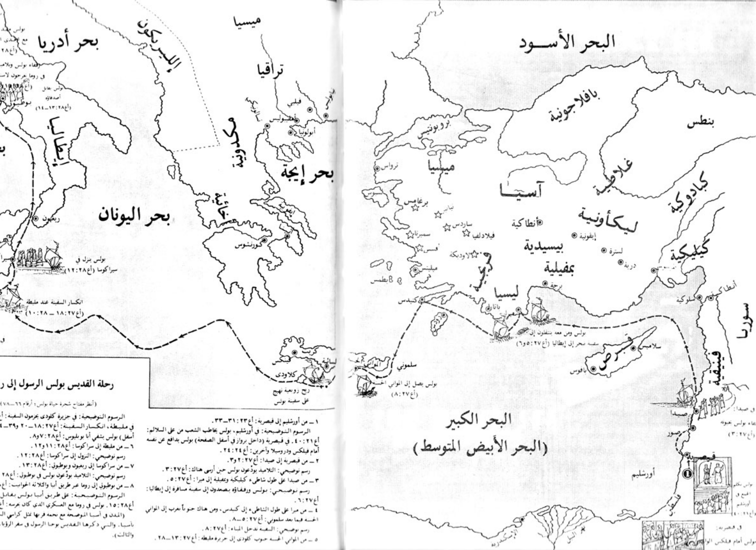
صيدون أولاً:

«فصعدنا في سفينة أدراميتينية وأقلعنا مزمعين أن نسافر، مارِّين بالمواضع التي في آسيا، وكان معنا أرِسْتَرْخُس رجل مكدوني من تسالونيكي. وفي اليوم الآخر أقبلنا إلى صيدا، فعامل يوليوس بولس بالرفق وأذِنَ أن يذهب إلى أصدقائه (مربوطاً بيد حارسه) ليحصل على عناية منهم» (أع٢٧: ١ــ٣). أما السفينة الأدراميتينية فهي من مدينة أدراميتوم Adramyttium، وهي مدينة خاملة الاسم والذكر واقعة في مقاطعة ميسيا Mysia وقد سبق ذكرها. وهي كانت قاعدة لبناء السفن، بحسب تحقيق العالم وستن Weston في المجلة الدورية التي كان يصدرها.

أما المسافة بين قيصرية وصيدا فهي ٦٧ ميلاً يمكن أن تقطعها المركب في أقل من أربع وعشرين ساعة. وطبعاً وهم في طريقهم إلى صيدا، مرَّت السفينة على بُعْدٍ بمدينة عكا (بتولمايس) وصور. أما صيدا فهي آخر ميناء على شاطىء فينيقية بالنسبة لرحلة بولس. وصيدا مدينة مشهورة



«حينئذ اقترب الأمير وأمسكه وأمر أن يقيَّد بسلسلتين.»
(أع ٢١:٣٣)
نحت من القرن الرابع
يصوِّر القبض على القديس بولس
(أنظر صفحة ٦٩٤)



رحلة القديس بولس الرسول إلى ر
(أنظر مفتاح شجرة حياة بولس، أرقام ٦٦—٧٨)
١ — من أورشليم إلى قيصرية: أع٢٣: ٣١—٣٣.
الرسوم التوضيحية: في أورشليم، بولس يخاطب الشعب من على السلالم: أع٢١: ٤٠. في قيصرية (داخل برواز في أسفل الصفحة) بولس يدافع عن نفسه أمام فيلكس ودروسيلا وآخرين: أع٢٤: ٢٤.
٢ — من قيصرية إلى صيدا: أع٢٧: ٢ و٣.
رسم توضيحي: التلاميذ يودّعون بولس حين أرسى هناك: أع٢٧: ٣.
٣ — من صيدا على طول شاطىء كيليكية وبمفيلية إلى ميرا: أع٢٧: ٥.
رسم توضيحي: بولس ورفقاؤه يصعدون إلى سفينة مسافرة إلى إيطاليا: أع٢٧: ٦.
٤ — من ميرا على طول الشاطىء إلى كنيدس، ومن هناك جنوباً نحو إلى الموانى الحسنة فيما بعد سلموني: أع٢٧: ٥—٨.
رسم توضيحي: السفينة تدخل الميناء: أع٢٧: ٨.
٥ — من الموانى الحسنة جنوب كلودى إلى جزيرة مليطة: أع٢٧: ١٣—٢٨.
الرسوم التوضيحية: في جزيرة كلودى يحزمون السفينة: أ
في مليطة، انكسار السفينة: أع٢٧: ١٨—٢٠ و٣٩—٤
أسفل) بولس يشفي أبا بوبليوس: أع٢٨: ٧و٨.
٦ — من مليطة إلى سراكوسا: أع٢٨: ١١و١٢.
رسم توضيحي: النزول إلى سراكوسا: أع٢٨: ١٢.
٧ — من سراكوسا إلى ريغيون وبوطيولي: أع٢٨: ١٣.
رسم توضيحي: التلاميذ يودّعون بولس في بوطيولي: أع٢٨
٨ — من بوطيولي إلى روما عبر طريق أبيا والثلاثة الحوانيت: أع
الرسوم التوضيحية: على طريق أبيا بولس يقابل
أع٢٨: ١٥. بولس في روما مع العسكري الذي كان يحرسه: أ
(المدن في أسيا الموضحة مع نجمة قربها تمثل كراسي ال
بأسيا، والتي ذكرها القديس يوحنا الرسول في سفر الرؤيا
والثالث).
بحر أدريا
إيطاليا
بحر اليونان
ريغيون
بولس ينزل في سراكوسا (أع٢٨: ١٢)
انكسار السفينة عند مليطة (أع٢٧: ١٨ — ٢٨: ١٠)
بولس يقابل أصدقاؤه (أع٢٨: ١٣—١٤)
إلليريكون
ميسيا
تراقيا
مكدونية
بحر إيجة
أخائية
كورنثوس
فيلبي
أمفيبوليس
أبولونيا
كريت
فينكس
كلاودى
ريح زوبعية تهيج على سفينة بولس
البحر الأسود
بافلاجونية
بنطس
غلاطية
كبادوكية
ميسيا
آسيا
ليكأونية
بيسيدية
بمفيلية
كيليكية
ليسيا
ترواس
برغامس
ساردس
سميرنا
فيلادلفيا
أفسس
لاودكية
ميليتس
بطمس
أنطاكية
إيقونية
لسترة
دربة
برجة
كنيدس
سلوكية
أنطاكية
سوريا
فينيقية
قبرص
سلاميس
بافوس
صيدا
صور
قيصرية
أورشليم
سلموني
بولس ومن معه ينتقلون إلى سفينة تبحر إلى إيطاليا (أع٢٧: ٥و٦)
بولس يصل إلى الموانى الحسنة (أع٢٧: ٨)
البحر الكبير
(البحر الأبيض المتوسط)
الإسكندرية
النيل



ميناء قيصرية حيث أقلع القديس بولس في القيود متجهاً نحو روما
(أع ٢٣ : ٣٣ و٢٧ : ١)
(أنظر صفحة ٧٠٣)



«وفي اليوم الآخر أقبلنا إلى صيدا، فعامل يوليوس بولس بالرفق.» (أع ٢٧: ٣)

مدينة صيدا في لبنان

وهي مدينة فينيقية قديمة كان يستخدمها البحارة كمرسى للمراكب.

جاز فيها الآباء الأولون على مدى التاريخ اليهودي، فهي على حدود أرض كنعان، بل ومذكورة منذ أيام الفيضان (تك ١٠: ١٩). كما ذُكِرَتْ في حروب يشوع خادم موسى الأمين لما قسّم الأراضي (يش ١١: ٨)، وهي المدينة الوحيدة التي لم يستطع الإسرائيليون أن يغزوها مدى حياتهم (قض ١: ٣١)، وهي مذكورة في الإلياذة والأُوديسا Iliad and Odyssey، كما ذكرها هيرودوت المؤرخ ذاكراً أن ملاّحيها أمهر ملاحي كل فينيقية، ولقد حطم الفُرْس حصونها ولكن ميناءها بقي بحاله.

ولا يمكن أن ننسى أن أقدام المسيح سارت على ترابها يشفي مرضاها ويعلّم أولادها، وصنع فيها المعجزة للكنعانية وقصتها الحلوة مشهورة والكلام فيها كثير (مت ١٥: ٢١—٢٨).

والآن يهمنا أن بولس الرسول هو الذي أخبر يوليوس قائد المائة أن له أصدقاء في صيدا، فأذن له بزيارتهم، وكان هذا جميلاً ومعروفاً، محسوباً أنه أُعطي لنا بالدرجة الأُولى في شخص بولس الذي أنار عيون قلوبنا.

«تحت قبرس»:

«ثم أقلعنا من هناك وسافرنا في البحر من تحت قبرس، لأن الرياح كانت مضادة.» (أع ٢٧: ٤)

ومعروف أنه في هذا الموسم من السنة تهب على البحر الأبيض، خاصة جزئه الشرقي بما فيه شواطئنا المصرية، رياحٌ غربية شمالية. فبمجرد أن أقلعوا من ميناء صيدا متجهين شمالاً بغرب نحو شواطىء آسيا، قابلتهم الرياح الشديدة، رياح الخريف الشمالية الغربية المضادة، فاضطروا أن ينحرفوا ليكونوا تحت قبرس نوعاً ما، ليتّقوا الرياح العاتية الآتية من الشمال. ثم داروا حول جزيرة قبرس من شرق في قوس كبير مقابل شواطىء كيليكية، ثم بمفيلية، وبمحاذاة الشاطىء ليتّقوا الرياح المضادة، فأصبح اتجاههم غرباً تماماً حيث استخدموا نفس الرياح لتسوق المركب عِوَضَ أن تعوقه.

النزول على أرض ميرا ليكية:

وتدعى باختصار «ميرا».

«وبعد ما عبرنا البحر الذي بجانب كيليكية وبمفيلية، نزلنا إلى ميرا ليكية. فإذ وجد قائد المئة هناك سفينة إسكندرية مسافرة إلى إيطاليا، أدْخَلَنا فيها.» (أع ٢٧: ٥و٦)

لقد رَسَتْ السفينة الأدراميتينية في ميرا ليكية وألقت مراسيها، كنهاية لرحلتها التجارية. فكان لا بد من البحث عن سفينة أخرى متجهة إلى إيطاليا، فوجدوا هذه الإسكندرانية مهيَّأة

بحمولتها للاتجاه المباشر لإيطاليا. وميرا لها سمعة مباركة ومكانة عظيمة في قلوب أهل اليونان، لأن القديس نيقولاوس شفيع اليونان وبالأخص **البحّارة**، كان قد وُلِدَ في باتارا ودُفِنَ في مدينة ميرا Myra. ولكن الروس سرقوا جسده وحملوه إلى مدينة سان بطرسبرج St-Petersburg أثناء ثورة اليونان وأرسلوا لهم أيقونة متقنة عوضاً عن جسده(٢).

والجدير بالذكر أن ميناء ميرا، ويسمى أندرياس Andriace، هو من أعظم وأهم الموانى على شواطىء آسيا الصغرى. وجميع سفن الشحن التي تقوم من الإسكندرية حاملة القمح إلى روما ترسو في هذا الميناء، لأن خط سيرها هو بحذاء الشواطىء من فينيقية إلى آسيا الصغرى. ومن هذا الميناء «أندرياس» ترحل السفن المحمَّلة بالحمولات الكبيرة التي تبلغ ١٠٠٠ طن متجهة نحو شواطىء إيطاليا لأن التيار المائي يتجه من شاطىء هذا الميناء نحو الغرب بالإضافة إلى الرياح المساعدة. لذلك فوجود السفينة الإسكندرانية في ميرا لم يكن مصادفة، ولكنها كانت في مسارها حسب الخط البحري الدائم.

إلى الموانى الحسنة:

«ولما كنا نسافر **رويداً** أياماً كثيرة، وبالجهد صرنا بقرب كنيدُس Cnidus.» (أع٢٧: ٧)

المسافة بين ميرا وكنيدُس ١٣٠ ميلاً. وواضح أن السرعة كانت بطيئة، لذلك يقول **«رويداً»**. وكنيدُس ميناء على ساحل آسيا الصغرى في الاتجاه الغربي من ميرا. ومسيرتهم كانت بحذاء الساحل، لذلك فالبطء كان غالباً بسبب الرياح المعاكسة لأنهم كانوا يسيرون في الاتجاه الغربي الشمالي، والرياح كانت آتية غربية شمالية. لذلك وصلوا في الحقيقة «بصعوبة» إلى هذا الميناء «ولم تُمكّنّا الريح أكثر». فكان عليهم تغيير الاتجاه مباشرة صَوْبَ الجنوب لتعطيهم الريح نفسها دفعة قوية، مع أن خط السير الأصلي كان على أساس مساعدة تيار الماء ليكون الاندفاع مباشرة غرباً تماماً صوب شبه جزيرة المورة ومنها إلى إيطاليا مباشرة. ولكن تدخُّل الرياح المعاكسة أفقدهم ميزة التيار المائي الذي كان أهم مساعد لهم على الاندفاع السريع الآمن. وهكذا اتجهوا جنوباً نحو كريت وداروا حول رأس سلمون Salmon، أقصى نقطة في شرق كريت، وساروا تحت كريت بحذاء الشاطىء حتى وصلوا إلى ما يسمى الموانى الحسنة Fair Havens: «ولما تجاوزناها (سلمون) **بالجهد**، جئنا إلى مكان يقال له الموانى الحسنة التي بقربها مدينة لسائية.» (أع٢٧: ٨)

---

2. Conybeare, *op. cit.*, p. 635.

والصعوبة التي واجهتها السفينة هنا هي لنفس الأسباب التي واجهتها بين ميرا وكنيدس، أي الرياح الشمالية الغربية التي كانت تحاول أن تقذف بالسفينة ناحية الجنوب بعيداً عن حماية الشاطىء.

إنذارات من بولس الرسول ذي العينين الروحيتين المفتوحتين لقائد المائة وللبحارة بلا فائدة:

كان توقُّع قائد المائة وكذلك بولس الرسول والقديس لوقا هو أن يصلوا إلى إيطاليا قبل موسم العواصف والأنواء، لأنهم أقلعوا في بكور الخريف. وهوذا الآن قد مرَّ عليهم زمانٌ كثيرٌ وهم لم يبتعدوا عن شاطىء فينيقية إلاّ مسافة لا تُذْكَر. لم يذكر بولس الرسول كم من الوقت قضوه في الموانى الحسنة بجنوب كريت، ولكن إحساسهم بمعنى الزمن كان كبيراً وغير متوقَّع.

ولكن الذي تسيطر على فكر بولس بل وبإحساس روحي تنبؤي أن الإبحار في هذا الوقت في عرض البحر المكشوف هو بكل المقاييس مجازفة خطرة، بل إنه لن يمرّ بدون خسارة، ليس للسفينة وحدها بل ولهم أيضاً:

«ولما مضى زمان طويل وصار السفر في البحر خطراً، إذ كان الصوم أيضاً قد مضى، جعل بولس يُنذرهم.» (أع٢٧: ٩)

وقول القديس لوقا إن: «وقت الصوم قد مضى» اصطلاح يفيد أن هذا الميعاد من السنة لا يُبْحَر فيه؛ بل ولا يُستحبُّ فيه السفر أيّاً كان. فالوقت كان في هذه المرحلة قد بلغ بداية شهر أكتوبر. وكل الرحالة يؤكدون أن الإبحار في هذا الوقت مخاطرة.

أما وهم باقون في «الموانى الحسنة» فهذه نعمة، وكان الواجب أن يلتزموا الإقامة بها حتى يمضي زمن الشتاء. هذا كان رأي بولس محذراً أنهم إن جازفوا واستمروا في الإبحار فستحدث خسارة مزدوجة: «أيها الرجال أنا أرى أن هذا السفر عتيد أن يكون بضرر وخسارة كثيرة ليس للشحن والسفينة فقط بل لأنفسنا أيضاً» (أع٢٧: ١٠). وينبغي أن لا ننسى أن بولس الرسول أصبح متمرِّساً في انكسار السفن والغرق في البحر وقضاء الليل والنهار في العمق (٢كو١١: ٢٥و٢٦)، فهو إحساس بالخطر قبل وقوعه. على أن مركز بولس الرسول في سفينة الإبحار هذه لم يَعُدْ مركز سجين تحت الاعتقال والترحيل بل قبطان متقاعد! ولكن الكل سدَّ أذنيه، أو سدَّها لهم صاحبُ سلطان الهواء الذي نوى أن يضيف على أتعاب بولس أتعاباً تليق بأن تُضاف إلى الأصحاح الحادي عشر من الرسالة الثانية إلى أهل كورنثوس.

«ولكن كان قائد المئة ينقاد إلى ربَّان السفينة وإلى صاحبها أكثر مما إلى قول بولس.»
(أع٢٧: ١١)

فلا صاحب السفينة رثى لسفينته، ولا البحارة لفنِّهم ومستقبلهم، ولا قائد المئة حَسِبَ حساب سمعته ومسئوليته. ولكن أتى الوقت سريعاً الذي فيه ندم الجميع على استخفافهم بالمشورة، وخضع الكل وبلا استثناء لقيادة بولس كصاحب الكلمة العليا في إدارة الرحلة حتى أوصلها شاطىء الأمان بأقل خسارة!!

تركوا المواني الحسنة بعد فترة ليست بقليلة، والمعروف من الأبحاث والحفائر والدراسة الجغرافية أن بولس الرسول أقام في المواني الحسنة مدّة عمَّد فيها كثيرين. وهناك آثار محفورة باسمه وبقايا دير يحمل اسم بولس(٣).

العاصفة العاتية:

«ولكن بعد قليل هاجت عليها ريح زوبعية يقال لها أوروكليدون Euroclydon. فلما خُطِفت السفينة ولم يمكنها أن تقابل الريح، سلَّمنا، فصرنا نُحْمَل، فجرينا تحت جزيرة يُقالُ لها كَلَوْدِي Clauda، وبالجهد قدرنا أن نملك القارب.» (أع٢٧: ١٤—١٦)

توقفت الرياح الآتية من الشمال الغربي فجأة وهي التي كانت تقلقهم، وعوضاً عنها هبت ريح الجنوب لطيفةً بنسمات دافئة. وفي عُرْف الذين يعرفون متى وكيف تهب الرياح الدافئة المضادة من الجنوب، يعرفون جيداً أنها لا تدوم، بل هي حركة تصحيح مؤقتة بسبب تغير في الضغوط الهوائية. ولكن حركة الرياح السائدة في ذلك الوقت من السنة والتي تشتد لتصير دائمة هي رياح الشمال الغربي الباردة؛ أمَّا رياح الجنوب فممزِّقة لا تدوم إلاَّ قليلاً حتى تعود وتكتسحها رياح الشمال بعنف! وهكذا فاز رئيس سلطان الهواء بخدعته إذ ظنها البحارة القليلي التمرُّس في طاعة المشورة أنها كافية لتوصلهم «إلى فينكس ليشتوا فيها» (أع٢٧: ١٢)، فحلُّوا المراسي وأقلعوا على غير بركة الله!!

ظلت الرياح معتدلة والسفينة تتهادى إلى فينكس Phoenix وهي على بعد ٣٥ ميلاً من رأس الجزيرة الغربي.

وما أن مرقت السفينة بعيدة عن الشواطىء ودخلت في عرض البحر متجهة إلى الشمال

3. Conybeare, *op. cit.*, p. 641.

الغربي، إلاَّ وانقضَّت عليها زوبعة من فوق قمم الجبال التي في طرف الجزيرة، وصدمت السفينة بعنف فخطفتها من مسارها وبدأت تدور حول نفسها دون القدرة على ضبط مسارها، وخابت حكمة التحكُّم في دفة السفينة. وهنا يعطي القديس لوقا أوصافاً للريح تعبِّر فنيًّا عن أقصى عنف تبلغه ريح! وهو ما يسميه الأخصائيون بـ «النَّوْء الشديد hurricane أو Typhonic wind»؛ أما البحارة فقالوا عنها إنها «ريح Eurochlydon»، وهو تعبير يجمع بين عنف الرياح واصطدامها بالمياه لترفع أمواجها في عجاج مريع.

كان لا بد أن يسايروا العاصفة قليلاً حتى لا تنشطر السفينة، فاتجهوا مع الريح جنوباً نحو جزيرة كلودى وهي تبعد عن كريت عشرين ميلاً ناحية الجنوب الغربي، وذلك ليختبئوا تحتها.

وبالجهد استطاعوا أن يملكوا زمام قارب النجاة لأنه كان على جانب السفينة، ولما رفعوه أصبحوا قادرين أن يحزموا السفينة بالسَّلَبِ(*) المتين: «وبالجهد قدرنا أن نملك القارب (من شدة وعنف حركة السفينة) ولما رفعوه طفقوا يستعملون معونات حازمين السفينة» (أع٢٧: ١٦و١٧). وكانوا على حذر من أن تقع السفينة على أرض عالية تحت المياه (جُرْف قاري) فتمزق السفينة: «وإذ كانوا خائفين أن يقعوا في السيرتس Syrtis، أنزلوا القلوع. وهكذا كانوا يُحمَلُون» (أع٢٧: ١٧). أما إنزال القلوع فهو ليمنع الرياح من أن تجرف السفينة عنوة نحو الجنوب، ولكن بإنزال القلوع تفقد المركب اتزانها وتصبح تحت رحمة اللجج في البحر ترفعها إلى أعلى وتحطها إلى أسفل بلا ضابط.

ولكن السفينة ثقيلة، وحمولتها تزن ألف طن، فهذا معناه أنها وشيكة أن تتفسَّخ وتحطمها ضربات الأمواج العالية. فكان يتحتم تفريغ السفينة: «وإذ كُنَّا في نوءٍ عنيف جعلوا يفرغون في الغد» (أع٢٧: ١٨). لقد ألقوا بجزء من حمولة السفينة في البحر!!! ولكن لا زالت السفينة تلاطمها الأمواج بعنف: «وفي اليوم الثالث رمينا بأيدينا أثاث السفينة» (أع٢٧: ١٩). وكان من ضمن تجهيزات السفينة أثقال حديدية تُستخدم في شتى المجالات. وهنا المتكلم والمُنقِذ يدخل فيهم لوقا نفسه وبولس الرسول أيضاً، لأن الجميع بدأوا يتعاونون في عملية إنقاذ ما يمكن إنقاذه.

لقد عمَّ الجميع الفزع والهلع، الرياح بعويلها وصريرها والسفينة ترتفع إلى فوق وتهبط إلى أسفل، فلا أحد يملك وقوفه ولا جلوسه، ولا حتى مَشْيَه أو حركته، الكل يصطدم بالكل، والذي يقوم على قدميه تطرحه السفينة أرضاً على وجهه. صراخ وحركة مجنونة، الكل يعمل والكل لا

(*) الحبل المتين المفتول من ألياف الشجر.

يعمل، الأجساد منهكة، العقول زائغة، الأعصاب متوترة، المياه ملأت السفينة، الكل مبتلٌّ والمطر[٤] يجري مدراراً، والملابس تُعتصر منها المياه، والرياح الباردة العنيفة تعصف بالأجسام المبتلَّة فتُزيد من برودتها وتجعلها ترتعد ارتعاداً. فالوقت بكور الشتاء!! والسماء معتمة والسحب متكاثفة. لقد غابت الشمس عن الشروق أياماً وامتد الليل ليدخل في النهار، فلا نومَ ولا نعاس، ولا أكل ولا شرب، ولا راحة ولا شبه راحة ولا بصيص من رجاء: «وإذ لم تكن الشمس ولا النجوم تظهر أياماً كثيرة واشتد علينا نوء ليس بقليل انتُزع أخيراً كل رجاءٍ في نجاتنا.» (أع٢٧: ٢٠)

بشرى النجاة:

لقد قطع جميع البحارة وجميع المسافرين على أنفسهم صوماً كلٌّ لإلٰهه. والله من فوق سمع ورأى وكتب أمامه سفر تذكرة.

«فلما حصل صوم كثير، حينئذ وقف بولس في وسطهم وقال: كان ينبغي أيها الرجال أن تُذعنوا لي ولا تقلعوا من كريت فتسلموا من هذا الضرر والخسارة والآن أُنذركم (أبشِّركم) أن تُسرُّوا، لأنه لا تكون خسارة نفس واحدة منكم إلاَّ السفينة. لأنه وقف بي هذه الليلة ملاك الإلٰه الذي أنا له والذي أعبده قائلاً: لا تخف يا بولس ينبغي لك أن تقف أمام قيصر. وهوذا قد وَهَبَكَ الله جميع المسافرين معك. لذلك سُرُّوا أيها الرجال لأني أؤمن بالله أنه يكون هكذا كما قيل لي ولكن لا بد أن نقع على جزيرة.» (أع٢٧: ٢١-٢٦)

واضح أن بولس الرسول يتكلم بالنبوة خاصة من قوله: «لا بد أن نقع على جزيرة»، وكأنه يراها رؤية.

وهكذا في زحمة الهرج والمرج، وصراخ هذا وذاك والكل قد أخذتهم الرعدة، كان بولس يصلّي ويطلب الوجه الذي أشرق له من السماء يوماً طالباً أن يمجّد الرب اسمه وسط هؤلاء المنزعجين والغرقى بدون غرق. وقف به ملاك البُشْرَى وأعطاه وعداً بالنجاة، وأراه من على بُعْدٍ الجزيرة التي ستحتضنهم!

بعد أربعة عشر يوماً:

«فلما كانت الليلة الرابعة عشرة ونحن نُحمل تائهين في بحر أدريا، ظنَّ النوتية نحو نصف الليل أنهم اقتربوا إلى برٍّ فقاسُوا (الغاطس) ووجدوا عشرين قامة، ولما مضوا قليلاً قاسُوا أيضاً

(٤) «لأنهم أوقدوا ناراً، وقبلوا جيعنا من أجل المطر الذي أصابنا ومن أجل البرد.» (أع٢٨: ٢)

فوجدوا خمس عشرة قامة. وإذ كانوا يخافون أن يقعوا على مواضع صعبة رموا من المؤخر أربع مراسٍ وكانوا يطلبون أن يصير النهار.» (أع٢٧: ٢٧—٢٩)

أما كيف أدرك البحارة أنهم اقتربوا من شاطىء، فهذه مهارة البحارة في إحساسهم بحركة احتكاك السفينة بالماء، إن كان الغاطس عميقاً أو ضحلاً، وهذا يتأتى بتدريب الحواس. ودخول السفينة هكذا بعنف على أرض صخرية معناه الهلاك للجميع.

حركة تمرد للبحارة، أُقمعت في وقتها:

«ولما كان النوتية يطلبون أن يهربوا من السفينة وأنزلوا القارب إلى البحر بعلّة أنهم مزمعون أن يمدُّوا مراسي من المقدَّم، قال بولس لقائد المئة والعسكر: إن لم يَبْقَ هؤلاء في السفينة فأنتم لا تقدرون أن تنجوا. حينئذ قطع العسكر حبال القارب وتركوه يسقط.» (أع٢٧: ٣٠—٣٢)

«أخذ خبزاً وشكر»:

«وحتى قارب أن يصير النهار، كان بولس يطلب إلى الجميع أن يتناولوا طعاماً قائلاً: هذا هو اليوم الرابع عشر وأنتم منتظرون لا تزالون صائمين ولم تأخذوا شيئاً. لذلك ألتمس منكم أن تتناولوا طعاماً لأن هذا يكون مفيداً لنجاتكم لأنه لا تسقط شعرة من رأس واحد منكم. ولما قال هذا، **أخذ خبزاً وشكر الله** أمام الجميع وكسَّر وابتدأ يأكل. فصار الجميع مسرورين وأخذوا هم أيضاً طعاماً. وكنَّا في السفينة جميع الأنفس مئتين وستة وسبعين.» (أع٢٧: ٣٣—٣٧)

مزيد من تخفيف حمولة السفينة لإمكانية دخولها الشاطىء:

«ولما شبعوا من الطعام طفقوا يخففون السفينة طارحين الحنطة في البحر» (أع٢٧:٣٨). فقد شربت الحنطة من البحر ما شربت وما عادت تصلح لأكل أو تجارة.

«ولما صار النهار لم يكونوا يعرفون الأرض ولكنهم أبصروا خليجاً له شاطىء، فأجمعوا أن يدفعوا إليه السفينة إن أمكنهم، فلما نزعوا المراسي تاركين إياها في البحر وحلُّوا رُبط الدفة أيضاً رفعوا قِلْعاً للريح الهابة وأقبلوا إلى الشاطىء. وإذ وقعوا على موضع بين بحرين شطَّطوا السفينة فارتكز المقدم ولبث لا يتحرك وأما المؤخر فكان ينحلُّ (يتفكك) من عنف الأمواج.» (أع٢٧: ٣٩—٤١)

قائد المئة ينقذ حياة بولس الرسول:

«فكان رأي العسكر أن يقتلوا الأسرى لئلا يسبح أحد منهم فيهرب. ولكن قائد المئة إذ كان يريد أن يخلِّص بولس، منعهم من هذا الرأي، وأمر أن القادرين على السباحة يرمون أنفسهم أولاً

فيخرجون إلى البرِّ، والباقين بعضهم على ألواح وبعضهم على قِطَع من السفينة. فهكذا حدث أن الجميع نجوا إلى البر.» (أع٢٧: ٤٢-٤٤)

وكان وصول الرحلة إلى مالطة في بداية شهر نوفمبر سنة ٥٩م.

وقفة قصيرة لتقييم الرحلة:

إن الإنسان ليتعجب كيف وصلت السفينة إلى مقصدها، وهي بحد قولهم ظلت تائهة في بحر أدريا أربعة عشر يوماً!! منذ أن جرى لها ما جرى تحت جزيرة كلودى، وهي فاقدة كل صلاحيتها تحت ضربات هذا النوء العنيف وغياب الشمس والنجوم!!

وكما سبق أن شرحنا لا بوصلة ولا مزوَلة ولا ساعة ولا معرفة بخطوط عرض أو طول. لقد قطعت السفينة ليس أقل من ٤٨٠ ميلاً بحسابات رجال القياسات البحرية، ومعنى هذا أنها كانت تسير بسرعة ميل ونصف في الساعة! أي ٣٦ ميلاً في الأربع والعشرين ساعة.

وبنظرة واحدة إلى الخريطة الخاصة برحلة بولس الرسول إلى روما، يدرك القارىء أن هذه السفينة إنما كان يقودها روح بولس وأنين قلبه وصلاته، فهي تكاد تكون متجهة الاتجاه الصحيح طول رحلتها الطويلة!!! أما هذه المفازع والمروعات فهي هي نفسها "أُعطيت ملاك الشيطان ليلطم سفينتي". ولكن النجاة كانت مرسومة قبل الإقلاع، أما الوقوف أمام قيصر فكان أمراً قد صدر من العلي القدير، وليست قوة على الأرض أو في السماء بقادرة أن تعطّله أو تمنعه.

وبنظرة واحدة إلى سلوك بولس الرسول على مدى هذه الرحلة، لا يصدِّق الإنسان أنه كان في موقع الأسير المرحَّل تحت القيود للمحاكمة؛ بل كبير القوم ومشيرهم وأباهم وراعي نفوسهم والساهر عليهم والمصلِّي من أجلهم بل والذي يطعمهم في حينه الحسن.

ضيافة أهل مالطة:

«ولما نجوا، وجدوا أن الجزيرة تُدعى مَلِيطة، فقدَّم أهلها البرابرة (ليسوا رومانيين) لنا إحساناً غير المعتاد، لأنهم أوقدوا ناراً وقبلوا جميعنا من أجل المطر الذي أصابنا ومن أجل البرد.» (أع٢٨: ١و٢)

لا تكفي الكلمات ولا أي وصف يفيد شيئاً في هذا الترحاب بعد عناءٍ قارب الموت، وليلاحظ القارىء أن القديس لوقا يتكلَّم عن إحسان غير معتاد ثم يرفقه بأنهم أوقدوا ناراً ... وما قيمة النار في الضيافة؟ ولكن لقوم أضناهم برد الليالي المطيرة وسط أنواء وزوابع مستمرة وهم على ظهر سفينة في مواجهة السماء، مع إرهاق بلغ أقصى حدوده، وجوع واضطراب، نعم، فالنار لمثل هؤلاء بقيت



«سافرنا من تحت كريت...» (أع ٢٧ : ٧)

حينما عاكست الرياح السفينة ساروا ببطء من جهة الشاطىء المواجه للرياح.

أطلال هيكل كاستور وبوليكس المكرَّسَيْن على اسم التوأمين ديوسقوروس، وهما حاميان للبحارة. وتحت علامة تسمى «الجوزاء» (= التوأم)، سافرت المركب الإسكندرانية حاملة القديس بولس من مالطة إلى إيطاليا (أع ٢٨: ١١).

وفي مؤخرة الصورة، يُرى قوس تيطس الذي أُقيم لتخليد ذكرى استيلائه على أورشليم عام ٧٠م.

(أنظر صفحة ٧١٥)



في ذاكرتهم وكأنها أعظم ما يمكن أن يتمنوه وأعز ما يمكن أن يحتاجوه. لوقا يتذكر كيف اجتمعوا كلهم، ٢٧٦ فرداً معاً، ليصطلوا ناراً!

أي نار وما شكلها وحجمها وكيف اجتمعوا حولها، منظرٌ أخّاذ على كل حال يأخذ بمكامن القلوب التي أضناها صقيع الليالي في أنواء البحر العاتي ... يا لها من ضيافة ويا له من إحسان! لقد قدّموا لهم الطعام والشراب بما يكفي، ولكن كانت النار هي التي علقت وحدها في ذاكرة لوقا. هكذا، عزيزي القارىء، تفصح كلمات لوقا القليلة عن مدى العناء الذي واجهوه.

«يحملون حيّاتٍ، وإن شربوا شيئاً مميتاً لا يضُرُّهم» (مر١٦: ١٨):

أليست هذه «علامات الرسول التي صُنِعَتْ بينكم» على حد قول بولس الرسول (٢ كو١٢: ١٢)؟

«فجمع بولس كثيراً من القضبان ووضعها على النار فخرجت من الحرارة أفعى ونشبت في يده فلما رأى البرابرة الوحش مُعلّقاً بيده، قال بعضهم لبعض: لا بد أن هذا الإنسان قاتلٌ لم يَدَعْه العدل يحيا ولو نجا من البحر، فنفض هو الوحش إلى النار ولم يتضرر بشيء رديء. وأما هم فكانوا ينتظرون أنه عتيد أن ينتفخ أو يسقط بغتة ميتاً، فإذ انتظروا كثيراً ورأوا أنه لم يعرض له شيء مضر، تغيَّروا وقالوا هو إله.» (أع٢٨: ٣-٦)

هكذا الذي يراه الناس نقمة يراه الله نعمة، والذي أرسله الشيطان في طريق بولس ليُزيده ألماً أو موتاً يجعله الله آية لتكريم بولس وسبباً لمجد الله بالنهاية، فبهذه الحية انفتح لبولس باب للخدمة في هذه الجزيرة النائية التي ما كان يحلم بزيارتها يوماً لردِّ مئات وربما ألوف للإيمان بالمسيح، وشفاء أمراض وتفريح قلوب الناس. ما أعظم أعمالك يا رب وما أبعد طرقك عن الفحص! لقد ظل بولس الرسول في هذه الجزيرة ثلاثة أشهر لم يكف عن خدمة أهلها، وكأنه أقلع من قيصرية لأجلها.

ومن الأمور العجيبة التي يلذ لنا أن نذكرها ويعلمها القارىء العزيز أن مالطة الآن تخلو تماماً من الحيَّات والثعابين، وشعبها يقول إن القديس بولس الرسول لعنها فاختفت مع نسلها إلى الأبد. وكمثل شجرة التين التي صادفها الرب قبل صلبوته، هكذا حيّة بولس.

بوبليوس اللطيف المضياف، و "يوم من أيام ابن الإنسان":

«وكان فيما حول ذلك الموضع (الذي نزلوا فيه من السفينة) ضياع لمقدَّم الجزيرة الذي اسمه بوبليوس، فهذا قبلنا وأضافنا بملاطفة ثلاثة أيام. فحدث أن أبا بوبليوس كان مضطجعاً معترى

بحمى وسحج، فدخل إليه بولس وصلَّى ووضع يديه عليه فشفاه. فلما صار هذا كان الباقون الذين بهم أمراض في الجزيرة يأتون ويُشْفَوْن.» (أع٢٨: ٧-٩)

وكأننا في أيام المسيح ومنظر الشعب يتقاطر على بولس الرسول، وكلٌّ حامل مريضه يضعه بين يديه ليقوم معافىً. وكل أنواع الأمراض وحتى المستعصية منها استجابت لدعاء بولس ولَمْس يديه. هذا حلم فريد من نوعه قال عنه الرب وقد كان: «ستأتي أيام فيها تشتهون أن تروا يوماً واحداً من أيام ابن الإنسان» (لو١٧: ٢٢). وكأن ليس بولس الذي وقع على الجزيرة التي كانت تشتهيه سنين كثيرة، بل الرب يسوع.

لقد وُجد في حفائر هذه المنطقة حجرٌ منحوتٌ عليه اسم بوبليوس مقدَّم الجزيرة(٥).

في الطريق إلى روما محمَّلين بالهدايا: في ٨ فبراير سنة ٦٠م

«وبعد ثلاثة أشهر أقلعنا في سفينة إسكندرية موسومة بعلامة الجوزاء Διοσκούροις (أي **التوأمين** حيث الجوزاء يعني زوج) ...، ولما أقلعنا **زوَّدونا ما يُحتاج إليه.**» (أع٢٨: ١١و١٠)

ذكرى حسنة لمالطة باقية لها إلى الأبد. لقد أضافت الكنيسة في شخص بولس ولوقا، بل لقد أضافتنا معهم، حيًّا الله أهلها وقدَّس أرواحهم وقدَّس أرواح بوبليوس وكل مؤمنيها.

أما علامة «الجوزاء»، فـ«الجوزاء» ترجمة سقيمة للكلمة اليونانية ديوسقورس وهو ليس صفة بل اسم توأمين Castor and Pollux وهما شفيعا البحَّارة.

على جزيرة صقلية «سيسلي»:

أرست السفينة في ميناء سيراكوسا على جزيرة صقلية في أول محطٍّ لها بعد أن شتَّت في مالطة، وأقامت راسية ثلاثة أيام. كانت فرصة ذهبية لبولس الرسول ليزور مجمعاً كبيراً لليهود في المدينة المشهورة بالتجارة مع الشرق، ويقيناً أنه بشَّرهم بالأخبار السارة، لأن التقليد الكنسي في هذه الجزيرة يقول إن أول كنيسة في الجزيرة أسَّسها بولس الرسول نفسه.

في ضيافة أهل بوطيولي Puteoli: ١٨ فبراير سنة ٦٠م

«فنزلنا إلى سيراكوسا ومكثنا ثلاثة أيام ثم من هناك دُرْنا وأقبلنا إلى ريغيون Rhegium.» (أع٢٨: ١٢و١٣)

---

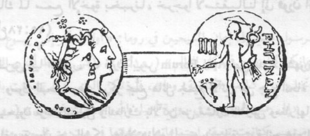
5. Conybeare, *op. cit.*, p. 660 n.3.

وللمصادفة الجميلة فإن شفيع هذه المدينة «ريغيون» هو نفس التوأمين «ديوسقورس» المرسومين على مقدمة السفينة «The Great Twin Brothers» وهما في الحقيقة شخصيتان: كاستور وهو اسم القديس «قسطور» المعروف في المسيحية الآن، وبوليكس Pollux (أنظر صورتهما على أحد النقود التي عُثر عليها في المنطقة)(٦).

وهنا مكثوا يوماً واحداً: «وبعد يوم واحد حدثت ريح جنوب فجئنا في اليوم الثاني إلى بوطيولي» (أع٢٨: ١٣). و«بوطيولي» تُحسَبُ مدينة درجة أولى في إيطاليا في ذلك الوقت. وكان أهل هذه المدينة مسيحيين، فأقبلوا على بولس ولوقا بالفرح والترحاب واستضافوهما: «حيث وجدنا إخوة فطلبوا إلينا أن نمكث عندهم سبعة أيام.» (أع٢٨: ١٤)

وليس مصادفة أن يأتي المسيحيون بوصول السفينة، بل كان أهل مدينة بوطيولي كلهم حينما يرون سفينة إسكندرية محملة بالقمح تدخل الميناء يهرع الجميع لاستقبالها بالفرح والهتاف ومعهم الذهب والفضة لشراء قوت الحياة. هنا تعرَّف المسيحيون على بولس واستضافوه مع لوقا.

والعجب، وليس عجيباً، أن يسمح القائد يوليوس لبولس بالبقاء سبعة أيام في بوطيولي. ولكن ألم يكن هذا الأسير سبباً في إنقاذ حياته مع جنوده؟



العملة النقدية المحفوظة بالمتحف البريطاني،
وعلى أحد وجهيها (الأيسر) صورة «التوأمين ـــ ديوسقوروس»
القديسَيْن كاستور وبوليكس.

---

6. Conybeare, *op. cit.*, p. 666.

«وهكذا أتينا إلى روما» ـ الأسبوع الأول من مارس سنة ٦٠م:

في تصورات قلبه، رأى بولس الرسول روما وكأنه أتاها كارزاً حراً يدب برجليه حيثما يشاء، أما في تصورات قلب الله فأن يأتيها مقيَّد اليدين، كمخلِّصه يوم عيد فصحه في أورشليم، فالذبيحة الحرة التي بلا لوم تُساقُ إلى الذبح مقيَّدة ليسهل ذبحها...

كان منتهى أمل بولس أن يشهد لمسيحه في روما بالكلمة،
ولكن الله كرَّمه بأن يشهد لابنه بالدم،

سيان إن كان داود قد قال: «العار قد كسر قلبي» (مز٦٩: ٢٠) عن المسيح، أو عن بولس، أو عن كل مَنْ حمل الصليب!

فإن كان محرر البشرية قيَّدوه، فالذي ينادي بحرية أولاد الله حتماً يقيدونه. والقيود في عين النفس سَحْق وتذليل، أما في عين الروح فمجدٌ وإكليل.

هكذا أتى بولس إلى روما بعد رحلة العذاب التي كانت تتسجَّل أحداثها في السماوات أولاً بأول، وحيث تكللت سيرته بإكليل المجد الذي يعطيه الله له في ذلك اليوم، حاملاً في جسده الروحاني سمات تعاذيبه بشبه المسيح وأثر الشوكة التي نغَّصت حياته على الأرض.

فورن أبيوس والإخوة المُستقبِلون على طريق أبيا (Apian Way) حتى مشارف روما:

«ومن هناك لما سمع الإخوة بخبرنا، خرجوا لاستقبالنا إلى **فورن أبِّيُوس والثلاثة الحوانيت.**» (أع٢٨: ١٥)

وهما على طريق أبيا المشهور، أما فورن أبيوس **Apii Forum** فهي مدينة مشهورة بفنادقها ذات الطابق الواحد، وسوق للبحارة وهي مركز تجمُّع هائل لجميع الآتين من جميع أنحاء العالم، وحيث كان يجد المسيحيون فرصة للتقابل والتعارف بالآتين من مشارق الأرض ومغاربها، وحيث كانوا يستضيفون الغرباء ويقيمون خبز الشكر. ولولا هؤلاء المسيحيون، لبقيت قبائح هذه المدينة وشرورها عاراً على الإمبراطورية.

وقد كان خبر مجيء بولس الرسول قد ملأ الأصقاع، فتقاطروا ليروه ويتعرَّفوا عليه. ولدهشة بولس الرسول رأى فيهم كثيراً من أولاده الذين تمخض بهم يوماً وولدهم للمسيح. هؤلاء تقدَّموا في الطريق وقابلوه.

أما بخصوص المسيحيين في روما، فلم يستقر العلماء حتى الآن على مبتدأ تواجدهم في روما.

ولكن نحن نعلم من رسالة بولس الرسول إلى أهل رومية أن بعضاً منهم كان في المسيحية قبل أن يصير بولس مسيحياً: «سلّموا على أندرونكُس ويونياس نسيبيَّ المأسورَيْن معي، اللذين هما مشهوران بين الرسل وقد كانا في المسيح قبلي» (رو١٦: ٧). والملاحظ أن أكيلا وبريسكلا عادا إلى رومية بعد أن كانا مع بولس حاملَيْن إلى روما كل تعاليم بولس ورسائله: «سلموا على بريسكلا وأكيلا العاملَيْن معي في المسيح يسوع اللذين وضعا عنقيهما من أجل حياتي، اللذين لست أنا وحدي أشكرهما بل أيضاً جميع كنائس الأمم، وعلى الكنيسة التي في بيتهما» (رو١٦: ٣-٥). وطبعاً كان هؤلاء هم أول المستقبلين لبولس الرسول وأكثر المشجِّعين. وهكذا الكثيرون من المسيحيين في روما هم تلاميذ لبولس، ومعظمهم من يهود الشتات الذين خدمهم بولس في آسيا واليونان أثناء طردهم من روما على يد الإمبراطور كلوديوس، ثم رجعوا إلى روما مقرهم الأول وكوَّنوا كنيسة المسيح في روما.

بعد منشور الإمبراطور كلوديوس سنة ٤٩م بطرد جميع اليهود واليهود المسيحيين من روما، أُفرغت المدينة العظمى من اسم المسيح. ولكن، وبعد ذلك بخمس سنوات، اعتلى نيرون عرش الإمبراطورية الرومانية فمات هذا المنشور بكل ما احتوى، وتدفَّق اليهود واليهود المسيحيون، بل ومسيحيو الأمم إلى روما. وبمجيء سنة ٥٧م نسمع من رسالة بولس الرسول إلى أهل رومية المسيحيين في تلك السنة أن المسيحية كانت مزدهرة، والمعروف أنه منذ سنة ٥٤م بدأت المسيحية تنتعش في روما.

وبولس الرسول يشير إلى إيمان المسيحيين في روما: «أولاً أشكر إلهي بيسوع المسيح من جهة جميعكم أن إيمانكم يُنادى به في كل العالم» (رو١: ٨). ولكن يلاحظ أن رسالة بولس الرسول إلى أهل روما تخلو من كلمة «كنيسة روما»، فلم تكن الكنيسة قد تشكلت بالرغم من وجود مؤمنين متفرقين: «إلى جميع الموجودين في رومية أحباء الله، مدعوِّين قديسين» (رو١: ٧). والواقع أن كل جماعة منهم كانت تعقد اجتماعاتها وصلواتها في بيت من البيوت مثل: «سلِّموا على بريسكلا وأكيلا ... والكنيسة التي في بيتهما» (رو١٦: ٣و٥). والملاحظ في رسالة بولس الرسول إلى أهل رومية أنها دون جميع الرسائل يذكر فيها المؤمنين جماعات جماعات وذلك لعدم وجود الجماعة المتركزة في الكنيسة الواحدة، وبالتدقيق نجد أنه عيَّن خمس جماعات في خمسة تجمعات:

١ - **جماعة أكيلا وبريسكلا** والكنيسة التي في بيتهما (رو١٦: ٥).

٢ - **جماعة أهل أرستوبولس** Aristobulus (رو١٦: ١٠).

٣ - **جماعة أهل نِركيسوس** (رو١٦: ١١):

ويلاحظ أن كلمة «أهل أرستوبولوس» و«أهل نركيسوس» هو تعبير عن العبيد المحرَّرين وليس أفراد العائلة، فأرستوبولوس هو أخو هيرودس أغريباس الأول الملك الذي كان يعيش كمواطن حر في روما وكان له هؤلاء العبيد أو الأتباع الذين حررهم وصاروا مسيحيين. هذا، ولكي لا يتداخل المعنى في أشخاص العائلة الملكية ذاتها، قال بولس الرسول «الذين من **أهل**» وهي تشبه كلمة «أتباع». كذلك فإن «نركيسوس» هو طيبريوس كلوديوس **نركيسوس**، وهو أصلاً عبد مُحرَّر حرَّره طيبريوس. وهذا العبد كان قد حُكم عليه بالإعدام بسبب قضية (تنصير) أمّ نيرون سنة ٥٤م، التي أعدمها أيضاً نيرون.

٤ ـ **الجماعة الرابعة**: أسينكريتس Asyncritis، فيلغون Phelgon، هرماس Hermas، بتروباس Patrobas، هرميس Hermes **والإخوة الذين معهم!** (رو١٦: ١٤)

٥ ـ **الجماعة الخامسة**: فيلولوغس Philologus، جوليا Julia، نيريوس Nereus، وأخته وأوليمباس Olympas وجميع القديسين الذين معهم (رو١٦: ١٥).

وأما الباقون فقد كتب أسماءهم مفردة واحداً واحداً وواحدةً واحدةً، لأنهم كانوا لا يتبعون جماعة معينة، فاضطر أن يذكرهم فرداً فرداً. كل هذا بسبب غياب كنيسة واحدة تجمعهم في روما.

ولكن وبالرغم من تشرذمهم هكذا، فقد كانت تجمعهم روح واحدة حارة عابدة مخلصة. معنى هذا أن الرسالة إلى رومية لم تُقرأ على مسامع الكنيسة مرة واحدة بل مرَّت على كل بيت وكل عائلة وكل جماعة.

وينبغي أن نرفض أية فكرة بخصوص إمكانية زيارة بطرس الرسول لروما في الخمسينات قبل كتابة رسالة بولس إلى أهل روما. لأنه من غير المعقول أن يقرر بولس رغبته الملحة لزيارة روما ويقول: «لكي أمْنَحكم هبة روحية لثباتكم» (رو١: ١١)، ويكون بطرس الرسول فيها أو يكون قد أسس الإيمان فيها، بسبب المبدأ الذي قطع فيه بولس على نفسه أن لا يكرز على أساس **لآخر**: «... بقوة آيات وعجائب بقوة روح الله، حتى إني من أورشليم وما حولها إلى إلليريكون قد أكملتُ التبشير بإنجيل المسيح. ولكن كنت محترصاً أن أبشر هكذا ليس حيث سُمِّي المسيح، لئلا أبني على أساس **لآخر**.» (رو١٥: ١٩و٢٠)

أما مدينة **«الثلاثة حوانيت»** The Three Traverns فهي تبعد عن فورن أبيوس بنحو عشرة أميال. والترجمة العربية محوَّرة ولا تفيد المعنى؛ فالمقصود هو الثلاثة الخمّارات أو «الحانات» وليس «الحوانيت»! وإلى هذه المدينة أيضاً أسرع إخوة آخرون لاستقبال سفير المسيح القادم في سلاسل: «فلما رآهم بولس شكر الله وتشجَّع.» (أع٢٨: ١٥)

وسار الرفقة جميعاً معاً في نشوة الروح يتحدثون عن الأتعاب التي واتتهم والأمجاد الآتية بعدها. لأن حديث المسيح لا يخرج عن الموت والقيامة بعدها، أو الآلام ووراءها الراحة العليا، أو عن الدموع في الذهاب والمجيء بالأفراح! وهكذا ظلوا يتحدثون سبعة عشر ميلاً أخرى حتى دخلوا إلى مشارف روما، يمشون ولا يتعبون لأنه كان على رؤوسهم فرح أبدي، ألم يردُّوا كثيرين إلى البرِّ؟

في روما تسليم وتسلُّم، وتقديم التكريم للأسير:

«ولما أتينا إلى رومية سلَّم قائد المئة الأسرى إلى رئيس المعسكر. وأما بولس فأُذِنَ له أن يقيم وحده مع العسكري الذي كان يحرسه» (أع٢٨: ١٦). أينما ذهب بولس كان ملاك الله يسبقه ويعدُّ له مكانه في قلوب المسئولين على حراسته، نعم كان أسيراً ولكنه أسر قلوب آسريه!

لم يكن قط متعدِّياً أو متداخلاً فيما لا يعني المسيح، إنما كان فقط سارقاً لقلوب الناس لحساب المسيح.

المكان الذي كان يقيم فيه بولس الرسول، من مارس سنة ٦٠ حتى مارس سنة ٦٢م:

بحسب تحقيقات العلماء، هذا كان بالقرب من المعسكر العام في قلب روما المدعو البريتوريوم Praetorium، وهو بتحقيق العالم ويسلر Weiseler بجوار قصر البالاتين Palatine الذي كان يقيم فيه القيصر. من هذا نفهم قول بولس الرسول في رسالته إلى فيلبي: «يسلم عليكم جميع القديسين **ولا سيما الذين من بيت قيصر**» (في٤: ٢٢)، «كُتبتْ إلى أهل **فيلبي من رومية** على يد أبفرودتس»، كذلك قوله أيضاً في نفس الرسالة: «حتى إنَّ وُثُقي صارت ظاهرة في المسيح في **كل دار الولاية** وفي باقي الأماكن أجمع» (في١: ١٣). هكذا كانت خدمة بولس الرسول في رومية نشطة للغاية، لم يكفّ عن الكرازة باسم المسيح مدة سنتين. وفي التقليد أنه عمَّد زوجة نيرون التي قتلها نيرون بعد ذلك. وعن طريق زوجة الإمبراطور استطاع أن يجذب الكثيرين من أسرة نيرون: «**كل دار الولاية**».

استدعى بولس الرسول وجوه اليهود:

«وبعد ثلاثة أيام استدعى بولس الذين كانوا وجوه اليهود.» (أع٢٨: ١٧)

من أين ومتى جاء اليهود ليستوطنوا روما؟

بحسب تحقيقات تواريخ اليهود، يُظن أن أول من وطأت أقدامهم روما هم من اليهود **المكابيين** سنة ١٦٨ ق.م. وفي القرن الثاني تبعهم كثيرون كوَّنوا لأنفسهم أول مجمع هناك وكان لهم مَنْ يمثلهم في أورشليم الذين عُرفوا باسم مجمع الليبرتينيين Libertines، أي «**الأحرار**»،

ولكن هي في الحقيقة «المحرَّرين» لأنهم أُخذوا إلى روما كأسرى ثم حرَّرهم الرومان(٧) (أع٦: ٩). والذي أسرهم هو بومبي Pompey في غزوته للشرق سنة ٦٣ ق.م. وتحريرهم من الأسْر يؤكده فيلو اليهودي، ولكن أعدادهم زادت بعد ذلك من وراء التجارة. وكان معظمهم أغنياء جداً، وكانوا يرسلون المعونات إلى وطنهم بانتظام. وكثيرون منهم أخذوا المواطنة الرومانية مثل يوسيفوس المؤرخ نفسه؛ بل و بولس الرسول أيضاً. وكان لهم تأثير كبير على الفكر الروماني، فالفيلسوف سنيكا يقول: «إن المقهورين أعطوا الذين قهروهم القوانين»(٨). والمعروف أن اليهود هوَّدوا كثيراً من الرومانيين(٩).

ولكن المعروف والمتحقق أن اليهود كانوا مكروهين في روما وكل إيطاليا بصورة صارت تتزايد حتى أدت إلى طردهم ومعاملتهم بقسوة شديدة(١٠)، ولكنهم سرعان ما لعقوا جراحهم وعادوا إلى مواقعهم بمرونة يُتعجب لها.

والواضح من سفر الأعمال أن اليهود في بداية حكم نيرون كانوا يتمتعون بالحرية والمساواة في الحقوق. وهذا واضح من دعوة بولس الرسول لأغنيائهم واجتماعه بهم علناً وفي مكان أسْرِه وتحت بصر الجندي الروماني الذي يحرسه. وكان لليهود في ذلك الوقت سبعة مجامع في روما وحدها خُصِّصت للستين ألف يهودي الذين سُمح لهم بالإقامة، وكانوا موضع سخرية السلطات الرومانية وسخطهم.

---

7. Conybeare, *op. cit.*, pp. 15,678; Joseph. *Ant.*, xviii.3.5.
8. Ibid.
9. Ibid.

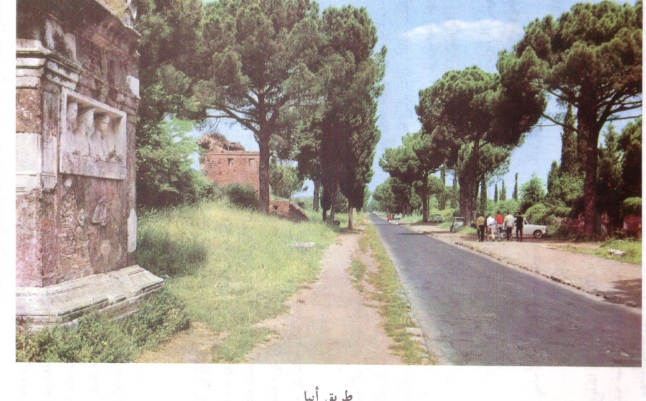
(١٠) وتعيِّد الكنيسة في الغرب في أول أغسطس عيد الشهداء الذين دُعُوا بـ«السبعة وأمهم»، (وتعيِّد الكنيسة القبطية الأرثوذكسية بتذكار هؤلاء الشهداء في اليوم الثامن من شهر مسرى)، وهم من يهود المكابيين الذين عوملوا بقسوة وماتوا أثناء الحرب، وهم مذكورون في سفر المكابيين الثاني الأصحاح السابع ومطلع الأصحاح هكذا: «وقبض على سبعة إخوة مع أمهم فأخذ الملك أنطيوخس يكرههم...». وقد أماتوا السبعة بعد تعذيب عنيف ثم قتلوا أمهم. وهي التي أشار إليها سفر العبرانيين في (١١: ٣٤و٣٥) «نجوا من حد السيف، تقووا من ضعف، صاروا أشداء في الحرب، هزموا جيوش غرباء، أخذت نساء أمواتهن بقيامة، وآخرون عُذِّبوا ولم يقبلوا النجاة لكي ينالوا قيامة أفضل».

و يؤكد الأسقف العالم وستكوت في شرحه لسفر العبرانيين ص٣٧٩، أن المقصود من ذلك هم السبعة المكابيين الذين تُعيِّد لهم الكنيسة (٢مك ٧). أما قول الآية في سفر العبرانيين أن نساءً أخذت أمواتهن بقيامة، فالمعنى حسب الآية اليونانية يفيد أن الأم أخذت أبناءها الذين تعذبوا وماتوا بإيمان وسرور كأنهم في حالة قيامة.

وقد قال بذلك أيضاً آباء الكنيسة الأولون القديس غريغوريوس النزينزي (عظة ١٥)، والقديس أغسطينوس (العظة ٣٠٠: ٢).

وهذا العيد الذي لهؤلاء الشهداء السبعة تقيمه الكنيسة الرومانية في أول أغسطس أيضاً وتسميه Lamnias Day، وهو العيد الوحيد في الكنيسة الذي تعيِّده لشهداء في العهد القديم من غير الأنبياء.

Oxford Dict. of the Chr. Church, p. 839.



طريق أبيا

ملك الطرق الرومانية

سافر القديس بولس الرسول في هذا الطريق وهو في طريقه إلى روما.

(أنظر صفحة ٧١٦)

«معلوم عندنا من جهة هذا المذهب أنه يُقاوَم في كل مكان»:

بولس الرسول بدأ حديثه مع وُجهاء اليهود، بأن شرح لهم لماذا هو في سلاسل، ولماذا هو هنا في روما. لقد دافع عن نفسه ليبعد فكرة أنه جاء ليشتكي شيئاً ضد أمَّته أو ضد السنهدريم؛ لئلا يُنظر إليه من جهتهم أنه يخون بلاده أو دينه. ثم ركَّز على العلَّة التي من أجلها قامت هذه الخصومة مع اليهود: «من أجل رجاء إسرائيل (أنا) مُوثَقٌ بهذه السلسلة» (أع٢٨: ٢٠)، وأنه اضطر لرفع دعواه إلى قيصر لمَّا لم يجد العدالة عند اليهود الذين طالبوا بقتله، أي من أجل مواعيد الله للأنبياء جميعاً، ولموسى أصلاً، عن المسيَّا، الذي تحقق أنه يسوع المسيح الذي صُلِبَ والذي قام من الأموات، فتبرهن أنه ابن الله ديَّان الأحياء والأموات.

فكان ردُّ وجهاء يهود روما: «لأنه معلوم عندنا من جهة هذا المذهب أنه يُقاوَمُ في كل مكان» (أع٢٨: ٢٢)؛ وهذه إشارة ضمنية إلى عدم رضاهم عن هذا المبدأ الذي ينادي به، ولكنهم ــ وبنوع من الحكمة وعدالة الحكم ــ قالوا: «ولكننا نستحسن أن نسمع منك ماذا ترى؟» (أع٢٨: ٢٢). أما من جهة بولس نفسه فطمأنوه أنهم خالو البال مُسْبقاً عن أي شيء ضده: «نحن لم نقبل كتابات فيك من اليهودية ولا أحد من الإخوة جاء فأخبرنا أو تكلَّم عنك بشيء رديء.» (أع٢٨: ٢١)

كان هؤلاء اليهود صادقين في تقريرهم عن بولس أنهم لم يتلقوا لا رسالة ولا خبراً من أحد عنه، لأن بولس الرسول وصل إلى روما ربما في أول سفينة تصل بعد الشتاء حيث كان البحر مقفلاً والسفر متوقفاً، ولأن بولس قضى سنتين في سجن قيصرية وكان هذا كفيلاً بتوقُّف الأخبار عنه من جهة الذاهبين إلى روما.

ثم «عيَّنوا له يوماً فجاء إليه كثيرون إلى المنزل.» (أع٢٨: ٢٣)

بولس الرسول يشرح لوجهاء يهود روما شاهداً بملكوت الله بأمر يسوع من الصباح إلى المساء:

كانت هذه هي أمنية بولس، أن يشهد للمسيح في روما!! وقد حقق مبدأه الأساسي في الكرازة «لليهودي أولاً ثم اليوناني».

لقد أضافت السلسلة لشهادة بولس الرسول نوعاً من الجدِّية، وأصالة الإيمان المدفوع ثمنه، مع الاستهانة بكرامة الذات إزاء كرامة مَنْ يدافع عنه! كما خفَّضت من روح النقمة عند المتعصِّبين وضيقي الفكر، وشلَّت حركة المندفعين المستعدين للإيذاء، فالذي يتكلم أمامهم «مضروبٌ ومذلولٌ»، فأي مزيد يمكن أن يكون؟

ولقد استغل بولس الرسول السلسلة ليتكلم بشجاعة غير هيَّاب لعواقب، فهل بعد السلسلة من قيود؟ كان بولس يستمد من شهادة المسيح واعترافه «الاعتراف الحسن أمام بيلاطس البنطي» قوة ما بعدها قوة. فالموت الذي لم يرعب المسيح ولا أثْناهُ عن الشهادة، قد حصل بولس على سر قوته: **«والموت هو ربح»** (في١: ٢١). فلم يكن أمام بولس الرسول إلاَّ الحياة، الحياة في المسيح الحي، والحياة التي يعيشها هو في المسيح. بولس الرسول كان يكرز لليهود بالمسيح الحي أمام عينيه، و يعرِّفهم به باعتباره أخاهم البكر القائم من الأموات.

«ومقنعاً إياهم من ناموس موسى والأنبياء» (أع٢٨: ٢٣)، وكأنه حصل على تسجيل سماوي لِمَا قاله المسيح نفسه عن نفسه لتلميذَي عمواس (لو٢٤: ٢٧). كانت الحجة في فم بولس منطوقة، لا بفم الأنبياء وحسب؛ بل بفم الروح القدس، ومسموعة من المسيح.

«فاقتنع بعضهم بما قيل» (أع٢٨: ٢٤). ولكن طيور السماء الشريرة جاءت واختطفت البذرة الملقاة في القلب الحجري، «وبعضهم لم يؤمنوا». وهكذا اثنتان تطحنان على الرحى تؤخَذُ الواحدة وتُترك الأخرى!!

«فانصرفوا وهم غير متفقين بعضهم مع بعض» (أع٢٨: ٢٥)، «فإني جئت لأُفرِّق الإنسان ضد أبيه والابنة ضد أمها والكنَّة ضد حماتها.» (مت١٠: ٣٥)

نهاية كرازة المسيح هي بعينها نهاية كرازة بولس الرسول، تنتهي عند إشعياء!

إنجيل يوحنا (١٢: ٣٧و ٤٠):

+ «ومع أنه كان قد صنع أمامهم آيات هذا عددها لم يؤمنوا به ليتم قول إشعياء النبي... قد أعمى عيونهم وأغلظ قلوبهم لئلا يبصروا بعيونهم و يشعروا بقلوبهم ويرجعوا فأشفيهم».

(أع٢٨: ٢٥ــ٢٨):

+ «إنه حسناً كلَّم الروح القدس آباءنا بإشعياء النبي قائلاً: اذهب إلى هذا الشعب وقُل ستسمعون سمعاً ولا تفهمون وستنظرون نظراً ولا تبصرون، لأن قلب هذا الشعب قد غلظ وبآذانهم سمعوا ثقيلاً وأعينهم أغمضوها لئلا يبصروا بأعينهم ويسمعوا بآذانهم ويفهموا بقلوبهم ويرجعوا فأشفيهم».

بولس يكرِّس الفاصل الدهري بين الذين يسمعون والذين لا يسمعون:

«فليكن معلوماً عندكم أن خلاص الله قد أُرسل (بالفعل) إلى الأمم وهم سيسمعون!!! ولما

قال هذا مضى اليهود ولهم مباحثة كثيرة فيما بينهم.» (أع٢٨: ٢٨و٢٩)
ولا تزال المباحثة جارية حتى الآن ولها من السنين ألفان!!!

سنتان وبولس الرسول يكرز وفي يديه السلاسل «بلا مانع»:

«وأقام بولس سنتين كاملتين في بيت استأجره لنفسه، وكان يقبل جميع الذين يدخلون إليه كارزاً بملكوت الله ومُعلِّماً بأمر الرب يسوع المسيح بكل مجاهرة **بلا مانع**.» **(آخر سفر الأعمال)**

لقد كانت فرصةً هادئةً وخصبةً للغاية لخدمة بولس الرسول، لم يكن مُثقلاً بالعمل اليدوي الذي كان يشغله الليل والنهار ليقيم أَوَدَه، فيده تعيقها السلاسل، والطعام والشراب يصل إليه بمقتضى القانون. كذلك لم يكن يحمل هموم السفر ومخاطره وأوقاته الضائعة ومخاوفه ومخاطره المقلقة للغاية، هما سنتان من وراء الدهر كحلم بقظة حيث كان الروح فعَّالاً ونشيطاً ليمنح القوة والنعمة والعزاء على قدر حاجة الخدمة التي كان يقودها الروح بنفسه، إذ كان يسوق له كل المعيَّنين في سفر الحياة ليقبلوا النجاة.

اسمعه وهو يقول في رسالته التي كتبها أو التي أملاها ــ على الأصح ــ إلى أهل فيلبي في روما: «ثم أريد أن تعلموا أيها الإخوة أن أموري قد آلت أكثر إلى تقدم الإنجيل، حتى إن وُثُقي صارت ظاهرة في المسيح في كل دار الولاية وفي باقي الأماكن أجمع» (في١: ١٢و١٣)، بل إن شجاعة بولس وجرأته على المناداة باسم المسيح وهو مقيَّد بسلسلة إلى يد الجندي الروماني المكلَّف رسمياً بمراقبته وتزويد المسئولين بأخبار يومية عن سلوك هذا المعتقل، هذا جعل كل الذين يسمعون كرازته يشتعلون جرأة وشجاعة بالمناداة بدورهم بالإنجيل. اسمعه وهو يعلِّق على ذلك: «وأكثر الإخوة، وهم واثقون في الرب بوثقي، يجترئون أكثر على التكلُّم بالكلمة بلا خوف.» (في١: ١٤)

الأسباب والظروف التي عطَّلت نظر القضية سنتين:

السبب الأول والأهم هو عدم مجيء مدَّعي الاتهام. وفي القانون الروماني لا يجوز أن يقدَّم المتهم إلى المحاكمة إلاَّ بحضور المدَّعين، وتكون المواجهة بينهما وجهاً لوجه. ومن حقيقة عدم معرفة يهود روما بأي شيء عن بولس الرسول وهو في أوائل الربيع سنة ٦٠م، نستدل أنه لم يتحرك أحد من رؤساء الكهنة للحضور.

أما السبب الثاني، فهو عدم تفرُّغ القاضي المنوط به بحث القضية قبل تقديمها للقيصر، أو حتى بسبب انشغال القيصر نفسه عن هذه القضايا الصغرى. ونحن رأينا في فيلكس الوالي منتهى الإهمال

والتعمُّد في إذلال المتهم ببقائه في السجن سنتين وهو مقيَّد دون أي مبرِّر، إلاَّ استرضاءً لليهود ومن أجل الرشاوي التي كان يحصل عليها إزاء ذلك. فالمماطلة في نظر القضايا هي حِرْفَة لدى القضاة المُغْرضين.

أما هذه المرة، فاليهود يعرفون تماماً أن القضية ليست لصالحهم، ولا بد أنه قد بلغ مسامعهم الحكم القاطع من فَستُوس وأغريباس الملك بأن بولس بريء، وأنه كان يمكن إخلاء سبيله لو لم يرفع دعواه لقيصر. هذا معناه أن فستوس سجل ذلك حتماً في محضر التحقيق الذي بعث به إلى السيد الأوغسطس! ومن المعروف أن القانون الروماني يستجيب لطلب مُدَّعي الاتهام بتأجيل القضية كيفما شاءوا، بحجة تجهيز الشهود واستحضارهم من أماكن نائية تبعد آلاف الأميال. فبولس الرسول متَّهم في سلوكه تجاه كل مجامع آسيا واليونان. ومن واقع دراسة محاضر قضايا ذلك الزمان عُرف أن فرصة التأجيل في المرة الواحدة تبلغ اثني عشر شهراً!

فإذا فرضنا أن أول بعثة اتهام لبولس الرسول وصلت روما في صيف سنة ٦١م لطلب رفع القضية، فإن نظر القضية عادة يكون في صيف سنة ٦٢م، والمدة بين الطلب والنظر في القضية، لإعداد القضية أمام القضاة، هي سنة.

وقد كان من أعجب الإجراءات القضائية في أيام حكومة نيرون وبحسب تعليمات القضاة أن يُنْظَر في كل رأس اتهام من الاتهامات بمفرده ويحكم فيه بمفرده قبل الدخول في أي اتهام ثانٍ(١١).

والمعروف أن اتهام السنهدريم الرسمي لبولس الرسول من واقع عريضة دعوى الاتهام يقع في ثلاثة رؤوس:

أولاً: مهيِّج فتنة بين اليهود في كل أنحاء الإمبراطورية. وبحسب القانون الروماني، يُعتبر هذا الفعل مقاومةً للإمبراطور نفسه.

ثانياً: مِقْدام شيعة (رأس ثورة) الناصريين.

ثالثاً: شَرَعَ (بالفعل) أن ينجِّس الهيكل. (مخالفة رسمية للقانون الروماني الذي يحمي العبادة اليهودية رسمياً).

وأخيراً يثبت تَرْتُلُس في عريضة الاتهام أن ليسياس الأمير تصرف ضد القانون الروماني، إذ

11. Suetonius (The Rom. Hist.) in Nero 15; cited by Conybeare, *op. cit.*, p. 685.

تعدى على سلطتنا في محاكمة المتهم بمقتضى قانوننا المصرَّح لنا باستخدامه لمحاكمة المخالفين لنظام عبادتنا: «... وقد شرع أن ينجس الهيكل أيضاً، أمسكناه وأردنا أن نحكم عليه (بالرجم طبعاً) حسب ناموسنا. فأقبل ليسياس الأمير بعنف شديد وأخذه من بين أيدينا وأمر المشتكين عليه أن يأتوا إليك (وهذا يكون تثقيلاً على المحكمة الرومانية ومخالفة لقوانينها).» (أع ٢٤: ٦-٨)

بهذا الاتهام القائم على ثلاث مخالفات ضد القانون الروماني تكون القضية ذات ثلاث جلسات لتفريغها من محتواها واتخاذ الأحكام المناسبة لكل واحدة منها، وهذا يقتضي أن القضية إذا كانت قد نُظِرَتْ في صيف سنة ٦١م، فلا بد أن تنتهي في صيف سنة ٦٣م، وهذا ما يتوافق مع رواية لوقا في سفر الأعمال.

وينبغي لنا شرح آخر آية سجلها لوقا المؤرخ والقديس الإنجيلي هكذا: «كارزاً بملكوت الله ومُعلِّماً بأمر الرب يسوع المسيح بكل مجاهرة بلا مانع»، بمعنى أنه كان يبشِّر ويعلِّم **دون أن يمنعه أحد**.

نشيد السلسلة:

آه يا بولس! مَنْ ذا كان يستطيع أن يسمعك ويراك
وأنت تُعلِّم بحرارة الروح وترفع يدك المثقلة بسلاسل الحديد
دون أن تهيج عواطفه فيسحَّ الدموع سحّاً؟
لقد كان صليل السلاسل في يديك يخطف القلوب خطفاً بل يخلعها من الصدور خلعاً...،
لقد زيَّنتَ صليبَ المسيح بسلسلتك وزدْتَه صِدْقاً وجمالاً وشموخاً...،
حينما كان ثقل السلسلة يُقعد يدك عن أن ترتفع إلى ما كنت تريد،
كانت القلوب ترتفع معها لتنطلق بخفة إلى السموات العُلاَ إلى قلب المسيح.
مَنْ ذا الذي كان يراك ولا يشتهي أن تُفكَّ السلسلة من يدك
لتُربَطَ في عنقه، ويكون هو الرابح؟
حينما كنت تقول: «لقد وُهِبَ لكم لا أن تؤمنوا به فقط بل أن تتألموا أيضاً من أجله»،
كان صليل السلسلة يقول آمين!
بل وكل ما قلتَ وكل ما علَّمتَ كانت السلسلة تُزيدُه صدقاً ويقيناً.
حينما كنت تعلِّم بحرية أولاد الله والحرية التي حرَّرنا بها المسيح والثبات في الحرية والسلاسل في يديك،
أعطيت للحرية أسمى معانيها وأغلى تضحياتها وأصدق ممارساتها.
الإنجيل كله، يا بولس، صِيغَ بمعنى جديد للحرية على صوت رنين السلاسل في يديك.

وحينما دافعت عن مسيحك أمام الولاة والملوك تمنيت لهم أن يكونوا أحراراً مثلك بلا قيود.
لقد حررت عبداً آبقاً بينما السلسلة في يدك: «أطلب إليك لأجل ابني أُنِيسِمُس الذي ولدتُه في قيودي.» (فل ١٠)
لقد صارت سلسلتك قِلادةً على صدر الإنجيل!!

المرافقون لبولس الرسول وهو في روما:

كانت تحيط به خليَّة من خدام النعمة الذين كانوا يحيطون به إحاطة النحلة الأمينة حول ملكتها:

لوقا: (كو٤: ١٤، فل٢٤) الطبيب الحبيب الذي يقصر اللسان عن وصف أمانته لبولس صديق قلبه ورفيق رحلاته وطبيب أمراضه.

تيموثاوس: (فل١، كو١: ١، في١: ١) الابن الصحيح الصريح.

تيخيكس: الأفسسي رفيق محبة وخدمة وسهر على حاجاته (كو٤: ٧، أف٦: ٢١).

مرقس: (فل٢٤) الابن الذي ابتعد قليلاً ليبقى دائماً، النافع للخدمة، والإنجيلي فيما بعد، والذي ظل أميناً لبولس حتى النهاية (٢تي٤: ١١).

ديماس: زميل خدمة وجهاد، الذي ضحى بالزائل ليفوز بالأبدي (فل٢٤، كو٤: ١٤).

أرِسْتَرْخس: Aristarchus زميل سجن وقيود (كو٤: ١٠، أع١٩: ٢٩، أع٢٧: ٢، فل٢٤) الذي خاطر بحياته في أفسس أثناء ثورة صاغة أرطاميس (أع١٩: ٢٩).

إبَفراس: Epaphras زميل السجن والقيود والخادم للمسيح (كو١: ٧، فل٢٣). وهو مكدوني من تسالونيكي وزميل رحلات بولس، وقد أصَرَّ على مرافقة بولس الرسول في نفس السفينة إلى روما. وهو غير إبَفراس الذي من كولوسي، وغير إبفرودتس Epaphroditus الذي من فيلبي، الذي حمل عطايا فيلبي على يديه إلى حبيبها بولس الذي لم تنساه قط في كل مكان ذهب إليه.

وأخيراً **أُنِيسِمُس** ذاك العبد الآبق من سيده فليمون، الذي عثر عليه بولس الرسول ولا نعلم كيف وصل إلى روما، وكيف انتشلته يد بولس الحانية من لعنة أوساط العبيد الوثنيين، ورفعته بالروح ليكون سيداً حرًّا وعبداً للمسيح بآن واحد. والعجب أن يردَّه بولس إلى سيده برسالة استعطاف ليقبله، فتحظى الكنيسة برسالة من أجمل الرسائل التي تحمل أدب المعاملة للعبيد. هكذا كانت رقة بولس واحترامه للحقوق والقوانين. وقد أرسله بولس الرسول مع تيخيكُس الذي طلع برحلة افتقاد لأهل كولوسي بآسيا ومعه أُنسيمس Onesimos ليسلّمه ليد سيده الذي يقيم في نفس المدينة.

الرسائل التي كتبها بولس الرسول وهو في الأسر الأول في روما
حُملت من روما في سنة ٦٢م

في السنتين اللتين قضاهما بولس الرسول في روما تحت الحبس لم يكن فيهما بعيداً عن مشاكل اليهود والانقسامات والأخبار التي كانت تَرِدُ إليه حاملةً أنباء انحراف كثيرٍ من المؤمنين نحو تعاليم فلسفية وربانية منحرفة. فكانت هذه سبباً في كتابة رسائل على أعلى مستوى لاهوتي فيما يخص المسيح الذي هو ملء الله ويحل فيه كل ملء الله (كو٢:٩)؛ ويملأ كل ما في السماء والأرض (أف٤:١٠)؛ الخالق الكل؛ والكلُّ ينجمع فيه (أف١:١٠)؛ وفيه يقوم الكل (كو١:١٧)، وكلها سلامية مملوءة محبة وفرحاً وحرارة روحية ونظراتٍ مشتعلة نحو الوطن الأفضل (في٣:٢٠) والاشتهاء للانطلاق للمسيح (في١:٢٣)، ولم تَخْلُ من حلولٍ لمشاكلهم على مستوى هادىء.

١ ــ الرسالة إلى فليمون:

أُرسلت بيد أُنِسيمُس. ربما كانت رغبة بولس الرسول في إعادة أُنسيمُس إلى سيده هي الدافع الأول لكتابة الرسالة إلى فليمون، وإلى كولوسي بآنٍ واحد. كان لأُنسيمس العبد الآبق من سيده مكانة في قلب بولس، ربما لبساطة هذا الإنسان وغيرته المقدسة في قبوله الإيمان والعماد. لذلك وجدها بولس الرسول فرصة ليبعث به ومعه رسالة إلى سيِّده فليمون الذي كان بولس يعرفه ويخدم كنيسته في بيته: «وإلى الكنيسة التي في بيتك» (فل٢). وقد نضحت الرسالة بالأدب الجم والرقة والعواطف النبيلة، وينكشف فيها خُلق بولس وحرصه الشديد على عدم المساس بمشاعر كلٍّ من العبد الهارب وحقوق السيد على عبده المُشْتَرَى بحسب القوانين الرومانية، وفيها يستظهر الإحساس المسيحي فوق مستوى حقوق القوانين بالنسبة للعبيد. فهو يقدم أُنسيمس بعد الإيمان إلى فليمون سيده باعتباره: «ابني أُنِسيمس الذي وَلَدْتُه في قيودي» (فل١٠)، «لا كعبدٍ في ما بعد بل أفضل من عبد: أخاً محبوباً ولا سيما إليَّ، فكم بالحري إليك في **الجسد** والرب جميعاً» (فل١٦)، يا للجمال!!! «فإن كنتَ تحسبني شريكاً (شريكاً لك في الإيمان والأُخوَّة) فاقبلْه نظيري» (فل١٧)، يا للبلاغة!!! «ثم إن كان قد ظلمك بشيء أو لك عليه دَيْن فاحسب ذلك عليَّ.» (فل١٨)

بولس كان له رجاء واثق بأنه سينجو من الاتهام وينال حريته سريعاً: «أعْدِدْ لي أيضاً منزلاً

لأني أرجو أنني بصلواتكم سأوهَبَ لكم» (فل٢٢). وكم كانت فرحة أُنسيمس بعودته إلى سيده فليمون، حائزاً على الإيمان بالرب يسوع وصداقة بولس الرسول. و بوصوله مع تيخيكُس، انطلق هو إلى سيده، أما تيخيكُس فسلَّم الرسالة إلى كهنة كولوسي.

٢ ــ الرسالة إلى كولوسي سنة ٦٢م:

أرسلها هي والرسالة إلى أفسس بيد تيخيكُس، وكان أُنسيمس يرافقه. وكان قد زار بولسَ في سجن روما أحد مؤمني كنيسة كولوسي وهو أبَفْراس (كو١: ٧و٨)، وحمل إليه أخبار انحراف بعض المؤمنين وراء تعاليم الفلسفة المسيحية(١٢) بخصوص توسط ملائكة وخلائق أخرى وتعاليم سرية مخلوطة بتعاليم اليهود الربيين النسكية المعروفة بالثيئوصوفية Theosophy من جهة السبت والأعياد، لكي تملأ الفراغ بين الله والإنسان. فكان هذا الخبر يشغل قلب بولس الرسول، ومن روما أرسل لهم رسالة بيد تيخيكس وأُنسيمس يناقش موضوع هذه الهرطقة **ويملأ كل الفراغ الذي في فكرهم بالمسيح، والمسيح فقط هو الذي يملأ كل فراغ بين الله والإنسان. فالمسيح هو الملء وهو:**

«بكرُ (أي سابق) كل خليقة، فإنه فيه خُلِقَ الكلُّ ما في السموات وما على الأرض، ما يُرى وما لا يُرى، سواء كان عروشاً أم سيادات أم رياسات أم سلاطين، الكلُّ به وله قد خُلِقَ، الذي هو قبل كل شيء وفيه يقوم الكل، ... لأن فيه سُرَّ أن **يحل كل الملء**، وأن يصالح به الكل لنفسه، عاملاً الصلح بدم صليبه، بواسطته، سواء كان ما على الأرض أم ما في السموات ... قد صالحكم الآن في جسم بشريته ... **إن ثَبَتُّم على الإيمان متأسِّسين وراسخين وغير منتقلين عن رجاء الإنجيل الذي سمعتموه المكروز به في كل الخليقة التي تحت السماء**، ... السر المكتوم منذ الدهور ومنذ الأجيال، لكنه الآن قد أُظهِرَ لقديسيه الذين أراد الله أن يعرِّفهم **ما هو غنى مجد هذا السر في الأمم الذي هو المسيح فيكم رجاء المجد**، الذي ننادي به **مُنذرين** كل إنسان ومُعلِّمين كل إنسان **بكل حكمة**، لكي نُحضِرَ كل إنسان **كاملاً في المسيح يسوع**.» (كو١: ١٥ــ٢٨)

«... **لمعرفة سر الله الآب (في) والمسيح المُذخَر فيه جميع كنوز الحكمة والعلم (γνώσεως)**. وإنما أقول هذا **لئلا يخدعكم أحد بكلام مَلِقٍ** ... انظروا أن لا يكون أحد يسبيكم بالفلسفة وبغرور باطل حسب تقليد الناس حسب **أركان العالم وليس حسب المسيح**.

---

(١٢) يرجح بعض العلماء أن هذه الفلسفة هي لفيلو اليهودي، وهي مخلوطة بالتصوف لبعض الربيين اليهود الإسكندريين أيضاً والتي عُرفت فيما بعد بتعاليم الكابّالا Cabbala.

فإنه فيه يحلُّ كل ملء اللاهوت جسدياً وأنتم مملوؤون فيه.» (كو٢: ٢—١٠)

«فلا يحكم عليكم أحد في أكل أو شرب أو من جهة عيد أو هلال أو سبت التي هي ظل الأمور العتيدة، وأما الجسد فللمسيح. لا يُخَسِّركم أحد الجعالة راغباً في التواضع وعبادة الملائكة متداخلاً في ما لم ينظره منتفخاً باطلاً من قِبَلِ ذهنه الجسدي ... فلماذا كأنكم عائشون في العالم تُفْرَضُ عليكم فرائض لا تمس ولا تذُقْ ولا تجُسَّ التي هي جميعها للفناء في الاستعمال، حسب وصايا وتعاليم الناس، التي لها حكاية حكمة بعبادة نافلة ... ليس بقيمة ما ...» (كو٢: ١٦—٢٣)

٣ ــ الرسالة إلى أفسس(١٣)، بيد تيخيكس سنة ٦٢م:

وهي ثالث رسالة يكتبها بولس الرسول من روما. لقد كان غرض بولس الرسول من مراسلة أهل أفسس هو كشف السر الأعظم المحفوظ عند الله منذ الدهور والمكتوم (أف٣: ٩)، ولم يُعرَّف به أحد إلَّا الرسل والأنبياء بالروح (أف٣: ٥)، وهو السر المعلن في الإنجيل (٦: ٣). ويتلخص في خطة خلاص الناس بدون تفريق بين يهود وأمم، وذلك عن طريق اتحادهما معاً في شخص المسيح (أف٢: ١٤—١٨) برباط سري إلهي لا ينحل، يجعلهما جسداً سرِّياً واحداً في المسيح، هو هو الكنيسة، حيث الكنيسة والمسيح يصيران كعروس وعريس (أف٥: ٢٣—٣٢)، وهذا الاتحاد السرِّي، كم لمَّح عنه الأنبياء بل كم سبَّحوا وألَّفوا المزامير والأناشيد، فكل مزامير داود تدور حول هذا السر، بل وسفر نشيد الأنشاد هو هتاف الحب المتبادل بين الكنيسة والمسيح.

وكلمات السر في هذه الرسالة التي تكشف عن خط فكر بولس الممتد في هذا الاستعلان الواحد هي: الكنيسة، الجسد، السرُّ، الرأس. ويربط بولس الرسول بين المسيحيين والمسيح بحرف واحد يلحُّ عليه كل الإلحاح وهو «σύν = مع» الذي هو باليونانية حرف التحام وتوافق يتغلغل الطبائع حتى يوحِّدها.

---

(١٣) لم نشأ أن نربك ذهن القارىء بخصوص البحث في اسم هذه الرسالة، فالمتفق عليه الآن بين العلماء أن اسمها الأصلي هو الرسالة إلى اللاودكيين Laodiceans. بل إن بولس الرسول أرسلها إلى اللاودكيين دون ذكر الاسم أصلاً حتى تُقرأ في كل تلك النواحي التي أرسل إليها تيخيكس ليفتقدها فيكون معه هذه الرسالة لكل جماعة يمر بها. ولكنها استقرت في كنيسة أفسس فسُمِّيت باسم الرسالة إلى أفسس.

و يُرجَع في ذلك إلى القديس باسيليوس الذي قرر أنه رأى المخطوطات الأصلية بدون ذكر اسم أفسس. وأكَّد قول القديس باسيليوس كلٌّ من القديس جيروم والقديس إبيفانيوس والعلامة ترتليانوس.

Conybeare, op. cit., p. 702-705.

كما ينحت اصطلاحاً خاصاً يعبِّر به عن التواجد المتبادل على مستوى الطبائع وهو «في المسيح = ἐν Χριστῷ» على مستوى استعلان المسيح في إنجيل يوحنا: «أنتم فيَّ وأنا فيكم.» (يو١٤: ٢٠)

هذه الرسالة تشبه إلى حد كبير الرسالة إلى كولوسي، وهي تحمل نفس التعاليم الخاصة بتفوُّق الرب يسوع المسيح على كل تصوُّر، مهما علا، فهو كائن قبل تأسيس العالم، وفيه قد تم اختيار كلِّ المدعوين للحياة الأبدية (١: ٤)، بل وتباركوا قبل أن يكونوا وقبل أن يكون العالم. وهنا، فالصلة التي تربط المختارين بالمسيح والله هي فائقة على الزمن وكل الخلائق مهما كانت، دون وسيط. كما أوضح فيها بولس الرسول سَبْقَ التعيين بالنسبة للذين أحبهم الله وتبنَّاهم، في فكر الله قبل الفعل، وذلك كله حينما يُسْتَعْلَن بالتكميل الفعلي فيزداد المديح لمجد الله ولحكمته وغناه في المجد، وهذا يؤكده يعقوب الجليل في الرسل: «معلومة عند الرب منذ الأزل جميع أعماله.» (أع ١٥: ١٨)

ويكرر بولس الرسول كيف أنه بارتفاع المسيح فوق أعلى السموات، بعد أن أكمل الفداء بدمه وضمن الخلاص والميراث لمختاريه، أُخضعت كل القوات المعاكسة تحت قدميه، وصار المسيح رأس «جسد» الخليقة الجديدة الذي سمَّاه الكنيسة (١: ٢٢و٢٣)، وهو في هذه الرسالة يذكر ويكرر أن الخلاص الذي تم هو فوق تصوُّر الإنسان، فهو نعمة تفوق كل أعمال الإنسان (٢: ٥)، ويكشف بولس الرسول عن محبة الله (٢: ٤) التي نقلتنا من موت الخطية إلى الحياة مع المسيح، إذ جعلنا الله بالإيمان به شركاء في موته وقيامته وصعوده وجلوسه في السموات (٢: ٦) لنأخذ ونشترك في مجده.

وهو يوضح للأمم أن المسيح صار واسطة اتحاد أبدي للإنسان، فلا يهودي ولا يوناني بل جسد واحد ورعية واحدة لقدِّيسي الله (٢: ١٩)، وكنيسة واحدة روحية مؤسَّسة على المسيح والرسل والأنبياء.

ثم يعلن عامة وللجميع عن السرِّ الذي استُؤمن عليه شخصياً (٣: ٣)، وهو سِرُّ الله من نحو استعلان بنوَّة المسيح لله وما صنعه في المسيح، سواء بتجسده أو موته وقيامته وحصولنا على شركة عامة نحن المفدين ــ أمماً ويهوداً ــ في جسد المسيح وميراثه السماوي وحبه. ثم يدعونا إلى سَبْر غَوْر محبته التي لا يمكن أن نصل فيها إلى قرار، فهي ممتدة حتى ملء الله (٣: ١٩).

ثم يختم الرسالة بتعاليم عن التواضع والوداعة والمحبة (٤: ٢) لتتم الوحدة والاتحاد معاً وبالمسيح. ويوضح بولس الرسول في هذه الرسالة تعدُّد مواهب الخدمة (٤: ١١) حسب قياس إيمان

كل واحد وحسب غنى عطاء الله للكنيسة لكي تخدم بكل المواهب في أُلفة واتحاد لبلوغ ما هو للمسيح حقاً (٤: ١٢—١٦)، وفيها يحض بولس الرسول المؤمنين على الامتلاء بالروح القدس (٥: ١٨)، والترتيل الروحي وبالقلب من القلب (٥: ١٩)، لأن هذا هو عنصر التكميل الذي به تبلغ الكنيسة كمال سرِّها وحبها في المسيح.

ويتكلم بولس الرسول عن سر الزيجة (٥: ٢٢—٣٣) ويكرِّمه أعظم تكريم، ويجعله مسئولية كبرى على الرجل، فهو (إن كان يبدأ بمحبة عاطفية ونفسانية وجسدية) يلزم ويتحتم أن يستمر على مستوى المحبة الروحية القائمة على البذل والتضحية، لا على العواطف الجسدية وحسب، حيث على الرجل البذل مع الحب والاحتمال، وعلى المرأة التفاهم والخضوع. فإن كان الرجل العنصر الأقوى فهو الأكثر عطاءً، وإن كانت المرأة هي الأضعف فهي الأكثر مسئولية للتوافق والمجاملة. على أن السرَّ الذي يجمعهما هو سرٌّ ممتد ليس بطول الحياة فقط بل وممتد إلى الأبد في النسل الذي يحمل آثار ونتيجة حبهما وبذلهما وتوافقهما معاً. فسرُّ الزيجة هو سر النسل المقدس والصالح المتجذِّر من والممتد إلى الكنيسة، والكنيسة ممتدة بأولادها حتى إلى السماء، فهي كنيسة خالدة.

ولكن الذي يسترعي انتباه القارىء المدقِّق هو الأوصاف الحربية التي يصف بها بولس الرسول الإنسان المسيحي بصفته جندياً ليسوع المسيح يحارب حروب الرب ضد الشيطان وأعوانه، وهو يصف كل المعدَّات والأسلحة التي يستخدمها الجندي للمسيح، بأسماء حربية ولكن بمدلول روحي: كسيف الروح ودرع الإيمان وخوذة الخلاص ...إلخ (٦: ١٤—١٧). ويستقرىء الشُرَّاح من ذلك أن بولس الرسول كان متأثراً بمنظر الجندي الذي يرافقه يداً بيد ممسوكاً بسلسلة، وأمامه قشلاقات الجنود الرومان المحيطة بمقر الإمبراطور الحربي الذي اسمه البريتوريوم.

وطبعاً واضح من قول بولس الرسول في رسالته إلى فيلبي، أن مقر سكن بولس كان واقعاً في ذات المنطقة، وأنه كان على مرمى من مقر الإمبراطور: «حتى إن وُثُقي صارت ظاهرة في المسيح في كل دار الولاية "البريتوريوم"» (في ١: ١٣). ودار الولاية كان هو المسمى باللاتينية Palatium، وهو أصلاً اسم التلّ المبني عليه، وصار معروفاً بالبالاتين Palatine، وعلى أيام بولس الرسول كان هذا الاسم أشهر وأخطر اسم على وجه الأرض، حيث منه كانت تخرج جميع الأحكام والقرارات التي كانت تهزّ العالم. وكان من أفخم العمارات الموجودة على وجه الأرض، وكان يوجد على قاعدته من أسفل الحجر الذهبي، مركز القياس الذي تخرج منه جميع طرق العالم Golden Mile-Stone واسمه اللاتيني Millarium-Autum، وقد اكتُشف وجوده حديثاً. ومن هذا المركز كانت تنطلق الرسائل البريدية الإمبراطورية، يحملها أسرع رجال البريد الفرسان إلى

كافة أقطار العالم لولاة الأقاليم والعواصم حتى أطراف الحدود الرومانية بنظام دقيق مُحْكَم(١٤).

٤ ــ الرسالة إلى فيلبي بيد أبَفْرودتس سنة ٦٢م:

وهي آخر رسالة يكتبها بولس الرسول أثناء سجنه الأول في روما. ومعروف أن بولس الرسول كتب هذه الرسالة بعد أن حضر إليه أبَفْرودتس من فيلبي حاملاً إليه تبرعات القديسين السخية للصرف منها على أعوازه والخدمة، لأنهم علموا أنه أسيرٌ ولا يستطيع العمل بيديه كالأول، فكانت هي الكنيسة الوحيدة التي لها مثل هذه الشمائل والصفات المسيحية. وقد أعطاها لأبَفْرودتس نفسه ليعود بها إلى كنيسته. وأبَفْرودتس كان من مقدِّمي الكهنة في فيلبي. ولقد عانى في رحلته مرضاً قارب فيه الموت: «ولكني حسبتُ من اللازم أن أُرسل إليكم أبَفْرودتس أخي، والعامل معي، والمتجنِّد معي، ورسولكم والخادم لحاجتي، إذ كان مشتاقاً إلى جميعكم ومغموماً لأنكم سمعتم أنه كان مريضاً، فإنه مرض قريباً من الموت لكن الله رحمه، ليس إياه وحده بل إياي أيضاً لئلا يكون لي حزنٌ على حزن. فأرسلتُه إليكم بأوفر سرعة، حتى إذا رأيتموه تفرحون أيضاً وأكون أنا أقلَّ حزناً. فاقبلوه في الرب بكل فرح، وليكن مثله مكرماً عندكم لأنه من أجل عمل المسيح قارب الموت مُخاطراً بنفسه لكي يجبر نقصان خدمتكم لي.» (في٢: ٢٥ــ٣٠)

وهكذا ذهب أبَفْرودتس بهذه الرسالة بعد أن سلَّم بولس وديعة أهل فيلبي، لأن بولس الرسول لم يشأ أن يعطل أبَفْرودتس الكاهن عن خدمة كنيسته.

ووعدهم بإرسال تيموثاوس مرة أخرى ليعلم أحوالهم ويطمئنه على كل ظروفهم: «على أني أرجو في الرب يسوع أن أُرسل إليكم سريعاً تيموثاوس لكي تطيب نفسي إذا عرفتُ أحوالكم.» (في٢: ١٩)

وقد جاءت هذه الرسالة خالية من الجدل والمناقشات. إذ كان فكره فيها متجهاً نحو مجيء الرب، لذلك سَمَتْ روحه وآماله للإقامة في السموات واستهان بالموت: «لي الحياة هي المسيح والموت هو ربح» (في١: ٢١) واشتهى الانطلاق:

+ «لي اشتهاء أن أنطلق وأكون مع المسيح ذاك أفضل جداً» (في١: ٢٣)؛
+ «أسعى نحو الغرض لأجل جعالة دعوة الله العليا في المسيح يسوع» (في٣: ١٤)؛
+ «فإن سيرتنا نحن هي في السموات التي منها أيضاً ننتظر مخلصاً هو الرب يسوع المسيح

---

14. Conybeare, *op. cit.*, p. 721.

الذي سيغير شكل جسد تواضعنا ليكون على صورة جسد مجده بحسب عمل استطاعته أن يُخضع لنفسه كل شيء» (في ٣: ٢٠ و٢١)،

+ «افرحوا في الرب كل حين وأقول أيضاً افرحوا ... لا تهتموا بشيء بل في كل شيء بالصلاة والدعاء مع الشكر لتُعلَم طلباتكم لدى الله.» (في ٤: ٤ و٦)

وفي هذه الرسالة وبدون مقدمات، أعطى بولس الرسول أحد أهم التعريفات الدقيقة والشاملة لتجسد المسيح ولاهوته ومساواته في الجوهر الإلهي بالآب وطاعته حتى الموت وارتفاعه إلى أعلى السموات ليملأ الكل بملئه الإلهي (في ٢: ٦-١١).

كما كان بولس الرسول واثقاً من تبرئته وإمكانية استعادة أسفاره: **«وأثق بالرب أني أنا أيضاً سآتي إليكم سريعاً.»** (في ٢: ٢٤)

إن أهم ما بلغ نظرنا في هذه الرسالة (فيلبي) تصريح بولس الرسول بخصوص تعرُّفه على الحرس الذي يحيط به ونجاحه في نشر كلمة الإنجيل وتعميد مؤمنين جدد:

+ «ثم أريد أن تعلموا أيها الإخوة أن أموري قد آلت أكثر إلى تقدم الإنجيل، حتى إن وُثُقي صارت ظاهرة في المسيح في كل دار الولاية (قشلاقات المعسكر الروماني المركزي في روما وكذلك مقر الإمبراطور العسكري) وفي باقي الأماكن أجمع. وأكثر الإخوة وهم واثقون في الرب بوُثُقي يجترئون أكثر على التكلم بالكلمة **بلا خوف**.» (في ١: ١٢-١٤)

ولكن الرب آزر هذا الرسول القديس الأسير أن يخترق **«بيت قيصر»** ويعمِّد فيه أشخاصاً مهمِّين، يمسك عن أن يذكر أسماءهم. ولكنه يرسل تحياتهم إلى أهل فيلبي: «يسلِّم عليكم جميع القديسين ولا سيما الذين من بيت قيصر.» (في ٤: ٢٢)

ثم ينبغي أن لا يغيب عن بالنا أن الحارس الذي يحرس بولس يتغير بالوردية، فربما في الأسبوع الواحد يتغير مرتين أو ثلاثة، وهكذا استلمهم بولس الرسول واحداً وراء الآخر حتى كوَّن داخل المعسكر المركزي إخوة على المستوى المسيحي وربما يكون قد عمَّد منهم الكثير. كذلك لا يغيب عن البال أن بعض هؤلاء الحُرَّاس وصلت نوبتجيتهم إلى داخل بيت قيصر، فدخلت معهم العلاقات مع بولس الرسول، وهكذا صار لبولس معمَّدون مسيحيون داخل «بيت قيصر». وقيصر الآن هو **«نيرون»**. لقد نفذت صلوات بولس وترنيماته في الأسْر إلى القلب الروماني الصخري وحوَّلته إلى لحم يقطر عطفاً وحباً ومودة. ولو علم القارىء مستوى المساوىء الأخلاقية المنحطة التي بلغ إليها الإمبراطور نيرون والمفاسد التي وصفها المؤرخون بكل عدم حياء التي يتقزز منها أي ضمير لأي من

هؤلاء المحيطين بهذا السيد القذر، لنعلم ماذا يمكن أن تكون حالتهم وتصوراتهم وتفكيرهم وانذهالهم بأخلاق بولس الرسول وتعاليمه عن السيد القدوس! بولس كان في روما كنبع عذب وسط بِرْكة من الماء الأجاج، من استقى منها مرَّة عاد إليها ألف مرة.

ولكن هذه النفوس التي استقت وارتوت وفاضت أنهاراً حية سواء خارج القصر أو داخله، بعد أن شهدت شهادتها السرية، شهدت أيضاً شهادتها العلنية. فما أن جاء عام ٦٤م، حتى اكتشف نيرون سر هذه الخلايا التي تسرَّب إليها نور المسيح وحرية أبناء الله، فصنع منهم شموعاً تحترق بالشهادة إذ أشعل النار فيهم ليضيء بهم حدائق الفاتيكان في ذلك الزمان(١٥). ولكن إن كان نور حريق أجسادهم قد خبا بعد ساعة أو بضع الساعة، فنور شهادتهم وأرواحهم قد مسَّت قلب روما واشتعلت في أساسات البريتوريوم، وحتى جدران الفاتيكان التقطت النار الإلهية، وها هي تَقِيدُ وستَقِيدُ مهما امتد الزمان إلى المزيد والمديد.

والذي يشك في أثر بولس الطاغي على روما والعالم بعد روما، عليه أن يقرأ مدوَّنات وحَوْليات المؤرخ الروماني الوثني المدقق كورنيليوس تاسيتُس (٥٥-١٢٠م) الذي أرَّخ للعصر الروماني، والذي عاصر بولس في سجنه وكرازته من سجنه ليرى صورة المدنيَّة الرومانية، آنذاك في أَوْج عصورها الفلسفية وهي تغوص في الفساد والوحل والنجاسة والبهيمية والقسوة الوحشية، ثم يلقي نظرة على المدنيَّة المسيحية التي اكتست بها روما والعالم من بعد أن انتشر نور الإنجيل الذي كرز به بولس الرسول تحت جدران قصر البالاتين وبجوار أسوار الفاتيكان.

15. Tacitus, *Annals,* xv.44 (year 64).

الفصل السادس

بقية حياة بولس الرسول

بعد نهاية سفر أعمال الرسل

الآن وقد ألقى القديس لوقا القلم وطوى صفحات الرقوق التي خطّها تحت اسم سفر الأعمال، نكون قد فقدنا الشمعة التي أضاءت لنا المسير في إثر خطوات ذلك الرسول الذي ملأت خطواته أقطار العالم القديم.

ولكن علينا أن نتحسس خطانا، ليس بعدُ على نور إلهام الرسل والإنجيليين كاتبين ومؤرخين وكارزين ومعلمين، لأن هذا عصرهم، وهذا عصرنا فيما بعد الرسل الفاقد الإلهام والإعجاز، ولكنه لا يفقد نور الله الذي يملأ القلوب ويقود الأفكار والأرواح.

والآن لم يتبقَّ لنا من بعد انتهاء سفر الأعمال إلاَّ ما نستقرؤه مما كتب بولس الرسول بعد ما انتهى إليه لوقا، وهما رسالتان لتيموثاوس ورسالة لتيطس، وبالشحّ أيضاً نضيف عليهما جملة واحدة فلتت من تحت يد كِلِمَنْدُس الذي كان تلميذاً لبولس الرسول وصار أسقفاً على كنيسة روما. كما نعثر على كلمات مبعثرة داخل التقليد الكنسي الموروث تعيننا على السير في هذا الطريق.

متى أُطلق سراح بولس الرسول؟ مارس سنة ٦٢م[1]

آخر ما تلقينا من القديس لوقا في تتبُّعه لسجن بولس الرسول أنه قضى سنتين تحت الأسر في سجن روما (أع٢٨: ١٦)، ثم تركنا حائرين في هل أكملهما بالإطلاق أم بالانطلاق؟

ولكن صوت الكنيسة في التقليد يقول إن دفاع بولس الرسول أمام قيصر انتهى بالبراءة والإفراج ولم تثبت عليه أيٌّ من الإدانات التي قدمها اليهود، وأنه قضى عدة سنين حرًّا يتنقل بين

1. David Smith, *op. cit.*, p. 660.

الكنائس، ولكنهم عادوا وألقوا عليه القبض وسُجن، ولكن ليس بعد تحت إدانات يهودية، ثم حُكِمَ عليه.

ومع أن الأدلة والإثباتات على ذلك ليست كثيرة ولكنها مُقنعة. وأحد هذه الإثباتات المأخوذ بها والتي يُعوَّل عليها في عُرْف الكنيسة وتقليدها، تلك الشهادة التي قدمها القديس كلمندس الروماني سنة ٩٤م في رسالته الأولى إلى كورنثوس الفصل الخامس، والتي يقرر فيها أن بولس الرسول «خدم حتى أقصى الغرب»(٢). علماً بأن القديس كلمندس قال هذا وهو في روما، فكان يقصد بحسب فكر الكنيسة وبحسب سَبْق وعد بولس الرسول بأنه سيذهب إلى أسبانيا بعد روما، أن بولس الرسول بعد أن نال الإفراج والحرية مضى بالفعل إلى أسبانيا. وأما بخصوص وعد بولس الرسول بأنه يمضي إلى أسبانيا، فقد جاء ذلك في رسالته إلى رومية هكذا: «فعندما أذهب إلى **أسبانيا** آتي إليكم لأني أرجو أن أراكم في مروري وتشيّعوني إلى هناك ... فمتى أكملت ذلك (الخدمة في أورشليم) وختمت لهم هذا الثمر فسأمضي ماراً بكم إلى **أسبانيا**» (رو١٥: ٢٤و٢٨). فيكون القديس كلمندس الروماني، بقوله المذكور هذا، قد اعتبر أن بولس الرسول قد تم غرضه الأول بزيارة أسبانيا.

أما الشهادة الثانية فتأتي عَرَضاً في القانون الموراتوري الذي يرقى تاريخه إلى ١٨٠م الخاص بالكتب المقدسة، حيث تقول إنه: [بخصوص أعمال الرسل فإن لوقا يقص على ثاوفيلس الحوادث التي كان فيها شاهد عيان، كما في موضوع آخر أيضاً (كتنبؤ الرب لبطرس أي لو٢٢: ٣١—٣٣) يشير على ما يظهر إلى استشهاد القديس بطرس **ولكنه يُسْقِط رحلة بولس الرسول من روما إلى أسبانيا.**](٣)

كما يقول المؤرخ يوسابيوس القيصري: «بعد ما دافع بولس عن نفسه بنجاح فإنه، بحسب ما ورد لنا بالتتابع، فإن الرسول ذهب ثانية يبشر بالإنجيل، وبعد ذلك جاء إلى روما مرة ثانية واستشهد تحت حكم نيرون» («التاريخ الكنسي» ليوسابيوس القيصري، II:22).

بعد ذلك لدينا شهادة من القديس يوحنا ذهبي الفم الذي يقول إنها حقيقة تاريخية ثابتة في الكنيسة، أن بولس الرسول بعد إقامته في روما انطلق إلى أسبانيا. كما يمدُّنا العلاَّمة جيروم بشهادة

---

2. 1 Clement, *Ad Corinth* 5:1-7.

3. Cardinal L.A. Muratori 1740; cited by Bruce, *Paul: Apostle of the Heart Set Free*, p. 449.

هذه الوثيقة الهامة اكتشفت سنة ١٧٤٠م في مكتبة أمبروزيان في ميلان، وكاتبها غير معروف، ولكنه يقول إنه رفيق بيوس أسقف روما (١٤٣—١٥٧م)، وكتبت في روما بعد موت بيوس، تقريباً سنة ١٧٠م.

مماثلة يقول فيها: إن بولس طُرِدَ من روما بواسطة نيرون وكان ذلك لكي لا يبشر بالإنجيل في الغرب(٤).

ولكن لعل أوضح شهادة جاءتنا من الأسقف ثيؤذور الذي من مبسوستا وقد عاش ما بين سنتي ٣٥٠–٤٢٨م، وهو لاهوتي أنطاكي وشارح للإنجيل، وهو صديق ذهبي الفم وزميل دراسة. وقد حاز على شهرة فائقة بعلمه، ولكنه كان يميل إلى البيلاجية(*)، وقد أدين في مجمع أفسس ٤٣١م، وفي مجمع القسطنطينية ٥٥٣م. ويقول عن بولس الرسول:

[القديس بولس زار روما مرتين أثناء حكم نيرون. المرة الأولى بعد المحاكمة أمام فستوس في اليهودية ... وسيق مكبَّلاً بالسلاسل إلى روما، وهناك بعد أن أطلق نيرون سراحه أمره أن يذهب بسلام، ومكث في روما سنتين وبعدها غادر روما، وقد وعظ وعلم كثيرين بعقيدة التقوى. ولكن في مناسبة ثانية زار روما وأثناء ما هو هناك حدث أن حوكم أمام نيرون وصدر ضده حكم العقوبة الكبرى كونه يعلم التقوى (المسيحية).](٥)

وإزاء هذه الشهادات الكنسية الموثوق بها، لم يَقُم معترض ولا قدَّم أحد برهاناً على عدم صدقها.

شهادة الكنيسة بإطلاق سراح بولس الرسول تصير معتمدة باعتمادها رسائله الراعوية أنها منسوبة إليه:

الكنيسة التقليدية اعتمدت صحة نسبة الرسائل الراعوية لبولس الرسول، وبذلك صارت هذه الرسائل أقوى الأدلة على إطلاق سراح بولس بالبراءة بعد الحبس الأول وخروجه من روما ليكرز عدة سنوات أخرى.

والآن إذا ما استقر بنا الرأي على صحة تاريخ كتابة هذه الرسائل الثلاث ليوافق تاريخ ما بعد انتهاء محاكمة بولس الرسول في روما في سجنه الأول، تكون هذه الرسائل بالفعل هي وثيقة تثبت صحة تقليد الكنيسة بأن بولس الرسول حوكم وأُفرج عنه واستأنف خدمته ورحلاته وكتابة رسائله!

4. Conybeare, *op. cit.*, p. 739 n4.

(*) البيلاجية (نسبة إلى بيلاجيوس) هرطقة ظهرت في أوساط الكنيسة الغربية في أواخر القرن الرابع وأوائل القرن الخامس. وتتلخص أفكارها في التأكيد على أن الإنسان يمكنه أن يخطو نحو الخلاص بمجهوداته البشرية الخاصة بمعزل عن النعمة الإلهية. وقد أنكرت ما كانت تعلِّم به الكنيسة الغربية من أن خطيئة آدم قد انتقلت إلى البشرية بالولادة. وقد أدينت هذه الهرطقة في مجامع الكنيسة الغربية سنة ٤١١م في مجمع عقد بقرطاجنة.

5. Theod. of Mops., *Ad Ephes. Argumentum*, cited by David Smith, *op. cit.*, p. 586.

تاريخ كتابة الرسائل الراعوية المنسوبة لبولس الرسول:

١ – في البداية ينبغي أن يعرف القارىء أن الرسالتين إلى تيموثاوس، والرسالة إلى تيطس كُتبت في تاريخ واحد. هذا يؤيده التشابه الكبير بين هذه الرسائل في اللغة، والموضوع، ونسق الكتابة، وفي حالة الكنيسة التي يكتب لها القديس بولس. كما تتحد هذه الثلاث الرسائل في وجود عناصر خاصة بها غير موجودة في بقية الرسائل التي لبولس الرسول، علماً بأن هذه النقاط قد استقر عليها جميع العلماء وحتى النقاد والمعارضين.

إذاً، فنحن إذا استطعنا أن نثبت تاريخ أيٍّ من هذه الرسائل فتكون بقية الرسائل قد أُثبت تاريخها بالتالي.

٢ – هذه الثلاث الرسائل كُتِبَتْ بعد أن تعرَّف بولس الرسول على أبلُّوس شخصياً، وهذا لم يتم إلَّا بعد أن غادر بولس الرسول أفسس، بدليل: «ثم أقبل إلى أفسس يهودي اسمه أبلُّوس، إسكندري الجنس، رجل فصيح، مُقتدر في الكتب» (أع١٨: ٢٤). هذا كان بعد أن غادرها بولس، علماً بأن الذي عرَّف أبلُّوس الإيمان المسيحي وعمَّده في أفسس هما أكيلا وبريسكلا، والذي عرَّف هذين الإيمان المسيحي وعمَّدهما هو بولس الرسول. ثم نسمع بعد ذلك بمدة طويلة، أن بولس الرسول بدأ يستخدم أبلُّوس في الرحلات التبشيرية ليكرز بالإنجيل، ويتضح هذا من رسالة بولس الرسول إلى تيطس: «جهِّز زيناس الناموسي وأبلُّوس باجتهاد للسفر حتى لا يعوزهما شيء» (تي٣: ١٣). فمتى كان ذلك؟

٣ – وبما أنه لم يُذكر هذا عن أبلُّوس في سفر الأعمال كله، أي أنه يكرز لحساب بولس وتدبيره، إذاً فهذه الرسالة إلى تيطس تكون قد كُتبت بعد انتهاء كل أعمال بولس المذكورة في سفر الأعمال.

٤ – كذلك لا يوجد في المسافة الزمنية بين تَرْك بولس الرسول لأفسس وبين القبض عليه وترحيله إلى روما، أي مكان أو فُسحة لكتابة هذه الرسائل سواء إلى تيطس أو إلى تيموثاوس.

٥ – لا توجد أية مناسبة تاريخية في رحلات بولس الرسول كلها تصلح أن تُدَسّ فيها كتابة هذه الثلاث الرسائل معاً في وقت واحد. وواضح أن سجن بولس الرسول في روما هو الفَرْض الواضح المعقول في جميع الفروض المطروحة، لأن افتراض كتابة ثلاث رسائل في وقت واحد يضيِّق الخناق على أي فَرْض آخر طرحه العلماء وفشلوا في إثباته.

٦ – ولكن فترة سجنه الأول تخلو من هذه الإمكانية، كما رأينا كيف غطَّت هذه الفترة كتابة

الأربع الرسائل السالفة فقط. والذي يؤكد ذلك، الاختلاف في اللغة والمضمون وحال الكنيسة وترتيب الرسالة في التأليف، وذلك بين الأربع الرسائل التي كُتبت في فترة سجنه الأول وبين الثلاث الرسائل التي كتبها بعد ذلك، مما يؤكد مرور فترة زمنية كبيرة لا تقل عن أربع أو خمس سنوات من التغيير في كل شيء حتى تتلاءم الرسائل مع حال الكنيسة ومتطلباتها بالصيغة التي كُتبت بها هذه الرسائل.

٧ ــ حالة الكنائس التنظيمية من حيث ترتيب رسامة أساقفة وكهنة وشمامسة، وتنظيم وتحديد عمل كل فئة، وشروط رسامة كل فئة؛ كل هذا يوضح بجلاء صارخ أن الكنيسة امتدت في العمر وأصبحت ذات وضع وشكل يختلف تماماً عن الكنيسة الأُولى التي كانت بلا تنظيم أو ترتيب. كذلك تدقيق بولس الرسول في الرسامات أن لا يكون الأسقف أو الكاهن حديث الإيمان، يوضح هنا أن الكنيسة دخلت في الزمن وصارت الخدمة والخبرة تُقَاس بكثرة السنين. كذلك اكتتاب الأرامل في كشف الكنيسة بحسب أقدميتهن وأعمالهن السابقة، وأن تكون الأرملة قد ربَّت الأولاد، كم سنة؟ أضافت الغرباء، غسلت أرجل القديسين، ساعدت المتضايقين اتَّبعت كل عمل صالح، كم من السنين؟ أما الأرامل الحدثات فارفضهن!

٨ ــ الهرطقات التي تعرَّض لها بولس الرسول في الثلاث الرسائل واضح أنها هرطقات لا تتناسب مع عصور الكنيسة في البداية. فبولس الرسول يعرض لهرطقة الغنوسيين التي اشتد ساعدها بمرور السنين وطلَّت على الكنيسة في أواخر أيام بولس الرسول والعصر الرسولي بعنف، وبلغت أقصى تدميرها في القرن الثاني: «يا تيموثاوس احفظ الوديعة، مُعْرِضاً عن الكلام الباطل الدنس ومخالفات العِلْم الكاذب الاسم (ψευδωνύμου γνώσεως ''الغنوسية'' العلم المزيف)، الذي إذ تظاهر به قوم زاغوا من جهة الإيمان.» (١تي٦: ٢٠و٢١)

وعلى هذا الأساس والتحقيقات، وضع العلماء تاريخ هذه الرسائل في حدود ما بعد سنة ٦٦م(٦). على أن هذا التاريخ يحصره أولاً عمر تيموثاوس الذي يخاطبه بولس الرسول بصفته قد صار أسقفاً على أفسس وهو حديث السن: «لا يَسْتَهِن أحدٌ بحداثتك» (١تي٤: ١٢). والأسقف يُعتَبر حديث السن إذا كان عمره في حدود الخمسة والثلاثين عاماً. فلو اعتبرنا أن تيموثاوس عندما تعرَّف على بولس وهو عند والديه سنة ٥١م (أع١٦: ١ــ٣)، كان لا يزيد آنئذ عن ١٧ عاماً وليس أقل من ذلك، علماً بأنه انخرط في الخدمة حالاً مع بولس في مكدونية (٢كو١: ١٩)،

6. Conybeare, *op. cit.*, p. 830.

فنكون الآن محصورين بخدمة بولس الرسول التي انتهت رسمياً بانتهاء حياة نيرون سنة ٦٨م، كما يقرر ذلك جيروم ويوسابيوس في تاريخه(٧). وهكذا يكون افتراض عمر تيموثاوس صحيحاً: ٦٨–٥١ = ١٧ سنة. وبهذا تكون الرسالة التي أرسلها بولس الرسول إلى تيموثاوس محصورة فيما قبل سنة ٦٨م بقليل جداً، وذلك عن التزام وضرورة تاريخية، أي بعد خروج بولس الرسول من السجن الأول بمدة طويلة. ومعروف أن بولس الرسول دخل السجن في روما سنة ٦١م وظل يخدم سنتين، قُدِّم بعدهما للمحاكمة سنة ٦٣م حيث تم الإفراج عنه.

علماً بأن تقليد الكنيسة المسنود بتحقيقات كثيرة يؤكد أن بولس الرسول حُكم عليه بالموت تحت حكم نيرون. وهذا يحتِّم أنه بعد أن أُفرج عنه وخدم وكرز وارتحل وزار الكنائس مدة أربع أو خمس سنوات، أُعيد القبض عليه وتم فيه الحكم الأخير!

ما ترتب على خروج بولس الرسول من السجن الأول:

من كل ما سبق يتضح أن بولس الرسول أُفرج عنه ومارس كرازته الرسولية لمدة أربع أو خمس سنوات.

وزار أفسس: (١تي ١: ٣): «كما طلبتُ إليك أن تمكث في أفسس إذ كنت أنا ذاهباً إلى مكدونية».

وزار كريت: (تي ١: ٥): «من أجل هذا تركتُك في كريت، لكي تكمِّل ترتيب الأمور الناقصة وتقيم في كل مدينة شيوخاً كما أوصيتُك».

وزار مكدونية: (١تي ١: ٣): «كما طلبتُ إليك أن تمكث في أفسس إذ كنتُ أنا ذاهباً إلى مكدونية».

وزار ميليتس: (جنوب أفسس) (٢تي ٤: ٢٠): «أراستُس بقي في كورنثوس، وأما تروفيمُس فتركتُه في ميليتس مريضاً».

وزار نيكوبوليس: (تي ٣: ١٢): «حينما أرسل إليك أرتيماس أو تيخيكس، بادِرْ أن تأتي إليَّ إلى نيكوبوليس، لأني عزمت أن أشتِّي هناك».

وزار ترواس: (٢تي ٤: ١٣): «الرداء الذي تركته في ترواس عند كاربوس أحضره متى جئت والكتب أيضاً ولا سيما الرقوق».

وأخيراً انتهى إلى سجن روما مرة أخرى: «ليُعْطِ الرب رحمة لبيت أُنيسيفورُس، لأنه مراراً

---

(٧) القديس جيروم والمؤرخ يوسابيوس هما وحدهما دون جميع المؤرخين والوثائق التي بين أيدينا هما اللذان يؤكدان تاريخ استشهاد بولس الرسول في سنة ٦٨م. أنظر: Conybeare, op. cit., p. 741

كثيرة أراحتني، ولم يخجل بسلسلتي، بل لما كان في رومية طلبني بأوفر اجتهادٍ فوجدني» (٢تي ١: ١٦و١٧)؛ علماً بأن هذا الاسم لم يَرِدْ قط في سجن بولس الأول، كما أن سجن بولس الأول كانت تعرفه كنيسة روما جيداً، وكل مؤمن كان يزوره والكل يعرف الطريق إليه؛ أما في السجن الثاني فمُنِعَ من الحرية التي كان يتمتع بها أولاً وأُلقي في الحَبْس العام حيث يصعب جداً معرفة مكان وجوده.

محاكمة بولس الرسول الأُولى والنطق بالبراءة:

بعد تأخير دام أكثر من سنتين، أُعلن بولس الرسول بميعاد سماع المرافعة والتقاضي أمام نيرون. ولكن بحسب النظام الذي كان معمولاً به قبل نيرون، فإن القضايا الخاصة بالأقاليم في حدود القضاء المدني كانت من اختصاص لجان قضائية، وقد عيَّن أُغسطُس قيصر لجنة لكل ولاية تختص بقضاياها. أما القضايا الجنائية فكانت تُقدَّم للإمبراطور يسمع ويحكم فيها شخصياً مع المشيرين. وكان من عادة الإمبراطورين طيباريوس وكلوديوس أن ينظرا القضايا في محكمة «Forum» روما الشهيرة. ولكن بمجيء نيرون، حذا حذو أُغسطُس، فكان ينظر هذه القضايا في القصر الإمبراطوري. ولا تزال بقايا هذا القصر المنيف تملأ قمة جبل البالاتين **Palatine**.

كان قيصر يجلس في صدر قاعة رخامية ممتدة، وسط مشيريه، وكان عددهم عشرين وكانوا رجالاً من عِلْية القوم وذوي صيت وكلمة وتأثير، وكان من بينهم اثنان من القناصلة **Consuls** العظام ثم قضاة يمثلون القضاء الروماني، والباقي شيوخ روما يُعيَّنون بالقرعة. وفي هذا التمثيل القضائي العالي المُحكَم كانت تُدار آنئذ شئون أعظم حكومة ملكية ظهرت على وجه الأرض، إذ كانوا هم الحكام الذين يحكمون العالم في ذلك الوقت.

ولكن للأسف، فإنه بسبب سفالة الإمبراطور نيرون وانحطاط أخلاقه فقد فقدت الهيئة القضائية المهيبة هيبتها بل نزلت إلى مستوى الاحتقار العام لدى عظماء الدولة، الأمر الذي انتهى بهذا الإمبراطور إلى تحطيم حياته وسمعته. وقد تسببت قسوته وتخطّيه لمشورة الحكماء أن نكَّل بأسرته أكثر مما أساء إلى دولته. ففي سن الخامسة والعشرين قتل زوجته البريئة، وأخاه المتبنَّى، ولوَّث يديه بدم أمه!! وتصاغر في عين شعبه عندما كان يعتلي السيرك ويلعب الموسيقى أمام شعبه!! وصار انحطاط أخلاقه مصدر حزن عام عند شعبه، وبكاءٍ عند مشيريه وحكمائه بل وعبيده وخدامه(٨).

8. Conybeare, *op. cit.*, p. 742.

أمام هذا الزاني الملطَّخ بالدماء، وقف بولس الرسول شامخاً يُحَاكَمُ بمقتضى القانون الروماني، وهكذا شابه سيده أشدَّ المشابهة حينما وقف مقيَّداً يحاكم لدى رئيس الكهنة حنان الذي لم يكن أفضل من هذا المستوى، أو هيرودس أو حتى بيلاطس.

اقتادوا بولس الرسول وهو مقيَّد حتى وقف أمام العرش الإمبراطوري والهيئة القضائية من حوله، لم يهتز بل لم يكترث للمناظر من حوله لأن قلبه كان ساكناً في الأعالي لدى سيده الجالس في عرشه السماوي، أشياء لم تخطر على قلب بشر. وإذ كان قد سلَّم حياته منذ زمن بعيد، بعيد جداً، في يد الذي وحده يُميت ويُحْيي، بل كان قد أحياه وحفظه لحياة أبدية! فلم يكن نيرون في نظره إلَّا واحداً من هؤلاء العظماء الذين يُبْطلون (١ كو٢:٦)!

وكان نظام المرافعة الرومانية كالآتي:

أولاً: سماع الاتهام من المدَّعين.

ثانياً: فحص شهود الاتهام، استجواب شهود الاتهام.

ثالثاً: رد المتَّهم (الدفاع).

رابعاً: استجواب شهود النفي (الدفاع).

وقد استحدثت الحكومة الرومانية استجواب الشهود من كلا الطرفين، وكان هذا عملاً قضائياً ممتازاً كإجراء جهوري.

كل هذا على خلفية الإجراءات القانونية التي وصلت في ملف القضية كما استوفاها المحقق الأول فَسْتُوس.

وقد سبق أن شرحنا بنود الاتهام (أنظر صفحة ٧٢٤)، وهي باختصار:

أولاً: أنه أثار فتنة فيما يختص بالعبادة اليهودية بحسب ما منحهم القانون الروماني.

ثانياً: قيادة ثورة لجماعة الناصريين مما أزعج السلام في كل أنحاء الإمبراطورية، وهذه في عُرْف القانون الروماني تحسب جريمة كبرى ضد الدولة، وعقوبتها الموت.

ثالثاً: تنجيس الهيكل.

وهكذا ابتدأت المحاكمة بسماع الاتهام وشهود الاتهام واستجواب الشهود، وقد جمع منهم اليهود الكثيرين، وتقدم رئيس الكهنة بملابسه التقليدية ومعه محاميه، وقال ما قال، وثقَّل الاتهام فوق ما يحتمله العقل حتى أضعف موقفه دون أن يدري. وهكذا أُعطيت لبولس الرسول الكلمة،

ولم يكن معه إلاَّ الرب من السماء. وقد دافع بلغته اليونانية الفصحى، إذ لم يكن في حاجة إلى مترجم. وحينما أُمر أن يتكلم ويدافع عن نفسه أتته القوة من الأعالي؛ وفي هدوء العظماء ومنطق الحكماء ولغة القضاء، فنَّد اتهام اليهود وجعله كحفنة من تراب ألقاها على وجوههم وسط قاعة المحكمة. وانتهز الفرصة، وقد واتته بالنعمة، لكي يشهد لسيده كما اشتهى من كل قلبه وكما اشتهى له المسيح بفمه: «ثِقْ يا بولس لأنك كما شهدتَ بما لي في أورشليم، هكذا ينبغي أن تشهد في رومية أيضاً» (أع٢٣: ١١).

لم يُتعب القضاةُ أنفسهم بأن يطلبوا مزيداً من التوضيح ولا حتى شهود النفي أي الدفاع، بل استقر رأيهم كما سبق لدى ليسياس وفيلكس وفستوس وأغريباس، وكما أوضحت المحاضر بكل جلاء أمامهم، أن البراءة تنطق من فمه وأن السرَّ يحيط بشخصه المهيب، ونطقه يُزيدُهم ثقة في براءته. وقد أوضح بفصاحته مدى احترامه لروما وللولاة، وكيف يصلِّي من أجلهم ليُلهمهم الله الحق والعدل، وكيف يدعو للإمبراطور في أدعيته كل يوم أن يزداد كرامة وعزّاً وسلطاناً. أما من جهة فئة «الناصريين» الذين كان يتزعمهم، والذين ألمح اليهود إليهم، فقد رفع الغطاء عن الاسم ليُظْهِرَ المسيح الفادي الذي مات من أجل خلاص العالم وفداءً لمساكين الناس وخطاة كل شعوب الأرض.

والمعروف أنه بعد سماع الأقوال من المدَّعِين والمدافعين وشهادة الشهود، الأمر الذي يستغرق من الوقت كثيراً، اعتاد كل قاضٍ أن يقدِّم حكمه مكتوباً للإمبراطور، الذي بعد أن يكون قد سمع كل ما يدور في المحكمة، ينطق بالحكم من تلقاء فكره غير مُقيَّد بالاستشارات.

وهكذا نطق نيرون ببراءة بولس الرسول من كل التهم المنسوبة إليه، وأمر بفكِّ قيوده وإعطائه الحرية كمواطن روماني. وانسحب اليهود ساخطين، وخرج بولس رافعاً يديه نحو السماء.

رحلات بولس الرسول
بعد صدور الحكم ببراءته واستعادة حريته

كما سبق وألمحنا (صفحة ٧٣٦)، فإن بولس الرسول كان قد خطَّط في حالة الإفراج عنه أن يزور الكنائس التي تعاهدها، وكان مشتاقاً لتثبيت إيمانهم وإعطائهم المزيد من التحصينات ضد الهرطقات التي بدأت تنصبُّ في كأس المسيحية الصافي لتعكر صفاءه، سواء من جهة الفلسفة المسيحية (الغنوسية) أو الثيئوصوفية الربانية، أو الممارسات السحرية الآتية من الشرق (فارسية)(٩) Persian Magi.

والمعروف، من واقع الرسائل التي كتبها بولس الرسول، أنه زار كُلًّا من مكدونية ونيكوبوليس ومدن آسيا وأفسس وكريت ومالطة (أنظر صفحة ٧٤٤ و٧٤٥).

كذلك معروف من التقليد، أنه زار أسبانيا وربما مكث بها سنتين. وعن هذا لا يوجد لدينا وثائق من الأسفار المقدسة، ولكن كل اعتمادنا على التقليدات الكنسية وعلى معلومة محدودة مقيَّدة في الرسالة إلى أهل رومية (١٥: ٢٤و٢٨)، تفيد أن بولس الرسول كان قد عزم أن يذهب ليبشِّر أسبانيا أثناء مروره على روما، حيث يُستودَعُ منهم إلى تلك النواحي.

ويقول القديس كلمندس الروماني في رسالته الأُولى إلى كورنثوس كما سبق وألمحنا (٥: ٧):

[إن بولس كرز للعالم كله وسافر حتى إلى أقصى الغرب. وبعد أن شهد أمام السلطات أُخذ من هذا العالم ورَحل إلى مكانه المقدس، مُبَرهناً بجهاده أنه أعظم مَثَل للكفاح](١٠). ونعلم أن كلمندُس الروماني قدَّم هذه الشهادة في سنة ٩٥م التي تصرِّح ضمنياً بنوع من الإبهام أنه زار أسبانيا، كما توضح بجلاء أنه عانى من محاكمة ثانية في روما وأكمل استشهاده.

كذلك تعطينا وثيقة الموراتوري (سنة ١٨٠م) ما يفيد هذا أيضاً، كما سبق وسجلنا: [إن آخر جزء في سفر الأعمال الذي يحكي عن مغادرة بولس لمدينة روما منطلقاً إلى أسبانيا كان قد فُقِد](١١).

---

9. Conybeare, *op. cit.*, p. 746.
10. Cited by Jerome Bibl. Comm. p. 222.
11. Ibid.



بوابة القديس بولس

سميت على اسم القديس بولس. وهي أقدم بوابة في أوستيا والتي عبر منها القديس بولس وهم يقتادونه خارج المدينة في رحلته الأخيرة، إلى حيث استشهد.

والطريق المؤدي إلى أوستيا، ميناء روما، يمر عبر هذه البوابة.

(أنظر صفحة ٧٦٢)

الساحة الرومانية أو «السوق»

«ولما سمع الإخوة بخبرنا خرجوا لاستقبالنا إلى فورن أبيوس.»

(أع٢٨:١٥)

«الساحة» أو «السوق» كانت تشير قديماً إلى المكان الذي كان مخصصاً للاجتماعات العامة والمناظرات، وكان يؤمه القضاة والمحامون الرومانيون. وكانت الساحة هي أهم موضع في المدينة الرومانية قديماً، إذ كانت تعتبر أنها المركز الاجتماعي والسياسي المرموق، والمهد للحضارة الرومانية والذي تخرج منه الأوامر والتوجيهات الحضارية إلى كل الشعوب الخاضعة للإمبراطورية الرومانية.

وفي مثل هذه الساحة والمسماة «فورن أبيوس» استقبل المؤمنون القديس بولس وهو في طريقه إلى قيصر ليرفع دعواه.

(أنظر صفحة ٧١٨)



كذلك فإن المؤرخ يوسابيوس هو أول من ذَكَر موضوع سجن بولس للمرة الثانية في روما واستشهاده في زمن نيرون هكذا: [بعد أن دافع بولس الرسول عن نفسه ذهب مرة أخرى في رحلاته التبشيرية. ولكن جيء به مرة أخرى إلى نفس المدينة واستشهد في زمن نيرون. وبينما كان في سجنه هذه المرة كتب رسالته الثانية إلى تيموثاوس، مُبيِّناً فيها أنه أكمل دفاعه الأول وأن استشهاده على الأبواب](١٢).

كما أن يوسابيوس قد استشهد بديونيسيوس الذي من كورنثوس (سنة ١٧٠م) الذي قرر: [إن بطرس وبولس أكملا استشهادهما في نفس الزمن](١٣).

كذلك العلاَّمة ترتليان يقارن في مؤلَّفِه(١٤) بين وسيلة موت بولس بحد السيف وبين ما حدث ليوحنا المعمدان.

وأيضاً شهادة الأسقف ثيئوذور المبسوستي التي أشرنا إليها.

رسائل بولس الرسول بعد خروجه من روما

الرسالة الأُولى إلى تيموثاوس:

كُتبت في صيف سنة ٦٧م، كُتبت في مكدونية.

أرسل بولس الرسول من مكدونية الرسالة الأُولى إلى تيموثاوس، إذ كان قد عُهِدَ إليه بإدارة شئون كنيسة أفسس كأسقف (أو كناظر). ومعروف أن بولس الرسول كان يشعر بثقل المسئولية على تيموثاوس، إذ كان لا يزال حَدَثاً (٣٥ سنة تقريباً)، فأراد أن يؤازره بالرسالة، خاصة وأنه كان قد دخل إلى أفسس مُفْسدون أتَوْا من الإسكندرية بعلوم وممارسات سحرية مبتدعة، فأراد أن يقوِّم إيمانه ويحثَّه على اليقظة ضد هذه البدع الدخيلة. وقد وضع له عدة قوانين تُعتبر أول قوانين كنسية لها صفة الرسولية لإدارة شئون المؤمنين. كذلك أعطاه وصايا عامة لكيفية السلوك العام له وللمؤمنين. ونحن نقدم هنا توضيحاً لمحتوى هذه الرسالة الراعوية كنموذج لبقية الرسائل الأخرى.

١ ــ أول وصية يعطيها بولس الرسول لتيموثاوس في رسالته الأُولى هي خاصة بصحة التعليم:

(أ) «لكي توصي قوماً أن لا يعلموا تعليماً آخر» (١تي١: ٣): المقصود تعاليم الغنوسية.

---

12. Ibid.
13. Ibid.
14. Tert., *De praescrip.* 36.

(ب) «ولا يُصْغُوا إلى خرافات وأنساب لا حدَّ لها» (١تي١: ٤): المقصود تعاليم الربيين اليهود وقصص التلمود.

(ج) «يريدون أن يكونوا مُعلِّمي الناموس وهم لا يفهمون ما يقولون» (١تي١: ٧): التعاليم اليهودية القائمة على الناموس.

ثم يعود بولس الرسول وينبِّه على تيموثاوس بخصوص تعاليم شيطانية آتية في المستقبل كمن يتنبأ:

(د) «ولكن الروح يقول صريحاً إنه في الأزمنة الأخيرة يرتدُّ قوم عن الإيمان تابعين أرواحاً مضلَّة وتعاليم شياطين» (١تي٤: ١): وهذه كلها بالفعل صارت تعاليم الغنوسيين التي وصفها بعد ذلك القديس كلمندس الروماني كيف ظهرت واستشرت في أيامه، سواء عن الصوم أو الامتناع عن الزواج أو تحريم أطعمة ... إلخ.

(هـ) «وأما الخرافات الدنسة العجائزية فارفضها، وروِّض نفسك للتقوى لأن الرياضة الجسدية نافعة لقليل» (١تي٤: ٧و٨): والقصد هنا دخول ممارسات يهودية تقوم على أساس مبادىء خرافية وتمرينات جسدية كأنها تُنشِّط الروح.

(و) «إن كان أحد يعلِّم تعليماً آخر ولا يوافق كلمات ربنا يسوع المسيح الصحيحة ... تجنَّب مثل هؤلاء.» (١تي٦: ٣و٥)

٢ - ثاني وصية خاصة بترتيب الصلوات الجهارية العامة للكنيسة المجتمعة كطقس يومي:

+ «فأطلبُ أول كل شيء أن تُقَامَ طلباتٌ وصلوات وابتهالات وتشكُّرات.» (١تي٢: ١)
وهذه هي أنواع الصلوات التي تختص بها الليتورجيا:

فالطلبات = supplications δεήσεις مثل «اطلبوا لكي يرحمنا الله ...»، فنحن نطلب الشيء.

والصلوات = prayers προσευχάς مثل صلوات القداس «للصلاة قفوا»، فنحن نصلِّي من أجل شيء.

والابتهالات = intercessions ἐντεύξεις ، وهي الصلوات القلبية من أجل موضوع واحد، «نبتهل لكي ...».

وتشكُّرات = εὐχαριστίας thanksgivings ، وهي الصلوات التي بلا أي غرض، بل للتسبيح والمجد.

وبولس الرسول جعل هذه الأنواع الأربعة من الصلوات تقليداً كنسياً دائماً، وهي تُقدَّم لأجل

جميع الناس، ثم لأجل الملوك (أوشية الملك)، وجميع الذين هم في المنصب (الوزراء، ... إلخ).

٣ ــ الصلوات الخاصة:

(أ) «أريد أن يصلي الرجال في كل مكان رافعين أيادي طاهرة» (١تي٢:٨)، وهو طقس الصلاة الخاصة الفردية.

(ب) «كذلك النساء» على أن لا ترفع المرأة صوتها في الكنيسة.

٤ ــ نظام الرئاسات الكنسية:

(أ) شروط رسامة الأسقف، ١تي٣:١ــ٧ (وقد شرحناها بتفصيل ــ انظر ص ٤٨٨).

(ب) شروط رسامة الشماس، ١تي٣:٨ــ١٠ (وقد شرحناها بتفصيل ــ انظر ص ٤٩٢).

٥ ــ نظام التعليم اليومي في الكنيسة:

«لاحظ نفسك والتعليم وداوم على ذلك» (١تي٤:١٦)، الذي يقوم أولاً على القراءة والوعظ والتعليم الذي أصبح معروفاً بقداس الموعوظين، ثم قداس المؤمنين.

٦ ــ الخدمة المسيحية:

(أ) خدمة ومعاملة الشيوخ، والشباب، والسيدات المتقدمات في السن، والشابات بكل طهارة (١تي٥:١و٢).

(ب) الأرامل ونظام خدمتهن وإعالتهن (١تي٥:٣ــ١٦).

٧ ــ القسوس المتقدمين (القمامصة):

«أما الشيوخ المدبرون حسناً فليُحسَبوا أهلاً لكرامة مضاعفة، ولا سيما الذين يتعبون في الكلمة والتعليم» (١تي٥:١٧)، وهم القسوس المتقدمون المسئولون عن ترتيب الكنيسة وتعليم الموعوظين.

٨ ــ مجلس تأديب وأحكام في الكنيسة:

(أ) «لا تقبل شكاية على شيخ إلاّ على شاهدين أو ثلاثة شهود.» (١تي٥:١٩)

(ب) «الذين يخطئون وبِّخهم أمام الجميع لكي يكون عند الباقين خوف.» (١تي٥:٢٠)

أي تكون الأحكام والتصرفات خالية من الغرض (التحيز)، «وبلا محاباة.» (١تي٥:٢١)

٩ ــ مدة اختبار المرشحين للرسامة:

«لا تضع يداً على أحد بالعَجَلة، ولا تشترك في خطايا الآخرين.» (١تي٥:٢٢)

١٠ ــ معاملة العبيد لأسيادهم:

في المسيحية كان يتحتم على العبد أن يُزيد من احترامه لسيده ــ إذا لم يكن السيد مؤمناً ــ حتى تزداد كرامة المسيح (١تي٦:١). أما إذا كان مؤمناً أي صار السيد أخاً للعبد وليس سيداً بعد، فهذا يلزم العبد أن يزيد الاحترام له وخدمته أكثر (١تي٦:٢).

١١ ــ نصائح خاصة لتيموثاوس باعتباره أسقف كنيسة:

(أ) «وأما أنت يا إنسان الله فاهرب من هذا واتبع البر والتقوى والإيمان والمحبة والصبر والوداعة. جاهد جهاد الإيمان الحسن وامسك بالحياة الأبدية التي إليها دُعيت.» (١تي٦:١١و١٢)

(ب) «أن تحفظ الوصية بلا دنس ولا لوم إلى ظهور ربنا يسوع المسيح.» (١تي٦:١٤)

(ج) «يا تيموثاوس احفظ الوديعة (الإيمان) مُعْرِضاً عن الكلام الباطل الدنس ومخالفات العلم الكاذب الاسم (الغنوسية).» (١تي٦:٢٠)

من مكدونية إلى أفسس إلى كريت وكتابة الرسالة إلى تيطس:

حينما كتب بولس الرسول من مكدونية إلى تيموثاوس في الرسالة الأولى: «هذا أكتبه إليك راجياً أن آتي إليك عن قريب. ولكن إن كنت أُبطىء فلكي تعلم كيف يجب أن تتصرف في بيت الله الذي هو كنيسة الله الحي عمود الحق وقاعدته» (١تي٣: ١٤و١٥). يبدو أنه كان ينوي السفر البعيد ربما إلى أسبانيا، ولكنه اتجه من مكدونية إلى آسيا، ولم يبقَ فيها إلاَّ مدة قصيرة توجَّه بعدها إلى كريت ومعه تيطس.

أما في كريت، فالكنائس التي فيها لم يكن بولس الرسول قد أسَّسها؛ بل لم تكن على مستوى التأسيس الرسولي؛ بل نتيجة اجتهاد الأفراد، وكانت تعاني من المعلمين الكذبة ومن مناوأة اليهود، إذ كان فيها جاليات يهودية، كما يخبرنا فيلو الإسكندري اليهودي، وما نعلمه من سفر الأعمال في يوم الخمسين (أع٢: ١١).

أما تيطس المرافق لبولس الرسول وصاحب الرسالة الموجَّهة إليه، فهو لم يُذكر في سفر الأعمال قط، ولكن ذُكر اسمه في الرسائل إلى غلاطية وإلى كورنثوس الثانية وإلى تيموثاوس الثانية، حيث ابتدأ مع بولس الرسول كمجرد أخ مرافق، ولكنه تدرَّج حتى سلَّمه مهام كبيرة وأهمها مسئولية جمع التبرعات. ولكن بعد ذلك صار رفيق خدمة وأسفار كما ورد في رسائل بولس الرسول. وقد وصفه بولس الرسول هكذا: «ولكن شكراً لله الذي جعل هذا الاجتهاد عينه لأجلكم في قلب تيطس، لأنه قَبِلَ الطلبة، وإذ كان أكثر اجتهاداً مضى إليكم من تلقاء نفسه.» (٢ كو٨: ١٦و١٧)

وتقول التقاليد المحفوظة في كريت أن تيطس كان ابن أخت أحد القناصل فيها. وقد أُقيمت كاتدرائية كبرى في كريت باسمه Megalo-Castron ، وصار اسمه شعاراً لجزيرة كريت.

ولما توجَّه بولس الرسول مع تيطس إلى جزيرة كريت، رأى فيها كنائس متناثرة، كما رأى فيها معلمين كذبة. ولم يكن للكنيسة كيان وتنظيم، ولما لم يجد بولس الرسول لديه فرصة للوجود مدة في الجزيرة ليرتِّب أمورها، ترك تيطس فيها على أن يُلاحقه بالرسائل من أجل تنظيم الخدمة والتعليم فيها.

لهذا، وبعد أن رحل بولس الرسول متجهاً إلى أفسس وقبل أن يغادرها إلى نيكوبوليس ليُشتِّي هناك، كتب لتيطس الرسالة الموعودة والتي هي على مستوى رسالته الأُولى لتيموثاوس من جهة تنظيم العبادة والخدمة وإقامة القسوس والشمامسة وضبط وربط الكنيسة حسب التوجيه والوصية الرسولية.

+ «من أجل هذا تركتُكَ في كريت لكي تكمل ترتيب الأمور الناقصة وتقيم في كل مدينة شيوخاً كما أوصيتك.» (تي١: ٥)

وكان محذراً أيضاً من جهة التعاليم المُضلَّة وخصوصاً بين الكريتيين:

+ «فإنه يوجد كثيرون متمردين يتكلمون بالباطل ويخدعون العقول ولا سيما **الذين من الختان الذين يجب سدُّ أفواههم**، فإنهم يقلبون بيوتاً بجملتها معلِّمين ما لا يجب من أجل الربح القبيح ... فلهذا السبب وبِّخهم بصرامة لكي يكونوا أصحاء في الإيمان، لا يصغون إلى خرافات يهودية ووصايا أُناس مرتدين عن الحق. كل شيء طاهر للطاهرين وأما للنجسين (غير المعمَّدين) وغير المؤمنين فليس شيء طاهراً؛ بل قد تنجَّس ذهنهم **أيضاً وضميرهم**، يعترفون بأنهم يعرفون الله، ولكنهم بالأعمال ينكرونه.» (تي١: ١٠—١٦)

وتستمر الرسالة على نمط الرسالة الأُولى إلى تيموثاوس من جهة ترتيب الكنيسة.

بولس الرسول يشتِّي في نيكوبوليس ...
ولم يشتِّ!! سنة ٦٧م

نقرأ في الرسالة التي أرسلها بولس الرسول إلى تيطس: «بادر أن تأتي إليَّ إلى نيكوبوليس، لأني عزمت أن أُشتِّي هناك» (تي٣: ١٢). ونحن نعلم أن الطريق الذي سلكه بولس الرسول إلى هذه المدينة كما ورد في (٢تي٤: ٢٠) هو من أفسس: «سلِّم على أكيلا وبريسكلا (طُردا كيهود مرة أخرى من روما)، أراستُس ــ وهو خازن المدينة سابقاً ــ بقي في كورنثوس وأما تروفيمُس

فتركتُه في ميليتُس مريضاً، بادر أن تجيء قبل الشتاء».

إذاً، واضح أن بولس الرسول قام من أفسس إلى ميليتُس ثم إلى كورنثوس، وها هوذا ذاهب إلى نيكوبوليس.

نيكوبوليس:

لها تاريخ مجيد بالنسبة للإمبراطور أُغسطُس قيصر، فهو الذي أنشأها تخليداً لذكرى انتصاره في موقعة أكتيوم، وترجمة اسمها «مدينة النصر». ويقول أهل نيكوبوليس: "نحن لا نفتخر بمدينتنا لأنها كانت موقعة النصر لقيصر ولكن نفتخر بالحري، لأن أسلافنا رأوا بولس الرسول وعاشروه لما نزل إلى شواطئنا"[١٥].

فنيكوبوليس الآن يلزم أن تكون مشهورة لدينا نحن الآن، ليس لأنها مدينة النصر لقيصر؛ بل مدينة النصر الأخير لبولس الرسول، ففي هذه المدينة قُبض على بولس الرسول الذي كان تحت مراقبة عيون اليهود الذين اشتغلوا قنَّاصة للمسيحيين الذين كانوا في روما وقت الحريق (يوليو سنة ٦٤م)، والذين أصبح مطلوباً القبض عليهم لمحاكمتهم في روما نفسها حسب نص القانون الروماني الذي يحدد ضرورة محاكمة المتهمين في مكان اقترافهم للجريمة — مع أن بولس الرسول غادر روما قبل نهاية سنة ٦٣م — والجريمة هي أن المسيحيين أشعلوا الحريق في روما، كما ادَّعى ذلك نيرون، ليتملَّص من جريمته هو لأنه هو الذي أشعل هذا الحريق، كما تحقق تاريخياً، وذلك ليبني روما الجديدة وقصره الذهبي الجديد.

نص التسجيل التاريخي لمؤرخ معاصر لهذه الحوادث

تقرير لتاسيتوس سنة ٥٥—١٢٠م:

وإليك أيها القارىء العزيز تقرير أكبر مؤرخ روماني وثني معاصر لنيرون ومعاصر لحريق روما (وهو تاسيتوس)، أخذناه من مؤلفه الحَوْليَّات:

[ولكن لم يفلح هذا القيصر سواء في إقامة الحفلات الدينية أو بالهدايا السخية أن يمسح من أذهان الشعب (الروماني) الفكرة السائدة بأن روما أُحرقت بناءً على أوامره!! إن فضيحة هذا العمل لا تزال لاصقة به، وهو لكي يحوِّل هذه الجريمة نحو الآخرين، من أجل هذا ابتدأ يعاقب بعذابات أليمة جنساً من الناس كانوا مكروهين بسبب ممارستهم للشر الذين يُسَمَّون باسم دنيء يُقال له: «المسيحيون». وهذا الاسم مأخوذ من المسيح الذي في أيام حكم

15. Conybeare, *op. cit.*, p. 764.

طيباريوس حُكم عليه بالموت بواسطة بُنتيوس بيلاطس والي اليهودية، وعلى أثر هذا الحادث (الحكم بالموت) فإن الشيعة التي كوّنها تلقت ضربة أوقفت إلى حين نمو هذه الخرافة الخطيرة ولكنها انتعشت مرة أخرى سريعاً وانتشرت بقوة من جديد ليس في اليهودية وحدها موطن ظهورها بل وحتى في روما، البلاّعة العمومية التي تستهوي كل ما هو خامل وكريه ليُصَبَّ فيها من كل أقطار العالم.

ونيرون شرع بخبثه المعهود أن يجد لنفسه مجموعة من المشهورين بالخلاعة والمستهترين والبؤساء الذين أوحى إليهم تحت الضغط أن يعترفوا (كذباً) أنهم مُدانون **ودسُّوا معهم المسيحيين (بالقوة)، ليس بناءً على أسباب واضحة، ولا لأنهم أشعلوا النار في روما، وإنما بسبب البغضة والاحتقار التي يكنُّها الجنس الروماني لهم. وقدّموا للموت بأقسى وحشية وأضاف نيرون على آلامهم الهزء والسخرية. بعضهم ألبسوهم جلود وحوش برية وتركوهم للكلاب تنهشهم، وبعضهم صلبوهم، وعدد منهم أُحرقوا أحياءً. وآخرون غطُّوهم بمواد ملتهبة وأشعلوا فيهم النار ليكونوا شُعْلات تضيء الليل؛** ولكي يُمتَّع الشعب برؤية هذه المناظر المأساوية فتح للجمهور حدائقه التي تجري فيها هذه المناظر، وجعل معها ألعاب السيرك. وكان يشترك فيها بنفسه، فكان يقود عربته ذات العجلتين (كَرِتَّة) ويختلط مع الدهماء والرعاع وهو في ثياب العربجي.

ولكن هذه المناظر الوحشية ملأت كل الصدور بالشفقة وتغلبت الإنسانية بحنانها من نحو المسيحيين. وإن كانت أحوال هؤلاء المسيحيين تستحق بلا شك بسبب جرائمهم وخبثهم يد العدالة، **ولكن من الواضح أنهم وقعوا ضحايا لا من أجل صالح الشعب بل** لإشباع شَرِّه وحقدِ وقسوةِ رجل واحد.] (١٦)

و يقول المؤرخ نياندر أن الأمر لم يقتصر على روما من جهة **اضطهاد المسيحيين زمن نيرون،** مع أنه انحصر في روما في البداية، إلا أنه بمضي الوقت تسحّب إلى الولايات الأخرى في كل مكان من الإمبراطورية المترامية الأطراف، حيث سرى فيها هذا التيار المسموم لمحاصرة المسيحيين واضطهادهم وتعذيبهم، خاصة وأن الديانة المسيحية كانت إلى ذلك الوقت مُعْتَبَرة أنها ديانة غير قانونية بحسب القانون الروماني، مما جعل اسم «نيرون» عالقاً بأذهان المسيحيين إلى زمن طويل بحسبانه الضدّ للمسيح (Antichrist). وقد قامت عليه روايات أنه مختبيء وراء نهر الفرات وأنه

---

16. Tacitus, *op. cit.*, xv.44. (طبق الأصل).

سيظهر مرة أخرى و يَسْتَعلن نفسه أنه الضدُّ للمسيح(١٧).

ولكن أليس المسيحيون هم بالحق الذين أشعلوا النار ولكن ليس في الأخشاب والأحجار لتحويلها إلى رماد؛ بل في قلوب أهل روما لتحوِّلها إلى قباب ومنارات ذهبية في أورشليم السماوية.

لقد أسرع ولاة المدينة بترحيل بولس الرسول مقيَّداً عَبْر الأدرياتيك بالرغم من الشتاء حيث يُقفل البحر وتُمنَعُ الرحلات (Mare Clausume)، ولكن أوامر قيصر تُنفَّذ دون اعتبار للموانع. وهكذا نقلوا بولس الرسول من شاطىء اليونان إلى شاطىء إيطاليا، من أبولونية إلى برنديزي (Brundusium) فوصل روما قبل الربيع!

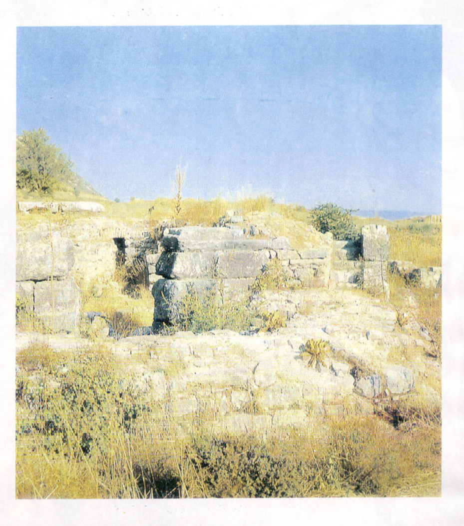
كان القبض على بولس هذه المرة عنيفاً ومُرعباً للغاية، لأنه يشمل المسيحيين بالجملة، مما أرعب قلوب رفقاء بولس، حتى المخلصين منهم: «بادر أن تجيء إليَّ سريعاً، لأن ديماس قد تركني إذ أحب العالم الحاضر وذهب إلى تسالونيكي، وكريسْبُس (هو الآخر) إلى غلاطية (هرباً)، وتيطس إلى دَلْمَاطيَّة (هرباً). لوقا وحده معي» (٢تي٤: ٩و١٠)، «الجميع تركوني» (٢تي٤: ١٦). ويبدو أن الذي وشى به وقدَّم الشهود والإثباتات هو إسكندر النحاس صائغ فضة الأوثان في أفسس: «إسكندر النحاس أظهر لي شروراً كثيرة ليُجَازِهِ الرب حسب أعماله.» (٢تي٤: ١٤)

وهكذا تصفَّت الجماعة، «اضرب الراعي فتتبدَّد الرعية» (مر١٤: ٢٧)؛ فهو ليس أفضل من سيده، وتلاميذه ليسوا أفضل من تلاميذ الرب!!

كانت القيود وكان الاعتقال هذه المرة بلا رحمة، فالقيود والسلاسل الأُولى كانت لأسير تحت الفحص، أما هذه المرة فتحت اتهام مباشر من قيصر بجريمة إحراق روما! ووضع بولس الرسول في سجن العامة في قلب روما، سجن المامرتين Mamertine بكهوفه المخيفة. وكان من العسير الوصول إليه: «ليُعْطِ الرب رحمة لبيت أنيسيفوروس، لأنه مراراً كثيرة أراحني، ولم يخجل بسلسلتي؛ بل لما كان في روما **طلبني بأوفر اجتهاد** فوجدني.» (٢تي١: ١٦و١٧)

ونحن يلزم أن نتنبه جداً، لأن الاتهام قائم مبدئياً على كل مسيحي يوجد في روما كلها، فما بالك إن وُجِدَ مَنْ يتبادل العمل والمحبة والعواطف مع سجين منهم تحت الحبس: «في احتجاجي الأول لم يحضر أحد معي بل الجميع تركوني، لا يُحْسَبْ عليهم.» (٢تي٤: ١٦)

17. August Neander, *Christian Religion and Church,* Vol. I, pp. 130,131.



أطلال القبر التقليدي للقديس لوقا في أفسس
(أنظر صفحة ٧٥٤)

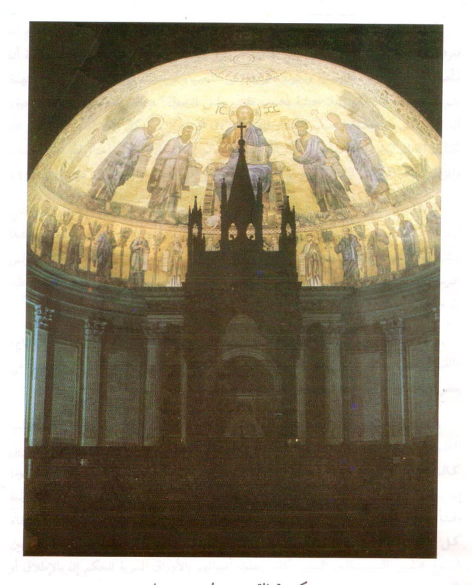


نحت من القرن الرابع
القديس يُقتاد لتنفيذ حكم الموت خارج أسوار روما
(أنظر صفحة ٧٦١)



استشهاد القديس بولس

كنيسة القديس بولس الرسول في روما حيث يظهر تمثال للقديس بولس، وهو يحمل في يده السيف الذي قتله به الوالي الروماني، وفي اليد الأخرى الإنجيل الذي بشّر به.



كنيسة القديس بولس ـــ روما
(خارج الأسوار)

قبة الكنيسة من الداخل وعليها رسم المسيح محاطاً بالرسل القديسين:
لوقا وبولس وبطرس وأندراوس.
(أنظر صفحة ٧٦٢)

كذلك لكي نكوِّن فكرة صحيحة عن مدى صحة الاتهام الذي وقع فيه بولس الرسول، يلزم أن نعرف أن تهمة حريق روما الذي ابتلع نصفها تقريباً، كان على نيرون بحسب مهارته الشيطانية أن يُلصقه في جماعة ليس لها حيثيَّة وتكون مكروهة من الشعب، فوجد أن أنسب من يلصق بهم التهمة هم المسيحيون أولاً لأنهم بلا حيثية بحسب تقرير بولس الرسول: «فانظروا دعوتكم، أيها الإخوة، أن ليس كثيرون حُكَماء حسب الجسد، ليس كثيرون أقوياء، ليس كثيرون شرفاء، بل اختار الله جُهَّال العالم ليُخزي الحكماء، واختار الله ضُعفاء العالم ليُخزي الأقوياء، واختار الله أدنياء العالم والمزدَرى وغير الموجود، ليُبْطل الموجود، لكي لا يفتخر كل ذي جسد أمامه.» (١كو١: ٢٦-٢٩)

كذلك لا ننسى أن بولس الرسول مُسجَّل في محاكم روما أنه مسيحي، وأن إحدى التهم التي أراد أن يلصقها به اليهود أنه «مِقْدام شيعة الناصريين» (أع٢٤: ٥)، فبهذه التهمة وحدها تشكَّل الاتهام ضده وأخذ وضع الجريمة، إزاء الحريق الذي نُسب إلى المسيحيين! فاتهام بولس الرسول أنه مسيحي وأنه متَّهم سابق بقيادة (فتنة)، كان هو السبب الأساسي في القبض عليه وترحيله إلى روما.

ويقول المؤرخ إن بمجرد أن يُعْرَف الشخص أنه مسيحي، فقد كان هذا كفيلاً بتوقيع الاتهام، والقبض عليه. ولكن باعتبار أن بولس الرسول كان مواطناً رومانياً، فإن نظر القضية كان يستدعي بعض الاعتبارات القانونية المتبصِّرة، وهذا ما سنراه.

وفي الوقت الذي رُحِّل فيه بولس الرسول إلى روما، كان المشتكون والشهود وراءه، وأغلب الظن أن وفد المشتكين والشهود كان بقيادة إسكندر النحاس. ولم تأخذ القضية وقتها الطويل كالسابق، بل بمجرد وصوله كانت مهيَّأة للنظر. ويقول القديس كلمندس الروماني أسقف روما إن بولس الرسول حوكم هذه المرة أمام الولاة المحليين وليس أمام نيرون، لذلك لم تأخذ القضية وقتاً كثيراً. ولكن لم يكن للولاة المحليين سلطة إصدار الحكم بالموت، ولكن كان عليهم استيفاء كل المحاكمة بكل أصولها، ثم تحويلها لهيئة القضاء الأعلى، الذين كانوا يُختارون بالقرعة من بين شيوخ مجلس السيناتو، الذين كانوا يعطون أصواتهم بالأوراق السرية للحكم إن بالإطلاق أو بالموت.

كانت المحكمة التي قُدِّم لها بولس الرسول من هذا النوع، ولأن القضية كانت خطرة، فلم يجرؤ أحد حتى ولا أي محام أن يقبل الدفاع، ولا وكيل قضائي كان يمكنه أن يرتب له الدفاع. لذلك يقول بولس الرسول: «في احتجاجي الأول لم يحضر أحد معي بل الجميع تركوني. لا

يُحسَب عليهم. ولكن الرب وقف معي وقوّاني، لكي تتم بي الكرازة ويسمع جميع الأمم. فأُنقذت من فم الأسد.» (٢تي٤: ١٦و١٧)

حينما يتجبَّر الرؤساء ويبرز قبح الافتراء، حينما يخذلنا جميع الناس، حينما يتخلى الأخ والابن والصديق، حينما تتكاثر سحب الغيوم لتسدَّ عنّا حتى نور الشمس، يشرق الوجه المبارك في سماء القلب ويُسِرُّ لنا في أذن الروح: "تشدَّد أنا معك"!

ولكن، عزيزي القارىء، لا يَفُتْ عليك ما يريد أن يقوله بولس الرسول هنا، فهو يقول: «ولكن الرب وقف معي وقوّاني لكي تتم بي الكرازة ويسمع جميع الأمم» (٢تي٤: ١٧). بولس الرسول يقصد هنا أن المحاكمة كانت فرصة لأن يكرز بالإنجيل ويسمع كل الحاضرين في قاعة البازيليكا الكبرى للمحاكمة، من قضاة وولاة وعظماء ووجهاء المدينة من كل الرتب والمناصب، أن يسمعوا اسم المسيح بأعلى صوت، لا لكي ينفي عن نفسه تهمة حريق أو فتنة وحسب؛ بل ولينفي عن الاسم العظيم ما ألحقه به اليهود من امتهان لصق بعقول الرومان ... بالرغم من كل هذا الاجتراء: «فأُنقذتُ من فم الأسد» (٢تي٤: ١٧)!! بولس الرسول لا يقصد أنه يأمل النجاة، ولكن يقصد أنه حقَّق في المحكمة ذاتها تكميل كرازته!

وغالباً لم تستوفِ القضية أمام القضاة عناصر الاتهام التي تؤدي إلى الحكم بالإعدام. لذلك أُجِّلَت لحين تكميل التحقيقات الجانبية من طرف المحققين.

ولكن الذي أُنقذ من فم الأسد كان هو بحد ذاته أسداً!! ولكن كان عليه أن يسلِّم الوديعة، لأن الأمر بالإقلاع قد صدر، وآن الأوان لتُحلَّ مركبة الفضاء من قاعدتها لتنطلق برائد السماء الأول والأعظم إلى السموات العُلا: «فإني أنا الآن أُسكب سكيباً، ووقت انحلالي قد حضر، قد جاهدتُ الجهاد الحسن، أكملت السعي، حفظت الإيمان، وأخيراً قد وُضِعَ لي إكليل البر، الذي يَهَبه لي في ذلك اليوم الرب الديان العادل، وليس لي فقط بل لجميع الذين يحبون ظهوره أيضاً.» (٢تي٤: ٦—٨)

وكأنما، ومن قيود بولس الرسول الثقيلة وبثقلها عينه ويزيد، صَنَعَتْ له ملائكة السماء إكليلاً ذهبياً أشد جمالاً من الذهب، باستعداد ذلك اليوم. وبقياس آلامه ويزيد، صنع له المسيح عرشاً من مجد يجلس عليه بجواره كما وعد: «أنتم الذين تبعتموني في التجديد، متى جلس ابن الإنسان على كرسي مجده، تجلسون أنتم أيضاً على اثني عشر كرسياً (عرشاً) تدينون أسباط إسرائيل الاثني عشر.» (مت١٩: ٢٨)

أصدقاء أيام السجن الأخير لبولس الرسول:

لوقا الطبيب الحبيب بل والمخلص الأمين الأول. لقد ثبت في تجربة بولس الرسول أيّما ثبوت، فقد رافقه في هذه الرحلة الخَطِرة تحت مَسْمَع وبصر الولاة الذين قيّدوه ورحّلوه، ورافقه حتى السجن، وبقي بالقرب منه قدر ما كانت تسمح به القوانين، وهي ما كانت تسمح في مثل هذه المحنة إلاّ بقدر ما يخطفه المجترىء من أيدي هؤلاء الحراس!!

تيخيكُس الأمين الثاني رفيق الرحلات والمخاطر والعمر كله، الذي حمل الرسالة إلى تيموثاوس إلى أفسس.

وصديقٌ آخر أشرق فجأة في وسط سماء روما الملبّدة، فأراح قلب بولس وعزّاه عزاءً، أُنيسيفُورس الذي من آسيا، مُخاطِراً بنفسه، الذي جاهد في البحث عن بولس الرسول من معسكر لمعسكر، ومن قشلاق لقشلاق، حتى عثر عليه في سجنه: «ليُعْطِ الرب رحمة لبيت أُنيسيفُورس، لأنه مراراً كثيرة أراحني ولم يخجل بسلسلتي، بل لما كان في روما طلبني بأوفر اجتهاد فوجدني.» (٢تي١: ١٦و١٧)

كما زار بولس الرسول في السجن كثير من الأصدقاء ذوي المراكز العليا ليتباركوا من اليدين المثقلتين بالسلسلة وليأخذوا زاداً من سجنه الرطب، ليُدفئهم بالروح مدى الحياة: لينوس أسقف المستقبل لروما والأسقف الأول بعد القديسين بطرس وبولس في سجلات أساقفة روما، بحسب إيرينيئوس ويوسابيوس القيصري (و يعيّدون له الآن في ٢٣ سبتمبر)، بودِنس **Pudens** وهو ابن أحد شيوخ **Senate** روما العظام، كلاوديا **Claudia** وهي زوجة السابق ويحتمل أن تكون ابنة ملك إنجلترا (وهذه إشارة من المؤرخين أن بولس الرسول زار إنجلترا عندما زار أسبانيا. وهذا التقليد عينه موجود في كنيسة إنجلترا ومدوّن في مذكرات الأسقف **Burgess** في بحثه الخاص بأصول كنيسة إنجلترا)(١٨).

---

18. Conybeare, *op. cit.*, pp. 21-54, 77-83, 101-103, 771.

رسالة بولس الرسول الثانية إلى تيموثاوس:

ولكن لم يكن للقديس بولس الرسول اشتياق لأحد قدر اشتياقه لتيموثاوس الذي أرسل له خطابه الأخير لكي يسرع بالحضور حتى يعطيه البركة الأخيرة: «بادر أن تجيء إليَّ سريعاً.» (٢تي٤: ٩)

«بادر = اعمل كل جهدك σπούδασον أن تجيء قبل الشتاء (قبل أن يقفل الإبحار)» (٢تي٤: ٢١). ولكن تيموثاوس كان بعيداً، وكان الخوف يداعب بولس الرسول على تيموثاوس لئلا ترعبه الاضطهادات ويخور في جهاده. كانت هذه الفكرة متسلطة عليه وهو يكتب له الرسالة الأخيرة، وكان محورها التشديد والتشجيع حتى لا يخور:

+ «لأن الله لم يُعْطِنا روح الفشل بل روح القوة والمحبة والنصح.» (٢تي١: ٧)

+ «فلا تخجل بشهادة ربنا ولا بي، أنا أسيره، بل اشترك في احتمال المشقات لأجل الإنجيل بحسب قوة الله.» (١: ٨)

+ «فتقوَّ أنت يا ابني بالنعمة التي في المسيح يسوع.» (٢: ١)

+ «فاشترك أنت في احتمال المشقات كجندي صالح ليسوع المسيح.» (٢: ٣)

+ «إن كنا قد مُتْنا معه فسنحيا أيضاً معه، إن كنا نصبر فسنملك أيضاً معه، إن كنا ننكره فهو أيضاً سينكرنا.» (٢: ١١و١٢)

+ «احتمل المشقات، اعمل عمل المبشِّر، تمم خدمتك.» (٤: ٥)

هل جازف تيموثاوس وذهب إلى بولس الرسول في روما وقُبِض عليه وسُجن ثم أُفرج عنه؟

+ «اعلموا أنه قد أُطْلِقَ الأخ تيموثاوس الذي معه سوف أراكم إن أتى سريعاً.» (عب١٣: ٢٣)

نعلم من جميع الرسائل السابقة بكل ظروفها وأزمنتها، أن تيموثاوس لم تُلْقَ عليه الأيادي ولم يُسجن. والآن ليس أمامنا مفرٌّ أن نعتبر أن هذا قد حدث في روما وفي ذهاب تيموثاوس إلى هناك ليرى بولس الرسول في السجن، لأنه أعلن عن نفسه أنه صديق بولس لذلك وُشِيَ به، وتم القبض عليه واستوْدِعَ السجن، ولكن لم تَثْبُت عليه أية تهمة، فأُفرج عنه.

يقول الباحث المدقق والعالم كونيبير Conybeare:

[هذا يقودنا إلى أن نفكر أن تيموثاوس وصل قبل الحكم على بولس الرسول بالموت، وإلاَّ ما كان هناك ضرورة لكي يقرِّر أنه قُبِضَ عليه هو أيضاً في روما. لأنه إن كان قد أتى متأخراً

كان يمكن أن يعود إلى آسيا في الحال، دون أن تشعر به السلطات في إيطاليا.

لذلك نرجو أن تكون رغبة بولس الرسول العاطفية قد تحققت (في رؤية تيموثاوس). غير أنه إذا كان تيموثاوس قد أتى قبل صدور الحكم، فإن المدة التي قضاها مع بولس بعد مجيئه إلى روما تكون قصيرة جداً بالضرورة، لأن الرسالة لو فرضنا أنها وصلته في أول مارس، فإنه بالجهد يكون قد وصل إلى روما آتياً من أفسس في نهاية شهر مايو. ومعروف أن نيرون مات في يونية سنة ٦٨م. إذاً، فيكون بولس الرسول قد تلقى الحكم ليس بعد أول شهر يونية بأي حال من الأحوال. وهذه التواريخ قد توصلنا إليها، وهي توفي بكل مطالب كل الظروف التي أحاطت بالموضوع](١٩).

الرسالة إلى العبرانيين:

الإلهام الرسولي والنبوي في هذه الرسالة يرفعها فوق كل الظنون:

لقد أثارت هذه الرسالة ومنذ القرن الثاني الميلادي كثيراً من المناقشات وطرح الآراء. ومن بين كل الأسفار لم يوجد سفر حدث بسببه مثل هذه المناقشات، كما لم يوجد سفر حمل مثل هذه الإلهامات المضيئة والتي لا يختلف في علو شأنها اثنان.

ولكي يكون لدى القارىء فكرة عن مدى خطورة الحكم على أسفار الإنجيل بتسرُّع، فليعلم أن كنيسة روما ــ بوزنها العالي رفضت الاعتراف بقانونية هذه الرسالة وبنسبها لبولس الرسول على مدى القرن الثاني والثالث والرابع كله!! ثم قبلت واعترفت بقانونية هذه الرسالة ضمن الأسفار المقدسة ورقَّمتها بالرقم الرابع عشر في رسائل بولس الرسول.

وعلينا الآن أن نعطي القارىء فكرة متسعة عمَّا واجهته هذه الرسالة على طول المدى من رفض وقبول من كافة الكنائس والقديسين والعلماء، لكي يلمّ بخطورة هذه الرسالة وتتسع مداركه في تِقْنية البحث العلمي والحكم على الأمور الروحية بفكر ثاقب:

(أ) فبادىء ذي بدء يلزم أن يعرف القارىء أن في كل العصور وباختلاف الأشخاص والآراء والأحكام والتعصبات لم يوجد إنسان واحد قدَّم أدنى اعتراض على الإلهام الواضح المضيء في هذه الرسالة!

(ب) كذلك وبنفس التأكيد، اتفق جميع القديسين والباحثين والفاحصين والمعترضين أن كاتب الرسالة هو من عصر الرسل ومُعَاصر بالضرورة لبولس الرسول (إن لم يكن هو بولس الرسول).

---

19. Conybeare, *op. cit.,* p. 781.

(ج) وأيضاً يتحتم أن يعرف القارىء القبطي أن هذه الرسالة استقبلتها الكنيسة القبطية والشرقية عموماً منذ البدء، باعتبارها رسالة قانونية من الأسفار القانونية، واقتصر النقاش فقط على كاتبها!

(د) و يوجد شخصيتان لهما وزنهما العالي في المعرفة الروحية وعلوم الكتاب المقدس، وتقدمهما المرموق في اللغة وفحص الأسفار، وهما أوريجانوس من الشرق وجيروم (إيرونيموس) من الغرب، هذان قالا قولاً أقرب ما يكون من الصحة الإنجيلية وواقع الأمر:

١ــ فجيروم قال إنه لا يهم (الإنسان المسيحي) أن يكون كاتبها بولس أو لوقا أو برنابا طالما أنه اعترف بها أنها من نتاج العصر الرسولي، وظلت تقرأ في الكنيسة في خدمتها العامة منذ بدء الزمن: فهي رسالة رسولية.

٢ــ أما أوريجانوس، فقال بعد فحص كل الاحتمالات أن الذي أملاها هو بولس الرسول، وأن الذي كتبها هو أحد تلاميذه. لأن الفكر فيها هو فكر بولس الرسول، واللغة ليست لغة بولس الرسول.

وكأنما نحن أمام حيرة إسحق أبي الآباء: «الصوت صوت يعقوب ولكن اليدين يدا عيسو» (تك٢٧: ٢٢). ولكن استقر في نفسه إلى أن يعقوب هو أخو عيسو، فالذي يتقدم منهما ينال البركة.

(هـ) والذين قالوا إن الرسالة إلى العبرانيين هي للقديس بولس الرسول هم:

القديس كلمندس الإسكندري تابعاً في رأيه رأي معلمه القديس بنتينوس مدير المدرسة اللاهوتية لهذا الزمان، أوريجانوس، القديس ديونيسيوس الإسكندري، القديس بطرس خاتم الشهداء، القديس ألكسندروس، القديس أثناسيوس الرسولي، القديس ديديموس، القديس كيرلس الكبير، القديس إيسيذوروس البلوزي أي الفرمي (مصري)، حتى أريوس المنافق! مع آباء السريان ونسخة البشيتا وأفرآم السرياني ويعقوب من نصيبين أي كل آباء الشرق القديسين، الكل بدون استثناء، قالوا إنها لبولس.

(و) وأما بخصوص المتناقضات في الأسلوب والكتابة والألفاظ واللغة بين الرسالة إلى العبرانيين وباقي رسائل بولس الرسول، فقد حاولوا كل واحد من جهته أن يعطي أسباباً لذلك. فكلمندس مثلاً قال: [إن هذه الاختلافات الواضحة والشديدة ترجع إلى أن بولس الرسول كتبها بالعبرية، وترجمها آخر وهو القديس لوقا إلى اليونانية](٢٠). ثم قال

---

(٢٠) راجع كتاب: «التاريخ الكنسي»، ليوسابيوس القيصري ٦: ١٤: ٢.

أوريجانوس، لا بل إن: [بولس كان هو صاحب الفكر، أما الذي دوّنها فهو آخر لا يعلمه أحد إلاّ الله](٢١). ويضيف أوريجانوس في تقريره قائلاً: [إن الوثائق التاريخية التي انحدرت إلينا، أعطت أسماء مثل كلمندس أسقف روما، ولوقا كاتب الإنجيل والأعمال]، أسماء مقترحة لكتابة الرسالة إلى العبرانيين.

ولكن المعروف والمتحقق أن أوريجانوس اقتبس من الرسالة إلى العبرانيين وأعطى اسم بولس لكاتبها.

(ز) و يوسابيوس القيصري المؤرخ صنع مثل هذا (أي أنه استشهد بها أنها لبولس الرسول)، بينما يضعها أحياناً تحت خانة الأسفار غير المتّفق عليها.

(ح) جميع آباء الكنيسة اليونانية مع مجمع أنطاكية سنة ٢٦٤م ومجمع لاوديكية سنة ٣٩٠م مع القديسين اغريغوريوس الشافماتورغوس، كيرلس الأُورشليمي، إبيفانيوس، باسيليوس، اغريغوريوس النازينزي والنيسي، وذهبي الفم، وثيئودور الموبسوستي. جميع هؤلاء اعتبروا هذه الرسالة لبولس الرسول.

ط ـ آباء الغرب:

عند هؤلاء من البدء، ومنذ أيام القديس كلمندس الروماني أسقف روما الثاني بعد لينوس في القرن الأول، لم تُحسب هذه الرسالة قانونية ولم تُعد أصيلة لبولس الرسول، وهكذا أيضاً حسبتها وثيقة موراتوري، التي لم يُذكر فيها إلاّ ثلاث عشرة رسالة لبولس الرسول وأُسقطت الرسالة إلى العبرانيين. كذلك هيبوليتس وإيرينيئوس لم يعتبراها قانونية ولا أنها أصيلة لبولس الرسول. وحتى كبريانوس احترس حتى إنه لم يقتبس منها أصلاً!! وخرج ترتليان على ذلك فاعتبرها أنها لبرنابا وأنها غير قانونية.

وظل هذا الرفض من الآباء اللاتين حتى القرن الرابع ــ وحتى عند فنسنت من ليرين Vincent of Lerins، وهيلاري من بواتييه Hilary of Poitiers، وأمبروسيوس من ميلان Ambrose of Milan، ولوسيفوروس من كاجلياري Lucifer of Cagliari.

ولكن في مجمع هيبُّو سنة ٣٩٣م، ومجمع قرطاجنة سنة ٣٩٧م، سجّل الآباء المجتمعون الرسالة إلى العبرانيين مع الثلاث عشرة رسالة التي لبولس الرسول. وهكذا، وبناءً على هذا الإجراء،

---

(٢١) راجع كتاب: «التاريخ الكنسي»، ليوسابيوس القيصري ٦: ٢٥: ١١ـ١٣.

اعتبرها إينوسنت الأول Innocent سنة ٤١٧م (بابا روما منذ سنة ٤٠٢م) أنها قانونية بجراءة. وكان هذا البابا ذا رأي صائب وعزيمة وشكيمة وإخلاص وتقديس بالدرجة الأولى. وله الفضل، كل الفضل، في مناصرة القديس يوحنا ذهبي الفم ضد أعدائه والمناوئين له، ومناصرة جيروم أيضاً ضد مقاوميه. ومنذ أيامه ورسائل بولس الرسول القانونية صارت هي الأربع عشرة رسالة بما فيها الرسالة إلى العبرانيين. وهكذا ذابت واختفت بالتدريج كل الشكوك والرفض لرسالة العبرانيين عند الغرب عامة.

وانتهى آباء كل من الشرق والغرب على أن الرسالة إلى العبرانيين قانونية ومنسوبة لبولس الرسول حتى وإن كان بها ما يخالف شكلاً، سواء في الألفاظ أو النظام أو اللغة، باقي رسائل بولس الرسول.

أما نُقَّاد العصر الحديث، فلم يستقروا على قرار، وتباعدت نظراتهم واقتراحاتهم ولم ينتهوا إلى حلٍّ سواء.

إلى مَنْ كتب بولس الرسول هذه الرسالة؟

أيضاً اختلفت الآراء سابقاً ولاحقاً وحتى اليوم. فمن قائل أنها كُتِبَتْ لكنيسة أورشليم، إلى قائل لا بل إلى روما نفسها، إلى مَنْ قال بل إلى الإسكندرية، لا بل أنطاكية، بل كورنثوس، بل تسالونيكي؛ حتى إلى مَنْ قال أنها أُرسلت لرافنّا Ravenna.

ولكن ألا يظهر من هذا أن بولس الرسول كتبها فعلاً لهذه الكنائس بل المجامع كلها، من أجل هذا أغفل اسم المُرْسَل إليه واسم الراسل حتى إن كل مَنْ يقرأها من اليهود لا يعثر في بولس الرسول كاتبها؟

أما تاريخ كتابتها فقد حددناه بدقة وهو أثناء سجن بولس الرسول لثاني مرة، وهي في آخر أيامه قبل أن ينطلق إلى راحته العليا. والذي يؤيد هذا بكل يقين أن ذِكْرَ الهيكل وطقوسه في الرسالة يُظهر بوضوح أن هذه كانت موجودة وقائمة وكانت ولا زالت تمارَسُ، أي قبل سنة ٧٠م — تاريخ خراب الهيكل وتوقُّف العبادة فيه بل وانتهاء وجوده من على وجه الأرض — حيث «لم يُتْرَكْ فيه حجر على حجر لم ينقض» حسب قول الرب (لو٢١:٦).

كذلك فإن الكاتب، إذا لم يكن هو بولس الرسول وكان يكتب بعد سنة ٧٠م، لكان ذكر انتهاء عصر الهيكل والذبائح حتماً لأنه يزكِّي قيام الجديد الذي يصفه. ولكن اليهود المسيحيين



صورة لساحة رومانية **Forum** والقاعة التي كان يجتمع فيها مجلس الشيوخ (السناتو) لمناقشة وإقرار القوانين الرومانية.

(أنظر صفحة ٧٤٠)

استشهاد القديس بولس الرسول
واحة السلام

دير الترابيست باسم الينابيع الثلاثة،
يرجع إلى القرن السابع.

هنا في هذا الموضع وفي مكان يبعد عن روما مسافة ثلاثة أميال،
أُخذت رأس القديس بولس.
وخلّد المذبح المقام هنا ذكرى استشهاد الرسول.
(أنظر صفحة ٧٦٢)


PETRVS DIAC CAR ALDOBRANDINVS S R E CAMER
S PAVLI APOSTOLI
MARTYRII LOCVS
VBI TRES FONTES
A D M DIC

الذين كتب لهم بولس الرسول هذه الرسالة رأوا بدء خراب الهيكل سنة ٦٧ــ٦٨م، وحوصروا فيه فاضطروا لمغادرته والتحصُّن في مدينة بلا Pella؛ إلى هؤلاء كتب الرسالة ليشدد إيمانهم ويثبِّتهم في الهيكل السمائي الجديد، والذبيحة الوحيدة الإلهية ورئيس الكهنة الأعظم، الذي لا يمنعه الموت عن البقاء، والحجاب الجديد وطريق الأقداس والدم المرشوش على الضمير!

بولس الرسول يكتب لليهود المتنصِّرين، سواء في أورشليم أو اليهودية أو السامرة أو أقصى الأرض، الذين يواجهون إغراء الردَّة إلى اليهودية، وقد وقفوا على حافة الهوَّة بسبب الاضطهاد الذي يلاحقهم من الخلف والذي يداهمهم من الأمام، من اليهود المتعصِّبين ومن الرومان المستبدِّين والمتعظمين والمترأسين. بولس الرسول يحذِّر من الارتداد عن الله الحي أولئك الذين ذاقوا المواهب وعاشوها وتقدَّسوا بالدم وخُتموا بروح الموعد القدوس، لأن ارتدادهم سيكون بلا توبة، بلا قيامة، بلا ذبيحة، بلا غفران، بلا رحمة، لأنه يكون على مستوى من داس دم ابن الله الذي هو بروح أزلي، وكمَنْ ازدرى بروح النعمة، فلم يبقَ له بعد خلاص.

لقد صوَّر بولس الرسول، ببراعة، ذلك الذي يرتد من المسيحية إلى اليهودية كمَنْ ينتقل من الكامل إلى الناقص، من عهد النور والنعمة إلى الشبه والظل والعتمة. من ذبيحة الابن الوحيد إلى ماعز وتيوس وعجول؛ من رئيس كهنة عظيم بهذا المقدار حي إلى الأبد، اجتاز السموات ليتراءى أمام الله من أجلنا، إلى رئيس كهنة أرضي يحتاج إلى ذبيحة ثور ليتطهَّر ثم يبتلعه الموت فيتنجَّس ويمنعه عن التطهير أيضاً وعن البقاء!

وبالأكثر جداً، فإن كل مَنْ يرتدّ من المسيحية إلى اليهودية فهو لا يرتد بدون خسارة، بل هي أفدح خسارة، لأن بالمسيح صار لنا قبول لدى الله، فهو الوسيط الوحيد، لأنه الابن الوحيد والوسيط بين الله والناس. أما في اليهودية، فكانت الوساطة على يد كاهن وهو أضعف من الضعف يلتجىء إلى عنزة أو تيس يذبحه ليتطهر حتى يتأهل للوساطة ــ عبد لعبد ــ ولكن الرب يسوع هو الوسيط الإلهي والأزلي، توسَّط بذبيحة نفسه، وبدم العهد طهَّرنا وقدَّمنا إلى الله بلا لوم في قداسته وبرِّه وبنُوَّته الأزلية كابن وحيد لأبناء متبنِّين.

والرسالة يقدمها بولس في ثلاثة عناصر أصيلة:

العنصر الأول: المفاضلة بين وساطة المسيح، ووساطة الآباء والأنبياء وموسى ويشوع (عب١ــ٤).

العنصر الثاني: المفاضلة بين كهنوت المسيح الأزلي على طقس ملكي صادق، في مقابل الكهنوت اللاوي (عب٥ــ٧).

العنصر الثالث: ذبيحة المسيح الكفارية، في مقابل ذبائح يوم الكفّارة ومعها عقاب عدم الإيمان، في مقابل قيمة الإيمان وأمثلته الشاهدة والحث على الجهاد والمثابرة (عب٨–١٣).

والرسالة في جملتها مقارنة بين عهدين ومفاضلة بين نظامين.

نهاية السجن الثاني لبولس الرسول حسب التقليد:

[لي اشتهاء أن أنطلق وأكون مع المسيح، ذاك أفضل جداً.] (في١: ٢٣) بولس الرسول.

لقد حان موعد الزفاف ووضع إكليل البر على الرأس المتعب المظفَّر.

بولس الرسول تألم خارج الباب:

إن مواطنة بولس الرومانية جنّبته حكم الموت بالتعذيب الذي وقع فيه كل المسيحيين زملائه الذين تقبّلوا أحكام الموت في هذا الحادث الحزين. وهذا نتج عنه بحسب تدبير نعمة الله أن يتقبّل بولس الرسول الموت كمواطن روماني بضربة سيف(٢٢). على أن المواطنين الرومانيين الذين كانوا يُعدمون بالسيف كان يؤتى بهم إلى خارج المدينة.

وهكذا تمّ موت بولس الرسول خارج أسوار روما(٢٣)، تماماً تماماً كما أشار هو: «فلنخرج إذاً إليه خارج المحلة حاملين عاره» (عب١٣: ١٣)، وكان هذا على طريق أوستيا(٢٤) (ميناء روما)، حيث شُيِّدت فيما بعد كاتدرائية عظمى تخليداً لاستشهاده، بيد قسطنطين الملك؛ اسمها حتى الآن: «كنيسة القديس بولس خارج الأسوار» **St-Paul Hors les Murs**.

---

22. Conybeare, *op. cit.*, p. 781.
23. Ibid.
24. a. Caius (A.D. 200).
    b. Tertullian.
    c. Eusebius.
    d. Jerome.

مات بولس! مات الرسول الإنجيلي والنبي والشهيد!

وسلَّم وثيقة ميراثه للكنيسة. أربع عشرة رسالة ووجه المسيح المضيء من السماء.

هي أربع عشرة جوهرة متلألئة بنور الله، أضاءت لنا طريق الحياة والخلود.

مع قسط آلام وسلسلة وقيود ودماء مسكوبة على طريق أوستيا،

صارت مُرشداً للسفر للكارزين، وزاداً يتزود به كل العابدين.

مات بولس الرسول، وهو لا يزال يتكلم بعد.

فليس بين كل مَنْ دعاهم المسيح وأرسلهم مثل بولس الرسول

لا يزال صوته يرنُّ في جميع أنحاء العالم.

يعزِّي ويبكِّت ويعلِّم ويشجِّع ويقيم من الحضيض.

كلماته سهام روحية مَبْريَّة تخترق كل الحواجز لتصيب مرماها بيقين.

ألفان من السنين، وكلماته لا تزال تنبض بالروح كما نطقها.

هزَّت عروشاً ومنابرَ، وألهبت قلوباً وضمائرَ، وصنعت كارزين،

أقامت من الحضيض ملايين من التائبين وجعلت منهم عظماء وشهداء وقديسين.

بولس الرسول، وعالم اليوم:

إن «**حياة بولس**» الرسول التي حازت بأعمالها وأخلاقها برهان حصوله على اتحاد قلبي وروحي وفكري بالمسيح واختبار وجوده حيًّا مصلوباً وقائماً من الموت وناظراً من السماء، سجَّلت للعالم بل وسلَّمته باليد كلًّا من مسيح التاريخ ومسيح الدهر الآتي، حاضراً حضوراً حيًّا فعَّالاً.

فمسيحية بولس التي سلَّمها لعالم الأمم عَبْر الكنيسة بالإنجيل ليست ديانة فكر وكتاب وحسب، أو ديانة ناموس وقانون ونظام وحسب، بل ديانة المسيح الحيِّ الحاضر والقائم، المنظور والمُعَاش بالروح، صاحب إنجيل القوة، القادر على التغيير الأخلاقي وتجديد الطبيعة وإعطاء النعمة العاملة لملء حياة كل فرد بالفرح والقداسة والعبادة والتقوى العملية.

لقد استلم العالم من بولس الرسول مسيحية عملية لها قواعدها، غيَّرته بالفعل وجدَّدت طبيعته، خطَّت فيه بقوة تاريخاً خاصاً بها، تاريخاً من قصص حياتيَّة أخلاقية روحية فائقة، وقصص قداسة وتقوى صادقة وسمو روحي، وقصص كرازة وفداء وأعمال بذل وبطولة واستشهاد، كل ذلك على مستوى الفرد والجماعة والكنيسة في كل العالم، طبعت شعوباً بأجمعها بروح المسيح، وأعطتها وأعطت العالم معها بالتالي سماتٍ مسيحية تغلغلت فيه كصفات.

وهكذا، فإن خبرة بولس الإيمانية في التصاقه بالمسيح كابن الله الحي، واكتسابه حياته الجديدة منه، والمتحدة به بالروح مع فعالية النعمة التي صنعت منه أقوى كارز كرز للعالم، هذه الخبرة الإيمانية كانت هي بدء حركة التاريخ المسيحي في العالم، الذي لا يزال يجمع ويسجِّل من الأفراد والجماعات والشعوب صوره الحيَّة، حتى أصبح من المستحيل فصل العالم عن تاريخ المسيحية لأنها صارت صورة حيَّة له.

حينما ظهر يسوع المسيح وابتدأ استعلان ذاته بقوله: «توبوا فقد اقترب منكم ملكوت الله»، كان المسيح هو تجسيد هذا الملكوت بعينه، وكان هو تجسيد هذا الاقتراب؛ اقتراب الله ذاته. فقد تقابل آنئذ العالم مع المسيح في الله وجهاً لوجه!! ولكن لم يعرف العالم المسيح وأشاح بوجهه عنه ... فأشاح بوجهه عن الله دون أن يدري!!!

وعندما ظهر يسوع المسيح أولاً للتلاميذ، ثم لبولس حيث استعلن ذاته له من السماء بوجهه المشرق من العلاء واستعلن فيه الله، تقابل آنئذ المسيح والله مع بولس وجهاً لوجه، فقبله بولس؛ فتغيَّر إلى تلك الصورة عينها وظلَّ يتغير بالروح من مجد إلى مجد، ومعه يهوديته والأمم التي دُعِيَ لخدمتها. وهكذا دخل العالم بواسطة بولس الرسول وفيه إلى «مقابلة» صادقة مع المسيح والله وقبول، وتغيير ومجد، كان بولس يستشعرها جميعاً بكل يقين، اسمعه وهو يخاطب العالم:

«نسعى كسفراء عن المسيح كأن الله يعظ بنا، نطلب عن المسيح:
تصالحوا مع الله!»
(٢كو٥: ٢٠)

انتهى

ويليه تفسير رسالة بولس الرسول إلى أهل رومية

فهارس الكتاب

— ١ —

فهرس الآيات الواردة في نص الكتاب

أعمال الرسل:

افسس (رسالة)

الموضع	العدد	إلى	الصفحة
اف ١	٦:		٢٠١
	٧:		٢٤٩
	٧:		٢٥٤
	٧:		٢٥٥
	٧:		٢٨٠
	٩:	١٠-	١٧٦
	٩:	١٠-	٢٣٩
	١٠:		١٨٢
	١٠:		٤٦١
	١٠:		٥٦٢
	١٠:		٧٢٧
	١١:	١٢-	٢٣٩
	١٣:		٤٨٠
	١٣:	١٤-	٥٩
	١٣:	١٤-	١٣١
	١٣:	١٤-	٤٠٦
	١٣:	١٤-	٤٧٧
	١٣:	١٤-	٥٨٠
	١٥:		٣٥٨
	١٥:	١٨-	٥٣٥
	١٦:	١٩-	٥٢٣
	١٧:		٥٢٥
	١٨:		٢٣٧
	١٨:		٣٩٤
	١٨:	٢٠-	٨٩
	٢٠:		٢٩٨
	٢٠:	٢١-	١٧٧
	٢١:	٢٢-	٢٠٠
	٢٢:	٢٣-	٤٥٤
	٢٢:	٢٣-	٤٦٠
	٢٢:	٢٣-	٤٦٨
	٢٢:	٢٣-	٤٧١
	٢٢:	٢٣-	٧٣٠
٢	٢:		٥٩٧
	٣:	٥-	٢٣٦
	٤:		٧٣٠
	٤:	٥-	٢٣٧
	٤:	٥-	٢٤٠
	٤:	٧-	٣٠٧
	٥:		٢٦٤
	٥:		٣٧٨
	٥:		٧٣٠
	٦:		٣٠٢
	٦:		٤٥٣
	٦:		٧٣٠
	٦:	٧-	٣٥٨
	٨:		٢٦
	٨:		٥٢
	٨:		٣١٦
	٨:	٩-	٢٣٧
	٨:	٩-	٣٢٢
	٨:	٩-	٣٦٩
	٨:	٩-	٣٧٠
	١٠:		٣٨
	١٠:		٢٣٩
	١٠:		٦١٢
	١١:	١٦-	١٢٢
	١٢:		٩٨
	١٣:		٩٨
	١٣:		٢٥٥
	١٣:		٣١١
	١٣:		٤٥٢
	١٣:	١٦-	٣٢٨
	١٤:	١٥-	٥٠٤
	١٤:	١٦-	٣١١
	١٤:	١٦-	٤٦٦
	١٤:	١٨-	٧٢٩
	١٦:		٣١٦
	١٨:		٢٥٠

الموضع	العدد	إلى	الصفحة
اف ٢	١٨:	١٩-	٩٨
	١٨:	٢٢-	٤٦٢
	١٩:		٣٢٩
	١٩:		٣٨٧
	١٩:		٥٠٠
	١٩:		٧٣٠
	٢٠:		٤٦٦
	٢٠:		٥٠٠
	٢٠:	٢٢-	٤٥٦
	٢٠:	٢٢-	٤٧٥
	٢٠:	٢٢-	٤٨٣
	٢١:	٢٢-	٤٨٠
	٢٢:		٤٦٧
٣	٣:		٧٣٠
	٣:	٤-	٨٨
	٥:		٥٠٠
	٥:		٧٢٩
	٥:	٦-	٤٧٤
	٥:	٩-	٤٧٦
	٥:	١١-	٢٣٨
	٦:		٧٢٩
	٧:		٤٣٨
	٨:		٢٠
	٨:		٩٦
	٨:		٣٥٨
	٨:	١١-	٣٠
	٨:	١١-	٧٥
	٨:	١١-	١٧٦
	٩:		٢٠٠
	٩:		٢٤٢
	٩:		٧٢٩
	١٠:	١١-	٤٥٥
	١٢:		٩٨
	١٢:		٣٥٩
	١٢:		٣٦٤
	١٤:		٢١٦
	١٤:	١٦-	٥٤٨
	١٤:	١٧-	٥٢٥
	١٤:	١٩-	٨٩
	١٤:	١٩-	١٦٧
	١٦:	١٧-	٤٧٥
	١٧:		١٩٦
	١٧:		٢٦٩
	١٧:		٤٠١
	١٧:		٥٥٤
	١٧:	١٨-	٥٣٥
	١٧:	١٩-	٩٣
	١٧:	١٩-	٩٦
	١٩:		٣٦٠
	١٩:		٧٣٠
	٢٠:		١٩٢
	٢٠:		٣٥٨
٤	١:		٤٢٢
	١:	٣-	٥١٩
	٢:		٥٤٣
	٢:		٧٣٠
	٣:	٤-	٤٥٢
	٣:	٦-	٤٥٥
	٣:	٦-	٤٦١
	٥:		٣٩١
	٧:		٤٧٩
	١٠:		١٧٧
	١٠:		١٩٢
	١٠:		٢٩٨
	١٠:		٧٢٧
	١٠:	١١-	٢٢٤
	١١:		٤٦٧
	١١:		٧٣٠
	١٢:		٢٢٤

الموضع	العدد	إلى	الصفحة
اف ٤	١٢:	١٣-	١٥١
	١٢:	١٦-	٧٣١
	١٣:		١٨٥
	١٣:		٣٥٨
	١٥:		٤٥٣
	١٥:	١٦-	٤٥٤
	١٥:	١٦-	٤٧١
	٢٢:	٢٤-	٣٨٢
	٢٨:		٥٥١
	٣٠:		٢٢٤
	٣٠:		٤٧٧
	٣٠:		٥٨٠
٥	١:	٢-	٢٧٥
	٢:		١٤٧
	٢:		٢٥٨
	٢:		٢٦٠
	٣:	٥-	٥٤٦
	٥:		٢٠٣
	٥:		٦١٣
	٨:		٣٩٤
	١٨:		٤٧٧
	١٨:		٧٣١
	١٩:		١٨٩
	١٩:		٧٣١
	٢١:		٩٧
	٢١:		٣٦١
	٢٢:	٢٤-	٥٣٠
	٢٢:	٣٣-	٧٣١
	٢٣:		٤٥٤
	٢٣:		٤٧١
	٢٣:		٤٧٤
	٢٣:	٣٢-	٧٢٩
	٢٥:		٣٩٥
	٢٥:		٥٣٠
	٢٥:	٢٦-	٣٩٦
	٢٥:	٢٧-	٢٦٠
	٢٥:	٢٧-	٣٨٨
	٢٥:	٢٧-	٣٩٥
	٢٥:	٢٧-	٤٥٧
	٢٦:		٤٤٣
	٢٧:		١٠٧
	٢٧:		١١٨
	٢٨:		٥٣٠
	٢٨:	٣٣-	١٤٦
	٣٠:		٢٦٨
	٣٠:		٤٤١
	٣٠:		٤٥٤
	٣٠:		٤٥٦
	٣٠:		٤٥٧
	٣٠:		٤٧٠
	٣١:	٣٢-	٤٤٢
	٣١:	٣٢-	٥٣١
	٣٢:		٤٥٨
	٣٣:		٥٣١
٦	١:		٥٣٠
	٤:		٥٣٠
	٨:		٦٠٨
	١١:	١٢-	١٣٠
	١١:	١٨-	٥١٤
	١٤:	١٧-	٧٣١
	١٨:		٥٤٧
	١٨:	١٩-	٥٤٩
	٢١:		٧٢٦
	٢١:	٢٢-	٦٦٤

امثال (سفر)

الموضع	العدد	إلى	الصفحة
ام ٨	١٢:		١٧٣
	٢٢:	٣١-	١٧٣

٢ تس ١ ٧: ٥٨٦
٧: ٥٩٦
٧: -٨ ٥٩٦
٧: -١٠ ٥٦٨
٩: ٦٠٦
١٠: ٥٨٥
١٠: ٦١٢
٢ ١: ٥٨٤
١: -٣ ٦٤٩
١: -١٢ ٥٦٨
٢: ٥٧٤
٢: ٥٨٥
٢: ٦٤٨
٣: ٥٩٩
٣: ٦٥٠
٦: -١٠ ٥٩٧
٧: ٥٩٧
٧: ٦٠٤
٧: -٨ ٦٠٢
٨: ٥٨٤
٨: ٥٨٦
٨: ٦٠٥
١٢: ٥٧٤
١٣: ٢٣٨
١٣: ٢٤٠
١٦: ٢١٦
٣ ١: ٥٤٩
٥: ٩٧
٥: ٢٧٥
٥: ٣٦١
٥: ٥٥٥
٦: ٦٤٩
٦: -٧ ٥١٩
٦: -٧ ٥٥٢
٧: -٨ ٦٤٩
٧: -١٢ ٥٥٠
٨: ٦٤٠
١٠: ٦٤٩
١٠: -١٢ ٦٤٩
١٤: -١٥ ٤٩٨

تكوين (سفر)

تك ١ ١: ١٧٣
٢٦: ١٩٦
٢٦: -٢٧ ٢٤٢
٢ ٧: ٤٠٨
٢٢: -٢٣ ٤٤١
٢٢: -٢٣ ٤٥٧
٣ ٤: -٦ ٣٢٥
١٦: ٤٤٦
٤ ٩: ٥٢٧
١٠ ١٩: ٧٠٥
١٤ ٢٢: -٢٣ ٣٥٣
١٥ ٢: ٦٩
٢: ٣٥٣
٥: -٦ ٣٥٣
٦: -١٨ ٢٥٣
٩: -١٨ ٤٢٥
١٧ ١: ٥١٥
٢١ ١٢: ٣٦٤
٢٢ ١٦: -١٨ ٢٥٣
٢٧ ٢٢: ٧٥٨
٢٨ ١٢: -١٣ ٥٥
٣٥ ١٦: -١٨ ٤١
١٨: ٤١
٤٨ ٣: -٢٠ ٤٣٠
٤٩ ٢٦: ٣٠
٢٧: ٦٦

تيطس (رسالة)

تي ١ ٢: ٢٣٢
٤: ٤٣٨
٥: ٤٣٨
٥: ٧٤٠
٥: ٧٤٩
٥: -٧ ٤٨٨
٥: -٩ ٤٨٩
٦: -٩ ٤٩٠
٧: ٤٨٧
١٠: -١٦ ٧٤٩
١٣: -١٥ ٥٠٧
٢ ١٠: ٥٥٢
١١: ٢٣٩
١٢: -١٣ ١٩١
١٣: ١٨٩
١٣: ١٩١
١٣: ٢١٥
١٣: ٥٨٦
١٣: -١٤ ٢٣٠
١٣: -١٤ ٢٦٠
١٤: ٢٧٩
١٤: ٢٨١
١٤: ٢٩٣
٣ ١: -٢ ٥٢٨
٢: ٥٤٣
٣: ٢٨٠
٤: -٥ ٢٣٩
٤: -٦ ٢٠٩
٤: -٦ ٢٢٣
٥: ٣٧٠
٥: ٣٩٥
٥: ٤٠٥
٥: -٦ ٢٥١
٥: -٦ ٤٠٨
٩: ٥٤٥
١٠: ٤٩٨
١٢: ٤٩٤
١٢: ٦٦٤
١٢: ٦٧٠
١٢: ٧٤٩
١٣: ٧٣٨
١٣: ٧٤٠

تيموثاوس (رسالة، الأولى)

١ تي ١ ١: ٧٤
٢: ٢٠٢
٢: ٦٢٨
٣: ٧٤٠
٣: ٧٤٠
٣: ٧٤٥
٣: -٤ ٤٩٤
٤: ٧٤٦
٥: ٥٠٦
٥: ٥٣٩
٧: ٧٤٦
١٢: -١٦ ٣٦٥
١٣: ٦٨
١٣: ٧٩
١٣: ٩٣
١٥: ١٧٨
١٦: ٣٦٣
١٨: ٤٣٥
١٨: ٤٣٩
١٨: ٤٩٤
١٨: ٥١٦

١ تي ١ ١٨: -١٩ ٥٠٦
١٩: ١٣١
٢ ١: ٧٤٦
١: -٢ ٥٤٨
١: -٣ ١٢١
٣: -٤ ٢٣٩
٤: ٣٧٦
٥: ٢٤٤
٥: ٣١٣
٥: -٦ ٢٦٠
٦: ٢٥٦
٦: ٢٧٨
٦: ٢٨٠
٦: ٢٩٣
٨: ٥٤٨
٨: ٧٤٧
١٣: -١٤ ٤٤٦
١٥: ٥٣٢
٣ ١: -٧ ٧٤٧
٢: ٤٨٧
٢: -٥ ٤٣٧
٢: -٧ ٤٨٩
٢: -٧ ٤٩٠
٧: ٤٤٠
٨: -٩ ٥٠٦
٨: -١٠ ٧٤٧
٨: -١٣ ٤٩٢
١٣: ٣٥٩
١٣: ٤٣٩
١٤: -١٥ ٧٤٨
١٥: ٤٩٩
١٥: ٥٠٠
١٦: ١٧٨
١٦: ٢٠٢
١٦: ٢٠٣
١٦: ٢١٣
١٦: ٢٤٣
١٦: ٣٠٢
١٦: ٥٩٧
٤ ١: ٧٤٦
١: -٣ ٥٩٢
٦: ٤٣٩
٧: -٨ ٧٤٦
١٠: ٢٣٩
١٠: -١١ ١١٩
١٢: ٧٣٩
١٣: ٤٣٧
١٤: ٤٣٥
١٤: ٤٣٦
١٤: ٤٣٩
١٤: ٤٨٥
١٥: -١٦ ٤٣٧
١٦: ٧٤٧
٥ ١: -٢ ٤٩٨
١: -٢ ٧٤٧
٩: ٤٩١
٩: -١٠ ٤٩٢
١٧: ٤٣٨
١٧: ٧٤٧
١٩: ٤٩٧
١٩: ٧٤٧
٢٠: ٤٩٨
٢٠: ٧٤٧
٢١: ٧٤٧
٢١: -٢٢ ٤٣٨
٢٢: ٧٤٧
٦ ١: ٧٤٨
٢: ٧٤٨
٣: -٥ ٧٤٦

تيموثاوس (رسالة، الثانية)

حبقوق (سفر)

حزقيال (نبوة)

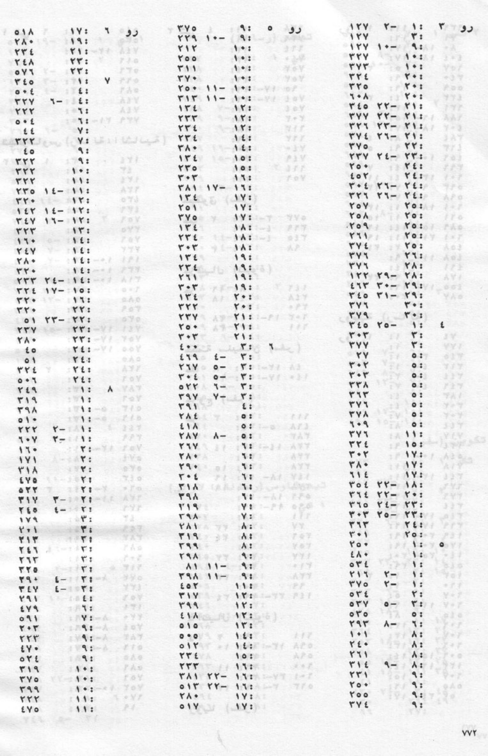
حكمة سليمان (سفر)

خروج (سفر)

دانيال (نبوة)

رؤيا (سفر)

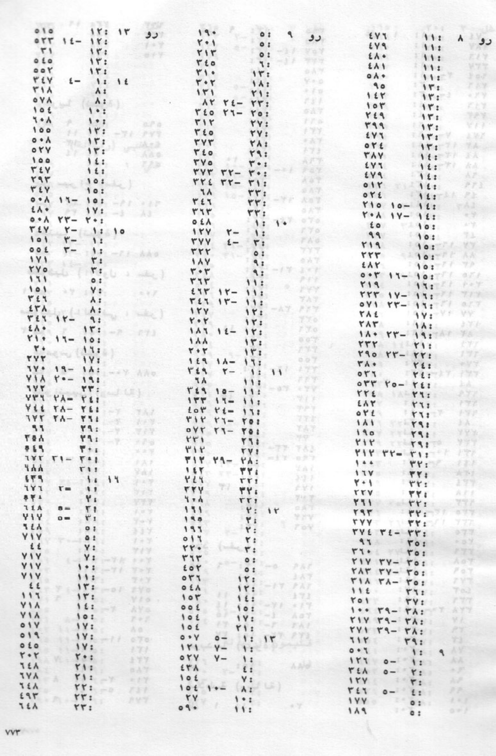
رومية (رسالة)



رو	٣	١:	٢-	١٢٧
		٣:		١٢٧
		٩:	١٠-	١٢٧
		١٠:		٣٢٧
		١٠:		٣٧٣
		٢٠:		٣٢٤
		٢٠:		٣٢٥
		٢٠:		٦٠٨
		٢١:	٢٢-	٣٤٥
		٢١:	٢٢-	٣٧٧
		٢١:	٢٣-	٣٢٦
		٢١:	٢٦-	٣٧٤
		٢٢:		٣٧٥
		٢٣:	٢٤-	٢٣٧
		٢٤:		٢٥٠
		٢٤:		٤٥٢
		٢٤:	٢٦-	٣٠٤
		٢٤:	٢٦-	٣٢٦
		٢٥:		٢٥٧
		٢٥:		٢٥٨
		٢٥:		٢٥٩
		٢٥:		٢٦١
		٢٥:		٣٧٤
		٢٦:		٣٧٦
		٢٨:		٣٧٦
		٢٨:	٢٩-	١٢٢
		٢٩:	٣٠-	٤٦٣
		٢٩:	٣١-	٣٤٥
		٣٠:		٣٧٦
		٣٠:		٣٧٩
	٤	١:	٢٥-	٣٤٥
		٣:		٣٠٣
		٣:		٣٧٧
		٥:		٢٧
		٥:		٣٠٢
		٥:		٣٠٣
		٥:		٣٣٨
		٥:		٣٦٣
		٥:		٣٧٦
		٥:		٣٧٨
		٥:		٦٠٩
		١١:		٣٧٦
		١٥:		٣٢٤
		١٧:		٣٠٢
		١٧:		٣٨٠
		١٧:		٦١٤
		١٨:	٢٢-	٣٥٤
		٢٠:	٢٢-	٣٦٤
		٢٣:	٢٤-	٣٦٥
		٢٣:	٢٥-	٣٠٣
		٢٤:		٣٦٣
		٢٥:		٣٠١
	٥	١:		٢٥٠
		١:		٤٨٠
		١:		٥٣٤
		١:	٢-	٢١٦
		١:	٢-	٣٧٥
		٢:		٥٣٤
		٣:	٥-	٥٣٧
		٥:		٥٣٥
		٦:	٨-	٢٩٣
		٨:		١٠١
		٨:		٢٤٠
		٨:		٢٦١
		٨:	٩-	٣١٤
		٩:		٢٣١
		٩:		٢٥٠
		٩:		٢٥٥
		٩:		٣٧٤

رو	٥	٩:		٣٧٥
		٩:	١٠-	٢٢٩
		١٠:		٢١٢
		١٠:		٢٥٥
		١٠:		٣١١
		١٠:		٣٧٠
		١٠:	١١-	٢٥٠
		١٠:	١١-	٣١٣
		١٢:		١٣٤
		١٢:		٢٣٣
		١٢:		٢٣٤
		١٤:		٢٣٤
		١٤:		٣٨٠
		١٥:		١٣٤
		١٥:		٢٣٥
		١٦:		٣٠٣
		١٦:	١٧-	٣٨١
		١٧:		١٣٤
		١٧:		٢٥١
		١٧:		٣٧٥
		١٨:		١٣٤
		١٨:		٢٣٤
		١٨:		٣٠٣
		١٩:		١٣٤
		١٩:		٢٣٤
		١٩:		٢٦١
		١٩:		٣٠٣
		٢٠:		١٣٤
		٢٠:		٣٢٢
		٢١:		٢٣٧
		٢١:		٢٥٠
		٢١:		٣٠٣
	٦	٣:		٤٠٠
		٣:	٤-	٤٦٩
		٣:	٥-	٢٦٧
		٣:	٥-	٣٠٤
		٣:	٦-	٥٢٢
		٣:	٧-	٣٩٧
		٤:		٣٩١
		٥:		٢٨٤
		٥:		٤١٨
		٥:	٨-	٢٨٧
		٦:		٢٦٧
		٦:		٢٨٠
		٦:		٢٩٠
		٦:		٣٠٤
		٦:		٣١٨
		٦:		٣٩٨
		٧:		٢١٩
		٧:		٣٩٨
		٨:		٢٨١
		٨:		٣١٩
		٨:		٣٩٩
		٩:		٢٩٨
		٩:	١١-	٨١
		٩:	١١-	٣٩٨
		١١:		٤٥٢
		١٢:		٣١٧
		١٢:		٣٩٩
		١٢:		٤١٨
		١٣:		٥١٥
		١٤:		٥٠٥
		١٤:		٥١٢
		١٥:		٢٣٤
		١٦:		٢٣٣
		١٦:	٢٢-	٣٨١
		١٦:	٢٢-	٥١٣
		١٧:		٢٨٠
		١٧:		٥١٧

رو	٦	١٧:		٥١٨
		١٩:		٢٨٠
		٢١:		٢٣٤
		٢٣:		٢٤٨
		٢٣:		٥٧٦
	٧	١:		٣٤٥
		٤:		٥٠٤
		٤:	٦-	٣٢٧
		٦:		٢٢٢
		٦:		٥٠٤
		٧:		٤٤
		٧:		٣٢٢
		٩:		٤٥
		٩:		٣٢٢
		١٠:		٣٢٢
		١١:		٣٢٢
		١١:	١٤-	٢٣٥
		١٢:		٣٢٠
		١٢:	١٤-	١٤٢
		١٢:	١٦-	٣٤٧
		١٣:		٣٢٣
		١٤:		١٦٠
		١٤:		٢٤٧
		١٤:		٢٨٠
		١٤:		٣٢٠
		١٤:	٢٤-	٢٣٣
		١٥:	١٧-	٣٢٤
		١٦:		٣٢٠
		٢٢:		٣٢٠
		٢٢:	٢٣-	٥١
		٢٣:		٢٣٧
		٢٣:		٢٨٠
		٢٤:		٤٥
		٢٤:		٥١
		٢٤:		٣٢٤
		٢٤:		٥٠٦
	٨	١:		٢٤٩
		١:		٣١٩
		١:		٣٩٨
		١:		٥١٠
		١:	٢-	٢٢٢
		١:	٢-	٦٠٧
		٢:		١٦٠
		٢:		١٧١
		٢:		٣١٨
		٢:		٤٧٥
		٢:		٥٢٢
		٢:	٣-	٣١٧
		٢:	٤-	٢٤٥
		٣:		١٧٩
		٣:		٢٠١
		٣:		٢١٣
		٣:		٢٤٦
		٣:		٢٦٣
		٣:		٣٢٥
		٣:	٤-	٣٩٠
		٣:	٤-	٣٤٧
		٤:		٢٩١
		٦:		٤٧٩
		٧:		٥٩١
		٩:		٢٠٣
		٩:		٢٢٣
		٩:		٤٧٠
		٩:		٥٢٤
		١٠:		٣١٩
		١٠:		٣٧٥
		١٠:		٣٩٩
		١١:		٢٢٢
		١١:		٤٧٥



رو ٨	١١:		٤٧٦
	١١:		٤٧٩
	١١:		٤٨٠
	١١:		٤٨١
	١١:		٥٨٠
	١٣:		٩٥
	١٣:		١٤٢
	١٣:		١٥٣
	١٣:		٢٤٩
	١٣:		٣٩٩
	١٣:		٤٧٦
	١٣:		٥٢٤
	١٤:		٣٨٧
	١٤:		٤٧٦
	١٤:		٤٧٩
	١٤:		٥١٢
	١٤:		٥٢٤
	١٤:	١٥-	٢١٥
	١٤:	١٧-	٢٠٨
	١٥:		٤٥
	١٥:		٩٩
	١٥:		٢١٩
	١٥:		٢٢٣
	١٥:		٤٨٢
	١٥:	١٦-	٥٠٣
	١٦:		٢١٩
	١٦:	١٧-	٢٢٣
	١٦:	٢٣-	٥٧١
	١٧:		٢٨٤
	١٨:		٢٨٣
	١٩:	٢٣-	١٨٠
	٢١:		٢٣٢
	٢٢:	٢٣-	٢٩٥
	٢٤:		٣٨٠
	٢٤:		٥٣٦
	٢٤:	٢٥-	٥٣٣
	٢٦:		٢٢٤
	٢٦:		٤٨٢
	٢٦:		٥٢٤
	٢٩:		١٨١
	٢٩:		١٩٥
	٢٩:		٢١٢
	٣١:	٣٢-	٢١٢
	٣٢:		١٠٠
	٣٢:		١٦٧
	٣٢:		٢٠١
	٣٢:		٢٢٧
	٣٢:		٢٦١
	٣٢:		٢٩٣
	٣٢:		٣٧٧
	٣٣:	٣٤-	٣٧٤
	٣٥:		٩٦
	٣٥:		٣٦٠
	٣٥:	٣٧-	٢١٧
	٣٥:	٣٧-	٢٨٣
	٣٥:	٣٨-	٣١٨
	٣٦:		١١٤
	٣٧:		٢٥١
	٣٨:	٣٩-	١٠٠
	٣٨:	٣٩-	٢١٧
	٣٨:	٣٩-	٢٧١
	٣٩:		٦١٢
٩	١:		٥٠٦
	١:	٥-	١٢٦
	٢:	٥-	٣٤٨
	٣:		١٢٧
	٤:	٥-	٣٤٦
	٥:		١٧٧
	٥:		١٨٩

رو ٩	٥:		١٩٠
	٥:		٢٠١
	٥:		٢١٣
	٦:		٣٤٥
	١٣:		٣١٠
	١٨:		٣٠٢
	٢١:		١٣١
	٢٣:	٢٤-	٨٢
	٢٥:	٢٦-	٣٤٥
	٢٧:		٣١٢
	٢٧:		٣٤٥
	٢٨:		٣٧٣
	٢٩:		٣٤٥
	٣٠:		٣٧٥
	٣٠:	٣٢-	٣٧٣
	٣١:	٣٢-	٣٢٤
	٣٣:		٦٨
	٣٣:		٣٤٦
	٣٣:		٣٦٣
١٠	١:		٥٤٨
	١:	٢-	١٢٧
	٣:	٤-	٣٧٧
	٥:		٣٣٢
	٩:		١٨٧
	٩:		٣٠٣
	١١:		٣٦٣
	١١:	١٢-	٤٦٣
	١١:	١٣-	٣٤٦
	١٢:		١٢٧
	١٢:		٢٠٢
	١٢:	١٤-	١٨٦
	١٣:		١٨٨
	١٣:		٢٠٣
	١٦:	١٨-	١٤٩
١١	١:	٢-	٣٤٩
	١١:		٦٨
	١١:	١٥-	٣٤٩
	١١:	١٦-	١٣٣
	١٦:	٢٤-	٤٥٣
	٢٥:	٢٦-	٣١٢
	٢٥:	٢٦-	٥٧٢
	٢٦:		٢٣١
	٢٧:		٣١٢
	٢٨:	٢٩-	٣١٢
	٣٢:		١٤٢
	٣٣:		٢٤٦
	٣٢:		٣٢٧
	٣٣:		٦٠٨
١٢	٢:		١٩١
	٢:		١٩٥
	٢:		١٩٦
	٢:		٥١٦
	٣:		٢٢٠
	٥:		٣٦٣
	٥:		٤٥٢
	١٢:		٥٣٦
	١٢:		٥٤٨
	١٤:		١٥٣
	١٥:		٥٥٤
	١٧:		١٥٤
	٢١:		١٥٤
١٣	١:	٥-	٥٠٧
	١:	٧-	١٢١
	١:	٧-	٥٢٧
	٤:		٤٣٨
	٧:		١٥٤
	٨:	١٠-	١٥٤
	١٠:		٢٧
	١١:		٥٩٠

رو ١٣	١٢:		٥١٥
	١٢:	١٤-	٥٢٣
	١٣:		٣١
	١٣:		٥٤٥
	١٣:		٥٥٢
١٤	١:	٤-	٣٤٧
	٨:		٣١٨
	٨:		٥٧٨
	١٠:		١٥٤
	١٠:		٦٠٨
	١٣:		١٥٥
	١٣:		٥٠٨
	١٣:		٥٢٧
	١٤:		١٥٥
	١٤:		٣٤٧
	١٥:		٢٩٣
	١٥:		٣٤٧
	١٥:	١٦-	٥٠٨
	١٧:		٤٨٠
	٢٠:	٢٣-	٥٠٨
١٥	١:	٢-	٣٤٧
	١:	٣-	١٥١
	١:	٣-	٥٥٤
	٣:		١٧١
	٣:		٢٧٥
	٥:		١٦١
	٧:		١٥١
	٨:		٣٤٦
	٨:		٤٣٨
	٩:	١٢-	٣٤٦
	١٣:		٤٨٠
	١٥:	١٦-	٢١٠
	١٦:		٣٠
	١٧:		٢٧٢
	١٨:	١٩-	٦٧٠
	١٩:	٢٠-	٧١٨
	٢٣:		٦٧٢
	٢٤:	٢٨-	٧٣٦
	٢٤:	٢٨-	٧٤٤
	٢٦:	٢٨-	٦٧٢
	٢٩:		٩٦
	٢٩:		٣٥٨
	٣٠:		٥٤٩
	٣٠:	٣١-	٦٧٢
	٣١:		٦٨٨
١٦	١:		٤٣٩
	١:	٣-	٦٧٦
	٢:		٥٣٠
	٣:	٥-	٦٤٨
	٣:	٥-	٧١٧
	٥:		٦٤٨
	٥:		٧١٧
	٧:		٤٤
	٧:		٧١٧
	١٠:		٧١٧
	١١:		٧١٧
	١٣:		٤٤
	١٣:		١١٦
	١٤:		٧١٨
	١٥:		٧١٨
	١٧:		٥١٧
	١٧:		٥١٩
	١٧:		٥٤٥
	٢٠:		٢٠٢
	٢١:		٦٤٨
	٢١:		٦٧٨
	٢٢:		٦٤٨
	٢٣:		٤٩٣
	٢٣:		٦٤٨

زكريا (نبوة)

بن سيراخ (سفر)

صفنيا (نبوة)

صموئيل (الاول ، سفر)

صموئيل (الثاني ، سفر)

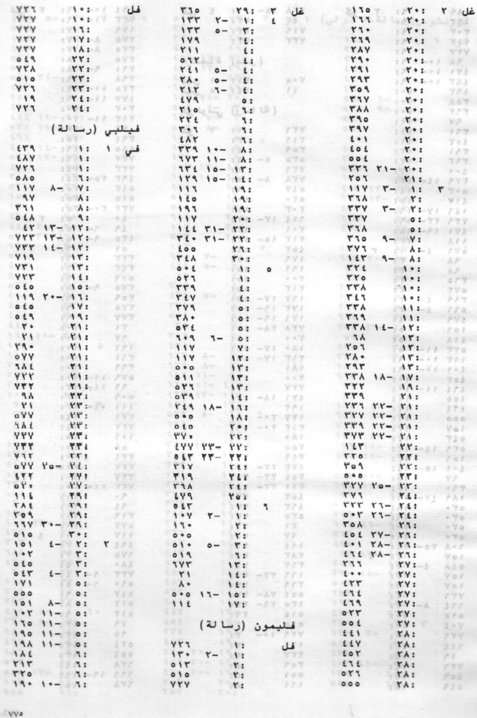
عاموس (نبوة)

عبرانيين (رسالة)

عدد (سفر)

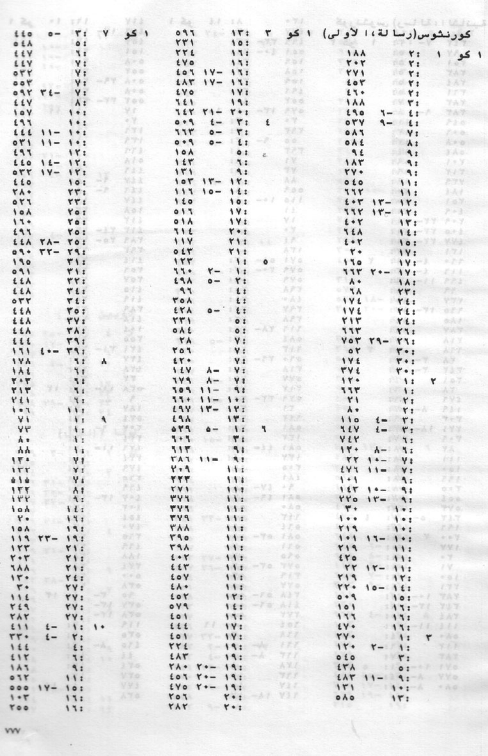
عوبديا (نبوة)

غلاطية (رسالة)



القضاة (سفر)

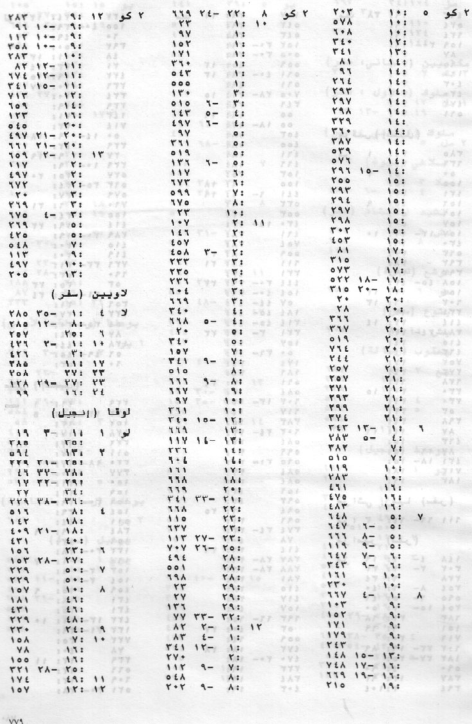
كولوسي (رسالة)



كورنثوس(رسالة، ا لأولى)

السفر	الإصحاح	الآية	إلى	الصفحة
١ كو	١	٢:		١٨٨
		٢:		٢٠٢
		٢:		٢٧١
		٢:		٤٥٣
		٢:		٤٦٠
		٣:		١٨٨
		٤:	٦-	٤٩٥
		٤:	٩-	٥٣٧
		٧:		٥٨٦
		٨:		٥٨٤
		٩:		٩٤
		٩:		١٨٣
		٩:		٢٧٠
		١١:		٥٤٥
		١١:		٦٦٢
		١٢:	١٣-	٤٠٣
		١٢:	١٣-	٦٦٢
		١٣:		٤٠٢
		١٤:		٦٤٨
		١٥:		٤٠٢
		١٧:		٢٠
		١٧:		١٦٥
		١٧:	٢٠-	٦٦٣
		١٨:		٨٠
		٢٣:		٦٨
		٢٤:		١٧٤
		٢٤:		١٧٤
		٢٤:		٢١٣
		٢٦:		٦٦٣
		٢٦:	٢٩-	٧٥٣
		٣٠:		٥٢
		٣٠:		١٧٤
		٣٠:		٣٧٤
	٢	١:		١٢٠
		١:		٦٦٣
		٢:		٢١
		٢:		٨٠
		٣:	٤-	١١٥
		٣:	٤-	٦٤٧
		٦:		٧٤٢
		٦:	٨-	١٣٠
		٧:	١٠-	٢٢
		٧:	١١-	٤٧٦
		٩:		١٠١
		٩:	١٠-	١٤٣
		٩:	١٣-	٢٢٥
		١٠:		٣٠
		١٠:		١٠٠
		١٠:		٢١٩
		١٠:	١٦-	١٠١
		١١:		٢١٩
		١١:		٤٢٥
		١١:	١٢-	٢٢
		١٢:		٢١٩
		١٤:	١٥-	٢٢٠
		١٥:		٥٠٩
		١٦:		١٥١
		١٦:		١٦٦
		١٦:		٤٧٠
	٣	١:		٢٧٠
		١:	٢-	١٢٠
		٣:		٥٤٥
		٥:		٤٣٨
		٩:	١١-	٤٨٣
		١٠:		١٣١
		١٣:		٥٨٥
١ كو	٣	١٣:		٥٩٦
		١٥:		٢٣١
		١٦:		٢٢٤
		١٦:		٤٧٥
		١٦:	١٧-	٤٥٦
		١٦:	١٧-	٤٨٣
		١٧:		٤٧٥
		١٩:		٦٤١
		٢٠:	٢١-	٦٤٢
	٤	٣:	٤-	٥٠٩
		٣:	٥-	٦٦٣
		٤:	٥-	٥٠٩
		٥:		١٥٨
		٦:		١٤٣
		٩:		١٣١
		١٢:	١٣-	١٥٣
		١٤:	١٥-	١١٦
		١٥:		١٤٥
		١٧:		٥١٦
		١٧:		٥١٨
		٢٠:		٦١٤
		٢١:		١١٧
		٢١:		٥٤٣
	٥	١:		١٢٣
		١:	٢-	٦٦٠
		٢:	٥-	٤٩٨
		٤:		٩٦
		٤:		٣٥٨
		٤:	٥-	٤٢٨
		٥:		٢٣١
		٥:		٥٨٤
		٧:		٢٨
		٧:		٢٥٦
		٧:		٤٢٠
		٧:	٨-	١٤٧
		٧:	٨-	٦٧٩
		٩:	١١-	٦٥٩
		١٠:	١١-	٦٦٠
		١٢:	١٣-	٤٩٧
		١٣:		٤٩٨
	٦	١:	٥-	٥٣٩
		٣:		٦٠٦
		٩:		٦١٣
		٩:	١١-	٣٨٦
		١١:		٢٠٩
		١١:		٢٢٣
		١١:		٢٧١
		١١:		٣٧٦
		١١:		٣٧٩
		١١:		٣٧٩
		١١:		٣٨٨
		١١:		٣٩٥
		١١:		٣٩٨
		١١:		٤٠٢
		١١:		٤٤٣
		١١:		٤٥٧
		١١:		٤٨٠
		١٢:		٤٥٢
		١٤:		٥٧٩
		١٦:		٤٥١
		١٧:		٤٤٤
		١٧:		٤٥١
		١٩:		٢٢٤
		١٩:		٤٨٣
		١٩:	٢٠-	٢٨٠
		١٩:	٢٠-	٤٥٦
		١٩:	٢٠-	٤٧٥
		٢٠:		٢٥٦
		٢٠:		٢٨٢
١ كو	٧	٣:	٥-	٤٤٥
		٥:		٥٤٨
		٦:		٤٤٧
		٧:		٤٤٧
		٧:		٥٣٢
		٧:		٥٥٣
		٧:	٣٤-	٥٩٢
		٨:		٤٤٧
		١٠:		١٥٧
		١٠:		٤٩٦
		١٠:	١١-	٤٤٤
		١٠:	١١-	٥٣١
		١٢:		٤٩٦
		١٢:	١٤-	٤٤٥
		١٢:	١٧-	٥٣٢
		١٥:		٤٤٥
		٢٣:		٢٨٠
		٢٣:		٥٢٦
		٢٥:		١٥٨
		٢٥:		١٦٠
		٢٥:		٤٩٦
		٢٥:	٢٨-	٤٤٨
		٢٩:	٣٢-	٥٩٠
		٣١:		١٩٥
		٣١:		٥٩١
		٣٢:		٤٤٨
		٣٤:		٤٤٨
		٣٤:		٥٣٢
		٣٥:		٤٤٨
		٣٧:		٤٤٨
		٣٨:		٤٤٨
		٣٩:		٤٤٤
		٣٩:	٤٠-	١٦١
	٨	٦:		١٧٨
		٦:		١٨٤
		٦:		٢٠٣
		٦:		٢١٣
		٦:		٢٤١
		١١:		١٠٦
	٩	١:		٧١
		١:		٧٣
		١:		٨٠
		١:		٨٨
		٧:		١٣٠
		٧:		١٣٢
		٧:		٥١٥
		٨:		١٣٢
		٩:		١٣٢
		١٤:		١٥٨
		١٦:		٢٠
		١٩:		١٥٨
		١٩:	٢٣-	١١٩
		٢١:		١٢٣
		٢١:		٢٠٣
		٢١:		٦٨٨
		٢٤:		١٣٠
		٢٧:		٣٠
		٢٧:		١١٤
		٢٧:		٢٤٩
		٢٧:		٢٨٢
	١٠	١:	٤-	٤١١
		٢:	٤-	٣٣٠
		٤:		١٤٤
		٦:		٤١٢
		٩:		١٨٦
		١١:		٥٦٢
		١٥:	١٧-	٥٥٥
		١٦:		١٠٣
		١٦:		٢٥٥

كورنثوس (رسالة، الثانية)



لاويين (سفر)

لوقا (إنجيل)

متى (إنجيل)

مرقس (إنجيل)

مراثي ارميا (سفر)

مزامير (سفر)

— ٢ —

فهرس الاقتباسات من كتابات آباء الكنيسة

ooo